تفسير القرآن الكريم
وإعرابه وبيانه

تأليف

الشيخ محمد علي طه الدرة

(رحمه الله)

المجلد التاسع

من سورة الأحقاف إلى سورة الطلاق

دار ابن كثير

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن الكريم

وإعرابه وبيانه

المجلد التاسع

من سورة الأحقاف إلى سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1430 هـ ـ 2009 م

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

ردمك : 978-9953-520-23-0

الموضوع : تفسير - علوم القرآن

العنوان : تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه 10/1

التأليف : الشيخ محمد علي طه الدرة

الورق : كريم

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 7520

القياس : 17×24

التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 13 كغ

التنفيذ الطباعي : 53dots - بيروت

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت



دمشـــق ـ حلبـــوني ـ جـادة ابن ســـينا ـ بناء الجـابي

ص.ب : 311 ـ صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450

مكتب تلفاكس: 2243502 - 2458541

بـيروت ـ بـرج أبي حيـدر ـ خـلف دبـوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com



سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (الأحقاف) وهي مكية بالإجماع، وقال الخازن: قيل: غير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ...﴾ إلخ رقم [١٠]، وقيل: وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...﴾ إلخ رقم [٣٥] فإنهما نزلتا بالمدينة. وهي خمس وثلاثون آية، وستمئة وأربع وأربعون كلمة، وألفان وخمسمئة، وخمسة وتسعون حرفاً. انتهى. خازن. وسميت سورة (الأحقاف)؛ لأنها مساكن قوم عاد؛ الذين أهلكهم الله بطغيانهم، وجبروتهم، وكانت مساكنهم بالأحقاف من أرض اليمن، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ الآية رقم [٢١].



﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿حمٓ﴾: انظر شرحه في أول سورة (غافر) ففيه الكفاية. قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: يخبر الله تعالى أن تنزيل هذا الكتاب، وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى، فهو الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك، كما قال عزَّ وجل في سورة (الشعراء): ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال جلَّ شأنه: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وقال هاهنا: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ أي: المنيع الجناب، ﴿الْحَكِيمِ﴾ أي: في أقواله، وأفعاله، وشرعه، وقدره. انتهى. هذا؛ و﴿الْعَزِيزِ﴾ يفسر بـ: الغالب القوي القاهر؛ الذي لا يغلب، و﴿الْحَكِيمِ﴾ يفسر بـ: الذي يفعل كل شيء بحكمة، وتقدير، وتدبير.

أما ﴿الْكِتَابِ﴾ فهو في اللغة: الضم، والجمع، وسميت الجماعة من الجيش: كتيبة؛ لاجتماع أفرادها على رأي واحد، وخطة واحدة، كما سمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يضم الكلام بعضه إلى بعض، ويجمعه، ويرتبه، وفي الاصطلاح: اسم لجملة مختصة من العلم، مشتملة على أبواب وفصول، ومسائل غالباً، ورحم الله من يقول: [الطويل]

لنا جلساءُ ما يُمَلُّ حديثُهُمْ ... أَلِبَّاءُ مَأْمُونُونَ غَيْباً وَمَشْهَدا
يُفيدُوننا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى ... وعقلاً وتأديباً ورأياً مُسَدَّدا
فإن قلتَ أحياءٌ فما أنت كاذبٌ ... وإن قلت أمواتٌ فلست مُفَنَّدا

وإني أتمثَّل بقول الآخر: [الخفيف]

ما تطعَّمتُ لذَّة العيش حتَّى ... صِرْتُ للبيتِ والكتاب جليسا
ليس عندي شيءٌ ألذُّ من الْـ ... عِلْم فلم أبْتَغِ سواه أنيسا
إنَّما الذُّلُّ في مخالطة النا ... سِ فدعْهُمْ وعِشْ عَزِيراً رئيسا

ورحم الله من يقول: [الطويل]

وقائلةٍ أتْلَفْتَ في الكُتْبِ ما حَوَتْ ... يمينُكَ مِنْ مالٍ فقلتُ دعيني
لَعَلِّي أرَى فيها كِتاباً يَدُلّني ... لأخذِ كِتابي في غَدٍ بيميني

ورحم الله من يقول: [الوافر]

كتابي فيه بستاني ورُوحي ... وفيه سميرُ نفسي والنديمُ
يسالِمُني وكلُّ الناسِ حرْبٌ ... ويسْلِيني إذا عَرَتِ الهمومُ
ويحيي لي تصفُّحُ صَفْحَتَيْهِ ... كِرامَ الناسِ إن فُقِدَ الكريمُ
إذَا اعْوَجَّتْ عليَّ طريقُ قومي ... فلي فيه طريقٌ مُسْتَقِيمُ

وبالجملة: فالكتاب هو نعم الذخر، والعدة، والشغل، والحرفة، جليس لا يضرك، ورفيق لا يملُّك، يطيعك بالليل طاعته بالنهار، ويطيعك في السفر طاعته في الحضر، إن ألفته؛ خلَّد على الأيام ذكرك. وإن دَرَسْتَهُ؛ رفع بين الخلائق قدرك.

الإعراب: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ...﴾ إلخ: انظر سورة (غافر) فالإعراب واحد لا يتغير في الآيتين.

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾

الشرح: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: إلا خلقاً ملتبساً بالحق، وهو ما تقتضيه الحكمة، والمعدلة، وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم، وفيه دلالة على البعث، والحساب، والمجازاة. قال تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [١٦]: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾، وأيضاً رقم [٣٨] من سورة (الدخان)، وقال تعالى في سورة (صٓ) رقم [٢٧]: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ﴾ انظر شرح الآيات في محالها، وهي مذكورة بحروفها في سورة (الحجر) رقم [٨٥] وانظر شرح: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ في الآية رقم [٩] من سورة (الزخرف)

وشرح: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ في الآية رقم [٧] من سورة (الدخان). ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾: يعني يوم القيامة في قول ابن عباس، وغيره، وهو الأجل الذي تنتهي إليه السموات، والأرض. وقيل: إنه هو الأجل المقدور لكل مخلوق. انتهى. قرطبي. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: بالله، وكتابه، ورسوله. ﴿عَمَّآ أُنذِرُواْ﴾ أي: خوفوا به في القرآن من البعث، والحساب، والجزاء. ﴿مُعْرِضُونَ﴾: لا يتفكرون فيه، ولا يستعدون لحلوله ووقوعه.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿خَلَقْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم، والجملة مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَمَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على ما قبله. ﴿بَيْنَهُمَآ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و(ها): في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لموصوف محذوف يقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: إلّا خلقاً ملتبساً بالحق. ﴿وَأَجَلٍ﴾: معطوف على (الحق). ﴿مُّسَمًّىۚ﴾: صفة: (أجل) مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عَمَّآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُعْرِضُونَ﴾ بعدهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: عن الذي، أو: عن شيء أنذروه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن) التقدير: عن إنذارهم. ﴿مُعْرِضُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

الشرح: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ أي: أخبروني، والخطاب للنبي ﷺ. ﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما تعبدون من دون الله، أي: الأصنام. ﴿مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أيّ شيء خلقوا في الأرض؛ إن كانوا آلهة؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ﴾ أي: شركة مع الله في خلق السموات، والأرض. والمعنى: أخبروني عن حال آلهتكم بعد التأمل فيها، هل يعقل أن يكون لها مدخل في أنفسها، أو في خلق شيء من أجزاء العالم، فتستحق به العبادة، والتعظيم، والتقديس؟ وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم: أن للوسائط شركة في إيجاد الحوادث السفلية. انتهى. بيضاوي بتصرف.

﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ﴾ أي: من قبل هذا الكتاب، يعني: القرآن، فإنه ناطق بالتوحيد. هذا؛ و﴿ٱئۡتُونِي﴾ أمر من: أتى، يأتي، والأمر بهمزتين: همزة الوصل التي يتوصل بها إلى النطق بالساكن والثانية هي فاء الفعل، ولا يجتمع همزتان، فإذا ابتدأت الكلام قلت: إيت بإبدال الثانية ياءً لكسر ما قبلها، فإذا وصلت الكلام زالت العلة في الجمع بين همزتين، فتحذف همزة الوصل، وتعود الهمزة الأصلية، فتقول: إئت، ومثل ذلك قل في إعلال: أذن، يأذن، إئذن.

﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾: أو بقية من علم بقِيَتْ عليكم من علوم الأولين؛ هل فيها ما يدلُّ على استحقاق الأصنام العبادة، أو الأمر به؟ أو هل لله شريك في السموات؟ أو هل هذه الأصنام تقربكم إلى الله زلفى، كما تزعمون، وتدعون؟ هذا؛ ويقرأ: (أثرة) وبقراءات مختلفة.

الإعراب: ﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَرَءَيۡتُم﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. (رأيتم): فعل وفاعل. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول، والجملة بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: الذي تدعونه. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب المحذوف، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿أَرُونِي﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول. ﴿مَاذَا﴾: (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، و(ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة: ﴿خَلَقُواْ﴾: صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: ما الذي خلقوه. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَاذَا﴾ اسماً مركباً ففيه وجهان: اعتباره مبتدأ، وجملة: ﴿خَلَقُواْ﴾: خبره، والرابط محذوف، كما رأيت، واعتباره مفعولاً مقدماً للفعل ﴿خَلَقُواْ﴾، وهذا الوجه أقوى على جميع الاعتبارات. بقي أن تعرف أن جملة: ﴿أَرُونِي﴾ يجوز فيها وجهان: الأول: اعتبارها تأكيداً لـ: ﴿أَرَءَيۡتُم﴾ لأنها بمعنى: أخبروني، وعلى هذا يكون المفعول الثاني لـ: ﴿أَرَءَيۡتُم﴾ هو جملة: ﴿مَاذَا خَلَقُواْ﴾. والوجه الثاني: أن لا تكون مؤكدة لها، وعلى هذا تكون المسألة من باب التنازع؛ لأن ﴿أَرَءَيۡتُم﴾ يطلب ثانياً، و﴿أَرُونِي﴾ كذلك، وقوله: ﴿مَاذَا خَلَقُواْ﴾ هو المتنازع فيه، وتكون المسألة من إعمال الثاني، والحذف من الأول. هذا؛ وجوز ابن عطية في ﴿أَرَءَيۡتُم﴾ أن لا يتعدى إلى اثنين، حيث قال: و﴿أَرَءَيۡتُم﴾ لفظ موضوع للسؤال، والاستفهام لا يقتضي مفعولاً ثانياً، وجعل ﴿مَّا تَدۡعُونَ﴾ استفهاماً، معناه التوبيخ، قال: و﴿تَدۡعُونَ﴾ معناه: تعبدون. قلت: وهذا رأي الأخفش، وقد قال بذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ...﴾ إلخ الآية رقم [٦٣] من سورة (الكهف). انتهى. جمل نقلاً عن السمين. وقد تصرفت فيه بعض التصرف.

﴿مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿مِنَ﴾ بيان لما أبهم في: ﴿مَاذَا﴾. ﴿أَمۡ﴾: حرف عطف بمعنى همزة الإنكار، وبل الإضرابية، فهي منقطعة. ﴿لَهُمۡ﴾:

متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿شِرْكٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿شِرْكٌ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها. ﴿ٱئْتُونِي﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿بِكِتَٰبٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّن قَبْلِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة «كتاب»، و﴿قَبْلِ﴾ مضاف، و﴿هَٰذَآ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والهاء حرف تنبيه لا محلَّ له. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿أَثَٰرَةٍ﴾: معطوف على «كتاب». ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَثَٰرَةٍ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبر: (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه. هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾

الشرح: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي: لا أحد أضل، وأجهل. ﴿مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: قال البيضاوي: إنكار أن يكون أحد أضل من المشركين؛ حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلاً أن يعلم سرائرهم، ويراعي مصالحهم. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: إلى انتهاء الدنيا، وقيام الساعة، وهو اليوم الذي يحاسب الله الناس فيه على أعمالهم. ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾: لا يستجيبون لهم؛ لأنهم إما جمادات، وإما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم. هذا؛ وقد روعي لفظ (مَنْ) برجوع الفاعل إليها، ومعناها بجمع الضمير بقوله: ﴿وَهُمْ...﴾ إلخ. هذا؛ ووصْفُهم بترك الاستجابة، والغفلة طريقُه طريقُ التهكم بها، وبعبدتها. ونحوه قوله تعالى في سورة (فاطر) رقم [١٤]: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ انتهى. كشاف، وانظر تبرؤ إبليس من أتباعه في سورة (إبراهيم)، وسورة (قٓ) إن كنت من أهل القرآن.

هذا؛ وإنما جمع الأصنام، والمعبودات الباطلة جمع المذكر السالم؛ لأن الكفار كانوا يخاطبونها مخاطبة العقلاء، فنزلت منزلتهم في الكلام، وهذا كثير في القرآن، وقد ذكرته في محاله مراراً. والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل؛ إذا عاملوه معاملته، وأنزلوه منزلته، وإن كان خارجاً عن الأصل، كما يستعمل له «مَنْ» التي هي للعاقل؛ لما ذكر من السبب، قال تعالى في سورة (الزمر) رقم [٤٣]: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ وهو كثير في الشعر العربي.

الإعراب: ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَضَلُّ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِمَّن﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَضَلُّ﴾ قبلهما. ﴿يَدْعُوا۟﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وهو ضعيف. و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿مَن﴾: مفعول به لـ: ﴿يَدْعُوا۟﴾، وجملة: ﴿لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ صلة ﴿مَن﴾ والعائد: رجوع الفاعل إليها، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال. وهو ضعيف، و﴿يَوْمِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَن دُعَآئِهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿غَٰفِلُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية: (هم...) إلخ في محل نصب حال مِنْ ﴿مَن﴾ الأولى أو الثانية، والرابط: الواو، والضمير على الاعتبارين. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجلُّ، وأكرم.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾: حبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا، ثم يساقون، ويدفعون إلى النار. هذا؛ والحشر: الجمع. ﴿كَانُوا۟﴾ أي: الأصنام. ﴿لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ أي: لعبدتهم. ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾: جاحدين. والمعنى: أنَّ المعبودات الباطلة تتبرأ من عابديها يوم القيامة، كما قال تعالى في سورة (يونس) عليه السلام: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ رقم [٢٨]، وقال تعالى في سورة (مريم) رقم [٨٣]: ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾، وقال تعالى في سورة (العنكبوت) رقم [٢٥]: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿حُشِرَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَعْدَآءً﴾، كان صفة له، فلمَّا قدم عليه؛ صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها؛ صار حالاً». ﴿أَعْدَآءً﴾: خبر «كان»، والجملة الفعلية جواب «إذا» لا محلَّ لها من الإعراب، والتي بعدها معطوفة عليها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿كَٰفِرِينَ﴾: خبر (كان...)إلخ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ: أي آيات القرآن يقرؤها محمد ﷺ على كفار قريش. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات الدلالة على ما يخالف معتقداتهم من إنكار البعث، والحساب، والجزاء. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ...﴾ إلخ: أي: لأجله، وفي شأنه، والمراد به: الآيات، ووضع موضع ضميرها، ووضع: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق، وعليهم بالكفر، والانهماك في الضلالة. ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ أي: حينما جاءهم من غير نظر، وتأمل. ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. هذا؛ وقال تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٣٠]: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ انظر شرحها هناك.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف، (إذا): مثل سابقتها. ﴿تُتْلَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: نائب فاعل، و«نا»: في محل جر بالإضافة. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: حال منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها.. إلخ. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿لِلْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿قَالَ﴾. ﴿لَمَّا﴾: ظرف زمان بمعنى: «حين» مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: ﴿قَالَ﴾ أيضاً. ﴿جَآءَهُمْ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الحق)، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿لَمَّا﴾ إليها. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿سِحْرٌ﴾: خبره. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة: ﴿سِحْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (إذا)، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: أيقول المشركون: افترى محمد ﷺ القرآن، واختلقه من تلقاء نفسه. وقال البيضاوي: إضراب عن ذكر تسميتهم القرآن سحراً إلى ذكر ما هو أشنع منه، وإنكار له، وتعجيب. ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾: على سبيل الفرض. ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: إن عاجلني الله بالعقوبة، فلا تقدرون على دفع شيء منها، فكيف أجترئ عليه، وأعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع، ولا دفع ضر من قبلكم. ومثله قوله تعالى في سورة (المائدة) رقم [١٧]: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى

ﵟٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗﵞ، وقوله تعالى في سورة (المائدة) أيضاً رقم [٤١]: ﵟوَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚﵞ. ﵟهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۚﵞ أي: تقولونه، وقيل: تخوضون فيه من التكذيب. والإفاضة في الشيء: الخوض فيه، والاندفاع، ومنه: أفاضوا في الحديث، أي: اندفعوا فيه، وأفاض الناس من عرفات إلى منى: أي دفعوا، وكل دفعة إفاضة، قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٩٨]: ﵟفَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ...ﵞ إلخ، ثم قال في الآية التي بعدها: ﵟثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُﵞ وكله مستعار من: فاض الماء، وأفاضه: إذا سال للأخذ في الشيء قولاً كان، أو فعلاً.

ﵟكَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖﵞ: يشهد لي بالصدق، والبلاغ، وعليكم بالكذب، والإنكار. وهو وعيد بجزاء إفاضتهم. ﵟوَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُﵞ: فهذا وعد بالمغفرة، والرحمة لمن تاب، وأناب، وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم. هذا؛ والضمائر عائدة على (الحق)، والمراد به (الآيات) أي: القرآن المنزل على الرسول ﷺ. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

قال أحمد المعلق على الكشاف: فيحتمل في إجراء الآية على مذهب أهل السنة أن يكون إسناد الفعل: ﵟفَلَا تَمۡلِكُونَ لِي...ﵞ إلخ لهم على معنى التنبيه بالشيء على مقابله بطريق المفهوم. فالمعنى إذاً: إن كنت مفترياً؛ فالعقوبة واقعة بي، لا تدفعونها عني. فمفهوم، وإن كنت محقاً، وأنتم مفترون؛ فالعقوبة واقعة بكم لا أقدر على دفعها عنكم. ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة (هود) رقم [٣٥]: ﵟأَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَﵞ وأمثاله كثيرة. والله أعلم. انتهى.

الإعراب: ﵟأَمۡﵞ: حرف عطف بمعنى «بل» وهمزة الإنكار. قاله الجلال، وأيَّدَهُ الجمل. وقال القرطبي: الميم صلة، التقدير: أيقولون: افتراه. ﵟيَقُولُونَﵞ: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﵟٱفۡتَرَىٰهُۖﵞ: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الرسول ﷺ ولم يتقدم له ذكر، ولكنه مفهوم من المقام، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﵟيَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖﵞ مستأنفة لا محلَّ لها. ﵟقُلۡﵞ: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﵟإِنِﵞ: حرف شرط جازم. ﵟٱفۡتَرَيۡتُهُۥﵞ: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﵟفَلَاﵞ: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية. ﵟتَمۡلِكُونَﵞ: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﵟلِيﵞ: متعلقان بما قبلهما. ﵟمِنَ ٱللَّهِﵞ: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﵟشَيۡـًٔاۖﵞ، كان نعتاً له... إلخ، وﵟإِنِﵞ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﵟقُلۡ...ﵞ إلخ مستأنفة. ﵟشَيۡـًٔاۖﵞ: مفعول به. ﵟهُوَﵞ: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﵟأَعۡلَمُﵞ: خبره. ﵟبِمَاﵞ: جار ومجرور

متعلقان بـ: ﴿أَعۡلَمُ﴾. و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة. فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿تُفِيضُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿فِيهِۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، واعتبارها مصدرية ضعيف، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الضمير فقط.

﴿كَفَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿بِهِۦ﴾: الباء: حرف جر صلة، والضمير فاعل ﴿كَفَىٰ﴾، فهو مجرور لفظاً، مرفوع محلاً. ﴿شَهِيدَۢا﴾: تمييز، ويقال: حال. والمعتمد الأول. ﴿بَيۡنِي﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿شَهِيدَۢا﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. (بينكم): ظرف مكان معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَفَىٰ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٩﴾

الشرح: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: ما كنت أول الرسل، بل جاء رسل قبلي كثيرون، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: البِدْعُ: الأول. وقيل: هو على حذف مضاف، التقدير: ذا بدع؛ أي: أبتدع ما لا يبتدعون، وأدعو ما لا يدعون، وأفعل ما لا يفعلون، وإنما أسيرُ على طريقتهم، وأنهج نهجهم من الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له. فقد كانوا يقترحون عليه ﷺ الآيات، ويسألونه عمَّا لم يوحَ به إليه من الغيوب، فقيل له: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ فآتيكم بكل ما تقترحونه، وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات، فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلَّا بما آتاهم الله من آياته، ولا يخبرون إلَّا بما أوحِيَ إليهم.

﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾: لأنه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي، وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله، ويقدر لي، ولكم من قضاياه. ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾. وعن الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا، ومَنِ الغالب منا والمغلوب. وعن الكلبي قال له أصحابه، وقد ضجروا من أذى المشركين: حتى متى نكون على هذا؟ فقال: ما أدري ما يفعل بي، ولا بكم، أأُترك بمكة، أم أؤمر بالخروج إلى أرض قد رفعت لي، ورأيتها ـ يعني في منامه ـ ذات نخيل وشجر؟

هذا؛ وقال القرطبي: يريد يوم القيامة. ولما نزلت فرح المشركون، واليهود، والمنافقون، وقالوا: كيف نتبع نبياً لا يدري ما يُفعل به، ولا بنا، وأنه لا فضل له علينا؟ ولولا أنه ابتدع

الذي يقوله من تلقاء نفسه؛ لأخبره الذي بعثه بما يُفعل به، فنزلت الآية من أول سورة (الفتح): ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فنسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف الكفار. وقالت الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله! لقد بيّن الله لك ما يفعل بك يا رسول الله! فليت شعرنا ما هو فاعل بنا؟! فنزلت الآية رقم [٥] من سورة (الفتح): ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ونزلت الآية رقم [٤٧] من سورة (الأحزاب): ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ قاله أنس، وابن عباس، وقتادة، والحسن، وعكرمة، والضحاك. انتهى. قرطبي.

هذا؛ والصحيح في الآية قول الحسن السابق. قال أبو جعفر: وهذا أصح قول، وأحسنه، لا يدري ﷺ ما يلحقه في الدنيا، وإياهم من مرض، وصحة، ورخص، وغلاء، وغنى، وفقر. ومثله قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٨٨]: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾. قال القشيري: فعلى هذا لا نسخ في الآية. واختار الطبري أن يكون المعنى: ما أدري ما يصير إليه أمري، وأمركم في الدنيا، أتؤمنون، أم تكفرون، أتعاجلون بالعذاب أم تؤخرون؟ وهذا هو الصحيح؛ لأنَّ الرسول ﷺ يعلم علم اليقين: أنه في الآخرة من المقربين، ويكون في الفردوس الأعلى بلا ريب، ولا شك. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي: لا أتبع إلَّا الذي يوحيه إليَّ ربي بواسطة جبريل، فأنا وقَّاف على ذلك، ولست بمختلقٍ للآيات، ولا بمخترع لها. وقد تكرر هذا المعنى في كثير من الآيات في سورة (الأنعام) رقم [٥٠] وفي سورة (الأعراف) رقم [٢٠٣] وفي سورة (يونس) رقم [١٥]. ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أخوِّف من عقابِ الله، وغضبه في الدنيا، والآخرة، وإنذاري واضح لا خفاء فيه.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر مبني على السكون، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كُنتُ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿بِدْعًا﴾: خبر (كان)، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: متعلقان بـ: ﴿بِدْعًا﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿أَدْرِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية في محل نصب حال من تاء الفاعل، والرابط: الواو، والضمير. ﴿مَا﴾: استفهامية مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُفْعَلُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾. وقرئ الفعل بالبناء للمعلوم، فيكون الفاعل عائداً إلى (الله)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، وعليه فالرابط محذوف، وهو مفعول الفعل، والجملة الاسمية في محل نصب سدت مسد مفعولي الفعل: ﴿أَدْرِى﴾ المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. هذا؛ وأجيز اعتبار «ما» موصولة، فهي مفعول: ﴿أَدْرِى﴾، على أنه بمعنى: لا أعرف، والجملة

الفعلية صلتها، والعائد محذوف، التقدير: لا أدري الذي يُفعل، أو: يَفعلهُ الله. ﴿بِي﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿بِكُمْ﴾: متعلقان بفعل محذوف، التقدير: وما يفعل بكم، وإلَّا كان حرف النفي دخيلاً في غير موضعه.

﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿أَتَّبِعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من فاعل: ﴿أَتَّبِعُ﴾ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني، والخطاب لليهود المعاصرين للرسول ﷺ. ﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: الضمير يعود إلى القرآن المفهوم من قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾. ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ أيها المشركون. وشهد شاهد. . . إلخ: هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نظر إلى وجهه، فعلم: أنه ليس بوجه كذاب، وتأمَّله، فتحقق: أنه هو النبي المنتظر، وقال له: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلَّا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه، أو إلى أمه؟ فقال النبي ﷺ: **«أمَّا أوَّل أشراطِ الساعة فنارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأمَّا أوَّلُ طَعَام يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجنةِ فزِيَادَةُ كبِدِ الْحُوتِ، وَأمَّا الْوَلَدُ فإذا سَبَق ماءُ الرجلِ نزعهُ، وإن سَبَق ماءُ المرأة نَزَعَتْه»** فقال: أشهدُ أنكَ رسولُ الله. هذا؛ ومعنى النزع: الميل، والشبه بالأب، أو بالأم خَلْقاً، وخُلُقاً، قال الشاعر: [الوافر]

وَإنْ يـشْـبِـهْـهُـمـا خُـلُـقـاً وخَـلْـقـاً فـقَـدْ تَـسْـرِي إلَـى الـشَّـبَـهِ الـعـروق

ثم قال عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! إن اليهود قوم بهْتٌ، وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني؛ بهتوني عندك. فجاءت يهود، فقال لهم النبي ﷺ: **«أي رجل عبد الله فيكم؟»**. فقالوا: خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا، وأعلمنا، وابن أعلمنا! قال:

«أرأيتم إن أسلم عبد الله؛ تسلموا؟». قالوا: أعاذه الله من ذلك! فخرج إليهم عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله! فقالوا: هو شرُّنا، وابن شرِّنا. وانتقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله، وأحذر! قال سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض: إنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله بن سلام، وفيه نزل: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾. متفق عليه. وهذا يؤيد ما ذكرته في مقدمة السورة من أنَّ الآية الكريمة مدنية.

هذا؛ وقيل: الشاهد هو موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وشهادته ما في التوراة من نعت رسول الله ﷺ. ولا أعتمده ألبتة. هذا؛ وقد قال تعالى في آخر سورة (الرعد): ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ انظر شرحها هناك. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٤٦]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ...﴾ إلخ انظر شرحها هناك فهو جيِّد، وخذ ما يلي:

عن عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه، واستبنته عرفت: أن وجهه ليس بوجه كذاب. قال: فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: **«أيُّهَا الناسُ! أَفْشُوا السَّلام، وأطعِمُوا الطعامَ، وصِلُوا الأرحَامَ، وصَلُّوا بالليلِ؛ والناسُ نيامٌ؛ تَدْخُلُوا الجنة بسَلامٍ»**. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

الإعراب: ﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾: فعل وفاعل، ومفعولاه محذوفان، التقدير: أرأيتم ماذا حالكم؟ هذا تقدير الجلال، ووافقه الجمل عليه، وقال ابن عطية: «أرأيتم» لفظ موضوع للسؤال والاستفهام، لا يقتضي مفعولاً. وإلى هذا القول ذهب القرطبي، ويحتمل أن تكون الجملة من: ﴿إِن كَانَ...﴾ إلخ سادة مسد المفعولين. وهذا خلاف ما قرّره النحاة. انتهى. جمل باختصار. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، واسمه مستتر تقديره: «هو» يعود إلى القرآن المفهوم مما تقدم. ﴿مِنۡ عِندِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿عِندِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، واختلف في تقديره اختلافاً كبيراً، فأحسن تقدير قدره الخازن: (قل: أرأيتم إن كان من عند الله، ثم كفرتم به، فإنكم لا تكونون مهتدين، بل تكونون ضالين) وهذا التقدير أخذ من الجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَكَفَرۡتُم﴾: الواو: واو الحال. (كفرتم): فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال من تاء الفاعل، أو من اسم ﴿كَانَ﴾ المستتر، والرابط على الاعتبارين: الواو، والضمير، و«قد» قبلها مقدرة. هذا؛ وبعضهم يعتبرها معطوفة على جملة: ﴿كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وما بعدها معطوف عليها على

الاعتبارين فيها. ﴿وَشَهِدَ﴾: الواو: حرف عطف. (شهد): فعل ماض. ﴿شَاهِدٌ﴾: فاعله. ﴿مِّنۢ بَنِىٓ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَاهِدٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِىٓ﴾ مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. و﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وقيل: (مثل) صلة، والتقدير: وشهد شاهد من بني إسرائيل عليه؛ أي: على أنه من عند الله. وانظر الشرح.

وقيل: ليست (مثل) صلة، وكيفية شهادته على نزول مثله أن يقال: إن مثله قد نزل على موسى، فلا تنكروا نزوله على رجل مثله في كونه مصدقاً بالمعجزات، فإن التوراة مثل القرآن من حيث الدلالة على أصول الشرع، كالتوحيد، والبعث، والحساب، والجزاء، والثواب، والعقاب، وإن اختلفا في بعض الفروع. انتهى. جمل نقلاً من زاده. هذا؛ وجملة: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ. انتهى. نسفي.

﴿فَـَٔامَنَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الشاهد، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والمتعلق محذوف، التقدير: عن الإيمان، والجملة معطوفة على ماقبلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر «إن». ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفة: ﴿ٱلْقَوْمَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة، أو معترضة بين المتعاطفتين، لا محلَّ لها على الاعتبارين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ذكر القرطبي: أنَّ المفسرين اختلفوا في سبب نزول هذه الآية على ستة أقوال، وسردها الزمخشري سرداً؛ حيث قال: وهو كلام كفار مكة، قالوا: عامة من يتبع محمداً السُّقَّاط ـ يعنون الفقراء مثل: عمار، وصهيب، وابن مسعود ـ فلو كان ما جاء به خيراً؛ ما سبقنا إليه هؤلاء. وقيل: لما أسلمت جهينة، ومزينة، وأسلم، وغفار؛ قالت بنو عامر، وغطفان، وأسد، وأشجع: لو كان خيراً ما سبقنا إليه رعاة الْبَهْم. وقيل: إن أمة لعمر ـ رضي الله عنه ـ أسلمت، فكان عمر يضربها حتى يفتر، ثم يقول: لولا أني فترت؛ لزدتك ضرباً. وكان كفار قريش يقولون: لو كان ما يدعو إليه محمد حقاً؛ ما سبقتنا إليه فلانة. وقيل: كان اليهود يقولونه عند إسلام عبد الله بن سلام وأصحابه. انتهى.

قال الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: قالوا ذلك زعماً منهم: أن الرياسة الدينية مما تنال بأسباب دنيوية، كما قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ رقم [٣١] من سورة (الزخرف) لأنَّ معالي الأمور بنظرهم لا تنالها أيدي الأراذل، وهم سقاط عامتهم فقراء، وموال، ورعاة. وزل عنهم: أنها منوطة بكمالات نفسانية، وملكات روحانية، مبناها الإعراض عن زخارف الدنيا الدنية، والإقبال على الآخرة بالكلية، وأنَّ من فاز بها؛ فقد حازها بحذافيرها، ومن حرمها؛ فماله منها من خلاق. انتهى.

أقول: وهذه مقالة الطغاة الفاسدين في كل زمان، ومكان، فقوم نوح قالوا له: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ...﴾ إلخ رقم [٢٧] من سورة (هود) وقالوا له في سورة (الشعراء) رقم [١١١]: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾. ومثل الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ رقم [٥٣] من سورة (الأنعام)، انظر شرحها هناك.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن، أو بمحمد ﷺ. والأول أقوى. ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي: من قول الأقدمين، فهو على حد قولهم في كثير من الآيات: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فلما لم يصيبوا الهدى بالقرآن، ولا بمن جاء به؛ عادَوْهُ، ونسبوه إلى الكذب، وقالوا: هذا إفك قديم. هذا؛ وقد قيل لبعضهم: هل في القرآن: مَنْ جهل شيئاً عاداه؟ فقال: نعم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾، ومثله قوله تعالى في سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام رقم [٣٩]: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل (قال)، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الإيمان المفهوم مما سبق. ﴿خَيْرًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿سَبَقُونَآ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية جواب ﴿لَوْ﴾، لا محل لها، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ: معطوفة على جملة: ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ...﴾ إلخ، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب يتعلق بفعل محذوف، التقدير: وإذ لم يهتدوا به؛ ظهر عنادهم، ولا يعلق بقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ لأنه مستقبل يتعارض مع المضي المفهوم من الظرف. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَهْتَدُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال

الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة الظرف إليها. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والكلام مستأنف، لا محل له. ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: الفاء: حرف عطف وسبب. و«السين» حرف يفيد الاستقبال ويقال لها: سين التنفيس. (يقولون): فعل مضارع والواو فاعله. ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿إِفْكٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿قَدِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وفيها معنى التفسير لما قبلها.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾: قبل القرآن. ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي: التوراة. ﴿إِمَامًا﴾ أي: جعلناه إماماً يقتدى به، ويؤتم به في دين الله، وشرائعه كما يؤتم بالإمام. ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: من الله لمن آمن به، واهتدى بهديه. وفي الكلام حذف؛ أي: فلم تهتدوا به، ولم تعملوا بتعاليمه. وذلك: أنه كان في التوراة نعت النبي ﷺ، والحث على اتباعه، والإيمان به، كما ستعرفه في آخر سورة (الفتح) فتركوا ذلك. ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: القرآن. ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ يعني: للتوراة، ولما قبله من الكتب. وفي كثير من الآيات: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: لما تقدمه من الكتب السماوية. ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾: وفي سورة (النحل) رقم [١٠٣] قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: بين الفصاحة، والبلاغة، وقد أطلق الله كلمة (لسان) على القرآن بكامله، كما أطلقه العرب على كلمة السوء، وعلى القصيدة من الشعر، فمن الأول قول الشاعر: [الوافر]

لِسَانُ السُّوءِ تُهْدِيهَا إِلَيْنَا وَحِنْتَ وَمَا حَسِبْتُكَ أَنْ تَحِينَا

وهذا هو الشاهد رقم [٣٣٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ومن الثاني قول الشاعر: [المتقارب]

أَتَتْنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ فَجَلَّى أَحَادِيثُهَا عَنْ بَصَرْ

وقد يجعل كناية عن الكلمة الواحدة، كما في قول الأعشى، وكان قد أتاه خبر مقتل أخيه: «المنتشر»: [البسيط]

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لا أُسَرُّ بِهَا مِنْ عُلْوِ لا عَجَبٌ مِنهَا ولَا سَخَرُ

قال الجوهري: يروى: من علو (بضم الواو، وفتحها، وكسرها) أي: أتاني خبر من أعلى، والتأنيث للكلمة، وقد أطلقه الله على القرآن بكامله، كما رأيت، كما أطلقه على الثناء الجميل، والذكر الحسن في قوله جلّت قدرته: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ الآية رقم [٥٠] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ واللسان يؤنث فيجمع: أَلْسُن،

كذراع، وأَذْرُع، ويذكر، فيجمع على: ألسِنة، كحمار، وأحمرة، وتصغيره على التذكير: لُسَيْن، وعلى التأنيث: لُسَيْنَة.

﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، ومخالفة الله الواحد القهار. ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: الذين أحسنوا العمل؛ أي: يبشرهم القرآن بالجنة، والرضا، والرضوان، والعفو، والغفران. هذا؛ وانظر وصف المحسنين في أول سورة (الذاريات): ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ...﴾ إلخ ووصفهم بآية (لقمان) رقم [٤] بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لفضل اعتداد بهذه الأمور الثلاثة، وفي قول الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام: **«الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ؛ فإنَّهُ يَرَاكَ»**. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمِن﴾: الواو: حرف استئناف. (من قبله): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كِتَٰبُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿مُوسَىٰٓ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِمَامًا﴾: حال من: ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾، والعامل في الحال معنوي، وهو الابتداء، وهذا لا يسوغ إلا على اعتباره فاعلاً بالظرف على مذهب الأخفش، ومن يوافقه على عدم اشتراط الاعتماد على نفي، أو شبهه لعمله، وأما على اعتباره مبتدأ، فلا يصح مجيء الحال منه؛ لأنَّ الحال تبين هيئة فاعل، أو مفعول، وانظر الشاهد رقم [١٣٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». هذا؛ ومثل هذه الآية الآية رقم [٥٢] من سورة (النحل). ﴿وَرَحْمَةً﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿وَهَٰذَا﴾: الواو: حرف عطف. (هذا كتابٌ): مبتدأ، وخبر. ﴿مُّصَدِّقٌ﴾: صفة: ﴿كِتَٰبٌ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿لِّسَانًا﴾: حال من ضمير (الكتاب) المستتر في: ﴿مُّصَدِّقٌ﴾، والعامل فيه: ﴿مُّصَدِّقٌ﴾، ويجوز أن يكون حالاً من: ﴿كِتَٰبٌ﴾ لتخصصه بالصفة، ويعمل فيه معنى الإشارة، وجوز أن يكون مفعولاً لـ: ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ أي: يصدق ذا لسان عربي، وهو الرسول، و﴿لِّسَانًا﴾ حال موطئة؛ لأن المقصود الصفة، وهو ﴿عَرَبِيًّا﴾. ﴿لِّيُنذِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿كِتَٰبٌ﴾، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿مُّصَدِّقٌ﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿ظَلَمُواْ﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَبُشْرَىٰ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وهو بشرى، وهذا أحد الأوجه في الآية، والثاني: أنه معطوف على: ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ فهو في موضع رفع أيضاً. والثالث: أنه في محل نصب معطوفاً على محل: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ لأنه مفعول له، قاله الزمخشري، وتبعه أبو البقاء، وتقديره: للإنذار، والبشرى. ولما اختلفت العلة والمعلول؛ توصل العامل إليه باللام. انتهى. جمل نقلاً من كرخي. هذا؛ وأجاز القرطبي أن يكون منصوباً

بنزع الخافض؛ أي: لينذر الذين ظلموا، وللبشرى، فلما جعل مكان وتبشر بشرى، أو بشارة؛ نصب، كما تقول: أتيتك لأزورك، وكرامةً لك، وقضاءً لحقك؛ يعني: لأزورك وأكرمك، وأقضي حقك، فنصب الكرامة بفعل مضمر. انتهى قرطبي. ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾: متعلقان بـ: (بشرى).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾: لا أرى حاجة إلى المزيد على ما ذكرته في الآية رقم [٣٠] من سورة (فصلت) وأضيف هنا ما ذكره البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال: جمعوا بين التوحيد؛ الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في الأمور؛ التي هي منتهى العمل، و(ثم) للدلالة على تأخر رتبة العمل، وتوقف اعتباره على التوحيد. ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من لحوق مكروه. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على فوات محبوب. انتهى. وانظر شرح ﴿رَبُّنَا﴾ في سورة الجاثية رقم [٣٦].

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿رَبُّنَا﴾: مبتدأ، و(نا) في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو مبتدأة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: صلة لتحسين اللفظ. (لا): نافية مهملة، ولا يجوز إعمالها إعمال «ليس» لأنها تكررت. ﴿خَوْفٌ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، ويجوز تعليقهما بـ: ﴿خَوْفٌ﴾؛ لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له، وعليهما فالخبر محذوف، تقديره: حاصل، أو موجود، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وزيدت الفاء في خبر الموصول، لما فيه من معنى الشرط، ولم تمنع ﴿إِنَّ﴾ من ذلك لبقاء معنى الابتداء، بخلاف: «ليت» و«لعل» و«كأن». انتهى. جمل نقلاً عن السمين. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: زائدة لتأكيد النفي. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية بعده خبره، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، وهذه الجملة ذكرت في سورة (البقرة) بآيات كثيرة، وفي غيرها من السور.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الإشارة إلى: (الذين استقاموا). ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾: جعلوا أصحاب الجنة، بمعنى مالكيها لملازمتهم لها، وعدم انفكاكهم عنها، وقلْ مثله في أصحاب النار. هذا؛

وأصحاب جمع صاحب، ويكون بمعنى: المالك كما هنا، ويكون بمعنى: الصديق، ويجمع أيضاً على صحب، وصحاب، وصحابة، وصحبة، وصحبان، ثم يجمع أصحاب على: أصاحيب أيضاً، ثم يخفف، فيقال: أصاحب. هذا؛ والصحابي: من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً، ولو مدة قصيرة. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة، لا يخرجون، ولا يبرحون، ولا يهرمون، ولا يموتون، سنُّهم واحدة: ثلاث وثلاثون سنة. ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: كان دخول الجنة، وخلودهم فيها مكافأةً لهم على ما قدموا في الدنيا من الأعمال الصالحة. هذا؛ وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت الآية في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ والصحيح: أنها تعمّ كل من قال: ربنا الله، ثم استقام.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿أَصۡحَٰبُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثانٍ لـ: ﴿إِنَّ﴾، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: اسم الإشارة، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء.. إلخ، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿جَزَآءَۢ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: جوزوا جزاءً. وقيل: هو مصدر بمعنى الحال. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿جَزَآءَۢ﴾. و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: جزاءً بالذي، أو: بشيء كانوا يعملونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: جزاء بعملهم. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، وجملة: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ في محل نصب خبره.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾

الشرح: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ﴾: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: بيَّن اختلاف حال الإنسان مع أبويه، فقد يطيعهما، وقد يخالفهما؛ أي: فلا يبعد مثل هذا في حق النبي ﷺ وقومه حتى يستجيب له البعض، ويكفر البعض، فهذا وجه اتصال الكلام بعضه ببعض. قاله القشيري.

تنبيه: ذكرت لك في سورة (العنكبوت) رقم [٨] أن الآية هناك، والآية في سورة (لقمان) رقم [١٤] والآية هنا نزلن في سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة، ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، لما أسلم ـ رضي الله عنه ـ وكان من السابقين إلى الإسلام، وكان باراً بأمه، فلما أسلم، قالت له أمه: ما هذا الذي أحدثت؟ والله لا آكل، ولا أشرب، ولا يظلني سقف بيت من الحر، والريح حتى ترجع إلى ما كنت عليه، أو أموت، فَتُعيَّر بذلك أبد الدهر! ويقال: يا قاتل أمه! ثم إنها مكثت يوماً وليلة، لم تأكل، ولم تشرب، ولم تستظل، فأصبحت وقد جهدت، ثم إنها مكثت يوماً وليلة كذلك، فجاءها، وقال: يا أماه! والله لو كان لك مئة نفس، فخرجت نفساً نفساً؛ ما تركت ديني، فكلي واشربي إن شئت، وإن شئت فلا تأكلي، ولا تشربي! فلما أيست منه؛ أكلت وشربت، واستظلت.

والأصح: أنها نزلت في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وهو قول علي، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ نزلت فيه، وفي أبيه أبي قحافة، وأمه أم الخير، وفي أولاده، واستجابة دعائه فيهم، فإنه آمن بالنبي ﷺ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة، ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو، ووالده، وبنوه، وبناته غير أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ.

هذا؛ والفعل: (وصى) حكمه حكم الأمر في معناه، وتصرفه. يقال: وصيت زيداً بأن يفعل كذا: كما تقول: أمرته بأن يفعل كذا، ومنه قول الشاعر: [الوافر]

وَذُبْيَانِيَّةٍ وَصَّتْ بَنِيهَا ... بِأَنْ كَذَبَ الْقَرَاطِقُ وَالْقُرُوفُ

يصف امرأة وصت بنيها بحفظ القراطق، جمع: القرطق، وهي القطعة المخملة. والقروف: أوعية من أدم. ومنه: قوله تعالى في سورة (البقرة): ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾ أي: وصاهم بكلمة التوحيد، وأمرهم بها. هذا؛ وأما ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ فإنه يطلق على الذكر والأنثى من بني آدم، ومثله كلمة (شخص) قال تعالى في سورة (العصر): ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ ومعلوم: أنَّ الله تعالى لم يقصد الذكور خاصة، والقرينة الآيات الكثيرة الدالة على أنَّ المراد الذكر، والأنثى. واللام في ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ إنما هي لام الجنس التي تفيد الاستغراق، ولذا صحَّ الاستثناء من الإنسان في سورة (العصر). هذا؛ وإنسان العين: هو المثال الذي يرى فيها، وهو النقطة السوداء، التي ترى لامعة وسط السواد، قال ذو الرمة ـ وهو الشاهد رقم [٨٨٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الطويل]

وإِنْسَانُ عَيْنِي يَحْسِرُ الماءَ تَارَةً ... فَيَبْدُو وَتَارَاتٍ يَجُمُّ فَيَغْرَقُ

هذا؛ وجمع الإنسان: الناسُ. والإنس: البشر، الواحد: إنسي بكسر الهمزة فيهما، وهما ضد الجن، والجني، وجمع الإنسي: أناس، كما في قوله تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٧١]:

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ ويجمع أيضاً على: أناسي، كما في الآية رقم [٤٩] من سورة (الفرقان). هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾ تغليب الوالد على الوالدة، وفي أبويه تغليب الأب على الأم.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: بِكرْهٍ، ومشقة. فالأول المراد به حين أثقلت، وثقل الولد في بطنها. والمراد بالثاني ما تلاقيه من عناء الطلق، والولادة، و﴿كُرْهًا﴾ بضم الكاف، ويقرأ بفتحها، قيل: هما لغتان مثل: الضُّعف، والضَّعف، والفُقْر، والفَقْر، والشُّهْد، والشَّهد. قاله الكسائي، وكذلك هو عند البصريين، وقال الكسائي أيضاً والفراء في الفرق بينهما: إن الكره (بالضم) ما حمل الإنسان على نفسه، وبالفتح ما حمل عليه غيره، قهراً، وغصباً، ولهذا قال بعض أهل العربية: إن كَرهاً (بفتح الكاف) لحن.

هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (لقمان) رقم [١٤]: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾، وفي هاتين الآيتين تنويه بشأن الأم، وأن حقها أعظم من حق الأب، وأنها تستحق من الطاعة، والإكرام، والخدمة، والاحترام أكثر مما يستحق الأب؛ وذلك لما قاسته من الآلام بسبب الولد، ولما هي مجبولة عليه من الضعف الخلقي، والجسدي، والمعنوي، ولا سيما إذا بلغت من العمر عتياً، وقد لفت النبي ﷺ نظر المسلم إلى هذا، وذلك فيما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ! مَنْ أحَقُّ الناسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: **«أمّكَ»**. قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: **«أمُّكَ»**. قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: **«أمُّكَ»**. قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: **«أبُوكَ»** رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما. وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أشْتهي الجهادَ، ولا أقدرُ عَلَيْهِ! قالَ: **«هَلْ بَقِيَ مِنْ والدَيْكَ أحَدٌ؟»** قال: أُمِّي، قال: **«قابِلِ الله في بِرِّها، فإذا فَعَلْتَ ذَلِكَ؛ فأنت حَاجٌّ، ومعتمر، ومجاهِدٌ»**. رواه الطبراني في الصغير، والأوسط، وأبو يعلى. فالرسول ﷺ قد جعل للأم ثلاث مراتب، وللأب واحدة، وهو ما يفهم من الآيتين الكريمتين، وما يذكر إلّا أولو الألباب. وخذ هذه الطرفة:

فقد روى القالي في أماليه عن أبي عبيدة قال: جرى بين أبي الأسود الدؤلي وامرأته كلام في ابنٍ لها منه، وأراد أخذه منها فصارا إلى زياد ابن أبيه، وهو والي البصرة، فقالت المرأة: أصلح الله الأمير هذا ابني كان بطني وعاءه، وحجري فناءه، وثديي سقاءه، أكلؤه إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل بذلك سبعة أعوام، حتى إذا استوى فصالُه، وكملت خصالُه، واستوعكت أوصالُه، وأملت نفعَه، ورجوت خيْرَه، أراد أن يأخذه مني كرهاً، فآوني أيها الأمير، فقد رام قهري، وأراد قسري! فقال أبو الأسود: أصلحك الله! هذا ابني حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، وأنا أقوم عليه في أدبه، وأنظر في أوَدِه، وأمنحه علمي، وألهمه حلمي؛ حتى يكملَ عقلُه،

ويستحكمَ فتله. فقالت المرأة: أصلحك الله! حمله خفاً، وحملته ثقلاً، وضعه شهوةً، ووضعته كرهاً. فقال زياد: اردد على المرأة ولدها، فهي أحق به منك، ودعني من سجعك.

حجري فناءه: شبهت حجرها بفناء الدار لكونه مقر الطفل وملعبه، كما يلعب الصبيان بفناء الدار. أكلؤه: أحفظه. حملته قبل أن تحمله: يريد أنه كان نطفةً في صلبه قبل أن تحملها في رحمها. وضعته: أي نطفة في رحمها قبل أن تضعه بالولادة. الأوَد: العوج. فتله: أراد استكمال قوته. استوعكت: اشتدت. آوني: قوِّني وأعني عليه. خفاً: خفيفاً لا يستشعر به في صلبه، تعني: أنه وإن حمله، ووضعه، لكن شتان ما بين حمله، وحملها، ووضعه ووضعها! وهذا معلوم لدى كل عاقل.

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾: الفصال: الفطام. هذا؛ وقد استدلَّ بهذه الآية مع التي في سورة (لقمان) رقم [١٤]: ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وهو استنباط قوي، وصحيح. روى محمد بن إسحاق، عن معمر بن عبد الله الجُهَني، قال: تزوج رجلٌ منا امرأة من جهينة، فولدت لتمام ستة أشهر من زواجها، فانطلق زوجها إلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ، فذكر ذلك له، فبعث إليها، فلما قامت لتلبس ثيابها؛ بكت أختها، فقالت: ما يبكيك؟ فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط، فيقضي الله سبحانه وتعالى فيَّ ما شاء، فلما أُتِيَ بها عثمان ـ رضي الله عنه ـ؛ أمر برجمها، فبلغ ذلك علياً ـ رضي الله عنه ـ فأتاه، فقال: ما تصنع؟ قال: ولدت تماماً لستة أشهر، وهل يكون ذلك؟ فقال له علي ـ رضي الله عنه ـ: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قال: أما سمعت الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ وقال في سورة (البقرة) رقم [٢٣٣]: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وقال في سورة (لقمان): ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ فلم نجده بقي إلا ستة أشهر، قال: فقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ: والله ما فطنت بهذا! عليَّ بالمرأة، فوجدوها قد فُرِغ منها. قال: فقال معمر ـ رضي الله عنه ـ: فوالله ما الغراب بالغراب، ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه، فلما رآه أبوه؛ قال: ابني والله لا أشك فيه! قال: وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة، فما زالت تأكله؛ حتى مات. أخرجه ابن أبي حاتم. انتهى. مختصر ابن كثير.

هذا؛ وقوله (فوجدوها قد فُرِغ منها) يفيد: أنها أقيم عليها حد الرجم، وانتهى أمرها. وذكر القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: أنَّ عثمان ـ رضي الله عنه ـ رجع عن قوله، ولم يحدها. والمروي في موطأ مالك: أنها رجمت، وفي تيسير الوصول، فأمر عثمان بردها، فوُجِدت قد رُجِمَتْ. وهذا هو المعتمد. هذا؛ وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر؛ كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهراً، وإذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً، وإذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ هذا؛ وأصل الكلام: وأمد حمله، وفصاله ثلاثون شهراً. ولا يصح المعنى إلَّا بهذا التقدير.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أي: قوي، وشب، وارتجل. هذا؛ واختلف في (الأشد) على أقوال كثيرة، والأرجح: أنه ثلاث وثلاثون سنة، كما ذكرته في شأن يوسف، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: المراد به: الصديق ـ رضي الله عنه ـ على المعتمد. ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ أي: ألهمني ووفقني. ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ أي: بالإيمان، والهداية، والتوفيق للعمل الصالح، وهو ما ذكره بقوله: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فأجابه الله، فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، منهم: بلال، وعامر بن فهيرة، ولم يدع شيئاً من الخير إلَّا أعانه الله عليه. وفي الصحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبحَ منكم اليومَ صائماً؟**». قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمَنْ تَبع منكم اليوْم جنازةً؟**». قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن أطعم منكم اليومَ مسْكِيناً؟**». قال أبو بكر: أنا. قال: «**فَمَنْ عادَ منكم اليومَ مريضاً؟**». قال أبو بكر: أنا. قال رسول الله ﷺ: «**ما اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ إلَّا دخلَ الجنَّةَ**». انتهى.

﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ أي: واجعل لي الصلاح سارياً في ذريتي راسخاً فيهم. وقد حقّق الله له ذلك، فلم يبقَ له ولدٌ، ولا والدٌ، ولا والدة إلَّا آمنوا بالله وحده، ولم يجتمع ذلك لغيره من الصحابة كما قدمته آنفاً. هذا؛ وانظر ما ذكرته في سورة (النمل) رقم [١٩] فهو مثله. ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: عما لا ترضاه، أو يشغل عنك. ﴿وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: الموحدين لك المخلصين.

وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة، والإنابة إلى الله عزَّ وجل، ويعزم عليها. وقد روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد: «**اللهمَّ ألِّفْ بين قلوبنا، وأصلحْ ذاتَ بيننا، واهدِنا سُبُل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحشَ ما ظهر منها، وما بطنَ، وبَارِكْ لنا في أسماعنا، وأبصارِنا، وقلوبِنا، وأزواجِنا، وذرِّيَّاتِنَا، وتُبْ علينا إنك أنت التوابُ الرحيمُ، واجعْلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها عليك، قابليها، وأتممها علينا**». انتهى. مختصر ابن كثير.

هذا؛ و«أَصلح» في الآية الكريمة متعد، وإنما جاء لازماً لتضمنه معنى: بارك لي في ذريتي، ومنه قول ذي الرمة ـ وهو الشاهد رقم [٩٢٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الطويل]

وَإِنْ تَعْتَذِرْ بِالْمَحْلِ مِنْ ذي ضرُوعِهَا إِلَى الضَّيْفِ يَجْرَحْ في عراقِيبها نَصْلِي

فإن الفعل: «يجرح» متعد، وقد جاء لازماً؛ لأنه بمعنى يفسد. هذا؛ وقال مالك بن مِغْوَل: اشتكى أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مُعَرِّف، فقال: استعن عليه بهذه الآية، وتلا ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ...﴾ إلخ.

الإعراب: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾: الواو: حرف استئناف. (وصينا): فعل، وفاعل. ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: مفعول به. ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (وصينا). ﴿إِحْسَٰنًا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: وصينا الإنسان أن يحسن إليهما إحساناً. وقيل: بل هو مفعول به على تضمين

(وصينا) معنى: ألزمنا، فيكون مفعولاً ثانياً، ومثله المصدر المؤول من «أن يحسن إليهما»، وقيل: بل هو منصوب على المفعول له؛ أي: وصينا بهما إحساناً منا إليهما. وقيل: هو منصوب على المصدر؛ لأنَّ معنى (وصينا): أحسنَّا، فهو مصدر صريح، والمفعول الثاني هو المجرور بالباء. هذا؛ ويقرأ: (حُسْناً) على أنه صفة مصدر محذوف مع حذف مضاف؛ إذ التقدير: وصينا الإنسان بوالديه أيضاً ذا حُسْن. وقيل: هو منصوب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية؛ أي: قل لهما، أو: افعل بهما حسناً، وهو أوفق لما بعده. وقال مكي: التقدير: وصينا الإنسان بوالديه أمراً ذَا حُسْنٍ، ثم أقام الصفة مقام الموصوف، وهو الأمر، ثم حذف المضاف، وهو: «ذا» وأقام المضاف إليه مقامه، وهو: حسن. انتهى. وهذا يعني: أن الفعل قد نصب مفعولين، كما ذكرته سابقاً. وقيل: هو منصوب بنزع الخافض، التقدير: وصينا الإنسان بوالديه بحسن، وانظر ما ذكرته في سورة (العنكبوت) رقم [٨]. والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها.

﴿حَمَلَتْهُ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿أُمُّهُ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كُرْهًا﴾: حال من: ﴿أُمُّهُ﴾ أي: ذات كره، أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: تكره كرهاً، وهذه الجملة في محل نصب حال، أو هو صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: حملاً كرهاً، أو هو منصوب بنزع الخافض، التقدير: على كره، أو بكره، والجملة الفعلية فيها معنى التعليل للوصية، وجملة: ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيه، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: وحملها إياه، وفصالها إياه. ﴿ثَلَٰثُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿شَهْرًا﴾: تمييز، والجملة الاسمية: ﴿حَمَلَتْهُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من: ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾، والرابط: الواو، والضمير. وإن اعتبرتها معطوفة؛ فلا محل لها، وانظر الآية رقم [١٤] من سورة (لقمان) فالإعراب متقارب من بعضه، ولا تنسَ تقدير المضاف في الشرح لتصحيح المعنى.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء، ويعتبرها الأخفش في مثل ذلك جارة لـ: ﴿إِذَا﴾. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٦]. ﴿بَلَغَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾. ﴿أَشُدَّهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، وجملة: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل جر مثلها. ﴿سَنَةً﴾: تمييز. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى حُذِف منه أداة النداء منصوب، وفيه ست لغات، انظر إعراب «يا قوم» في الآية رقم [٥١] من سورة (الزخرف) فهو مثله. ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم في محل نصب مفعول به أول. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿أَشْكُرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَنْ﴾، والفاعل تقديره: «أنا»، و﴿أَنْ﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به ثان. ﴿نِعْمَتَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل

جر بالإضافة. ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: ﴿نِعْمَتَكَ﴾. ﴿أَنْعَمْتَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: التي أنعمتها. ﴿عَلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة، و﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا﴾ معطوف على ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ فهو مثله في الإعراب، والتأويل، والمحل. ﴿تَرْضَاهُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ثانية للموصوف المحذوف؛ إذ التقدير: وأن أعمل عملاً صالحاً مرضياً لك.

﴿وَأَصْلِحْ﴾: فعل دعاء، وفاعله تقديره: «أنت». ﴿لِي﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فِي ذُرِّيَّتِي﴾: متعلقان بمحذوف حال، انظر تقدير الكلام في الشرح، وإن علقتهما بالفعل: ﴿وَأَصْلِحْ﴾ فلست مفنداً. هذا؛ والكلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له خلافاً للأخفش الذي يعتبر ﴿حَتَّىٰ﴾ جارة لـ: ﴿إِذَا﴾، وهو غير مسلم له.

﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿تُبْتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية تعليل للدعاء، لا محلَّ لها. ﴿وَإِنِّي﴾: الواو: حرف عطف. (إني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: «إن» والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ...﴾ إلخ أي: هؤلاء المتصفون بما ذكر، التائبون إلى الله، المنيبون إليه، المستدركون ما فات بالتوبة، والاستغفار هم الذين ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ﴾، فنغفر لهم الكثير من الزلل، ونتقبل منهم اليسير من العمل. هذا؛ وجُمِعَ اسم الإشارة وإن كان عائداً على الإنسان المذكور في الآية السابقة للتعظيم والتبجيل، وقيل: نزلت في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وأبيه أبي قحافة، وأمه أم الخير، وفي أولاده، واستجابة دعائه فيهم. ولا بأس به. هذا؛ وقرئ الفعلان ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ و(نتجاوز) بياء المضارعة مفتوحة ومضمومة أيضاً.

﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾: مع أصحاب الجنة، ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ﴾ أي: وعد الله أهل الإيمان أن يتقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم وعد الصدق. ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي: في الدنيا على لسان الرسول ﷺ. والآيات التي تنصّ على ذلك كثيرة.

تنبيه: روى ابن أبي حاتم عن محمد بن حاطب، قال: لقد شهدت أمير المؤمنين علياً ـ رضي الله عنه ـ وعنده عمار، وصعصعة، والأشتر، ومحمد بن أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ فذكروا عثمان، فنالوا منه، فكان علي على السرير، ومعه عود في يده، فقال قائل منهم: إن عندكم من يفصل بينكم، فسألوه، فقال علي ـ رضي الله عنه ـ: كان عثمان ـ رضي الله عنه ـ من الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ؛ قال: والله عثمان، وأصحاب عثمان ـ رضي الله عنهم ـ قالها ثلاثاً، قال يوسف: فقلت لمحمد بن حاطب: آلله لَسمعْتَ هذا من علي ـ رضي الله عنه ـ؟ قال: آلله لسمِعْتُ هذا من علي ـ رضي الله عنه ـ!. انتهى. مختصر ابن كثير للصابوني.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿نَتَقَبَّلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن» وعلى قراءته بالياء فالفاعل يعود إلى (الله) تقديره: «هو». ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿أَحْسَنَ﴾: مفعول به. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بإضافة: ﴿أَحْسَنَ﴾ إليها، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: أحسن الذي، أو: شيء عملوه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة، التقدير: أحسن عملهم، وجملة: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها، وإعرابها لا خفاء فيه. ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً بـ: ﴿عَنْهُمْ﴾، وقيل: ﴿فِيٓ﴾ بمعنى «مع» وعليه فهي متعلقة بالفعل قبلها، وأجاز السمين تعليقهما بمحذوف خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هم في أصحاب الجنة، وتعود الجملة في محل نصب حال، و﴿أَصْحَٰبِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَعْدَ﴾: مفعول مطلق، عامله محذوف، انظر تقديره في الشرح. و﴿وَعْدَ﴾ مضاف، و﴿ٱلصِّدْقِ﴾ مضاف إليه من إضافة الموصوف لصفته. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف، التقدير: الذي كانوا يوعدونه، والجملة: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ في محل نصب حال مؤكدة لمضمون الجملة قبلها، مثل: أنت أخي حقاً.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾: جميع المفسرين أحال على سورة (الإسراء) رقم [٢٣] وأنا أعيد ما ذكرته هناك، وأقول: معناها الإجمالي العام: التضجر والتبرم. وعن أبي رجاء

الْعُطَارِدِيّ قال: الأف: الكلام الْقَذَع، الرديء، الخفي. وقال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: معناه: إذا رأيت من الوالدين في حال الشيخوخة الغائط، والبول؛ الذي رأيا منك في الصغر؛ فلا تقذرهما، وتقول: أف. وقال بعضهم: معنى ﴿أُفٍّ﴾ الاحتقار، والاستقلال، أخذ من «الأفف» وهو القليل. وروي من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو علم الله مِنَ العقوق شَيْئاً أَرْدَأَ مِن ﴿أُفٍّ﴾ لذكرهُ، فلْيَعْمَل البَارُّ ما شاءَ أَنْ يَعْمَلَ؛ فَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، ولْيَعْمل الْعَاقُّ ما شاءَ أَنْ يَعْمَل؛ فَلَنْ يدْخُلَ الجنة**».

هذا؛ وقرئ ﴿أُفٍّ﴾ بقراءات كثيرة، قال أبو البقاء العكبري ـ رحمه الله تعالى ـ: فمن كسر؛ بناه على الأصل، ومن فتح؛ طلب التخفيف، مثل: رُبَّ، ومن ضم؛ فقد أتبع، ومن نون؛ أراد التنكير، ومن لم ينون؛ أراد التعريف، ومن خفف الفاء؛ حذف أحد المثلين. انتهى. وينبغي أن تعلم: أن هذا اللفظ قد ذكر في سورة (الإسراء) رقم [٢٣]، وفي سورة (الأنبياء) رقم [٦٧] وذكر هنا. هذا؛ وعبارة السيوطي في سورة (الإسراء): و﴿أُفٍّ﴾ مصدر، وكتب عليه الكرخي هناك: وهو مصدر أَفَّ، يؤُفُّ أَفّاً، بمعنى تباً، وقبحاً، أو صوت يدلُّ على تضجر، أو اسم الفعل، الذي هو أتضجر، فجعل فيه احتمالات ثلاثة: مصدر، واسم صوت، واسم فعل. انتهى. جمل.

﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي: أبعث من القبر بعد موتي، وأحاسب، وأجازى. ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ أي: الناس الذين كانوا قبلي في القرون الخالية، فلم يرجع منهم أحد. ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ أي: يقولان: الغياث بالله منك ومن قولك، وهو استعظام، واستنكار لقوله؛ فلذا يقولان له: ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾: هو دعاء عليه بالثبور، والمراد به: الحث، والتحريض على الإيمان، لا حقيقة الهلاك، فإنهما لم يريداه له. ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: صدق لا خلف فيه. ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ أي: الذي تدعونني إليه. ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: أحاديثهم، وما سطروه مما لا أصل له. هذا؛ واستغاث يتعدى بنفسه تارة، وبالباء أخرى، وإن كان ابن مالك زعم: أنّه يتعدى بنفسه فقط، وعاب قول النحاة مستغاث به، قلت: لكنه لم يرد في القرآن إلّا متعدياً بنفسه، قال تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٩]: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ...﴾ إلخ، وقال تعالى في سورة (القصص) رقم [١٥]: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ...﴾ إلخ، وقال في سورة (الكهف) رقم [٢٩]: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ...﴾ إلخ. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. تأمل غلطه في آية (الكهف) كيف استدلَّ بها فغلط، فسبحان من لا يسهو، ولا يغفل.

هذا، وانظر ﴿وَيْلَكَ﴾ في سورة (الزخرف) رقم [٦٥]. أما ﴿ٱلْقُرُونُ﴾ فهو جمع: قرن بفتح القاف وسكون الراء مئة سنة على الصحيح، وقيل: ثمانون، وقيل: ثلاثون. ويقال: القرن في الناس أهل زمان واحد، وهو المراد في الآية الكريمة، ونحوها، وقال الرسول ﷺ: «**خيْرُ القرونِ قرني**» ومنه قول الشاعر: [الطويل]

إذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمُ وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ، فَأَنْتَ غَرِيبُ

وخذ قول لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

فإنْ أنْتَ لَمْ يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ فانْتَسِبْ لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الأوائِلُ

والقَرن (بفتح القاف) أيضاً: الزيادة العظمية، التي تنبت في رؤوس بعض الحيوانات، ومنه إسكندر ذو القرنين. والقرن: الجبل الصغير، وذؤابة المرأة من الشعر. والقرن من القوم: سيدهم، ومن السيف: حده، ونصله، وجمعه في كل ما تقدم: قرون. هذا؛ وهو بكسر القاف، وسكون الراء: الكفء في الشجاعة، والعلم، ونحوهما، والجمع على هذا: أقران.

هذا؛ و﴿أَسَٰطِيرُ﴾ جمع: أسطورة، وإسطارة بضم الهمزة في الأول وكسرها في الثاني، فالأول مثل: أحدوثة، وأضحوكة، وأعجوبة، وجمعها: أحاديث، وأضاحيك، وأعاجيب. وقيل: واحدها: سطر بفتح السين والطاء. وأسطار: جمع، وأساطير: جمع الجمع، مثل: أقوال، وأقاويل. هذا؛ وسطر الكتابة جمعه في القلة: أسطر، وفي الكثرة: سطور، مثل: فَلْس، وأفْلُس، وفلوس. هذا؛ وقد قيل في معنى ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: إنها الترهات، وهي عند العرب غامضة، ومسالك وعرة مشكلة، يقول قائلهم: أخذنا في الترهات، بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح إلى الطريق المشكل؛ الذي لا يعرف، فجعلت الترهات مثلاً لما لا يعرف، ولا يتضح من الأمور المشكلة الغامضة التي لا أصل لها.

بعد هذا لقد اختلف فيمن نزلت فيه الآية الكريمة، فقد قال ابن عباس، والسدي، وأبو العالية، ومجاهد: نزلت في عبد الله بن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ وكان أبواه يدعوانه إلى الإسلام، فيجيبهما بما أخبر الله، عزَّ وجل. وقال قتادة، والسدي أيضاً: هو عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، وكان أبوه، وأمه أم رومان يدعوانه إلى الإسلام، ويعدانه بالبعث، فيرد عليهما بما حكاه الله عزَّ وجل عنه، وكان هذا منه قبل إسلامه، وروي: أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنكرت أن تكون نزلت في عبد الرحمن. وقال الحسن، وقتادة أيضاً: هي نعت عبدٍ كافر عاق لوالديه. وقال الزجاج: كيف يقال: نزلت في عبد الرحمن قبل إسلامه، والله عزَّ وجل يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ﴾ أي: العذاب، ومن ضرورته عدم الإيمان، وعبد الرحمن من أفاضل المؤمنين؟! فالصحيح: أنها نزلت في عبد كافر عاق لوالديه. انتهى. قرطبي.

هذا؛ وجاء في مختصر ابن كثير قوله: وهذا عام في كل من قال هذا. ومن زعم: أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، فقوله ضعيف؛ لأنه أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه، وإنما هذا عام في كل من عقَّ والديه، وكذَّبَ بالحق، فقال لوالديه: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ...﴾ إلخ. روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن المديني؛ قال: إني لفي المسجد حين خطب

مروان بن الحكم، فقال: إن الله تعالى قد أرى أمير المؤمنين معاوية في يزيد رأياً حسناً، وإن يستخلفه؛ فقد استخلف أبو بكر عمر ـ رضي الله عنهما ـ. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ: أهرقلية؟! إن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده، ولا في أحد من أهل بيته، ولا جعلها معاوية في ولده إلّا رحمةً، وكرامةً لولده! فقال مروان: ألست الذي قال لوالديه: أفٍ لكما؟ فقال عبد الرحمن ـ رضي الله عنه ـ: ألست ابن اللعين، الذي لعن رسول الله ﷺ أباك، قال: وسمعتها عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقالت: يا مروان! أنت القائل لعبد الرحمن كذا، وكذا؟ كذبت، ما فيه نزلت، ولكن نزلت في فلان بن فلان، ثم انتحب مروان، ثم نزل عن المنبر، حتى أتى باب حجرتها، فجعل يكلمها؛ حتى انصرف.

وروى النسائي عن محمد بن زياد؛ قال: لما بايع معاوية لابنه يزيد؛ قال مروان: سنة أبي بكر، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ. فقال عبد الرحمن: سنة هرقل، وقيصر. فقال مروان: هذا الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ...﴾ إلخ. فبلغ ذلك عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقالت: كذب مروان، والله ما هو به، ولو شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان، ومروان في صلبه، فمروان فضضٌ من لعنة الله؛ أي: قطعة من لعنة الله. انتهى. بتصرف بسيط، وفي الكشاف. نحوه. وفي السيرة الحلبية وزيني دحلان أحاديث كثيرة في ذم مروان وأبيه الحكم وذريتهما. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِى﴾: الواو: حرف استئناف. (الذي): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، خبره في الآية التالية. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: (الذي)، وهو العائد. ﴿لِوَٰلِدَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أُفٍّ﴾: اسم فعل مضارع، انظر الشرح لبنائه وما ذكرته فيه، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا». ﴿لَّكُمَآ﴾: متعلقان بـ: ﴿أُفٍّ﴾. وقيل: متعلقان بمحذوف حال. والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (تعدانني): فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري، ونصب، واستقبال. ﴿أُخْرَجَ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: «أنْ»، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والمصدر المؤول من: ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ في محل نصب مفعول به ثان للفعل: «يعد»، أو هو منصوب بنزع الخافض، التقدير: بالخروج، والأول أقوى. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرّب الماضي من الحال. ﴿خَلَتِ﴾: فعل ماضٍ مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث، التي هي حرف، لا محلَّ له. ﴿ٱلْقُرُونُ﴾: فاعله. ﴿مِن قَبْلِى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم،

منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من نائب الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَهُمَا﴾: الواو: واو الحال. (هما): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَسْتَغِيثَانِ﴾: فعل مضارع مرفوع، والألف فاعله. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من (والديه)، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ والكلام: ﴿أُفٍّ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَيْلَكَ﴾: مفعول مطلق لم يذكر فعله أبداً، أو هو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: ألزمك الله وَيْلَكَ، وعلى كِلا التقديرين: فالجملة في محل نصب مقول القول لقول مقدر؛ أي: يقولان: ويلك آمن، والجملة الفعلية على هذا التقدير في محل نصب حال من ألف الاثنين؛ أي: يستغيثان الله قائلين: ويلك. ﴿ءَامِنْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة مقولة للمحذوف. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿وَعْدَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿حَقٌّ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للأمر، وهي من جملة المقول. ﴿فَيَقُولُ﴾: الفاء: حرف عطف. (يقول): مضارع، والفاعل يعود إلى «**الذي**». ﴿مَا﴾: نافية. ﴿هَٰذَآ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَسَٰطِيرُ﴾: خبر، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية هذه معطوفة على المقدرة قبلها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: بأنهم أهل النار، ومعنى ﴿حَقَّ﴾: وجب عليهم العذاب، وهي قوله تعالى في سورة (السجدة): ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وقوله تعالى في الحديث القدسي: «**هَؤلَاءِ في الجنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وهَؤلَاءِ في النَّارِ وَلَا أُبَالي**». هذا؛ وجمع الإشارة العائدة إلى الموصول دليل واضح على أن المراد به الجنس، وليس مراداً فرداً واحداً كما ذكر عن عبد الرحمن بن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ الذي هو مع أبيه من أفاضل المؤمنين الصادقين. ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾: مع أمم، وهو جمع: أمة، انظر الآية رقم [٨] من سورة (الشورى). ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مضت، وتقدمت، ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ...﴾ إلخ، المراد بهم الكافرون من الثقلين. ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: تلك الأمم الخالية. ﴿كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ أي: لأعمالهم؛ التي عملوها في الدنيا، بمعنى: ضاع سعيهم، وخسروا الجنة. وانظر ما ذكرته في سورة (الشورى) رقم [٤٥] بشأن هذا الخسران.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ (الذي). ﴿حَقَّ﴾: فعل ماض. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْقَوْلُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محلَّ لها. ﴿فِيٓ أُمَمٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً بـ: (على). ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَلَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى: ﴿أُمَمٍ﴾، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿أُمَمٍ﴾. ﴿مِن قَبْلِهِم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الأمم؛ لأنّها وصفت بالجملة الفعلية، أو هما متعلقان بمحذوف صفة ثانية. ﴿وَٱلْإِنسِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿خَٰسِرِينَ﴾: خبر (كان) منصوب... إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية فيها معنى التأكيد لقوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ وقول الجمل: تعليل. وقال البيضاوي: «تعليل للحكم على الاستئناف» لا أراه قوياً.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: ولكل واحد من الفريقين: المؤمنين، والكافرين من الجن والإنس مراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم من الخير، والشر. قال ابن زيد: درجات أهل النار في هذه الآية تذهب سفالاً، ودرجات أهل الجنة تذهب علواً. هذا؛ ومقتضاه: أنَّ مراتب أهل النار يقال لها درجات بالجيم، والذي في الحديث: **«أنها دركات»**. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

وأجيب بوجوه: أحدها: أنَّ ذلك على جهة التغليب. ثانياً: أنَّ المراد بالدرجات المراتب مطلقاً؛ أي: سواء أكانت إلى علو، وهي مراتب أهل الجنة، أو إلى سفل، وهي مراتب أهل النار. ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ أي: من أجل ما عملوا. ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم. وقرئ الفعل بالياء، والنون. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يزاد على مسيء سيئة، ولا ينقص من محسن حسنة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلِكُلٍّ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لِكُلٍّ): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿دَرَجَٰتٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿دَرَجَٰتٌ﴾، وانظر إعراب: ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ في الآية رقم [١٦]، فالإعراب واحد على جميع الاعتبارات، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة. ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (ليوفيهم): مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (الله) تقديره:

«هو» أو تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به أول. ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: وجازاهم بذلك ليوفيهم. وهذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿عَمِلُواْۖ﴾. ﴿وَهُمۡ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُظۡلَمُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة فلا محل لها. والأول أقوى.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠﴾

الشرح: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ﴾ أي: ذكرهم يا محمد يوم يعرض. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: يكشف الغطاء فيقربون من النار، وينظرون إليها. عَرْضُهم على النار: تعذِيبُهم بها؛ من قولهم: عُرِض بنو فلان على السيف: إذا قتلوا به. وقيل: المراد: عرض النار عليهم من قولهم: عرضت الناقة على الحوض، يريدون عرض الحوض عليها، فَقَلبُوا. ويدل عليه تفسير ابن عباس - رضي الله عنهما -: يجاء بهم إليها، فيكشف لهم عنها. ولقد قال بهذا القلب الجوهري، وجماعة، منهم: السكاكي، والزمخشري، قالوا: فالأصل: ويوم تعرض النار على الذين كفروا؛ لأن المعروض عليه ما له ميل، فيختار المعروض، أو خلافه. وقيل: لا قلب. واختاره أبو حيان، ورد على قول الزمخشري في الآية بأن عرض الكفار على النار ليس بمقلوب؛ لأنَّ الكفار مقهورون، فكأنهم لا اختيار لهم، والنار متصرفة فيهم كالمتاع، الذي يتصرف فيه من يعرض عليه، كما قالوا: عرضت الجارية على البيع، وعرضت القاتل على السيف، والزاني على السوط. هذا؛ وانظر الشاهد رقم [١١٩٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» وهو من قول القطامي من أبيات في وصف ناقة، وهاك نصه: [الوافر]

فَلَمَّا أَنْ جَرَى سِمَنٌ عَلَيْهَا كَمَا طَيَّنْتَ بِالفَدَنِ السِّيَاعَا

هذا؛ وقد اختلف في هذا العرض، متى يكون؟ هل هو في القبور، أو هو يوم القيامة؟ انظر الآية رقم [٤٥] من سورة (الشورى). ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ...﴾ إلخ: أي يقال لهم: إن كل ما قدر لكم من الطيبات، واللذات فقد أفنيتموه في الدنيا، وتمتعتم به، فلم يبقَ لكم بعد استيفاء حظكم منها شيء. ﴿فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ أي: الذي فيه ذل، وخزي. ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ...﴾ إلخ: علق هذا العذاب بأمرين: أحدهما: الاستكبار، وهو الترفع، ويحتمل أن يكون عن الإيمان.

والثاني: الفسق، وهو المعاصي، والأول من عمل القلوب، والثاني من عمل الجوارح، وقدّم الأول على الثاني؛ لأنَّ أحوال القلب أعظم وقعاً من أعمال الجوارح.

هذا؛ وقال القرطبي: ومعنى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ أي: تمتعتم بالطيبات في الدنيا، واتبعتم الشهوات، واللذات؛ يعني: المعاصي. وقيل: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ أي: أفنيتم شبابكم في الكفر، والمعاصي. قال ابن بحر: الطيبات: الشباب، والقوة، مأخوذ من قولهم: ذهبت أطيباه؛ أي: شبابه، وقوته. قال الماوردي: ووجدت الضحاك قاله أيضاً. قلت: القول الأول أظهر. انتهى. هذا؛ وخذ قول الربيع بن ضبع الفزاري أحد الشعراء المعمرين، وهو الشاهد رقم [٤٠٢] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الوافر]

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِئَتَيْنِ عَاماً فَقَدْ ذَهَبَ الْمَسَرَّةُ وَالْفَتَاءُ

هذا؛ وأما في أيامنا هذه إذا عاش الإنسان ستين عاماً؛ فقد ذهب الهناء، والسرور، وحلّت الأوجاع، والأكدار، والهموم، والأحزان. هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ في الآية رقم [١٦] من سورة (الجاثية).

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: لما وبّخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات؛ آثر النبي ﷺ، وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة، فعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: دخلت على رسول الله ﷺ، فإذا هو متكئ على حصير قد أثر في جنبه، فقلت: أستأنس يا رسول الله؟! قال: «**نعم**». فجلست، فرفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلَّا أهبة ثلاثة، فقلت: ادع الله أن يوسّع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم، ولا يعبدون الله، فاستوى جالساً، ثم قال: «**أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا**». فقلت: استغفر لي يا رسول الله! متفق عليه. انتهى. وأهبة: جمع: إهاب، وهو الجلد.

هذا؛ وفي: «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري مثل هذا عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. وقال جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: اشتهى أهلي لحماً، فاشتريته لهم، فمررت بعمر، ـ رضي الله عنه ـ، فقال: ما هذا يا جابر؟! فأخبرته، فقال: أَوَ كُلَّما اشتهى أحدكم شيئاً جعله في بطنه، أما يخشى أن يكون من أهل هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾. وهذا كان بعد وفاة الرسول ﷺ.

قال ابن العربي ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذا عتاب منه له على التوسع بابتياع اللحم، والخروج عن جلف الخبز، والماء، فإن تعاطي الطيبات من الحلال تستشره لها الطباع، وتستمرئها العادة، فإذا فقدتها؛ استسهلت في تحصيلها بالشبهات حتى تقع في الحرام المحض، بغلبة العادة، واستشراه الهوى على النفس الأمارة بالسوء، فأخذ عمر ـ رضي الله عنه ـ الأمر من أوله، وحماه

من ابتدائه، كما يفعله مثله. والذي يضبط هذا الباب، ويحفظ قانونه: على المرء أن يأكل ما وجد، طيباً كان، أو قَفاراً (خشناً)، ولا يتكلف الطيب، ويتخذه عادة، وقد كان النبي ﷺ يشبع؛ إذا وجد، ويصبر؛ إذا عدم، ويأكل الحلوى؛ إذا قدر عليها، ويشرب العسل؛ إذا اتفق له، ويأكل اللحم؛ إذا تيسر، ولا يعتمده أصلاً، ولا يجعله دَيْدناً. ومعيشة النبي ﷺ معلومة، وطريقة الصحابة منقولة، فأما اليوم عند استيلاء الحرام، وفساد الحطام، فالخلاص عسير، والله يهب الإخلاص، ويعين على الخلاص برحمته! وقيل: إن التوبيخ واقع على ترك الشكر، لا على تناول الطيبات المحللة. وهو حسن، فإن تناول الطيب الحلال مأذون فيه، فإذا ترك الشكر عليه، واستعان به على ما لا يحل له؛ فقد أذهبه. والله أعلم. انتهى. قرطبي بحروفه. أقول: وهذا القول الأخير هو الذي يعتمد، ويؤخذ به، فالله يقول في سورة (الأعراف) رقم [٣١]: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ...﴾ إلخ انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يوم): ظرف زمان متعلق بفعل محذوف، التقدير: يقال لهم يوم... إلخ. ﴿يُعْرَضُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محلَّ لها. ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿يُعْرَضُ﴾. ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿طَيِّبَٰتِكُمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فِى حَيَاتِكُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة لما قبله مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿أَذْهَبْتُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لـ: «يقال... إلخ» الذي رأيت تقديره، والجملة المقدرة: «يقال لهم يوم... إلخ» معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها على الاعتبارين. ﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول.

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: الفاء: حرف استئناف، وقيل: الفصيحة، ولا وجه له. (اليوم): ظرف زمان متعلق بما بعده. ﴿تُجْزَوْنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلْهُونِ﴾ مضاف إليه من إضافة الموصوف لصفته، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿تُجْزَوْنَ﴾ التقدير: بسبب استكباركم، وبسبب فسقكم. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة،

و«غير» مضاف، و﴿الْحَقِّ﴾ مضاف إليه. هذا؛ وأجاز الجلال اعتبار (ما) في الموضعين موصولة، واعتبارها مصدرية أقوى. تأمل، وتدبر.

﴿۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾: هو هود، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، كان أخاهم في النسب، لا في الدين، وقد مضت قصته مفصلة في سورة (الأعراف) وفي سورة (الشعراء) وفي السورة المسماة باسمه، فلا حاجة إلى المزيد على ما ذكرته في تلك السور. ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ﴾: خوفهم عقاب الله، وغضبه. والمعنى: اذكر لهؤلاء المشركين قصة هود مع قومه؛ ليعتبروا بها. وقيل: أمره بأن يتذكر في نفسه قصة هود؛ ليقتدي به، ويهون عليه تكذيب قومه له. و(الأحقاف) ديار قوم عاد، وهي الرمال العظام في قول الخليل، وغيره، وكانوا قهروا أهل الأرض بفضل قوتهم. و(الأحقاف) جمع: حقف، وهو ما استطال من الرمل العظيم، واعوج ولم يبلغ أن يكون جبلاً، والجمع: حِقاف، وأحقاف، واحقوقف الرمل، والهلال؛ أي: اعوج.

وقال قتادة: هي جبال مشرفة بالشِّحر، والشِّحر قريب من عدن. وعنه أيضاً: ذكر لنا: أنَّ عاداً كانوا أحياءً باليمن، أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها: الشِّحر. وقال مقاتل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت، بموضع يقال له: مهرة، وإليه تنسب الإبل المهرية، فيقال: إبل مهرية، ومهارِي، وهو المعتمد. والله أعلم. هذا؛ وقال صاحب القاموس: (الأحقاف) جمع: الحِقف بالكسر: المعوج من الرمل، والجمع: أحقاف، وحقاف، وحقوف، وجمع الجمع: حقائف، وحققة. والحقف: رمل مستطيل مرتفع، فيه اعوجاج، وانحناء، ومنه: احقوقف الشيء: اعوج، قال امرؤ القيس في معلَّقَتِهِ رقم [٢٨]: [الطويل]

فَلَمَّا أجزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى ... بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ

﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾: مضت الرسل. ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: قبل هود عليه السلام، فالذين قبله أربعة: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: جاؤوا بعد هود، كصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وكذا سائر أنبياء، ورسل بني إسرائيل. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ والمعنى: قال لهم هود: اعبدوا الله، ولا تعبدوا غيره أبداً. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: قال لهم هود ذلك. هذا، وقد قال تعالى في سورة (فصلت): ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ والمراد بـ: ﴿يَوْمٍ﴾ يوم القيامة، وما بعده. هذا؛ والتعبير عن الأمام، والخلف بقوله تعالى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

كثير في القرآن الكريم، وإن اختص كل موضع بتفسير حسب مقتضيات الأحوال، واختلافها؛ فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ في الآية رقم [٢٨] من سورة (الأنبياء) يفسر بغير ما في هذه الآية هنا، وكذلك الآية رقم [١١٠] من سورة (طه). وكلتاهما تخالفان معنى الآية رقم [٦٤] من سورة (مريم) على نبينا، وحبيبنا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام.

تنبيه: ﴿عَادٍ﴾ المذكورة هنا باختصار هي التي تسمى عاداً الأولى، وأما عاد الثانية فمتأخرة، قال تعالى في سورة (النجم) رقم [٥٠ و٥١]: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ وتسمى عاد إرم لقوله تعالى في سورة (الفجر): ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ...﴾ إلخ وقد كانت هذه القبيلة من العمالقة أشداء أقوياء. وقد زادهم الله بسطة في الجسم، وكانوا مترفين في الحياة، يبنون القصور الشامخة، ويقيمون القلاع، والحصون، وعندهم البساتين النضرة، والعيون الجارية، وقد غرقوا في النعيم، وانغمسوا في البذخ، والترف، وقد قصَّ القرآن الكريم علينا ما كانوا عليه من مظاهر النعمة، والترف في سورة (الشعراء) حيث قال تعالى في الآية رقم [١٢٨]: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ...﴾ إلخ وكانت أجسامهم قوية، وبنيتهم ضخمة متينة، وكانوا إذا مشوا على الأرض؛ تهتز الأرض تحت أقدامهم لثقلهم، كأنهم الجبال لفرط طولهم، وضخامة أجسامهم، فاغتروا بقوتهم، واستكبروا على الله، وعتَوا عن أمر رسله، وتمادوا في طغيانهم، فأهلكهم الله بالريح العاتية، كما قال تعالى في سورة (فصلت) رقم [١٥]: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ. هذا؛ و﴿عَادٍ﴾ اسم للحي، ولذلك صرف، ومنهم من جعله اسماً للقبيلة، ولذلك منعه، وعاد في الأصل: اسم الأب الكبير، وهو عاد بن عوص بن إرم، بن سام، بن نوح على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام فسميت به القبيلة، أو الحي، وكذلك ما أشبهه من نحو (ثمود) إن جعلته اسماً لمذكر؛ صرفته، وإن جعلته اسماً لمؤنث؛ منعته.

الإعراب: ﴿وَٱذْكُرْ﴾: الواو: حرف استئناف. (اذكر): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿أَخَا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿أَخَا﴾ مضاف، و﴿عَادٍ﴾ مضاف إليه. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب بدل اشتمال من: ﴿أَخَا عَادٍ﴾. ﴿أَنذَرَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿أَخَا عَادٍ﴾. ﴿قَوْمَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿قَوْمَهُۥ﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَلَتِ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة، التي هي حرف لا محل له. ﴿ٱلنُّذُرُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿أَخَا عَادٍ﴾، والرابط: الواو، والضمير. أو هي معترضة بين الفعل: ﴿أَنذَرَ﴾ ومتعلقه، فلا محلَّ لها حينئذ. ﴿مِنۢ﴾

﴿بَيْنِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿خَلَتِ﴾ وقيل: متعلقان بمحذوف حال. وهو ضعيف. و﴿بَيْنِ﴾ مضاف، و﴿يَدَيْهِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى صورة، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾: معطوفان على ما قبلهما... إلخ.

﴿أَلَّا﴾: (أن): يجوز فيها ثلاثة أوجه: أحدها: أن تكون هي المخففة من الثقيلة، التقدير: أنه؛ أي: الحال والشأن، و(لا) ناهية. والثاني: أنها هي المصدرية، التي تنصب المضارع، و(لا) نافية. الثالث: أن تكون مفسرة؛ لأن ﴿أَنذَرَ﴾ يتضمن قولاً بالمعنى، و(لا) ناهية. ﴿تَعْبُدُوٓا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (أنْ) وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و(أن) والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بعدم عبادة أحد إلَّا الله، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿أَنذَرَ﴾، وعلى الوجه الأول، والثالث؛ فالفعل مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، وعلى الوجه الأول؛ فالجملة الفعلية في محل رفع خبر (أن)، علماً بأن الجلال قدر الكلام بأن قال: وهذا يعني: أنَّ الجملة في محل نصب مقول القول، وجملة: «قال: لا تعبدوا... إلخ» المقدرة في محل رفع خبر (أنْ) المخففة من الثقيلة، وعلى الوجه الثالث؛ فالجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: «قال: لا تعبدوا... إلخ» مفسرة للفعل: ﴿أَنذَرَ﴾. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. هذا؛ ومثل هذه الآية في إعرابها الآية رقم [١٤] من سورة (فصلت).

﴿إِنِّىٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة: ﴿يَوْمٍ﴾، وجملة: ﴿أَخَافُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّىٓ...﴾ إلخ تعليل لعبادة الله، والنهي عن ضدها، لا محل لها.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: قوم هود له: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: فيه وجهان: أحدهما: أنَّ المعنى: لتزيلنا عن عبادتها بالإفك. الثاني: أنَّ المعنى: لتصرفنا عن آلهتنا بالمنع، قاله الضحاك. قال عروة بن أذينة: [المنسرح]

إنْ تَكُ عَنْ أَحْسَنِ الصَّنِيعَةِ مَأْ ... فُوكَاً فَفِي آخرِينَ قَدْ أَفِكُوا

وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٧] من سورة (الزخرف) تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك، وفي سورة (غافر) رقم [٦٢]. ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: هذا يدل على أنَّ الوعد قد يوضع موضع الوعيد. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: أنك نبي، وصادق في وعدك.

هذا؛ وكان قوم هود ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ أصحاب أوثان، يعبدونها من دون الله تعالى، وهم أول من عبد الأصنام بعد الطوفان. وقال ابن كثير: وكانت لهم أصنام ثلاثة: صدًا، وصمودًا، وَهرًا، وكانوا عرباً جفاةً، عتاة كافرين متمرّدين على الله، وكان هود عليه السلام ينذرهم، ويحذّرهم عذاب الله، ويضرب لهم المثل بقوم نوح، ويذكرهم بنعم الله تعالى عليهم، ويبين لهم أنه لا يطلب على نصيحته أجراً منهم، ولا يبتغي جزاءً، ولا شكوراً، وكان ناس منهم قد عتوا عتواً كبيراً، فقد قاوموا دعوته، وسفّهوا رأيه، وعزموا الفتك به، ورموْه بالسفه والجنون، واتهموه بأنَّ آلهتهم قد أصابته بسوء، وأنَّ ما يهذي به إنما هو بسبب مسِّ الآلهة له، كما حكى الله تعالى عنهم بقوله: ﴿قَالُوا يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ...﴾ إلخ رقم [٥٣] وما بعدها من السورة المسماة باسمه. انتهى. النبوة والأنبياء للصابوني. هذا؛ وقد طلبوا تعجيل عذاب الله، وعقوبته في هذه الآية ونحوها استبعاداً منهم وقوعه، كقوله تعالى جلّت عظمته في سورة (الشورى) رقم [١٨]: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا...﴾ إلخ. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَجِئْتَنَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (جئتنا): فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿لِتَأْفِكَنَا﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: متعلقان بالفعل (جاء)، و(نا) في محل جر بالإضافة. ﴿فَأْتِنَا﴾: الفاء: هي الفصيحة. (ائتنا): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جواب شرط يقدر بـ: «إذا». هذا؛ وبعضهم يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها في مثل ذلك للسببية المحضة، وعلى جميع الاعتبارات فالجملة في محل نصب مقول القول. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالباء. ﴿تَعِدُنَآ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: بالذي تعدنا به، أو إياه. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، والكلام في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: هود عليه السلام. ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب، فسيفعل ذلك بكم. أو المعنى: العلم بمجيء العذاب عند الله، لا عندي. ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾: وأما أنا فمن شأني أبلغكم ما أرسلت به، وأمرني الله بتبليغه إياكم. ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ أي: لا تعلمون: أنَّ الرسل بعثوا مبلِّغين منذرين، لا معذبين مقترحين، أو المعنى تجهلون عقاب الله، وقدره.

هذا؛ والجاهل من يجهل ما يتعلق به من المكروه، والمضرة، ومن حق الحكيم ألَّا يقدم على شيء؛ حتى يعلم كيفيته، وحاله، ولا يشتري الحلم بالجهل، ولا الأناة بالطيش، ولا الرفق بالخرق، كما قال أبو ذؤيب الهذلي: [الطويل]

فإنْ تزعميني كُنْتُ أجهلُ فيكُمُ ... فإنِّي شَرِيْتُ الحِلْمَ بعدكِ بِالْجَهْلِ

وإن لم يكن كذلك يصدق عليه أنه من أكبر الجهال، والحمار أفضل منه، كما قال الشاعر الحكيم: [البسيط]

فضلُ الحمارِ على الجهولِ بخلَّةٍ ... مَعْرُوفَةٍ عندَ الَّذي يَدْرِيها

إنَّ الحِمَارَ إذَا تَوَهَّمَ لَمْ يَسِرْ ... وتُعَاوِدُ الجهّالُ ما يُؤذِيها

والدليل على ذلك من يرتكب الفواحش، والمنكرات، ويفعل المعاصي، والسيئات، مثل لاعب القمار، وشارب الخمر... إلخ، فالحمار لا يلقي نفسه بتهلكة، والجاهل يفعل ذلك، والحمار لا يشرب الخمر، والجاهل يشربها إلى غير ذلك!

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى هود عليه السلام. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿ٱلْعِلْمُ﴾: مبتدأ. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿وَأُبَلِّغُكُم﴾: الواو: حرف عطف. (أبلغكم): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به أول. ﴿مَّآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿أُرْسِلْتُ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، مبني على السكون، والتاء نائب فاعله. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها، وجملة: ﴿وَأُبَلِّغُكُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، ويبعد اعتبارها حالاً. ﴿وَلَٰكِنِّىٓ﴾: الواو: حرف عطف. (لكني): حرف مشبه بالفعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَرَىٰكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»

والكاف مفعول به أول. ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به ثان. ﴿تَجْهَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿قَوْمًا﴾، وهي المرادة هنا؛ لأنهم معروفون: أنهم قوم. والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكن)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، واعتبارها حالاً من فاعل: (أبلغكم) لا بأس به، ويكون الرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾: قال المبرد: الضمير يعود إلى غير مذكور، وبيّنه قوله: ﴿عَارِضًا﴾ فالضمير يعود إلى السحاب. أي: فلما رأوا السحاب عارضاً. وقيل: يرجع الضمير إلى قوله: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾. والعارض: السحاب الذي يعترض في أفق السماء. وقال أبو حيان: والعارض: المعترض في الجو من السحاب الممطر، ومنه قول الفرزدق وهو الشاهد رقم [٧١٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [المنسرح]

يَا مَنْ رَأَى عَارِضاً أُسَرُّ بِهِ ... بَيْنَ ذِرَاعَيْ وَجَبْهَةِ الأَسَدِ

وقال الأعشى، في معلقته رقم [٣٨]: [البسيط]

يَا مَنْ رَأَى عَارِضاً قَدْ بِتُّ أَرْمُقُهُ ... كَأَنَّهُ الْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ الشُّعَلُ

﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾: وذلك: أنه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد، يقال له: المغيث، وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة، فلما رأوا تلك السحابة؛ فرحوا بها، واستبشروا، وقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي: يأتينا بالمطر. ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ...﴾ إلخ: هذا يحتمل أن يكون من قول الله تعالى، ويحتمل أن يكون من قول هود لهم.

هذا؛ وعن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ: أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لَهَواتِهِ، إنما كان يبتسم، وكان إذا رأى غيماً، أو ريحاً؛ عرف ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم؛ فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية، فقال: «**يا عائشة! ما يؤمِّنُني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا**: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾». أخرجه الشيخان، وأحمد، والترمذي، وقال فيه: حديث حسن، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ**». الصبا (بفتح الصاد) الآتية من جهة المشرق والدبور عكسها.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح، قال: اللهمَّ إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخيرَ ما أرسلَت بِهِ، وأعُوذُ بِكَ مِن شَرِّها، وشَرِّ ما فِيهَا، وشَرِّ ما أُرْسِلَتْ بِهِ، وقالت: وإذا تَخَيَّلَتِ السماءُ؛ تغيَّرَ لونُهُ، وخرجَ، ودخلَ، وأقبل وأدبر، وإذا أمطرت؛ سُرِّيَ عنه. فعرفت ذلك عائشة ـ رضي الله عنها ـ فسألته، فقال: لعلَّهُ يا عَائِشَةُ كما قالَ اللهُ عن قومِ عادٍ**: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾. . . إلخ» أخرجه مسلم. انتهى. مختصر ابن كثير، والقرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف زمان بمعنى: «حين» عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿رَأَوْهُ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، والواو فاعله، والهاء مفعوله. ﴿عَارِضًا﴾: حال، أو تمييز. ﴿مُّسْتَقْبِلَ﴾: قال السمين: صفة: ﴿عَارِضًا﴾، وهو مضاف، و﴿أَوْدِيَتِهِمْ﴾ مضاف إليه، من إضافة الصفة لمفعولها، وفاعلها مستتر، لذا فالإضافة لفظية، فساغ وصف النكرة به على حدِّ قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ رقم [٩٥] من سورة (المائدة)، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿رَأَوْهُ...﴾ إلخ لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله. ﴿هَٰذَا عَارِضٌ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿مُّمْطِرُنَا﴾: صفة: ﴿عَارِضٌ﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة الوصف لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وقل فيه مثل سابقه، والجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ جواب (لمَّا)، لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿ٱسْتَعْجَلْتُم﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ مَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، انظر الشرح. ﴿رِيحٌ﴾: بدل من (ما)، أو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي ريح، أو هو ريح، وهذه الجملة في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، أو هي مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع صفة: ﴿رِيحٌ﴾. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة ﴿عَذَابٌ﴾.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: تهلك كل شيء مرّت به من رجال عاد،

ومواشيهم، وأموالهم بإذن الله لها في ذلك، كقوله سبحانه وتعالى في سورة (الذاريات) رقم [٤٢]: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ أي كالشيء البالي. ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ أي: قد هلكوا عن بكرة أبيهم، ولم تبق لهم باقية؛ لأنَّ الريح لم تبق منهم إلَّا الآثار، والمساكن معطلة. هذا؛ وقرئ: (فَأَصْبَحُوا لا تَرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ) بفتح التاء على أنه خطاب للنبي ﷺ، والمعنى: ما ترى يا محمد إلَّا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها أحد. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي....﴾ إلخ؛ أي: نجزي، ونعاقب كل من أجرم مثل جرمهم عقاباً مثل عقابهم، وانظر التعبير بـ: ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ في الزخرف رقم [٧٤].

تنبيه: لما طغت قبيلة عاد، وتمرّدت على نبي الله هود، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، ولم ينفعها التذكير، والإنذار؛ حبس الله عنهم المطر ثلاث سنين، حتى اشتدَّ عليهم الجهد، والبلاء، فاستغاثوا، واستنجدوا، فأرسل الله عليهم سحاباً كثيفاً من السماء، فلما رأوا السحاب؛ فرحوا، واستبشروا، وظنُّوا: أنه مطر غزير، فلما أظلتهم السحابة؛ رأوْها سوداء قاتمة، ففزعوا، ثم هبّت عليهم الريح، وكانت ريحاً عقيماً، وسلّطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، فأهلكهم الله وأبادهم، وصارت أجسامهم لضخامتها كأنها أعجاز نخل خاوية، ونجّى الله هوداً، والذين آمنوا معه برحمته من ذلك العقاب الشديد.

يقال: إن تلك الريح كانت تحمل الفسطاط، وتحمل الظعينة؛ حتى ترى كأنها جرادة، فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم، وأغلقوا أبوابهم، فجاءت الريح، فقلعت الأبواب، وصرعتهم، وأمر الله الريح، فأهالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام، لهم أنين، ثم أمر الله الريح، فكشفت عنهم الرمل، واحتملتهم، فرمت بهم في البحر. وقيل: إن هوداً ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ لما أحس بالريح خطَّ على نفسه، وعلى من معه من المؤمنين خطاً، فكانت الريح تمر بهم لينةً باردةً طيبة، والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة، وهذه معجزة عظيمة لـ: «هود» على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وقيل: إن الله تعالى أمر خازن الريح أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم، فأهلكهم الله بهذا القدر. وفي هذا إظهار كمال القدرة.

هذا؛ وقد سكن هود عليه السلام بلاد حضرموت بعد هلاك قبيلة عاد إلى أن مات، ودفن في شرقي حضرموت على بعد مرحلتين من مدينة: «تريم» وقد روي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: أنه مدفون في كثيب أحمر، وعند رأسه سمرة في حضرموت. وكان بين هود وبين نوح ثمانمئة سنة، وعاش أربعمئة وأربعاً وستين سنة، وذكر القرطبي: أنه عمّر في قومه بعدهم مئة وخمسين سنة.

الإعراب: ﴿تُدَمِّرُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الريح). ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه، وله صفة محذوفة، تقدر: بسلطت عليه، وانظر الشاهد رقم

[١٠٦٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ﴿بِأَمْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و«أمر» مضاف، و﴿رَبِّهَا﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، و«ها»: في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿تُدَمِّرُ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿رِيحٌ﴾، أو هي في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، أو هي مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿فَأَصْبَحُوا﴾: الفاء: حرف عطف، وقيل: الفصيحة ولا وجه له قطعاً، (أصبحوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وليس المراد التوقيت في الصبح؛ لأنَّ الفعل بمعنى: صاروا، ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُرَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾: نائب فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وعلى قراءة الفعل بالتاء، فالفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و﴿مَسَٰكِنُهُمْ﴾: بالنصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فأهلكت رجالهم، ونساءهم، وصغارهم، وأموالهم فأصبحوا. . .إلخ، والجملة المقدرة معطوفة على جملة: ﴿تُدَمِّرُ...﴾ إلخ وهي في معنى الماضي أيضاً.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لموصوف محذوف يقع مفعولاً مطلقاً، عامله الفعل بعده، التقدير: نجزي القوم المجرمين جزاءً كائناً مثل الجزاء؛ الذي حلَّ بقوم هود، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿نَجْزِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: صفة: ﴿ٱلْقَوْمَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ﴾ أي: قوم هود. ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾: الخطاب لكفار قريش، قيل: إنَّ «**إنْ**» زائدة، تقديره: ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه. وهذا قول القتبي، وأنشد الأخفش قول جابر ابن رألان الطائي الجاهلي، وهو الشاهد رقم [٢٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

يُـرَجِّـي الـمـرءُ مَـا إنْ لَا يَـرَاهُ ... وتَـعْـرِضُ دُونَ أَدْنَـاهُ الْـخُـطُـوبُ

وقول فروة بن مسيك المرادي، وهو الشاهد رقم [٢٤] من كتابنا المذكور: [الوافر]

فَـمَـا إِنْ طِـبُّـنَـا جُـبْـنٌ، وَلَـكِـنْ ... مَـنَـايَـانَـا ودُولَـةُ آخَـرِيـنَـا

وقيل: إنَّ (ما) بمعنى الذي، و﴿إن﴾ بمعنى «ما» والتقدير: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه. قاله المبرد. وقيل: ﴿إن﴾ شرطية، وجوابها مضمر محذوف، والتقدير: ولقد مكناهم في ما إن مكناكم فيه؛ كان بغيكم أكثر، وعنادكم أشد. وتمَّ الكلام، ثم ابتدأ فقال: ﴿وجعلنا...﴾ إلخ. انتهى. قرطبي. ورجح الزمخشري النفي، ولم يذكر الشرطية، وبقوله قال النسفي، ووافقهما البيضاوي، وزاد الشرطية، ونقل الجمل عن السمين الأوجه الثلاثة، وصحّح النفي عنه، ونقل عن كرخي ضعف الزيادة، حيث قال: يكون المعنى: مكناهم في مثل ما مكناكم فيه، فيلزم تفضيل تمكين قريش على تمكين عاد؛ لأنَّ المشبه به أقوى في وجه الشبه غالباً، والمعنى عليه: ولقد مكناهم في أمور عظيمة لم نمكنكم فيها، وهذا أبلغ في الإنذار، والموعظة.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾: ليعرفوا تلك النعم، ويستدلوا بها على معطيها، ومانحها، ويواظبوا على شكرها، كما جعلنا لكم ذلك، فما استعملوها إلا في طلب الدنيا، ولذاتها، فلا جرم، ومخالفة الله تعالى. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ﴾. . .إلخ: فما نفعهم ولا أجداهم ما منحوا من الجوارح؛ لأنهم لم يستعملوها فيما خلقت له، وأنتم مثلهم في عدم الانتفاع بجوارحكم. هذا؛ ووحد السمع، وجمع ما بعده؛ لأنه لا يدرك به إلا الصوت، وما يتبعه بخلاف البصر؛ حيث يدرك به أشياء كثيرة، بعضها بالذات، وبعضها بالواسطة، والفؤاد يعمّ إدراكه كل شيء. وقيل: وحد السمع؛ لأنه مصدر، والمصدر لا يثنى، ولا يجمع؛ لأنه اسم جنس يقع على القليل، والكثير، فلا يحتاج إلى تثنية، أو جمع.

﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ﴾: يكفرون، وينكرون ما أنزل الله من آيات على رسله. ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أحاط بهم. ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أهلكهم استهزاؤهم بالرسل، وبما جاؤوا به من آيات الله البينات.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٦] من سورة (الزخرف). اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿مَكَّنَّٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿فِيمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (في). ﴿إِن﴾: انظر ما قيل فيها في الشرح. ﴿مَّكَّنَّٰكُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، على اعتبار «إن» زائدة، أو نافية، ولا محلَّ لها لأنَّها ابتدائية على اعتبار «إن» شرطية، وقد رأيت تقدير جوابها، وعليه فإن ومدخولها صلة «ما»، أو صفتها، وجملة: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ...﴾ إلخ جواب القسم، لا محلَّ لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محلَّ له. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بما قبلهما.

﴿وَجَعَلۡنَا﴾: الواو: حرف عطف. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿لَهُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿سَمۡعٗا﴾: مفعول به، وما بعده معطوف عليه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَلَقَدۡ...﴾ إلخ لا محلَّ لها مثلها. ﴿فَمَآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَغۡنَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿عَنۡهُمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿سَمۡعُهُمۡ﴾: فاعل ﴿أَغۡنَىٰ﴾، وما بعده معطوف عليه، و(لا) نافية، ويقال: زائدة لتأكيد النفي، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيۡءٍ﴾: مفعول مطلق، أو هو مفعول به، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ وأجيز اعتبار (ما) اسم استفهام مبنياً على السكون في محل نصب مفعول به مقدماً، ولكن دخول ﴿مِّن﴾ للتأكيد يدلُّ على أنَّ (ما) للنفي، والجملة الفعلية: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: ﴿أَغۡنَىٰ﴾ وأشربت معنى التعليل. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَجۡحَدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(آيات) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذۡ﴾ إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محلَّ لها على اعتبار: ﴿إِذۡ﴾ تعليلاً. ﴿وَحَاقَ﴾: الواو: حرف عطف. (حاق): فعل ماض. ﴿بِهِم﴾: متعلقان به. ﴿مَّا﴾: مصدرية. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما، وجملة: ﴿بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ في محل نصب خبر ﴿كَانُواْ﴾، و(ما) والفعل ﴿كَانُواْ﴾ في تأويل مصدر في محل رفع فاعل: (حاق)، وفي الكلام حذف مضاف؛ إذ التقدير؛ وحاق بهم عقاب استهزائهم. لأن الاستهزاء لا يحلّ عليهم يوم القيامة، وإنما يحلّ عليهم عقابه.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾: الخطاب لأهل مكة، والمراد: قرى ديار ثمود، وقرى لوط، ونحوهما مما يجاور بلاد الحجاز، وكانت أخبارهم متواترة عندهم، ولا سيّما قرى قوم عاد باليمن. ﴿وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: كررنا، وأكثرنا ذكر الحجج، والدلالات، وأنواع البينات، والعظات. وقيل: صرّفنا آيات القرآن في الوعد، والوعيد، والقصص، والإعجاز، وتبيين الحلال، والحرام... إلخ. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: عن كفرهم، فلم يرجعوا. وهذا الترجي بحسب عقول البشر؛ لأنَّ الله لا يقع منه ترجٍ لعباده.

الإعراب: ﴿وَلَقَدۡ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿حَوۡلَكُم﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة

الموصول، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مَا﴾، و﴿مِّنَ﴾ بيان لما أبهم فيها. ﴿وَصَرَّفْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وجملة: ﴿يَرْجِعُونَ﴾ في محل خبر: (لَعَلَّ)، والجملة الاسمية فيها معنى التعليل لما قبلها، لا محلَّ لها.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ...﴾ إلخ؛ أي: فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم إلى الله حيث قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾. قال الكسائي: القُربان: كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة، ونسيكة، والجمع: قرابين، كالرهبان، والرهابين. ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾: غابوا عن نصرهم، فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم آلهتهم، التي كانوا يعبدونها من دون الله.

﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أي: كذبهم، وافتراؤهم الذي كانوا يقولون: إنها تقربهم إلى الله تعالى، وتشفع لهم عنده. هذا؛ وقرئ: ﴿إِفْكُهُمْ﴾ بكسر الهمزة، وسكون الفاء مصدر: أفِك يأفك إفكاً؛ أي: كذبهم. وقرئ بفتح الهمزة، وسكون الفاء، وهو مصدر أيضاً، وقرئ بثلاث فتحات على أنه فعل ماض، وقرئ بغير ذلك، وانظر شرح: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ في الآية رقم [٨٧] من سورة (الزخرف). ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: يكذبون، ويختلقون بقولهم: إنها آلهة، وإنها تشفع لهم.

هذا؛ و(ضل) بمعنى: كفر، وأشرك، وهو ضد: اهتدى، واستقام، ومصدره: الضلال، ويأتي (ضلَّ) بمعنى: غاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ وما في هذه الآية منه: ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ...﴾ إلخ، ويأتي بمعنى خفي، يخفى. قال تعالى في سورة (طه) رقم [٥٢] حكاية عن قول موسى لفرعون: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾

وضلَّ الشيء: ضاع، وهلك، وضلَّ: أخطأ في رأيه، ولولا هذا المعنى؛ لكفر أولاد يعقوب بقولهم في حضرته: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ وقولهم في غيبته: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. وضلَّ: تحيّر، وهو أقرب ما يفسر به قوله تعالى لحبيبه محمد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ هذا؛ وأضل، يضل غيره من الرباعي ومصدره: الإضلال، فهو متعد، والثلاثي لازم. وانظر سورة (الشورى) رقم [١٨]. هذا؛ والضلال: الخروج عن جادة الحق، والانحراف عن الصراط المستقيم. وينبغي أن تعلم أن طريق الهدى واحدة، لا اعوجاج فيها، ولا التواء، وأمَّا الضلال فطرقه كثيرة، ومتشعبة. قال تعالى في سورة (يونس) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف

صلاة، وألف سلام: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ الآية رقم [٣٢] وقال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١٥٣]: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾. وقال الشاعر الحكيم: [البسيط]

الطُّرْقُ شَتَّى وَطُرْقُ الْحَقِّ مُفْرَدَةٌ ... والسالكونَ طريقَ الحقِّ أفرادُ

لا يُعْرفون ولا تُدرى مقاصدُهمْ ... فَهمْ على مَهلٍ يمشون قصَّادُ

والناسُ في غَفْلَةٍ عمَّا يُرادُ بِهِمْ ... فجلُّهُم عَنْ سبيلِ الحقِّ رُقادُ

الإعراب: ﴿فَلَوْلَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لولا): حرف تحضيض. ﴿نَصَرَهُمُ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿ٱتَّخَذُوا۟...﴾ إلخ، صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿قُرْبَانًا﴾، كان صفةً له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة. انظر الآية رقم [٦]. و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. هذا؛ ومفعول ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾ الأول العائد إلى الموصول محذوف، والثاني آلهة، و﴿قُرْبَانًا﴾ حال من الأول، والتقدير: اتخذوهم قرباناً من دون الله آلهةً، ولا يصح أن يكون: ﴿قُرْبَانًا﴾ مفعولاً ثانياً، و﴿ءَالِهَةَۢ﴾ بدلاً منه لفساد المعنى. انتهى. كشاف. قال ابن هشام: ووجه فساده: أنهم ذُمُّوا على اتخاذهم قرباناً من دون الله، اقتضى مفهومه الحث على أن يتخذوا الله سبحانه قرباناً، كما أنك إذا قلت: أتتخذ فلاناً معلماً دوني؟ كنت آمراً له أن يتخذك معلماً له دونه، والله تعالى يتقرب إليه بغيره، ولا يتقرب به إلى غيره سبحانه. انتهى.

هذا؛ وقال سليمان الجمل: عبارة السمين قوله: ﴿قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ فيه أوجه: أوجهها: أنَّ المفعول الأول لـ: ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾ محذوف، هو عائد الموصول، و﴿قُرْبَانًا﴾ نصب على الحال، و﴿ءَالِهَةَۢ﴾ هو المفعول الثاني للاتخاذ، والتقدير: فهلَّا نصرهم الذين اتخذوهم متقرباً بهم آلهة. الثاني: أن المفعول الأول محذوف أيضاً، كما تقدم تقديره، و﴿قُرْبَانًا﴾ مفعول ثان، و﴿ءَالِهَةَۢ﴾ بدل منه. وإليه نحا ابن عطية، والحوفي، وأبو البقاء. الثالث: أنَّ ﴿قُرْبَانًا﴾ مفعول من أجله. وعزاه الشيخ للحوفي. قلت: وإليه ذهب أبو البقاء أيضاً، وعلى هذا ف: ﴿ءَالِهَةَۢ﴾ مفعول ثانٍ، والأول محذوف، كما تقدم. هذا؛ والكلام: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ...﴾ إلخ، مستأنف، لا محل له.

﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿ضَلُّوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله. ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿إِفْكُهُمْ﴾: خبر المبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وعلى اعتباره فعلاً ماضياً؛ ففاعله يعود إلى اسم

الإشارة، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها على الاعتبارين. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع معطوف على: ﴿إِفْكُهُمْ﴾، وعلى اعتبار: ﴿إِفْكُهُمْ﴾ فعلاً ماضياً، فهو معطوف على ذلك. وقيل: على المضمر المرفوع في الفعل: (أَفَكَهم)، ويحسن ذلك للتفرقة بالمضمر المنصوب بينهما، فقام مقام التأكيد. انتهى. مكي. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَفْتَرُونَ﴾ في محل نصب خبر: (كان). والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: وذلك إفكهم والذي كانوا يفترونه.

هذا؛ وأجاز الجلال اعتبار (ما) مصدرية، وموصولة، ورجح سليمان الجمل المصدرية؛ ليعطف مصدر على مثله، ويكون التقدير: وذلك إفكهم، وافتراؤهم. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا...﴾ إلخ، قال القرطبي: هذا توبيخ لمشركي قريش؛ أي: إن الجن سمعوا القرآن، فآمنوا به، وعلموا: أنه من عند الله، وأنتم معرضون مصرون على الكفر!! ومعنى ﴿صَرَفْنَآ﴾: وجهنا إليك، وبعثنا. قال المفسرون: ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وغيرهم: لما مات أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة، فقصد عبد ياليل، ومسعوداً، وحبيباً، وهم إخوة ثلاثة (بنو عمرو بن عمير) وعندهم امرأة من قريش، من بني جمح، فدعاهم إلى الإسلام، وسألهم أن ينصروه على قومه، فقال أحدهم: هو يَمْرُط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك! وقال الآخر: ما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟! وقال الثالث: والله لا أكلمك كلمة أبداً، إن كان الله أرسلك كما تقول، فأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، وإن كنت تكذب، فما ينبغي لي أن أكلمك.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إذ فعلتم ما فعلتم؛ فاكتموا عليَّ**» (وكره أن يبلغ قومه، فيزيد ذلك في تجرؤهم عليه) فلم يفعلوا، وأغروْا به سفهاءهم، وعبيدهم، فجعلوا يسبونه، ويصيحون به، ويرجمونه بالحجارة، حتى اجتمع الناس عليه، وألجؤوه إلى حائط (بستان) لعتبة وشيبة ابنيْ ربيعة، وهما فيه ينظران إليه، وقد لقي رسول الله ﷺ تلك المرأة، التي من بني جمح، فقال لها: «**ماذا لقينا من أحمائك؟**». ثم قال: «**اللهمَّ إني أشكو إليكَ ضعفَ قوتي، وقلة حيلتي، وهواني عَلَى الناس. يا أرحمَ الراحمين! أنْتَ رَبُّ المستضعفين، وأنتَ ناصر المظلومين، وأنتَ ربي، إلى مَنْ تَكِلُني؟ إلى بعيد يَتَجَهَّمُني؟! أو إلى عَدوٍّ ملكته أمْري؟ إنْ لم يَكُنْ بِكَ غَضبٌ عَلَيَّ فلا**

أبالي! ولكنْ عافيتُك أوسعُ لي، أعوذُ بنورِ وجهكَ الَّذي أشرقَتْ بهِ الظلماتُ، وصلحَ عليه أمر الدنيا، والآخرة مِنْ أنْ ينزلَ بي غضَبُكَ، أو يحلَّ عليَّ سخطُكَ! لك الْعُتْبَى حَتَّى ترضى، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا بك» وقد روي: أنه نزل عليه في تلك الساعة ملك الجبال، وقال له: يا محمد! إن الله أمرني أن أطيعك فيما تأمر به؛ إن أردت أن أطبق عليه الأخشبين (الجبلين) لفعلت! فقال: «**لَا، إني أرجو أن يُخْرِجَ الله مِنْ أصلابِهِمْ مَنْ يعبدُ الله، اللهمَّ اهْدِ قومي فإنهمْ لا يَعْلمون!**». فقال الملك: صدق من سمّاكَ الرؤوف الرحيم.

فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحرّكت له رَحِمُهما، فدعوْا غلاماً لهما نصرانياً، يقال له: عدَّاس، فقالا له: خذ قِطْفاً من هذا العنب، وضعه في هذا الطبق، ثم ضعه بين يديْ هذا الرجل. فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، قال النبي ﷺ: «**باسم الله**». ثم أكل، فنظر عدَّاس إلى وجهه، ثم قال: والله إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له النبي ﷺ: «**من أي البلاد أنت يا عدَّاس، وما دينك؟**». قال: أنا نصرانيٌّ من أهل نَيْنَوى، فقال له النبي ﷺ: «**أمِن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟**» فقال له عدَّاس: وما يدريك ما يونس بنُ مَتَّى؟ قال: «**ذاك أخي، كان نبياً، وأنا نبيٌّ**». فانكبَّ عدَّاسٌ يقبّل رأس النبي ﷺ، ويديه، ورجليه، فقال أحد ابني ربيعة: أما غلامك فقد أفسده عليك! فلما جاءهما عداس؛ قالا له: ويلك يا عدّاس مالك تقبّل رأس هذا الرجل، ويديه، وقدميه؟! فقال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا، أخبرني بكلام ما يعلمه إلَّا نبي! فقالا له: ويحك يا عدّاس! لا يصرفك عن دينك، فإن دينك خيرٌ مِنْ دِينه.

ثم إنَّ رسول الله ﷺ انصرف راجعاً من الطائف إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان ببطن نخلة قام من الليل يصلي، فمرَّ به نفر من جنّ نصيبين، كانوا قاصدين اليمن، وذلك حين مُنِعوا من استراق السمع من السماء، ورُمُوا بالشهب، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته؛ ولَّوْا إلى قومهم منذرين، وقد آمنوا، وأجابوا لمَّا سمعوا القرآن، فقصَّ الله خبرهم عليه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ...﴾ إلخ. وفي الآية قول آخر سيأتي في سورة (الجن) وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

هذا؛ وروي: أنَّ الجن لما رجموا بالشهب؛ بعث إبليس سراياه؛ ليعرف الخبر، فكان أول بعث بعثه من أهل نصيبين، وهم أشراف الجن، وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة، وقال أبو حمزة: بلغنا: أنهم من بني الشيصبان، وهم أكثر الجن عدداً، وهم عامة جنود إبليس، فلما رجعوا إلى قومهم؛ قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾.

وقال جماعة: بل أُمِر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن، ويدعوهم إلى الله، ويقرأ عليهم القرآن، فصرف الله إليه نفراً من الجن، وهم من أهل نَيْنَوى، وجمعهم له، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**إني أُمِرت أن أقرأ القرآن على الجن الليلة، فأيكم يتبعني؟**». فأطرقوا، ثم استتبعهم،

فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة، فتبعه عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. قال عبد الله: لم يحضر معه أحد غيري، قال: فانطلقنا حتى إذا كنَّا بأعلى مكة دخل نبي الله ﷺ شعباً، يقال له: شعب الْحَجُون، وخطَّ لي خطاً، وأمرني أن أجلس فيه، وقال: «**لا تخرجْ منه؛ حتى أعودَ إليك**». فانطلق حتى قام عليهم، فافتتح القرآن.

فجعلت أرى مثل النسور تهوي، وتمشي في رفرفها، وسمعت لغطاً شديداً؛ حتى خفت على النبي ﷺ، وغشيته أسودة كثيرة (جماعة) حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ رسول الله ﷺ منهم مع الفجر، فانطلق إليَّ، فقال لي: «**أنمتَ؟**». فقلت: لا والله يا رسول الله! ولقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس؛ حتى سمعتك تقرعهم بعصاك، تقول لهم: اجلسوا، فقال: «**لو خرجتَ لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم**». ثم قال: «**هل رأيت شيئاً؟**». قلت: نعم يا رسول الله! رأيت رجالاً سوداً عليهم ثياب بيض قال: «**أولئك جن نصيبين (والأصح: جن نينوى) سألوني المتاع (والمتاع: الزاد) فمتعتهم بكل عظم حائل، وروثة، وبعرة**». فقالوا: يا رسول الله يقذرها الناس علينا، فنهى رسول الله ﷺ أن يستنجى بالعظم، والروث. فقلت: يا رسول الله! وما يغني عنهم ذلك؟ فقال: «**إنهم لا يجدون عظماً إلَّا وجدوا عليه لحمه يوم أُكِل، ولا روثة إلَّا وجدوا فيها حبها يوم أُكِلَت**». فقلت: يا رسول الله سمعت لغطاً شديداً. فقال: «**إنَّ الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم، فتحاكموا إليَّ، فقضيت بينهم بالحق**».

ثم تبرز رسول الله ﷺ وأتاني، فقال: «**هل معك ماء؟**». قلت: يا رسول الله! معي إداوة فيها شيء من نبيذ التمر، فاستدعاه، فصببت على يديه، فتوضأ، وقال: «**ثمرة طيبة، وماء طهور**». قال قتادة: ذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخاً شمطاً من الزُّط، فأفزعوه حين رآهم، ثم قال: اظهَرُوا، فقيل له: إنَّ هؤلاء قوم من الزُّط، فقال: ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا إلى رسول الله ﷺ ليلة الجن. قلت: حديث الوضوء بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي في كتابه «الخلافيات» بأسانيده، وأجاب عنها كلها.

هذا؛ واختلف في عدد أولئك الجن، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كانوا سبعة من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم، وقال آخرون: كانوا تسعةً، وروي عن زر بن حبيش قال: كان زَوْبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن. وروي: أنَّ الجن ثلاثة أصناف: صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف على صور الحيات، والكلاب، وصنف يحلون، ويظعنون. ونقل بعضهم أنَّ أولئك الجن كانوا يهوداً، فأسلموا. قالوا: وفي الجن ملل كثيرة مثل الإنس، ففيهم اليهود، والنصارى، والمجوس، وعبدة الأصنام، وفي مسلميهم مبتدعة، ومن يقول بالقدر، وخلق القرآن، ونحو ذلك من البدَع، والمذاهب. وأطبق المحققون على أنَّ الكل مكلفون. سئل ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هل للجن ثواب؟ قال: نعم لهم ثواب، وعليهم عقاب. انتهى. خازن، وقرطبي بتصرف.

وهذا هو المؤكد، والمحقق: أن مؤمنهم يدخل الجنة، وكافرهم، ومجرمهم يدخل النار، ولكن يكونون في الجنة على عكس حالهم في الدنيا، حيث نراهم في الجنة، ولا يروننا. هذا؛ ونصيبين بلدة في اليمن، ونَيْنَوى بلدة في العراق قرب الموصل.

هذا؛ والنفر يطلق على ما دون العشرة، مثل: معشر، ورهط، وجمعه: أنفار. ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾: الضمير يعود إلى القرآن، يعني: فلما حضروا القرآن. وقيل: يحتمل أنه يعود على الرسول ﷺ، ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله ﷺ لأجل استماع القرآن. ﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: اسكتوا لنسمع إلى قراءته، ولا يحول بيننا وبين سماعه شيء، وهذا أدب منهم، ولكن الناس في هذه الأيام لا يعرفون آداباً للقرآن، ولا ينصتون لتلاوته، فالقهوة، والشاي، والسيجارات، واللغو عند تلاوة القرآن، ولا سيما في المآتم، هذا ما يجري، ويقع، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله! فأنصتوا، واستمعوا القرآن؛ حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه. ﴿إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾: يعني داعين لهم إلى الإيمان، مخوفين لهم من المخالفة، وذلك بأمر رسول الله ﷺ لهم، وذلك بعد إيمانهم؛ لأنهم لا يدعون غيرهم إلى سماع القرآن، والتصديق إلَّا بعد إيمانهم، وتصديقهم له.

هذا؛ ومن تعدد الروايات يتبين لنا: أنَّ النفر الذين سمعوا من النبي ببطن نخلة كانوا نفراً قليلين، لم يظهروا للنبي ﷺ، ولم يكلموه، ولكنهم لما عادوا إلى أقوامهم منذرين؛ وفد عليه ﷺ عدد كبير منهم، فخرج إليهم، واصطحب عبد الله بن مسعود معه، وكان ما تقدم من الحديث معهم وإليهم، وانظر ما أذكره في سورة (الجن) بعون الله، وتوفيقه.

الإعراب: ﴿وَإِذۡ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف زمان متعلق بمحذوف، تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المحذوف. ﴿صَرَفۡنَآ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿إِلَيۡكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿نَفَرٗا﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿نَفَرٗا﴾. ﴿يَسۡتَمِعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ثانية لـ: ﴿نَفَرٗا﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم على حدِّ قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾ وجمع الضمير على معنى نفر، ولو أفرد على لفظه لجاز، والكلام: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ...﴾ إلخ، مستأنف، لا محلَّ له. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف عطف. (لمَّا): انظر الآية رقم [٢٤]. ﴿حَضَرُوهُ﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، ولا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية على اعتبار (لمَّا) حرفاً. ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنصِتُواْۖ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ جواب

(لمَّا)، لا محلَّ لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، لا محلَّ له مثله. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف عطف. (لمَّا): مثل سابقتها. ﴿قُضِىَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾، وقل في هذه الجملة مثل ما تقدم. ﴿وَلَّوْا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُّنذِرِينَ﴾: حال منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، والجملة الفعلية جواب (لمَّا)، لا محلَّ لها، و(لما) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله.

﴿قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ... مُوسَىٰ﴾: قال عطاء ـ رحمه الله تعالى ـ: كان دينهم اليهودية، ولذلك قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: يعني من الكتب الإلهية المنزلة من السماء، وذلك: أن كتب الأنبياء كانت مشتملة على الدعوة إلى التوحيد، وتصديق الأنبياء، والإيمان بالمعاد، والحشر، والنشر، وجاء هذا الكتاب ـ وهو القرآن المنزل على محمد ﷺ ـ كذلك، فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب؛ أي: لما تقدم من الكتب السماوية. ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: يهدي إلى دين الحق، وهو دين الإسلام، وهو دين العقيدة الصحيحة. ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: هو طريق الإيمان، والعمل الصالح المؤدي إلى الجنة. هذا؛ وإعلال ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ مثل إعلال ﴿مُّقِيمٍ﴾ في الآية رقم [٤٥] من سورة (الشورى).

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (قومنا): منادى، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿سَمِعْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿كِتَـٰبًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إنَّ). ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب فاعله يعود إلى: ﴿كِتَـٰبًا﴾، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿كِتَـٰبًا﴾. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر؛ أي: منزلاً من، و﴿بَعْدِ﴾ مضاف، و﴿مُوسَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مُصَدِّقًا﴾: صفة ثانية لـ: ﴿كِتَـٰبًا﴾، أو هو حال منه بعد وصفه بما تقدم، وفاعله مستتر فيه. ﴿لِّمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُصَدِّقًا﴾، و(ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام. هذا؛ وقد اعتبر ابن هشام اللام في مثل ذلك زائدة، وسماها لام التقوية؛ أي: تقوية عامل ضعيف ضعف عن العمل فيما بعده، وعليه فـ: (ما) مجرورة لفظاً،

منصوبة محلاً بـ: ﴿مُصَدِّقًا﴾. وأورد ابن هشام آيات كثيرة شواهد على ذلك، وأورد قول حاتم الطائي. وقيل: هو لقيس بن عاصم المنقري ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

إِذَا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي

وهذا هو الشاهد رقم [٣٩٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿يَدَيْهِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه مثنى صورة، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَهْدِيَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿كِتَٰبًا﴾. ﴿إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية يجوز فيها ما جاز بـ: ﴿مُصَدِّقًا﴾، أو هي في محل نصب حال من الفاعل المستتر فيه. ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة: ﴿طَرِيقٍ﴾. هذا؛ والكلام ﴿يَٰقَوْمَنَآ...﴾ إلخ، كله في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ، مستأنفة لا محل لها.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾: يعني محمداً ﷺ، وهذا يدل على أنه كان مبعوثاً إلى الجن، والإنس. قال مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ: ولم يبعث الله نبياً إلى الجن والإنس قبل محمد ﷺ. قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: قلت: يدل على قوله ما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبلي، كان كُلُّ نبيّ يُبْعَثُ إلى قومِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى كُلِّ أحمرَ وأَسودَ، وأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، ولم تَحِلَّ لأَحدٍ قبلي، وجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَيّبة طهوراً ومسجداً، فأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصلاةُ؛ صَلَّى حيْثُ كانَ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرة شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**». قال مجاهد: الأحمر والأسود: الجن و الإنس، وفي رواية من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «**وَبُعِثْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّة، وخُتِمَ بي النبِيُّونَ**».

﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ أي: بالداعي، وهو محمد ﷺ. وقيل: أي بالله؛ لقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾. وعلى الأول إنما أعاد الإيمان مع أنه داخل في إجابته؛ لأن الإيمان أهم أقسام المأمور به، وأشرفها، فلذلك ذكره على التعيين، فهو من باب ذكر العام، ثم يعطف عليه أشرف أنواعه.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: قال بعضهم: لفظة ﴿مِّن﴾ هنا زائدة، والتقدير: يغفر لكم ذنوبكم. وقيل: هي على أصلها، وذلك: أنَّ الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الإسلام، فإذا

أسلموا؛ جرت عليهم أحكام الإسلام، فمن أتى بذنب؛ أُخِذَ به ما لم يتب منه، أو يبقى تحت خطر المشيئة إن شاء الله غفر له، وإن شاء آخذه بذنبه، أقول: القاعدة النحوية لا تزاد «من» في الإيجاب إلا على مذهب الأخفش، وهو قول ضعيف، لا يقره جمهرة النحاة، ومثل هذه الآية الآية رقم [٤] من سورة (نوح) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، والقول الأصح أن ﴿مِّن﴾ على بابها من التبعيض. وأن الغفران بالإيمان إنما يكون للذنوب الخاصة والتي هي بين العبد وربه، أما حقوق العباد؛ فلا يمكن غفرانها إلا بعد أن يرضى أصحابها، فإن الله تعالى لا يغفر بالإيمان حقوق العباد.

تنبيه: هذه الآية تدل على أنَّ الجن كالإنس في الأمر، والنهي، والثواب، والعقاب. وقال الحسن: ليس لمؤمني الجن ثواب غير نجاتهم من النار، يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ...﴾ إلخ، وبه قال أبو حنيفة. قال: ليس ثواب الجن إلا أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم. وقال آخرون: إنهم كما يعاقبون في الإساءة يجازون في الإحسان مثل الإنس، وإليه ذهب مالك، والشافعي، وابن أبي ليلى. وقد قال الضحاك: الجن يدخلون الجنة، ويأكلون، ويشربون. قال القشيري: والصحيح: أن هذا مما لم يقطع فيه بشيء، والعلم عند الله. انتهى. قرطبي.

ثم قال: قوله تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١٣٢]: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ يدلُّ على أنهم يثابون، ويدخلون الجنة؛ لأنه قال في أول الآية: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ...﴾ إلى أن قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ والله أعلم. انتهى. بحروفه، والصحيح: أنهم يثابون، ويعاقبون. قال أرطأة بن المنذر: سألت ضمرة بن حبيب: هل للجن ثواب؟ قال: نعم، وقرأ قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ قال: فالإنسيات للإنس، والجنيات للجن. وقال عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ: إن مؤمني الجن حول الجنة في ربض، ورحاب ليسوا فيها. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَٰقَوْمَنَآ﴾: منادى. و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿أَجِيبُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿دَاعِيَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَءَامِنُواْ﴾: فعل أمر معطوف على ما قبله. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿يَغْفِرْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف، التقدير: إن تجيبوا؛ يغفر، وفاعله يعود إلى الله. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿يَغْفِرْ﴾ أيضاً، وهما مفعوله؛ لأن ﴿مِّن﴾ بمعنى بعض، وانظر الشرح على القول بزيادة: ﴿مِّن﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. (يجركم): معطوف على: ﴿يَغْفِرْ﴾، والفاعل يعود إلى الله

أيضاً، والكاف مفعول به. ﴿مِّنْ عَذَابٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَلِيمٍ﴾: صفة: ﴿عَذَابٍ﴾. هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ أي: الذي يدعو إلى الإيمان بالله، ورسوله، واليوم الآخر. ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بمعنى لا يعجز ربه عن إدراكه. بمعنى: لا يفوته إن هرب من حكمه، وقضائه. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣١] من سورة (الشورى). ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ أي: أنصار يمنعونه من عذاب الله. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: حيث أعرضوا عن إجابة الداعي إلى الله.

هذا؛ وقد اجتمع بقوله تعالى: ﴿أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ همزتان مضمومتان من كلمتين، وليس لهما نظير في القرآن؛ أي: لا وجود لهما في محل منه غير هذا، كما اجتمع في الآية رقم [١٢٤] من سورة (الأنعام) بقوله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ لفظا الجلالة بدون فاصلٍ ما، وليس لهما نظير في القرآن أيضاً.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف، (مَنْ) اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يُجِبْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿دَاعِيَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿فَلَيْسَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ليس): فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿بِمُعْجِزٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (معجز): خبر (ليس) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بـ: (معجز)، وجملة: (ليس بمعجز في الأرض) في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية مستأنفة، وهي من مقول الجن الذين سمعوا القرآن. ﴿وَلَيْسَ﴾: الواو: حرف عطف. (ليس): فعل ماض ناقص. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَوْلِيَآءُ﴾ كان صفة له. . . إلخ، انظر الآية رقم [٦]، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْلِيَآءُ﴾: اسم: (ليس) مؤخر، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جزم مثلها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة: ﴿ضَلَٰلٍ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ أي: الكفار، والمشركون المنكرون للبعث بعد الموت، والحساب، والجزاء. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ أي: ولم يتعب ولم يعجز بخلقهن، بل قال لها: كوني، فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة، بل طائعة، مجيبة، خائفة، وجلة، أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟! قال الله عز وجل في سورة (غافر) رقم [٥٧]: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. هذا؛ ويقال: عَيَّ بأمره، وَعيِيَ: إذا لم يهتد لوجهه، ومعناهما: العجز، والضعف، قال تعالى في سورة (ق): ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو مستحيل في حقه تعالى، وهو مجاز مرسل علاقته السببية.

﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: دخلت الباء في خبر: ﴿أَنَّ﴾ لتقدم النفي، والاستفهام، فهو بمعنى: أو ليس. قال الكسائي، والفراء، والزجاج: الباء فيه خلف الاستفهام، والجحد في أول الكلام. وقال الزجاج: والعرب تدخلها مع الجحد، تقول: ما ظننت أن زيداً بقائم، ولا تقول: ظننت أن زيداً بقائم. ﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا تقرير للقدرة على وجه عام، يكون كالبرهان على المقصود، كأنه لما صدَّرَ السورة بتحقيق المبدأ، ختمها بإثبات المعاد. انتهى. بمعنى: أنه قادر على إماتة الخلق، وإحيائهم؛ لأنه قادر على كل شيء. هذا؛ وانظر شرح ﴿بَلَىٰ﴾ في (الزخرف) رقم [٨٠].

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. الواو: حرف عطف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَرَوْاْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والفعل هنا بمعنى اليقين، فهو قلبي. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة للفظ الجلالة. ﴿خَلَقَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: واو الحال. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَعْىَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾ أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل: ﴿خَلَقَ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿بِخَلْقِهِنَّ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون حرف دالّ على جماعة الإناث.

﴿بِقَـٰدِرٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (قادر): خبر: ﴿أَنَّ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. وذكرت لك: أن الباء زيدت في خبر: ﴿أَنَّ﴾ لأنه بمعنى: أوليس الله بقادر. قال ابن هشام في المغني: والذي سهل ذلك التقدير تباعد ما بينهما، ولهذا لم تدخل في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ الآية رقم [٩٩] من سورة (الإسراء). ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يُحْـِۧىَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾ أيضاً، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ: (قادر)، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. هذا؛ و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سدَّ مسدَّ مفعولي: ﴿يَرَوْا﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿بَلَىٰٓ﴾: حرف جواب، بعده جملة مقدرة، التقدير: بلى: إنه قادر على أن يحيي الموتى! وهذه الجملة مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للجملة المقدرة بعد ﴿بَلَىٰٓ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: انظر الآية رقم [٢٠] ففيها الكفاية. ﴿أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل، وهو الحق، كما يقال لهم: ﴿أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ سورة (الطور). ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾: وهذا اعتراف منهم على أنفسهم بعدما كانوا منكرين لذلك، وفيه توبيخ، وتقريع لهم. ﴿قَالَ﴾: أي الله لهم. ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: هذه الجملة يكثر ذكرها في القرآن، والأمر للإهانة، كما ذكرته مراراً، وتكراراً، وانظر ﴿ذُقْ﴾ في الآية رقم [٤٩] من سورة الدخان.

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: انظر الآية رقم [٢٠]. ﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. (ليس): فعل ماض ناقص. ﴿هَـٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع اسم: (ليس)، والهاء حرف تنبيه، لا محلَّ له. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء: حرف جر صلة. (الحق): خبر (ليس) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول للقول المقدر بـ: «يقال». ﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب

بعده جملة مقدرة؛ أي: بلى هو الحق الذي وعدنا به رسل الله. ﴿وَرَبِّنَاۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: نقسم بربنا، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والكلام في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿فَذُوقُواْ﴾: الفاء: صلة، أو هي الفصيحة، أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً بكم؛ فذوقوا... إلخ. (ذوقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: مفعول به. ﴿بِمَا﴾: الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَكْفُرُونَ﴾ في محل نصب خبره، و(ما) المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (ذوقوا)، وهذه الجملة على الوجهين المعتبرين في الفاء في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ، مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، أمره الله تعالى بالاقتداء بأولي العزم من الرسل في الصبر على أذى قومه. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ذوو الحزم. وقال الضحاك - رحمه الله تعالى -: ذوو الجد، والصبر. واختلفوا في أولي العزم من الرسل من هم؟ فذكر الخازن، والقرطبي أقوالاً كثيرة، والمعتمد ما قاله ابن عباس، وقتادة - رضي الله عنهما -: هم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى أصحاب الشرائع، فهم مع محمد ﷺ أجمعين خمسة، وقد ذكرهم الله على التخصيص، والتعيين في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ الآية رقم [٧] من سورة (الأحزاب)، وفي قوله جلَّ ذكره في سورة (الشورى) رقم [١٣]: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾.

روى البغوي بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت، قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عائِشة! إنَّ الدنيا لا تَنْبَغي لمحمَّدٍ، ولا لآلِ محمَّدٍ، يا عائشةُ! إن الله لمْ يَرْضَ مِنْ أولي الْعَزْمِ إلَّا بالصَّبْرِ على مَكْرُوهِها، والصبر عن محبوبها، ولم يَرْضَ إلَّا أَنْ كَلَّفَني ما كلَّفَهُمْ، فقال**: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ **وإنِّي والله، ولا بدَّ لِي مِنْ طَاعَتِهِ، والله لأَصْبِرَنَّ كَمَا صَبَرُوا! ولأجهَدَنَّ! ولا قُوَّةَ إلَّا بالله!**». ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ﴾: يعني: اصبر على أذاهم، ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم، فإنه نازل بهم لا محالة. كأنه ﷺ ضجر بعض الضجر، فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى

منهم، فأمره الله بالصبر، وترك الاستعجال. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ أي: من العذاب في الآخرة. ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾: في الدنيا، أو في القبور. ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ يعني: أنهم إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا، أو في القبور كأنه قدر ساعة من نهار؛ لأنَّ ما مضى، وإن كان طويلاً؛ فهو يسير إلى ما يدوم عليهم من العذاب، وهو أبد الآبدين بلا انقطاع، ولا فناء. وانظر ما ذكرته في سورة (الروم) [٥٥] فإنه جيد جداً. ﴿بَلَٰغٌۚ﴾ أي: هذا القرآن، وما فيه من البينات، والهدى بلاغ من الله إليكم. والبلاغ بمعنى: التبليغ. ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ أي: لا يهلك بالعذاب. ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن الإيمان بالله وطاعته. قال الزجاج: تأويله لا يهلك مع رحمة الله، وفضله إلَّا القوم الفاسقون، ولهذا قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا فقد نهى الله رسوله ﷺ عن استعجال العذاب لقومه، وقد قال تعالى في سورة (المزمل): ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ وقال جلَّ ذكره في سورة (الطارق): ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ ومثل الآية قوله جلَّ وعلا في سورة (يونس) رقم [٤٥]: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ﴾ وقال في آخر سورة (النازعات): ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾.

فائدة: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا عسر على المرأة ولدها، تُكْتَبُ هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة، ثم تغسل، وتُسْقى منها، وهي: «**بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم، لا إلهَ إلَّا الله العظيمُ الحليمُ الكريمُ، سبحانَ الله ربِّ السمواتِ، وربِّ الأرض، وربِّ العرشِ العَظيمِ**» ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ...﴾ إلخ. انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿فَٱصْبِرْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (اصبر): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿صَبَرَ﴾: ماض. ﴿أُوْلُواْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿أُوْلُواْ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَزْمِ﴾ مضاف إليه. ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾، و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة مفعول مطلق، التقدير: اصبر صبراً مثل صبر أولي العزم، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم. وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأنَّ حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها، وجملة: (اصبر...) إلخ مستأنفة لا محلَّ لها، وعند التأمل يتبين لك: أنَّ الجملة جواب شرط يقدر بـ: «إذا»؛ أي: إذا كان عاقبة الكفار ما ذكر؛ فاصبر على أذاهم...إلخ، والكلام كله مستأنف، لا محلَّ له.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَسْتَعْجِل﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا)، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿لَّهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محلَّ لها مثلها على الوجهين المعتبرين فيها، والمفعول محذوف؛ إذ التقدير: ولا تستعجل لقومك نزول العذاب. ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ الآتي. ﴿يَرَوْنَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُوعَدُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: الذي يوعدونه، والجملة الفعلية: ﴿يَرَوْنَ...﴾ إلخ، في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها.

﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَلْبَثُوٓاْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾ وعلامة جزمه حذف النون... والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿سَاعَةً﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿كَأَنَّهُمْ﴾، والجملة الاسمية هذه مستأنفة لا محلَّ لها، وفيها معنى التعليل للنهي، واعتبارها في محل نصب حال لا بأس به. ﴿مِّن نَّهَارٍۭ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿سَاعَةً﴾. ﴿بَلَٰغٌۚ﴾: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هذا بلاغ، ويؤيده قوله تعالى في آخر سورة (إبراهيم): ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ﴾، وقيل: مبتدأ خبره محذوف، وهو ضعيف جداً. هذا؛ وقرئ بنصبه شاذاً على اعتباره صفة: ﴿سَاعَةً﴾، أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف. التقدير: بلغ بلاغاً، وقرئ أيضاً شاذاً بجره على أنه صفة: ﴿نَّهَارٍۭ﴾. ﴿فَهَلْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام معناه النفي. ﴿يُهْلَكُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْقَوْمُ﴾: نائب فاعل، وقرئ الفعل بالبناء للمعلوم، ونصب (القومَ)، وعليه فالفاعل يعود إلى (الله)، ويقرأ (الفاسقين) تبعاً لنصب (القومَ). تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجلُّ، وأكرم، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلم.

انتهت بحمد الله وتوفيقه سورة (الأحقاف) شرحاً وإعراباً

والحمد لله رب العالمين.




سورة محمد ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (محمد ﷺ) وتسمى سورة (القتال) وهي مدنية في قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ إلا آية منها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج ﷺ من مكة، وجعل ينظر إلى البيت، وهو يبكي حزناً على فراقه. والآية نصها: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ...﴾ إلخ رقم [١٣]. وانظر ما اعتمدته في شرح الآية هناك. وهي ثمان وثلاثون آيةً.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بالله ورسوله، وباليوم الآخر، وما فيه. ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: فلم يكتفوا بكفرهم، بل صدوا الناس، ومنعوهم من الدخول في دين الإسلام. ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أبطلها، وأحبطها، وحقيقته: جعلها ضائعة ليس لها من يتقبلها، ويثيب عليها. وأراد بالأعمال: ما كانوا يفعلون من أعمال البر من إطعام الطعام، وصلة الأرحام، وفكّ العاني (وهو الأسير) وإجارة المستجير، وقرى الضيف، ونحو ذلك.

قال بعضهم: أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الأحقاف المتقدمة، كأنَّ قائلاً قال: كيف يهلك القوم الفاسقون؛ ولهم أعمالهم الصالحة كإطعام الطعام، ونحوه من الأعمال، والله لا يضيع لعامل عمله، ولو كان مثقال ذرة من خير؟ فأخبر الله بأنَّ الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضلَّ أعمالهم، يعني: أبطلها؛ لأنها لم تكن لله ولا بأمره، إنما فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك، فلهذا السبب أبطلها الله تعالى. هذا؛ وقال تعالى في سورة (الفرقان) رقم [٢٣]: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾. وانظر سورة (النور) رقم [٣٩]: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ...﴾ إلخ.

هذا؛ وقد يقال: إن الله لا يظلم الناس شيئاً، فكيف يضيع أعمالهم الصالحة النافعة؟ والجواب: أنَّ الله يجزيهم بها في الدنيا قبل أن يخرجوا منها، بأن يوسع في أرزاقهم، ويرزقهم الصحة، والعافية، ويُقِر أعينهم فيما حولهم، ويدفع عنهم المكاره. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٥] من سورة (التوبة)، والآية رقم [١٥] من سورة (هود)، والآية رقم [٢٠] من سورة (الشورى)، وانظر شرح هذه الآيات في محالها تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها، والجملة الفعلية بعدها معطوفة عليها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿عَن سَبِيلِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿أَضَلَّ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾، تقديره: «هو». ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ، لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية. هذا؛ وقد أغرب أبو البقاء ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال: ويجوز أن ينتصب أي: ﴿ٱلَّذِينَ﴾) بفعل دلَّ عليه المذكور؛ أي: أضل الذين كفروا، ومثله: (الذين آمنوا).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: فهذا يعمُّ المهاجرين، والأنصار، والذين آمنوا من أهل الكتاب، ومن آمن، وعمل الصالحات إلى يومنا هذا؛ وإلى يوم القيامة، وهو أولى من قصره على المهاجرين، أو على الأنصار في عصر النبي ﷺ، كما أنَّ الكفر لا يقتصر على عصر النبوة. وفي الآيتين مقابلة بين الإيمان، والكفر. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٤] من (الزخرف) والمراد بـ: ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الأعمال الصالحات على اختلاف أنواعها، وتفاوت مراتبها. وفي ذلك احتراس، وقد ذكرته مراراً. ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ﴾ يعني: القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ، وإنما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ عن الله تعظيماً لشأن القرآن الكريم، وتنبيهاً على أنه لا يتم الإيمان إلَّا به، ولذلك أكَّده بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾. وقيل: حقيقته بكونه ناسخاً لجميع الكتب السماوية قبله، ولا يرد عليه نسخ، وإن كان هناك نسخ لبعض الآيات ببعض. هذا؛ و﴿نُزِّلَ﴾ يقرأ بقراءات كثيرة.

﴿كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ أي: ستر الله بإيمانهم، وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي؛ لرجوعهم وتوبتهم منها، فغفر لهم بذلك ما كان منهم. ﴿وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ﴾ يعني: حالهم، وشأنهم، وأمرهم بالتوفيق في أمور الدين، والتسليط على أمور الدنيا، بما أعطاهم من النصر على أعدائهم. وقيل: (أصلح بالهم) يعني: قلوبهم؛ لأنَّ القلب إذا صلح؛ صلح سائر الجسد. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: عصمهم الله أيام حياتهم. يعني: أنَّ الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم؛ حتى لا يعصوا.

هذا؛ والبال كالمصدر، ولا يعرف منه فعل، ولا تجمعه العرب إلَّا في ضرورة الشعر، فيقولون فيه: بالات. هذا؛ وقال الرازي في مختاره: البال: القلب، يقال: ما يخطر فلان

ببالي؛ أي: بقلبي، والبال: رخاء النفس. يقال: فلان رخيُّ البال. والبال: الحال، يقال: ما بالك؟ أي: ما حالك؟ والبال: الشأن، يقال: ما باله لا يفعل كذا؟ انتهى. وقد كان النبي ﷺ كثيراً ما كان يعرض بمن ينكر عليهم بعض أعمالهم، فيقول: «**مَا بَالُ أقْوَامٍ يفعلونَ كَذَا، وَكَذَا؟**» وقال القرطبي: والبال: الحوت العظيم من حيتان البحر. وفي القاموس: لا زعنفة له على ظهره، وقد يبلغ طوله [٥٠ ـ ٦٠] قدماً، والكلمة غير عربية، والبالة: القارورة وعاء الطيب. والبالة: حزمة المنسوجات.

هذا؛ وقد قال البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ: وقد التزم بعده ذكر حال يفسره غالباً، وقد يأتي بدونها، كقوله تعالى في سورة (طه) رقم [٥١]: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وقد تتبعت استعمال هذه الحال في كلام العرب، ولم أرَ من سبقني إليه، فرأيتهم يستعملونها على وجوه شتى، منها: أنها ماضوية مقرونة بـ: «قد»، وماضوية بدون «قد»، ومضارعية مثبتة، ومضارعية منفية، وتكون مفردة، وتكون اسمية غير مقترنة بواو، ومقترنة بالواو. وأورد لكل وجه مثالاً شعرياً، وانظر الشاهدين [٥٣٧] و[٦٧٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب».

هذا؛ و﴿مُحَمَّدٍ﴾ اسم عربي، وهو مفعل من الحمد، والتكرير فيه للتكثير، كما تقول: كرَّمته، فهو مكرم، وعظَّمته فهو معظم؛ إذا فعلت ذلك مرة بعد مرة، وهو منقول من الصفة على سبيل التفاؤل: أنه سيكثر حمد الناس له، وكان كذلك ﷺ. روي: أنَّ النبي ﷺ لما ولد أمر عبد المطلب بجزور، فنحرت، ودعا رجال قريش، وكانت سنتهم في المولود إذا ولد في استقبال الليل، كفؤوا عليه قدراً حتى يصبح، ففعلوا ذلك بالنبي ﷺ، فأصبحوا وقد انشقت عنه القدر، وهو شاخص إلى السماء، فلما حضرت رجال قريش، وطعموا؛ قالوا لعبد المطلب: ما سميت ابنك هذا؟ قال: سميته محمداً، قالوا: ما هذا من أسماء آبائك، قال: أردت أن يحمد في السموات، والأرض. وقد حقق الله رجاءه. قال الأعشى في قصيدته التي نظمها في مدح النبي ﷺ: [الطويل]

إلَيْكَ أَبَيْتَ اللعنَ كانَ كَلالُها ... إلَى الواحِدِ الفردِ الجوادِ المحمَّدِ

وقد سمي جماعات من العرب أولادهم محمداً بلغوا سبعة، منهم محمد بن حمران الجعفي الشاعر، وكان في عصر امرئ القيس، وسماه: شويعراً، ومحمد بن خولي الهمداني، ومحمد بن بلال بن أحيحة. وكان زوج سلمى بنت عمرو جدة رسول الله ﷺ أم جده، ومحمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وأبو محمد بن أوس بن زيد شهد بدراً، وقال في «السيرة الحلبية»: وقد عدَّ بعضهم من سُمِّي بمحمد ستة عشر، ونظمهم في قوله: [الكامل]

إن الذين سُموا بإسم محمَّدٍ ... من قبلِ خيرِ الخلقِ ضِعفُ ثَمانِ

ابنُ البراءِ مجاشعُ بنُ رَبيعَةٍ ... ثُمَّ ابنُ مسلم يحمدي حرماني

لـيـثـي الـسُّـلَـيْـمِـي وابـنُ أسـامـةَ سُـعْـدَى وابـنُ سـواءٍ هـمْـدانـي

وابـنُ الـجـلاح مـعَ الأسَـيْـدِي يـا فَـتـى ثُـمَّ الـفـقـيـمـي هـكـذَا الـحِـمْـرَانـي

قال بعضهم: وفاته آخران، لم يذكرهما، وهما محمد بن الحارث، ومحمد بن عمر بن مغفل بضم أوله، وسكون المعجمة، وكسر الفاء، ثم لام. ووقع النزاع الكثير، والخلاف الشهير في أول من سمي بذلك الاسم منهم، وسبب كثرة التسمية بمحمد ما ذكر بعضهم؛ قال: سمعت محمد بن عدي، وقد قيل له: كيف سماك أبوك في الجاهلية محمداً؟ قال: سألت أبي عما سألتني عنه، فقال: خرجت رابع أربعة من تميم نريد الشام، فنزلنا عند غدير عند دير، فأشرف علينا الديراني، وقال: إن هذه للغة قوم ما هي لغة أهل هذه البلد، فقلنا له: نحن قوم من مضر، فقال لنا: إن الله سيبعث فيكم نبياً وشيكاً، فسارعوا إليه، وخذوا حظكم، ترشدوا، فإنه خاتم النبيين، فقلنا له: ما اسمه؟ قال: محمد، ثم دخل ديره فوالله ما بقي أحد منا إلا زرع قوله في قلبه، فأضمر كل واحد منا إن رزقه الله غلاماً سماه محمداً رغبةً فيما قاله، قال: فلما انصرفنا ولد لكل واحد منا غلام. فسماه محمداً رجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته. انتهى. السيرة الحلبية بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): مبتدأ، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها، وجملة: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة عليها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿نُزِّلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل تقديره: «هو» يعود إلى (ما)، وهو العائد، أو الرابط. هذا؛ وعلى قراءة الفعل بالبناء للمعلوم (نَزَّلَ) فالفاعل يعود إلى الله، والعائد محذوف، التقدير: بالذي أنزله الله. ﴿عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ، معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الاعتراض. (هو): مبتدأ. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: خبره. ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الحق، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية معترضة بين المبتدأ والخبر مؤكدة لإيجاب الإيمان، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الموصول؛ فيظهر فيها معنى التأكيد أيضاً، ويكون الرابط: الواو، والضمير. ﴿كَفَّرَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله)، وهو يؤكد بناء (نَزَّل) للمعلوم. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَفَّرَ...﴾ إلخ، في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما ذكر من الإضلال بالنسبة للكافرين، وتكفير السيئات، وإصلاح العمل بالنسبة للمؤمنين. ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ إلخ: أي بسبب اتباع هؤلاء الباطل، واتباع هؤلاء الحق، وهو تصريح بما أشعر به ما قبلها، ولذلك تسمى هذه الآية تفسيراً. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الضرب ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾: يبيّن لهم أحوال الفريقين، أو أحوال الناس، أو يضرب أمثالهم بأن جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار، والإضلال مثلاً لخيبتهم، واتباع الحق مثلاً للمؤمنين، وتكفير السيئات مثلاً لفوزهم.

هذا؛ والكفر: ستر الحق بالجحود، والإنكار، وكفر فلان النعمة، يكفرها كفراً، وكفوراً، وكفراناً: إذا جحدها، وسترها وأخفاها، قال تعالى في سورة (إبراهيم) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ رقم [٧]. وكفر الشيء: ستره، وغطّاه، وسمي الكافر: كافراً؛ لأنه يغطي نعم الله بجحدها، وعبادته غيره. وسمي الزارع كافراً؛ لأنه يلقي البذر في الأرض، ويغطيه، ويستره بالتراب، قال تعالى في تشبيه حال الدنيا: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ رقم [٢٠] من سورة (الحديد). وسمّي الليل: كافراً؛ لأنه يغطي، ويستر كل شيء بظلمته، قال لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ في معلقته رقم [٦٥]. [الكامل]

حَتَّى إذا أَلْقَتْ يَداً في كافِرٍ وأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلامُهَا

هذا؛ وأطلق لفظ الكافر على النهر، قال المتلمس حين ألقى الصحيفة في النهر: [الطويل]

وألقيْتُهَا بالثَّنْيِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أُلْقِي كُلَّ رَأيٍ مُضَلَّلِ

رَضِيتُ لها بالماءِ لمَّا رَأَيْتُهَا يَجولُ بِهَا التَّيَّارُ في كُلِّ جَدْوَلِ

﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾: ضد الحق، والباطل: الفاسد، والمراد به هنا: الشرك. وقيل: الشيطان. وجاء بمعنى العبث في سورة (صٓ) رقم [٢٧]، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ والبطلان: عبارة عن عدم الشيء، إما بعدم ذاته، وإما بعدم فائدته، ونفعه. هذا؛ وبَطَل من باب: دخل، والبَطَل بفتحتين: الشجاع، والبُطْل بضم فسكون: الباطل، والكذب، والبطالة: التعطل، والتفرغ من العمل، ويجمع باطل على: أباطيل شذوذاً، كما شذَّ: أحاديث، وأعاريض، وأفاظيع في جمع: حديث، وعريض، وفظيع. هذا؛ ومبطل: اسم فاعل من: أبطل الرباعي. وانظر شرح ﴿ٱلْحَقَّ﴾ في الآية رقم [٢٢] من سورة (الجاثية).

هذا؛ والإيمان الصحيح هو: الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان. ولما سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان، قال: «**الإيمانُ أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكتبِهِ، ورسلِهِ، واليومِ الآخِرِ، والقدرِ، خيرِهِ، وشَرِّهِ من اللهِ تعالى**». والإيمان يزيد، وينقص على المعتمد، كما رأيت في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال)، وله شعب كثيرة، وهي سبع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلّا الله. . .إلخ، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، وهو بفتح الهمزة جمع: يمين بمعنى الحلف بالله، أو بصفة من صفاته، أو اسم من أسمائه. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ﴾، واليمين أيضاً اليد اليمنى، وتجمع أيضاً على: أيمان، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ وهو كثير في القرآن الكريم، ولا يجمع بالمعنى الأول؛ لأنه مصدر.

هذا؛ و﴿أَمْثَـٰلَهُمْ﴾ في هذه الآية جمع: مَثَل بفتحتين، والمثل: عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليتبيَّن أحدهما من الآخر، ويصوره. وقيل: هو تشبيه شيء بشيء آخر، وبالجملة: هو القول السائر بين الناس، والذي فيه غرابة من بعض الوجوه، والممثل بمضربه؛ أي: هو الحالة الأصلية، التي ورد الكلام فيها. وما أكثر الأمثال في اللغة العربية! علماً بأن الأمثال لا تغير، تذكيراً، وتأنيثاً، إفراداً، وتثنيةً، وجمعاً، بل ينظر فيها دائماً إلى مورد المثل؛ أي: أصله، مثل: (الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبن) فإنه يضرب لكل من فرط في تحصيل شيء في أوانه، ثم طلبه بعد فواته. وانظر (مِثل) بكسر الميم وسكون الثاء في الآية رقم [١٠] الآتية.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّ﴾: الباء: حرف جر. (أنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم (أنَّ). وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله في الإعراب، والتأويل. ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْحَقَّ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: يضرب الله للناس أمثالهم ضرباً كائناً مثل الضرب الذي يضربه الله لقريش، وأمثالهم من الكفار. ﴿يَضْرِبُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان به، ﴿أَمْثَـٰلَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: في المحاربة، والمقاتلة، وإنما قال: ﴿لَقِيتُمُ...﴾ إلخ ولم يقل: إذا لقيكم الذين كفروا، وهو أبين في الكلام؛ لأنَّ ما لقيك فقد لقيته، وما لقيته فقد لقيك، قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ قرئ برفع ﴿ءَادَمُ﴾ ونصب ﴿كَلِمَٰتٍ﴾، وقرئ بالعكس، والمعنى لا يتغير، فمعنى القراءتين واحد، كما قرئ قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قرئ بالواو والياء، قال الفراء: معنى القراءتين واحد؛ لأنَّ ما نلتهُ فقد نالك، وما نالك فقد نلته.

﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾: أصله: فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل، وقدم المصدر، وأنيب منابه مضافاً إلى المفعول ضمّاً إلى تأكيد الاختصار، والتعبير به عن القتل، إشعار بأنه ينبغي أن يكون بضرب الرقبة حيث أمكن، وتصوير له بأبشع صورة وأشنعها، وهو حزّ العنق، وإطارة العضو، الذي هو رأس البدن وعُلوه وأوجَهُ أعضائه، ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى في سورة (الأنفال) رقم [١٢]: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

هذا؛ وفي قوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ مجاز مرسل، علاقته ذكر الجزء، وإرادة الكل؛ لأنَّ ضرب الرقاب كناية عن القتل، وبما أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب الرقبة؛ وقع عبارة عن القتل.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أي: أكثرتم القتل فيهم، وأغلظتموه. من: الثخين، وهو الغليظ. قال تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٦٧]: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. أو المعنى: أثقلتموهم بالقتل، والجراح؛ حتى أضعفتموهم عن النهوض إلى القتال. ﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ أي: أؤسُرُوهم وشدّوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم، والوثاق بفتح الواو، وكسرها: اسم لما يوثق به؛ أي: يربط به من حبل، ونحوه. والجمع: وُثق، مثل: رباط، ورُبط، وعناق، وعنق.

﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾: والمعنى التخيير بعد الأسر بين أن يمنوا عليهم، فيطلقوهم، وبين أن يفادوهم، فإن قلت: كيف حكم أسارى المشركين؟ قلت: أما عند أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ وأصحابه؛ فأحد أمرين: إما قتلهم، وإما استرقاقهم؛ أيهما رأى الإمام، ويقولون في المنّ، والفداء المذكورين في الآية: نزل ذلك في يوم بدر، ثم نسخ. وعن مجاهد: ليس اليوم مَنٌّ، ولا فداء، وإنما هو الإسلام، أو ضرب العنق. ويجوز أن يراد بالمن، أن يمنَّ عليهم بترك القتل، ويسترقوا، أو يمنّ عليهم فيُخَلّوا لقبولهم الجزية، وكونهم من أهل الذمة، وبالفداء أن يفادى

بأسراهم أسارى المشركين، فقد رواه الطحاوي مذهباً عن أبي حنيفة، والمشهور: أنه لا يرى فداءهم لا بمال، ولا بغيره خيفة أن يعودوا حرباً للمسلمين.

وأما الشافعي فيقول: للإمام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين، وهي: القتل، والاسترقاق، والفداء بأسارى المسلمين، والمن. ويحتج بأن النبي ﷺ مَنَّ على أبي عزة الجمحي، وعلى ثمامة بن أثال الحنفي، وفادى رجلاً برجلين من المشركين، وإليه ذهب ابن عمر، وبه قال الحسن، وعطاء، وأكثر الصحابة، والعلماء، وهو قول الثوري، والشافعي، وأحمد، وإسحاق. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما كثر المسلمون، واشتدَّ سلطانهم أنزل الله عزَّ وجل في الأسارى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ وهذا القول هو الصحيح؛ ولأنه به عمل النبي ﷺ والخلفاء بعده. وقال أبو حنيفة ومن وافقه من العلماء: هذه الآية منسوخ حكمها بقوله تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٥٧]: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، وبقوله عزَّ وجل في سورة (التوبة) رقم [٥]: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ...﴾ إلخ.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: يعني أثقالها، وأحمالها، والمراد: أهل الحرب، يعني: حتى يضعوا أسلحتهم، ويمسكوا عن القتال، وأصل الوزر: ما يحمله الإنسان، فسمى الأسلحة وزراً؛ لأنها تحمل. قال الأعشى: [المتقارب]

وأعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أوزارَها رماحاً طوالاً وخيلاً ذُكوراً

وسميت أوزارها؛ لأنه لمَّا لم يكن لها بد من جرها، فكأنها تحملها، وتستقل بها، فإذا انقضت، فكأنها وضعتها، كما قال الآخر: [الطويل]

فألقَت عصَاها واسْتَقرَّت بِهَا النَّوى كَمَا قَرَّ عَيْناً بالإيابِ المُسَافِرُ

وفي الجملة استعارة تصريحية ظاهرة.

طرفة: روي عن بعضهم: أنه قال: كنت واقفاً على رأس الحجاج حين أتي بالأسرى من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث، وهم أربعة آلاف، وثمانمئة، فقتل منهم نحواً من ثلاثة آلاف حتى قدم إليه رجل من كِندة، فقال: يا حجاجُ لا جازاك الله عن السنة، والكرم خيراً، قال: ولم ذاك؟ قال: لأنَّ الله تعالى قال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ إلخ، في حق الذين كفروا، فوالله ما منَنْتَ، ولا فديت، وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الأخلاق: [الطويل]

ولا نقتل الأسرى، ولكنْ نفكُّهُمُ إذا أثقَل الأعناق حملُ المغَارِمِ

فقال الحجاج: أفٍّ لهذه الجيف! أما كان فيهم من يحسن مثل هذا الكلام؟ خلوا سبيل من بقي، فخُلِّيَ عن بقية الأسرى، وهم زهاء ألفين بقول ذلك الرجل. هذا؛ وقد أغرب مجاهد، وسعيد بن جبير ـ رضي الله عنهما ـ حيث قالا: هو خروج عيسى على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر فيهم ما ذكر من القتل، أو الأسر، وما بعده من المن، والفداء. وهي كلمة يستعملها الفصيح عند الخروج من كلام إلى كلام، كقوله تعالى في سورة (صٓ) رقم [٥٥]: ﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾. ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾: لانتقم منهم بالاستئصال، وأهلكهم بغير قتال ببعض أسباب: من خسف، أو رجفة، أو حاصب، أو غرق، أو موت جارف. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لأهلكهم بجند من الملائكة. ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾: ولكن أمركم بالحرب؛ ليختبر المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم، ويقاتلوهم، فيستحقوا الثواب العظيم، والمقام الكريم، ويمتحن الكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم؛ كي يرتدع بعضهم عن الكفر.

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يريد قتلى أُحُدٍ من المؤمنين. ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: فلن يضيعها، بل يوفيهم ثواب أعمالهم، التي عملوها في الدنيا. قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: ذكر لنا: أن هذه الآية نزلت يوم أحد، ورسول الله في الشعب، وقد فشت فيهم الجراحات، والقتل، وقد نادى المشركون: اعلُ هُبَلُ! ونادى المسلمون: الله أعلى، وأجلُّ! وقال المشركون: يومٌ بيوم بدر، والحرب سجال. فقال النبي ﷺ: «**قولوا: لا سواء، قتلانا في الجنة أحياء عند ربهم يرزقون، وقتلاكم في النار يعذبون**». فقال المشركون: لنا ٱلعُزَّى، ولا عُزَّى لكم. فقال المسلمون: الله مولانا ولا مولى لكم، وقد تقدّم ذكر هذا في سورة (آل عمران). والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿لَقِيتُمُ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿فَضَرْبَ﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (ضرب): مفعول مطلق نائب عن فعله؛ إذ أصله: فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل، وأقيم المصدر مقامه مضافاً إلى المفعول، لذا ففاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والجملة جواب (إذا)، لا محلَّ لها.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء، ويعتبرها الأخفش في مثل ذلك جارة لـ: ﴿إِذَآ﴾. ﴿إِذَآ﴾: مثل سابقتها. ﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: فعل، وفاعل، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها. ﴿فَشُدُّوا۟﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿إِذَآ﴾. (شدوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَآ﴾، لا محل لها. ﴿ٱلْوَثَاقَ﴾: مفعول به، و﴿إِذَآ﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ له، وعلى قول الأخفش، فـ: ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ومجرورها متعلقان بالمصدر: (ضرب).

﴿فَإِمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف وتفريع، (إما): أداة شرط وتفصيل، وهي هنا مفيدة للتخيير. ﴿مَنًّا﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: تمنون مناً. ﴿بَعْدُ﴾: ظرف زمان مبني على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً في محل نصب متعلق بالمصدر قبله. ﴿وَإِمَّا﴾: الواو: حرف عطف. (إمَّا): معطوفة على ما قبلها. وقيل: عاطفة. ﴿فِدَآءً﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: تفادون فداء. هذا؛ والفعل المقدر يؤول بمصدر في محل رفع مبتدأ، خبره محذوف، وإذا قدرت: إما أن تمنوا مناً، وإما أن تفادوا فداءً؛ وضح الأمر، وزال الخفاء، ويكون التقدير: فإمَّا مَنُّكُمْ موجودٌ منكم، وإما فداؤهم. أو وإما فِداؤُكُم موجودٌ منكم أيضاً، والجملة الاسمية الحاصلة من هذا التقدير مستأنفة لا محلَّ لها، أو هي معطوفة على جملة: (شدوا...) إلخ، لا محلَّ لها أيضاً. هذا؛ وقد قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَمَا لِتَفْصِيلٍ كَإِمَّا مَنَّا عَامِلُهُ يُحْذَفُ حَيْثُ عَنَّا

قال ابن عقيل ـ رحمه الله ـ: يحذف عامل المصدر وجوباً إذا وقع تفصيلاً لعاقبة ما تقدمه، وذكر الآية التي نحن بصدد شرحها. وأجاز أبو البقاء أن يكونا مفعولين لفعل محذوف، التقدير: أولوهم مناً، واقبلوا منهم فداءً، وهو ضعيف جداً. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿تَضَعَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾. ﴿ٱلْحَرْبُ﴾: فاعله. ﴿أَوْزَارَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، وأن المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل المقدر، أو بالمصدر المذكور.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو في محل خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: أي: الأمر ذلك، أو هو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: افعلوا ذلك، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له، والجملة على الاعتبارين مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾: مضارع وفاعله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَٱنتَصَرَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (انتصر): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية جواب (لو)، لا محلَّ لها. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ له. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل، لا عمل له. ﴿لِّيَبْلُوَا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿بَعْضَكُم﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بِبَعْضٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: ولكن أمركم بالقتال؛ ليبلو...إلخ، والجملة هذه معطوفة على جواب (لو)، لا محل لها مثلها.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): مبتدأ، وجملة: ﴿قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها، ﴿قُتِلُوا﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. ﴿فَلَن﴾: الفاء: حرف صلة. (لن): حرف ناصب. ﴿يُضِلَّ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (لنْ) والفاعل يعود إلى: ﴿اللَّهِ﴾. ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، وزيدت الفاء في الخبر؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: الضمير يعود إلى الذين قتلوا في سبيل الله، ومن المعلوم: أن المقتول لا يوصف بذلك، وفي ذلك أجوبة، فقال بعضهم: سيهدي من بقي منهم؛ أي: يحقق لهم الهداية، وهذا ضعيف. وقال ابن زياد: سيهديهم إلى محاجة منكر ونكير في القبر؛ أي: بمعنى يوفقهم للجواب حينما يسألون في القبر. وقال أبو المعالي: وقد ترد الهداية، والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان، والطرق المفضية إليها، من ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين: ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ ومنه قوله تعالى في الكافرين، والفاسدين المفسدين: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ وهو فحوى قوله تعالى: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ وخذ ما يلي:

قال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم، ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم منها، لا يخطئون، كأنهم ساكنوها منذ خلقوا. وقال محمد بن كعب القرظي: يعرفون بيوتهم؛ إذا دخلوا الجنة، كما تعرفون بيوتكم؛ إذا انصرفتم مِنَ الجمعة. وقال مقاتل: بلغنا: أن الملك الذي كان وُكِّل بحفظ عمله في الدنيا، يمشي بين يديه في الجنة، ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو له، فيعرِّفه كلَّ شيء أعطاه الله تعالى في الجنة، فإذا انتهى إلى أقصى منزله في الجنة؛ دخل إلى منزله، وأزواجه، وانصرف الملك عنه، وقد ورد الحديث الصحيح بذلك:

فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خَلَصَ المؤمنونَ من النار؛ حُبِسُوا بِقَنْطرة بَيْنَ الْجَنَّة والنار، يَتَقَاصَوْنَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ في الدنيا، حتَّى إذَا هُذِّبُوا، وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لهم في دخولِ الجنَّةِ، والَّذِي نفسي بِيَدِهِ، إنَّ أَحَدَهمْ بمنزله في الجنة، أَهْدى منه بمنزلِهِ الَّذِي كَانَ في الدُّنْيَا**» أخرجه البخاري.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أي: طيَّبها لهم بأنواع الملاذ. مأخوذ من العرف، وهو الرائحة الطيبة. وطعام مُعَرَّف؛ أي: مطيَّب، ورحم الله أبا تمام؛ إذ يقول: [الكامل]

وَإِذَا أرادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
لولا اشْتِعَالُ النارِ فيما جاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

الإعراب: ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ﴾: السين: حرف استقبال، وتسويف، وهي في حق الله تعالى تفيد تحقيق الوقوع، وتنفيذ الموعود. (يهديهم): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها، والتي بعدها معطوفة عليها. ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾: مفعول به ثان، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٠] من سورة (الزخرف). ﴿عَرَّفَهَا﴾: ماض، ومفعوله، وفاعله يعود إلى (الله) أيضاً. ﴿لَهُمۡ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الفاعل المستتر، أو من الجنة، والرابط على الاعتبارين: الضمير فقط، و«قد» قبلها مقدرة، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محلَّ لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...﴾ إلخ: هذا وعد من العزيز الحكيم بأنه ينصر عباده المؤمنين؛ إن هم نصروا دينه، ونصروا نبيه بالأموال، والأرواح، والله لا يخلف وعده، فقد شرط سبحانه وتعالى لنصره عباده المؤمنين ذلك، وإذا لم ينصروا دين الله؛ فكيف ينصرهم على أعدائهم؟! ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ أي: في الميدان؛ إذا التحم القتال، والتقى السنان بالسنان. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥١] من سورة (غافر) تجد ما يسرّك، ويثلج صدرك. وقال تعالى في سورة (الحج) رقم [٤٠]: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. هذا؛ والمراد بـ: (الأقدام) الذوات بتمامها، وعبّر بذلك؛ لأنَّ الثبات، والتزلزل يظهران فيها، فهو من التعبير بالجزء عن الكل مجازاً.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو، أو: أنادي. (أيها): منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها): حرف تنبيه لا محلَّ له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدل من (أيها)، وانظر الآية رقم [١٣] من سورة (الحجرات)، وجملة: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَنصُرُواْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام لا محلَّ له؛ لأنه مبتدأ مثل الجملة الندائية قبله. ﴿وَيُثَبِّتۡ﴾: الواو: حرف عطف. (يثبت): مضارع معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله، وانظر الآية رقم [٣٦] الآتية، وفاعله يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿أَقۡدَامَكُمۡ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾: فهلاكاً، وعثاراً، وانحطاطاً. وهو نقيض لعاً له، قال الأعشى: [البسيط]

كلَّفْتُ مجهولَهَا نَفْسي وشَايَعني ... همِّي عليها إذا ما آلُهَا لَمَعَا

بذاتِ لَوْثٍ عِفَرْنَاة إذَا عَثَرَتْ ... فَالتَّعْسُ أولى لَهَا مِنْ أنْ يقال: لَعَا

وقال ابن دريد في مقصورته ـ وهو الشاهد رقم [١٠٤٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الرجز]

فإن عَثَرْتُ بَعْدَهَا إنْ وَأَلَتْ ... نَفْسِي مِنْ هَاتا فقولا: لا لَعَا

يقول الأعشى: كلفت نفسي سير المجهول من المفازة، وعاودني عزمي على سيرها وقت لمعان آلِهَا، وهو السراب، الذي يرى عند شدة الحر، كأنه ماء، مع أن سير الهاجرة أشد من سير الليل، ثم قال: مع ناقة صاحبة قوة، ويطلق اللوث على الضعف أيضاً، فهو من الأضداد. وعفرناة: غليظة، ويقال للعاثر: «لَعاً لَكَ» دعاء له بالسلامة، والانتعاش، و«تعساً له» دعاء عليه بالسقوط يريد: أنها لا تعثر، ولو عثرت، فالدعاء عليها أحقُّ بها من الدعاء لها، و«لعا» اسم فعل ماضٍ. هذا؛ وقد تَعَسَ بفتح العين يَتْعَس تعساً، وأتْعَسَه الله. قال مُجمّع بن هلال: [الطويل]

تقولُ وقدْ أفردْتُها مِنْ خليلِهَا ... تَعِسْتَ كما أتْعَسْتَنِي يا مُجَمِّعُ

ومنه حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَعِسَ عبدُ الدينار، والدرهم، وعبدُ الخميصةِ، إن أُعْطِي؛ رَضِيَ، وإن لَمْ يُعْطَ؛ سَخِطَ، تَعِسَ، وانتكسَ، وإذا شيكَ؛ فلا انتقشَ... إلخ»**. رواه البخاري. هذا؛ والخميصة: ثوب خز، ونحوه. شيك: أصابته شوكة. فلا انتقش: فلا خرجت الشوكة من رجله، ونحوها بالمنقاش. هذا؛ وفي قوله تعالى: (أضل أعمالهم) استعارة مكنية. فقد شبه أعمالهم الصالحة بالشيء الضائع في الأرض الفلاة، لا صاحب يحفظه، ويعتني به. أو بالماء الذي يضل في اللبن ويستهلك فيه، والمعنى: أنَّ الكفار ضلت أعمالهم الصالحة في جملة أعمالهم السيئة من الكفر، والمعاصي، وحتى صار صالحهم مستهلكاً في غمار سيئهم، ومقابله في المؤمنين: سَتَرَ الله لأعمالهم السيئة في كنف أعمالهم الصالحة من الإيمان، والطاعة؛ حتى صار سيئهم مكفراً ممحقاً في جنب صالح أعمالهم.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (الذين): مبتدأ. وجوز القرطبي نصبه على الاشتغال بفعل محذوف. ورده ابن هشام بقوله: لأنَّ ﴿لَّهُمْ﴾ ليس متعلقاً بالمصدر، وقال مكي: ويجوز في الكلام الرفع على الابتداء، و﴿لَّهُمْ﴾ الخبر، والجملة خبر عن

(الذين). انتهى. ولكن لم يقرأ بالرفع، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿فَتَعۡسٗا﴾: الفاء: حرف صلة. (تَعْسَاً): مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: فتعسوا تعساً. وهذه الجملة في محل رفع خبر المبتدأ، وزيدت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. ﴿لَّهُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: (تعساً)، مثل: سقياً لك. ﴿وَأَضَلَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أضل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ لا محلَّ لها على الاعتبارين في الواو.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الإضلال، والإتعاس. ﴿بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: القرآن وما فيه من التكاليف، والأحكام؛ لأنهم ألفوا الإهمال، وإطلاق العنان في الشهوات، والملاذ، فشقَّ عليهم ذلك، وتعاظمهم. ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي: أبطل ثواب أعمالهم؛ التي عملوها من عمارة مسجد، وقرى ضيف، وصلة رحم؛ لأنَّ عمل الخير لا يقبل إلَّا إذا قرن بالإيمان.

هذا؛ و«حبط» الثلاثي لازم، و«أحبط» الرباعي متعد بالهمزة. وفي المصباح المنير: حبط العمل، يحبط من باب: تعب حبطاً بالسكون، وحبوطاً: فسد، وهدر. وحبط، يحبط من باب: ضرب لغة، وقرئ بها في الشواذ. وحبط دم فلان حبطاً من باب: تعب: هدر، وأحبطت العمل، والدم بالألف: أهدرته. وفي مختار الصحاح: والحبط بفتحتين أن تأكل الماشية، فتكثر، حتى تنتفخ لذلك بطونها، ولا يخرج عنها ما فيها. وقيل: هو أن ينتفخ بطنها عن أكل الذرق، وهو الحندقوق، وفي الحديث الشريف: «**إنَّ مِمَّا يَنْبُتُ الربيعُ ما يقْتُلُ حَبَطاً، أوْ يُلِمُّ**». انتهى. واسم هذا الداء: حباط.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلك، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: فعل الله بهم ذلك، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾: الباء: حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَرِهُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله. ﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: كرهوا الذي، أو شيئاً أنزله الله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ على الوجه الأول في ذلك، أو هما متعلقان بالفعل المحذوف، على الوجه الثالث فيه، أو متعلقان بمحذوف حال

من ذلك على الوجه الثاني فيه، وجملة: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ معطوفة على جملة: ﴿كَرِهُوا...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها.

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ إلخ أي: أفلم يمشِ كفار مكة في نواحي الأرض، وجهاتها؛ ليروا مصارع الأمم؛ التي كذبت رسلها، وما حلَّ بها من الهلاك، والدمار، فيعتبروا بهم؟! وفيه ردع، وزجر للكافرين المكذبين، وللفاسقين الظالمين بأن الله سيهلكهم كما أهلك من قبلهم، فهو حض؛ لينظروا نظرة تبصر، واعتبار، لا نظرة غفلة وإهمال، ينظرون إلى مساكن الأمم الماضية، وديارهم، وآثارهم: كيف أهلكهم الله بذنوبهم، كما قال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١١] وغيرها كثير: ﴿ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾. هذا؛ وعاقبة كل شيء: آخره، ونتيجته، ومصيره، ومآله، ولم يؤنث الفعل ﴿كَانَ﴾ لأنَّ (عاقبة) مؤنث مجازي وما كان منه يستوي فيه التذكير، والتأنيث للفعل، أو لأن (عاقبة) اكتسب التذكير من المضاف إليه. وهذا باب من أبواب النحو. انظر الشاهد رقم [٩٠١] وما بعده من كتابنا: «فتح القريب المجيب» تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: دمر الله عليهم ما اختصَّ بهم من أنفسهم، وأموالهم، وأولادهم، وكل ما كان لهم. هذا؛ ودمّره: أهلكه، ودمر عليه: أهلك عليه ما يختص به. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾: الضمير يعود إلى العاقبة المذكورة، أو للهلكة؛ لأنَّ التدمير يدلُّ عليها، أو للسنة لقوله عزَّ وجل: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾. هذا؛ و﴿أَمْثَالُهَا﴾ جمع: مثل بكسر الميم وسكون الثاء، ومثله: مثيل، وشبه، وشبيه. وهو اسم متوغل في الإبهام، فلا يتعرف بإضافته إلى الضمير ونحوه من المعارف، ولذلك نعتت به النكرة في قوله تعالى في سورة (المؤمنون) حكاية عن قول فرعون وقومه: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ ويوصف به المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وهو واضح في مواضعه، وتستعمل على ثلاثة أوجه: الأول: بمعنى الشبيه، كما في الآية الكريمة، ونحوها. والثاني: بمعنى نفس الشيء وذاته، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ عند بعضهم؛ حيث قال: المعنى ليس كذاته شيء. الثالث: زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ أي بما آمنتم به، وانظر شرح: (مثل) برقم [٣].

الإعراب: ﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. الفاء: حرف استئناف، أو هي عاطفة على مقدر؛ أي: أعجزوا فلم. . . إلخ؟. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَسِيرُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على

الوجهين المعتبرين في الفاء. ﴿فَيَنظُرُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم على اعتبار الفاء عاطفة، وهو منصوب على اعتبار الفاء للسببية، و«أن» مضمرة بعدها، وعلامة الجزم، أو النصب حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى اعتبار الفعل منصوباً يؤول مع «أن» المضمرة الناصبة له بمصدر، معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، ويكون التقدير: فهلا حصل منهم سير في الأرض، فنظر في عاقبة الذين من قبلهم؟! هذا؛ ومثل هذه الآية في جواز اعتبار الفعل مجزوماً، أو منصوباً بعد الفاء قول زهير بن أبي سلمى المزني ـ وهو الشاهد رقم [١٦٧] من كتابنا: «فتح رب البرية» ـ: [الطويل]

ومَـنْ لَا يُـقَـدِّمْ رِجْـلَـهُ مُـطْـمَـئِـنَّـةً فَـيُـثْـبِـتَـهـا فـي مُـسْـتَـوى الأرْضِ يَـزْلَـقِ

﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر: ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها، وهو معلق للفعل قبله عن العمل لفظاً. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمها، و﴿عَٰقِبَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿كَانَ﴾ تامة فالمعنى لا يأباه، ويكون ﴿عَٰقِبَةُ﴾ فاعلها، و﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب حال من: ﴿عَٰقِبَةُ﴾، والعامل ﴿كَانَ﴾، وهي بمعنى: حدث، وعلى الاعتبارين فالجملة الفعلية في محل نصب سدّت مسدّ مفعول الفعل قبلها. ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله محذوف، كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية مستأنفة، وهي بمنزلة جواب لسؤال مقدر، أو لـ: ﴿كَيْفَ﴾ المذكورة. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (للكافرين): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَمۡثَٰلُهَا﴾: مبتدأ مؤخر، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال؛ فلست مفنداً.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الإهلاك، والذل، والهوان. ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: وليهم وناصرهم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤] شرح: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ففيها الكفاية. ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ أي: لا ناصر لهم، ولا معين لهم، يدفع عنهم العذاب، وهذا لا يخالف قوله تعالى في الآية رقم [٦٢] من سورة (الأنعام): ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ...﴾ إلخ فإن المولى فيه بمعنى: المالك، كما يأتي المولى بمعنى: الحليف، والصديق، وابن العم. وانظر ما ذكرته في سورة (الدخان) رقم [٤١].

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾: هو مثل الآية رقم [٩] إعراباً، وتأويلاً. ﴿مَوۡلَى﴾: خبر: (أنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، و﴿مَوۡلَى﴾ مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول

مبني على الفتح في محل جر بالإضافة وجملة: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: اسم: (أنَّ) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿مَوْلَىٰ﴾: اسم ﴿لَا﴾ مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَا﴾، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر معطوف على ما قبله، فهو في محل جر مثله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ﴾ يعني: في الدنيا بشهواتها ولذاتها. ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ يعني: ليس لهم همة إلا بطونهم، وفروجهم، وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم في غدهم، ولهذا شبههم بالأنعام؛ لأن الأنعام لا عقل لها، ولا تمييز، وكذلك الكافر لا عقل له، ولا تمييز؛ لأنه لو كان له عقل ما عبد ما يضره، ولا ينفعه. قيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع، وإنما وصف الكافر بالتمتع؛ لأنها جنته، وهي سجن المؤمن بالنسبة إلى ما أعده الله له في الآخرة من النعيم العظيم الدائم. ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي: مقام، ومنزل. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ يَأْكُلُ في مِعىً وَاحِدٍ، والْكَافِرُ يأكُلُ في سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**». رواه مالك، والبخاري، ومسلم، وغيرهم.

هذا؛ والتمتع: التلذذ بالشيء، والانتفاع به، ومثله: الاستمتاع، والاسم: المتعة، فهنيئاً لمن تمتع واستمتع بالمباح الحلال، وويل، ثم ويل لمن تمتع، واستمتع بالحرام! هذا؛ والمتعة بكسر الميم وضمها: اسم للتمتيع، والزاد القليل، وما يتمتع به من الصيد، والطعام، ومتعة المرأة ما وُصلت به بعد الطلاق من نحو قميص، وإزار، وملحفة، قال تعالى في سورة (البقرة): ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. هذا؛ والأنعام: ما يؤكل من البهائم من بقر، وغنم، وماعزٍ، وإبل.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُدْخِلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وانظر الآية رقم [٧٠] من سورة (الزخرف). وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها، وجملة: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة:

﴿يُدْخِلُ...﴾ إلخ، في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية هذه لا محلَّ لها؛ لأنها مستأنفة، أو ابتدائية. ﴿تَجْرِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿الْأَنْهَارُ﴾: فاعل: ﴿تَجْرِي﴾، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿جَنَّاتٍ﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة: ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿تَأْكُلُ﴾: فعل مضارع. ﴿الْأَنْعَامُ﴾: فاعل، و(ما) المصدرية، والفعل: ﴿تَأْكُلُ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، يقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: يأكلون أكلاً مثل أكل الأنعام، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٥] من سورة (الأحقاف)، والجملة الاسمية: (الذين كفروا...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. (النار): مبتدأ. ﴿مَثْوًى﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿لَّهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مَثْوًى﴾ أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها أيضاً.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: قال قتادة، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما خرج النبي ﷺ من مكة إلى الغار في ليلة الهجرة؛ التفت إلى مكة، وقال: «**اللهمَّ أنْتِ أحبُّ البلادِ إلى الله، وأنتِ أحبُّ البلاد إليَّ، ولولا المشركون أهلكِ أخرجوني؛ لَمَا خرجْتُ مِنْكِ**» فنزلت الآية. ذكره الثعلبي. وهو حديث صحيح. انتهى. قرطبي. وهذا ينفي ما ذكرته في المقدمة من أنَّ الآية نزلت بعد حجة الوداع، وهو المعتمد، وذكره السيوطي في أسباب النزول.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: من أهل قرية، فلذا جمع الضمير فيما يأتي. ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد بـ: ﴿قَرْيَتِكَ﴾ مكة المكرمة. ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾: أخرجك أهلها منها، وكان ذلك بالهجرة منها إلى المدينة المنورة. ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ أي: بأنواع البلاء والهلاك الذي نزل بالأمم السابقة؛ التي كذبت رسلها. ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ أي: من العذاب، والهلاك، وهذه الجملة جارية مجرى الحال المحكية، كأنه قال: أهلكناهم، فهم لا ينصرون.

هذا؛ و(كأيّنْ) أصلها: أيٌّ الاستفهامية، دخلت عليها كاف التشبيه، فصارت بمعنى «كم» الخبرية التكثيرية، وهي كناية عن عدد مبهم، مثل: كم، وكذا، وفيها خمس لغات، كلها قرئ

بها: إحداها: كأيِّنْ، وهي الأصل، وبها قرأ الجماعة إلَّا ابن كثير. والثانية: كَائِنْ بوزن كاعِن، وبها قرأ ابن كثير، وجماعة، وهي أكثر استعمالاً من (كأين) وإن كانت الأصل، وهو كثير في الشعر العربي. والثالثة: (كَئِين) بوزن: كريم. الرابعة: (كَيْئِن) بياء ساكنة وهمزة مكسورة. الخامسة: (كَأَنْ) بوزن: كَفَنْ. هذا؛ والجلال المحلي اعتبر كأيِّن بسيطة غير مركبة، وأن آخرها نون من نفس الكلمة لا تنوين؛ لأن هذه الدعاوى المتقدمة لا يقوم عليها دليل، والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ سلك في ذلك الطريق الأسهل، والنحويون ذكروا هذه الأشياء محافظةً على أصولهم مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد، وتشحين الذهن، وتمرينه. انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿وَكَأَيِّن﴾: الواو: حرف استئناف. (كأين): اسم كناية بمعنى: كثير مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وأجاز السمين اعتباره مفعولاً به لفعل محذوف، يفسره المذكور بعده. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَرْيَةٍ﴾: تمييز لـ: (كَأَيِّنْ) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿هِيَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَشَدُّ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل جر على اللفظ، أو في محل نصب على المحل صفة: ﴿قَرْيَةٍ﴾. ﴿قُوَّةً﴾: تمييز. ﴿مِّن قَرْيَتِكَ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَشَدُّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة: ﴿قَرْيَتِكَ﴾. ﴿أَخْرَجَتْكَ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى: ﴿الَّتِي﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو: (كأين)، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها. هذا؛ وعلى اعتبار (كأين) مفعولاً به فالجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها مفسرة، وعليه تكون جملة «أهلكنا كأين» المقدرة فعلية لا اسمية. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف تعليل. (لا ناصر لهم) إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ في الآية رقم [١١] وهي هنا تعليلية، أو معطوفة، لا محلَّ لها من الإعراب

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي: على ثبات، ويقين، وهدى، ونور من دينه، وهو محمد ﷺ والمؤمنون معه. ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: وهذا هو الكافر أبو جهل، ومن حذا حذوه من الضالين المضلين من يومه إلى يومنا هذا، وإلى يوم القيامة. والمزين في الحقيقة هو الله تعالى عند أهل السنة، والجماعة، وليس للشيطان إلَّا الوسوسة، وهذا بخلاف رأي المعتزلة. انظر ما ذكرته في سورة (غافر) رقم [٣٧] تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ أي: ما تزينه لهم نفوسهم من الكفر، والمعاصي، والسيئات. هذا؛ وقد رُوعِيَ لفظ (مَنْ) في: ﴿رَّبِّهِۦ﴾ ﴿لَهُۥ﴾ ﴿عَمَلِهِۦ﴾، وروعي معناها بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ وانظر الآية رقم [١٨] من سورة (الجاثية).

الإعراب: ﴿أَفَمَن﴾: الهمزة: حرف استفهام داخلة على مقدر محذوف، يقتضيه المقام، التقدير: أليس الأمر كما ذكر فمن كان مستقراً على حجة ظاهرة، وبرهان بَيِّن كمن زُيِّنَ له... إلخ. الفاء: حرف عطف. (مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى: (مَنْ)، وهو العائد. ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية صلة (من) لا محل لها. ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿بَيِّنَةٍ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿كَمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وإن اعتبرت الكاف اسماً؛ فهي الخبر، وتكون مضافة، و(مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿زُيِّنَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿سُوٓءُ﴾: نائب فاعل: ﴿زُيِّنَ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها، و﴿سُوٓءُ﴾ مضاف، و﴿عَمَلِهِۦ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، والكلام ﴿أَفَمَن...﴾ إلخ، مستأنف، لا محل له. ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (اتبعوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَهْوَآءَهُم﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها. هذا؛ ومثل الآية في إعرابها الآية رقم [١٩] من سورة (الرعد).

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفة الجنة، التي هي مثل في الغرابة. ووقوع المثل بمعنى الصفة موجود في قوله تعالى في آخر سورة (الفتح): ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ وأنكر أبو علي الفارسي المثل بمعنى الصفة، وقال: إنما معناه: الشبه، ألا تراه يجري مجراه في مواضعه، ومتصرفاته، كقولك: مررت برجل مثلك، كما تقول: مررت برجل شبهكَ. وقال الفراء: المثل مقحم للتوكيد. ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾: جمع: متق، وهو من لم يفعل كبيرة، ولم يصرَّ على صغيرة. هذا؛ ولما بين الله عزَّ وجل حال الفريقين في الاهتداء، والضلال؛ بين في هذه الآية ما أعدَّ لكل واحد من الفريقين من الجزاء؛ الذي يستحقه في الآخرة.

﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾: جمع نهر، وقد قسمها العلي القدير، وبينها أربعة أنواع:

النوع الأول: ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي: غير متغير، ولا منتن، يقال: أسِن الماء، وأجِن: إذا تغير طعمه، وريحه، ولونه، وقُرِئَ: (أسِنٍ) بالقصر، وأنشدوا ليزيد بن معاوية. [البسيط]

لَقَدْ سَقَتْنِي رُضَاباً غَيْرَ ذِي أَسِنٍ كَالْمِسْكِ فُتَّ عَلَى مَاءِ الْعَنَاقِيدِ

النوع الثاني: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ أي: لم يحمض بطول المقام، كما تتغير ألبان الدنيا إلى الحموضة، فلا يعود قارصاً، ولا حاذراً، ولا ما يكره من الطعوم.

النوع الثالث: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ أي: لم تدنسها الأرجل ولم تُرَنِّقْها الأيدي، كخمر الدنيا، فهي لذيذة الطعم، طيبة الشرب، لا يتكرَّهها الشاربون. والمعنى: ما فيها إلا التلذذ الخالص، ليس معه ذهاب عقل، ولا خمار، ولا صراع، ولا آفة من آفات الخمر الموجودة في الدنيا. قال تعالى في سورة (الصافات): ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ رقم [٤٧].

النوع الرابع: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ أي: من الشمع، والقذى، خلقه الله كذلك، لم يطبخ على نار ولا دنسه النحل، بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا. هذا؛ و(العسل) يذكر، ويؤنث. انظر كتب اللغة.

فعن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّةِ بَحْرَ الماءِ، وبَحْرَ الْعَسَل، وبحرَ اللَّبَنِ، وبَحْرَ الخمرِ، ثمَّ تَشَّقَّقُ الأنهار بَعْدُ**». أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال، قال رسول الله ﷺ: «**سيحانُ، وجَيْحانُ، والفرات، والنيلُ، كُلٌّ مِنْ أنْهَارِ الْجَنَّةِ**». رواه مسلم. قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم: فأما كون هذه الأنهار من ماء الجنة ففيه تأويلان: أحدهما: أن الإيمان عم بلادها، أو الأجسام المتغذية بمائها صائرة إلى الجنة. الثاني ـ وهو الصحيح ـ: أنها على ظاهرها، وأن لها مادة من الجنة، فالجنة مخلوقة موجودة اليوم. هذا مذهب أهل السنة. انتهى. خازن بتصرف، وقريب منه في القرطبي، أما الزمخشري فلم يذكر في كشافه شيئاً من ذلك؛ لأنه معتزلي.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى في الخمر: ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ ولم يقل في اللبن: لم يتغير طعمه للطاعمين، ولا قال في العسل: مصفى للناظرين؟ أجاب الرازي بأنَّ اللذة تختلف باختلاف الأشخاص، فرب طعام يلتذ به شخص، ويعافه الآخر، فلذلك قال: لذة للشاربين بأسرهم، ولأن الخمر كريهة الطعم في الدنيا، فقال: لذة؛ أي: لا يكون في خمر الآخرة كراهة طعم، وأمَّا الطعم، واللون؛ فلا يختلفان باختلاف الناس، فإن الحلو، والحامض، وغيرهما يدركه كل أحد، لكن قد يعافه بعض الناس، ويلتذ به البعض مع اتفاقهم: أن له طعماً واحداً، وكذلك اللبن، فلم يكن للتصريح بالتعميم حاجة. انتهى. جمل.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: في ذكر الثمرات بعد المشروب إشارة إلى أن مأكول أهل الجنة للذة، لا لحاجة، فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب؛ لأنها للتفكه، واللذة. ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: فإن قلت: المؤمن المتقي لا يدخل الجنة إلا بعد المغفرة، فكيف يكون لهم فيها المغفرة، قلت: ليس بلازم أن يكون المعنى: ولهم مغفرة فيها؛ لأنَّ الواو لا تقتضي الترتيب، فيكون المعنى: ولهم فيها من كل الثمرات، ولهم مغفرة قبل دخولهم إليها، وجواب آخر وهو أن المعنى: ولهم

مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون، ويشربون بخلاف الدنيا، فإن مأكولها يترتب عليه حساب، وعقاب، ونعيم الجنة لا حساب عليه، ولا عقاب فيه. انتهى. من الخازن.

﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ يعني: من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو في النار خالد فيها، يتجرع من حميمها، ويصلى سعيرها؟! وقال ابن كيسان: مثل هذه الجنة التي فيها الثمار، والأنهار كمثل النار التي فيها الحميم والزقوم؟! ومثل أهل الجنة في النعيم المقيم كمثل أهل النار في العذاب المقيم؟!

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾: شديد الحر، قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت؛ إذا دنا منهم؛ شوى وجوههم، ووقعت فروة رؤوسهم (ف): إذا شربوه (قطع أمعاءهم) يعني: فخرجت من أدبارهم. والأمعاء جمع: مِعىً، وتثنيتهُ: مِعَيَان، وهو جميع ما في البطن من الحوايا. وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الحميمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فينفُذُ حتى يخلصَ إلى جوفِهِ فَيَسْلُتَ مَا في جَوْفِهِ؛ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعادُ كَمَا كَانَ**». أخرجه الترمذي، والبيهقي. هذا؛ وقال تعالى في سورة (الحج) رقم [١٩ و٢٠]: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾. عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ في قوله تعالى من سورة (إبراهيم) رقم [١٧]: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ﴾ قال: يُقَرَّبُ إلى فيه، فيكرهه، فإذا أُدْنِيَ منه؛ شَوَى وَجْهَهُ، ووقعَتْ فروةُ رأسِهِ، فإذَا شَرِبَه؛ قَطَّعَ أمعاءَهُ؛ حتى يخرجَ من دُبُرِهِ، يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ ويقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾. رواه أحمد، والترمذي، وقال: حديث غريب. وهذه الآية من سورة (الكهف) رقم [٢٩] انظر شرح الآيات في محالها تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿مَثَلُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿الْجَنَّةِ﴾: مضاف إليه. ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة: ﴿الْجَنَّةِ﴾. ﴿وُعِدَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿الْمُتَّقُونَ﴾: نائب فاعل مرفوع... إلخ، وهو المفعول الأول. والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، وهو المفعول الثاني، التقدير: التي وُعِدَها المتقون. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿أَنْهَارٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّن مَّاءٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَنْهَارٌ﴾. ﴿غَيْرِ﴾: صفة: ﴿مَّاءٍ﴾، وهو مضاف، و﴿ءَاسِنٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿فِيهَا...﴾ إلخ، في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو ﴿مَثَلُ﴾. واعتُرِض هذا الإعراب بأن الخبر جملة، ولا رابط فيها يعود على المبتدأ، ويمكن أن يجاب بأن الخبر عين المبتدأ؛ لأن اشتمالها على أنها من كذا، وكذا صفة لها.

وفي السمين: قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾: فيه أوجه: أحدها: أنه مبتدأ، وخبره مقدر، قدره النضر بن شميل: مثل الجنة ما تسمعون، فـ: «ما تسمعون خبره» و﴿فِيهَا أَنْهَارٌ﴾ مفسر له، وقدره

سيبويه: فيما يتلى عليكم مثل الجنة، والجملة بعدها أيضاً مفسرة للمثل. الثاني: أن ﴿مَّثَلُ﴾ زائدة، تقديره: الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار. الثالث: أنَّ ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ مبتدأ، والخبر قوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ وهذا ينبغي أن يمتنع؛ إذ لا عائد من الجملة إلى المبتدأ، ولا ينفع كون الضمير عائداً إلى ما أضيف إليه المبتدأ. الرابع: أنَّ ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي النَّارِ﴾ فقدره ابن عطية: أمثل أهل الجنة، كمن هو خالد؟! فقدَّر حرف الإنكار، ومضافاً؛ ليصح. وقدّره الزمخشري: كمثل جزاء من هو خالد؟! والجملة من قوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ...﴾ إلخ، على هذا فيها ثلاثة أوجه: أحدها: هي حال من ﴿الْجَنَّةِ﴾ أي: مستقرة فيها أنهار. الثاني: أنها خبر لمبتدأ مضمر؛ أي: هي فيها أنهار. كأنَّ قائلاً قال: ما مثلها، فقيل: فيها أنهارٌ. الثالث: أن يكون من تكرير الصلة؛ لأنها في حكمها. ألا ترى أنه يصح قولك: التي فيها أنهار، وإنما عُرِّيَ من حرف الإنكار. انتهى. جمل بحروفه. وأنت ترى أن الإعراب الأول أسهل، وأخصر.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ﴾: معطوف على سابقه، وهو مثله في إعرابه. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَتَغَيَّرْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾. ﴿طَعْمُهُۥ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿لَّبَنٍ﴾. ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾: معطوف أيضاً على سابقه. ﴿لَّذَّةٍ﴾: قال الزمخشري، وتبعه البيضاوي: قرئ بالحركات الثلاث، فالجر على أنه صفة (الخمر)، والرفع على أنه صفة (الأنهار)، والنصب على أنه مفعول لأجله. ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿لَّذَّةٍ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾: معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله بلا فارق.

﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بمحذوف صفة مبتدأ محذوف، التقدير: ولهم فيها أصناف من كل الثمرات. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مِن﴾ صلة، و﴿كُلِّ﴾ مبتدأ مؤخراً، فهو مجرور لفظاً مرفوع محلاً، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. وإن اعتبرتها معطوفة على ما قبلها؛ فلا محلَّ لها. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: معطوف على المبتدأ في الجملة السابقة على الاعتبارين فيه؛ أي: المقدار، أو المذكور. ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: متعلقان بـ: (مغفرة)، أو بمحذوف صفة له، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. هذا؛ وأجيز اعتبار (مغفرة) مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: ولهم مغفرة، فيكون العطف عطف جملة اسمية على مثلها.

﴿كَمَنْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أيضاً، التقدير: أمن هو في هذا النعيم كمن... إلخ. انتهى. جلال. وقدره الكواشي: أمثل هذا الجزاء الموصوف كمثل جزاء من هو خالد في النار؟! وهو مأخوذ من اللفظ فهو أحسن. وقيل: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ مبتدأ خبره: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي النَّارِ﴾ وما بينهما اعتراض. وقال أبو البقاء: الكاف في موضع رفع؛ أي: حالهم كحال من

هو خالد في الإقامة الدائمة. وقيل: هو في موضع نصب؛ أي: يشبهون من هو خالد فيما ذكرناه. وكلا القولين لم يقل بهما أحد، وقد أغرب القرطبي حيث قال: ﴿كَمَنْ﴾ بدل من قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾. ولو قال: بدل من قوله: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ لكان أقرب إلى الصواب.

﴿هُوَ خَٰلِدٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محلَّ لها. ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدٌ﴾ لأنه اسم فاعل؛ لذا فاعله مستتر فيه. ﴿وَسُقُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (سقوا): فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول؛ ﴿مَآءً﴾: مفعول به ثانٍ. ﴿حَمِيمًا﴾: صفة: ﴿مَآءً﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها. ﴿فَقَطَّعَ﴾: الفاء: حرف عطف. (قطع): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَآءً﴾. ﴿أَمْعَآءَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي من جملة الصلة، فهو عطف صلة فعلية على صلة اسمية، وفي المعطوف مراعاة معنى (من) وفي المعطوفة عليه مراعاة لفظها.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ أي: من هؤلاء الذين يتمتعون، ويأكلون، كما تأكل الأنعام، وزُين لهم سوء عملهم قوم يستمعون إليك، وهم المنافقون، كانوا يحضرون الخطبة يوم الجمعة، فإذا سمعوا ذكر المنافقين فيها؛ أعرضوا عنه، فإذا خرجوا؛ سألوا عنه. قاله الكلبي، ومقاتل. وقيل: كانوا يحضرون عند رسول الله ﷺ مع المؤمنين، فيستمعون منه ما يقول، فيعيه المؤمن، ولا يعيه الكافر. انتهى. قرطبي. والخطاب للنبي ﷺ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ﴾ أي: إذا فارقوا مجلسك. ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أي: لعلماء الصحابة ـ منهم: ابن مسعود، وابن عباس ـ استهزاءً، وسخريةً. ﴿مَاذَا قَالَ﴾ أي: الرسول ﷺ؟ ﴿ءَانِفًا﴾: يقرأ بمد الهمزة، وقصرها لغتان بمعنى واحد، وهما اسما فاعل، كحاذِر وحذِر، وآسِن، وأَسِن؛ إلَّا أنه لم يستعمل لهما فعل مجرد، بل المستعمل: ائتنف، يأتنف، واستأنف، يستأنف. والائتناف، والاستئناف: الابتداء، قال الزجاج: هو مِن: استأنفت الشيء: إذا ابتدرته، ومعنى: ﴿ءَانِفًا﴾: سالفاً. أو المعنى: ماذا قال في أول وقت يقرب منا.

هذا؛ وأنِف الثلاثي بمعنى: كره الشيء، وأنِف من العار: ترفع، وتنزه عنه. ومنه: أمر أُنُف، وروضة أُنُف؛ أي: لم يرعها أحد. وكأس أُنُف؛ إذا لم يشرب منها شيء. قال لقيط بن زرارة: [الرجز]

إنَّ الشِّواءَ والنشيلَ والرُّغُفْ والقينةَ الْحَسْناءَ والكأسَ الأُنُفْ

وَأَنْف كل شيء: أوله، بل وأعلاه، قال الحطيئة في مدح آل بغيض بن شماس: [البسيط]

قَـومٌ هـمُ الأَنْـفُ والأذنـابُ غـيـرهـم ... ومَـنْ يُـسَـاوِي بـأنْـفِ الـنَّـاقَـةِ الـذَّنَـبَـا؟!

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الموصوفون بما ذكر، وهم المنافقون. ﴿ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ المعنى: ختم عليها؛ إذ الطبع الختم، وهو التأثير في الطين، ونحوه، فاستعير هنا لعدم فهم القلوب ما يُلْقَى عليها، وإذا طبع على قلب إنسان؛ فلا تؤثر فيه حينئذ الموعظة، ولا تجدي معه النصيحة. قال تعالى في كثير من الآيات: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ والطبع: السجية، والخلق الذي طبع عليه الإنسان، والطبيعة مثله، وجمع الأول: طباع، وجمع الثاني: طبائع. هذا؛ والطبع: تدنس العرض، وتلطخه. يقال: طبع السيف: إذا دخله الجرب من شدة الصدأ، وطبع الرجل، فهو طبع: إذا أتى عيباً، يقال: نعوذ بالله من طمع؛ يدني إلى طَبَع؛ أي: إلى دنس. قال ثابت بن قطنة: [البسيط]

لَا خَـيْـرَ فـي طَـمَـعٍ يُـدْنـي إِلَـى طَـبَـعٍ ... وَغُـفَّـةٌ مِـنْ قَـوَامِ الْـعَـيْـشِ تَـكْـفِـيـنِـي

هذا؛ وقال قتادة في هؤلاء المنافقين: الناس رجلان: رجل عقل عن الله، فانتفع بما سمع، ورجل لم يعقل، ولم ينتفع بما سمع. وكان يقال: الناس ثلاثة: فسامع عامل، وسامع عاقل، وسامع غافل تارك. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٢]. هذا؛ وقد رُوْعِيَ لفظ ﴿مَّن﴾ في فاعل يستمع ومعناها في الضمائر الباقية في الآية. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمِنْهُم﴾: الواو: حرف استئناف. (منهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. هذا هو الإعراب الظاهر، والمتعارف عليه في مثل هذا التركيب، والأصح: أنَّ مضمون الجار والمجرور: (منهم) مبتدأ، و﴿مَّن﴾ هي الخبر؛ لأنَّ (مِنْ) الجارة دالة على التبعيض؛ أي: فبعض المنافقين يستمع إليك، وجمع الضمير يؤيد ذلك، ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ، يرشدك إلى ذلك قوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١١٠]: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ فعطف: (أكثرهم) على ﴿مِّنْهُمُ﴾ يؤيد: أن معناه: بعضهم، وخذ قول الحماسي: [الكامل]

مِـنْـهُـمْ لُـيُـوثٌ لَا تُـرَامُ وَبَـعْـضُـهُـمْ ... مِـمَّـا قَـمِـشْـتَ وَضَـم حَـبْـلُ الـحَـاطِـبِ

حيث قابل لفظ: «منهم» بما هو مبتدأ، أعني لفظة «بعضهم» وهذا مما يدل على أن مضمون «منهم» مبتدأ. هذا؛ وليوث: جمع ليث، وهو السبع. لا ترام: لا تقصد، قمِشت: جمعت من هنا، وهناك، والمراد: رذالة الناس، والقمش: الرديء من كل شيء. ﴿يَسْتَمِعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿مَّن﴾، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَّن﴾، أو صفتها على اعتبارها نكرة موصوفة. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿مَّن...﴾ إلخ، مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء، ويعتبرها الأخفش جارة لـ: ﴿إِذَا﴾ وهو ضعيف. ﴿إِذَا﴾:

انظر الآية رقم [٤]. ﴿خَرَجُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿مِنْ عِندِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿قَالُواْ﴾: ماض، وفاعله. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أُوتُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿الْعِلْمَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها.

﴿مَاذَا﴾: (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى النبي ﷺ. ﴿ءَانِفًا﴾: فيه وجهان: أحدهما: أنه منصوب على الحال، فقدره أبو البقاء: ماذا قال موئنفاً؟ وقدره غيره مبتدئاً. والثاني: أنه منصوب على الظرف؛ أي: ماذا قال الساعة؟ قاله الزمخشري، وأنكره الشيخ. قال: لأنا لم نعلم أحداً عَدَّهُ من الظروف. انتهى. جمل. والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها، والعائد محذوف، التقدير: ما الذي قاله آنفاً؟ والجملة الاسمية هذه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ، جواب: ﴿إِذَا﴾، لا محلَّ لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ له.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿طَبَعَ اللَّهُ﴾: ماض، وفاعله. ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَاتَّبَعُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (اتبعوا): ماض، وفاعله. ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ﴾ أي: والذين قصدوا الهداية؛ وفقهم الله تعالى لها، فهداهم إليها، وثبتهم عليها، وزادهم منها. ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ أي: ألهمهم رشدهم، وأعطاهم ثواب أعمالهم الصالحة. قال الخازن: ـ رحمه الله تعالى ـ: لما بين الله: أن المنافق يسمع، ولا ينتفع، بل هو مصر على متابعة الهوى؛ بيَّن حال المؤمن المهتدي؛ الذي ينتفع بما يسمع، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ﴾ بهداية الله إياهم إلى الإيمان.

هذا؛ والفعل «زاد» ضد نقص، يكون لازماً، كقولك: زاد المال درهماً، ويكون متعدياً لمفعولين، كما في هذه الآية، وقولك: زاد الله خالداً خيراً بمعنى: جزاه الله خيراً، وأما قولك: زاد المال درهماً، والبر مداً، فدرهماً، ومداً تمييز، ومثله قُلْ في: نقص، فمن المتعدي لمفعولين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾.

أما ﴿هُدَى﴾ فأصله: هدياً، أو هديٌ بضم الهاء وفتح الدال، وتحريك الياء منونة، فقلبت الياء ألفاً؛ لتحركها، وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان: الألف والتنوين، الذي يرسم ألفاً في حالة النصب بحسب الأصل، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار: ﴿هُدَى﴾ وإنما أتوا بياء أخرى لتدل على الياء الأصلية المحذوفة، بخلاف ما إذا لم يأتوا بها، وقالوا: هُداً فلا يوجد ما يدلُّ عليها، وقُل مثل هذا في كل اسم مقصور جرّد من: «أل» والإضافة، ونون.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): مبتدأ. ﴿اهْتَدَوْا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿زَادَهُمْ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به أول، والفاعل تقديره: «هو»، يعود إلى (الله). ﴿هُدَى﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة... إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَآتَاهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (آتاهم): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الله أيضاً، والهاء مفعول به أول، ﴿تَقْوَاهُمْ﴾: مفعول به ثان منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ 

الشرح: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ يعني: الكافرين، والمنافقين الذين قعدوا عن الإيمان بالله، ورسوله، وكتابه، فلم يؤمنوا، فالساعة تأتيهم بغتة تفجؤهم، وهم على كفرهم، ونفاقهم. فيه وعيد، وتهديد، والمعنى: لا ينتظرون إلَّا الساعة، والساعة آتية لا محالة. وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦١ و٦٦] من سورة (الزخرف) وخذ ما يلي:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَادِرُوا بالأعمالِ سبْعاً: فهل تنتظرونَ إلَّا فَقْراً مُنْسِياً، أوْ غِنىً مُطْغِياً، أو مَرَضاً مُفْسِداً، أو هرَماً مُقْعِداً، أوْ موتاً مجهزاً، أو الدجَّالَ؛ فشرُّ غائبٍ يُنْتَظَرُ، أو الساعةَ؛ والساعةُ أدْهَى وأَمَرُّ**». أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن. هذا؛ والبغت: الفجأة، قال الشاعر: [الطويل]

وَلَكِنَّهُمْ بَانُوا ولم أدرِ بَغْتَةً ... وأعظمُ شيءٍ حينَ يفجؤُكَ الْبَغْتُ

﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: أماراتها، وعلاماتها، واحدها: شَرَط، وأصله: الأعلام، ومنه قيل: الشُّرَط؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها، ومنه الشَّرْط في البيع، وغيره، قال أبو الأسود الدؤلي: [الطويل]

فَـإِنْ كُـنْـتِ قَـدْ أَزْمَـعْـتِ بـالـصُّـرْم بـيْـنـنـا فَـقَـدْ جَـعَـلَـتْ أشـراطُ أَوَّلِـهِ تَـبْـدو

ولما كان قيام الساعة أمراً مستبطأ في النفوس، وقد قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ فكأن قائلاً قال: متى يكون قيام الساعة؟ فقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ومن أشراط الساعة: انشقاق القمر، وبعثة الرسول ﷺ، كما رأيت في الآية رقم [١٧] من سورة (الشورى) وخذ ما يلي:

فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال عند قرب وفاته: ألا أحدثكم حديثاً عن النبي ﷺ؛ لا يحدثكم به أحد غيري، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تَقُومُ السّاعةُ، أَوْ قَالَ: مِنْ أَشْراطِ السَّاعَة أن يُرْفَعَ الْعِلْمُ، ويَظْهَرَ الجهلُ، ويُشربَ الخمرُ، ويَفشُوَ الزنىٰ، ويذهبَ الرجالُ، ويبقى النساءُ حتَّى يكونَ لِخمسِينَ امرأةً قَيِّمٌ**». متفق عليه. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مِنْ أَشْراطِ السَّاعَةِ أَنْ يَتَقارَبَ الزمانُ، وينقُصَ العلمُ، وتظْهَرَ الفتنُ، ويَبْقَى الشحُّ، ويَكْثُرَ الهرجُ**». قالوا: وما الهرج؟ قال: «**القتلُ**». متفق عليه.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بينا رسول الله ﷺ في مجلس يحدِّث القوم؛ إذ جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه؛ قال: «**أينَ السائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟**». قال: ها أنذا يا رسولَ الله قال: «**إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ؛ فانتَظِرِ السَّاعَةَ**». قال: وكَيْفَ إضَاعَتُها؟ قال: «**إذا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غيرِ أهلِهِ؛ فانتظرِ السَّاعَةَ**». رواه البخاري. هذا؛ ويروى عن الكلبي: أنه قال: كثرة المال، والتجارة، وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وقلة الكرام، وكثرة اللئام.

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ يعني: فمن أين لهم التذكر، والاتعاظ، والتوبة إذا جاءتهم الساعة بغتة؟! وقيل: معناه كيف يكون حالهم إذا جاءتهم الساعة بغتة؟! فلا تنفعهم الذكرى، ولا تقبل منهم التوبة، ولا يعتدّ بالإيمان في ذلك الوقت. انتهى. خازن، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (الفجر): ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾. هذا؛ وقرئ: (إن) بكسر الهمزة أيضاً على اعتبارها شرطية، وعليه فالوقف على (الساعة) تام. وانظر الإعراب. والله الموفق للحق، والصواب.

الإعراب: ﴿فَهَلْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام بمعنى النفي. ﴿يَنظُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَأْتِيَهُم﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن»، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب بدل اشتمال من: ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾. ﴿بَغْتَةً﴾: حال بمعنى: باغتة، أو هو مفعول مطلق، وانظر تفصيل ذلك في الآية رقم [٦٦] من سورة (الزخرف). هذا؛ وعلى اعتبار

(إن) شرطية، فالفعل: ﴿تَأْتِيَهُم﴾ شرطها، وهو مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، وعليه؛ فالجملة لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: حرف تعليل. (قد): حرف تحقيق يقرّب الماضي من الحال. ﴿جَآءَ﴾: ماض. ﴿أَشْرَاطُهَا﴾: فاعله، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها تعليلية.

﴿فَأَنَّىٰ﴾: الفاء: حرف استئناف على اعتبار (أنْ) مصدرية، وواقعة في جواب: (إن) على اعتبارها شرطية. (أنَّى): اسم استفهام بمعنى: كيف، أو بمعنى: من أين، فهو مبني على السكون في محل رفع خبر مقدم. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالمصدر: ﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال منه. ﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وأجيز تعليق: ﴿لَهُمْ﴾ بمحذوف خبر (أنّىٰ) على اعتباره مبتدأ، واعتبار (أنْ) مصدرية، وفي محل جزم جوابها على اعتبارها شرطية. هذا؛ وقال السمين: ويجوز أن يكون المبتدأ محذوفاً؛ أي: أنَّى لهم الخلاص؟ ويكون ذكراهم فاعلاً بـ: ﴿جَآءَتْهُمْ﴾ ولا تَنسَ أنَّ (إذا)، ومدخولها كلام معترض، وجوابها محذوف، التقدير: كيف لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؛ فكيف يتذكرون؟

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، وأورد على هذا: أنه ﷺ كان عالماً بالله، وأنه لا إله إلا هو؛ فما فائدة هذا الأمر؟ وأجيب عنه: بأن معناه: دم على ما أنت عليه من العلم. فهو كقول القائل للجالس: اجلس؛ أي: دم على ما أنت عليه من الجلوس، أو يكون معناه: ازدد علماً إلى علمك. وقيل: إن هذا الخطاب، وإن كان للنبي ﷺ، فالمراد به غيره من أمته. انتهى. خازن.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: يحتمل وجهين: أحدهما: يعني: استغفر الله أن يقع منك ذنب. الثاني: استغفر الله ليعصمك من الذنوب. انتهى. أقول: وعليه فالمعنى عليها استعذ بالله، واعتصم به، والتجئ إليه. وقيل: لما ذكر له حال الكافرين، والمؤمنين أمره بالثبات على الإيمان؛ أي: اثبت على ما أنت عليه من التوحيد، والإخلاص، والحذر عمَّا تحتاج معه إلى استغفار. وقيل: كان ﷺ يضيق صدره من كفر الكافرين، والمنافقين، فنزلت الآية: أي فاعلم: أنه لا كاشف يكشف ما بك إلَّا الله، فلا تعلق قلبك بأحد سواه. وقيل: أمر بالاستغفار؛ لتقتدي به الأمة. وقيل: الخطاب له، والمراد به الأمة. انظر ما

ذكرته في الآية رقم [١٠٦] من سورة (النساء)، وفي الآية رقم [٤٣] من سورة (التوبة) من جواب للرد على من يرى جواز صدور الذنب من النبي ﷺ، وانظر أول سورة (الفتح) الآتية.

ولا يفوتني أن أذكر: أن الرسول ﷺ كان يكثر من الاستغفار تعليماً لأمته، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ، وأتوبُ إِلَيْهِ في اليوم سبعينَ مَرَّةً**». رواه البخاري، وفي رواية: «**أكثر من سبعين مرة**». وفي الصحيح أيضاً: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهمَّ اغفرْ لِي خطيئتي، وجهْلي، وإسرافي في أمْري، وما أنتَ أعْلَمُ بِهِ مِنّي! اللَّهُمَّ اغفرْ لِي هزلي، وجدِّي، وخطئي، وعمدي! وكل ذلك عندي**»، وفي الصحيح أيضاً أنه كان يقول في آخر الصلاة: «**اللهمَّ اغفرْ لِي ما قَدَّمْتُ، وما أخرت، ومَا أسرَرْتُ، وما أعلَنْتُ، وما أسرَفْتُ، وما أنتَ أعْلَمُ بِهِ مني، أنتَ إلهِي، لا إلهَ إلَّا أنتَ**». ولا تنسَ أن في أمر النبي ﷺ بالاستغفار للمؤمنين والمؤمِنَات إكراماً لهم.

وكان ﷺ يحثُّ أصحابه على الاستغفار، وهو تعليم لأمته إلى يوم القيامة، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أَدُلكمْ عَلَى دائِكُمْ ودوائِكُمْ، أَلَا إِنَّ دَاءَكُمُ الذنوبُ، ودَوَاءكُمُ الاسْتِغْفَارُ**». رواه البيهقي. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جعلَ الله لهُ من كُلِّ همٍّ فَرَجاً، ومِن كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، ورزقهُ من حيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**». رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وغير ذلك كثير.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ أي: يعلم تصرفكم في نهاركم، ومستقركم في ليلكم، كقوله تعالى في سورة (الأنعام) رقم [٦٠]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ وقوله تعالى في سورة (هود) رقم [٦]: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ وهذا القول هو اختيار ابن جرير، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: متقلبكم في الدنيا، ومثواكم في الدنيا والآخرة. وقال السدي: متقلبكم في الدنيا، ومثواكم في قبوركم. وقيل: متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، وبطونهن، ومثواكم في الدنيا، وفي القبور. والمعنى: أنه تعالى عالم بجميع أحوالكم، فلا يخفى عليه شيء منها، وإن دقَّ وخفي.

هذا؛ و(مثواكم) بمعنى: مقركم، ومقامكم، وهو مشتق من ثوى بالمكان: إذا أقام به، يَثْوي ثَواءً، وَثوياً، مثل مضى، يمضي، مضاءً، ومُضِيّاً، ولو كان من: أثوى؛ لكان: مُثْوىً، وهذا يدلُّ على أن ثوى هي اللغة الفصيحة، وحكى أبو عبيد أثوى، وأنشد قول الأعشى من قصيدته التي نظمها في مدح النبي ﷺ: [الكامل]

أثـوى وقَـصَّـر لـيـلـةً لِـيُـزَوَّدَا ... وَمَـضَـى وأخْـلَـفَ مِـنْ قُـتَـيْـلَـةَ مَـوْعِـدَا

والأصمعي لا يعرف إلا ثَوَى، ويروي البيت (أَثَوَى) على الاستفهام. وأثويت غيري يتعدى، ولا يتعدى. هذا؛ ومثوى بمعنى مأوى، والفرق بينهما: أن المثوى مكان الإقامة المنبئة

عن المكث، وأما المأوى فهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان، ولو مؤقتاً، وقدم المأوى على المثوى في قوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١٥١]: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ لأنه على الترتيب الوجودي، يأوي، ثم يثوي.

الإعراب: ﴿فَٱعْلَمْ﴾: الفاء: حرف استئناف، وقيل: الفصيحة، ولا وجه له. (اعلم): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ انظر إعرابها في الآية رقم [٨] من سورة الدخان، والجملة الاسمية في محل خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سدَّ مسدَّ مفعولي (اعلم)، وجملة: (اعلم. . .) إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿لِذَنۢبِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما. ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من كاف الخطاب، وما عطف عليه؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير. ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: مفعول به. ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف فيهما في محل جر بالإضافة.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾

الشرح: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ﴾ أي: يقول المؤمنون الصادقون المخلصون: هلا. . .إلخ، وذلك أن المؤمنين كانوا حراصاً على الجهاد في سبيل الله، فقالوا: هلَّا أنزلت سورة تأمرنا بالجهاد لكي نجاهد. ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ أي: لا نسخ فيها. قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد، فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين. وقيل لها: محكمة؛ لأن النسخ لا يرد عليها من قِبَل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح، والمهادنة، وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة. ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ﴾ أي: فُرِضَ فيها الجهاد، وشجعت عليه، ووعدت بالثواب العظيم للمجاهدين الصابرين. ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك، ونفاق، فهو يمرض قلوبهم؛ أي: يضعفها، وذلك بضعف الإيمان فيها، والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن، فيخرجه عن الاعتدال اللائق به، ويوجب الخلل في أفعاله، وقد يؤدي إلى الموت واستعير هنا لما في

قلوبهم من الجهل، وفساد العقيدة. ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: نظر مغموصين مغتاظين بتحديد، وتحديق، كمن يشخص بصره عند الموت، وذلك لجبنهم عن القتال جزعاً، وهلعاً ولميلهم في السرِّ إلى الكفار. ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾: فيه وعيد، وتهديد، وهو معنى قولهم في التهديد: ويلك! وقاربك ما تكره! قال الشاعر: [الوافر]

فَأَوْلَى ثمَّ أَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى وهلْ لِلدَّرِّ يُحْلَبُ مِنْ مَرَدِّ؟!

قال الأصمعي: معناه: قاربه ما يهلكه؛ أي: نزل به، وأنشد: [الوافر]

فَعَادَى بَيْنَ هَادِيَتَيْنِ مِنهَا وَأَوْلَى أَنْ يَزِيدَ عَلَى الثَّلاثِ

وانظر الشاهد رقم [٦٩٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». وما يتعلق به. وانظر ما ذكرته في سورة (القيامة) رقم [٣٤]. هذا؛ والمراد بـ: ﴿سُورَةٌ﴾ في هذه الآية: الطائفة من القرآن؛ التي أقلها ثلاث آيات، منقولة من: سور المدينة؛ لأنها محيطة بطائفة من القرآن، محتوية على أنواع من العلم، احتواء سور المدينة على ما فيها، أو من السَّوْرة، وهي الرتبة؛ لأنَّ السور كالمراتب، والمنازل، يرتقي فيها القارئ، ولها مراتب في الطول، والقصر، والفضل، والشرف، وثواب القراءة. قال النابغة في مدح النعمان بن المنذر: [الطويل]

ألم تَرَ أنَّ الله أعطاك سورة ترى كلَّ مَلْكٍ دونها يتذبذبُ

والحكمة في تفصيل القرآن، وتقطيعه سوراً كثيرة: منها: أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع، واشتمل على أصناف؛ كان أحسن من أن يكون بياناً واحداً. ومنها أن القارئ إذا ختم سورة، ثم أخذ في أخرى كان أنشط له، وأبعث على القراءة منه، لو استمرَّ على القرآن بطوله، ومن ثَمَّ جُزِّئ القرآن أسباعاً، وأجزاءً، وعشوراً، وأخماساً. ومنها: أن الحافظ إذا حفظ سورة، اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها، لها فاتحة، وخاتمة، فيعظم عنده ما حفظه، ويجلُّ في نفسه، ومنه حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ: **«كان الرجلُ إذا قرأ البقرة، وآلَ عمرانَ جَلَّ فينَا»** أي: عظم. ولذا أنزل الله التوراة، والإنجيل، والزبور، وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه مسورة مترجمة السور، وبوب المصنّفون في كل فنّ من كتبهم أبواباً موشحةَ الصُّدور بالتراجم. انتهى. نسفي في غير هذه السورة بتصرف كبير مني.

الإعراب: ﴿وَيَقُولُ﴾: الواو: حرف استئناف. (يقول): فعل مضارع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿ءَامَنُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض، بمعنى هلَّا. ﴿نُزِّلَتْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث حرف لا محلَّ له. ﴿سُورَةٌ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: (يقول...) إلخ مستأنفة. ﴿فَإِذَآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا):

انظر الآية رقم [٤]. ﴿أُنزِلَتْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿سُورَةٌ﴾: نائب فاعل. ﴿مُّحْكَمَةٌ﴾: صفة له، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿وَذُكِرَ﴾: الواو: حرف عطف. (ذكر): ماض مبني للمجهول. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿الْقِتَالُ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿رَأَيْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿فِي قُلُوبِهِم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّرَضٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها. هذا؛ وإن اعتبرت الجار والمجرور: ﴿فِي قُلُوبِهِم﴾ متعلقين بمحذوف صلة الموصول، و﴿مَّرَضٌ﴾ فاعلاً متعلق الجار والمجرور؛ فهو وجه صحيح، لا غبار عليه.

﴿يَنظُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الاسم الموصول، والرابط: الضمير فقط. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿رَأَيْتَ...﴾ إلخ، جواب (إذا)، لا محلَّ لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ له. ﴿نَظَرَ﴾: مفعول مطلق مبيِّن للنوع، وهو مضاف، و﴿الْمَغْشِيِّ﴾ مضاف إليه، وهناك محذوفان؛ إذ التقدير: ينظرون نظراً مثل نظر المغشي. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (المغشيِّ)، أو هما في محل رفع نائب فاعله؛ لأنه اسم مفعول. ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾: متعلقان بـ: (المغشيِّ).

﴿فَأَوْلَى﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع. (أولى): فعل ماض، أو اسم فعل ماض. قاله الأصمعي، والمبرد، معناه: قربه ما يهلكه، وفاعله مضمر يدل عليه السياق، كأنه قيل: فأولى هو. وقد ارتضى هذا الرأي ثعلب، فقال: لم يقل أحد في (أولى) أحسن مما قاله الأصمعي. والأكثرون: أنها اسم، وعليه في إعرابه أوجه: أحدها: أنه مبتدأ، خبره الجار والمجرور، التقدير: فالهلاك لهم. والثاني: أنه خبر مبتدأ مضمر، تقديره: العقاب، أو الهلاك أولى لهم. والثالث: أنه مبتدأ، و﴿لَهُمْ﴾ متعلقان به، واللام بمعنى الباء، و(طاعة) خبره، والتقدير: فأولى بهم طاعة دون غيرها. انتهى. سمين والجملة على الاعتبارين: الفعلية، والاسمية معطوفة على جواب: (إذا)، لا محلَّ لها مثله.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿طَاعَةٌ﴾ أي: الطاعة، والامتثال لما يأمر الله به، والانصياع لما يطلب منهم خير لهم، وأجمل بهم، وأليق من المخالفة لأمر الله تعالى، وعدم الانصياع لأوامر الرسول ﷺ. ﴿وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: كلام جميل، ولطيف، واعتذار مقبول كذلك خير لهم، وأولى

بهم. ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: جدّ القتال، أو وجب فرض القتال؛ كرهوه، وأمر الله ورسوله به؛ تبرموا به وأعرضوا عنه. وانظر ﴿عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ في الآية رقم [٤٣] من سورة (الشورى). ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: فيما زعموا من الحرص على الجهاد، أو: فلو صدقوا في إيمانهم، ووافقت قلوبهم فيه ألسنتهم. ومعنى الآية، وسابقتها: أن المؤمنين تمنوا شرعية الجهاد، فلما فرضه الله، وأمر به، نكل عنه كثير من الناس، وهم المنافقون؛ الذين يجبنون عند ملاقاة الأعداء، فهو كقوله عزَّ وجل في سورة (النساء) رقم [٧٧]: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿طَاعَةٌ﴾: فيه أوجه: أحدها: أنه خبر: (أولى) على ما تقدم، الثاني: أنه صفة لـ: ﴿سُورَةٌ﴾ ذكره مكي، وأبو البقاء. وفيه بعد لكثرة الفواصل. الثالث: أنه مبتدأ، و(قول) عطف عليه، والخبر محذوف، تقديره: أمثل بكم من غيرهما. وقدره مكي: منَّا طاعة، فقدره مقدماً. الرابع: أن يكون خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أمرنا طاعة. الخامس: أن ﴿لَهُمْ﴾ خبر مقدم، و﴿طَاعَةٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والوقف، والابتداء يعرفان مما قدمته، فتأمل. انتهى. جمل نقلاً من السمين. ﴿مَّعْرُوفٌ﴾: صفة: (قول). ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٤]. ﴿عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها، وجوابها محذوف، قدره القرطبي: فكرهوه، وقدره أبو البقاء: فإذا عزم الأمر؛ فاصدق. وقيل: جوابها قوله: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ﴾ نحو قولك: إذا جاءني طعام فلو جئتني؛ أطعمتك.

﴿فَلَوْ﴾: الفاء: حرف عطف على تقدير جواب (إذا) محذوفاً، وواقعة في جواب: (إذا) على اعتبار (لو) ومدخولها جواباً لها. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿صَدَقُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَكَانَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (كان): فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الصدق المفهوم من: ﴿صَدَقُواْ﴾. ﴿خَيْرًا﴾: خبر (كان). ﴿لَّهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَيْرًا﴾، وجملة: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ جواب (لو)، لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام لا محلَّ له على الوجهين المعتبرين في الفاء. تأمَّل، وتدبَّر، وربك أعلم.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾: يقرأ هنا وفي سورة (البقرة) رقم [٢٤٦] بكسر السين، وفتحها، والاستفهام بـ: (هل) هنا للتقرير. قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: «عسى» طمع،

وترج، وتوقع، وذلك على الله محال؛ لأنه تعالى عالم بكل شيء، فما معناه؟ قلت: قال بعضهم: معناه: يفعل بكم فعل المترجي المبتلي. وقال بعضهم: معناه كل من ينظر إليهم يتوقع منهم ذلك. هذا؛ ولعل، وعسى، وسوف في مواعيد الملوك البشرية كالجزم بها، وإنما يطلقونها إظهاراً لوقارهم، وإشعاراً بأن الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم، وعليه يجري وعد الله، ووعيده، بل هو أولى، وآكد إن شاء الله تعالى. ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ أي: أعرضتم عن سماع القرآن، وفارقتم أحكامه ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وتعودوا إلى جاهليتكم. وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله، ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟! وقيل: هو من الولاية، وعليه فالمعنى: فهل عسيتم إن توليتم الحُكْمَ، فجعلتم حكاماً أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشا، والظلم، والمعاصي، وقطع الأرحام. وعن يعقوب: ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ أي: إن تولاكم ظلمةٌ؛ خرجتم معهم، وساعدتموهم في الإفساد، وقطيعة الرحم، وهذا على قراءة الفعل بالبناء للمجهول، وقد قرأ بها علي ـ رضي الله عنه ـ.

هذا؛ و(الأرحام) جمع: رحم، وهو كل من يمتّ إليك بصلة القرابة من جهة الأب، أو الأم، وقد أكد الله حقها بهاتين الآيتين، والرسول ﷺ رغّب في صلة الرحم، وحذّر من قطعها، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله خَلَقَ الخَلْقَ؛ حتى إذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فقالَتْ: هَذَا مقامُ العائذِ بك مِنَ القطيعَةِ، قالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وأقطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى! قال: فَذَاكَ لَكِ! ثُمَّ قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ...﴾ إلخ الآيتين**». رواه البخاري ومسلم.

والمعنى والله أعلم: أنَّ الرحم لو كانت إنساناً يتكلم؛ لقال: يا رب! هذا مقام العائذ بك من القطيعة! كما أنه لا يبعد أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش، وتكلم على لسانها بذلك بأمر الله تعالى. وسواء أكانت الرحم تستجير بالله من قطيعتها على لسان الملائكة أو بلسان الحال الذي هو أبلغ من لسان المقال في كثير من الأحوال، فإن المراد توجيه النفوس إلى مكانة ذوي الأرحام، والقيام بواجبها من البر، والصلة، والود، والوفاء، والحب، والمعاونة، وأنها عند الله تعالى بمكان عظيم؛ حيث استجارت به من القطيعة؛ التي يترتب عليها الحقد، والحسد، والعداوة، والبغضاء، والفساد في الأرض، كما هو مشاهد في بعض الأسر؛ التي مُزِّقت فيها أواصر الرحم المقدسة.

الإعراب: ﴿فَهَلۡ﴾: الفاء: حرف استئناف. (هل): حرف استفهام. ﴿عَسَيۡتُمۡ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، ومتعلقه محذوف، كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب

الشرط محذوف، لدلالة ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ عليه، أو هو نفس: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ عند من يرى تقديمه، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تُفْسِدُواْ﴾ في محل نصب خبر (عسى)، ولا بُدَّ من تحويل المصدر إلى اسم فاعل «مفسدين»؛ لأن المصدر لا يخبر به عن الجثة، والجملة الشرطية معترضة بين اسم: (عسى) وخبرها، ومثل هذه الآية في إعرابها الآية رقم [٢٤٦] من سورة (البقرة). ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (تقطعوا): معطوف على: ﴿تُفْسِدُواْ﴾، فهو منصوب مثله، وعلامة نصبهما حذف النون؛ لأنهما من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. ﴿أَرْحَامَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿عَسَيْتُمْ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى الذين قطعوا أرحامهم. ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: طردهم من رحمته، وحرمهم من جوده، وفضله، وإحسانه. ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ أي: أذهب سمعهم. فلم يقل جلّت قدرته: فأصم آذانهم، كما قال: وأعمى أبصارهم، ولم يقل: وأعماهم؛ لأنه لا يلزم من ذهاب الأذن ذهاب السماع، فلم يتعرض لها، والأعين يلزم من ذهابها ذهاب الأبصار، ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ أي: عن الحق. ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ أي: عن الحق، وأبعدهم عن الخير، فأتبع الله الأخبار بأن من فعل ذلك؛ حقّت عليه لعنته، وسلبه الانتفاع بسمعه، وبصره؛ حتى لا ينقاد للحق، وإن سمعه بأذنه، ورآه بعينه، فجعله كالبهيمة؛ التي لا تعقل، قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٨]: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وقال جلَّ ذكره في سورة (الأعراف) رقم [١٧٩]: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ...﴾ إلخ.

هذا؛ وعن عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عزَّ وجل: «**أَنَا الله، وأَنَا الرحمن، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْماً مِن اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا؛ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَها؛ قَطَعْتُهُ، أو قَالَ: بَتَتُّهُ**». رواه أبو داود، والترمذي. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**». رواه البخاري. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي؛ وَصَلَهُ الله، وَمَنْ قَطَعَنِي؛ قَطَعَهُ الله**». رواه البخاري، ومسلم. واللفظ له. وعن أبي بَكْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرَ أَنْ يُعَجِّلَ الله لِصَاحِبِه العقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُهُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ، وَقطيعةِ الرَّحِمِ**». رواه ابن ماجه، والترمذي؛ وقال: حديث حسن صحيح، والأحاديث في «الترغيب والترهيب» في ذلك كثيرة مشهورة ومسطورة.

هذا؛ ولقد كرَّر الله لعن الكافرين في الآية رقم [١٦١] من سورة (البقرة)، كما لعن الظالمين، والكاذبين، والناقضين للعهد، والميثاق في آيات متفرقة، وهو دليل قاطع على أن من مات على كفره، فقد استحق اللعن من الله، والملائكة، والناس أجمعين، وأمَّا الأحياء من الكفار؛ فقد قال العلماء: لا يجوز لعن كافر معين؛ لأنَّ حاله لا يعلم عند الوفاة، فلعله يؤمن، ويموت على الإيمان، وقد قيد الله في آية البقرة إطلاق اللعنة على من مات على الكفر، ويجوز لعن الكفار جملة بدون تعيين، كما في قولك: لعن الله الكافرين، يدلُّ عليه قول النبي ﷺ: «**لَعَنَ الله اليهودَ حُرِّمَتْ عليهم الشحُومُ، فجمَّلُوهَا، وَبَاعُوها**».

وذهب بعضهم إلى جواز لعن إنسان معين من الكفار، بدليل جواز قتاله، وهو الصحيح، كيف لا؟ وقد لعن حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أبا سفيان وزوجه هنداً قبل أن يسلما في شعره، ولم ينكر عليه النبي ﷺ خذ قوله: [الكامل]

لَعَنَ الإلَهُ وَزَوْجَهَا مَعَهَا هِنْدَ الهنود طويلةَ البَظْرِ

وقد لعن الفاروق ـ رضي الله عنه ـ أبا سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور السلمي، وغيرهم؛ الذين قدموا المدينة المنورة بعد غزوة أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم جماعة من المنافقين، وقالوا للنبي ﷺ: ارفض ذكر آلهتنا بسوء، وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك! فشق ذلك على سيد الخلق، وحبيب الحق، فقال الفاروق: يا رسول الله! ائذن لي في قتلهم، فقال: «**إني أعطيتهم الأمان!**». فقال الفاروق ـ رضي الله عنه ـ: اخرجوا في لعنة الله، وغضبه، ولم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك، كيف لا؟ وآية النور رقم [٧] تأمر المسلم أن يلعن نفسه إن كان من الكاذبين، والرسول ﷺ لعن عبد الله بن أبي ابن سلول وبني قينقاع لمَّا تشفع فيهم، وألحَّ عليه، فقال ﷺ: «**خَلّوهُمْ لعنهُم الله، ولعنهُ مَعَهُمْ**»؛ وقال له: «**خُذْهُمْ لا باركَ الله لَكَ فِيهِمْ**». زيني دحلان. هذا؛ وقال بكر المزني: نزلت الآيتان في الحرورية، والخوارج؛ وفيه بعد. وقال ابن حيان: نزلت في قريش. ونحوه قال المسيب بن شريك، والفراء؛ قالا: نزلت في بني أمية وبني هاشم. ودليل هذا التأويل ما روى عبد الله بن مغفل، قال سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ...﴾ إلخ ثم قال: «**هُمُ الحيُّ مِنْ قُريش أخذَ الله عليهِمْ إنْ وَلُوا الناسَ؛ ألَّا يُفْسِدوا في الأرضِ، وَلَا يَقْطَعُوا أَرْحَامَهُمْ**». انتهى. قرطبي، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾: انظر الآية رقم [١٦] فالإعراب لا يتغير. ﴿لَعَنَهُمُ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (أصمهم): فعل ماض، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها، والتي بعدها معطوفة عليها، لا محلَّ لها أيضاً.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: يتفهمونه، فيعلمون ما أعد الله للذين لم يتولوا عن الإسلام. أو المعنى: يتفكرون فيه، وفي مواعظه، وزواجره، وأصل التدبر: التفكر في عاقبة الشيء، وما يؤول إليه أمره. وتدبر القرآن لا يكون إلّا مع حضور القلب، وجمع الهَمّ وقت تلاوته. ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال الصرف، وخلوص النية. ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ أي: بل على قلوب أقفالها، أقفلها الله عزَّ وجل عليهم، فهم لا يعقلون. وهذا يرد على القدرية، والإمامية، والمعتزلة مذهبهم، وفي حديث مرفوع: أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ عَلَيْهَا أَقْفَالاً كأَقْفَالِ الحدِيدِ حَتَّى يكونَ الله يَفْتَحُهَا**». وقال أبو معاذ: الرَّين أن يَسْوَدَّ القلب من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب، وهو أشد من الرَّين، والأقفال أشد من الطبع، وهو أن يقفل على القلب.

فإن قيل: قد أخبر الله تعالى بأنه أصمهم، وأعمى أبصارهم، فكيف يوبخهم على ترك التدبر، فهذا كقولك للأعمى: أبصر، وللأصم: اسمع؟! وقد أجيب بوجوه: الأول: أنَّ التكليف بما لا يطاق جائز، وقد أمر الله من علم: أنَّه لا يؤمن بالإيمان، فلذلك وبّخهم على ترك التدبر مع كونه أصمّهم، وأعمى أبصارهم، والله يفعل ما يريد.

الثاني: أنَّ قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ راجع للناس، لا بقيد كونه أعماهم، وأصمّهم. الثالث: أن يقال: إنَّ هذه الآية وردت محققة لمعنى الآية المتقدمة، كأنه تعالى قال: أولئك الذين لعنهم الله؛ أي: أبعدهم عنه، أو عن الصدق، أو الخير، أو غير ذلك من الأمور الحسنة، فأصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام، وأعماهم لا يبصرون طريقة الإسلام، فإذا هم بين أمرين: إما لا يتدبرون القرآن، فيبعدون عنه؛ لأنَّ الله لعنهم وأبعدهم عن الخير، والصدق ـ والقرآن منهما، بل أشرف، وأعلى منهما ـ وإما يتدبرون، ولكن لا تدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة. انتهى. جمل نقلاً من الخطيب. هذا؛ وانظر شرح: ﴿أَفَلَا﴾ في الآية رقم [٥١] من سورة (الزخرف).

هذا؛ وتدبر القرآن: التأمل في معانيه، والتبصر بما فيه، وأصل التدبر: النظر في عواقب الأمور، والتفكر في أدبارها، ثم استعمل في كل تدبر، وتأمل. والتفكر: تصرف القلب بالنظر في الدلائل. وهذا يرد قول من زعم من الروافض: أنَّ القرآن لا يفهم معناه إلّا بتفسير الرسول ﷺ، والإمام المعصوم. هذا؛ وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: والله ما تدبُّره بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن، فما أسقطت منه حرفاً، وقد أسقطه، والله كله! ما يُرى للقرآن عليه أثر في خُلُقٍ، ولا عمل! وقال الزمخشري في كشافه: وتدبر الآيات القرآنية: التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات

الصحيحة، والمعاني الحسنة؛ لأنَّ من اقتنع بظاهر المتلو؛ لم يحل منه بكثير طائل، وكان مثله كمثل من له لقحة درور، لا يحلبها، ومهرة نثور، لا يستولدها. انتهى.

هذا؛ وقد استدلَّ بهذه الآية وأمثالها من يجيز التفسير بالرأي، والاجتهاد. قالوا: والتدبر، والتفكر، والتذكر لا يكون إلَّا بالغوص عن أسرار القرآن، والاجتهاد في فهم معانيه، فهل يعقل أن يكون تأويل ما لم يستأثر الله بعلمه محظوراً على العلماء مع أنه طريق العلم، وسبيل المعرفة؟!. انتهى. علوم القرآن للصابوني.

هذا؛ ولا تنسَ الاستعارة بقوله: ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ حيث شبّه قلوبهم بالصناديق المغلقة، واستعار لها شيئاً من لوازمها، وهي الأقفال المختصة بها، لاستبعاد فتحها، واستمرار انغلاقها.

الإعراب: ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. الفاء: حرف استئناف، أو هي عاطفة على محذوف. (لا): نافية، ﴿يَتَدَبَّرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين في الفاء. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف بمعنى (بل). ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَقْفَالُهَآ﴾: مبتدأ مؤخر، و(ها): في محلِّ جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محلَّ لها مثلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم...﴾ إلخ: قال قتادة: هم كفار أهل الكتاب، كفروا بالنبي ﷺ بعد ما عرفوا نعته عندهم، قاله ابن جريج. وقال ابن عباس، والضحاك، والسدي: هم المنافقون قعدوا عن القتال بعد ما علموه من القرآن. انتهى. أقول: وهو يعمّ كل من تبيّن له الهدى، ووضح الحق له، ثم هو ينحرف إلى الباطل، ولا سيما في هذا الزمن الذي كثرت فيه العلوم، وظهرت فيه الدلائل على أحقية الإسلام، ولا سيما المسلمون؛ الذين ارتدوا عن الإسلام، ودخل الإلحاد في قلوبهم، وعشّشَ فيها، ولا يخلو بيت مسلم من هذا في هذا الزمن.

﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وإلحادهم، وضلالهم. ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾: قرئ الفعل بضم الهمزة، وكسر اللام، وفتح الياء بالبناء للمجهول، بمعنى: أمهلوا، ومدَّ لهم في العمر. وقراءة العامة بفتح الهمزة واللام، بمعنى: أملى لهم الشيطان بأن مدَّ لهم في الأمل، قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ:

فإن قلت: الإملاء، والإمهال لا يكونان إلَّا من الله تعالى؛ لأنَّه الفاعل المطلق، وليس للشيطان فعل قطُّ على مذهب أهل السنة فما معنى القراءة؟ قلت: إن المُسَوِّل، والمحلي هو الله

تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل، وإنما أسند ذلك إليه مِنْ حيث إن الله تعالى قدر ذلك على لسانه ويده، فالشيطان يُمَنِّيهم، ويزين لهم القبيح، ويقول لهم: في آجالكم فسحة، فتمتعوا بدنياكم، ورياستكم إلى آخر العمر. انتهى. بحروفه. هذا؛ وقرئ الفعل بضم الهمزة وسكون الياء على أنه مضارع. هذا؛ واختار أبو عبيد قراءة العامة؛ قال: لأنَّ المعنى معلوم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وانظر الإعراب يتضح لك المعنى.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿ٱرْتَدُّواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محلَّ لها. ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وليس بالوجه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان به أيضاً. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿تَبَيَّنَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان به. ﴿ٱلْهُدَى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، و﴿مَا﴾ المصدرية، والفعل: ﴿تَبَيَّنَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿بَعْدِ﴾ إليه. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: مبتدأ. ﴿سَوَّلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ، لا محلَّ لها لأنَّها ابتدائية، أو مستأنفة.

﴿وَأَمْلَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (أملى): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، وهذه هي قراءة العامة، وعلى قراءة الفعل بالبناء للمجهول؛ فالجار والمجرور في محل رفع نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها أيضاً لا محلَّ لها. هذا؛ وعلى اعتباره مضارعاً؛ فهو مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وأنا أملي لهم، والجملة الاسمية هذه مستأنفة، لا محلَّ لها. وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المجرور باللام؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى التسويل، والإملاء. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بأن أهل الكتاب، أو المنافقين. ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ أي: وهم مشركو قريش، ومن حالفهم من قبائل العرب على الكفر، والضلال. ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ يعني: من التعاون على عداوة محمد

ﷺ، وترك الجهاد معه، والقعود عنه، وكانوا يقولون ذلك سراً، فأخبر الله نبيه محمداً ﷺ خبرهم. هذا؛ وجزم أبو السعود بأن الكارهين ما نزل الله هم اليهود مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسداً وطمعاً في نزوله عليهم وأنَّ القائلين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ هُمُ المنافقون، كما حكى الله عنهم في سورة (الحشر): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟...﴾ إلخ، كما ستعرفه هناك إن شاء الله تعالى. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾: يقرأ بفتح الهمزة على أنه جمع سر، وبكسرها على أنه مصدر مثل قوله تعالى في سورة (نوح) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. . .إلخ، وانظر باقي الإعراب في الآية رقم [٩] فهو مثله بلا فارق. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿قَالُوا۟﴾، وجملة: ﴿كَرِهُوا۟...﴾ إلخ، صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: كرهوا الذي نزّله الله. ﴿سَنُطِيعُكُمْ﴾: السين: حرف استقبال. (نطيعكم): فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. . .إلخ. ﴿فِي بَعْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بَعْضِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَمْرِ﴾ مضاف إليه. والكلام: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ، مستأنف، لا محلَّ له. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (الله. . .) إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة في ﴿قَالُوا۟﴾ فالمعنى لا يأباه، وعليه؛ فالرابط: الواو، والضمير.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾؟

الشرح: ﴿فَكَيْفَ...﴾ إلخ أي: فكيف حالهم، أو كيف يعملون إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم، وتعاصت الأرواح في أجسادهم، واستخرجتها الملائكة بالعنف، والقهر، والضرب؟! كما قال تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٥٠]: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ وقال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [٩٣]: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ...﴾ إلخ انظر شرح الآيتين في محلهما.

الإعراب: ﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (كيف): اسم استفهام مبني على الفتح في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فكيف حالهم، أو هو في محل نصب حال عامله فعل محذوف، التقدير: فكيف يصنع هؤلاء، أو كيف يعملون؟. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مجرد عن الشرطية مبني على السكون في محل نصب متعلق بمضمون المبتدأ، والخبر من هول الأمر وتعظيم الشأن، على الوجه الأول في: (كيف)، أو هو متعلق بالفعل المقدر على الوجه الثاني في: (كيف). ﴿تَوَفَّتْهُمُ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة؛ التي هي حرف لا محلَّ له، والهاء مفعول به. ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿يَضْرِبُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الضمير فقط. ﴿وُجُوهَهُمْ﴾: مفعول به. ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (أدبارهم): معطوف على ما قبله، والهاء فيهما في محل جر بالإضافة، والكلام ﴿فَكَيْفَ...﴾ إلخ، مستأنف، لا محلَّ له.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾



الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الضرب، والتوفي المذكور في الآية السابقة. ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو كتمانهم ما في التوراة من نعت محمد ﷺ، وإن حُملت على المنافقين فهو إشارة إلى ما أضمروا عليه من الكفر. ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ يعني: كرهوا ما فيه رضوان الله، عزَّ وجل، وهو الإيمان والطاعة، والجهاد مع رسول الله ﷺ. ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: إنَّ اتباعهم ما أسخط الله، وكراهيتهم رضوانه أحبط أعمالهم؛ التي عملوها من أعمال البر؛ لأنها لم تكن لله، ولا لمرضاته.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا﴾: انظر الإعراب في الآية رقم [٩] فهو مثله بلا فارق. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أَسْخَطَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَا﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿اللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملتان: ﴿وَكَرِهُوا...﴾ إلخ معطوفتان على جملة الصلة لا محلَّ لهما مثلها، وإعرابهما واضح إن شاء الله تعالى.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾



الشرح: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك، ونفاق، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٠]. ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ أي: يظهر أحقادهم على المؤمنين، فيبديها حتى يعرف

المؤمنون نفاقهم، واحدها: ضغن، وهو الحقد الشديد. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: حسدهم. وقال قطرب: عداوتهم. وأنشد قول الشاعر: [الكامل]

قُلْ لابنِ هِنْدٍ مَا أَرَدْتَ بِمنطقٍ ... سَاءَ الصَّدِيقَ وَشَيَّدَ الأضْغَانَا

وقيل: أحقادهم. واحدها: ضغن، قال عمرو بن كلثوم في معلّقته رقم [٣٧]: [الوافر]

وَأَنَّ الضِّغْنَ بَعْدَ الضِّغْنِ يَفْشُو ... علَيْكَ وَيُخْرِجُ الداء الدَّفِينَا

وقال الجوهري: الضغن، والضغينة: الحقد. ولا تنسَ: أنَّ الله عزَّ وجل قد أخرج أضغان المنافقين، وكشف سترهم، وفضح سرائرهم في سورة (التوبة) وفي سورة (الأحزاب) وفي سورة (المنافقون) المسمّاة باسمهم، ولا سيما في سورة (النور) حيث قذفوا عائشة ـ رضي الله عنها ـ بالزنى، وبرّأها الله وطهّرها تطهيراً مما قالوا، وافترَوْا.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف بمعنى «بل» والهمزة، فهي منقطعة عمَّا قبلها. ﴿حَسِبَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله مبني على الفتح في محل رفع. ﴿فِى قُلُوبِهِم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَّرَضٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محلَّ لها. هذا؛ وإن اعتبرت الجار والمجرور متعلقين بمحذوف صلة الموصول، و﴿مَّرَضٌ﴾ فاعلاً بالجار والمجرور؛ أي: بمتعلقهما؛ فهو وجه صحيح، لا غبار عليه. ﴿أَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفّف من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه. ﴿لَّن﴾: حرف نفي ونصب واستقبال. ﴿يُخْرِجَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿لَّن﴾. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿أَن﴾ المخففة من الثقيلة، و﴿أَن﴾ واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سدَّ مسدَّ مفعولي: ﴿حَسِبَ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة بعد ﴿أَمْ﴾ المنقطعة، لا محلَّ لها. ﴿أَضْغَٰنَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: لما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ فكأنَّ قائلاً قال: لِمَ لَمْ يخرج أضغانهم، ويظهرها، فأخبر تعالى: أنه إنما أخّر ذلك لمحض المشيئة، لا لخوف منهم، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ لا مانع لنا من ذلك، والإرادة بمعنى التعريف، والعلم. انتهى. هذا؛ ولكن الله لم يفعل ذلك في جميع المنافقين ستراً منه على خلقه، وحملاً للأمور على ظاهر السلامة، ورداً للسرائر إلى عالمها. هذا؛ والسيما: العلامة.

قال أنس ـ رضي الله عنه ـ: ما خفي على النبي ﷺ بعد هذه الآية أحد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم. وقد كنَّا في غزاة، وفيها سبعة من المنافقين يشكُّ فيهم الناس، فأصبحوا ذات ليلة، وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق، فذلك سيماهُم. ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: في معنى القول وفحواه ومقصده، ولحن القول أسلوبه وإمالته إلى جهة تعريض، وتورية عن التصريح إلى المعنى، قال الشاعر: [الكامل]

ولقدْ لحنْتُ لكمْ لكيمَا تفهمُوا والـلـحـنُ يـعـرِفُـهُ ذوُو الألْـبَـابِ

وهذا محمود من حيث البلاغة، ومنه قوله ﷺ: «**فلعلَّ بعضكمْ ألْحَنُ بحجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ**» وإليه قصد بقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ وأمَّا اللحن المذموم؛ فظاهر، وهو صرف الكلام عن الصواب إلى الخطأ بإزالة الإعراب، أو التصحيف، ومعنى الآية: وإنك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرِّضون به من القول، من تهجين أمرك، وأمر المسلمين، وتقبيحه، والاستهزاء به. فكان بعد هذا لا يتكلّم منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه بقوله، ويستدلّ بفحوى كلامه على فساد باطنه، ونفاقه. هذا؛ ولَحَنْتُ بفتح الحاء أَلْحَن لَحْناً: إذا قلتَ له قولاً يفهمه عنك، ويخفى على غيره. ولَحِنَهُ هو عنِّي بكسر الحاء يلحنه لحناً؛ أي: فهمه، وألحنته أنا إياه، ولاحنت الناس فاطنتهم، قال الفزاري: [الخفيف]

وحـديـثٍ ألَـذُّهُ هُـوَ مِـمَّـا يَـنْـعَـتُ الـنَّـاعِـتُـونَ يُـوزَن وزنَـا

مـنـطِـقٌ رائـعٌ وتَـلْـحَـن أحـيـا نَـاً وخـيـر الـحـديـثِ مَـا كَـانَ لَـحْـنَـا

يريد أنها تتكلم بشيء، وهي تريد غيره، وتُعرِّض في حديثها، فتزيله عن جهته من فطنتها، وذكائها، وقد قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ وقال القتَّال الكلابي: [الكامل]

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لِكَيْ تَتَفَهَّمُوا وَلَحَنْتُ لحناً لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

وقال مرار الأسدي، وكله من القرطبي: [الطويل]

لحنتِ بِلَحْنٍ فِيهِ غِشٌّ وَرَابَنِي صُدُودُكِ تُرْضِيْنَ الوُشَاةَ الأعَادِيَا

وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين، قال عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «**إنَّ مِنكمْ مُنَافِقِينَ، فَمَنْ سَمَّيتُ؛ فليقُم**» ثم قال: «**قمْ يا فلانُ، قمْ يا فلانُ، قمْ يا فلانُ**» حتى سمَّى ستَّةً وثلاثين رَجُلاً ثم قال: «**إنَّ فيكمْ، أوْ منكم منافقين، فاتَّقُوا الله**». قال: فمرَّ عمر ـ رضي الله عنه ـ برجل ممن سمّى مقنَّع قد كان يعرفه، فقال: مالك؟ فحدثه بما قال رسول الله ﷺ، فقال: بعداً لك سائر اليوم! ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: فيجازيكم على حسب قصدكم؛ إذ الأعمال بالنيات، ولا يخفى عليه شيء منها.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿نَشَآءُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (أريناكهم): فعل، وفاعله، ومفعولاه، والجملة الفعلية جواب (لو)، لا محلَّ لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف. ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾: الفاء: حرف عطف. اللام: واقعة في جواب (لو) تقديراً. (عرفتهم): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (لو)، لا محلَّ لها مثلها. وكررت اللام للتأكيد. ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (تعرفنهم): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محلَّ لها، والقسم وجوابه كلام معطوف على (لو) ومدخولها لا محل له مثله. ﴿فِى لَحْنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال؛ أي: حال كونهم لاحنين. و﴿لَحْنِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقَوْلِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير المنصوب؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو فقط.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: ولنختبرنكم بالأمر بالجهاد، وسائر التكاليف الشّاقّة. وقال الخازن: يعني: ولنعاملنكم معاملة المختبر، فإن الله تعالى عالم بجميع الأشياء قبل كونها، ووجودها. ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: نأمركم بالجهاد؛ حتى يظهر المجاهد، ويتبين من يبادر منكم، ويصبر عليه من غيره؛ لأنَّ المراد من قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ أي: علم الوجود، والظهور؛ أي: علماً شهودياً يشهده غيرنا مطابقاً لما كنا نعلمه علماً غيبياً في قديم الأزل. ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ يعني: نظهرها، ونكشفها؛ ليتبين من يأبى القتال، ولا يصبر على الجهاد. هذا؛ وتقرأ الأفعال الثلاثة بالنون والياء، ويقرأ: (نبلو) بسكون الواو على تقدير: ونحن نبلو. وعن الفضيل بن عياض: أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبتلينا، فإنك إذا بلوتنا فضحتنا، وهتكت أستارنا.

الإعراب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، أو نقسم. (نبلونكم):

فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والكاف مفعول به، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿نَعْلَمَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، والفاعل تقديره: «نحن»، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بما قبلهما، وجملة (لنبلونكم) جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه معطوف على ما قبله، لا محلَّ له أيضاً. ﴿ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾: مفعول به. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بالمجاهدين. ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾: معطوف على: ﴿ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبهما الياء لأنهما جمعا مذكر سالمان، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَنَبْلُوَا۟﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿نَعْلَمَ﴾ منصوب مثله، والفاعل تقديره: «نحن». هذا؛ وعلى قراءة الأفعال الثلاثة بالياء؛ فالفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (الله)، ويبقى التأويل، والتقدير، والعطف كما هو، وعلى قراءة تسكين واو (نبلو) فهو مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ونحن نبلو، والجملة الاسمية هذه في محل نصب حال من الفاعل المستتر في الفعلين السابقين، والرابط: الواو، والضمير. ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: بالله، ورسوله، ودين الإسلام، وتعاليمه. ﴿وَصَدُّوا۟﴾ أي: منعوا الناس. ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن دين الإسلام. ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: خالفوه، وعاندوه، وآذوْه وحاربوه. قيل: هم المنافقون. وقيل: هم اليهود: قريظة، والنضير. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هم المطعمون يوم بدر، نظيرها قوله تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٣٦]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

أقول: وخصوص السبب لا يمنع التعميم، فهو عام إلى يوم القيامة، وانظر ما أذكره في الآية التالية. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾: يعني من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى، وصدق الرسول ﷺ، وأحقية الإسلام. ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: بكفرهم، ومخالفتهم الرسول ﷺ بعد أن عرفوا صدقه، وإنما يضرون أنفسهم بذلك، والله منزّه عن ذلك. ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: سيبطل ثواب أعمالهم، التي يروْن: أنها صالحة، من صلة رحم، وبر والدين، وحسن جوار، كما رأيت في سورة (النور) رقم [٣٩] وسورة (الفرقان) رقم [٢٣]. هذا؛ وتبيّن الشيء، وبان، وأبان، واستبان كله واحد، وهو لازم، وقد يستعمل بعضها متعدياً.

الإعراب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: انظر مثل هذه الكلمات في الآية رقم [٢٥]. ﴿وَصَدُّواْ﴾: الواو: حرف عطف. (صدوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿عَن سَبِيلِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محلَّ لها مثلها، وجملة: ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾: معطوفة عليها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿تَبَيَّنَ﴾: ماض. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، و﴿مَا﴾ والفعل: ﴿تَبَيَّنَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة: ﴿بَعۡدِ﴾ إليه، التقدير: من بعد تَبيُّنِ الهدى لهم. ﴿لَن﴾: حرف ناصب. ﴿يَضُرُّواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾ وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿شَيۡـًٔا﴾: نائب مفعول مطلق، التقدير: ضراً شيئاً، أو هو صفة له كما ترى. ﴿وَسَيُحۡبِطُ﴾: الواو: حرف عطف. السين: حرف استقبال. (يحبط): مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: فيما يأمران به، وينهيان عنه. هذا؛ وقد قرن الله طاعته بطاعة رسوله ﷺ، كما هو معلوم في كثير من الآيات، من ذلك قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٨٠]: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾. ومِنَ القرطبي: وفي حديث: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ فرَّقَ بينَ ثلاثٍ فرَّقَ الله بينه وبين رحمته يومَ القيامة: من قال: أطيعُ الله، ولا أطيعُ الرسول، والله تعالى يقول:** ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، **ومن قال: أُقيمُ الصلاةَ، ولا أُوتي الزكَاةَ، والله تعالى يقول:** ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، **ومن فرَّقَ بَيْنَ شُكرِ اللهِ، وشكر والِدَيْهِ، والله عزَّ وجل يقول:** ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾». انتهى. وينبغي أن تعلم: أنَّه لما ذَكر الله ـ عزَّ وجل ـ الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله ﷺ؛ أمر الله المؤمنين بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ.

﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾: قال عطاء: يعني: بالشرك، والنفاق. والمعنى: داوموا على ما أنتم عليه من الإيمان، والطاعة، ولا تشركوا، فتبطل أعمالكم. وقيل: لا تبطلوا أعمالكم بترك طاعة رسول الله ﷺ، كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله ﷺ، وعصيانه. وقال الكلبي: لا تبطلوا أعمالكم بالرياء، والسمعة؛ لأن الله لا يقبل من الأعمال إلَّا ما كان خالِصاً لوجهه الكريم. وقال الحسن: لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي، والكبائر.

قال أبو العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون: أنَّه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الشركِ عمل، فنزلت هذه الآية، فخافوا من الكبائر أن تحبط أعمالهم، واستدلَّ بهذه الآية من يرى إحباط الطاعات بالمعاصي (وهم: المعتزلة، والخوارج) ولا حجة لهم فيها، وذلك لأن الله تعالى يقول في سورة (الزلزلة): ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾. وقال تعالى في سورة (النساء) رقم [٤٠]: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ بعد أن قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ فالله تعالى أعدل وأكرم من أن يبطل طاعات سنين عديدة بمعصية واحدة.

وروي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: كنا نرى أنه لا شيء من حسناتنا إلَّا مقبولاً حتى نزل: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر، والفواحش؛ حتى نزل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ الآية رقم [٤٨ و١١٦] من سورة (النساء)، فكففنا عن ذلك القول، وكنا نخاف على من أصاب الكبيرة، ونرجو لمن لم يصبها.

واستدلَّ بهذه الآية من لا يرى إبطال النوافل (وهم الحنفية، والمالكية) حتى لو دخل في صلاة تطوع، أو صوم تطوع، لا يجوز له إبطال ذلك العمل، والخروج منه، ولا دليل لهم في الآية، ولا حجة؛ لأنَّ السنة مبيّنة للكتاب، وقد ثبت في الصحيحين: أنَّ النبي ﷺ أصبح صائماً، فلمَّا رجع إلى البيت وجد حيساً، فقال لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**قرّبيه فلقد أصبحت صائماً**». فأكل، وهذا معنى الحديث، وليس بلفظه، وفي الصحيحين أيضاً: أنَّ سلمان الفارسي زار أبا الدرداء ـ رضي الله عنهما ـ، فصنع له طعاماً، فلما قرَّبه إليه، قال: كل فإني صائم، قال: لست بآكل؛ حتى تأكل! فأكل معه. أقول: والحديث: «المتطوع أمير نفسه مشهور» انتهى. إلا في الحج لا يجوز له إبطاله؛ ولو كان تطوعاً. خازن.

وقال مقاتل في معنى الآية: لا تمنوا على رسول الله ﷺ، فتبطل أعمالكم. نزلت في بني أسد، وسنذكر القصة في سورة (الحجرات) إن شاء الله تعالى. انتهى. خازن بتصرف مني. هذا؛ وقد ذكر الزمخشري في كشافه أدلة تدعم مذهبه في الاعتزال وهو أنَّ الكبيرة تحبط العمل، وقد فندها له محشي الكشاف الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: انظر الآية رقم [٧]. ﴿أَطِيعُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية ابتدائية كالجملة الندائية قبلها، لا محلَّ لها مثلها، وجملة: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تُبْطِلُوٓا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: قيل: نزلت هذه الآية في أهل القليب، وهم: أبو جهل، وأصحابه الذين قتلوا ببدر، وألقوا في قليب بدر. وحكمها عام في كل كافر مات على كفره، فإن الله لا يغفر له لقوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٤٨]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ ويدلُّ بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٣٢] والمحال عليها برقم [٢٥] فإن الإعراب لا يتغير. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿مَاتُوا۟﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كُفَّارٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿فَلَن﴾: الفاء: حرف صلة. (لن): حرف ناصب. ﴿يَغْفِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (لن). ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، وزيدت الفاء في الخبر؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ، ابتدائية، أو مستأنفة لا محلَّ لها.

تنبيه: زيدت الفاء في الخبر في هذه الآية، ولم تزد في الآية رقم [٣٢]؛ لأن عدم المغفرة في هذه الآية مسبب عن كفرهم بالله، وصدهم الناس عن سبيل الله، وموتهم على الكفر، بخلاف الآية السابقة فإنهم لم يضروا الله في حال من الأحوال، ومهما صنعوا من الكفر، وغيره؛ فإنهم لمْ، ولنْ يضروا الله مثقال ذرة، كما جاء في الحديث القدسي: «**يا عِبَادِي لوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وآخِرَكُمْ، وإِنْسَكُمْ، وَجِنكُمْ كَانُوا عَلَى أفجر قلب رجل واحد مِنْكُمْ؛ ما نقَصَ ذلِكَ مِنْ مُلكي شيئاً**». والعكس مثله، وهو ما أفادته الجملة السابقة في الحديث: «**يَا عبادي لوْ أنَّ أولكم، وآخرَكُمْ، وإنسكُمْ، وجنكُم كَانُوا عَلَى أتْقى قلبِ رجلٍ واحدٍ مِنْكُمْ؛ ما زَادَ ذلكَ في ملكي شَيْئاً**».

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي: فلا تضعفوا عن القتال، والجهاد، وفي (آل عمران) رقم [١٣٩]: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ والوهن: الضعف، والخور، وقد وهن الإنسان، ووهنه غيره، يتعدى، ولا يتعدى، فهو من باب: وعد، وهي اللغة الفصحى، ومن باب: ورث، يرث لغة فيه، ومن باب: فرح، يفرح لغة شاذة، وقد حذفت الواو من مضارعه في: جميع اللغات، كما في وعد، يعد، ووجد، يجد. . .إلخ.

﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أي: المسالمة، والمهادنة، قرئ بفتح السين، وكسرها، كما في الآية رقم [٢٠٧] من سورة (البقرة)، والآية رقم [٦١] من سورة (الأنفال) وإن كانت آية (البقرة) بمعنى الإسلام. هذا؛ وأنّث الضمير العائد إلى السلم في آية (الأنفال) بقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا...﴾ إلخ لحملها على نقيضها، وهو الحرب، والعداوة. قال العباس بن مرداس السلمي الصحابي من أبيات يخاطب بها أبا خراشة خفاف بن ندبة الصحابي أيضاً ـ رضي الله عنهما ـ: [البسيط]

السِّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ ... وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرَعُ

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي: أنتم أعلى منهم شأناً، فإنكم على الحق، وهم على الباطل، وقتالكم لله، وقتالهم للشيطان، وقتلاكم في الجنة، وقتلاهم في النار. أو: أنتم الأعلون في العاقبة، فيكون بشارة لهم بالنصر، والغلبة؛ لأنهم مؤمنون، وإن غُلِبُوا في الظاهر في بعض الأحوال. هذا؛ و﴿ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ جمع: الأعلى، فحذفت الألف عند الجمع لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، وبقيت الفتحة على اللام لتدلّ عليها. هذا في حالة الرفع، وخذ في حالة النصب قوله تعالى في سورة (صٓ) رقم [٤٧]: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾. وأصل الأول: الأعلوون (بواوين) الأولى لام الكلمة، والثانية واو جمع المذكر السالم، والتي تقلب ياء في حالتي النصب، والجر، فيقال: تحركت الواو الأولى، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، فحذفت الألف الأولى لالتقاء الساكنين.

﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي: بالنصر والمعونة، والتأييد، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي كثير من الآيات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أي: لن ينقصكم أعمالكم؛ أي: ينقص ثوابها، بل يوفيكم ثوابها كاملاً، ومنه الموتور الذي قتل له قتيل، فلم يدرك بدمه، تقول منه: وَتَرَهُ، يَتِرُهُ وَتْراً، وَتِرَةً.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ما جلسَ قومٌ مجْلِساً لم يذكروا الله فيه، ولم يُصَلُّوا على نبيهم؛ إلَّا كان عليهم ترةٌ، فإن شاءَ؛ عذبهم، وإنْ شاءَ؛ غفرَ لَهُمْ**». رواه أبو داود، والترمذي، واللفظ له، وقال: حديث حسن. وقال ﷺ: «**مَنْ فَاتَتْهُ صَلاةُ الْعَصْرِ؛ فَكَأَنَّمَا وتر أهلَهُ، وَمَالَهُ**».

الإعراب: ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: أي: إذا تبين لكم ما تلي عليكم، فلا تهنوا، فإن من كان الله عليه لا يفلح. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَهِنُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر بـ: «إذا»، والجملة الشرطية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَتَدْعُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. وقيل: هي واو المعية بعدها

«أن» مضمرة. (تدعوا): مضارع مجزوم، أو منصوب، وعلامة الجزم، أو النصب حذف النون. . إلخ، والواو فاعله، فعلى الجزم فالجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وعلى النصب، فتؤول «أن» المضمرة والفعل بمصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منكم وهن، ودعوة. ﴿إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَأَنتُمُ﴾: الواو: واو الحال. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف عطف. (الله): مبتدأ. ﴿مَعَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿وَلَن﴾: الواو: حرف عطف. (لن): حرف ناصب. ﴿يَتِرَكُمْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (لن) والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به أول. ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾: مفعول به ثان، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال أيضاً، وإن كانت (لن) للاستقبال؛ فساغ ذلك بسبب العطف.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: في هذا الحصر إشارة إلى تحقير الدنيا، كيف لا؟ وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة، ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة؛ ما سقى الكافر منها جرعة ماء، ولقد وصف الله تعالى في هذه الآية وغيرها الحياة التي يحياها ابن آدم بالدنيا؛ لدناءتها، وحقارتها، وأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة، ورحم الله الحريري إذ يقول: [الكامل]

يا خاطِبَ الدُّنيا الدَّنيَّة إنها ... شَرَكُ الرَّدَى وقَرارةُ الأكْدَارِ

دارٌ مَتَى مَا أضحَكَتْ في يومِها ... أبْكَتْ غداً تَبّاً لَها مِنْ دَارِ

أو: هي من الدنو، وهو القرب؛ لأنها في متناول يد الإنسان ما دام حياً.

﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي: كما يلعب، ويلهو به الصبيان، ويجتمعون عليه، ويبتهجون به ساعة، ثم يتفرقون متعبين، واللعب: العبث، واللهو: الاستمتاع بلذات الدنيا. وقيل: هو الاشتغال بما لا يعني الإنسان، وما لا يهمه. والمعنى: ليس ما أعطاه الله الأغنياء من حطام الدنيا، إلّا وهو يضمحل، ويزول كاللعب، واللهو؛ الذي لا حقيقة له، ولا ثبات. وقال الخازن: واللعب: ما يشغل الإنسان، وليس فيه منفعة في الحال، ولا في المآل، ثم إذا استعمله الإنسان، ولم يشغله

عن غيره، ولم ينسه أشغاله المهمة؛ فهو اللعب، وإن أشغله عن مهمات نفسه؛ فهو اللهو، وقال بعضهم: إن بقيت لك الدنيا؛ لم تبق لها، وأنشد: [الطويل]

تروحُ لنا الدنيا بغير الذي غَدَتْ ... وتحدُثُ مِنْ بعدِ الأمورِ أُمُورُ
وتجري الليالي باجتماعٍ وَفُرْقَةٍ ... وَتَطْلُعُ فيها أَنْجُمٌ وَتَغُورُ
فَمَنْ ظَنَّ أنَّ الدهرَ باقٍ سُرُورُهُ ... فذاكَ محالٌ لا يدومُ سرورُ
عفا الله عمَّنْ صيَّر الهمَّ وَاحِداً ... وأيقَنَ أنَّ الدائراتِ تَدُورُ

وما أحسن قول الشافعي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

وما هِيَ إلَّا جِيفَةٌ مستحيلةٌ ... عليها كلابٌ هَمُّهُنَّ اجتذابُهَا
فإنْ تجتنبْهَا كُنْتَ سِلْماً لأهلِهَا ... وإنْ تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتْكَ كلابُها

﴿وَإِن تُؤْمِنُوا﴾: بالله، ورسوله، وتنقادوا لأوامرهما. ﴿وَتَتَّقُوا﴾: الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه. ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ أي: يوفكم أجور أعمالكم، وثوابها في الآخرة. ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: لا يأمركم بإخراج جميعها في الزكاة، بل أمر بإخراج البعض، وهو ربع العشر من أموالكم، وهو زكاة أموالكم، ثم ترد عليكم، ليس لله، ورسوله فيها حاجة، إنما فرضها الله تعالى في أموال الأغنياء، وردها على الفقراء، فطيبوا بإخراج الزكاة بأنفسكم. وإلى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة.

وقيل: المعنى: لا يسألكم أموالكم لنفسه، أو لحاجة منه إليها، إنما يأمركم بالإنفاق في سبيله؛ ليرجع ثوابه إليكم. وقيل: لا يسألكم أموالكم، إنما يسألكم أمواله؛ لأنه المالك لها، وهو المنعم بإعطائها. وقيل: لا يسألكم محمد أموالكم أجراً على تبليغ الرسالة، كما قال تعالى في كثير من الآيات: ﴿قُل مَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾. انتهى. خازن، وقرطبي. بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿الْحَيَوٰةُ﴾: مبتدأ. ﴿الدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿الْحَيَوٰةُ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لَعِبٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿وَلَهْوٌ﴾: معطوف عليه، والجملة الاسمية مبتدأة، أو مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تُؤْمِنُوا﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. (تتقوا): فعل مضارع معطوف على ما قبله مجزوم مثله، أو هو منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد واو المعية، وعليه يؤول الفعل مع «أن» المضمرة بمصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: وإن يحصل منكم إيمان، وتقاة. ومثل الآية قول الشاعر ـ وهو الشاهد رقم [١٦٦] من كتابنا: «فتح رب البرية ـ: [الطويل]

وَمَـنْ يَـقْـتَـرِبْ مِـنَّـا ويـخـضـعَ نُـؤْوِهِ ولا يَـخْـشَ ظُـلْـمـاً مَـا أقَـامَ وَلا هَـضْـمـا

﴿يُؤۡتِكُمۡ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى الله، والكاف مفعول به أول. ﴿أُجُورَكُمۡ﴾: مفعول به ثان، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَسۡـَٔلۡكُمۡ﴾: مضارع معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله، والكاف مفعول به أول، والفاعل يعود إلى الله، أو إلى الرسول ﷺ. ﴿أَمۡوَٰلَكُمۡ﴾: مفعول به ثان، والكاف في محل جر بالإضافة. هذا؛ ويجوز في العربية نصب الفعل: ﴿يَسۡـَٔلۡكُمۡ﴾ ورفعه، ولكن لم أجد من قرأ هنا بهما وقد قرئ بالأوجه الثلاثة: ﴿فَيَغۡفِرُ﴾ في الآية رقم [٢٨٤] من سورة (البقرة) وهي قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾. وما ذكرته في الآية الكريمة من وجوه الإعراب مقرر في القواعد النحوية، كما يلي: إذا عطف مضارع بالواو، أو بالفاء على فعل الشرط يجوز جزمه ونصبه، وإذا عطف على الجواب مضارع بالواو، أو بالفاء، يجوز جزمه ونصبه ورفعه، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَالْـفِـعْـلُ مِـنْ بَـعْـدِ الْـجَـزَا إنْ يَـقْـتَـرِنْ بِـالْـفَـا أوِ الْـوَاوِ بِـتَـثْـلِـيـث قَـمِـنْ
وَجَـزْمٌ أوْ نَـصْـبٌ لِـفِـعْـلٍ إثْـرَ فَـا أوْ وَاوٍ إنْ بِـالْـجُـمْـلَـتَـيْـنِ اكْـتَـنَـفَـا

ومن شواهد المسألة الأولى في قول ابن مالك قول الشاعر: [الوافر]

فَـإنْ يَـهْـلِـكْ أبـو قـابـوسَ يَـهْـلِـكْ رَبِـيـعُ الـنـاسِ والـشَّـهْـرُ الْـحَـرَامُ
وَنَـأْخُـذْ بَـعْـدَهُ بِـذنـابِ عَـيْـشٍ أَجَـبِّ الـظَّـهْـرِ لَـيْـسَ لَـهُ سَـنَـامُ

حيث رويَ «نأخذ» بالأوجه الثلاثة؛ أي: الرفع، والنصب، والجزم.

﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧﴾

الشرح: ﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا﴾ أي: يسألكم الأموال كلها، ويدعوكم إلى إنفاقها كلها. ﴿فَيُحۡفِكُمۡ﴾ أي: يجهدكم، ويشق عليكم، ويطلبها كلها، والإحفاء: المبالغة، وبلوغ الغاية في كل شيء، يقال: أحفاه في المسألة: إذا لم يترك شيئاً من الإلحاح، وأحفى شاربه: استأصله. هذا؛ وأحفى بالمسألة، وألحف، وألحَّ بمعنى واحد. قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٨٧]: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ﴾ وفي سورة (مريم) رقم [٤٧]: قوله تعالى حكاية من قول إبراهيم لأبيه: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾. ﴿تَبۡخَلُواْ﴾: يعني:

بالمال، فلا تعطوه. ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾: يعني بغضكم، وعداوتكم لشدة محبتكم للمال. قال قتادة - رحمه الله تعالى -: علم الله: أنَّ الإحفاء بمسألة الأموال مخرج للأضغان. انتهى. وهذا من حيث محبة الأموال بالجبلة، والطبيعة، ومن نوزع في حبيبه ظهرت طويته؛ التي كان يسرها، ولا يصرف المال إلَّا فيما هو أحب إلى الشخص منه. هذا؛ والفعل يقرأ بالياء، والتاء، والنون، وانظر شرح (الضغن) في الآية رقم [٢٩] ولم يذكر في غير هذه السورة.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (الله) أو إلى (الرسول)، والكاف مفعول به أول، والميم علامة جمع الذكور، فحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، و(ها): مفعول به ثانٍ، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (يحفكم): مضارع معطوف على فعل الشرط مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل تقديره: «هو» مثل سابقه، والكاف مفعول به. ﴿تَبْخَلُوا﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿وَيُخْرِجْ﴾: الواو: حرف عطف. (يخرج): معطوف على ما قبله، والفاعل يعود إلى ما عاد إليه ما قبله، أو إلى البخل المفهوم من تبخلوا ولعله أرجح. وعلى قراءته بالنون؛ فالفاعل تقديره: «نحن»، و﴿أَضْغَانَكُمْ﴾: مفعول به، وعلى قراءته بالتاء؛ فالفاعل: ﴿أَضْغَانَكُمْ﴾. هذا؛ ويجوز في هذه الآية ما جاز في الآية السابقة من أوجه الإعراب.

بقي أن تعرف: أنَّه اتصل بالفعل (يسأل) ضميران منصوبان: ضمير خطاب، وضمير غيبة، والأول أعرف، فيجوز في مثل ذلك الفصل، والوصل أرجح، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (هود) على حبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ رقم [٢٨]. وأيضاً قوله تعالى في سورة (البقرة): ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ رقم [١٣٧] قال ابن مالك - رحمه الله تعالى - في ألفيته: [الرجز]

صِـلْ أوِ افْـصِـلْ هَـاءَ سَـلْـنِـيـهِ وَمَـا ... أَشْـبَـهَـهُ فِـي كُـنْـتُـهُ الْـخُـلْـفُ انْـتَـمَـى

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أنتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون بما يذكر. ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يطلب منكم أن تبذلوا المال في وجوه الخير، كلما دعاكم داع إلى

ذلك. ﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ﴾: بعض منكم يبخل بما فرض الله عليه إخراجه من الزكاة، أو ندب إلى إنفاقه في وجوه البر؛ أي: ومنكم من يجود، فحذف هذا المقابل؛ لأنَّ المراد الاستدلال على البخل. ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ﴾: يعني بالصدقة، وأداء الفريضة؛ فلا يتعداه ضر بخله. ﴿فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ أي: على نفسه؛ أي: يحرمها الأجر والثواب، ومرضاة رب العالمين. ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ أي: عن صدقاتكم، وطاعاتكم؛ لأنه الغني المطلق؛ الذي له ملك السموات، والأرض. ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ أي: إليه وإلى ما عنده من الخيرات، والثواب في الدنيا، والآخرة. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ أي: تعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وعن القيام بما أمركم به، وألزمكم إياه.

﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾: يكونون أطوع لله، ولرسوله ﷺ منكم. قال الكلبي: هم كندة، والنخع من عرب اليمن. وقال الحسن: هم العجم. وقال عكرمة: هم فارس، والروم، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ...﴾ إلخ، قالوا: ومن يستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ ثم قال: «**هذا وأصحابه**». أخرجه الترمذي، وقال: حديث غريب، وفي إسناده مقال، وله رواية أخرى عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله! من هؤلاء الذين ذكر الله عزَّ وجل إن تولينا؛ اسْتُبْدِلُوا منا، ثم لا يكونوا أمثالنا؟ قال: وكان سلمان بجنب رسول الله ﷺ، فضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمان، فقال: «**هذا وأصحابه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا؛ لتناوله رجال من فارس!**». ولهذا الحديث طرق في الصحيح.

هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (المائدة) رقم [٥٤]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ...﴾ إلخ، انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وفي الجملة: هذا إخبار عن القدرة، وتخويف لهم، لا أن في الوجود من هو خير من أصحاب رسول الله ﷺ.

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ أي: في البخل بالإنفاق في سبيل الله، وحكي عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله ﷺ، وقال: «**هي أحبُّ إليَّ من الدنيا**». والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وخذ ما يلي:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلقَ اللهُ جنةَ عدنٍ بيدِهِ، ودلَّى فيها أثمارَها، وشق فيها أنهارَها، ثم نظرَ إليها، فَقَالَ لَهَا: تكلَّمي، فقالَتْ: قد أفلحَ المؤمنونَ، فقالَ: وعزَّتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيلٌ**». رواه الطبراني في الكبير، والأوسط بإسنادين، أحدهما جيد. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أرادَ الله بقومٍ خيراً؛ وَلَّى أمرَهُمُ الحكماءَ، وجعلَ المالَ عندَ السُّمَحاءِ. وإِذَا أرادَ الله بقومٍ شرّاً؛ وَلَّى أمْرَهُمُ السفهاءَ، وجعل المالَ عِنْدَ الْبُخَلاءِ**». رواه أبو داود في مراسيله.

الإعراب: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ﴾: (ها): حرف تنبيه لا محلَّ له. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: حرف تنبيه أيضاً. (أولاء): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مبتدأة، أو مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿تُدۡعَوۡنَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة مقررة لما قبلها. هذا؛ ويعتبر الكوفيون ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ اسماً موصولاً خبر المبتدأ، والجملة الفعلية صلة له، لا محل لها، ولم يجزه البصريون؛ لأنَّ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ اسم إشارة، ولا يكون بمعنى: «الذين» هذا؛ وجه للإعراب.

الوجه الثاني: الضمير مبتدأ، والجملة الفعلية خبره، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ منادى بأداة نداء محذوفة، والجملة الندائية معترضة بين المبتدأ والخبر، وهذا عند الكوفيين، واستدلّوا بقول ذي الرمّة، ـ وهو الشاهد رقم [١٠٩٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الطويل]

إِذَا هَمَلَتْ عيْني لَهَا قالَ صاحبي بِمثلِكَ هذَا لَوْعَةٌ وَغَرَامُ

فإنه أراد: (يا هذا) والبصريون يعتبرون حذف حرف النداء من اسمي الجنس، والإشارة شاذاً، وابن هشام يقول بقولهم، أما ابن مالك فلم يعتبره شاذاً لوروده في الشعر العربي خذ قوله: [الرجز]

وغيْرُ مندوبٍ ومضمرٍ ومَا جَا مستغاثاً قد يُعَرَّى فَاعْلَمَا

وذاكَ فِي اسمِ الْجِنْسِ والمُشارِ لَهْ قَلَّ ومَنْ يَمنعْهُ فانصرْ عاذِلَهْ

الوجه الثالث: اعتبار ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مفعولاً به لفعل محذوف، أعني: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، والجملة الفعلية معترضة بين المبتدأ، والخبر.

الوجه الرابع: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ، وخبر على تقدير مضاف محذوف، التقدير: ها أنتم مثل هؤلاء، كقولك: أبو يوسف أبو حنيفة، فعلى هذا جملة: ﴿تُدۡعَوۡنَ﴾ في محل نصب حال من ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ والعامل في الحال معنى التشبيه.

الوجه الخامس اعتبار هؤلاء مبتدأ ثانياً، والجملة الفعلية خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول، وهو الضمير. ﴿لِتُنفِقُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، و«أن» المضمرة، والفعل في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِي سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾ مضاف. و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿فَمِنكُم﴾: الفاء: حرف استئناف، وتفريع. (منكم): متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿مَّن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿يَبۡخَلُۖ﴾: مضارع،

والفاعل يعود إلى: ﴿مَّن﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٦]، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَبْخَلْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من). ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿يَبْخَلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (من). ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، وجملتا الشرط، والجواب في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله الغني): مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها، والجملة الاسمية بعدها معطوفة عليها. هذا؛ وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير في الجملة الثانية. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَتَوَلَّوْاْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية لا محلَّ لها... إلخ. ﴿يَسْتَبْدِلْ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به. ﴿غَيْرَكُمْ﴾: صفة: ﴿قَوْمًا﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، و(إن) ومدخولها معطوف على قوله تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ...﴾ إلخ، وما بينهما كلام معترض. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَكُونُوٓاْ﴾: فعل مضارع ناقص معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله، وعلامة جزمه حذف النون، والواو اسمه. ﴿أَمْثَٰلَكُم﴾: خبر: ﴿يَكُونُوٓاْ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. تأمل وتدبر، والله أعلم، وأجلُّ، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (محمد ﷺ)، شرحاً وإعراباً، بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.




سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (الفتح) وهي مدنية بالإجماع، وآياتها تسع وعشرون آية نزلت ليلاً بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها. وفي البخاري: عن أسلم ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يسير معه ليلاً، فسأله عمر ـ رضي الله عنه ـ عن شيء، فلم يجبه، ثم سأله، فلم يجبه، ثم سأله، فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمك يا عمر! كررت على رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك! قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فما لبثْتُ أن سمعتُ صارخاً يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن، فجئت رسول الله ﷺ، فسلّمت عليه، فقال: **«لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سورَة لَهِيَ أحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طلعتْ عليه الشمسُ»** ثُمَّ قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ...﴾ إلخ. وأخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب وزاد فيه: وكان في بعض أسفاره بالحديبية.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: لما نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ مرجعه من الحديبية، وهم مخالطهم الحزن، والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية. قال رسول الله ﷺ: **«لَقَدْ أُنْزِلَتْ عليَّ آيةٌ هي أحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيا جَمِيعاً»** فقال أصحاب رسول الله ﷺ: هَنِيئاً مَرِيئاً، فما لَنا؟ فأنزل الله عزَّ وجل: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩] من سورة (الأحقاف). هذا؛ وقال المسعودي: بلغني أنه من قرأ سورة (الفتح) في أول ليلة من رمضان في صلاة التطوع؛ حفظه الله ذلك العام.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾

الشرح: الخطاب للنبي ﷺ وحده، والمعنى: إنا قضينا لك فتحاً مبيناً ظاهراً بغير قتال، ولا تعب. واختلفوا في هذا الفتح، فروى قتادة عن أنس ـ رضي الله عنه ـ: إنه فتح مكة، وقال مجاهد: إنه فتح خيبر. وقيل: هو فتح فارس، والروم، وسائر بلاد الإسلام، التي يفتحها الله له. والتعبير بلفظ الماضي عن المستقبل جرياً على عادة الله تعالى في أخباره؛ لأنها في تحققها، وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة، كأنه تعالى قال: إنا فتحنا لك في حكمنا، وتقديرنا، وما قدره،

وحكم به؛ فهو كائن لا محالة. وقال أكثر المفسرين، والمحدثين: إن المراد بهذا الفتح صلح الحديبية، وهو الأصح، وهو رواية عن أنس ـ رضي الله عنه ـ. ومعنى الفتح: فتح المغلق المستصعب، وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعباً متعذراً؛ حتى فتحه الله ـ عزَّ وجل ـ ويسره، وسهله بقدرته، ولطفه.

فعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، ولقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مئة، والحديبية بئر، فنزحناها، ولم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء، فتوضأ، ثم تمضمض، ودعا، ثم صبَّه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا، وماشيتنا، وركابنا.

وقال الشعبي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: فتح الحديبية، وغفر له ما تقدّم من ذنبه، وما تأخر، وأُطْعِمُوا نخل خيبر، وبلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس، ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب على المجوس. وقال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية. وذلك: أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، فأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، فعزّ الإسلام بذلك، وأكرم الله عزَّ وجل رسوله ﷺ. انتهى. خازن. أقول: أسلم بسبب هذا الصلح خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة الحجبي، وغيرهم من رجالات قريش المعدودين، فرجحت بذلك كفة المسلمين على كفة المشركين، وقال الرسول ﷺ: «**رمتكم مكة بأفلاذ كبدها**».

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿فَتَحْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿فَتْحًا﴾: مفعول مطلق. ﴿مُّبِينًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية ابتدائية، لا محلَّ لها من الإعراب.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ...﴾ إلخ، : قيل: اللام في قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ لام «كي» والمعنى فتحنا لك فتحاً مبيناً؛ لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح. وقال الحسن بن الفضل: هو مردود إلى قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ و﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ...﴾ إلخ.

وقال ابن جرير: هو راجع إلى قوله في سورة (النصر): ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾. وقيل: إن الفتح لم يجعل سبباً للمغفرة، ولكن لاجتماع ما قدر له من الأمور الأربعة المذكورة، وهي: المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز، كأنه قال: يسَّرنا لك الفتح، ونصرناك على عدوك، وغفرنا لك ذنبك، وهديناك صراطاً مستقيماً؛ ليجتمع لك عزّ الدارين، وأغراض العاجل، والآجل.

وقيل: يجوز أن يكون الفتح سبباً للغفران؛ لأنه جهاد للعدو، وفيه الثواب، والمغفرة مع الظفر بالعدو، والفوز بالفتح. وقيل: لما كان هذا الفتح سبباً لدخول مكة، والطواف بالبيت؛ كان ذلك سبباً للمغفرة. ومعنى الآية: ليغفر لك الله جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك. يعني: قبل النبوة، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ يعني: بعدها، وهذا على قول من يجوِّز الصغائر على الأنبياء.

وقال عطاء الخراساني: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ يعني: من ذنب أبويك: آدم، وحواء ببركتك. ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ من ذنوب أمتك بدعائك لهم. أقول: وهذا لا وجْهَ له ألبتَّة. وقال سفيان الثوري: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ ما كان منك قبل النبوة. ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ يعني: كل شيء لم تعمله. ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد، كما تقول: أعطِ من تراه، ومن لم تره، واضرب من لقيت، ومن لم تلقه. فيكون المعنى: ما وقع لك من ذنب، وما لم يقع فهو مغفور لك. وهذا مثل سابقه لا وجه له.

وقيل: المراد منه: ما كان من سهو، وغفلة، وتأول؛ لأنَّ النبي ﷺ لم يكن له ذنب كذنوب غيره، فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى أن يكون وقع منه من سهو، ونحو ذلك؛ لأنَّ حسنات الأبرار سيئات المقربين، فسماه ذنباً، فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له، فأعلمه الله عزَّ وجل بذلك، وأنه مغفور له؛ ليتم نعمته عليه. انتهى. خازن.

أقول: وهذا هو المعتمد، وبالله التوفيق، وقد يكون من باب الأولى كالذي صدر منه ﷺ في الإذن للمنافقين في التخلف في غزوة تبوك، وأخذه الفداء من أسرى بدر، وهمه قطع يد اليهودي في قصة طعمة بن أبيرق، انظر الآية رقم [١٠٦] من سورة (النساء) ورقم [٤٣] من سورة (التوبة) تجد ما يسرّك، ويثلج صدرك. ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾: بالنبوة والحكمة، وما أعطاك من الفتح المبين، والنصر، والتمكين، وخضوع من استكبر، وطاعة من تجبَّر. ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: يثبتك الله على الصراط المستقيم، وهو الإسلام، والمعنى: ليجمع لك الله مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة، والهداية إلى دين الإسلام. ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ أي: قوياً غالباً منيعاً، لا يتبعه ذل، واستكانة. وقد حقّق الله وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده. ومعنى: ﴿عَزِيزًا﴾: ذا عزّ لا ذلَّ معه. وهذا جواب عمّا يقال: كيف أسند العزيز إلى ضمير النصر؟! مع أنَّ العزيز من له النصر، وتقرير الجواب: أنَّ صيغة فعيل هنا للنسبة، فالعزيز بمعنى: ذي العزة، فالمعنى نصراً ذا عزة، ومنعة لا ذل فيه، وكونه ذا منعة يمنعه عن أن يصيبه مكروه، فإسناده العزيز بهذا المعنى إلى ضمير النصر حقيقة. انتهى. جمل نقلاً من زاده. وخذ ما يلي:

فعن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: قام النبي ﷺ حتى تورَّمَتْ قَدَماهُ، فقيل له: قد غفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّم من ذنبكَ، وما تأخّر! قال: «**أفلا أكُونُ عَبْداً شَكُوراً**». أخرجه الشيخان.

الإعراب: ﴿لِّيَغْفِرَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (يغفر). ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، و«أن» المضمرة والفعل: (يغفر) في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالمصدر ﴿فَتْحًا﴾، أو بالفعل: ﴿فَتَحْنَا﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿تَقَدَّمَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَا﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِن ذَنۢبِكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل: ﴿تَقَدَّمَ﴾، العائد إلى: ﴿مَا﴾، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم فيها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): معطوفة على ما قبلها. ﴿تَأَخَّرَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (ما)، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة (ما). ﴿وَيُتِمَّ﴾: الواو: حرف عطف. (يتم): معطوف على (يغفر) منصوب مثله، والفاعل يعود إلى الله. ﴿نِعْمَتَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَيَهْدِيَكَ﴾: معطوف على: (يغفر) منصوب مثله، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف في محل نصب مفعول به. ﴿صِرَٰطًا﴾: منصوب بنزع الخافض. وقيل: هو مفعول به ثان للفعل قبله، ومثلها الآية رقم [٦٨] من سورة (النساء). ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾: صفة: ﴿صِرَٰطًا﴾. ﴿وَيَنصُرَكَ﴾: معطوف على ما قبله منصوب أيضاً، والكاف مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿نَصْرًا﴾: مفعول مطلق. ﴿عَزِيزًا﴾: صفة له.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي: الطمأنينة، والوقار، والرحمة، والهدوء في قلوب المؤمنين لئلا تنزعج نفوسهم. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كل سكينة في القرآن طمأنينة إلا التي في سورة (البقرة) رقم [٢٤٨]. وقد تقدّم تفسيرها في موضعها. وقد ذكرت في سورة (التوبة) برقم [٢٦ و٤٠] بمعنى الطمأنينة، كما هنا. ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ أي: يقيناً مع يقينهم، وذلك بما فرض الله من فروع الشريعة مقروناً بالتوحيد، والإيمان، والإخلاص. فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن أول ما أتاهم به النبي ﷺ التوحيد، فلما آمنوا بالله وحده، وصدقوه؛ زادهم الصلاة، ثم الصوم، ثم الزكاة، ثم الحج، ثم الجهاد؛ حتى أكمل لهم دينهم، فكلما أمروا بشيء، وصدقوه؛ ازدادوا تصديقاً إلى تصديقهم، هذا بالإضافة إلى تصديقهم بالبعث والحشر بعد الموت، والجنة، والنار، والميزان والحساب والصراط مما يتعلق بأمور الآخرة،

وهو من لوازم العقيدة الصحيحة، وهذا يدل على أنَّ الإيمان يزيد، وينقص، كما ذكرت في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال)، انظرها تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لما قال الله عزَّ وجل: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ وكان المؤمنون في قلة من العَدد والعُدد؛ فكأنَّ قائلاً قال: كيف ينصره؟ فأخبر الله عزَّ وجل أنَّ له جنود السموات والأرض، وهو قادر على نصر رسوله ﷺ ببعض جنوده، بل هو قادر على أن يهلك عدوه بصيحة، ورجفة، وصاعقة، ونحو ذلك، فلم يفعل، بل أنزل سكينة في قلوبكم أيها المؤمنون؛ ليكون نصر رسول الله ﷺ، وإهلاك أعدائه على أيديكم، فيكون لكم الثواب، ولهم العقاب. وفي جنود السموات، والأرض وجوه: الأول: أنهم ملائكة السموات، والأرض. الثاني: أنَّ جنود السموات: الملائكة، وجنود الأرض: الحيوانات. الثالث: أن جنود السموات: مثل الصاعقة، والصيحة، والحجارة. وجنود الأرض: مثل الزلازل، والخسف، والغرق، ونحو ذلك.

وفي الكشاف، وتبعه البيضاوي، والنسفي في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يدبر أمرها، فيسلّط بعضها على بعض تارة، ويوقع فيما بينهم السلم أخرى، كما تقتضيه حكمته، ولذا قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمصالح عباده. ﴿حَكِيمًا﴾: فيما قدر، ودبر.

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مبتدأة، أو مستأنفة لا محلَّ لها، وجملة: ﴿أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿فِى قُلُوبِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿قُلُوبِ﴾: مضاف. و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ. ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿أَنزَلَ﴾ أيضاً. ﴿إِيمَٰنًا﴾: مفعول به. وقيل: تمييز جملة. ولا بأس به. ﴿مَّعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة: ﴿إِيمَٰنًا﴾، و﴿مَّعَ﴾ مضاف، و﴿إِيمَٰنِهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف، وقيل: عاطفة. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿جُنُودُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿جُنُودُ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: واو الحال. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿عَلِيمًا﴾: خبر أول. ﴿حَكِيمًا﴾: خبر ثان لكان، والجملة الفعلية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، وإعادة اللفظ الكريم وإن كان الموضع موضع إضمار للتفخيم، والتعظيم.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿لِّيُدْخِلَ...﴾ إلخ: هذا يستدعي محذوفاً مقدراً، قدره الجلال: أمر بالجهاد؛ ليدخل. وقدره الخازن: هو الذي أنزل السكينة على قلوب المؤمنين؛ ليدخلهم. وقيل: تقديره: إن من علمِهِ، وحكمتِهِ أن سكَّنَ قلوب المؤمنين بصلح الحديبية، ووعدهم الفتح، والنصر؛ ليشكروه على نعمه، فيثيبهم، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار. وقد تقدم ما روي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا...﴾ إلخ قال الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله! قد بيّن الله لك ما يفعل بك، فمالنا؟ فأنزل الله عزَّ وجل هذه الآية تطميناً لقلوبهم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: في الجنات. ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: يمحوها، ويغطيها، فلم يظهرها لهم لا عقاباً، ولا عتاباً. وتقديم الإدخال في الذكر على التكفير، مع أن الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة إلى بيان ما هو المطلب الأعلى. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: الإدخال، والتكفير. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في علمه الأزلي، وقضائه الأبدي.

هذا؛ و(كان) في القرآن الكريم تأتي على أوجه: تأتي بمعنى: الأزل، والأبد، وبمعنى: المضي المنقطع، وهو الأصل في معناها، وبمعنى الحال، وبمعنى الاستقبال، وبمعنى: صار، وبمعنى: حضر، وحصل، ووجد. وترد للتأكيد، وهي الزائدة، وهي هنا بمعنى الاستمرار، فليست على بابها من المضي، وإن المعنى: كان، ولم يزل كائناً إلى يوم القيامة، وإلى أبد الآبدين في الدنيا، والآخرة.

الإعراب: ﴿لِّيُدْخِلَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (الله)، و«أن» المضمرة والفعل في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: معطوف على ما قبله، منصوب مثله. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: مفعول به ثان منصوب مثل (المؤمنات)، وعلامة النصب فيهما الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنهما جمعا مؤنث سالمان، وانظر: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ في الآية رقم [٧٠] من سورة (الزخرف). ﴿تَجْرِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعل: ﴿تَجْرِى﴾، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾. (يكفر): معطوف على: (يدخل) منصوب مثله، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه

الكسرة. . . إلخ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: واو الاعتراض. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿ذَالِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع اسم: (كان)، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من: ﴿فَوْزًا﴾، كان صفة له. . . إلخ، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَوْزًا﴾: خبر (كان). ﴿عَظِيمًا﴾: صفة له، وجملة: (كان. . .) إلخ معترضة بين الفعلين المتعاطفين. وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الإدخال والتكفير المفهومين؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾

الشرح: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ...﴾ إلخ: يريد المنافقين، والمنافقات من أهل المدينة، والمشركين، والمشركات من أهل مكة. وإنما قدم المنافقين على المشركين في هذه الآية، وفي آخر سورة (الأحزاب) وغيرهما من المواضع؛ لأن المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكافرين؛ لأن الكافر يمكن أن يحترز منه، ويجاهد؛ لأنه عدو مبين، والمنافق لا يمكن أن يحترز منه، ولا يجاهَد، فلهذا كان شرُّه أكثر من شرِّ الكافر، فكان تقديم المنافق بالذكر أولى.

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾: والمراد ظنهم: أن الله لا ينصر الرسول ﷺ والمؤمنين، ولا يرجعهم إلى مكة ظاهرين فاتحيها عنوة، وقهراً. وقال القرطبي: يعني: ظنهم: أن النبي ﷺ لا يرجع إلى المدينة، ولا أحد من أصحابه حين خرج إلى الحديبية، وأن المشركين يستأصلونهم، كما قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ الآية رقم [١٢] الآتية. وهو أقوى. ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: عليهم دائرة الهلاك، والوبال في الدنيا بالقتل، والسبي، والأسر، وفي الآخرة بجهنم. والدائرة في الأصل: عبارة عن الخط المحيط بالمركز، ثم استعملت في الحادثة المحيطة بمن وقعت عليه. وقرئ بضم السين، وفتحها لغتان: كالكَره، والكُره والضُّعف، والضَّعف؛ إلَّا أنَّ المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمّه من كل شيء، وأنَّ المضموم جرى مجرى الشر، وكلاهما في الأصل مصدر. انتهى. بيضاوي، ونسفي. هذا؛ و﴿ٱلسَّوْءِ﴾: الشر، والفساد، والجمع أسواء، وهو بضم السين من ساءه، وهو بفتح السين المصدر، تقول: رجل سَوْءٍ بالإضافة، ورجل السَّوْء، ولا تقول: الرجل السَّوْء. وتأنيثه: السوأى، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ رقم [١٠] من سورة (الروم).

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: زيادة في تعذيبهم، وهلاكهم. ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾: أبعدهم وطردهم من رحمته. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ أي: هيأها لهم في الآخرة، وهذا يفيد أنها مخلوقة الآن ومعدة لمن

يدخلها من المنافقين والكافرين، وكذلك الجنة موجودة الآن، لقوله تعالى في كثير من الآيات ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى...﴾ إلخ.

هذا؛ والمنافق سمي منافقاً أخذاً من: نافقاء اليربوع، وهو جحره الذي يقيم فيه، فإنه يجعل له بابين، يدخل من أحدهما، ويخرج من الآخر، وكذلك المنافق: يدخل مع المؤمنين بقوله: أنا مؤمن، ويدخل مع الكفّار بقوله: أنا معكم. هذا؛ وقد يتصف مؤمن بصفات المنافقين، فيكذب، ويخلف الوعد، ويخون في الأمانة، ويفجر في الخصومة، وما أكثرهم في هذا الزمن! فهذا يقال له: نفاق العمل، وأما الأول فيقال له: نفاق العقيدة؛ لأنه يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، وهو أخبث من الكفر، وعقابه أشد منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وقد حذَّر الرسول ﷺ من نفاق العمل، والاتصاف به؛ لأنه يجرّ إلى نفاق العقيدة، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**آيةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذا أُؤتُمِنَ خَانَ، وإِن صامَ، وصلى، وحجَّ، واعتمر، وقَالَ: إني مسلمٌ**». أخرج بعضه البخاري، وبعضه مسلم، وآخره أبو يعلى من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ.

الإعراب: ﴿وَيُعَذِّبَ﴾: الواو: حرف عطف. (يعذب): معطوف على (يدخل) منصوب مثله، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: مفعول به. (المنافقات): معطوف على ما قبله منصوب مثله. ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿ٱلظَّآنِّينَ﴾: صفة للجميع منصوب مثلهن، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ﴾. ﴿ظَنَّ﴾: مفعول مطلق. وهو مضاف، و﴿ٱلسَّوْءِ﴾: مضاف إليه.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿دَآئِرَةُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿دَآئِرَةُ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّوْءِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها وهي دعائية. ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. (لعنهم): ماض ومفعوله، وفاعله يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً، وما بعدها معطوفة أيضاً. ﴿وَسَآءَتْ﴾: الواو: حرف استئناف. (ساءت): فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله مستتر فسره التمييز، وهو: ﴿مَصِيرًا﴾ والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: هي جهنم، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾

الشرح: تقدّم تفسيرها في الآية رقم [٤]. بقي أن تعلم ما فائدة التكرير، ولِمَ قدم ذكر جنود السموات والأرض على إدخال المؤمنين والمؤمنات الجنة؟ ولِمَ أخّر ذكر جنود السموات

والأرض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين؟ فنقول: فائدة التكرار للتأكيد، وجنود السموات والأرض منهم مَنْ هو للرحمة، ومنهم مَنْ هو للعذاب، فقدَّم ذكر جنود السموات والأرض قبل إدخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة، فيثبتوهم على الصراط، وعند الميزان، فإذا دخلوا الجنة؛ أفضوا إلى جوار الله تعالى، ورحمته، والقرب منه، فلا حاجة لهم بعد ذلك إلى شيء. وأخَّر ذكر جنود السموات والأرض بعد تعذيب الكافرين، والمنافقين ليكون معهم جنود السخط، فلا يفارقوهم أبداً.

فإن قلت: قال في الآية الأولى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وقال في هذه الآية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ فما معناه؟ قلت: لما كان في جنود السموات والأرض من هو للرحمة، ومن هو للعذاب، وعلم الله ضعف المؤمنين؛ ناسب أن تكون خاتمة الأولى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر، والمنافق، وشدته؛ ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ فهو كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾؟ وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ انتهى. بحروفه من الخازن، والمراد في الموضعين: التخويف، والتهديد، فلو أراد الله إهلاك المنافقين، والمشركين؛ لم يعجزه ذلك، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وانظر الإعراب في الآية رقم [٤] ففيها الكفاية.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾

الشرح: الخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ ذكره في معرض الامتنان عليه؛ حيث شرَّفه بالرسالة، وبعثه إلى الناس كافةً، شاهداً على أعمال أمته، ومبشراً لمن آمن به، وأطاعه بالثواب، ونذيراً لمن خالفه، وعصى أمره بالعقاب. قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٤٣]: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وقال تعالى في سورة (النساء) رقم [٤١]: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾.

الإعراب: ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية مبتدأة، أو مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿شَٰهِدًا﴾: حال، وما بعده معطوف عليه، وهذه الحال مقدرة. وخذ ما يلي:

الحال بالنسبة للزمان على ثلاثة أقسام: حال مقارنة، وهي الغالبة، نحو قوله تعالى حكاية عن قول امرأة إبراهيم ـ عليه، وعلى نبينا ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾. وحال مقدرة، وهي المستقبلة، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ وكما في هذه الآية. وحال محكية، وهي الماضية، نحو جاء زيدٌ أمسِ راكباً. وهناك الحال الموطئة، وهي التي تذكر توطئةً

للصفة بعدها، بمعنى أنَّ المقصود الصفة، وهذا كثير في القرآن الكريم، خذ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ وقوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾. ثم الحال تنقسم إلى قسمين: إما مؤسسة، وإما مؤكدة، فالأولى: هي التي لا يستفاد معناها بدونها، نحو: جاء زيد راكباً، وأكثر ما تأتي الحال من هذا النوع، والمؤكدة: هي التي يستفاد معناها بدونها، وإنما يؤتى بها للتوكيد، وهي ثلاثة أنواع:

١ـ ما يؤتى بها لتوكيد عاملها، وهي التي توافقه معنىً فقط، أو معنىً ولفظاً. فالأول، نحو قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾، ومنه قوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. والثاني، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾.

٢ـ ما يؤتى بها لتوكيد مضمون جملة مقصودة من اسمين معرفتين جامدين، نحو: «هو الحقُّ بيّناً، أوْ صَرِيحاً». وقول سالم بن دارة اليربوعي، وهذا هو الشاهد رقم [٣٨٥] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [البسيط]

أَنَا ابْنُ دارةَ معروفاً بها نسبي وهَلْ بدارةَ يا للنَّاسِ مِنْ عَارِ؟

٣ـ ما يؤتى بها لتوكيد صاحبها، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ وهناك الحال اللازمة في قراءة من قرأ قوله تعالى في سورة (صٓ) رقم [٢٩]: (كتاب أنزلناه إليك مباركاً) لأنَّ البركة لا تفارقه.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾

الشرح: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: الخطاب للنبي ﷺ ولأمته. وتقرأ الأفعال كلها بالتاء، والياء، وانظر (الإيمان) في الآية رقم [٢] من سورة (محمد ﷺ). ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: وتقووه بتقوية دينه، وتنصروه على أعدائه. والتعزير: نصر عظيم. ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: تعظموه، وتفخموه، والتوقير: التعظيم. قال القرطبي: والهاء فيهما للنبي ﷺ، وهنا وقف تام، ثم تبتدئ: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تسبحوا الله. وقيل: الضمائر كلها لله تعالى، فعلى هذا يكون تأويل: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تثبتوا له صحة الربوبية، وتنفوا عنه أن يكون له ولد، أو شريك. واختار هذا القول القشيري، وهو اختيار الزمخشري في الكشاف أيضاً.

هذا؛ والتعزير: التوقير، والتعظيم، وهو أيضاً: التأديب، ومنه: التعزير؛ الذي هو دون الحد، فهو من الأضداد. وانظر الأضداد في الآية رقم [١٠] من سورة (الجاثية). هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (المائدة) رقم [١٢]: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي

﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ...﴾ إلخ. وقال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٥٧] في مدح وبيان أتباع محمد ﷺ: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ...﴾ إلخ. ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾: معناه: إذا ذكرتموه ينبغي أن يكون ذكركم إياه على وجه التعظيم، والتقديس، والتنزيه عن كل سوء. ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: أول النهار، وآخره. وخُصَّا بالذكر؛ لأنَّ ملائكة الليل، وملائكة النهار يجتمعون في هذين الوقتين، كما في الحديث الشريف الصحيح: «**يتعاقَبُون فِيكُمْ ملَائكةٌ باللَّيْل ومَلَائِكَةٌ بِالنَّهارِ... إلخ**». وإنَّما اختصَّ التسبيح بالذكر من بين أنواع الذكر لبيان فضله على سائر الأذكار، كما اختص جبريل، وميكائيل بالذكر من بين الملائكة لبيان فضلهما؛ لأن معنى التسبيح: تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه من الصفات، ويجوز أن يراد بالذكر، والتسبيح، والإكثار منهما تكثير الطاعات، والعبادات، فإنها من جملة الذكر، ثم خصَّ من ذلك التسبيح بكرة، وهي صلاة الفجر، وأصيلاً وهي صلاة الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء لمزيد الاهتمام بشأن الصلاة. هذا؛ والتسبيح يأتي بمعنى الدعاء، قال جرير: [الطويل]

فلا تَنْسَ تسبيح الضُّحَىٰ إنَّ يُوْسُفاً دعَا رَبَّهُ فاختارهُ حِينَ سَبَّحا

وإنَّما خصَّ هذين الوقتين بالذكر؛ لأنَّ الإنسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو أخو الموت، فاستحبَّ له أن يستقبل حالة الانتباه من النوم، وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر؛ ليكون أول أعماله ذكر الله عزَّ وجل، وأمَّا وقت الأصيل، وهو آخر النهار، فإنَّ الإنسان يريد أن يستقبل النوم، الذي هو أخو الموت، فيستحب له أن يستقبله بالذكر؛ لأنه حالة تشبه الموت، ولعله لا يقوم من تلك النومة، فيكون موته على ذكر الله عزَّ وجل.

هذا؛ وقد جاء لفظ التسبيح في القرآن الكريم بالماضي أحياناً، وبالمضارع أحياناً، وبالأمر أحياناً، وبالمصدر أحياناً أخرى، استيعاباً لهذه المادة من جميع جهاتها، وألفاظها، وهي أربع: المصدر، والماضي، والمضارع، والأمر. وهذا الفعل بألفاظه الأربعة، قد عُدِّيَ باللام تارة، مثل قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾، وقوله جلَّت حكمته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ...﴾ إلخ، وبنفسه أخرى، مثل قوله تعالى شأنه في هذه الآية: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾، وفي سورة (الأحزاب) رقم [٤٢]: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، وقوله جلَّت قدرته في آخر سورة (ق): ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾، وأصله التعدي بنفسه؛ لأنَّ معنى سبّحته بعدته من السوء، منقول من سبَح: إذا ذهب، وبعُد، فاللام إمَّا أن تكون مثل: نصحته، ونصحت له، وشكرته، وشكرت له، وإما أن يراد يسبح لله: اكتسب التسبيح لأجل الله، ولوجهه خالصاً.

هذا؛ والبكرة بمعنى: الغدوة، يقال: بكَّر بالتشديد، وابتكر، وأبكر، وباكر، وبكَر بالتخفيف خرج في وقت البكرة، قال زهير في معلَّقته رقم [١٣]: [الطويل]

بَكَرْنَ بُكُوراً وَاسْتَحرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ فِي الْفَمِ

بمعنى خرجت النسوة في وقت البكرة. وقيل: بكَر بالتخفيف: جاء بكرة، وبكَّر بالتشديد فإنه للمبادرة؛ أيَّ وقتٍ كان، ومنه: بكِّروا لصلاة المغرب؛ أي: صلُّوها عند قرص الشمس. انتهى. مختار.

هذا؛ والبكرة، والغداة، والغدو: النصف الأول من النهار، والأصيل والعشي: النصف الآخر من النهار، مع الاختلاف في تحديد كل منهما. والأصيل: الوقت بين العصر، والمغرب على الراجح، ويجمع على: آصال، وعلى أصائل، وأُصُل، وأصلان. وقيل: الآصال جمع: أصل، والأُصُل جمع: أصيل، ثم أصائل جمع الجمع، قال أبو ذؤيب الهذلي: [الطويل]

لَعَمْرِي لأنْتَ الْبَيْتُ أُكرمُ أَهلَه وأَجْلِسُ فِي أَفيَائِهِ بِالأَصَائِلِ

هذا؛ ويطلق الأصيل على الشعاع الممتد من الشمس إلى الماء مثل الحبال، ويشبه لون أشعته في الماء لون الذهب. هذا؛ وأضيف: أنَّ من جمع الأصيل على: أُصُلٍ قول الأعشى في معلَّقته رقم [١٤]: [البسيط]

يَوْماً بأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْر رَائِحَةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الأُصُلُ

الإعراب: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿أَرْسَلْنَكَ﴾. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. (رسوله): معطوف على لفظ الجلالة، والهاء في محل جر بالإضافة، والأفعال الثلاثة: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ معطوفة على (تؤمنوا) منصوبة مثله، والواو فاعله، والهاء مفعول به. ﴿بُكْرَةً﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. (أصيلاً): معطوف على ما قبله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد بيعة الرضوان، التي تعرفها في الآية رقم [١٨]. ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾: لأنهم باعوا أنفسهم من الله عزَّ وجل بالجنة، وأصل البيعة: العقد الذي يعقده الإنسان على نفسه من بذل الطاعة للإمام، والوفاء بالعهد الذي التزمه له. والمراد بهذه البيعة: بيعة الرضوان بالحديبية. وهي قرية ليست بكبيرة، بينها وبين مكة مرحلة، سميت ببئر هناك، وانظر الآية رقم [١٨].

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: قيل: يده في الثواب فوق أيديهم في الوفاء. ويده عليهم بالمنة، والهداية فوق أيديهم في الطاعة. وقال الكلبي: معناه: نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة.

وقال ابن كيسان: قوة الله، ونصرته فوق قوتهم، ونصرتهم. هذا؛ وقال الخازن: لمَّا بين الله تعالى: أن النبي ﷺ مرسل؛ بيَّن أن منزلته، وقدره عند الله بحيث يكون مَنْ بايعه صورةً؛ فقد بايع الله عزَّ وجل حقيقة؛ لأن من بايعه ﷺ على أن لا يفر من موضع القتال إلى أن يقتل، أو يفتح الله لهم، وإن كان يقصد ببيعته رضا الرسول ﷺ ظاهراً، لكن إنما يقصد بها حقيقة رضا الرحمن، وثوابه، وجنته. سميت المعاهدة المذكورة بالمبايعة، التي هي مبادلة المال بالمال تشبيهاً لها بالمبايعة في اشتمال كل واحدة منهما على معنى المبادلة؛ لأنَّ المعاهدة أيضاً مشتملة على المبادلة بين التزام الثبات في محاربة الكافرين، وبين ضمانه عليه السلام لمرضاة الله تعالى عنهم، وإثابته إياهم بجنات النعيم في مقابلة ذلك الثبات، فأطلق اسم المبايعة على هذه المعاهدة على سبيل الاستعارة، ثم إنه لما كان ثواب ثباتهم في الحرب إنما يصل إليهم من قِبَلِه تعالى؛ كان المقصود من المبايعة معه عليه السلام المبايعة مع الله، فإنه عليه السلام سفير، ولما جعلت المبايعة مع الرسول ﷺ مبايعة مع الله، وشبه الله بالمبايع؛ أثبت له ما هو من لوازم المبايع حقيقة، وهو اليد على طريق الاستعارة التخييلية، يعني: أن في اسم الله استعارة بالكناية، واليد تخييل مع أن فيها أيضاً مشاكلة لذكرها مع أيدي الناس. فتلخص: أنَّ في هذا التركيب استعارة تصريحية تبعية في الفعل، ومكنية في الاسم الكريم، وتخييلية في إثبات اليد له، وفيه مشاكلة في مقابلة يده بأيديهم. انتهى. جمل نقلاً من هنا، وهناك.

وقال السدي: كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ، ويبايعونه، ويد الله فوق أيديهم في المبايعة، وذلك؛ لأن المتبايعين إذا مدَّ أحدهما يده إلى الآخر في البيع، وبينهما ثالث يضع يده على يديهما، ويحفظهما إلى أن يتم العقد، ولا يترك أحدهما يد الآخر، حتى يلزم، ولا يتفاسخان، فصار وضع اليد فوق الأيدي سبباً لحفظ البيعة، فقال: يد الله فوق أيديهم؛ أي: يحفظهم على البيعة، كما يحفظ المتوسط أيدي المتبايعين، وانظر ما ذكرته في سورة (صٓ) [٧٥] وفي سورة (الذاريات) [٤٧].

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: نقض العهد بعد البيعة. ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أي: يرجع ضرر نكثه عليه؛ لأنه حرم نفسه الثواب، وألزمها العقاب. قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: ثلاث من كُنَّ فيهِ كُنَّ عليه، وقرأ هذه الآية وقوله تعالى في سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ رقم [٢٣]، وقوله تعالى في سورة (فاطر): ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ رقم [٤٣]، وانظر ما ذكرته في سورة (الزخرف) رقم [٥٠].

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾: يقرأ بضم هاء الجلالة وجرها في هذه الآية، والمراد في هذه الآية معاهدة بيعة الحديبية للنبي ﷺ. هذا؛ وعهد بني آدم لله قديم أزلي، وحديث يتجدد في كل وقت وحين، فالقديم يتجلّى في قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٧٢]: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ

بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ والحديث الذي يتجدد في كل وقت وحين، وذلك إذا قال المسلم: «**لا إلهَ إلَّا الله محمدٌ رسولُ الله**» وإذا قال: «**رَضِيتُ بِالله تعالى رَباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وشفيعاً**». ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: وذلك في الآخرة، وهو الجنة. هذا؛ ويقرأ الفعل بالياء والنون، قراءتان سبعيتان.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾: مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يُبَايِعُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿يَدُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَوْقَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿فَوْقَ﴾: مضاف، و﴿أَيْدِيهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾، أو في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة لا محلَّ لها، اعتبارات ثلاثة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ، مبتدأة، أو مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿نَّكَثَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من)، ومفعوله محذوف. ﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿يَنكُثُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً ومفعوله محذوف أيضاً. ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [١٠] من سورة (الشورى). هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً مبتدأ، فجملة: ﴿نَّكَثَ﴾ مع مفعوله المحذوف صلته، وجملة: ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ...﴾ إلخ، في محل رفع خبره، ودخلت الفاء على الخبر؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾: مثل سابقه محلاً، وإعراباً. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿عَـٰهَدَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿عَلَيْهُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، وجملة: ﴿عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، أو زائدة في خبر الموصول. السين: حرف استقبال وتنفيس. (يؤتيه): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به أول. ﴿أَجْرًا﴾: مفعول به ثان. ﴿عَظِيمًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية: (سيؤتيه. . .) إلخ قل فيها ما قلته بجملة: (إنما ينكث. . .) إلخ، وتتمة الكلام مثل سابقه على الاعتبارين.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١١﴾

الشرح: ﴿سَيَقُولُ لَكَ﴾: الخطاب للنبي ﷺ بلا ريب. ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: قال مجاهد، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني: أعراب غفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، والنخع، وأسلم، والديل، وذلك: أنَّ النبي ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً، استنفر مَنْ حول المدينة من الأعراب، وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة، وساق الهدي، ليعلم الناس: أنه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثير من الأعراب، وتخلفوا، واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، وكانوا قالوا: يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة، وقتلوا أصحابه، يعنون: غزوة أحد، والأحزاب. هذا؛ وقبيلتا غفار، وأسلم صلحت نياتهم فيما بعد، وحسنت أعمالهم، فرضي الله، ورسوله عن هاتين القبيلتين، وقد قال الرسول ﷺ فيما بعد: «**غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله**».

﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾: يعني: النساء، والذراري، لم يكن لنا من يخلفنا فيهم في غيبتنا عنهم، فلذا تخلفنا عنك. ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ﴾ أي: إنا مع عذرنا معترفون بالإساءة، والتقصير، فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك. فكذبهم الله بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ﴾ المعنى: إنهم في طلب الاستغفار كاذبون، لا يبالون استغفر لهم النبي ﷺ أم لا؟ وهذا هو النفاق. ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: فمن يمنعكم من مشيئته، وقضائه، وإرادة شيء فيكم؟

﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ أي: سوءاً من قتل، أو هزيمة، وهلاك مال، وهلاك أنفس. هذا؛ ويقرأ بفتح الضاد، وضمها، فالأول شائع في كل ضرر، ومصيبة، والثاني خاص بما في النفس، كمرض وهزال، وقد نظم بعضهم الفرق بينهما، كما أورد معاني أخر لهما، فقال: [الرجز]

وضِدُّ نَفْعٍ قيلَ فيهِ ضَرُّ وجُودُ ضَرَّةٍ لِعِرْسٍ ضِرُّ

وسوءُ حالِ الْمَرْءِ ذاكَ ضُرُّ كَذَا هزالٌ مرضٌ أوْ كِبَرُ

وفي القاموس المحيط: الضَّر، والضُّر، والضرر: ضدُّ النفع، والشدة والضيق، وسوء الحال، والنقصان يدخل في الشيء، والجمع: أضرار. ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۚ﴾ أي: نصراً، وغنيمة، وذلك: أنهم ظنّوا أنَّ تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، أو يجلب لهم النفع بالسلامة لهم في أنفسهم، وأموالهم، فأخبرهم الله عز وجل: أنه إن أراد شيئاً من ذلك؛ لم يقدر أحد على

دفعه. ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: يعني من إظهاركم الاعتذار، وطلب الاستغفار، وإخفائكم النفاق. ولا تنسَ الطباق، والمقابلة بين: ضراً، ونفعاً.

هذا؛ و(أهلونا) جمع: أهل، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: نفر، ومعشر، ورهط. والأهل: العشيرة، وذو القربى، ويطلق على الزوجة، والأولاد، والأتباع، بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ سورة (هود) رقم [٤٠] والجمع: أهلون، وأهال، وآهال، وأهْلات، وأهَلات، وبالأولين قرئ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ هذا؛ والآية الكريمة إخبار عما يستقبل، فهو من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، انظر الآية رقم [٥١] من سورة (غافر).

الإعراب: ﴿سَيَقُولُ﴾: السين: حرف استقبال، وتنفيس. (يقول): مضارع. ﴿لَكَ﴾: متعلقان به. ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . .إلخ، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: متعلقان بـ: ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾؛ لأنه اسم مفعول. وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ولا يصح إلَّا من الضمير المستتر في: ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾. وهو نائب فاعله. ﴿شَغَلَتْنَآ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، و(نا): مفعول به. ﴿أَمْوَٰلُنَا﴾: فاعل. ﴿وَأَهْلُونَا﴾: الواو: حرف عطف. ﴿وَأَهْلُونَا﴾: معطوف عليه مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿شَغَلَتْنَآ...﴾ إلخ، في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿سَيَقُولُ...﴾ إلخ، مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿فَٱسْتَغْفِرْ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً، وواقعاً فاستغفر. (استغفر): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جواب الشرط المقدر، والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿لَنَاۚ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾: متعلقان به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى: ﴿مَّا﴾، وهو العائد. ﴿فِى قُلُوبِهِمْۚ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَيْسَ﴾، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ، في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، وإن اعتبرتها مستأنفة فلا محلَّ لها.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فَمَن﴾: الفاء: صلة، أو هي الفصيحة لأنها تفصح عن شرط مقدر. (مَنْ): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَمْلِكُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿لَكُم

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿يَمۡلِكُ﴾، وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. ﴿شَيۡـًٔا﴾: مفعول به. ﴿إِنۡ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَرَادَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه. ﴿بِكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ضَرًّا﴾: مفعول به. ﴿أَوۡ﴾ حرف عطف. ﴿أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢا﴾: معطوف على ما قبله، ومحله مثله.

﴿بَلۡ﴾: حرف إضراب. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَبِيرَۢا﴾ بعدهما، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء تعملونه. ﴿خَبِيرَۢا﴾: خبر: ﴿كَانَ﴾. هذا؛ وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملكم، وجملة: ﴿كَانَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ﴾: الخطاب للمنافقين، وللكافرين على السواء. ﴿أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ...﴾ إلخ: أي: أنْ لن يرجع الرسول... إلخ إلى المدينة المنورة حين خرجوا قاصدين مكة المكرمة للعمرة، بل يستأصلهم كفار قريش، وقالوا: إن محمداً، وأصحابه أكلة رأس لا يرجعون. ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾: يعني: زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به؛ حتى صار الظنّ يقيناً عندكم، وذلك: أنَّ الشيطان قد يوسوس في قلب الإنسان بالشيء، ويزينه له حتى يقطع به، ولا تنسَ: أنَّ الله هو الفاعل، وليس للشيطان إلَّا الوسوسة، وقد ذكرته لك مراراً. ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾: أنَّ الله يخلف وعده من نصر محمد ﷺ وإعزاز دينه. وانظر الآية رقم [٦].

﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾: هلكى. قاله مجاهد. وقال قتادة: فاسدين، لا يصلحون لشيء من الخير. قال عبد الله بن الزبعرى السهمي القرشي: [الخفيف]

يا رسولَ المليكِ إنَّ لِساني راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ

والبوار: الهلاك، وفي سورة (إبراهيم) رقم [٢٨] قوله تعالى: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾، وفي المصباح: بار الشيء يبور بوراً بالضم: هلك، وبار الشيء بواراً: كسد على الاستعارة؛ لأنه إذا ترك صار غير منتفع به، فأشبه الهالك من هذا

الوجه. وأرض بور: لم تزرع، وبور: جمع بائر، كما في هذه الآية، والآية رقم [١٨] من سورة (الفرقان) ورجل بائر: فاسد، لا خير فيه. وفي الأساس: «**فلانٌ لَهُ نُورُهُ، وَعَلَيْكَ بُورُهُ**» أي: هلاكه، ونزلت بوار على الكفار؛ أي: هلاك. ومن المجازات: بارت البياعات: كسدت. وسوق بائرة: كاسدة. وبارت الأيم: إذا لم يرغب فيها. وكان الرسول ﷺ يتعوذ من بوار الأيم. وبارت الأرض: إذا لم تزرع. وأرض بور، وأرضون بوار.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿ظَنَنتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿أَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمه ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه. ﴿لَّن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿يَنقَلِبَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿لَّن﴾. ﴿ٱلرَّسُولُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿أَن﴾ المخففة من الثقيلة، و﴿أَن﴾ واسمها المحذوف وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سدَّ مسدَّ مفعولي: ﴿ظَنَنتُمْ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: معطوف على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿يَنقَلِبَ﴾ وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر، وحذفت النون للإضافة. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿يَنقَلِبَ﴾ أيضاً. ﴿وَزُيِّنَ﴾: الواو: حرف عطف. (زين): ماض مبني للمجهول. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع نائب فاعل، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿ظَنَنتُمْ...﴾ إلخ لا محلَّ لها مثلها. ﴿فِى قُلُوبِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَظَنَنتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿ظَنَّ﴾: مفعول مطلق مبيِّنٌ للنوع، و﴿ظَنَّ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّوْءِ﴾ مضاف إليه، من إضافة الموصوف لصفته، وجملة: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ...﴾ إلخ: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: لمّا بيَّن الله تعالى حال المخلَّفين عن رسول الله ﷺ، وبيَّن حال ظنهم الفاسد، وأن ذلك يفضي بصاحبه إلى الكفر؛ حرَّضهم على الإيمان، والتوبة من ذلك الظن الفاسد، فقال تعالى: ومن لم يؤمن بالله ورسوله، وظن أن الله يخلف وعده؛ فإنه كافر، وأنَّ الله أعد له جهنّم يَصْلاها، ويحترق بنارها. انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦] من الدليل على وجود جهنم.

هذا؛ وقد أقيم الظاهر مقام الضمير؛ إذ القياس: «فإنا أعتدنا لهم سعيراً» للتهويل، وللإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمانين: الإيمان بالله، والإيمان برسوله؛ فهو كافر، ونكَّر ﴿سَعِيرًا﴾ لأنها

نار مخصوصة كما نكَّر ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾. هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلسَّعِيرِ﴾ في الآية رقم [٧] من سورة (الشورى). والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يُؤْمِنۢ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾ وهو فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو». ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فلا يحزنك عدم إيمانه. أو فلا يهمك شأنه. وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في سورة (الشورى) رقم [١٠]، وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً، فهي مبتدأ، صلتها الجملة الفعلية بعدها، والخبر الجملة التي رأيت تقديرها... إلخ. ﴿فَإِنَّآ﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنا): حرف مشبّه بالفعل، و(نا) اسمها حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَعْتَدْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿سَعِيرًا﴾ بعدهما، الذي هو مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية لا محلَّ لها؛ لأنها تعليلية، أو هي في محل جزم جواب الشرط، إن اعتبرت الشرط عاملاً فيها، أو هي خبر (مَنْ) على اعتبارها موصولة، ودخلت الفاء على الخبر؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ملكاً، وخلقاً، وعبيداً، وفي كثير من الآيات زيادة: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: الموجود بين السموات والأرض من أفلاك، وكواكب في السموات، وما على الأرض من جبال، وأنهار، وبحار... إلخ، فكل ذلك ملك لله تعالى لا يشركه فيه أحد، وما يملكه الإنسان في هذه الدنيا؛ فإنما هو ملك له في الظاهر، قد منحه الله له؛ ليتمتع به على سبيل الوكالة، والأمانة، وويل لمن قصّر في الوكالة، وخان الأمانة! وانظر الآية رقم [٩] من سورة (الزخرف). هذا؛ واللام مفيدة للملك الحقيقي؛ الذي هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: لمن يستحق المغفرة بسبب توبة، أو طاعة. ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: من يستحق العذاب بسبب كفره، أو إدمانه المعاصي. وانظر شرح ﴿شَآءَ﴾في الآية رقم [٨] من سورة (الشورى). هذا؛ وقال الخازن: لما ذكر الله حال المؤمنين المبايعين لرسول الله ﷺ، وحال الظانين ظنَّ السوء أخبر: أن له ملك السموات والأرض، ومن كان كذلك؛ فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته، ويعذب من يشاء، ولكن غفرانه، ورحمته أعمُّ، وأشمل، وأتمُّ، وأكمل. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. انتهى.

الإعراب: ﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها، و﴿مُلْكُ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿يَغْفِرُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. و(مَنْ) تحتمل الموصوفة، والموصولة. فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: للذي، أو لشخص يشاؤه الله، وجملة: ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها مستأنفة، لا محلَّ لها، وإعرابها واضح، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من لفظ الجلالة؛ فلست مفنداً. وجملة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ في محل نصب حال من فاعل ﴿يَغْفِرُ﴾ و(يعذب) والرابط: الواو، وإعادة لفظ الجلالة، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ أي: الذين تخلفوا عن الحديبية حين خرج الرسول ﷺ معتمراً، وحصل ما حصل في ذلك الخروج. ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ﴾ أي: خرجتم من المدينة، وتوجهتم إلى مكة أيها المؤمنون. ﴿إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾: يعني: غنائم خيبر. وذلك: أنَّ المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال، ولم يصيبوا شيئاً من الغنائم، وعدهم الله عزَّ وجل فتح خيبر، وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة؛ حيث انصرفوا عنهم، ولم يصيبوا منهم شيئاً.

﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ يعني: إلى خيبر، فنشهد معكم قتال أهلها. وفي هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية؛ حيث قالوا: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ إذ لم يكن لهم هناك طمع في غنيمة، وهنا قالوا: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ يعني: إلى خيبر، فنشهد معكم قتال أهلها.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ يعني: يريدون أن يغيروا، ويبدلوا مواعيد الله لأهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة مَنْ غاب منهم ومَنْ حضر، ولم يغب منهم عن خيبر غير جابر ابن عبد الله، فقسم له رسول الله كسهم مَنْ حضر. قال ابن إسحاق: وكان المتولي للقسمة بخيبر جبار بن صخر الأنصاري من بني سلمة، وزيد بن ثابت من بني النجار، كانا حاسبين، قاسمين.

﴿قُل﴾ أي: قل لهم يا محمد ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ أي: إلى خيبر. ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يعني: من قبل مرجعنا إليكم: إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية، ليس لغيرهم فيها نصيب. هذا؛

ولا تنسَ: أن النفي بـ: «لَنْ» في معنى النهي للمبالغة. ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: يمنعكم الحسد أن نصيب معكم شيئاً من الغنائم، ولما كانوا منافقين لا يعتقدون شيئاً، بل يظنون أنها حيل على التوصل إلى المرادات الدنيوية تسبب عن قولهم ذلك قوله تعالى تنبيهاً على جلافتهم، وفساد ظنونهم، فسيقولون: ليس الأمر كما ذكرت مما ادعيت: أنه قول الله تعالى، بل إنما قلتم ذلك لأنكم تحسدوننا. ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: لا يعلمون، ولا يفهمون ما لهم، وما عليهم من الدين إلا قليلاً منهم، وهو من تاب منهم، وصدق الله، ورسوله.

تنبيه: لما رجع ﷺ من الحديبية في ذي الحجة سنة ست؛ أقام بالمدينة بقيته، وأوائل المحرم من سنة سبع، ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية، ففتحها، وغنم أموالاً كثيرةً، فخصَّها بهم حسبما أمره الله تعالى. ولا تنس: أنَّ قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ﴾ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ إنما هو كلام مستقبل أخبر الله به قبل وقوعه، وهذا من وجوه إعجاز القرآن الكريم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿سَيَقُولُ﴾: السين: حرف استقبال وتسويف. (يقول): مضارع. ﴿الْمُخَلَّفُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مجرد عن الشرطية متعلق بالفعل قبله، مبني على السكون في محل نصب. ﴿انْطَلَقْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف. ﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿انْطَلَقْتُمْ﴾. ﴿ذَرُونَا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، و(نا): مفعوله. ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾: مضارع مجزوم بجواب الأمر، وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف مقدر، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، والكلام كله في محل نصب مقول القول.

﴿يُرِيدُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والمصدر المؤول من: ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ في محل نصب مفعول به، والجملة: ﴿يُرِيدُونَ...﴾ إلخ، في محل نصب حال من: ﴿الْمُخَلَّفُونَ﴾، أو من: (نا)، والرابط على الاعتبارين الضمير فقط، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلست مفنداً. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَنْ﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿تَتَّبِعُونَا﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿لَنْ﴾ وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، والجملة مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿كَذَٰلِكُمْ﴾: الكاف: حرف تشبيه، وجر، و(ذا) اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما

بعده، التقدير: قال الله من قبل قولاً مثل هذا القول، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾: ماضٍ، وفاعله. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بما قبلهما، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم؛ لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: الفاء: حرف استئناف. السين: حرف استقبال. (يقولون): مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿تَحْسُدُونَنَا﴾: مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فسيقولون: لم يأمركم الله بذلك، بل تحسدوننا، والكلام كله في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: (سيقولون. . .) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: إلا فقهاً قليلاً. هذا؛ وإن رددته إلى واو الجماعة، فهو مستثنى منه، ويكون التقدير: إلا قليلاً منهم، وبعضهم يعتبره صفة ظرف زمان محذوف، التقدير: إلا وقتاً قليلاً.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

الشرح: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: كرر ذكرهم بهذا الاسم، مبالغة في الذم، وإشعاراً بشناعة التخلف. ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعني: بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، وأهل الردة، الذين حاربهم أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ. لأنَّ مشركي العرب، والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام، أو السيف عند أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ، ومن عداهم من مشركي العجم، وأهل الكتاب، والمجوس تقبل منهم الجزية. وعند الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، والمجوس دون مشركي العجم، والعرب. وهذا دليل على صحة إمامة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، فإنهم لم يدعوا إلى حرب في أيام رسول الله ﷺ، وكيف يدعوهم رسول الله ﷺ مع قوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٨٤]: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾.

وقيل: هم فارس والروم، ومعنى ﴿يُسْلِمُونَ﴾: ينقادون؛ لأن الروم نصارى، وفارس مجوس، يقبل منهم إعطاء الجزية، فإن قلت: عن قتادة: أنهم ثقيف، وهوازن، وكان ذلك، في أيام رسول الله ﷺ. قلت: إن صح ذلك؛ فالمعنى: لن تخرجوا معي أبداً ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب، والاضطراب في الدين. أو على قول مجاهد كان المعنى: أنهم لا

يتبعون رسول الله ﷺ، إلا متطوعين، لا نصيب لهم في المغنم. انتهى. كشاف. هذا؛ ويقرأ: (يسلموا) كما تقول: كُلْ، أو تشبعَ؛ أي: حتى تشبعَ، قال امرؤ القيس: [الطويل]

فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُكَ إنَّما نُحاوِلُ مُلْكاً أو نموتَ فنُعذَرا

﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ أي: تستجيبوا، وتنفروا في الجهاد، وتؤدوا الذي عليكم فيه. ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ أي: يثبكم ثواباً حسناً، وهو الجنة. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ أي: تعرضوا عن الجهاد. ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾: يعني عام الحديبية. ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: هو عذاب النار، وبئس القرار.

الإعراب: ﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: متعلقان بـ: (المخلفين)؛ لأنه اسم مفعول، أو هما متعلقان بمحذوف صفة له. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، وعليه فهما حال من نائب الفاعل المستتر بـ: (المخلفين). ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾: السين: حرف استقبال، وتنفيس. (تدعون): فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أُوْلِي﴾: صفة: ﴿قَوْمٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿أُوْلِي﴾ مضاف، و﴿بَأْسٍ﴾ مضاف إليه. ﴿شَدِيدٍ﴾: صفة: ﴿بَأْسٍ﴾. ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾: مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة. قال الجلال: حال مقدرة، هي المدعو إليها في المعنى، انظر أنواع الحال في الآية رقم [٨]. هذا؛ وأجاز أبو البقاء الاستئناف. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يُسْلِمُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وأجاز السمين اعتبارها مستأنفة على تقدير: أو هم يسلمون. هذا؛ وعلى قراءة: (يسلموا) فهو منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد ﴿أَوْ﴾، بمعنى: حتى يسلموا، وتؤول: «أن» والفعل بمصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق.

﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تُطِيعُواْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يُؤْتِكُمُ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والكاف مفعول به أول. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿أَجْرًا﴾: مفعول به ثان. ﴿حَسَنًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، وإن ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ له.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾: مثل سابقه. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿تَوَلَّيْتُم﴾: فعل، وفاعل، و(ما) والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور

متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، التقدير: وإن تتولوا تولياً مثل توليكم الأول. وهذا ليس مذهب سيبويه. وانظر الآية رقم [٣٥] من سورة (الأحقاف). ﴿مِّن قَبۡلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ﴾: مضارع جواب الشرط، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول مطلق. ﴿أَلِيمًا﴾: صفة له، وباقي الإعراب واضح إن شاء الله تعالى، و(إنْ) ومدخولها معطوف على ما قبله.

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٧﴾

الشرح: نزلت هذه الآية حين نزلت الأولى، وقال أهل الزمانة، والأعذار: كيف حالنا يا رسول الله؟! والمعنى: ليس على هؤلاء إثم، ومؤاخذة في التخلف عن الجهاد؛ لأنهم لا يقدرون على الكرِّ والفرِّ، فالأعمى لا يمكنه الإقدام على العدو، والطلب، ولا يمكنه الاحتراز منه، والهرب، وكذلك الأعرج، والمريض. وفي معنى الأعرج الزمن المقعد، والأقطع. وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد، والطحال الكبير، والذين لا يقدرون على الكرِّ والفرِّ. فهذه أعذار مانعة من الجهاد ظاهرة، ومن وراء ذلك أعذار أخر دون ما ذكر،وهي: الفقر الذي لا يُمَكِّنُ صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاجه إليه من مصالح الجهاد، والأشغال التي تعوق عن الجهاد، كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك. وإنما قدّم الأعمى على الأعرج؛ لأنَّ عذر الأعمى مستمر، لا يمكن الانتفاع به في حرس، ولا غيره، بخلاف الأعرج؛ لأنه يمكن الانتفاع به في الحراسة، ونحوها، وقدَّم الأعرج على المريض؛ لأنَّ عذره أشد من عذر المريض لإمكان زوال المرض عن قريب. انتهى. خازن. هذا؛ وهذه الأعذار تعفي من الجندية في هذه الأيام.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: في أمر الجهاد، وغيره. ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ...﴾ إلخ أي: يعرض عن الطاعة، ويستمر على الكفر، والنفاق. ﴿يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾: وهذا يكون في الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلَّا من أتى الله بقلب سليم. هذا؛ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦١] من سورة (النور) بشأن أصحاب هذه الأعذار.

الإعراب: ﴿لَّيۡسَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَّيۡسَ﴾ مقدم، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿حَرَجٞ﴾: اسم: ﴿لَّيۡسَ﴾ مؤخر، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي، ولا يجوز إعمالها إعمال: ﴿لَّيۡسَ﴾ لأنها تكررت. ﴿عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿حَرَجٞ﴾: معطوف على مثله، والعامل في الأولين، والمعطوفين عليهما عامل واحد، وهو:

﴿لَيْسَ﴾، ومثل الآية الكريمة قول الأعور الشني، وهو الشاهد رقم [٢٥٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [المتقارب]

هــوِّنْ عَــلــيْــكَ فــإنَّ الأُمُــو ... رَ بِــكَــفِّ الإلَــهِ مــقــاديــرُهــا

فَــلَــيْــسَ بــآتِــيــكَ مَــنْــهِــيُّــهَــا ... وَلَا قــاصِــرٍ عــنــكَ مــأمُــورُهــا

هذا وجه للإعراب، والوجه الثاني اعتبار (لا) نافية، والجار والمجرور: ﴿عَلَى ٱلْأَعْرَجِ﴾ متعلقين بمحذوف خبر مقدم، و﴿حَرَجٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محلَّ لها مثلها، و(قل) في الجملة الثانية مثل هذه الجملة. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَتَوَلَّ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى (مَنْ). ﴿يُعَذِّبْهُ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً، والهاء مفعول به. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول مطلق. ﴿أَلِيمًا﴾: صفة: ﴿عَذَابًا﴾، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: هو جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ ولا يمكن اعتبار (مَنْ) اسماً موصولاً لظهور الجزم في الفعلين. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع، وإعراب الأولى واضح إن شاء الله تعالى لظهور الجزم في الفعلين، وما يشبه الباقي في الآية رقم [٥].

﴿۞ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: الراسخين في الإيمان؛ أي: فعل فيهم فعل الراضي بما جعل لهم من الفتح، وما قدَّر لهم من الثواب، وأفهم ذلك: أنه لم يرضَ عن الكافرين، فخذلهم في الدنيا مع ما أعدَّ لهم في الآخرة من الخزي والنكال، والعاصون من المسلمين الفاسدون المفسدون سيلقون جزاءهم في الآخرة أيضاً. ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾: بيعة الرضوان بالحديبية. ﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: هي من شجر السَّمُر حصلت البيعة تحتها. ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من الصدق، والوفاء، كما علم ما في قلوب المنافقين من الشك، والنفاق. ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أنزل الطمأنينة في قلوب المؤمنين. وانظر الآية رقم [٤]. ﴿وَأَثَٰبَهُمْ﴾: جازاهم، ومنحهم. ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾: هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية.

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: الفاء في: (عَلِم) للتعقيب، وَعِلْمُ الله قبل الرضا؛ لأنه تعالى علم ما في قلوبهم من الصدق، والإيمان، فرضي عنهم، فكيف يفهم التعقيب

في قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾؟ قلت: قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ فيكون تقديره: لقد رضي الله عن المؤمنين؛ إذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق إشارة إلى أنَّ الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب، بل عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم، والفاء في قوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ للتعقيب؛ لأنه تعالى لما علم ما في قلوبهم؛ رضي عنهم، فأنزل السكينة عليهم.

هذا؛ وكان سبب هذه البيعة على ما ذكر محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم: أنَّ رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على جمله ﷺ ليبلغ أشرافهم: أنَّه ﷺ جاء معتمراً، ولم يجيء محارباً، فعقروا جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله، فمنعتهم الأحابيش، فخلَّوْا سبيله، فأتى رسول اللهِ ﷺ فأخبره، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ؛ ليبعثه إلى مكة، فقال: يا رسول الله! إني أخاف على نفسي قريشاً، وليس في مكة من بني عدي بن كعب أحد. وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعز بها منِّي لوجود عشيرته فيها، وهو عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان ـ رضي الله عنه ـ فبعثه إلى أبي سفيان، وأشراف قريش يخبرهم: أنَّه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، معظماً لحرمته، وكتب له كتاباً بعثه معه، وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريباً، وأن الله سيظهر دينه.

فتوجه عثمان ـ رضي الله عنه ـ فوجد قريشاً قد اتفقوا على منعه ﷺ من دخول مكة، ولقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فنزل عن فرسه، وحمله بين يديه، وأجاره؛ حتى بلَّغ رسالة رسول الله ﷺ، وقرأ عليهم الكتاب واحداً واحداً. فصمَّموا على أنه لا يدخلها هذا العام، وقالوا لعثمان ـ رضي الله عنه ـ: إن شئت أن تطوف بالبيت؛ فطف به، قال: ما كنت لأفعل؛ حتى يطوف به رسول الله ﷺ، وقد كان المسلمون قالوا: هنيئاً لعثمان خلص إلى البيت وطاف به دوننا، فقال ﷺ: «**إن ظني به أن لا يطوف** حتى **نطوف معاً**». وبشر عثمان ـ رضي الله عنه ـ المستضعفين بالفتح القريب، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قُتِل، فقال رسول الله ﷺ: «**لا نبرح حتى نناجز القوم**». ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة.

ووضع النبي ﷺ شماله في يمينه، وقال: «**هذه عن عثمان**» وهذا قد يشعر بأنه ﷺ علم بنور النبوة: أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ لم يقتل حتى بايع عنه، فيكون هذا من معجزاته ﷺ ويؤيده ما جاء: أنه لما بايع الناس؛ قال: «**اللهم إن عثمان في حاجتك، وحاجة رسولك**». وضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يده لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم، ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا، وبعثوا بعثمان ومن معه، وكانوا عشرة. انتهى. جمل. نقلاً من الخازن، والمواهب.

هذا؛ والذين حضروا بيعة الرضوان كانوا ألفاً وأربعمئة رجل، بايعوا رسول الله ﷺ على الموت وعلى أن لا يفروا، كلهم بايعوا رسول الله ﷺ ما عدا جَدَّ بن قيس أخا بني سلمة، قال جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: فكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته، يستتر بها من الناس.

ثم جرت السفراء بين رسول الله ﷺ وبين قريش، وطال التراجع، والتنازع إلى أن جاءه سهيل بن عمرو العامري، فوقع الصلح، والمهادنة على أن يرجع الرسول ﷺ عامه ذلك، فإذا كان من قابل أتى معتمراً، ودخل مكة هو، وأصحابه بغير سلاح، حاشا السيوف في قربها، فيقيم بها ثلاثاً، ويخرج. وعلى أن يكون بينه وبينهم صلح عشرة أعوام، يتداخل فيها الناس، ويأمن بعضهم بعضاً، وعلى أن من جاء من الكفار إلى المسلمين مسلماً من رجل، أو امرأة؛ رُدَّ إلى الكفار، ومن جاء من المسلمين إلى الكفار مرتداً؛ لم يردوه إلى المسلمين، فعظم ذلك على المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلام، وخذ ما يلي:

جاء عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى النبي ﷺ، وقال: يا رسول الله! ألسنا على حق؛ وهم على باطل؟ قال: «**بلى!**» قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: «**بلى**». قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع؛ ولما يحكم الله بيننا، وبينهم؟! فقال: **يا بن الخطاب إني رسول الله، ولن يُضيعني الله أبداً**. قال: فانطلق عمر، ولم يصبر متغيظاً، فأتى أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ، فقال: يا أبا بكر! ألسنا على حق؛ وهم على باطل، قال: بلى! قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: بلى! قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، ولمَّا يحكم الله بيننا، وبينهم؟! فقال: يا بن الخطاب! إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً! وفي رواية قال له: الزم غرزه. فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إيَّاه. فقال: يا رسول الله! أوَ فتحٌ هو؟ قال: «**نعم**». فطابت نفسه، فرجع.

بقي أن تعلم نتيجة الشجرة التي جرت تحتها البيعة، فهناك روايات تقول: إن الله أخفى مكانها، حتى إن بعض الصحابة أتوا الحديبية في العام القابل، فلم يهتدوا إليها. من ذلك ما روي: أن عمر ـ رضي الله عنه ـ مرَّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول: هاهنا، وبعضهم يقول: هاهنا، فلما كثر اختلافهم؛ قال: سيروا ذهبت الشجرة. والمشهور: أن عمر ـ رضي الله عنه ـ هو الذي قطعها، وأزال معالمها، وقال: خشيت أن تعبد في الأرض، كما عُبدت اللات، والعزّى.

الإعراب: ﴿لَّقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية جواب القسم لا محلَّ لها. ﴿عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: ﴿رَضِيَ﴾. ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿تَحْتَ﴾:

ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والمقام للماضي، وأتي بصيغة المضارع لاستحضار صورة المبايعة، و﴿تَحْتَ﴾ مضاف، و﴿ٱلشَّجَرَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَعَلِمَ﴾: الفاء: حرف عطف. (علم): ماض، والفاعل يعود إلى الله تقديره: «هو»، والجملة الفعلية معطوفة على جملة جواب القسم، لا محلَّ لها. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَأَنزَلَ﴾: الفاء: حرف عطف. (أنزل): ماض، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾: مفعول به. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محلَّ لها أيضاً. ﴿وَأَثَٰبَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (أثابهم): ماض، ومفعوله الأول، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿فَتْحًا﴾: مفعول به ثان. ﴿قَرِيبًا﴾: صفة: ﴿فَتْحًا﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾: يعني من أموال أهل خيبر، وكانت خيبر ذات نخيل، وعقار، وأموال، فقسمه رسول الله ﷺ بينهم، وذلك: أنَّ رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية؛ أقام بالمدينة بقية ذي الحجة، وبعض المحرم، ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع. انظر غزوة خيبر مفصلة في كتب السيرة. وإني أكتفي منها هنا بأمرين:

الأول: زواج النبي ﷺ بأم المؤمنين صفية ـ رضي الله عنها ـ، فقد كانت ـ رضي الله عنها ـ قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق: أن قمراً وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلَّا أنك تتمنين ملك الحجاز محمداً، ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها. فأتي بها رسول الله ﷺ، وبها أثرٌ منها، فسألها عن ذلك، ما هو؟ فأخبرته الخبر، وأُتيَ رسول الله ﷺ بزوجها كنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بني النضير، فسأله، فجحد أن يكون يعلم مكانه، فأتي رسول الله ﷺ برجل من اليهود، فقال لرسول الله ﷺ: إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: «**أرأيتَ إن وجدناه عندك، أنقتلك؟**» قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة، فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله ما بقي، فأبى أن يؤديه إليه، فأمر به رسول الله ﷺ إلى الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ أن يعذبه حتى يستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزنده على صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه إلى محمد بن مسلمة ـ رضي الله عنه ـ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة الذي ألقت عليه اليهود حجراً، فقتله. هذا؛ وإن النبي ﷺ أعتق صفية ـ رضي الله عنها ـ وجعل عتقها صداقها.

الأمر الثاني: ما فعلته اليهودية من سم النبي ﷺ، وكان ذلك منها بعد فتح خيبر، واستلام النبي ﷺ مفاتيح أبواب حصونها المنيعة. قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فلما اطمأن رسول

الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاةً مشويةً، وسألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السمَّ وسمَّت سائر الشاة، ثم جاءت بها على سبيل الهدية، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فأخذها، فلاك منها قطعة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، فأخذ منها، كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها ـ أي: ابتلعها ـ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، وقال: إن هذا العظم ليخبرني: أنه مسموم، ثم دعا بالمرأة، فاعترفت، فقال: «**ما حملك على ذلك؟**». فقالت: بَلَغْتَ من قومي ما لا يخفى عليك، فقلت: إن كان ملكاً؛ استرحنا منه، وإن كان نبياً يخبره ربه. فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر ـ رضي الله عنه ـ.

هذا؛ وفي زيني دحلان روايتان: إحداهما تقول: إن المرأة أسلمت، وعفا عنها رسول الله ﷺ، والثانية تقول: إنَّ النبي ﷺ دفع المرأة لأولياء بِشْر، رضي الله عنه، فقتلوها به قصاصاً، والرواية الأولى أولى بالاعتبار؛ لأنَّ إسلامها يحقن دمها، والإسلام يجبُّ ما قبله.

ويروى: أنَّ النبي ﷺ كان يقول لأم بِشْر: «**يا أم بشر ما زالت أكلة خيبر؛ التي أكلت مع ابنك تعاودني، فهذا أوانُ انقطاع أبهري**». فكان المسلمون يرون: أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة.

ثم قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر، فأعطى الراجل سهماً، والفارس ثلاثة أسهم، بعد أن خمسها خمسة أجزاء، كما فعل بغنائم بدر، انظر الآية رقم [٤١] من سورة (الأنفال) والغنائم تشمل المنقول، والأموال، والعبيد، أما الأرض فتركها لأهلها يعملون فيها بشطر ما يخرج منها من ثمرٍ، أو زرعٍ، وقال لهم: «**إنا إذا شئنا أن نخرجكم منها؛ أخرجناكم**». ثم استمروا على ذلك إلى خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ، فوقعت منهم خيانةٌ وغدرٌ ببعض المسلمين، فأجلاهم إلى الشام بعد أن استشار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في ذلك، والله أعلم.

الإعراب: ﴿وَمَغَانِمَ﴾: الواو: حرف عطف. (مغانم): معطوف على: ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾. وقال أبو البقاء: مفعول به لفعل محذوف دلَّ عليه ما قبله، وقال القرطبي: بدل من: ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾، والواو مقحمة، وليس بشيء. ﴿كَثِيرَةً﴾: صفة: (مغانم). ﴿يَأْخُذُونَهَا﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، و(ها): مفعوله، والجملة الفعلية صفة (مغانم)، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم، وجملة: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ مستأنفة، وإعرابها واضح لا خفاء به.

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾: هي المغانم التي تغنمونها من الفتوحات؛ التي تفتح لكم إلى يوم القيامة. وهذا وعد من العزيز العليم، وقد حقق وعده، وأنجز عهده حين

كان المسلمون مسلمين صادقين؛ حيث فتحوا بلاد فارس، والروم في أقل من ثلاثين سنةً، والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع، وإنجاز الوعد. ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾: يعني مغانم خيبر، وفيه إشارة إلى كثرة الفتوحات، والغنائم التي يعطيهم الله عزَّ وجل إياها في المستقبل، وإنما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لهم. وهي في جنب ما وعدهم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾: وذلك: أن النبي ﷺ لما قصد خيبر، وحاصر أهلها؛ همَّت قبائل من بني أسد، وغطفان أن يُغِيروا على عيال المسلمين، وذراريهم بالمدينة، فكفّ الله عزَّ وجل أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم. وقيل: المعنى: إن الله عزَّ وجل كفَّ أيدي أهل مكة بالصلح عنكم لتمام المنة عليكم. ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: ولتحصل لِمَنْ بعدكم آية تدلهم على أن ما وهبكم الله يحصل مثله لهم. وقيل: ولتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول ﷺ في إخباره عن الغيوب، فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم، ويعلموا: أن الله هو المتولي حياطتهم، وحراستهم في مشهدهم، ومغيبهم. ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: ويهديكم إلى دين الإسلام، ويثبتكم عليه، ويزيدكم بصيرةً، ويقيناً بما أنعم عليكم من صلح الحديبية، وفتح خيبر، ونحوهما، بسبب انقيادكم لأمر الله، واتباعكم طاعته، وموافقتكم رسوله ﷺ.

الإعراب: ﴿وَعَدَكُمُ﴾: ماض، ومفعوله الأول. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل. ﴿مَغَانِمَ﴾: مفعول به ثان. ﴿كَثِيرَةً﴾: صفة: ﴿مَغَانِمَ﴾. ﴿تَأْخُذُونَهَا﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية صفة: ﴿مَغَانِمَ﴾، أو حال منها، كما في الآية السابقة، وجملة: ﴿وَعَدَكُمُ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿فَعَجَّلَ﴾: الفاء: حرف عطف. (عجل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الثاني. ﴿هَٰذِهِۦ﴾: اسم إشارة مبني على الكسرة في محل نصب مفعوله الأول، والهاء حرف تنبيه، لا محلَّ له، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَكَفَّ﴾: الواو: حرف عطف. (كف): ماض، وفاعله يعود إلى (الله) أيضاً. ﴿أَيْدِيَ﴾: مفعول به أول، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ مضاف إليه. ﴿عَنكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿وَلِتَكُونَ﴾: الواو: مقحمة عند الكوفيين، وعاطفة عند البصريين. (لتكون): فعل مضارع ناقص منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، واسمها ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الكلام السابق، التقدير: ولتكون المعجلة، أو لتكون هزيمتهم، وسلامتكم. ﴿ءَايَةً﴾: خبر (تكون). ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَايَةً﴾، و«أن» المضمرة والفعل (تكون) في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (عجل)، أو: (كف) عند الكوفيين، والواو زائدة، والجار والمجرور معطوفان على محذوف عند البصريين، التقدير: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ لتشكروه، ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: انظر الآية رقم [٢].

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾: وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها. ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ يعني: حفظها لكم؛ حتى تفتحوها، ومنعها من غيركم؛ حتى تأخذوها. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: علم الله: أنه يفتحها لكم. واختلفوا فيها، فقال ابن عباس: هي فارس، والروم، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس، والروم، بل كانوا خولاً لهم؛ حتى أقدرهم الله عليهم بشرف الإسلام وعزّته. وقيل: هي خيبر، وعدها الله نبيه ﷺ، قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يرجونها، ففتحها الله لهم. وقيل: هي مكة، وقيل: هوازن. وقيل: هو كل فتح فتحه المسلمون، أو يفتحونه إلى آخر الزمان. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾: لأن قدرته ذاتية، لا تختصُّ بشيء دون شيء، فهو القادر أن يمنح المسلمين الصادقين فتح القرى، والبلدان، والعزة والكرامة، وعلو الشأن ما لا يقدر عليه غيره. ولا تنسَ: أنَّ (كانَ) للاستمرار، انظر الآية رقم [٥] وانظر شرح ﴿أُخْرَىٰ﴾ في سورة (النجم) الآية رقم [١٣].

الإعراب: (أخرى): يجوز فيها أوجه: أحدها: أن تكون مرفوعة بالابتداء، و﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ صفتها، و﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ خبرها. الثاني: أنَّ الخبر محذوف مقدَّر قبلها؛ أي: وثَمَّ أخرى، وعليه فالجملتان بعدها صفتان لها. الثالث: أن تكون منصوبة بفعل مضمر على شريطة التفسير، فيقدر الفعل من معنى المتأخر، وهو: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: وقضى الله أخرى، وعليه فالجملة بعدها صفتها، والثانية لا محلَّ لها؛ لأنها مفسرة. الرابع: أن تكون منصوبة بفعل مضمر، لا على شريطة التفسير، بل لدلالة السياق؛ أي: ووعدكم أخرى، أو وآتاكم أخرى، وعليه فالجملتان بعدها صفتان لها. الخامس: أن تكون مجرورة بـ: «ربَّ» مقدرة، وتكون الواو واو ربَّ ذكره الزمخشري. وتكون الجملة بعدها صفتها، والثانية خبرها، أو صفة ثانية لها، والخبر محذوف. انتهى. جمل. نقلاً عن السمين. بتصرف كبير مني. وفي القرطبي: (أخرى) معطوفة على ﴿هَٰذِهِۦ﴾ أي: فعجّل لكم هذه المغانم، ومغانم أخرى... إلخ. وكلام أبي البقاء، ومكي داخل في الوجوه المتقدمة. هذا؛ وقال الجلال - رحمه الله تعالى -: ﴿وَأُخْرَىٰ﴾: صفة: ﴿مَغَانِمَ﴾ مقدراً مبتدأ، وعليه تكون الجملة بعدها صفتها، والثانية خبراً.

﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَقْدِرُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾ وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَحَاطَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، وانظر محل الجملتين فيما تقدم. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كان): ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَدِيرًا﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾

مضاف إليه. ﴿قَدِيرًا﴾: خبر: (كان)، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من لفظ الجلالة؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الواو وإعادة لفظ الجلالة.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: من أهل مكة، ولم يصالحوا في الحديبية. وقيل: هم غطفان، وأسد، الذين أرادوا نصرة أهل خيبر، ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ أي: لانهزموا، ولكانت الدائرة عليهم. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾: يلي أمرهم. ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: ينصرهم. والمعنى: من تولى الله خذلانه؛ فلا ناصر له، ولا مساعد.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿قَٰتَلَكُمُ﴾: ماض، والكاف مفعوله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿لَوَلَّوُا۟﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (ولوا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْأَدْبَٰرَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب: (لو)، لا محلَّ لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ له. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَجِدُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿وَلِيًّا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جواب: (لو)، لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي، ﴿نَصِيرًا﴾: معطوف على ما قبله.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: يعني: طريقة الله، وعادته السالفة نصر أوليائه على أعدائه. هذا؛ والسنة: الطريقة، والشريعة، والمذهب. قال خالد بن زهير الهذلي ـ وهو الشاهد رقم [٩٢٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الطويل]

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سِيرَةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا

هذا؛ والسنة تكون حسنة، إن كانت في الخير كصلاة التراويح عشرين ركعة، وتكون سيئة إن كانت في الشر. وما أكثر السنن السيئة التي ابتدعها الناس في هذا الزمن. هذا؛ والآية مذكورة في سورة (الأحزاب) رقم [٦٢] انظرها وانظر الآية رقم [٤٣] من سورة (فاطر) ففيهما الكفاية.

الإعراب: ﴿سُنَّةَ﴾: مفعول مطلق، عامله محذوف، التقدير: سنَّ الله ذلك سنة. و﴿سُنَّةَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: ﴿سُنَّةَ﴾. ﴿خَلَتْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة؛ التي هي حرف لا محلَّ له، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّتِي﴾: وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بما قبلهما، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنىً. ﴿وَلَن﴾: الواو: حرف عطف. (لن): حرف نفي ونصب واستقبال. ﴿تَجِدَ﴾: مضارع منصوب بـ: (لن)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِسُنَّةِ﴾: متعلقان بـ: ﴿تَبْدِيلًا﴾ أو بمحذوف حال منه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، و(سنة) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه... إلخ. ﴿تَبْدِيلًا﴾: مفعول به، وجملة: (لن تجد...) إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها على الاعتبارين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ أي: الله هو الذي كفَّ أيدي المشركين عنكم أيها المؤمنون، فلم يوقعوا فيكم. ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾: فلم توقعوا فيهم قتالاً؛ بمعنى: حجز الله بين الفريقين بقدرته، وحكمته. ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾: فيه قولان: أحدهما: يريد مكة. الثاني: يريد الحديبية لأنَّ بعضها مضاف إلى الحرم. ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أقدركم، وسلطكم عليهم، وأمكنكم من رقابهم. وخذ ما يلي:

قال الخازن، ومثله في «أسباب النزول» للسيوطي: سبب نزول هذه الآية ما روي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنَّ ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غدراً بالنبي ﷺ وأصحابه، فأُخِذوا أسرى، فاستحياهم النبي ﷺ وعفا عنهم، فأنزل الله تعالى الآية الكريمة. تفرد بإخراجه مسلم.

وقال عبد الله بن مغفل المزني: كنا مع النبي ﷺ في أصل الشجرة، التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة، فرفعته عن ظهره، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بين يديه، يكتب كتاب الصلح، فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم نبي الله ﷺ، فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم، فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**هل جئتم في عهد، أو هل جعل لكم أحد أماناً؟**». قالوا: اللهم لا، فخلَّى سبيلهم. ومعنى الآية: أنَّ الله عزَّ وجل ذكر منّته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا، وحتى وقع الصلح بينهم الذي كان أعظم من الفتح. انتهى. خازن بتصرف. فهاتان روايتان بسبب نزول

الآية، والأولى أقوى، فإنها من رواية مسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وأما الثانية؛ فإنها من رواية أحمد، والنسائي.

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿كَفَّ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محلَّ لها. ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَنكُمْ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿كَفَّ﴾. ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾: معطوفان على ما قبلهما، المفعول على المفعول، والمجرور على المجرور. ﴿بِبَطْنِ﴾: متعلقان بـ: ﴿كَفَّ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من المصدر المفهوم من: ﴿كَفَّ﴾، التقدير: حالة كون الكف كان ببطن، و(بطن) مضاف، و﴿مَكَّةَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بما تعلق به ما قبلهما. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿أَظْفَرَكُمْ﴾: فعل ماض في محل نصب بـ: ﴿أَنْ﴾، والفاعل يعود إلى الله، والكاف مفعول به، و﴿أَنْ﴾ والفعل الماضي في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿بَعْدِ﴾ إليه. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [١١] وهي هنا مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: قريشاً. ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: منعوكم من دخول المسجد الحرام عام الحديبية حين أحرم النبي ﷺ مع أصحابه بعمرة، ومنعوا الهدي، وحبسوه عن أن يبلغ محله. وهذا كانوا لا يعتقدونه، ولكنه حملتهم الأنفة، ودعتهم حمية الجاهلية إلى أن يفعلوا ما لا يعتقدونه ديناً، فوبخهم الله على ذلك، وتوعدهم عليه، وأدخل الأنس على رسول الله ﷺ ببيانه، ووعده.

﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾: محبوساً، وكان النبي ﷺ قد ساق سبعين بدنة؛ ليذبحها في الحرم. ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾: بكسر الحاء: مكانه الذي يحل فيه نحره؛ أي: يجب، وهو الحرم، وهو بفتح الحاء الموضع الذي يحله الناس. هذا؛ وما حصل للنبي ﷺ وللمسلمين في هذه العمرة من صدّ قريش

لهم عن الحرم يسمى: إحصاراً، وذكرت في آية البقرة رقم [١٩٦] أن الإحصار من إتمام الحج، أو العمرة يكون بسبب عدو، أو مرض، ونحو ذلك، والمحصر يتحلل في مكانه بذبح شاة في مكان الإحصار عند الشافعي، وعند أبي حنيفة: محل الهدي الحرم، انظر آية (البقرة).

هذا؛ وإن النبي ﷺ أمر المسلمين بالتحلل حينما منع من دخول مكة، وتمَّ عقد الهدنة، والمصالحة بينه وبين قريش، ومن تلك الشروط أن يرجع عامه ذلك بدون عمرة، فعظم ذلك على المسلمين، وثقل عليهم، وتوقفوا عن التحلل، حتى غضب النبي ﷺ، فقالت له زوجه أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ: لو نحرت؛ لنحروا، ولو حلقت؛ لحلقوا، فنحر ﷺ بُدُنَه، وحلق رأسه. قيل: إن الذي حلق له رأسه يومئذ خراش بن أمية بن أبي العيص الخزاعي، عندئذ تحلَّل المسلمون بنحر هديهم، وحلق رؤوسهم، ودعا ﷺ للمحلقين ثلاثاً، وللمقصرين مرةً واحدةً.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ﴾ يعني: المستضعفين من المسلمين المقيمين في مكة، الذين لم يتمكنوا من العمرة، كسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل، وأشباههم. ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾: لم تعرفوهم. ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أي: بالقتل، والإيقاع بهم. يقال: وطئت القوم، أي: أوقعت بهم. ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: المعرة: العيب. أي: يقول المشركون: قد قتلوا أهل دينهم. وقيل: المعنى يصيبكم من قتلهم ما يلزمكم من أجله كفارة قتل الخطأ؛ لأن الله تعالى إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب؛ إذا لم يكن هاجر منها، ولم يعلم بإيمانه الكفارة دون الدية في قوله: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ الآية رقم [٩٢] من سورة (النساء). والمعرة: الإثم والشدة.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ تفضيل للصحابة، وإخبار عن صفتهم الكريمة من العفة عن المعصية، والعصمة عن التعدي، حتى لو أنهم أصابوا من ذلك أحداً لكان من غير قصد، وهذا كما وصفت النملة جند سليمان ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ في قولها: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وهذا يسمى: احتراساً. ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: قيل: المعنى: لم يأذن الله لكم في قتال المشركين؛ ليُسلم بعد الصلح من قدر الله له أن يسلم من أهل مكة، وقد حصل ذلك حيث أسلم الكثير منهم وحسن إسلامهم، ودخلوا في رحمته؛ أي: جنته، كأمثال خالد ـ رضي الله عنه ـ.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ أي: تميز المؤمنون المسْتَضْعَفُونَ في مكة عن المشركين، وابتعدوا عنهم. ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: بالقتل، والسبي بأيديكم، قال قتادة في الآية: إن الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار، كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة، وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: سألت النبي ﷺ عن هذه الآية: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟...﴾ إلخ، فقال: **«هم المشركون من أجداد نبي الله، ومن كان بعدهم، وفي عصرهم كان في أصلابهم قوم مؤمنون،**

فلو تزيل المؤمنون عن أصلاب الكافرين لعذّب الله الكافرين عذاباً أليماً». وهذا الحديث يضعفه ما ذكرته في الآية رقم [٢١٩] من سورة (الشعراء)، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٠] من سورة (الحج)، والآية رقم [٢٥١] من سورة (البقرة).

هذا؛ وفي المصباح: زاله، يزاله، وزان: ناله، يناله زيالاً: نحاه، وأزاله مثله، ومنه: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ بافتراق، ولو كان من الزوال ـ وهو الذهاب ـ لظهرت الواو فيه، وزيَّلت بينهم: فرقت، وزايلته: فارقته. انتهى جمل. وانظر شرح المسجد الحرام في الآية رقم [٢٥] من سورة (الحج).

الإعراب: ﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (صدوكم): ماض، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها مثلها. ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْحَرَامِ﴾: صفة: ﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾. ﴿وَٱلْهَدْيَ﴾: معطوف على الكاف، التقدير: وصدوا الهدي. وقيل: مفعول معه، ولا وجه لإمكان العطف من غير ضعف. وقرئ بجره عطفاً على: ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ولا بُدَّ من تقدير مضاف محذوف؛ أي: وعن نحر الهدي، وقرئ برفعه على أنه مرفوع بفعل مقدر، لم يسمّ فاعله؛ أي: وصُدَّ الهدي. ﴿مَعْكُوفًا﴾: حال من: (الهدي). ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَبْلُغَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى (الهدي). ﴿مَحِلَّهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وأن يبلغ في تأويل مصدر في محل نصب بدلاً من: (الهدي)، والخبر محذوف، التقدير: موجودون. هذا وجه لمحل هذا المصدر، والوجه الثاني هو في محل نصب بنزع الخافض، التقدير: عن أن يبلغ، أو من أن يبلغ، وهذا الجار المقدر يتعلق بـ: (صدوكم)، أو يتعلق بـ: ﴿مَعْكُوفًا﴾. والوجه الثالث أنه في محل نصب مفعول لأجله، وهو عند البصريين على تقدير: صدوا الهدي كراهة بلوغه محله، وعند الكوفيين التقدير: لئلا يبلغ محله. ومثل الآية الكريمة قول عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته رقم [٩٧] وهو الشاهد رقم [٤٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». [الوافر]

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأضْيَافِ مِنَّا ... فَعَجلْنَا الْقِرى أَنْ تَشْتِمُونَا

﴿وَلَوْلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لولا): حرف امتناع لوجود. ﴿رِجَالٌ﴾: مبتدأ. ﴿مُّؤْمِنُونَ﴾: صفة له مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿وَنِسَآءٌ﴾: الواو: حرف عطف. (نساء) معطوف على ما قبله. ﴿مُّؤْمِنَٰتٌ﴾: صفة (نساء)، والخبر محذوف، التقدير: موجودون. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَعْلَمُوهُمْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾ وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة لما قبلها. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَطَـُٔوهُمْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن»، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله،

والهاء مفعول به، والمصدر المؤول من ﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب بدلاً من الضمير المنصوب، ويجوز أن يكون بدلاً من (رجال) و(نساء) التقدير: لم تعلموا وطأهم، والتقدير على الثاني: ولولا وطء رجال ونساء غير معلومين، وهو في الوجهين بدل الاشتمال، وفي جواب (لولا) ثلاثة أوجه: أحدها: أنه محذوف لدلالة جواب (لو) عليه، التقدير: لولا رجال... إلخ لأذنَ لكم في قتالهم، لكن لم يأذن فيه. الثاني: أنه مذكور، وهو: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ وجواب (لو) هو المحذوف، فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، ومن الثاني لدلالة الأول عليه. والثالث: أن قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾، جوابهما معاً. وهو بعيد إن أراد حقيقة ذلك. وقال الزمخشري قريباً من هذا، فإنه قال: ويجوز أن يكون: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ كالتكرير لـ: (لولا) رجال مؤمنون؛ لمرجعهما لمعنى واحد، ويكون: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ هو الجواب. ومنع الشيخ رجوعهما لمعنى واحد، قال: لأن ما تعلَّق به الأول غير ما تعلق به الثاني. انتهى. جمل. ﴿فَتُصِيبَكُم﴾: مضارع معطوف على ما قبله منصوب مثله، والكاف مفعول به. ﴿مِّنْهُم﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَّعَرَّةٌ﴾: فاعله. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾ يعني: أن تطؤوهم غير عالمين بهم. انتهى. كشاف. وأجاز السمين تعليقهما بمحذوف على أنه صفة لـ: ﴿مَّعَرَّةٌ﴾ وأن يكونا متعلقين بمحذوف حال من مفعول: (تصيبكم). و(غير): مضاف، و﴿عِلْمٍ﴾ مضاف إليه.

﴿لِّيُدْخِلَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله، و«أن» المضمرة بعد لام التعليل، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، التقدير: كان الكف، ومنع التعذيب؛ ليدخل. ﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: الذي يشاؤه. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وجملة: ﴿تَزَيَّلُوا﴾ لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجملة: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ رأيت ما قيل فيها من أوجه. ﴿الَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَفَرُوا﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(مِنْ) بيان لما أبهم في الموصول، ﴿عَذَابًا﴾: مفعول مطلق. ﴿أَلِيمًا﴾: صفة له.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾

الشرح: قال الزمخشري في كشافه: والمراد بحمية الذين كفروا، وسكينته المؤمنين ـ والحمية: الأنفة. والسكينة: الوقار ـ ما روي: أن رسول الله ﷺ لما نزل بالحديبية؛ بعثت

قريش سهيل بن عمرو القرشي، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص بن الأخيف على أن يعرضوا على النبي ﷺ أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلّي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام، ففعل ذلك، وكتبوا بينهم كتاباً، فقال النبي ﷺ لعليٍّ ـ رضي الله عنه ـ: «**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم**». فقال سهيل وأصحابه: ما نعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم. ثم قال: «**اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله ﷺ أهل مكة**».

فقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله؛ ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة. فقال النبي ﷺ: «**اكتب ما يريدون، فأنا أشهد أني رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله**». فهمَّ المسلمون أن يأبوا ذلك، ويشمئزوا منه، فأنزل الله على رسوله وعلى المؤمنين السكينة، فتوقروا، وتحلموا.

و﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه ﷺ وللذين معه من أهل الخير، ومستحقيه، ومن هم أولى بالهداية من غيرهم. وقيل: هي كلمة الشهادة. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد، ومعنى إضافتها إلى التقوى: أنها سبب التقوى، وأساسها. وقيل: كلمة أهل التقوى. انتهى.

ومعنى (ألزمهم): اختار لهم كلمة الإيمان، والثبات عليها، فهو إلزام إكرام، وتشريف. ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾: من غيرهم أي في علم الله؛ لأنَّ الله تعالى اختارهم لدينه. و(أهلها) عطف تفسيري لـ: ﴿أَحَقَّ بِهَا﴾، أو الضمير في ﴿بِهَا﴾ لكلمة التوحيد، وفي (أهلها) للتقوى فلا تكرار، فلا يرد: ما فائدة قوله: ﴿وَأَهْلَهَاۚ﴾ بعد قوله ﴿أَحَقَّ بِهَا﴾. انتهى. جمل. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ يعني: من أمر الكفار، وما كانوا يستحقونه من العقوبة، وأمر المؤمنين، وما يستحقونه من المثوبة، والأجر، والفضل. وانظر شرح ﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ في الآية رقم [٤].

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: (عذبنا)، أو بالفعل: (صدوكم)، أو بـ: «اذكر» محذوفاً. ﴿جَعَلَ﴾: ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿جَعَلَ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف مفعول ثان تقدم على الأول على اعتباره بمعنى: «صير» وتعدى إلى مفعولين، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْحَمِيَّةَ﴾: مفعول به. ﴿حَمِيَّةَ﴾: بدل مطابق، و﴿حَمِيَّةَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿جَعَلَ...﴾ إلخ، فهي في محل جر مثلها. وعند التأمل يتبين لك: أن الجملة معطوفة على شيء مقدر؛ أي: فهمَّ المسلمون أن يخالفوا كلام الرسول في الصلح، وكادوا أن يهلكوا. . . فأنزل الله. . . إلخ. ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾: مفعول به،

والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل: (أنزل)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (ألزمهم): ماض، ومفعوله الأول، والفاعل يعود إلى الله. ﴿كَلِمَةَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً. و﴿كَلِمَةَ﴾ مضاف، و﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَكَانُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (كانوا): ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿أَحَقَّ﴾: خبر (كان). ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَحَقَّ﴾. ﴿وَأَهْلَهَا﴾: الواو: حرف عطف. (أهلها): معطوف على ﴿أَحَقَّ﴾، و(ها): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَكَانُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٢١].

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: سبب نزول هذه الآية: أن رسول الله ﷺ رأى في المنام؛ وهو بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية: أنه يدخل المسجد الحرام، هو وأصحابه آمنين، ويحلقون رؤوسهم، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا، وحسبوا: أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا، ولم يدخلوا؛ شق عليهم ذلك، وقال عبد الله بن أبي، وعبد الله بن نفيل، ورفاعة بن الحارث ـ وهم منافقون ـ: والله ما حلقنا، ولا قصرنا، ولا رأينا المسجد الحرام! فنزلت الآية الكريمة، ودخل في العام المقبل.

وروي عن مجمع بن حارثة الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ، قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها، إذ الناس يهزون الأباعر، فقال بعضهم: ما بال الناس؟! قال: أوحي إلى رسول الله ﷺ. قال: فخرجنا نرجف، فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع الناس؛ قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أهو فتح يا رسول الله؟! قال: نعم والذي نفسي بيده! ففيه دليل على أن المراد من الفتح: هو صلح الحديبية، وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل.

هذا؛ وقوله تعالى: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ليس استثناءً، وإنما هو للتأكيد. ﴿ءَامِنِينَ﴾ أي: من العدو. ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾: التحليق، والتقصير جميعاً للرجال، والحلق أفضل للرجال؛ لأنَّ النبي ﷺ دعا للمحلقين ثلاثاً، وللمقصرين في الرابعة، وليس للنساء إلَّا التقصير. ﴿لَا

تَخَافُونَ﴾: عدوكم. ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ أي: علم ما في تأخير الدخول من الخير والصلاح الذي لم تعلموه أنتم، وذلك أنه ﷺ لما رجع مضى منها إلى خيبر، فافتتحها، ورجع بأموال خيبر، وأخذ من العدة والقوة أضعاف ما كان فيه في ذلك العام، وأقبل على مكة بأهبة، وقوة، وعدة بأضعاف ذلك. ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: دخول الحرم الذي رآه النبي ﷺ في المنام. ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾: هو صلح الحديبية قاله أكثر المفسرين. وقيل: هو فتح مكة. وقيل: هو فتح خيبر، والمعتمد الأول.

هذا؛ ولما كان في ذي القعدة من سنة سبع خرج النبي ﷺ إلى مكة معتمراً عمرة القضاء هو، وأهل الحديبية الذين كانوا معه حين صُدُّوا، فأحرم من ذي الحليفة، وساق معه الهدي، وكان ستين بدنة، فَلَبَّى، وصار الناس يلبُّون، فلما كان ﷺ قريباً من مرِّ الظهران بعث محمد بن مسلمة ـ رضي الله عنه ـ بالخيل، والسلاح أمامه، فلما رآه المشركون رُعِبوا رعباً شديداً، وظنُّوا: أن رسول الله ﷺ يغزوهم، وأنه قد نكث العهد؛ الذي بينه، وبينهم من وضع القتال عشر سنين، فذهبوا، فأخبروا أهل مكة، فبعثت قريش مكرز بن حفص، فقال: يا محمد! ما عرفناك تنقض العهد! فقال: وما ذاك؟ قال: دخلت علينا بالسلاح، والقِسيِّ، والرماح، فقال: لم يكن ذلك، وقد بعثنا به إلى يَأْجَجَ، فقال: بهذا عرفناك بالبر، والوفاء.

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة، خرجت رؤوس قريش من مكة؛ لئلا ينظروا إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ غيظاً، وحنقاً، وأما بقية أهل مكة من الرجال، والنساء، والولدان، فجلسوا في الطرق، وعلى البيوت ينظرون إليهم، فدخلها ﷺ وبين يديه أصحابه يلبون، والهدي قد بعثه إلى ذي طوى، وهو راكب ناقته القصواء، التي كان ركبها في الحديبية، وعبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ آخذ بزمامها، يقودها، وهو يقول: [الرجز]

خَلُّوا بني الكفار عن سبيلِه ... إنّي شهيدٌ أنَّهُ رسُولُه
خَلُّوا فكلُّ الخَيْرِ في رسولِه ... يا ربِّ إني مؤمنٌ بِقِيلِه
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تأوِيلِه ... كمَا قَتلناكُمْ على تنزيلِه
ضرباً يزيلُ الهامَ عن مقيلِه ... ويذهلُ الخليلَ عَنْ خليلِه

روى الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة، وقد وهنتهم حُمَّى يثرب، ولقوا منها سوءاً، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب، ولقوا منها شراً، وجلس المشركون من الناحية التي تلي الحِجْر، فأطلع الله تعالى نبيه ﷺ على ما قالوا، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة؛ ليرى المشركون جَلَدَهم، قال: فرملوا ثلاثة أشواط، وأمرهم أن يمشوا بين الركنين

حيث لا يراهم المشركون، ولم يمنع النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط كلها إلَّا إبقاء عليهم، فقال المشركون: أهؤلاء الذين زعمتم: أن الحمَّى قد وهنتهم؟ هؤلاء أجلد من كذا، وكذا. أخرجه الشيخان، والإمام أحمد، ثم رجع ﷺ وأصحابه إلى المدينة بعد أن أقاموا ثلاثة أيام في مكة المكرمة، وبقيت سُنَّة الرَّمَل إلى يوم القيامة.

هذا؛ وفي تعليق الوعد بالمشيئة مع أنَّ الله تعالى خالق للأشياء كلها، وعالم بها قبل وقوعها أقوال كثيرة.

الإعراب: ﴿لَّقَدْ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله. ﴿رَسُولَهُ﴾: مفعوله الأول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلرُّءْيَا﴾: مفعوله الثاني منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين باللام. هذا؛ وإن الفعل ﴿صَدَقَ﴾ نصب مفعولين حملاً على نقيضه: «كذب» بالتخفيف، وهذا غريب؛ لأنه لم يعهد تعدِّي المخفف إلى مفعولين، والمشدد إلى واحد، بل المعروف: أن التضعيف يعدي اللازم إلى واحد، والمتعدي لواحد إلى مفعولين.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: فيه أوجه: أحدها: أن يتعلقا بـ: (صَدَقَ). الثاني: أن يكونا متعلقين بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف؛ أي: صدقاً ملتبساً بالحق. الثالث: أن يتعلقا بمحذوف حال من الرؤيا؛ أي: ملتبسةً بالحق. الرابع: أنهما متعلقان بمحذوف، تقديره: أقسم، على أنَّ الباء حرف قسم وجر، وجملة: ﴿لَتَدْخُلُنَّ...﴾ إلخ، جواب هذا القسم، وعلى هذا يوقف على ﴿ٱلرُّءْيَا﴾ ويبتدأ بما بعدها. انتهى. جمل نقلاً من السمين بتصرف كبير مني. ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم المحذوف، أو المذكور، أعني: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾. ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة فاعله، والنون للتوكيد حرف لا محل له، والجملة الفعلية جواب قسم محذوف على الوجوه الثلاثة في تعليق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، وجواب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ على الوجه الرابع فيه. وعلى جميع الوجوه؛ فهذا القسم مؤكد للقسم السابق. وقال أبو البقاء: تفسير للرؤيا. ﴿ٱلْمَسْجِدَ﴾: مفعول به، وانظر الآية رقم [٧٠] من سورة (الزخرف). ﴿ٱلْحَرَامَ﴾: صفة: ﴿ٱلْمَسْجِدَ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿شَآءَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية لا محلَّ لها... إلخ، وجواب الشرط محذوف لدلالة المقام عليه. والجملة الشرطية معترضة بين الحال، وعاملها. والغرض منها التأكيد، والتبرك لا الاستثناء، وفيه أيضاً تعليم للعباد أن يقولوا مثل ذلك في جميع شؤونهم.

﴿ءَامِنِينَ﴾: حال من واو الجماعة في ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾. ﴿مُحَلِّقِينَ﴾: حال ثانية من واو الجماعة، أو من الضمير المستتر بـ: ﴿ءَامِنِينَ﴾ فهي حال متداخلة، وحال مقدرة. انظر أنواع الحال في الآية رقم [٨] وفاعل الحالين ضمير مستتر تقديره: «أنتم». ﴿رُءُوسَكُمْ﴾: مفعول به لـ: ﴿مُحَلِّقِينَ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾: معطوف على ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ منصوب مثله، وعلامة النصب في الثلاثة الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنها جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعل: (مقصرين) مستتر فيه، ومفعوله محذوف لدلالة المقام عليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَخَافُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾، أو من الضمير المستتر في: ﴿ءَامِنِينَ﴾، أو في: ﴿مُحَلِّقِينَ﴾، أو في: (مقصرين)، فإن كانت حالاً من فاعل ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾، أو من الضمير في: ﴿ءَامِنِينَ﴾، فهي حال مؤكدة، ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿فَعَلِمَ﴾: الفاء: حرف عطف. (علم): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَعْلَمُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾ وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: علم الذي، أو شيئاً لم تعلموه، وجملة: (علم...) إلخ معطوفة على جملة: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ...﴾ إلخ، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها على الاعتبارين. (جعل): ماض، والفاعل يعود إلى الله أيضاً. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿فَتْحًا﴾: مفعول به. ﴿قَرِيبًا﴾: صفة له، وجملة: (جعل...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ...﴾ إلخ: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا لبيان صدق الرؤيا، وذلك أن الله لا يري رسوله ﷺ ما لا يكون، فيحدث الناس، فيقع خلافه، فيكون سبباً للضلال، فحقق الله أمر الرؤيا بقوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ وبقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾. وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة. انتهى. والمعنى: أن الله عزَّ وجل هو الذي بعث محمداً ﷺ بالنور، والقرآن. ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: دين الإسلام؛ ليعليه على جميع الأديان بالحجج الدامغات، والبراهين الساطعات، فتصير الأديان كلها دونه. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: في أن محمداً ﷺ رسول الله. وفيه تسلية لقلوب المؤمنين

حينما تأذوا من قول المشركين: لو نعلم أنه رسول الله ما صددناه عن البيت. هذا؛ وفي الآية الكريمة وعد من الله لرسوله ﷺ بإعلاء دينه. وقد حقق الله وعده، ونصر عبده. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥١] من سورة (غافر) عن الصابوني.

تنبيه: قال أبو هريرة، والضحاك: هذا (أي: ما ذُكِرَ في الآية الكريمة) عند نزول عيسى عليه السلام. وقال السدي: ذاك عند خروج المهدي، ولا يبقى أحد إلَّا دخل في الإسلام. وأيد ذلك القرطبي، وذكره الزمخشري بلفظ: قيل. ولا تنسَ: أن الآية مذكورة في سورة (التوبة) برقم [٣٣] وفي سورة (الصف) برقم [٩].

هذا؛ والفعل (كفى) في هذه الآية ونحوها هو بمعنى: اكتف، فالباء زائدة في الفاعل عند الجمهور، وهو لازم لا ينصب المفعول به، ومضارعه مثله، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ الآية رقم [٥٣] من سورة (فصلت)، وقد يأتي بمعنى حسب، وهو في هذه الصيغة، وهو يكون قاصراً، لا يتعدى بنفسه إلى المفعول به، ولا تزاد الباء في فاعله، كما في قول سحيم بن وثيل الرياحي عبد بني الحسحاس، وهذا هو الشاهد رقم [١٦٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

عُمَيْرَةَ ودِّع إن تجهزت غازياً ... كفى الشَّيبُ والإسلامُ لِلمَرْءِ ناهِيَا

هذا وقد يأتي الفعل متصرفاً بمعنى: يجزي، ويغني، فيتعدى لواحدٍ، ولا تزاد الباء في فاعله، كما هو في قول الشاعر ـ وهو الشاهد رقم [١٦٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الوافر]

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِي وَلَكِنْ ... قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلُ

وإذا كان بمعنى: وقى، أو: قام بكفايته في شأن من الشؤون فإنه يكون متعدياً لمفعولين، كقوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ رقم [٢٥] من سورة (الأحزاب).

الإعراب: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿أَرْسَلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿رَسُولَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿أَرْسَلَ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿رَسُولَهُۥ﴾. (دين): معطوف على ما قبله، و(دين): مضاف. ﴿ٱلْحَقِّ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿أَرْسَلَ﴾. ﴿عَلَى ٱلدِّينِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كُلِّهِۦ﴾: توكيد لـ: (دين) لأنه بمعنى جميع الأديان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَكَفَىٰ﴾: الواو: حرف استئناف. (كفى): فعل ماض

مبني على فتح مقدر على الألف. ﴿بِٱللَّهِ﴾: الباء: حرف جر صلة. (الله): فاعله مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الصلة. ﴿شَهِيدًا﴾: تمييز. وقيل: حال، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ أي: حقاً، وصدقاً. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥٧] من سورة (الأعراف)، من ذكره في التوراة، والإنجيل. ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: المراد بهم: الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم. ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أي: غلاظ أقوياء. ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: متعاطفون، متوادون بعضهم لبعض، كالوالد مع الولد، كما قال تعالى في حقهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ الآية رقم [٥٤] من سورة (المائدة). وعن أبي الحسن ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: بلغ من تشددهم على الكفار: أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم: أنهم كانوا لا يرى مؤمن مؤمناً إلَّا صافحه، وعانقه. ومن حق المسلمين في كل زمان، ومكان أن يراعوا هذا التشدد، وهذا التعطف، فيتشددوا على من ليس على ملتهم، ودينهم، ويتحاموه، ويعاشروا إخوتهم في الإسلام متعطفين بالبر، والصلة، وكف الأذى، والمعونة، والاحتمال، والأخلاق السجية. انتهى. من الكشاف. وخذ قول النبي ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوادِّهِمْ، وَتَراحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْواحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بالحمَّى، والسَّهَر**». أخرجه الشيخان عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ. وفي الحديث الصحيح: «**المؤمِنُ لِلْمؤمِنِ كالبنيان يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**».

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ أي: هم مشغولون بالصلاة في أكثر أوقاتهم. ﴿يَبْتَغُونَ﴾: يطلبون. ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني: الجنة. ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ أي: أن يرضى الله عنهم. وفيه لطيفة، وهو أنَّ المخلص بعمله لله يطلب أجره من الله تعالى، والمرائي لا يبتغي له أجراً، ولا يطلب من الله رضواناً. ﴿سِيمَاهُمْ﴾ أي: علامتهم. ﴿فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾: اختلفوا في هذه العلامة على وجهين: أحدهما: أنَّ المراد في يوم القيامة. قيل: هي نور، وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة: أنهم سجدوا لله في الدنيا. وهي رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وقيل: تكون

مواضع السجود في وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقيل: يبعثون غراً محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك.

والقول الثاني: أنَّ ذلك في الدنيا، وذلك: أنهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة الصلاة بالليل. وقيل: هو السمت الحسن، والخشوع، والتواضع. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ليس بالذي ترون، ولكنه سيما الإسلام، وسجيته، وسمته، وخشوعه. والمعنى: أنَّ السجود أورثهم الخشوع، والسمت الحسن يعرفون به. وقيل: هو صفرة الوجه من سهر الليل، ويعرف ذلك في رجلين: أحدهما سهر الليل في الصلاة، والعبادة، والآخر في اللهو، واللعب، فإذا أصبحا ظهر الفرق بينهما، فيظهر في وجه المصلي نور وضياء، وعلى وجه الذي سهر في اللهو، واللعب ظلمة. قال عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية مَنْ حافظ على الصلوات الخمس.

وقال بعضهم: إنَّ للحسنة نوراً في القلب، وضياءً في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبةً في قلوب الخلق. وللسيئة ظلمةٌ في القلب، وسوادٌ في الوجه، وضيقٌ في الرزق، وكراهيةٌ في قلوب الخلق. وقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ: ما أسر أحدٌ سريرةً إلَّا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه، وفلتات لسانه. وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: من أصلح سريرته؛ أصلح الله علانيته. وقال النبي ﷺ: «**ما أسرَّ أحدٌ سريرةً إلَّا ألْبَسَهُ الله تعالى رِدَاءها، إن خيراً؛ فَخَيرٌ، وإن شرّاً؛ فَشَرٌّ**». أخرجه الطبراني عن جندب بن سفيان البجلي ـ رضي الله عنه ـ.

فالصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ خلصت نياتهم، وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم، وهديهم. قال الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ: بلغني: أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا! وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها، وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، ولذا قال تعالى هنا: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾.

هذا؛ وجاء في التوراة في صفة أمة محمد ﷺ: دويهم في مساجدهم كدوي النحل. وفي روايةٍ: أصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل، رهبان بالليل ليوث بالنهار، وإذا همَّ أحدهم بحسنة فلم يعملها؛ كُتِبَتْ له حسنةً واحدةً، فإن عملها؛ كُتِبَتْ له عشراً، وإذا همَّ بسيئة، فلم يعملها، كُتِبَتْ له حسنةً، وَإنْ عَملها؛ كُتِبَتْ عليه سيئةً واحدةً، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالكتاب الأول (أي: بجنس الكتب السابقة) والكتاب الآخر. وهو القرآن.

هذا؛ وروى الإمام أحمد، وغيره بإسناد صحيح: أن الله تعالى قال لعيسى عليه السلام: «**يا عيسى! إني باعِثٌ بعدك أمةً، إن أصابهمْ ما يحبون؛ حمدوا، وشكروا، وإنْ أصابَهُمْ ما يكرهُونَ؛ صَبَروا، واحْتَسَبُوا، ولا حِلْمَ، ولا عِلْمَ. قال: كيف يَكُونُ لَهُمْ هَذَا، ولا حِلمَ، ولا عِلمَ؟! قال: أعطيهِمْ مِنْ حِلمي، وعِلمي**». انتهى. زيني دحلان ج١ ص١٤٧. هذا؛ وفي

«الترغيب والترهيب» أخرجه الحاكم عن أبي الدرداء - رضي الله عنه -. قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**إن الله عزَّ وجل، قال: يا عيسى...**». ثم قال: صحيح على شرط البخاري.

هذا؛ وفي المختار: شطْء الزرع والنبات: فراخه. وقال الأخفش: طرفه. وأشطأ الزرع: خرج شطؤه. وفي القاموس: الشطء: فراخ النخل، والزرع، أو ورقه. وشطأ، كمنع، وشطئاً، وشطوءاً: أخرجها. ومن الشجر ما خرج حول أصله، والجمع: أشطاء. وقال زاده: يقال: أفرخ الزرع، وفرخ إذا تشقق وخرج منه فرعه، فأول ما ينبت يكون بمنزلة الأم، وما تفرع منه بمنزلة أولاده، وأفراخه، والفرخ في الأصل: ولد الطائر.

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: فقواه، وأعانه. ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾: غلظ، وقوي. ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾: قوي، واستقام. ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: على أصوله، جمع: ساق. ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أي: زرّاعه لحسنه. وفي الكشاف: هذا مثل ضربه الله لبدء الإسلام، وترقيه في الزيادة إلى أن قوي، واستحكم؛ لأن النبي ﷺ قام وحده، ثم قواه الله بمن معه، كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها. قال قتادة - رحمه الله تعالى -: مثل أصحاب محمد ﷺ في الإنجيل مكتوب: إنه سيخرج قومٌ ينبتون نباتَ الزرع، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ المعنى: قواهم الله، وكثرهم، ورفع شأنهم؛ ليغيظ بهم الكفار. قال مالك بن أنس - رضي الله عنه -: من أصبح؛ وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ، فقد أصابته هذه الآية. فهو يعني: أنه كافر. وجاء في مختصر ابن كثير ما يلي: ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله تكفير الروافض؛ الذين يبغضون الصحابة - رضي الله عنهم - قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء - رضي الله عنهم - على ذلك.

والأحاديث في فضل الصحابة - رضي الله عنهم -، والنهي عن التعرض لهم بمساويهم كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم، كيف لا؟ والله يقول: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم﴾ (مِنْ) هذه لبيان الجنس، وليست للتبعيض. ﴿مَّغۡفِرَةٗ﴾: لذنوبهم. ﴿وَأَجۡرًا عَظِيمًۢا﴾ أي: ثواباً جزيلاً، ورزقاً كريماً، ووعد الله حقٌّ وصدقٌ، لا يخلف، ولا يبدل. وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم الفضل، والسبق، والكمال؛ الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمَّة. وخذ ما يلي: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسبُّوا أصحابي فوالَّذِي نَفسي بيدِه، لَوْ أَنَّ أَحدَكم أنفقَ مِثلَ أُحدٍ ذَهباً؛ ما أدْرَكَ مُدَّ أحدِهِمْ، ولا نَصِيفَهُ**». أخرجه مسلم. وعن عبد الله بن مغفل المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «**الله الله في أصْحابي، لا تتخِذُوهُمْ غرضاً مِنْ بعدي، فمَنْ أحبَّهُمْ، فبحبِّي أحبَّهُمْ، ومَنْ أبْغَضَهُمْ فببغضي أبغضَهُمْ، ومَنْ آذاهم فَقَدْ آذاني، ومَنْ آذاني؛ فقد آذى الله، ومَنْ آذى الله؛ فيوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ**» أخرجه الترمذي.

فائدة: من الطرائف ما حكي عن بعض المذكِّرين قال: إنَّ النبي ﷺ قال: «**مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها هلك**»، وقال: «**أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم**». ونحن في بحر التكليف، وتضربنا أمواج الشبهات، والشهوات، وراكب البحر يحتاج إلى أمرين: أحدهما السفينة الخالية من العيوب، وثانيهما الكواكب الطالعة النيرة، فإذا ركب المرء تلك السفينة، ووضع بصره على تلك الكواكب؛ كان رجاء السلامة غالباً، فلذلك ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمد ﷺ، ووضعوا أبصارهم على نجوم الصحابة يرجون السلامة في الدنيا، والآخرة، وهذا ما نؤمله من فضله تعالى، وكرمه، وجوده، وإنعامه.

الإعراب: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ﴾: مبتدأ، وخبر، و﴿رَّسُولُ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿مَعَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَشِدَّآءُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَشِدَّآءُ﴾. ﴿رُحَمَآءُ﴾: خبر ثان. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿رُحَمَآءُ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وجه للإعراب، والوجه الثاني اعتبار ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هو ﴿مُّحَمَّدٌ﴾، و﴿رَّسُولُ﴾ نعت له، وعلى هذين الوجهين يوقف على لفظ الجلالة، ويبتدأ بما بعده، ويكون الإخبار بالصفات الآتية عن الموصول؛ أي: الذين مع النبي ﷺ، والنبي أرفع درجة منهم؛ لأنهم إنما أدركوا هذه الدرجة به وعلى يديه ﷺ. والوجه الثالث: اعتبار ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأ، و﴿رَّسُولُ﴾ نعت له، و(الذين) معطوف عليه، و﴿أَشِدَّآءُ﴾ خبر الابتداء عن الجميع، و﴿رُحَمَآءُ﴾: خبر ثان عنهم، فيكون النبي ﷺ داخلاً معهم في جميع ما أخبره عنهم من الشدة، والرحمة، والركوع، والسجود، وضرب الأمثال المذكورة. هذا؛ وقال أبو البقاء: ويقرأ: (أشداءَ) و(رحماءَ) بالنصب عطفاً على الحال من الضمير المرفوع في الظرف، وهو معه. وبه قال القرطبي، وعزا القراءة للحسن.

﴿تَرَىٰهُمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثالث لـ: (الذين)، أو هي في محل نصب حال من الضمير المستتر في: ﴿أَشِدَّآءُ﴾ و﴿رُحَمَآءُ﴾، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: حالان من الضمير المنصوب. ﴿يَبْتَغُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية يجوز فيها ما جاز بسابقتها. ﴿فَضْلًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿فَضْلًا﴾، أو بمحذوف صفة له. (رضواناً): معطوف على ما قبله.

﴿سِيمَاهُمْ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فِى وُجُوهِهِم﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية صالحة لما صلح

قبلها من جمل. ﴿مِّنْ أَثَرِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر فيه، و﴿أَثَرِ﴾ مضاف، و﴿ٱلسُّجُودِ﴾ مضاف إليه. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿مَثَلُهُمْ﴾: خبر المبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِنْ ﴿مَثَلُهُمْ﴾ والعامل اسم الإشارة. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿مَثَلُهُمْ﴾ مبتدأ ثانياً، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَمَثَلُهُمْ﴾: يجوز فيه وجهان: أحدهما: أنه مبتدأ، وخبره الجار، والمجرور ﴿كَزَرْعٍ﴾، فيوقف على قوله: ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، فهما مثلان، وإليه ذهب ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. والثاني: أنه معطوف على: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ الأول، فيكون مثلاً واحداً في الكتابين، ويوقف حينئذ على: ﴿فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾، وإليه نحا مجاهد، والفراء، ويكون قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ على هذا فيه أوجه:

أحدها: أنه خبر مبتدأ مُضْمَر؛ أي: مثلهم كزرع، فسر به لمثل المذكور في الإنجيل. الثاني: أنه حال من الضمير في (مثلهم) أي مماثلين زرعاً هذه صفته. الثالث: أنه نعت مصدر محذوف؛ أي: تمثيلاً كزرع. ذكره أبو البقاء. ﴿أَخْرَجَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الزرع)، والجملة الفعلية صفة (زرع). ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محلِّ جرٍّ بالإضافة. ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: الفاء: حرف عطف. (آزره): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الزرع)، والهاء مفعول به، وهي عائدة إلى: ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾. قاله السمين. وعكس النسفي، فجعل المستتر للشطء، والبارز للزرع، ولعله أقوى، وأنسب، فإن العادة: أن الأصل يتقوى بفروعه، فهي تعينه، وتقويه. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وأيضاً جملة (استغلظ) و(استوَى على سُوقِهِ) معطوفتان عليها، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من فاعل (استوى) أي: قائماً على سوقه. ﴿يُعْجِبُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى: (زرع). ﴿ٱلزُّرَّاعَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: (زرع) بعد وصفه بما تقدم، والرابط: الضمير فقط.

﴿لِيَغِيظَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾، و«أن» المضمرة، والفعل في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، تقديره: إنما قواهم، وكثرهم؛ ليغيظ. وقيل: تقديره: شبهوا بذلك؛ ليغيظ. وقيل: متعلقان بالفعل: ﴿وَعَدَ﴾ بعدهما؛ لأن الكفار إذا سمعوا بعز المؤمنين في الدنيا، وما أعدَّ لهم في الآخرة؛ غاظهم ذلك. وقيل: متعلقان بما يدلّ عليه قوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ...﴾ إلخ؛ أي: جعلهم الله بهذه الصفات؛ ليغيظ... إلخ. انتهى. جمل. وقدره القرطبي بقوله: فعل الله هذا لمحمد، وأصحابه؛ ليغيظ بهم. ﴿بِهِمُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْكُفَّارَ﴾: مفعول به.

﴿وَعَدَ﴾: ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَعَمِلُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿مِنْهُم﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(من) بيان لما أبهم في الموصول. ﴿مَّغْفِرَةً﴾: مفعول به. (أجراً): معطوف على ما قبله. ﴿عَظِيمًا﴾: صفة (أجراً). تأمل وتدبر، وربك أعلم، وأجلُّ، وأكرم، وصلّى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

خاتمة: قد جمعت هذه الآية، وهي ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ...﴾ إلخ، جميع حروف المعجم، وفي ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر التصريحية باجتماع أمرهم، وعلو نصرهم ـ رضي الله عنهم ـ، وحشرنا معهم نحن، ووالدينا، ومحبينا، وجميع المسلمين بمنه، وكرمه.

وهذا آخر القسم الأول من القرآن، وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما في الحقيقة للنبي ﷺ، وحاصلهما الفتح بالسيف، والنصر على من قاتله ظاهراً، كما ختم القسم الثاني بسورتين هما نصره له ﷺ بالحال على من قصده بالضر باطناً. انتهى. جمل نقلاً عن الخطيب.

انتهت سورة (الفتح) شرحاً وإعراباً، بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.




سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (الحجرات) وهي مدنية بالإجماع، وهي ثماني عشرة آيةً، وثلاثمئة، وثلاث وأربعون كلمةً، وألف وأربعمئة، وسبعون حرفاً. انتهى. خازن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: ذكر هذا اللفظ في هذه السورة خمس مرات، والمخاطب فيها المؤمنون، والمخاطب به أمر، أو نهي، وذكر فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مرة، والخطاب فيها يعم المؤمنين، والكافرين، كما أنَّ المخاطب به، وهو قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ يعمهما؛ فناسب فيها ذكر الناس. انتهى. جمل.

﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: من: قدم بمعنى: تقدم، وجرت هذه العبارة هنا على سنن من المجاز، وهو الذي يسميه أهل البيان تمثيلاً؛ أي: استعارة تمثيلية، شبه تعجل الصحابة في إقدامهم على قطع الحكم في أمر من أمور الدين بغير إذن الله، ورسوله بحالة من تقدم بين يدي متبوعه؛ إذا سار في طريق فإنه في العادة مستهجن، ثم استعمل في جانب المشبه ما كان مستعملاً في جانب المشبه به من الألفاظ، والغرض تصوير كمال الهجنة، وتقبيح قطع الحكم بغير إذن الله ورسوله. انتهى. جمل.

وفيه أيضاً نقلاً عن الخطيب: ﴿بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ معناه: بحضرتهما؛ لأن ما يحضره الإنسان، فهو بين يديه، ناظر إليه. وحقيقة قولهم: جلست بين يدي فلان أن تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريباً منه، فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعاً، كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره، وداناه في غير موضع. انتهى.

واختلف في أسباب نزول الآية على أقوال كثيرة: عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنها نزلت في الذبح يوم الأضحى؛ أي: لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ. وذلك أن ناساً ذبحوا قبل أن يصلي النبي ﷺ، فأُمِروا أن يعيدوا الذبح. فعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله

ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يومِنَا هذَا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ، فننحر، فَمَنْ فعلَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ؛ فَإِنَّمَا هوَ لَحمٌ عجَّلَهُ لأَهْلِهِ لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ**». متفق عليه.

وروي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك؛ أي: لا تصوموا قبل نبيكم. فعن عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ قال: (من صام في اليوم الذي يشك فيه، فقد عصى أبا القاسم ﷺ). أخرجه أبو داود، والترمذي. وقيل: نزلت الآية في ناس كانوا يقولون: لو نزل فيَّ كذا، أو صنع كذا، وكذا، فكره الله ذلك منهم.

وقيل في سبب نزول هذه الآية: ما روي عن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ أنه قدم وفد بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: بل أمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلَّا خِلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا؛ حتى ارتفعت أصواتهما. أخرجه البخاري، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء. و(ها): حرف تنبيه لا محلَّ له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدل من: (أيها)، وانظر الآية رقم [١٣] وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محلَّ لها. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تُقَدِّمُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية وعلامة جزمه حذف النون. . .إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف، اقتصاراً، أو اختصاراً، مثل قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ وقولهم: هو يعطي، ويمنع، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، كالجملة الندائية قبلها. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، وهو مضاف، و﴿يَدَيِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى صورة، وحذفت النون للإضافة، ﴿يَدَيِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: معطوف عليه. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱتَّقُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (اتقوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿سَمِيعٌ﴾: خبر أول. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية تعليل لما قبلها، لا محلَّ لها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: نادى الله المؤمنين الصادقين ثانية؛ استدعاءً منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتحريك منهم؛ لئلا يغفلوا عن تأملهم. والمعنى: لا تجعلوا

كلامكم مرتفعاً على كلام النبي ﷺ في الخطاب، وذلك؛ لأن رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام، وترك الاحترام. وقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿لَا تُقَدِّمُوا...﴾ إلخ نهي عن فعل، وقوله هنا: ﴿لَا تَرْفَعُوا...﴾ إلخ نهي عن قول.

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ...﴾ إلخ، أمرهم الله أن يبجلوه، ويفخموه، ويعظموه، ولا يرفعوا أصواتهم عنده، ولا ينادُوه كما ينادي بعضهم بعضاً، فيقول: يا محمد، بل يقولون: يا رسول الله! يا نبي الله! قال تعالى في سورة (النور) رقم [٦٣]: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ انظر شرحها هناك. ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي: مخافة أن تحبط أعمالكم. انظر شرح: (حبط) في الآية رقم [٩] من سورة (محمد ﷺ). ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: وأنتم لا تعلمون.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما نزلت هذه الآية؛ قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله، والله لا أكلمك إلا السرار، أو أخا السرار، حتى ألقى الله! وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان يكلم النبي ﷺ بعد ذلك كأخي السرار، لا يسمعه حتى يستفهمه، وروي أيضاً: لما نزلت الآية الكريمة قعد ثابت بن قيس بن شماس في بيته، وكان جهوري الصوت، وقال: أنا من أهل الآية، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل عنه النبي ﷺ سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ فقال: يا أبا عمرو ما شأن ثابت؛ أيشتكي؟ فقال سعد ـ رضي الله عنه ـ: إنه لجاري، وما علمت له شكوى! قال، فأتاه سعد، فذكر له قول الرسول ﷺ، فقال ثابت ـ رضي الله عنه ـ: نزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار! فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**بَلْ هُوَ من أهلِ الجنَّةِ**». متفق عليه، زاد في رواية «**فكُنَّا نراه يمشي بين أظهرِنا رجل من أهل الجنة**». وفي رواية أخرى: فقال رسول الله ﷺ: «**مَا يُبْكِيكَ يَا ثَابِتُ؟**» فقال: أنا صيّت، وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيَّ! فقال رسول الله ﷺ: «**أما ترضى أنْ تعيش حَمِيداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة**» فقال: رضيت ببشرى الله، ورسوله، لا أرفع صوتي على رسول الله ﷺ أبداً، فنزلت الآية التالية.

فقال أنس ـ رضي الله عنه ـ: فكنَّا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا، فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة؛ رأى ثابت ـ رضي الله عنه ـ من المسلمين بعض انكسار، وانهزمت طائفة منهم، فقال: أفٍّ لهؤلاء، ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا، ثم ثبتا، وقاتلا؛ حتى قتلا، واستُشْهد ثابت، وعليه درع، فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام، فقال له: اعلم أنَّ درعي عند فلان رجل من المسلمين نزعه مني، فذهب به، وهو في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طِوَله، فأتِ خالد ابن الوليد، فأخبره حتى يسترد درعي، وائت أبا بكر، وقُلْ لَهُ: إن عليَّ ديناً حتى يقضيه عني، وفلان من رقيقي عتيق، فأخبر الرجل خالداً، فوجد الدرع، والفرس على ما وصفه، فاسترد

الدرع، وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا، فأجاز أبو بكر - رضي الله عنه - وصيته. قال مالك بن أنس: لا أعلم وصيةً أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه. انتهى. خازن، وقرطبي بتصرف مني.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: مثل الآية السابقة بلا فارق. ﴿أَصْوَٰتَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَوْقَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و﴿فَوْقَ﴾ مضاف، و﴿صَوْتِ﴾: مضاف إليه، و﴿صَوْتِ﴾: مضاف، و﴿ٱلنَّبِىِّ﴾ مضاف إليه. ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟﴾: مثل سابقه في إعرابه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَجَهْرِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: جهراً كائناً كجهر. . . إلخ، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم، وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه لا يجوز إلَّا في مواضع محصورة، وليس هذا منها، و(جَهْرِ): مضاف، و﴿بَعْضِكُمْ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لِبَعْضٍ﴾: متعلقان بالمصدر قبلهما، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ في محل جر بإضافته لمفعول لأجله محذوف عند البصريين، التقدير: كراهية إحباط أعمالكم، وهو على تقدير: لئلا تحبط عند الكوفيين. قال الزمخشري: وفي متعلقه وجهان: أحدهما أن يتعلق بمعنى النهي، فيكون المعنى: انتهوا عمَّا نهيتم عنه لحبوط أعمالكم؛ أي: لخشية حبوطها. والثاني أن يتعلق بنفس الفعل، ويكون المعنى: إنهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لأجل الحبوط. ﴿وَأَنتُمْ﴾: الواو: واو الحال. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية في محل رفع خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الكاف الواقعة في محل جر بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: نزلت هذه الآية الكريمة في مدح المسلمين الذين أدبتهم الآيتان السابقتان، وعلى رأسهم الصديق، والفاروق، وثابت بن قيس، كما رأيت فيما سبق. ومعنى غض الصوت: خفضه، وعدم الجهر به. ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: اختبرها، وأخلصها للتقوى، كما يُمْتَحَنُ الذهب بالنار؛ ليخرج خالصه. وحقيقته: عاملها معاملة المختبر، فوجدها مخلصة. وقال عمر - رضي الله عنه -: أذهب عن قلوبهم الشهوات. والامتحان: افتعال من: مَحَنْتُ الأديم محناً؛ حتى أوسعته. قال أبو عمرو: كل شيء جهدته؛ فقد محنته، وأنشد: [الرجز]

أَتَـتْ رَذَايَـا بـاديـاً كَـلَالُـهـا قَـدْ مُـحِـنَـتْ واضْـطَـرَبَـتْ آطَـالُـهَـا

أي: أتت النوق الرذايا المهزولة من السير جمع: رذية. والأطل: الخاصرة، وجمعها: آطال. هذا؛ والتقوى: حفظ النفس من العذاب الأخروي بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه؛ لأنَّ أصل المادة من الوقاية، وهي الحفظ، والتحرز من المهالك في الدنيا، والآخرة. وانظر ما وصف الله به المتقين في أول سورة (البقرة)، وانظر الآية رقم [١٣] الآتية.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿يَغُضُّونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿أَصْوَٰتَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَسُولِ﴾ مضاف إليه، و﴿رَسُولِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، وجملة: ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ، ابتدائية، أو مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿وَأَجْرٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة: (أجر) والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلاً من: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، أو صفة له؛ فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾. وهو وجه صحيح لا غبار عليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٤﴾

الشرح: نزلت الآية الكريمة في وفد بني تميم أتَوْا رسول الله ﷺ وقت الظهيرة، وهو راقد؛ وفيهم الأقرع بن حابس، وعُيينة بن حصن، ونادوا النبي ﷺ من وراء حجراته، وقالوا: اخرج إلينا يا محمد! فإن مدحنا زين، وذمَّنا شين! فاستيقظ، وخرج إليهم، وقال: «**ذاك الله عزَّ وجل**» ذكره الترمذي والإمام أحمد، والوراء: الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف، أو قدام، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠] من سورة (الجاثية)، وإن المناداة نشأت من ذلك المكان.

والحجرة: الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، وحظيرة الإبل تسمى: الحجرة، وهي: «فُعْلَة» بمعنى مفعولة، كالقبضة بمعنى مقبوضة، وجمعها: الحجرات، والمراد: حجرات نساء رسول الله ﷺ، وكانت لكل منهن حجرة، ومناداتهم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له، أو نادوه من وراء الحجرة، التي كان ﷺ فيها، ولكنها جمعت إجلالاً لرسول الله ﷺ، والفعل وإن كان مسنداً إلى جميعهم، فإنه يجوز أن يتولاه بعضهم، وكان

الباقون راضين، فكأنهم تولوه جميعاً، وسميت الغرفة: حجرة؛ لامتناع فيها، فلا يدخلها أجنبي إلّا بإذن، واستئذان. وانظر ما ذكرته في سورة (الحجر) تجد ما يسرّك، ويثلج صدرك.

وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى من إجلال محلِّ رسول الله ﷺ، منها: التسجيل على الصائحين به بالسفه، والجهل. ومنها: إيقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته، ومقيله مع بعض نسائه. ومنها: التعريف باللام دون الإضافة. ولو تأمل متأمل من أول السورة إلى آخر الآية لوجدها كذلك، فتأمل كيف ابتدأ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير تقييد، ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت، والجهر، كأن الأول بساط للثاني، ثم أثنى على الغاضين أصواتهم ليدلّ على عظم موقعه عند الله، ثم عقبه بما هو أطم، وهجنته أتم من الصياح برسول الله ﷺ في حال خلوته من وراء الجدر، كما يصاح بأهون الناس قدراً؛ لينبه على فظاعة ما جسر عليه؛ لأنَّ من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول؛ كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغاً عظيماً. انتهى. نسفي. ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: انظر سورة (الدخان) رقم [٣٩].

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿يُنَادُونَكَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِن وَرَاءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. و﴿وَرَاءِ﴾: مضاف، و﴿الْحُجُرَاتِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: في محل رفع خبره، والجملة الاسمية في محل خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ، لا محلَّ لها؛ لأنَّها مبتدأة، أو مستأنفة.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑤﴾

الشرح: معنى الآية: لو انتظروا خروجك يا محمد؛ لكان أصلح لهم في دينهم، ودنياهم، وكان ﷺ لا يحتجب عن الناس إلّا في أوقات يشتغل فيها بمهمات نفسه، فكان إزعاجه في تلك الحالة من سوء الأدب. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: بليغ الغفران، والرحمة، واسعهما، فلن يضيق غفرانه، ورحمته عن هؤلاء؛ إن تابوا، وأنابوا.

هذا؛ وعن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال: اجتمع ناس من العرب، فقالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يك نبياً؛ فنحن أسعد الناس به، وإن يك ملكاً؛ نعش بجناحه، قال: فأتيت رسول الله ﷺ، فأخبرته بما قالوا، فجاؤوا إلى حجرة النبي ﷺ، فجعلوا ينادونه، وهو في حجرته: يا محمد! يا محمد! فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ...﴾ إلخ، فأخذ رسول الله ﷺ بأذني فمدها، فجعل يقول: «**لَقَدْ صَدَّقَ اللهُ تعالَى قَوْلَكَ يا زيدُ! لَقَدْ صَدَّقَ الله قَوْلَكَ يَا زَيْدُ!**» أخرجه ابن أبي حاتم، وابن جرير.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، والجملة الفعلية: ﴿صَبَرُواْ...﴾ إلخ، في محل رفع خبرها، و(أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، هو شرط (لو) عند المبرِّد، التقدير: ولو ثبت صبرهم، أو حصل، ونحوه، وقال سيبويه: المصدر المؤول في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، التقدير: ولو صبرهم ثابت، أو حاصل. وقول المبرد هو المرجح؛ لأنَّ (لو) لا يليها إلَّا فعل ظاهر، أو مقدر، والفعل المقدر، وفاعله المؤول جملة فعلية لا محلَّ لها من الإعراب؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿تَخْرُجَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿صَبَرُواْ﴾. ﴿لَكَانَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (كان): فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر يعود إلى مصدر الفعل السابق، التقدير: كان الصبر. ﴿خَيْرًا﴾: خبر: (كان). ﴿لَّهُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيْرًا﴾، والجملة الفعلية جواب: (لو)، لا محلَّ لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ له، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مستأنفة، لا محلَّ لها. تأمّل، وتدبّر، وربك أعلم، وأجلّ، وأكرم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾

الشرح: قال أكثر المفسرين: إن الآية الكريمة نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط، وهو أخو عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ لأمه (وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ فصلى بالناس؛ وهو سكران صلاة الفجر أربعاً، ثم قال: هل أزيدكم؟ فعزله عثمان عنهم. كشاف) بعثه الرسول ﷺ إلى بني المصطلق عاملاً على الزكاة، يأخذ منهم زكاة أموالهم، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم خرجوا لاستقباله، تعظيماً لأمر الله ﷺ، فحدّثه شيطانه أنهم يريدون قتله، فخافهم، فرجع من بعض الطريق إلى رسول الله ﷺ، وقال: إنهم منعوا الزكاة، وأرادوا قتله، فغضب الرسول ﷺ، وهَمَّ أن يغزوهم.

فبلغ القومَ رجوعُه، فأتوا النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه، ونكرمه، ونؤدي إليه ما عندنا من حق الله عزَّ وجل، فبدا له في الرجوع، فخشينا أنه إنَّما ردّه من الطريق كتاب جاءه منك، وإنا نعوذ بالله من غضبه، وغضب رسوله! فاتَّهمهم رسول الله ﷺ، وبعث خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ خفية في جيش. وأمره أن يخفي عليهم قدومه، وقال: انظر، فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم؛ فخذ زكاة أموالهم، وإن لم ترَ منهم ذلك فافعل فيهم ما تفعله في

الكفار، ففعل ذلك، ووافاهم عند الغروب، فسمع منهم أذان صلاتي: المغرب، والعشاء، ووجدهم باذلين وسعهم، ومجهودهم في امتثال أمر الله، فأخذ منهم زكاة أموالهم، ولم يرَ منهم إلَّا الطاعة، والخير، وانصرف إلى رسول الله ﷺ، وأخبره الخبر، فنزلت الآية الكريمة.

وقال الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا ضعيف؛ لأنَّ الله تعالى لم يقل: إني أنزلتها لكذا، والنبي ﷺ لم ينقل عنه: أنه قال: وردت الآية لبيان ذلك فقط. غاية ما في الباب: أنها نزلت في ذلك الوقت، وهو مثل تاريخ نزول الآية. انتهى. جمل نقلاً من الخطيب وغيره. وقال الخازن: وقيل: هو عام، نزلت لبيان التثبت، وترك الاعتماد على قول الفاسق. وهذا أولى من حمل الآية على رجل بعينه. انتهى.

رحم الله تعالى الرازي لم يقل الله تعالى في بيان نزول آية من آيات القرآن نزلت في كذا صراحة، ورحم الله الخازن أيضاً من المعلوم: أنَّ خصوص السبب لا يمنع التعميم، وقد ذكرت هذا مراراً، وتكراراً، وما نقلته من الكشاف يؤكد أن الآية نزلت فيه، وبسببه، وحكمها عام إلى يوم القيامة بلا ريب. وبعد: فهذا أمر عجيب حقاً رجل من الصحابة الذين تشرَّفوا بصحبة النبي، وتمتعوا بمجالسته، ومحادثته يكذب مرة واحدة، فيحكم الله عليه بأنه أصبح فاسقاً؛ أي: خارجاً عن الحق، بعيداً عن الدين، ضالاً عن الصراط المستقيم، فما بالك بمن لا يتكلم إلَّا بالكذب، وقد لا يكتفي به، فيؤكد بيمين، أو أكثر؟! وما بالك بمن يختلق الأقوال الكاذبة، والأخبار المصطنعة، والأنباء الملفقة؟! وهل هذا يكون من المؤمنين؟ كلَّا، ثُمَّ كلَّا!

هذا؛ وانظر شرح: الفاسق، والفسوق في الآية رقم [٥٤] من سورة (الزخرف)، وشرح: «الجهل» في الآية رقم [٢٣] من سورة (الأحقاف). أما الندم فهو ضرب من الغم، وهو أن تغتم على ما وقع منك، تتمنى أنه لم يقع، وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام، ولزام؛ لأنه كلما تذكر المتندَّم عليه راجعه، من: الندام، وهو لزام الشريب ودوام صحبته. ومن مقلوباته: أدمن الأمر: أدامه. ومدن بالمكان: أقام به، ومنه: المدينة، وقد تراهم يجعلون الهمَّ صاحباً، ونجياً، وسميراً، وضجيعاً، وموصوفاً بأنه لا يفارق صاحبه. انتهى. كشاف.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿جَآءَكُمۡ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿فَاسِقُۢ﴾: فاعله. ﴿بِنَبَإٖ﴾: متعلقان بالفعل (جاء)، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (تبينوا): فعل أمر مبني على حذف النون. . . إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تُصِيبُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ»، وعلامة نصبه حذف النون. . . إلخ، والواو فاعله، و﴿أَن﴾

والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بإضافة مفعول لأجله إليه محذوف، التقدير: كراهة، أو مخافة إصابتكم، وهذا عند البصريين، وهو عند الكوفيين على تقدير: لئلا تصيبوا. كما في الآية رقم [٢]. ﴿قَوۡمَۢا﴾: مفعول به. ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، التقدير: جاهلين. ﴿فَتُصۡبِحُواْ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ: «أن» مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لئلا تكون منكم إصابة قوم بجهالة، فندامة على فعلكم. ﴿عَلَىٰ مَا﴾: متعلقان بـ: ﴿نَٰدِمِينَ﴾ و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، والجملة: ﴿فَعَلۡتُمۡ﴾ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: على الذي، أو شيء فعلتموه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، التقدير: على فعلكم. ﴿نَٰدِمِينَ﴾: خبر: (تصبحوا) منصوب... إلخ.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾

الشرح: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾: فلا تكذبوا، فإن الله يُعلمه أنباءكم، ويكشف أسراركم، فتفتضحون؛ لذا يجب عليكم أن تعظّموه وتوقّروه، وتنقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم، وأشفق عليكم منكم، ورأيه فيكم أتمُّ من رأيكم لأنفسكم. ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ أي: لو يسارع إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر لنالكم مشقة وإثم، فإنه لو قتل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة إليه؛ لكان خطأ، وهذا يدل على أنَّ بعض المؤمنين زينوا لرسول الله ﷺ الإيقاع ببني المصطلق، وتصديق قول الوليد، وأن بعضهم كانوا يتصونون، ويزعهم جدُّهم في التقوى عن الجسارة على ذلك. والتعبير بالمضارع دليل على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه، وأنَّه كلما عنَّ لهم رأي في أمر كان معمولاً به بدليل قوله: ﴿فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾. هذا؛ والعنت: الإثم والمشقة، والعناء، كما في قوله تعالى في آخر سورة (براءة): ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ والعنت أيضاً: الفجور، والزنى كما في سورة (النساء) رقم [٢٥]: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ﴾. هذا؛ والعنت في الأصل: انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير لكل مشقة، وضرر.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾: هذا خطاب للمؤمنين الصادقين المخلصين؛ الذين لا يكذبون النبي ﷺ، ولا يخبرونه بالباطل. ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ أي: حسّنه إليكم؛ حتى اخترتموه.

وفي هذا رد على المعتزلة، والقدرية، والإمامية، وغيرهم حسب ما تقدم كثيراً. فالله سبحانه هو المتفرّد بخلق ذوات الخلق، وخلق أفعالهم، وصفاتهم، واختلاف ألسنتهم، وألوانهم لا شريك له في ملكه، ولا مناوئ له في سلطانه، فمنه الهداية للإيمان، والتوفيق للطاعة.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد الكذب خاصة. ﴿وَٱلْعِصْيَانَ﴾: جميع المعاصي على جميع أنواعها، وتفاوت مراتبها، ودرجاتها. قال الخازن: وفي هذه لطيفة، وهو أنَّ الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الأشياء في مقابلة الإيمان الكامل المزيَّن في القلب، المحبَّب إليه. والإيمان الكامل ما اجتمع فيه ثلاثة أمور: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، فقوله: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ في مقابلة: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ وهو التصديق بالجنان. وقوله: ﴿وَٱلْفُسُوقَ﴾ وهو الكذب في مقابلة الإقرار باللسان. وقوله: ﴿وَٱلْعِصْيَانَ﴾ في مقابلة العمل بالأركان، فكره للمؤمنين الصادقين العصيان، وحبّب إليهم العمل الصالح بالأركان، وهذا من فضله، وكرمه، وجوده، وإنعامه، كما قال تعالى: ﴿فَضْلًا...﴾ إلخ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾: إشارة إلى المؤمنين المحبَّب إليهم الإيمان، المزيَّن في قلوبهم؛ أي: أولئك هم المهتدون إلى محاسن الأعمال، ومكارم الأخلاق. والرشد: الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه. من: الرشادة، وهي الصخرة. قال أبو الوازع: كل صخرة رشادة، وأنشد: [الوافر]

وَغَيْرَ مُقَلَّدٍ وَمُوَشَّمَاتٍ صَلِينَ الضَّوْءَ مِن صُمِّ الرَّشَادِ

فهو يصف صلابة النوق، وقوتها على السير بحيث يظهر شرر من الأحجار في سيرها، وأنها اليعملات غير المولدات والموشمات المنحر. ولا تنسَ الطباق بين (حبَّب) و(كرَّه).

الإعراب: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (اعلموا): فعل أمر مبني على حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِيكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿أَنَّ﴾ تقدم على اسمها. ﴿رَسُولَ﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾ مؤخر، و﴿رَسُولَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سدَّ مسد مفعولي (اعلموا)، والجملة الفعلية هذه معطوفة على جملة: (تبينوا...) إلخ فهي في محل جزم مثلها. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿يُطِيعُكُمْ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، والكاف مفعول به. ﴿فِي كَثِيرٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: متعلقان بـ: ﴿كَثِيرٍ﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَعَنِتُّمْ﴾: اللام: واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. (عنتم): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب: ﴿لَوْ﴾، لا محلَّ لها، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها في محل نصب حال من الضمير المجرور في: ﴿فِيكُمْ﴾، أو من الضمير المستتر فيه، والمعنى: أنه فيكم كائناً على حالة

يجب تغييرها، أو كائنين على حالة كذلك. ويجوز أن يكون هذا الكلام مستأنفاً، إلَّا أنَّ الزمخشري منع هذا الاحتمال لأدائه إلى تناقض النظم. ولا يظهر ما قاله، بل الاستئناف واضح أيضاً. انتهى. جمل.

وقال أبو البقاء: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ...﴾ إلخ، مستأنف، ويجوز أن يكون في موضع الحال، والعامل فيه الاستقرار، وإنما جاز ذلك من حيث جاز أن يقع صفة للنكرة، كقولك: مررت برجل لو كلَّمته؛ لكلَّمني؛ أي: متهيئ لذلك. ﴿وَلَكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكنَّ): حرف مشبه بالفعل مفيد للاستدراك. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿حَبَّبَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿إِلَيْكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْإِيمَـٰنَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكنَّ)، والجملتان بعدها معطوفتان عليها، فهما في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: (لكن...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي استدراك من حيث المعنى دون اللفظ؛ لأنَّ من حبِّب إليه الإيمان...إلخ، غايرت صفته صفة من تقدَّم ذكره. ويوضحه قول الكشاف: فإن قلت: كيف موقع (لكنَّ) وشرطيتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفياً، وإثباتاً؟ قلت: هي مفقودة من حيث اللفظ، حاصلة من حيث المعنى؛ لأنَّ الذين حبِّب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم، فوقعت (لكنَّ) في موقعها من الاستدراك.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محلَّ له من الإعراب. ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو...إلخ. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿هُمُ﴾ مبتدأ ثانياً، و﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية هذه في محل رفع خبر المبتدأ الأول، وعلى الوجهين؛ فالجملة الاسمية: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ مستأنفة معترضة، لا محلَّ لها.

﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⁽٨⁾﴾

الشرح: ﴿فَضْلًا...﴾ إلخ: أي فعل الله ذلك بكم فضلاً منه، ونعمة عليكم. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية. ﴿حَكِيمٌ﴾: في أقواله، وأفعاله، وشرعه، وأحكامه.

الإعراب: ﴿فَضْلًا﴾: مفعول لأجله، عامله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ...﴾ إلخ، فقد اتحد الفاعل في الفعل والمصدر خلافاً للمعتزلة الذين يؤولون تأويلات شاذة. وانظر الكشاف لتأويلات الزمخشري، وعلى هذا فما بينهما اعتراض، وهو الجملة الاسمية: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ والثاني أنَّ عامله: ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾. أو هو مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة السابقة؛ لأنها فضلة أيضاً. واعتبره ابن عطية من المصدر المؤكد لنفسه. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿فَضْلًا﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَنِعْمَةً﴾: معطوف على: ﴿فَضْلًا﴾، وحذف متعلقه لدلالة ما قبله عليه.

﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: خبران له، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ذكر في نزول الآية الكريمة ثلاثة أسباب: الأول: روى المعتمر بن سليمان عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا نبي الله! لو أتيت عبد الله بن أُبَيٍّ؟! فانطلق إليه النبي ﷺ، فركب حماراً، وانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني! فوالله لقد آذاني نتن حمارك! فقال رجل من الأنصار (عبد الله بن رواحة): والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك! فغضب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم حرب بالأيدي، والجريد، والنعال، فبلغنا: أنه أنزل فيهم هذه الآية. أخرجه الإمام أحمد.

الثاني: ذكر سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف، والنعال، فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمر بالصلح بينهما. ومثله عن مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ.

الثالث: قال السدي: كانت امرأة من الأنصار يقال لها: أم زيد تحت رجل من غير الأنصار يقال له: عمران، فتخاصمت مع زوجها، أرادت أن تزور أهلها، فحبسها زوجها، وجعلها في عُلِّيَّةٍ لا يدخل عليها أحدٌ من أهلها، وإن المرأة بعثت إلى أهلها، فجاء قومها، فأنزلوها؛ لينطلقوا بها، فخرج الرجل فاستغاث بأهله، فخرج بنو عمه؛ ليحولوا بين المرأة وبين أهلها، فتدافعوا، وتجالدوا بالنعال، فنزلت الآية الكريمة فيهم، فبعث إليهم رسول الله ﷺ، وأصلح بينهم، وفاؤوا إلى أمر الله تعالى.

هذا؛ والطائفة تتناول الواحد، والمثنى، والجمع، فهو مما حمل على المعنى دون اللفظ؛ لأن الطائفة في معنى الجماعة من الناس، لا واحد لها من لفظها، مثل: نفر، ومعشر، ورهط... إلخ وجمعها: طائفات، وطوائف. وفي «القاموس»: والطائفة من الشيء القطعة منه، أو الواحد فصاعداً. ﴿ٱقْتَتَلُواْ﴾: جمع الضمير نظراً إلى المعنى؛ لأنَّ كل طائفة جماعة، كما رأيت. ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾: ثني نظراً إلى اللفظ.

﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ أي: تعدّت إحداهما على الأخرى؛ إذ لم تتأثر بالنصيحة، وأبت الإجابة إلى حكم الله تعالى. ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: ترجع إلى

أمر الله؛ أي: إلى كتابه الذي جعله حكماً بين خلقه. ﴿فَإِن فَآءَتْ﴾ أي: رجعت إلى الحق. ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ أي: الذي يحملهما على الإنصاف، والرضا بحكم الله. ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ أي: اعدلوا. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ أي: العادلين. هذا؛ وأقسط رباعي معناه: العدل، واسم الفاعل منه: مقسط بمعنى العادل، أو العدل، بخلاف: «قسط» الثلاثي، فمعناه: الجور، والظلم. يقال: قسط الرجل: إذا جار، وأقسط إذا عدل، قال تعالى في سورة الجن رقم [١٥]: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وهذا هو المشهور خلافاً للزجّاج في جعلهما سواء. انتهى. جمل. وخذ ما يلي:

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ المقسطينَ عند الله على منَابِرَ مِنْ نورٍ عن يمينِ الرحمنِ، وكلتَا يديهِ يمينٌ، الذين يعدلون في حكمِهِمْ، وأهليهِمْ وَمَا وَلُوا**». رواه مسلم، والنسائي. وعنه أيضاً: أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ المقسطينَ في الدنيا على مَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤ بَين يَدَي الرحمنِ عزَّ وجل بِمَا أَقْسَطُوا في الدُّنيَا**». أخرجه ابن أبي حاتم، والنسائي، وخذ قول الحارث بن حلزة في معلقته: [الخفيف]

مَـلِـكٌ مُـقْـسِـطٌ، وأكـمـلُ مَـنْ يَـمْـ ـشِـي ومِـنْ دُونِ مَـا لَـدَيْـهِ الـثَّـنَـاءُ

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿طَآئِفَتَانِ﴾: فاعل لفعل محذوف، يفسّره المذكور بعده مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿طَآئِفَتَانِ﴾. ﴿ٱقْتَتَلُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها مفسرة للفعل المحذوف على المعنى، كما رأيت على حدِّ قوله تعالى في سورة (الحج) رقم [١٩]: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ والجملة المحذوفة لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَأَصْلِحُواْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أصلحوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ لها.

﴿فَإِنۢ﴾: الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿بَغَتْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدّر على الألف المحذوفة، لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة، التي هي حرف لا محلَّ لها. ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالّان على التثنية، والجملة الفعلية لا محلَّ لها حسبما رأيت في سابقتها. ﴿عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿فَقَٰتِلُواْ...﴾ إلخ:

في محل جزم جواب الشرط. . . إلخ. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿تَبۡغِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّتِي﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة، وهي بمعنى: إلى، أو لام التعليل. ﴿تَفِيٓءَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّتِي﴾ أيضاً. ﴿إِلَىٰٓ أَمۡرِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿أَمۡرِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِۚ﴾ مضاف إليه، و«أن» المضمرة، والفعل: ﴿تَفِيٓءَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾. والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿تَفِيٓءَ﴾.

﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾: الإعراب مثل سابقه بلا فارق. ﴿بِٱلۡعَدۡلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو بمحذوف حال، وجملة: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ معطوفة على جملة: (أصلحوا. . .) إلخ، فهي في محل جزم مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُحِبُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾: مفعول به منصوب. . . إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محلَّ لها.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ أي: في الدين، والحرمة، لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب؛ فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، ولا تجسَّسوا، ولا تحسَّسُوا، ولا تناجَشُوا، وكونُوا عِبادَ اللهِ إخواناً**». وانظر ما ذكرته في آخر سورة (الفتح)، وانظر الآية التالية.

﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ أي: بين كل مسلمين تخاصما. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: خافوه، وراقبوه في جميع أموركم، وأحوالكم، وشؤونكم. ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾: الترجي في هذه الآية، وأمثالها إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأنَّ الله تعالى لا يحصل منه ترجٍّ، ورجاء لعباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً في هذه الآية، والتي قبلها دليل على أنَّ البغي لا يزيل اسم الإيمان؛ لأنَّ الله تعالى سمّاهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين، قال الحارث الأعور: سئل علي ـ رضي الله عنه ـ وهو القدوة عن قتال أهل البغي من أهل الجمل، وصِفِّين: أمشركون هم؟ قال: لا، من الشرك فروا! فقيل: أمنافقون؟ قال: لا؛ لأنَّ المنافقين لا يذكرون الله إلَّا قليلاً، قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوْا علينا. وبها استدلَّ البخاري، وغيره على أنَّه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية، وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج، والمعتزلة، ولأنه ثبت: أنَّ رسول الله ﷺ خطب يوماً، ومعه على المنبر الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ فجعل ينظر إليه مرة، وفي الناس أخرى، ويقول:

«إن ابني هذا سَيِّدٌ، ولعلَّ الله تعالى يصلحُ به بَيْنَ فِئَتَيْنِ عظيمتيْن مِنَ المسلمين». أخرجه البخاري عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ، فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام، وأهل العراق، بعد الحروب الطويلة، والواقعات المهولة.

فائدة: خصَّ الاثنين بالذكر بقوله: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ دون الجمع؛ لأنَّ أقل من يقع منهم الشقاق اثنان، فإذا التزمت المصالحة بين الأقل؛ كانت بين الأكثر ألزم؛ لأنَّ الفساد، والشر المترتبين على شقاق الجمع أكثر منهما في شقاق الاثنين.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . .إلخ. ﴿إِخْوَةٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿فَأَصْلِحُواْ﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً، وواقعاً؛ فأصلحوا. (أصلحوا بين): تقدّم مثلهما، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿أَخَوَيْكُمْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿تُرْحَمُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع. . .إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية خبر: (لعلَّ)، والجملة الاسمية تعليلية، لا محلَّ لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ إلخ: نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس بن شماس، الذي ذكرته لك في أول هذه السورة، وذلك: أنه كان في أذنيه صمم، فكان إذا أتى رسول الله ﷺ، وقد سبقوه، أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه، فيسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم، وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر، فلما انتهى النبي ﷺ من الصلاة، أخذ أصحابه مجالسهم حوله؛ ليسمعوا منه، فلما فرغ ثابت ـ رضي الله عنه ـ من الصلاة؛ أقبل نحو رسول الله ﷺ يتخطَّى رقاب الناس، وهو يقول: تفسَّحوا، تفسَّحوا. فجعلوا يتفسّحون له حتى انتهى إلى النبي ﷺ، وبينه وبينه رجل، فقال له: تفسح، فقال له الرجل: أصبت مجلساً؛ فاجلس، فجلس ثابت خلفه مغضباً، ثم غمز ثابت الرجل، فقال: من هذا؟ فقال: أنا فلان، قال ثابت: ابن فلانة؟ وذكر أماً له كان يعيَّر بها في

الجاهلية، فنكس الرجل رأسه، واستحيا، فنزلت الآية الكريمة. هذا قول ابن عباس - رضي الله عنهما -، ونزلت آية المجادلة رقم [١١].

وقال الضحاك - رضي الله عنه -: نزلت في وفد بني تميم الذين تقدم ذكرهم في أول السورة، استهزؤوا بفقراء الصحابة، مثل: عمار، وخباب، وبلال... إلخ لِما رأوْا من رثاثة حالهم، فنزلت في الذين آمنوا منهم. والمعنى: لا يستهزئ غني بفقير، ولا مستور عليه بذنب بمن لم يستر، ولا ذو حسب بلئيم، وأشباه ذلك مما ينتقصه به، ولعلَّه عند الله خير منه، وهو فحوى قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾. وخذ ما يلي:

عن حارثة بن وهب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَلَا أُخبركُمْ بأهْلِ الجنَّة؟! كلُّ ضعيفٍ مُسْتَضْعَفٍ لَوْ يُقْسِمُ عَلى اللهِ؛ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أخبركمْ بأهلِ النَّارِ؟! كُلُّ عُتُلٍّ جوَّاظٍ مُسْتكبرٍ**». رواه البخاري، ومسلم، وابن ماجه. وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة، فقال: «**أَلَا أخبركُمْ بشرِّ عِبادِ الله؟! الفظُّ المستكبرُ. ألا أخبركم بخير عبادِ الله؟! الضعيفُ المستضْعَفُ ذُو الطِّمْرين، لا يُؤبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَم علَى اللهِ؛ لأبَرَّهُ**». رواه أحمد، والأحاديث في ذلك كثيرة مستفيضة.

﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾ أي: لا يستهزئ نساء من نساء: روي: أن هذه الجملة نزلت في نساء النبي ﷺ عيَّرْن أم سلمة - رضي الله عنها - بالقِصَر. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنها نزلت في صفية زوج النبي ﷺ، قال لها بعض نساء النبي ﷺ: يهودية بنت يهوديين. وعن أنس - رضي الله عنه -، بلغ صفية - رضي الله عنها -: أنَّ حفصة بنت عمر - رضي الله عنهما - قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ، وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالتْ: قالتْ لي حفصةُ: إني بنتُ يهوديٍّ، فقال النبي ﷺ: «**وإنَّكِ لابنةُ نبي، وعمُّك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفتخر عليك؟!**». ثم قال: «**اتَّقي اللهَ يا حفصةُ**». أخرجه الترمذي وفي رواية أخرى: «**هلَّا قلت: إن أبي هارون، وإن عمي موسى، وإن زوجي محمد**» فأنزل الله هذه الآية. هذا؛ وقال القرطبي - رحمه الله تعالى -: أفرد الله النساء بالذكر؛ لأن السخرية منهن أكثر. وبالإضافة لما ذكرته من أحاديث، فخذ ما يلي: وهو يشمل الرجال، والنساء:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى صُورِكُمْ، وأموالِكُمْ، ولكِنْ ينظرُ إلى قلوبِكم، وأعمالِكُمْ**». أخرجه الإمام مسلم، وفحوى ما تقدم وجوب أن يعتقد كل واحد: أن المسخور منه ربما كان عند الله خيراً من الساخر؛ إذ لا إطلاع للناس إلا على الظواهر، ولا علم لهم بالسرائر، والذي يزن عند الله خلوص الضمائر، فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رثَّ الحال، أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لبيق في محادثته، فلعلَّه أخلص ضميراً، وأتقى قلباً ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير

من وقره الله تعالى. فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: البلاءُ موكَّلٌ بالقولِ، لَوْ سخرْتُ مِنْ كلبٍ؛ لخشيتُ أن أُحَوَّلَ كلْباً. وخذ ما يلي:

فعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ المستهزئينَ بالناسِ يُفْتَحُ لأحدهِمْ في الآخرة بَابٌ مِنَ الجنة، فيُقَالُ لهُ: هَلُمَّ، فيجيء بكربِهِ، وَغَمِّهِ، فإذَا جاءهُ أُغْلِقَ دونه، ثم يُفْتَحُ له باب آخرٌ، فيُقالُ لهُ: هلمَّ هلمَّ، فيجيءُ بكربِهِ، وغمِّهِ، فإذا جَاءهُ أُغْلِقَ دُوْنَهُ، فما يزالُ كذلك؛ حتَّى إنَّ أحدَهُمْ ليُفْتَحُ لهُ البابُ مِنْ أبوابِ الجنةِ، فيقالُ لَهُ: هَلُمَّ، فمَا يأتيه من الإياس»**. رواه البيهقي مرسلاً.

فائدة جليلة: لم يقل الله: لا يسخر رجل من رجل، ولا امرأة من امرأة إيذاناً بإقدام غير واحد من رجالهم، وغير واحدة من نسائهم على السخرية، واستفظاعاً للشأن الذي كانوا عليه، ولأن مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى، ويستضحك على قوله، ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار الواجب على المسلم السامع، فيكون شريك الساخر في تحمل الوزر، وكذلك كل من يستطيبه، ويضحك منه، فيؤدي ذلك وإن أوجده واحد إلى تكثير السخرة، وانقلاب الواحد جماعةً، وقوماً.

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يعبْ بعضكم بعضاً، ولا يطعن بعضكم في بعض، والمراد بالأنفس: الإخوان هنا، والمعنى: لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين؛ لأنهم كأنفسكم، فإذا عاب عائب أحداً بعيب؛ فكأنه عاب نفسه، فهو كقوله تعالى في سورة (النساء) [٢٩]: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يقتل بعضكم بعضاً؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة، فكأنه بقتل أخيه قاتل نفسه. وكقوله تعالى في سورة (النور) رقم [٦١]: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾. واللمز: العيب، والطعن. قال تعالى في سورة (التوبة) رقم [٥٨]: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ...﴾ إلخ وقال في رقم [٧٩] منها: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ...﴾ إلخ.

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾: فعن أبي جُبَيرة بن الضحاك الأنصاري، أخو ثابت بن الضحاك ـ رضي الله عنهما ـ، قال: فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة، قدم علينا رسول الله ﷺ، وليس من رجل، إلا وله اسمان، أو ثلاثة، فجعل رسول الله ﷺ، يقول: يا فلان! فيقولون: مه يا رسول الله، إنه يغضب من هذا الاسم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ...﴾ إلخ. أخرجه أبو داود. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات، ثم تاب عنها، فنهي أن يعير بما سلف من عمله. وقيل: هو قول الرجل للرجل: يا فاسق! يا منافق! يا كافر! وقيل: هو أن تقول لأخيك: يا كلب! يا حمار! يا خنزير! ومعنى ﴿تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾: لَقَّبَ بعضهم بعضاً، والنبز (بفتحتين) مختص بلقب السوء عرفاً.

هذا؛ واللقب على نوعين: لقب ذم، ولقب مدح، فالأول ما أشعر بضعة، كالجاحظ، والأعرج، والأعمش، والأقرع... إلخ، وهذا الذي يحرم التنابز به إلا إذا عرف به، فيجوز

النداء له، والتعريف به من غير أن يقصد احتقار الملقب، فهناك علماء أجلاء عرفوا بمثل هذه الألفاظ، كالأخفش، والأعمش. . .إلخ، والثاني ما أشعر برفعة، وقد لقب النبي ﷺ كثيراً من أصحابه، فلقب أبا بكر بالصدِّيق، وعمر بالفاروق، وعثمان بذي النورين، وعلياً بأبي تراب، وخالداً بسيف الله. . .إلخ.

﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ﴾ أي: بئس الاسم أن تلقبوا إخوانكم بألقاب الذم. روي عن النبي ﷺ: أنه قال: «**مِنْ حقِّ المؤمنِ علَى المؤمنِ أن يسميَهُ بأحبِّ أسمائِهِ إلَيْهِ**». ولهذا كانت التكنية من السنة، والأدب الحسن. قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أشيعوا الكُنَى، فإنها منبهة. ومعنى التكنية أن تقول: يا أبا فلان! يا أم فلان! وبنسب لبعض بني فزارة، وهو الشاهد رقم [٣٣٤] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [البسيط]

أُكْنِيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لأُكْرِمَهُ ... وَلَا أُلَقِّبُهُ والسوأةُ اللَّقَبُ

كَذَاكَ أدِّبْتُ حتى صارَ مِن خُلُقي ... أني وَجَدتُ مَلاكَ الشيمةِ الأدَبُ

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ أي: عن هذه الألقاب التي يتأذَّى بها السامعون. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: لأنفسهم بارتكاب هذه المناهي، ومعصيتهم، ومخالفتهم لصريح الكتاب، والسنة؛ التي تنهى عن ذلك.

بقي أن تعرف: أن ﴿قَوْمٌ﴾: اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: رهط، ومعشر. . .إلخ، وهو يطلق على الرجال دون النساء بدليل الآية الكريمة، التي نحن بصدد شرحها، وقال زهير بن أبي سلمى المزني: [الوافر]

وَمَا أدْري ـ وسَوْفَ إخالُ أدْرِي ـ ... أقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أمْ نِسَاءُ؟

وربما دخل فيه النساء على سبيل التبع للرجال، كما في إرسال الرسل لأقوامهم؛ إذ إن كل لفظ ﴿قَوْمٌ﴾ في القرآن، إنما يراد به الرجال، والنساء جميعاً، وهو يذكر، ويؤنث، قال تعالى في سورة (الشعراء): ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ وتأنيثه باعتبار المعنى، وهو أنهم أمة، وطائفة، وجماعة، وسُمّوا: قوماً؛ لأنهم يقومون مع داعيهم بالشدائد، والمتاعب، إما بالمعاونة معه على كشفها، وإما بالإيذاء، والمضايقة إن عارضوه، وهذا حال أعداء الخير، والإصلاح في كل زمان، ومكان.

الإعراب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿يَسْخَرْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية. ﴿قَوْمٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿مِّن قَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَسَى﴾: فعل ماض تام هنا مبني على فتح مقدر على الألف. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَكُونُوا﴾: مضارع ناقص منصوب بـ: «أن» وعلامة

نصبه حذف النون. . . إلخ، والواو اسمه، والألف للتفريق، ﴿خَيْرًا﴾: خبره. ﴿مِّنْهُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيْرًا﴾، و﴿أَن يَكُونُوا﴾ في تأويل مصدر في محل رفع فاعل ﴿عَسَىٰٓ﴾، والجملة الفعلية تعليل للنهي لا محلَّ لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية داخلة على فعل مقدر محذوف لدلالة ما قبله عليه. ﴿نِسَآءٌ﴾: معطوف على: ﴿قَوْمٌ﴾، وهو في المعنى فاعل للفعل المحذوف. ﴿مِّن نِّسَآءٍ﴾: متعلقان بالفعل المقدر. ﴿عَسَىٰٓ﴾: ماض تام. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَكُنَّ﴾: مضارع ناقص مبني على السكون، ونون النسوة اسمه، وهو في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾، ﴿خَيْرًا﴾: خبره. ﴿مِّنْهُنَّ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيْرًا﴾ والنون حرف دال على جماعة الإناث، و﴿أَن يَكُنَّ﴾ في تأويل مصدر في محل رفع فاعل: ﴿عَسَىٰٓ﴾. والجملة الفعلية تعليلية مثل سابقتها لا محلَّ لها مثلها. هذا؛ واختصّت «عسى» و«اخلولق» و«أوشك» من بين أفعال المقاربة بجواز إسنادهن إلى: «أن» والفعل المضارع، حال كونه مُستغنىً به عن الخبر، فتكون تامة، فتكتفي بالفاعل الذي هو المصدر المؤول. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

بَـعْـدَ عَـسَـى اخـلـولَـقَ أوشَـكْ قَـدْ يَـرِدْ غِـنًـى بِـأَنْ يَـفْـعَـلَ عَـنْ ثَـانٍ فُـقِـدْ

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَلْمِزُوٓا﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية. . . إلخ، والواو فاعله. ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿لَا يَسْخَرْ...﴾ إلخ، لا محلَّ لها مثلها، وأيضاً جملة: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَٰبِ﴾ معطوفة عليها لا محلَّ لها مثلها. ﴿بِئْسَ﴾: فعل ماض جامد دالّ على إنشاء الذم. ﴿الِاسْمُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿الْفُسُوقُ﴾: بدل من: ﴿الِاسْمُ﴾. قاله الجلال. وعلى هذا فالمخصوص بالذم محذوف، تقديره: هو، ولو أعربه مخصوصاً بالذم لكان أحسن. انتهى. جمل نقلاً من شيخه. وفي محله وجهان: أولهما: هو مبتدأ مؤخر، والجملة الفعلية في محل رفع خبر مقدم. والثاني: هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الفسوق. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف حال من: ﴿الْفُسُوقُ﴾، و﴿بَعْدَ﴾ مضاف، و﴿الْإِيمَٰنِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَتُبْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾ وهو فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، تقديره: «هو»، وقد راعى لفظ (من) بإعادة الضمير إليه، وراعى معناها في الإشارة. ﴿فَأُولَٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، والجملة الاسمية: (أولئك هم الظالمون) في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها. وانظر إعراب مثلها في الآية رقم [٧] وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً مبتدأً؛ فالجملة الفعلية بعده صلته، والجملة الاسمية: (أولئك

هم الظالمون) في محل رفع خبره، وزيدت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية على الاعتبارين مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾

الشرح: قيل: نزلت الآية الكريمة في رجلين اغتابا رفيقهما، وذلك: أن النبي ﷺ، كان إذا سافر، أو غزا ضمَّ الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما، ويتقدمهما إلى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام، والشراب، فضمَّ سلمان الفارسي - رضي الله عنه - إلى رجلين في بعض أسفاره، فتقدَّم سلمان - رضي الله عنه - إلى المنزل، فغلبته عيناه، فنام، ولم يهيئ لهما شيئاً، فجاءا، فلم يجدا طعاماً، وإداماً، فقالا له: انطلق، فاطلب لنا من النبي ﷺ طعاماً. فذهب، فقال له النبي ﷺ: اذهب إلى أسامة بن زيد، فقل له: «**إن كان عنده فضل طعام؛ فليعطك**». وكان أسامة - رضي الله عنه - خازن النبي ﷺ، فذهب إليه، فقال أسامة: ما عندي شيء! فرجع إليهما، فأخبرهما، فقالا: كان عند أسامة، ولكنه بخل. ثم بعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة، فلم يجد عندهم شيئاً، فلما رجع، قالا: لو بعثناه إلى بئر سُمَيْحَة (بئر قديمة بالمدينة غزيرة الماء) لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء؟ فرآهما النبي ﷺ، فقال: «**ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟**» فقالا: يا نبي الله! والله ما أكلنا في يومنا هذا لحماً، ولا غيره! فقال: «**ولكنَّكما ظللتما تأكلان لحم أسامة، وسلمان**». ونزلت الآية الكريمة. ذكره الثعلبي. والمعنى: لا تظنوا بأهل الخير سوءاً إن كنتم تعلمون من ظاهر أمرهم الخير. انتهى. خازن، وقرطبي.

هذا؛ وإن الظن في الشريعة قسمان: محمود، ومذموم، فالمحمود منه ما سلم معه دين الظانِّ، والمظنون به عند بلوغه، والمذموم ضده بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾، وقوله تعالى في سورة (النور) رقم [١٢]: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾، وقوله تعالى في سورة (الفتح) رقم [١٢]: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾. هذا؛ وينبغي للإنسان أن يُحسن ظنه بالناس، ولا يسيء ظنه بهم استجابة لأمر الله تعالى في هذه الآية، ولا يسيء الظن بهم إلَّا الذي أعماله سيئة. قال الشاعر: [الطويل]

إذا سَاءَ فِعلُ المرءِ سَاءتْ ظُنُونُهُ وَصدَّقَ ما يعتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

وكذلك ينبغي له أن يُحسن ظنَّه بالله تعالى بأن الله يرحمه، ويعفو عنه، ففي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**أنا عِنْدَ ظَنِّ عبدِي بي... إلخ**» ولكن ينبغي أن يقرن حسن ظنّه بالله بحسن

العمل، وإلَّا فهو ظنٌّ خاطئ، وزعمٌ فاسدٌ، ففي الحديث الشريف يقول الرسول ﷺ: «**ليسَ الإيمانُ بالتمنّي ولا بالتحلِّي، ولَكِنْ ما وقرَ في القلْبِ، وصَدَّقَهُ العملُ، إنَّ قوماً أَلْهَتْهُمُ الأمانيُّ حتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيا؛ ولا حسنةَ لهم، وقالوا: نحسِنُ الظنَّ باللهِ، كذبُوا! لو أحسنُوا الظنَّ؛ لأحسنُوا العملَ**».

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي: لا تبحثوا عن عيوب الناس. نهى الله عن البحث عن المستور من أمور الناس، وتتبع عوراتهم؛ حتى لا يظهر على ما ستره الله منها. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إيَّاكُمْ والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ، ولا تجسَّسُوا، ولا تحسَّسُوا، ولا تنافسُوا، ولا تحاسَدُوا، ولا تباغضوا، ولا تدابرُوا، وكونُوا عبادَ اللهِ إخواناً، كما أَمَرَكُمْ. المسلمُ أخو المسلم، لا يظلِمُهُ، ولا يخذُلُهُ، ولا يحقره، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، ويشيرُ إلى صدرِهِ، بحسبِ امرئ من الشرِّ أنْ يحقِرَ أخاهُ المسلمَ. كلُّ المسلمِ على المسلم حرامٌ، دمُهُ، وعرضُهُ، ومالُهُ. إنَّ الله لا ينظرُ إلى صورِكم، وأجسادِكُمْ، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم، وأعمالِكُم**». متفق عليه. هذا؛ والتجسس بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، ومنه الجاسوس، وهو بالحاء: الاستماع إلى حديث الغير. وقيل: إن التحسس يكون في الخير، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول يعقوب على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿يَٰبَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي: فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما. علماً بأنه قرئ في الآيتين بالجيم، والحاء. وكذلك يروى قول عنترة بالجيم، والحاء، وهو من معلقته رقم [٧٧]. [الكامل]

فَبَعَثْتُ جَارِيَتي فَقُلْتُ لَها: اذْهَبِي ... فتجسَّسِي أخبارَهَا لِيَ وَاعْلَمِي

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: صَعِدَ رسول الله ﷺ المنبر، فنادى بصوت رفيع، سمعته العواتق في البيوت، فقال: «**يا معشرَ مَنْ أَسْلَمَ بلسانِهِ؛ ولم يُفض الإيمانُ إلى قَلْبِهِ، لا تُؤذُوا المسلمين، ولا تُعَيِّرُوهم، ولا تتبعوا عَوْراتِهِمْ، فإنَّه مَنْ تتبعَ عورَةَ أخيهِ المسلمِ؛ تتبعَ اللهُ عورَتَهُ! ومَنْ تتبعَ اللهُ عورتَهُ يَفْضَحْهُ، ولو في جوفِ رحلِهِ**». انتهى. خازن، وهو في القرطبي عن أبي برزة الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ وخذ قول الشاعر الحكيم: [المنسرح]

الْمَرْءُ إنْ كانَ عَاقِلاً وَرِعَاً ... أشغَلَهُ عنْ عيوبِ النَّاسِ وَرَعُهْ

كَمَا السقيمُ المريضُ يَشْغَلُهُ ... عَنْ وجَعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَجَعُهْ

وقال آخر: [البسيط]

لا تكشِفَنَّ مَسَاوي النَّاسِ ما ستَرُوا ... فيهتكَ اللهُ سِتراً عَنْ مَسَاوِيكَا

واذكُرْ محاسِنَ مَا فيهِمْ إذَا ذُكِرُوا ... وَلَا تَعِبْ أحداً منهمْ بِمَا فِيكَا

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾: فهذا نهي عن الغيبة، وهي أن تذكر الرجل بما فيه، فإن ذكرته بما ليس فيه؛ فهو البهتان. ثبت معناه في صحيح مسلم: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أتدرونَ ما الغيبةُ؟**» قالوا: الله ورسوله أعلمُ، قال: «**ذِكْرُكَ أخاكَ بِما يَكْرَهُ**»، قيل: أفرأيتَ إنْ كانَ في أخي ما أقولُ؟ قالَ: «**إن كان فِيهِ ما تقول؛ فقدِ اغتبْتَهُ، وإنْ لَمْ يكُنْ فيهِ؛ فقدْ بَهَتَّهُ**». وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: قالت: قلت للنبي ﷺ: (حسبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كذَا، وكذَا)، قال بعضُ الرواةِ: تعني: قصيرةً، فقالَ: «**لقد قلتِ كلمةً لوْ مُزِجَتْ بماءِ البحر؛ لمزجتْهُ**». قالَت: وحكيت له إنساناً، فقال: «**ما أحبُّ أَنْ حكيت لي إنساناً، وإنَّ لي كذَا وكذَا**». رواه أبو داود، والترمذي.

وبالجملة: فالغيبة من الكبائر، التي تحتاج إلى توبة صادقة بشروطها المعروفة بدليل ما رواه أبو داود عن سعيد بن زيد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ مِنْ أرْبى الرِّبا الاستطالَةَ في عرضِ المسلمِ بغيْرِ حَقٍّ**». والأحاديث المنفرة من الغيبة كثيرة مسطورة في: «الترغيب والترهيب» وغيره. أما عقوبة صاحب الغيبة في الآخرة؛ فقد بيَّنها رسول الله ﷺ بقوله: «**مَنْ أكلَ لحمَ أخيهِ في الدنيا قُرِّبَ إليه يومَ القيامةِ، فيُقالُ لهُ: كُلْهُ مَيْتاً، كما أكلْتَهُ حيّاً، فيأكُلُهُ، ويكلحُ، ويَضِجُّ**». رواه أبو يعلى، والطبراني عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا عُرِجَ بي؛ مرَرْتُ بقَوْمٍ لَهُمْ أظْفَارٌ مِنْ نُحاسٍ، يخمشونَ وُجوهَهُم، وصُدُورَهُمْ، فقُلْتُ: مَنْ هؤلاءِ يا جبريلُ؟! قال: هؤلاءِ الذينَ يأكلونَ لحومَ الناسِ، ويقعون في أعراضِهِمْ**». رواه أبو داود.

ممَّا تقدَّم يتبيّن لنا: أن الغيبة حرام، حرّمها الله، ورسوله، وشدَّد النكير على مقترفيها إلَّا لغرض صحيح مشروع لا يتحقق إلَّا بها؛ كمصلحة شرعية يتوقف تحقيقها على ذكر أحد بعيوبه، وقبيح أفعاله، مثل أن يقول المظلوم لمن له ولاية كالقاضي: فلان ظلمني؛ كي ينصفه منه. ومنها: الاستفتاء، كما يقول للمفتي: فلان يفعل بي كذا، وكذا. فقد ورد: أن هنداً زوج أبي سفيان قالت للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح، فقال: «**خُذِي ما يكفِيكِ وولَدَكِ بالمعروف**». ومنها: الاستعانةُ على تغيير المنكر، مثل أن يقول لمن يرجو قدرته على تغيير المنكر: فلان يشرب الخمر، أو يلعب بالقمار، ونحو ذلك. ومنها: الاستشارة في نكاح فاسق، أو مشاركته في تجارة، أو زراعة، ومنها: أن يكون معروفاً بلقب يعرب عن عيبه، كالأعرج، والأخفش . . . إلخ، من غير أن يقصد احتقار الملقب بذلك، ومنها: أن يكون إنسان مجاهراً بالفسق، والفجور، والظلم، والتعدي على حرمات الناس، وحقوقهم. وهذا معنى قول النبي ﷺ: «**أتوَرَّعونَ عنْ ذكر الفاجِرِ أَنْ تذكرُوهُ؟ اذكُرُوهُ يعرِفْهُ النَّاسُ**». وقوله ﷺ: «**اذكروا الفاجِرَ بما فيه كيْ يحذَرهُ الناسُ**». وكقوله ﷺ لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر: «**ائْذَنُوا له بِئْسَ أخُو العشيرةِ هُوَ**». وكقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس

ـ رضي الله عنها ـ، وقد خطبها معاوية وأبو الجهم: «**أمَّا معاويةُ، فصعلوكٌ، وأمَّا أبو الجهم؛ فلا يضع عصاهُ عَن عاتقِهِ**». ورحم الله من يقول: [الكامل]

الْقَدْحُ لَيْسَ بِغَيْبَةٍ فِي سِتَّةٍ مُتَظَلِّمٍ ومعرِّفٍ ومحذِّرٍ
ولِمُظْهِرٍ فِسْقاً ومستفْتٍ وَمَنْ طَلَبَ الإعانَةَ فِي إزالَةِ مُنْكَرِ

ولكن يجب أن تكون الحكمة رائد العقل؛ حتى يعرف كيف يذكر هذا الفاجر، ويتوصل إلى درء خطره، ومنع أذاه، وإلَّا كان السكوت أسلم، وانتظار الفرص أفضل، وأحكم.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ...﴾ إلخ: مثل الله الغيبة بأكل الميتة؛ لأنَّ الميت لا يعلم بأكل لحمه، كما أنَّ الحيَّ لا يعلم بغيبة من اغتابه. وفيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه، ودمه؛ لأنَّ الإنسان يتألم قلبه إذا ذكر بسوء، كما يتألم جسده؛ إذا قطع لحمه، والعرض أشرف من اللحم، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس؛ فترك أعراضهم أولى. وقوله تعالى: ﴿لَحْمَ أَخِيهِ﴾ آكد في المنع؛ لأن العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه، وقوله تعالى: ﴿مَيْتًا﴾ أبلغ في الزجر، والردع، ولا تَنْسَ التمثيل، والتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه، وأفحش صورة.

﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: فيه وجهان: أحدهما: فكرهتم أكل الميتة، فكذلك فاكرهوا الغيبة. روي معناه عن مجاهد. الثاني: فكرهتم أن يغتابكم الناس، فاكرهوا غيبة الناس. وقيل: لفظه خبر، ومعناه أمر؛ أي: اكرهوه. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في أمر الغيبة، واجتناب نواهيه، وانظر الآية رقم [١٠]. ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ أي: بليغ في قبول التوبة. بمعنى: أنه يقبل توبة التائب. ﴿رَّحِيمٌ﴾: كثير الرحمة بعباده المؤمنين التائبين.

الإعراب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا﴾: انظر الآية رقم [١] فالإعراب مثله. ﴿مِّنَ الظَّنِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿كَثِيرًا﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿بَعْضَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿الظَّنِّ﴾ مضاف إليه. ﴿إِثْمٌ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محلَّ لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَجَسَّسُوا﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿اجْتَنِبُوا...﴾ إلخ، لا محلَّ لها مثلها، والتي بعدها: ﴿وَلَا يَغْتَب...﴾ إلخ معطوفة أيضاً عليها.

﴿أَيُحِبُّ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ. (يحب): مضارع. ﴿أَحَدُكُمْ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَأْكُلَ لَحْمَ﴾ في محل نصب مفعول به، و﴿لَحْمَ﴾ مضاف، و﴿أَخِيهِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿مَيْتًا﴾: حال من: ﴿لَحْمَ أَخِيهِ﴾، أو من: ﴿أَخِيهِ﴾ نفسه. ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: الفاء: هي الفصيحة، التقدير: إنْ صحَّ ما ذكر؛ فاكرهوا. (كرهتموه): فعل، وفاعل، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها مع الشرط المقدر، وجملة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ معطوفة على جملة (اجتنبوا) و(لا تجسسوا) لا محلَّ لها مثلهما، وما بينهما اعتراض. وقيل: معطوفة على ما قبلها على تأويلها؛ بالأمر كما رأيت، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ تعليل للأمر، لا محلَّ لها.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾

الشرح: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ يعني: آدم، وحواء. أو خلقنا كل واحد منكم من أب، وأم. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وقوله في الرجل الذي لم يفسح له: ابن فلانة، فقال النبي ﷺ: «**من الذاكرُ فلانةَ**». قال ثابت: أنا يا رسول الله! قال: «**انظرْ في وجوه القوم**». فنظر، فقال: «**ما رأيتَ يا ثابتُ؟!**». قال: رأيتُ أبيضَ، وأحمرَ وأسودَ، قال: «**فإنك لا تفضلُهُمْ إلا بالدِّينِ والتقوى**». فنزلت في ثابت، ونزل في الذي لم يفسح له: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ...﴾ إلخ، الآية رقم [١١] من سورة (المجادلة).

وقيل: لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً؛ حتى علا على ظهر الكعبة، وأذن. فقال عتَّاب بن أسيد بن العيص: الحمدُ لله الذي قبض أبي، ولم يرَ هذا اليوم! وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً؟! وقال سهيل بن عمرو: إنْ يكرهِ الله شيئاً يغيِّرْهُ! وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً، أخاف أن يخبره ربُّ السماء! فنزل جبريل عليه السلام، فأخبر رسول الله ﷺ بما قالوا، وسألهم عمَّا قالوا، فأقرُّوا، فأنزل الله هذه الآية، وزجرهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والازدراء بالفقراء. انتهى. خازن، وقرطبي.

وزاد القرطبي سبباً ثالثاً لنزول الآية، قال: أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوا أبا هند (مولى لهم) امرأة منهم، فقالوا: نزوج بناتنا موالينا؟! فأنزل الله عزَّ وجل الآية، وذكر هذا السبب السيوطي في أسباب النزول، وخذ ما يلي:

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: خطبنا رسول الله ﷺ بمنى في وسط أيام التشريق فقال: «**أيُّهَا النَّاسُ إنَّ ربَّكُمْ واحد، وإن أباكُمْ وَاحدٌ، ألَا لا فضلَ لِعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لِعجمي على عربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسْوَدَ، ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقْوى، إن أكرمَكُمْ**

عِنْدَ اللهِ أتقاكُمْ، ألَا هَلْ بَلَّغْتُ؟! قالُوا: بلَى يا رسولَ الله! قالَ: فلْيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ». رواه البيهقي. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أمرَ اللهُ مناديِاً يُنادي: ألَا إني جَعَلْتُ نَسباً، وجعلْتُمْ نَسَباً، فَجَعَلْتُ أكرمَكُمْ أتْقَاكُمْ، فأَبَيْتُمْ إلَّا أن تقولُوا: فلانُ بنُ فلانٍ خيْرٌ مِنْ فلانِ بن فلانٍ، فاليوْمَ أرفعُ نَسَبي، وأضَعُ نسبَكُمْ**». رواه الطبراني والبيهقي.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله أذهبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّة، وفخرَهَا بالآبَاءِ، الناسُ بَنُو آدم، وآدَمُ مِنْ تُرَابٍ: مؤمنٌ تَقِيٌّ، وفاجرٌ شَقِيٌّ، لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ يفتخرونَ برجالٍ، إنما هُمْ فَحْمٌ من فحمِ جَهَنَّمَ، أو لَيَكُونُنَّ أهْوَنَ عَلَى الله مِنَ الجِعْلانِ، التي تدفع النتنَ بأنْفِها**». رواه أبو داود، والترمذي. وخذ قول علي ـ رضي الله عنه ـ وهو مشهور من شعره: [البسيط]

النَّاسُ مِنْ جهةِ التمثيلِ أكفاءُ ... أبوهُمُ آدمٌ والأمُّ حوَّاءُ
فإنْ يكُنْ لهمُ مِنْ أصلِهِمْ حسبٌ ... يُفاخِرُونَ بِهِ فالطينُ والماءُ
ما الفضلُ إلَّا لأهلِ العلم إنهم ... على الهدى لِمَنِ استهدَى أدِلَّاءُ
وقدرُ كُلِّ امرئٍ ما كان يُحسِنُهُ ... وللرجالِ على الأفعالِ سِيماءُ
وضِدُّ كلِّ امرئٍ ما كان يجهلُهُ ... والجَاهلون لأهلِ العلمِ أعْداءُ

وخذ هذين البيتين وهما الشاهد رقم [٢١٠] مِنْ كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

لَعَمْرُكَ ما الإنسانُ إلا ابنُ يومِهِ ... على ما تجلَّى يومُهُ، لا ابنُ أمْسِهِ
وَمَا الْفَخْرُ بالعظمِ الرميمِ وَإِنَّمَا ... فَخَارُ الَّذِي يَبْغي الفخارَ بنفسِهِ

وخذ بيتين آخرين: [المنسرح]

كن ابنَ مَنْ شِئْتَ واكتسبْ أدباً ... يغنيكَ محمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
إنَّ الفتى مَنْ قالَ هَا أنَا ذَا ... ليْسَ الفتى مَنْ قالَ كَانَ أبي

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾: ليعرف بعضكم بعضاً، لا للتفاخر بالآباء، والقبائل، والأنساب هذا؛ وطبقات الناس عند العرب سبع، وهي: الشعب، والقبيلة، والعِمارة، والبطن، والفخِذ، والفصيلة، والعشيرة. فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعِمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخِذ تجمع الفصائل، والفصيلة تجمع العشائر، وليس بعد العشيرة شيء يوصف عند العرب. واستحدث اسم الأسرة والعائلة لما يشمل الزوج، والزوجة، وأولادهما الذين يعيشون في دار واحدة، وقد نظم بعض الأدباء طبقات العرب بقوله: [الخفيف]

اقصدِ الشعبَ فهوَ أكثرُ حَيٍّ عَدَداً في الحواءِ ثُمَّ القبيلَهْ
ثم تتلوها العِمارةُ ثم البطنُ والفخذُ بعدها والفصيلَهْ
ثُمَّ مِنْ بعدِها العشيرةُ لكِنْ هي في جنبِ ما ذكرناهُ قليلَهْ

هذا؛ والشَّعب بمعنى ما تقدم هو بفتح الشين، وهو بكسرها الطريق في الجبل، أو ما انفرج بين الجبلين، والناحية أيضاً، وجمعه: شعاب، وجمع الأول: شعوب، كما في الآية.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾: فإن التقوى تكمل بها النفوس، وتتفاضل بها الأشخاص، وترتفع بها الدرجات في أعلى الجنات، فمن أراد شرفاً، وعزاً، وكرامةً فليلتمس ذلك منها، قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أن يكون أكرمَ الناسِ؛ فليتَّقِ الله**». وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: (كرمُ الدنيا الغنى، وكرمُ الآخرةِ التقوى) وقيل: (أكرمُ الكرم التقوى، وألأمُ اللؤمِ الفجورُ). وخلاصة التقوى: العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والاستعداد ليوم الرحيل. قال ميمون بن مهران: لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبته شريكه. وقال الحسن: ما زالتِ التقوى بالمتقين؛ حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام. قال الشاعر: [البسيط]

لم يُجْدِك الحسبُ العالي بغير تُقى مَوْلاكَ شيئاً فحاذرْ واتقِ الله
وابغ الكرامةَ في نيلِ الفخارِ بِهِ فأكرمُ النَّاسِ عندَ اللهِ أتْقَاهَا

وقال الأعشى: [الطويل]

إذا أنْتَ لَمْ ترحلْ بزادٍ من التقى ولاقيْتَ بعدَ الموتِ مَنْ قَدْ تزوَّدَا
ندِمْتَ علَى ألَّا تكونَ كمثلِهِ وأنكَ لَمْ تَرصدْ كما كان أرْصَدَا

هذا؛ ويظن كثير من الناس أنَّ تقوى الله بكثرة الصلاة، والصيام، وأداء فريضة الحج، ثم هم لا يأتمرون بمعروف، ولا ينتهون عن منكر، يؤذون الناس، ويعتدون على حرماتهم، ثم هم لا يتورَّعون عن أكل أموال الناس بالباطل، وهذا ظن خاطئ، وزعم فاسد. قال عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرَّم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً؛ فهو خير إلى خير. هذا؛ وعن عطية بن عروة السعدي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَبْلُغُ العبدُ أن يكونَ مِنَ المتقينَ حتى يَدَعَ ما لا بأسَ بِهِ حَذَراً لِمَا بِهِ بأسٌ**». رواه الترمذي.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: انظر الآية رقم [١] هذا؛ وبعضهم يعرب ﴿ٱلنَّاسُ﴾ وأمثاله نعتاً، وبعضهم يعربه بدلاً، والقول الفصل: أن الاسم الواقع بعد أي وبعد اسم الإشارة، إن كان مشتقاً؛ فهو نعت، وإن كان جامداً كما هنا؛ فهو بدل، أو عطف بيان، والمتبوع أعني: «أيُّ» منصوب

محلاً، وكذا التابع أعني «الناس» وأمثاله، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الإتباع اللفظية، وإنما أتبعت ضمة البناء مع أنها لا تتبع؛ لأنها وإن كانت ضمة بناء، لكنها عارضة، فأشبهت ضمة الإعراب، فلذا جاز إتباعها. أفاده الصبان؛ لأنه قال: والمتجه وفاقاً لبعضهم: أنَّ ضمة التابع إتباع، لا إعراب، ولا بناء. وقيل: إن رفع التابع المذكور إعراب، واستشكل بعدم المقتضي للرفع، وأجيب بأن العامل يقدر من لفظ عامل المتبوع مبنياً للمجهول، نحو: يُدْعى. وهو مع ما فيه من التكلف يؤدي إلى قطع المتبوع. وقيل: إن رفع التابع المذكور بناء؛ لأنَّ المنادى في الحقيقة هو المحلَّى بأل، ولكن لما لم يمكن إدخال حرف النداء عليه؛ توصلوا إلى ندائه بـ: «أي» أي: مع قرنها بحرف التنبيه. ورده بعضهم بأن المراعى في الإعراب اللفظ، وأن الأول منادى، والثاني تابع له. والإعراب السائد الآن أن تقول: مرفوع تبعاً للفظ. انتهى. جرجاوي. هذا؛ والأخفش يعتبر: (أيُّ) في مثل هذه الآية موصولة، و﴿ٱلنَّاسُ﴾ خبراً لمحذوف، والجملة الاسمية صلة، وعائد. التقدير: يا من هم الناس؛ على أنه قد حذف العائد حذفاً لازماً، كما في قول امرئ القيس، وهو في معلقته رقم [١٣]: [الطويل]

ألَا رُبَّ يومٍ صالحٍ لكَ منهما ... ولا سيَّما يومٌ بدارة جُلْجُلِ

وهذا هو الشاهد رقم [٢٤٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». وما قاله الأخفش لا يعتدُّ به عند جمهرة النحاة. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿خَلَقْنَٰكُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿مِّن ذَكَرٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الكاف. (أنثى): معطوف على ما قبله مجرور مثله. ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (جعلناكم): فعل، وفاعله، ومفعول به أول. ﴿شُعُوبًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَقَبَآئِلَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (جعلناكم).

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْرَمَكُمْ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: (أكرم)، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿أَتْقَىٰكُمْ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية تعليلية لا محلَّ لها. هذا؛ ويقرأ بفتح همزة (أنَّ)، وعليه فتؤول مع اسمها، وخبرها بمصدر في محل جر بلام تعليل محذوفة، والجار والمجرور يتعلقان بالفعل قبلهما أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

الشرح: قال المفسرون: نزلت الآية الكريمة في نفر من بني أسد بن خزيمة، قدموا على رسول الله ﷺ في سنة مجدبة، فأظهروا الإسلام، ولم يكونوا مؤمنين في السر، فأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوْا أسعارها، وكانوا يغدون، ويروحون إلى رسول الله ﷺ، ويقولون: أتتك العرب بأنفسهم على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال، والعيال، والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، وبنو فلان. يمنون على رسول الله ﷺ بذلك، ويريدون الصدقة، ويقولون: أعطنا. فأنزل الله فيهم هذه الآية.

وقيل: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة (الفتح)، وهم: جهينة، ومزينة. . .إلخ، كانوا يقولون: آمنا؛ ليأمنوا على أنفسهم، وأموالهم، فلما استنفروا للحديبية؛ تخلفُوا عنها، فأنزل الله عزَّ وجل الآية الكريمة. انظر الآية رقم [١١] من سورة (الفتح).

﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ أي: لم تصدقوا بقلوبكم، ولم يدخلها الإيمان. ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ أي: استسلمنا، وانقدنا مخافة القتل، والأسر، والسبي. وهذه صفة المنافقين؛ لأنهم أسلموا في الظاهر؛ ولم تؤمن قلوبهم. قال الحميدي ـ رحمه الله تعالى ـ: اعلم: أنَّ الإسلام هو الدخول في السلم، وهو الانقياد والطاعة، فمن الإسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان، والأبدان، والجنان لقوله عزَّ وجل لإبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ «**أَسْلِمْ، قَالَ: أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ**». ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا...﴾ إلخ.

فإن قلت: المؤمن، والمسلم واحد عند أهل السنة، فكيف يفهم ذلك مع هذا القول؟ قلت: بين العام، والخاص فرق، فالإيمان لا يحصل إلّا بالقلب، والانقياد قد يحصل بالقلب، وقد يحصل باللسان، فالإسلام أعم، والإيمان أخص، لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص، ولا يكون أمراً غيره، فالعام والخاص مختلفان في العموم والخصوص، متحدان في الوجود، فذلك المؤمن، والمسلم. انتهى. خازن. أقول: ومن تعريف الإيمان، والإسلام يتضح لك فحوى ما تقدم، فقد عرفوا الإيمان بأنه التصديق بالقلب مع الثقة، وطمأنينة النفس عليه، والإسلام هو الدخول في السلم، والخروج من أن يكون حرباً للمسلمين مع إظهار الشهادتين، وهو مقتضى حديث جبريل عليه السلام حين سأل الرسول ﷺ عن الإسلام، والإيمان، وهو في

صحيح مسلم، وغيره. ولا تنسَ أنَّ الله عزَّ وجل قد جمع الإيمان، والإسلام لأهل بيت لوط، كما ستعرفه في سورة (الذاريات).

﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: ظاهراً، وباطناً، سراً، وعلانية. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: تخلصوا له الإيمان. ﴿لَا يَلِتْكُم﴾: لا ينقصكم، يقال: لاته، يليته ليتاً، ويلوته: نقصه، وهي لغة أهل الحجاز، وقرأ أبو عمرو: (لا يأْلِتكم) بالهمزة من: ألتَ يألِت ألتاً اعتباراً بقوله تعالى في سورة الطور رقم [٢١]: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾. انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرّك، ويثلج صدرك. وهذه لغة غطفان، وأسد.

بقي أن تعرف: أن ﴿الْأَعْرَابُ﴾ جمع أعرابي، وهو من يسكن البادية. وقيل: الأعراب: اسم جنس، وأعرابي نسبة إلى الأعراب. هذا؛ والعرب أهل الأمصار، وهو أيضاً اسم جنس، والنسبة إليهم عربي، فالأعرابي على الأول مفرد الأعراب، ونسبة إليهم، والعربي على الثاني مفرد العرب، ونسبة إليهم. هذا؛ وقد وصف الله الأعراب في الآية رقم [٩٧] من سورة (التوبة) بأنهم أشد كفراً، ونفاقاً، انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرّك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿قَالَتِ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿الْأَعْرَابُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿آمَنَّا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تُؤْمِنُوا﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾ وعلامة جزمه حذف النون. . .إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، ومتعلقه محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿قُولُوا﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿أَسْلَمْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَمَّا﴾: الواو: واو الحال. (لما): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَدْخُلِ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لمّا). ﴿الْإِيمَانُ﴾: فاعله. ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تُطِيعُوا﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿اللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَرَسُولَهُ﴾: معطوف عليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَلِتْكُم﴾: مضارع جواب الشرط، والفاعل يعود إلى الله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿مِّنْ أَعْمَالِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان

بمحذوف حال من: ﴿شَيْـًٔا﴾، كان صفة له... إلخ، ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به ثان لـ: (يَلِتْ) لأنه بمعنى: ينقص، و﴿إِنَّ﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ له، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تعليلية، أو مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ أي: المؤمنون الصادقون في إيمانهم هم الذين آمنوا بالله إيماناً صحيحاً، وصدقوا رسوله، وانقادوا لأوامرهما، وأذعنوا لحكمهما إذعاناً كاملاً مقروناً بالرضا. ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: لم يشكوا في دينهم وكل ما يأتيهم من ربهم، بل يعتبرونه حقاً وصدقاً. هذا؛ و«ارتاب» مطاوع: رابه: إذا أوقعه في الشك مع التهمة، وجيء بـ: ﴿ثُمَّ﴾ التي للتراخي للإشارة إلى أن نفي الريب عنهم ليس وقت حصول الإيمان فيهم وإنشائه فقط، بل هو مستمر بعد ذلك فيما يتطاول من الأزمنة. فكأنه قيل: ثم داموا على ذلك. ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: في طاعته. والمجاهدة بالأموال، والأنفس تشمل العبادات المالية، والبدنية بأسرها، فالمجاهدة بالأموال عبارة عن العبادات المالية، كالزكاة، والكفارات على جميع أنواعها، وما ينفقه المؤمن تبرعاً للمجاهدين. وقدم الأموال بالذكر لحرص الإنسان عليه، فإن المال شقيق الروح، وقد يبذل الإنسان روحه في سبيل ماله، بل قد يبذل الرجل شرفه، وكرامته، ومروءته في سبيل تحصيل المال، وما أكثرهم في هذا الزمن، الذي رقَّ فيه دين الناس. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾: في إيمانهم؛ لا الذين قالوا: آمنا؛ ولم يوجد منهم غير الإسلام؛ أي: نطق الشهادتين باللسان فقط. ولما نزلت الآيتان؛ أتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون بالله بأنهم مؤمنون صادقون في السرِّ، والعلانية، وعرف الله منهم غير ذلك، فأنزل الآية التالية. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل خبر المبتدأ، أو هو في محل رفع صفة: ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾، وجملة: ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَمْ﴾: حرف جازم. ﴿يَرْتَابُوا﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾ وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، ومتعلقه محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، وأيضاً جملة: ﴿وَجَاهَدُوا﴾ معطوفة عليها. ﴿بِأَمْوَالِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فِي سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل: (جاهدوا) و﴿سَبِيلِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ انظر

إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٧] وهي مستأنفة على اعتبار الموصول خبر المبتدأ، وفي محل رفع خبر المبتدأ على اعتبار الموصول صفة: ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي: تخبرون الله بدينكم؛ الذي أنتم عليه، وهو قولكم: ﴿ءَامَنَّا﴾. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا تخفى عليه تعالى خافية فيهما. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: يعلم كل شيء من النفاق، والإخلاص، وغير ذلك فلا يحتاج إلى إخباركم.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَتُعَلِّمُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي تقريعي. (تُعَلِّمون): مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿بِدِينِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: واو الحال. (الله): مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، وإعادة لفظ الجلالة. وإن اعتبرتها مستأنفة فلا محلَّ لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف عطف. (الله): مبتدأ. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾ بعدهما، و(كل) مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾: هو قولهم: أسلمنا، ولم نحاربك، يمنون بذلك على رسول الله ﷺ، فبيِّن بذلك أن إسلامهم لم يكن خالصاً. ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ أي: لا تعتدُّوا عليَّ بإسلامكم. ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي: لله المنة عليكم أن أرشدكم وأمدَّكم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم، وادَّعيتم. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أنكم مؤمنون.

هذا؛ والمنُّ: ذكر الصنيعة، وتعداد النعمة، والمنَّان من بني آدم: هو الذي يعطي العطاء، ثم يذكِّر به من أعطاه. ويعدِّد له ما فعله من المعروف، مثل أن يقول له: أعطيتك كذا، وفعلت لك كذا، وصنعت معك كذا، وهو تعيير، وتكدير تنكسر منه القلوب؛ لذا كان مذموماً يمحق الثواب، ويبطله، بل ويغضب الله تعالى. قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٦٤]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾

وقال الشاعر الحكيم: [الطويل]

وإنَّ امــرأً أســدى إلــيَّ صــنــيــعــةً وذكَّــرَنِــيــهــا مَــرَّةً لَــلَــئِــيــمُ

وقال آخر يذمُّ المنَّان بالعطاء مخاطباً له: [الطويل]

أتــيْــتَ قــلــيــلاً ثــمَّ أســرعْــتَ مــنــةً فــنــيــلُــكَ مــمــنــونٌ لــذاكَ قَــلِــيــلُ

وفي نوابغ الكلم: صِنوانِ مَن منح سائله ومنَّ، ومَنْ منع نائله وضَنَّ، وفيها طعم الآلاء أحلى من المن، وهو أمرُّ من اللأواء مع المنّ. والمن لا يليق إلَّا في جانب الله تعالى؛ لأنه المتفضل بما يملكه حقيقة، وغيره لا ملك له حقيقة، فلا يليق به المنُّ، كيف لا؛ وقد سمّى نفسه سبحانه: المنان؟!

الإعراب: ﴿يَمُنُّونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿عَلَيۡكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنۡ﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿أَسۡلَمُواْۖ﴾: ماض مبني على الضم في محل نصب بـ: ﴿أَنۡ﴾ والواو فاعله، و﴿أَنۡ﴾ والفعل في تأويل مصدر في محل نصب بنزع الخافض، التقدير: لأن، أو بأن أسلموا، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّا﴾: ناهية. ﴿تَمُنُّواْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿عَلَيَّ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِسۡلَٰمَكُمۖ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَّا تَمُنُّواْ...﴾ إلخ، في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿بَلِ﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَمُنُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما، والمصدر المؤول من: ﴿أَنۡ هَدَىٰكُمۡ﴾ منصوب بنزع الخافض مثل سابقه، والكاف مفعول به. ﴿لِلۡإِيمَٰنِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمۡ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبر (كان) منصوب... إلخ، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه. التقدير: إن كنتم

صادقين في ادِّعائكم الإيمان بالله، فلله المنة عليكم، والكلام كله في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: المعنى: أن الله عزَّ وجلَّ لا يخفى عليه شيء في السموات، والأرض؛ فكيف يخفى عليه حالكم؟! بل يعلم سركم، وعلانيتكم. ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: بصير بأعمالكم الظاهرة، والخفية، وعليم بجوارحكم الظاهرة، والباطنة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿غَيْبَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: الواو: حرف عطف. (الأرض): معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ، مستأنفة، أو مبتدأة، لا محلَّ لها. (الله): مبتدأ. ﴿بَصِيرٌۢ﴾: خبره. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿بَصِيرٌۢ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بصير بالذي، أو بشيء تعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿بَصِيرٌۢ﴾ التقدير: بصير بعملكم، والجملة الاسمية: (الله...) إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. تأمَّل، وتدبَّر، وربك أعلم، وأجلُّ، وأكرم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

انتهت سورة (الحجرات) بحمد الله وتوفيقه شرحاً وإعراباً.

والحمد لله رب العالمين.

 

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (ق) وهي مكية بالإجماع، وهي خمس وأربعون آيةً، وثلاثمئة، وسبع وخمسون كلمةً، وألف وأربعمئة، وأربعة وتسعون حرفاً. انتهى. خازن.

فعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه سأل أبا واقد الليثي: ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في الأضحى، والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ: (ق) و(اقتربت). أخرجه مسلم، وأصحاب السنن. وعن أم هشام بنت حارثة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لقد كان تنورنا، وتنور النبي ﷺ واحداً سنتين، أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلَّا على لسان رسول الله ﷺ، كان يقرؤها كلَّ يومِ جمعةٍ على المنبر إذا خطب الناس، أخرجه مسلم، وأبو داود، وأحمد.

والقصد: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع، لاشتمالها على ابتداء الخلق، والبعث، والنشور، والمعاد، والقيامة، والحساب، والجنة، والنار، والثواب، والعقاب، والترغيب، والترهيب. انتهى. صابوني.

﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾

الشرح: ﴿قٓ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: هو قسم. وقيل: هو اسم للسورة. وقيل: اسم من أسماء الله. وقيل: اسم من أسماء القرآن. وقيل: هو مفتاح اسمه: القدير، والقادر، والقاهر، والقريب، والقابض، والقدوس، والقيوم. وقيل: معناه: قضي الأمر، أو قضي ما هو كائن. وقال أبو بكر الوراق: معناه: قف عند أمرنا، ونهينا، ولا تَعْدُهما، ويجوز فيه ما جاز بـ: (ص) من قراءات، انظرها هناك. ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ أي: الشريف الكريم على الله، الكثير الخير والبركة؛ لأنَّه المهيمن على سائر الكتب، أو لأنه كلام الله المجيد، أو لأن من علم معانيه، وامتثل أحكامه؛ عظم ومجد عند الله، وعند الناس. ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ أي: كفار مكة. ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ أي: محمد ﷺ. فهو إنكار لتعجبهم مما ليس بعجيب، وهو أن ينذرهم غضب الله، وعقابه رجل منهم قد عرفوا صدقه، وعدالته، وأمانته، ومن كان كذلك لم يكن إلَّا

ناصحاً لقومه، خائفاً أن ينالهم مكروه. ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة. ﴿هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: معجب، وغريب كل الغرابة. وفي الحقيقة والواقع ليس هذا بعجيب، فإن الله يصطفي من الملائكة رسلاً، ومن الناس، لا اعتراض عليه فيمن يصطفيه.

الإعراب: ﴿قٓ﴾: فيه أوجه: أحدها: أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هذه ﴿قٓ﴾. الثاني: أنه مفعول به لفعل محذوف، التقدير: اتل ﴿قٓ﴾. الثالث: أنه مقسم به، التقدير: أقسم بـ: ﴿قٓ﴾. ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم بالقرآن. ﴿ٱلۡمَجِيدِ﴾: صفة (القرآن)، وعلى اعتبار ﴿قٓ﴾ مقسماً به فـ: (القرآن) معطوف عليه، وقد اختلف في الجواب، فقال الأخفش: هو جملة: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا﴾ على حذف اللام؛ أي: لقد علمنا، وقال الزجاج: الجواب محذوف، تقديره: والقرآن المجيد لتُبعَثُنَّ؛ لأنهم أنكروا البعث في الآية بعده، وقال ابن هشام: التقدير: لنهلكن، أو إنك لمنذر، وقال الكوفيون: الجواب: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ والمعنى: لقد عجبوا، وقدر الجلال الجواب: ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ. وقيل: الجواب قوله تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ وقيل: غير ذلك.

﴿بَلۡ﴾: حرف انتقال. ﴿عَجِبُوٓاْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها مستأنفة. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿جَآءَهُم﴾: ماض مبني على الفتح في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾، والهاء مفعول به. ﴿مُّنذِرٌ﴾: فاعل. ﴿مِّنۡهُمۡ﴾: متعلقان بـ: ﴿مُّنذِرٌ﴾ أو بمحذوف صفة له، و﴿أَن﴾ والفعل (جاء) في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بل عجبوا من مجيء منذر منهم، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَقَالَ﴾: الفاء: حرف عطف. (قال): ماض. ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: فاعل مرفوع. . .إلخ. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه، لا محلَّ له. ﴿شَيۡءٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿عَجِبُوٓاْ...﴾ إلخ، لا محلَّ لها مثلها، وإظهار: ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ في محل الإضمار للإشعار بتعنُّتهم في هذا المقام، ثم التسجيل على كفرهم بهذا المقال.

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ﴾ أي: أنبعث حين نموت ونبلى؟! وترك البعث لدلالة الكلام عليه. ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ أي: بعيد الوقوع، فهم يعتقدون استحالة الرجوع بعد الموت والفناء إلى هذه البنية والتركيب الموجودين قبل الموت، وما أكثر ما ذكر القرآن مثل هذا عنهم في آياته، وآية (يسٓ) رقم [٧٨]: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ من أكبر الشواهد على تعنُّتهم. انظر شرحها هناك.

الإعراب: ﴿أَءِذَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (إذا): ظرف زمان مجرد عن الشرطية مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، التقدير: أنبعث إذا. ﴿مِتْنَا﴾: فعل، وفاعل، وهو في المعنى فعل، ونائب فاعله؛ لأننا لا نموت، بل الله يميتنا. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿وَكُنَّا﴾: الواو: حرف عطف. (كنا): فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿تُرَابًا﴾: خبر (كان)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿رَجْعٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿بَعِيدٌ﴾: صفة له، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول المذكور في الآية السابقة.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكل من لحومهم، وأبشارهم، وعظامهم، وأشعارهم؛ أي: نعلم ذلك، ولا يخفى علينا كيف تفرقت الأبدان، وأين ذهبت، وإلى أين صارت، فلا يغيب عنا شيء من ذلك، فكيف تتعذر الإعادة؟! قال تعالى في سورة (طه) رقم [٥١ و٥٢] حكاية عن قول موسى في جواب فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ وفي الصحيح: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خُلِق، وفيه رُكِّب**». وثبت: أنَّ الأنبياء، والأولياء، والشهداء لا تأكل الأرض أجسادهم، وقال السدي: النقص هنا: الموت، يقول: قد علمنا منهم من يموت، ومن يبقى؛ لأن من مات دُفِن فكأن الأرض تنقص من الناس. ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾: بمعنى محفوظ من التبديل، والتغيير. وقيل: ﴿حَفِيظٌۢ﴾ بمعنى حافظ لعددهم، وأسمائهم، ولما تنقص الأرض منهم، وهو اللوح المحفوظ، وقد أثبت فيه ما يكون. وأيضاً: حفيظ لأعمال العباد. أو هو كتاب الأعمال، قال تعالى في سورة (الكهف) رقم [٤٩]: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ﴾.

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿عَلِمْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب القسم على وجه مرَّ ذكره، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها على اعتبار جواب القسم محذوفاً. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ﴾: مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: قد علمنا الذي تنقصه الأرض. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والمفعول الأول الضمير الذي رأيت تقديره. ﴿وَعِندَنَا﴾: الواو: واو الحال. (عندنا): ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿كِتَٰبٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿حَفِيظٌۢ﴾: صفة: ﴿كِتَٰبٌ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب حال من (نا) الواقعة فاعلاً، والرابط: الواو، والضمير.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: بالقرآن. ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: قيل: معناه: كذبوا به لما جاءهم. وقيل: كذبوا المنذر، وهو محمد ﷺ لما جاءهم. ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ أي: مختلط ملتبس، قيل: معنى اختلاط أمرهم: قولهم للنبي ﷺ مرةً شاعر، ومرةً ساحر، ومرةً معلَّم مجنون، ومرةً كاهن، ويقولون في القرآن: مرةً سحر، ومرةً رجز، ومرةً مفترى، ومرةً كهانة، فهو كقوله تعالى في سورة (الذاريات) مخاطباً لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ فكان أمرهم مختلطاً ملتبساً عليهم. وقيل في هذه الآية: من ترك الحق مرج عليه أمره، والتبس عليه دينه، قال أبو دؤاد الإيادي: [الرمل]

مَــرِجَ الــدِّيــنُ فــأعــدَدْتُ لَــهُ ... مُـشْـرِفَ الـحـارِكِ مـحـبـوكَ الـكَـتَـدْ

وقال الرسول ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: «**كيفَ بك يا عبدَ الله إذا كُنْتَ في قومٍ قد مرِجَتْ عهودُهم وأماناتُهم، واختلفوا، فكانوا هَكَذَا، وهكذا (وشبَّك بين أصابعه)**» أخرجه أبو داود. هذا؛ والفعل بمعنى ما تقدم من الباب الرابع، كفرح، يفرح، وهو من الباب الأول بمعنى: أرسل الدابة، تركها ترعى. قال تعالى في سورة (الرحمن) رقم [١٩]: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ وقال في سورة (الفرقان) رقم [٥٣]: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب، وانتقال مما هو شنيع إلى ما هو أشنع، وأقبح، وهو تكذيب النبوة بعد إنكار البعث. ﴿كَذَّبُوا﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها مستأنفة. وقيل: معطوفة على جملة ﴿بَلْ عَجِبُوا...﴾ إلخ. ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى حين مبني على السكون في محل نصب متعلق بما قبله. هذا؛ وقرئ: (لِمَا) بكسر اللام على أن (ما) مصدرية، فتؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر باللام، التقدير: لمجيئهم، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿جَاءَهُمْ﴾: فعل ماض، والهاء في محل نصب مفعول به، والفاعل يعود إلى (الحق)، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليها. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف تعليل. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِي أَمْرٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿مَرِيجٍ﴾: صفة: ﴿أَمْرٍ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾: نظر تفكر واعتبار، وأن القادر على إيجادها قادر على الإعادة. ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ أي: رفعناها بلا عمد. ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾: بالنجوم، والكواكب. ﴿وَمَا لَهَا

﴿مِن فُرُوجٍ﴾: جمع: فرج، وهو: الشق، بمعنى: أنها سليمة من العيوب، لا صدع فيها، ولا فتق، ولا خلل. هذا؛ وشرح ﴿أَفَلَمْ﴾ مثل شرح: ﴿أَفَلَا﴾ في الآية رقم [٥١] من سورة (الزخرف).

الإعراب: ﴿أَفَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. الفاء: حرف استئناف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَنظُرُوٓاْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها، أو هي معطوفة على محذوف، التقدير: أغفلوا، وعموا، فلم ينظروا... إلخ. ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿فَوْقَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال من: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿بَنَيْنَٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بدلاً من: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، التقدير: أفلم ينظروا إلى السماء كيفية بنائها. ومثل الآية الكريمة قول الفرزدق ـ وهو الشاهد رقم [٣٧٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الطويل]

إلى اللهِ أشكُو بالمدينةِ حاجةً ... وبالشامِ أخرى كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟!

﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وداخلة معها في التأويل. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿فُرُوجٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، العائد إلى: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾

الشرح: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: بسطناها، وفرشناها. ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: ثوابت، وهي الجبال؛ لئلا تميد بأهلها، وتضطرب، كما قال تعالى في سورة (النحل) رقم [١٥]: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ جمع: راسية؛ لأنَّ الأرض ترسو بها؛ أي: تثبت، وتستقر. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣] من سورة (الرعد) والذاريات [٤٨]. ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾: من كل صنف من أصناف النبات. ﴿بَهِيجٍ﴾: حسن جميل، والبهيج: هو الشيء المبهج المشرق النضير، وفي سورة (الحج) رقم [٥]: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

الإعراب: ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على محل قوله: ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ المنصوب بـ: (ينظر) فهو منصوب بذلك؛ أي: أفلم ينظروا الأرض؟ ويجوز أن يكون منصوباً على الاشتغال بفعل

محذوف، يفسّره المذكور بعده، التقدير: ومددنا الأرض مددناها. ﴿مَدَدْنَٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (الأرض) على الوجه الأول فيها، ولا محلَّ لها على الوجه الثاني فيها لأنها مفسرة. ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رَوَٰسِىَ﴾: مفعول به، ولم ينون؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع. ﴿وَأَنۢبَتْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (أنبتنا): فعل، وفاعل. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بما قبلهما أيضاً، وهما في محل نصب مفعول به، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿زَوْجٍۭ﴾ مضاف إليه. ﴿بَهِيجٍ﴾: صفة: ﴿زَوْجٍۭ﴾، والجملة الفعلية (أنبتنا...) إلخ معطوفة على ما قبلها.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿تَبْصِرَةً﴾ أي: جعلنا ذلك تبصرة؛ لندل به على كمال قدرتنا. وقال أبو حاتم: نصب على المصدر، يعني: جعلنا ذلك تبصيراً، وتنبيهاً على كمال قدرتنا. ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ أي: تذكرة. ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: رجاع إلى الله عزَّ وجل، خائف، خاضع، متذلل له تعالى، والفرق بين التذكرة، والتبصرة: هو أنَّ في السموات والأرض آيات مستمرة منصوبة في مقابلة البصائر، وآيات متجددة مذكرة عند التناسي.

الإعراب: ﴿تَبْصِرَةً﴾: مفعول لأجله، والعامل فيه: ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا...﴾ إلخ، وقيل: مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: بصرناهم تبصرة، وذكرناهم تذكرة. وقيل: حال، بمعنى مبصرين ومذكرين حال من (نا). وقيل من المفعول به. هذا؛ وقرئ: (تَبْصِرَةٌ) بالرفع على تقدير: هي تبصرة وتذكرة. ﴿لِكُلِّ﴾: متعلقان بكل من المصدرين على التنازع، و(كل) مضاف، و﴿عَبْدٍ﴾ مضاف إليه، ﴿مُّنِيبٍ﴾: صفة: ﴿عَبْدٍ﴾.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ أي: كثير الخير والبركة، فيه حياة كل نام، وهو المطر. ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾: حدائق، وبساتين، ورياضاً. ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾: حب الزرع الذي من شأنه أن يحصد، كالبر، والشعير، ونحوهما مما يقتات به الإنسان، والحيوان، ويدخر. هذا؛ والتقدير: وحب النبت الحصيد. هذا قول البصريين، وقول ابن هشام في المغني. وقال الكوفيون: هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه، كما يقال: مسجد الجامع، وربيع الأول، وحق اليقين، وحبل الوريد، ونحوها، قاله الفراء. والأصل: الحب الحصيد، فحذفت الألف واللام،

وأضيف المنعوت إلى النعت. ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾: طوالاً. وقيل: مستويات. وقال عبد الله بن شداد: بُسوقُها: استقامتها في الطول، يقال: بسق النخل بسوقاً: إذا طال. قال الشاعر: [الوافر]

لَنَا خَمْرٌ، ولَيْسَتْ خمرَ كَرْمٍ ... وَلَكِنْ مِنْ نِتَاجِ الباسِقَاتِ

كِرامٌ في السَّماءِ ذَهَبْنَ طُولاً ... وفَاتَ ثِمارُها أيدِي الْجُنَاةِ

وقرئ: (باصقات) بالصاد لأجل القاف، قال قطبة بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: صليت وصلى بنا رسول الله ﷺ، فقرأ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ حتى قرأ: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ قال: فجعلت أرددها، ولا أدري ما قال، إلا أنه لا يجوز إبدال الصاد من السين لأجل القاف. أخرجه مسلم في صحيحه. ويجمع على بواسق أيضاً. ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾: الطلع هو أول ما يخرج من ثمر النخل، وهو ما يكون منه وفيه التلقيح؛ حيث يؤخذ من طَلْع الذكر، ويوضع في طَلْع النخل الأنثى بعد شقه، ثم الربط عليهما. وقد أفردها الله جلَّ ذكره بالذكر لفرط ارتفاعها، وكثرة منافعها؛ ولذلك شبه النبي ﷺ المسلم بها. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٤] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام تجد ما يسرّك، ويثلج صدرك. ﴿نَّضِيدٞ﴾: متراكب بعضه على بعض لكثرته، وتراكمه.

فائدة: عن علي ـ كرَّم الله وجهه ـ قوله: (إذا اشتكى أحدكم شيئاً، فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها، ثم ليشتر به عسلاً، فليشربه بماء السماء، فيجمع الله له هنيئاً، ومريئاً، وشفاءً، ومباركاً) أخذه ـ رضي الله عنه ـ من هذه الآية، ومن آية النساء رقم [٤] ومن آية (النحل) رقم [٦٩].

الإعراب: ﴿وَنَزَّلۡنَا﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (نزلنا): فعل، وفاعل. ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مَآءٗ﴾، كان صفة له، فلما قدّم عليه صار حالاً. . .إلخ. ﴿مَآءٗ﴾: مفعول به. ﴿مُّبَٰرَكٗا﴾: صفة له، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين في الفاء. (أنبتنا): فعل، وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿جَنَّٰتٖ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿وَحَبَّ﴾: معطوف على: ﴿جَنَّٰتٖ﴾، و(حب) مضاف، و(الحصيد): مضاف إليه، وانظر الشرح. ﴿وَٱلنَّخۡلَ﴾: الواو: حرف عطف. (النخل): معطوف على ما قبله. ﴿بَاسِقَٰتٖ﴾: حال من (النخل) منصوب. . .إلخ. ﴿لَّهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿طَلۡعٞ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿نَّضِيدٞ﴾: صفة: ﴿طَلۡعٞ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: (النخل الباسقات) بطريق الترادف، أو من الضمير في ﴿بَاسِقَٰتٖ﴾ على التداخل. هذا؛ ويجوز اعتبار الجار والمجرور: ﴿لَّهَا﴾ متعلقين بمحذوف حال من: (النخل)، و﴿طَلۡعٞ﴾ مرتفع به على الفاعلية؛ أي: بمتعلقهما.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِۖ﴾ أي: رزقناهم رزقاً، أو على معنى: أنبتناها رزقاً؛ لأن الإنبات في معنى الرزق، والرزق: ما كان مهيأ للانتفاع به. ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾: بالمطر. ﴿بَلْدَةً مَّيْتًاۚ﴾: لا نبات فيها، ولا حياة، فإذا نزل عليها المطر اهتزت، وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، وذكَّر: ﴿مَّيْتًاۚ﴾ باعتبار البلدة بلداً، أو مكاناً. ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ أي: من القبور، والمعنى: كما أحيا الله الأرض الميتة بالماء، فأخرج منها النبات بعدما انهضم، وتفتت في الأرض، وصار تراباً كما كان من بين أصفره، وأبيضه، وأحمره، وأزرقه إلى غير ذلك، كذلك يعيدكم من الأرض بعدما تفتتت عظامكم، وتمزّقت لحومكم، وتفرَّقت شعوركم.

وهذا من خصائص أسلوب القرآن العظيم: أنه يخاطب العقل، والقلب معاً، ويجمع بين الحق، والجمال معاً، وأنه يسوق الاستدلال سوقاً يهزّ القلوب هزاً، ويمتع العاطفة إمتاعاً بما جاء في طيّ هذه الآيات من إقامة الدليل العقلي على البعث، والنشور في مواجهة المنكرين المكذبين. تأمل هذا الأسلوب البارع الذي أقنع العقل، وأمتع العاطفة في آنٍ واحد، حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل، حيث قال في آخر الآيات: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ أي: الخروج من القبور للبعث، والحساب، والجزاء، والثواب، والعقاب.

الإعراب: ﴿رِّزْقًا﴾: مفعول لأجله؛ أي: أنبتنا ما تقدم لرزقهم، أو هو مفعول مطلق عامله: (أنبتنا) لأنه بمعنى رزقناهم رزقاً. أو هو حال، بمعنى: مرزوقاً للعباد، أو ذا رزق. ﴿لِّلْعِبَادِۖ﴾: متعلقان بـ: ﴿رِّزْقًا﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَأَحْيَيْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (أحيينا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها من جمل. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿بَلْدَةً﴾: مفعول به. ﴿مَّيْتًاۚ﴾: صفة: ﴿بَلْدَةً﴾. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه، وجر، و(ذا) اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿ٱلْخُرُوجُ﴾: مبتدأ مؤخر. هذا؛ وأجيز اعتبار الكاف اسماً مبتدأ و﴿ٱلْخُرُوجُ﴾ خبره، وعليه تكون الكاف مضافة، واسم الإشارة مضافاً إليه، وعلى الوجهين؛ فالجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبل كفار قريش، والمفعول محذوف؛ أي: كذبوا رسلهم. قوم نوح، وثمود، وعاد، وفرعون، وإخوان لوط ذكرت هذه الأقوام بالتفصيل في سورة (الأعراف)

وفي سورة (هود) وفي سورة (الشعراء)، وذكر أصحاب الأيكة في سورة (الشعراء) الآية رقم [١٧٦] وما بعدها، وذكر أصحاب الرس اسماً فقط في الآية رقم [٣٨] من سورة (الفرقان) وقد توسعت في الكلام عليهم. انظره هناك؛ فإنه جيد؛ والحمد لله! وانظر شرح ﴿تُبَّعٍ﴾ في سورة (الدخان) رقم [٣٧]. هذا؛ وذم الله قوم تبع، ولم يذمه، وذم فرعون لأنه هو المكذب المستخف لقومه، فلهذا خُصَّ بالذكر دونهم. ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ أي: كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهم. ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: وجب عذابي لهم. وفيه تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديد، ووعيد لأهل مكة. هذا؛ وإن لوطاً هو ابن أخي إبراهيم الخليل، على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام، وتقدم معنا: أنه هاجر معه من العراق إلى الشام، فنزل إبراهيم بفلسطين، ونزل لوط بسدوم من الأردن، وأرسله الله إلى أهلها. فهو أجنبي منهم، لكن الله عبَّر عنهم بإخوانه من حيث: أنه صاهرهم، وتزوج منهم. انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿كَذَّبَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿قَبْلَهُمْ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَوْمُ﴾: فاعل: ﴿كَذَّبَتْ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها، و﴿قَوْمُ﴾ مضاف، و﴿نُوحٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَأَصْحَٰبُ﴾: الواو: حرف عطف. (أصحاب): معطوف على: ﴿قَوْمُ﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلرَّسِّ﴾ مضاف إليه. ﴿وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٌ﴾: معطوفان على: ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾. ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ﴾: معطوفان أيضاً، و﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾ و﴿تُبَّعٍ﴾: مضاف إليهما. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ، جوز الابتداء به الإضافة المقدرة. ﴿كَذَّبَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿كُلٌّ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿ٱلرُّسُلَ﴾: مفعول به. ﴿فَحَقَّ﴾: الفاء: حرف عطف. (حق): فعل ماض. ﴿وَعِيدِ﴾: فاعل: (حق) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، المحذوفة مراعاةً لرؤوس الآي، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ١٥﴾

الشرح: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾: هذا جواب لقولهم: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ والمعنى: أعجزنا حين خلقناهم أولاً، فنعيا بالإعادة ثانياً؟! وذلك لأنهم اعترفوا بالخلق الأول، وأنكروا البعث. هذا؛ و«عيي بالأمر»: إذا لم يهتد لوجه عمله. وفي المختار: العيُّ ضد البيان، وقد عيَّ في منطقه فهو عيٌّ، ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ﴾: في خلط، وشبهة، قد لبس عليهم الشيطان، وحيَّرهم، وذلك تسويله إليهم: أنَّ إحياء الموتى خارج عن العادة، فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح، وهو: أنَّ مَنْ قدر على الإنشاء؛ كان على الإعادة أقدر، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: من إعادة الأجسام بعد فنائها، وتفتت أوصالها، وأجزائها.

الإعراب: ﴿أَفَعَيِينَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي تقريعي. الفاء: حرف استئناف. (عيينا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. وقيل: معطوفة على جملة محذوفة مقدرة، ولا داعي له. ﴿بِٱلْخَلْقِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْأَوَّلِ﴾: صفة: (الخلق). ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِى لَبْسٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِّنْ خَلْقٍ﴾: متعلقان بـ: ﴿لَبْسٍ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿جَدِيدٍ﴾: صفة: ﴿خَلْقٍ﴾. هذا؛ وقال الجمل: الجملة الاسمية معطوفة على مقدر يقتضيه السياق، يدلُّ عليه ما قبله، كأنه قيل: هم غير منكرين لقدرتنا عن الخلق الأول، بل هم في خلط، وشبهة من خلق جديد مستأنف؛ لما فيه من مخالفة العادة. وتنكير: ﴿خَلْقٍ﴾ لتفخيم شأنه، والإشعار بخروجه عن حدود العادات، والإيذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه، ويهتمَّ بمعرفته. انتهى. نقلاً من أبي السعود.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: آدم، وكل واحد من ذريته. ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ أي: ما يختلج في سرِّه، وقلبه، وضميره. وفي هذا زجر عن المعاصي؛ التي يستخفى بها. والوسوسة: حديث النفس بمنزلة الكلام الخفي، ومنه: وسواس الحَلْي. قال الأعشى: [البسيط]

تَسْمَعُ لِلحَلْيِ وَسْوَاساً إذَا انْصَرَفَتْ ... كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

انظر شرح هذا البيت وإعرابه في كتابنا: «إعراب المعلّقات العشر» ورقمه [٤] من معلقة الأعشى. هذا؛ ومن فضل الله وكرمه أنه تجاوز عن وسوسة القلب، وحديث النفس، فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**إنَّ الله تعالى تجاوزَ لأُمَّتي ما حدَّثَتْ بِهِ أنْفُسَها ما لَمْ تَقُلْ، أو تعملْ**» وانظر ما ذكرته في سورة (البقرة) رقم [٢٨٤] و[٢٨٦].

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾: هذا بيان لكمال علمه؛ أي: نحن أعلم به منه، و﴿ٱلْوَرِيدِ﴾: العرق الذي يجري منه الدم، ويصل إلى كل جزء من أجزاء البدن، وهو بين الحلقوم، والعلباوين. ومعنى الآية: أنَّ أجزاء الإنسان، وأبعاضه يحجب بعضها بعضاً، ولا يحجب عن علم الله شيء، وحبل الوريد مثل في فرط القرب، كقولهم: هو مني مقعد القابلة، ومعقد الإزار، قال ذو الرُّمَّة: [الرجز]

هَلْ أغْدُوَنْ فِي عِيشَةٍ رَغِيدِ؟ ... والمَوتُ أدنى لِي مِنَ الوَرِيدِ

وقيل: يحتمل أن يكون المعنى: ونحن أقرب إليه بنفوذ قدرتنا فيه، ويجري أمرنا فيه كما يجري الدم في عروقه. كما قيل: إن المراد ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده

إليه، كما قال تعالى في المحتضر في سورة (الواقعة): ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ فإن المراد الملائكة بلا ريب، كما ستعرفه في سورة (الواقعة) إن شاء الله تعالى. قال القشيري: في هذه الآية هيبة، وفزع، وخوف لقوم، وروح، وأنس، وسكون قلب لقوم.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: انظر إعراب مثل هذه الكلمات في الآية رقم [٤٦] من سورة (الزخرف). ﴿وَنَعْلَمُ﴾: الواو: واو الحال. (نعلم): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ونحن نعلم، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: (نا)، والرابط: الواو، والضمير، ولا يصح اعتبار الجملة الفعلية بمفردها حالاً؛ لأنها اقترنت بالواو، وفعلها مضارع مثبت. هذا؛ وإن اعتبرت الجملة مستأنفة؛ فلا حاجة إلى تقدير مبتدأ قبلها. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: ونعلم وسوسة نفسه إياه؛ على اعتبار الباء زائدة، أو وسوسة نفسه له؛ على كونها للتعدية، وهي أصلية. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل: (نعلم)، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال متداخلة. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَقْرَبُ﴾. ﴿مِنْ حَبْلِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَقْرَبُ﴾ أيضاً، و﴿حَبْلِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْوَرِيدِ﴾ مضاف إليه، وانظر ما ذكرته في مثل هذه الإضافة في الآية رقم [٩].

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ
﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي: يأخذ، ويثبت الملكان الموكلان بالإنسان ما يعمله، وما يقوله في صحيفتي الحسنات، والسيئات. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾: قال مجاهد: وكَّل الله بالإنسان مع علمه بأحواله ملكين بالليل، وملكين بالنهار، يحفظان عمله، ويكتبان أثره إلزاماً للحجة، أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيئات. فذلك قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾. وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**كاتبُ الحسناتِ على يمين الرجلِ، وكاتبُ السيئاتِ على يسارِهِ، وكاتبُ الحسناتِ أمينٌ على كاتبِ السَّيئاتِ، فإذا عَمِلَ حَسَنَةً كتبَهَا صاحبُ اليَمِينِ عشراً، وإذا عمل سيئةً قال صاحب اليمين لصاحب الشِّمَالِ: دَعْهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ؛ لَعَلَّهُ يُسَبِّحُ! أو يَسْتَغْفِرُ**». وروي من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن مقعدَ ملكيْكَ عَلى ثنِيَّتِكَ. لسانُكَ قلمهُما، ورِيقُكَ مدادُهما، وأنتَ تجري فيما لا يَعْنِيكَ فلا تستحِ من الله ولا منهما!**». وإنما قال: ﴿قَعِيدٌ﴾، ولم يقل:

قعيدان؛ وهما اثنان؛ لأنَّ المراد عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فحذف مِنَ الأول لدلالة الثاني عليه. ومنه قول قيس بن الخطيم الأوسي ـ وهو الشاهد رقم [١٠٥٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [المنسرح]

نَحْنُ بِمَا عِندنَا، وأنتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

التقدير: نحن بما عندنا راضون، وقال الجوهري: فعيل، وفعول مما يستوي فيه الواحد، والاثنان، والجمع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ رقم [١٦] من سورة (الشعراء) انظر شرحها هناك؛ فإنه جيد. ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ﴾: عنده. ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: حافظ حاضر أينما كان سوى وقت الغائط، وعند جماعه، فإنهما يتأخران عنه، فلا يجوز للإنسان أن يتكلم في هاتين الحالتين؛ حتى لا يؤذي الملائكة بدنوهما منه، وهو على تلك الحالة؛ حتى يكتبا ما يتكلم به. قيل: إنهما يكتبان عليه كل شيء يتكلَّم به حتى أنينه في مرضه. وقيل: لا يكتبان إلا ما له أجر، وثواب، أو عليه وزر، وعقاب.

هذا؛ وتفسير ﴿عَتِيدٌ﴾ بحاضر يجعله صفة: ﴿رَقِيبٌ﴾، والمعروف والمشهور: أنهما ملكان: الأول: رقيب، وهو كاتب الحسنات، والثاني: عتيد وهو كاتب السيئات، وهما من الملائكة المقربين العشرة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، ومنكر، ونكير، ورقيب، وعتيد، وخازن الجنة رضوان، وخازن النار مالك ـ رضي الله عنهم ـ. وقد أزاح هذه الشبهة الجلال بقوله: وكلٌّ منهما بمعنى المثنى.

قال الجمل معلقاً: أي: الرقيب، والعتيد بمعنى المثنى، فالمعنى: إلا لديه ملكان موصوفان بأنهما رقيبان، وعتيدان، فكل منهما موصوف بأنه ﴿رَقِيبٌ﴾ أي: حافظ للأعمال، و﴿عَتِيدٌ﴾ أي: حاضر عند العبد، لا يفارقه في نوم، ولا في يقظة، فالكاتبان اثنان فقط، وإن كانا يتبدلان ليلاً، ونهاراً. ولا حاجة إلى هذا كله، بل الأولى جعل الوصفين لشيء واحد؛ أي: إلا لديه ملك موصوف بأنه رقيب، وعتيد؛ أي: حافظ حاضر، والمراد بذلك الملك اثنان: كاتب الحسنات، وكاتب السيئات، فكل منهما يقال له: رقيب عتيد. انتهى. وخذ ما يلي:

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ نبي الله ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ وكَّلَ بعبدِهِ ملكيْنِ يكتبانِ عملَه، فإذا مات؛ قالَا: ربنا قد مات فلان فَائذن لنا أن نصعَدَ إلى السماءِ! فيقول الله تعالى: إنَّ سمواتي مملوءة من ملائكتي يسبحونني، فيقولان: ربَّنا نقيمُ في الأرض، فيقول الله تعالى: إن أرضي مملوءةٌ من خلق يسبحونني، فيقولان: يا ربِّ فأين نكون؟ فيقول الله تعالى: كُونا على قبر عبدي فكبِّراني، وهلِّلاني، وسبِّحاني، واكتُبَا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة**». أقول: وهذا إن كان العبد الموكل به الملكان مؤمناً، وأما إن كان كافراً، وفاجراً، وفاسداً في حياته؛ فلا شك: أنَّ الله تعالى يقول لملكيه: قفا على قبره، والعناه؛ حتى يبعث من قبره! والله أعلم، وأجلُّ، وأكرم، وصلى الله على الهادي، وسلَّم. وانظر ما ذكرته بشأن الحفظة في الآية رقم [١١] من سورة (الرعد).

الإعراب: ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو متعلق بـ: ﴿أَقۡرَبُ﴾. ﴿يَتَلَقَّى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، ومفعوله محذوف، التقدير: يتلقى المتلقيان ما يعمله العبد، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ﴿وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿قَعِيدٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ﴾. (عن الشمال): متعلقان بمحذوف خبر، والمبتدأ محذوف لدلالة: ﴿قَعِيدٌ﴾ عليه، فهذا من حذف الثاني لدلالة الأول عليه، وإن اعتبرت: ﴿قَعِيدٌ﴾ مبتدأ لقوله: (عن الشمال) فيكون المبتدأ محذوفاً من الأول لدلالة الثاني عليه، وعلى اعتبار ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى المثنى؛ فلا حذف، وكذلك إن كان صالحاً للمفرد، والمثنى، والجمع؛ فلا حذف أيضاً، كذلك عطفت (عن الشمال) على ما قبلهما.

﴿مَّا﴾: نافية. ﴿يَلۡفِظُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلۡإِنسَـٰنَ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿ٱلۡإِنسَـٰنَ﴾، والرابط: الضمير فقط، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ لا محلَّ لها. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَوۡلٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لَدَيۡهِ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياءً، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿رَقِيبٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿عَتِيدٌ﴾: بدل مما قبله، أو عطف بيان عليه، وإن اعتبرتهما اثنين؛ فهو معطوف عليه بواو محذوفة، والجملة الاسمية في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال.

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾

الشرح: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ أي: غمرته، وشدته؛ التي تغشى الإنسان، وتغلب على عقله. ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾ أي: بحقيقة الموت. وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان. وقيل: بما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة، والشقاوة. ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ أي: يقال لمن جاءته سكرة الموت: ذلك الذي كنت عنه تميل، وقيل: تهرب. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: تكره. يقال: حاد عن الشيء يحيد: مال عنه، وعدل، قال طرفة بن العبد: [الطويل]

أَبَا مُنْذِرٍ رُمْتَ الوفاءَ فَهِبْتَهُ وحِدْتَ كَمَا حَادَ البعيرُ عنِ الدَّحْضِ

والمخاطب بذلك الإنسان من حيث هو. وقيل: هو الكافر. وعن بعضهم: أنَّه سأل زيد بن أسلم عن ذلك، فقال الخطاب للنبي ﷺ. فحكاه لصالح بن كيسان. فقال: والله ما سنٌّ عالية،

ولا لسان فصيح، ولا معرفة بكلام العرب! هو للكافر. ثم حكاهما للحسين بن عبد الله، بن عبيد الله، بن عباس، فقال: أخالفهما جميعاً، هو للبر، والفاجر. روي: أنه لما ثقل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ جاءت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فتمثلت بقول حاتم الطائي: [الطويل]

لَعَمرُكَ ما يُغني الثراءُ عنِ الفتى إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً، وضَاقَ بها الصَّدْرُ

فكشف عن وجهه، وقال ـ رضي الله عنه ـ: ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ...﴾ إلخ. وروي أنه لما حضرت الوفاة سيدَ الخلق، وحبيبَ الحق ﷺ، كان عنده قدح ماء، فجعل يدخل يده فيه، ويمسح وجهه، ويقول: «**لا إله إلَّا الله، إنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكرات! اللهم هوِّنْ عليَّ سكراتِ الموت!**». وفاطمة ـ رضي الله عنها ـ تقول: (وَاكَرْبَاهْ لِكَرْبِكَ يا أبتاهْ) فيقول: «**لا كربَ على أبيكِ بعد الموت**». وقال شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ: الموتُ أفظعُ هولاً في الدنيا والآخرة على المؤمنين، وهو أشدُّ ألماً من نشر المناشير، وقرض المقاريض، وغليان القدور ولو أن الميت بعث، فأخبر أهل الدنيا بألم الموت؛ لما انتفعوا بعيش، ولا التذوا بنوم.

وكان عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ يقول: من لي برجل عاقل يصف لي سكرات الموت؟ فلما حضرته الوفاة قال له ابنه: يا أبتاه! إنك كنت تقول: من لي برجل عاقل يصف لي سكرات الموت؟ وأنت ذلك الرجل، فصف لي الموت، فقال: يا بني! والله كأن السماء قد أطبقت على الأرض، وكأني بينهما، وكأني أتنفس من سَمِّ إبرة، وكأن غصن شوك يجذب من قدمي إلى هامتي! ثم أنشد يقول: [الخفيف]

كُلُّ حيٍّ وإنْ تطاولَ دَهْراً آيِلٌ أَمْرُهُ إلَى أَنْ يَزُولا

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدا لي في رُؤوسِ الجِبالِ أرْعى الوُعُولا

الإعراب: ﴿وَجَآءَتْ﴾: الواو: حرف استئناف. (جاءت): فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿سَكْرَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، و﴿سَكْرَةُ﴾: مضاف، و﴿ٱلْمَوْتِ﴾ مضاف إليه. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، التقدير: ملتبسةً بالحق. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، فيكون المعنى: ذلك الذي كنت منه تبتعد، وتفرّ منه قد حلَّ بك، ونزل بساحتك، أو هي نافية فيكون المعنى ذلك ما كنت تقدر على الهرب، والفرار منه. ﴿كُنتَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿تَحِيدُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: (كان)، وجملة: ﴿كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ صلة: ﴿مَا﴾ على اعتبارها موصولة، وفي محل رفع خبر المبتدأ على اعتبارها نافية، والجملة

الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها، أو معترضة بين الجمل المتعاطفة، أو هي في محل نصب مقول القول، التقدير: أي: ويقال له عند الموت: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ﴾: انظر الآية رقم [٦٨] من (الزمر) وخذ ما يلي: قال رسول الله ﷺ: «**كيفَ أنتم؛ وصاحبُ القرن قد التقم القرنَ، وَحَنَى جبهتَهُ، وانتظر أن يُؤْذَنَ لَهُ؟!**» قالوا: يا رسول الله! كيف نقول؟ قال: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ!**» فقال القومُ: حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ!. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي: وقت ذلك يوم تحقق الوعيد، وإنجازه، وهو تعذيب الكفار، والفاسدين المفسدين.

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي: ملك يسوقه إلى الحشر، وملك يشهد عليه بأعماله. هذا هو الظاهر من الآية الكريمة، وهو اختيار ابن جرير، وغيره؛ لما روي عن يحيى بن رافع؛ قال: سمعت عثمان بن عفَّان ـ رضي الله عنه ـ يخطب، فقرأ هذه الآية، فقال: سائق يسوقها إلى الله تعالى، وشاهد يشهد عليها بما عملت. وكذا قال مجاهد، وقتادة. وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: السائقُ: الملك، والشهيدُ: العملُ. وكذا قال الضحاك، والسُّدِّي. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: السائق من الملائكة، والشهيد الإنسان نفسه. يشهد على نفسه، وبه قال الضحاك أيضاً. هذا؛ والمراد بنفسه: جوارحه؛ التي بين جنبيه. ويؤيده قوله تعالى في سورة (النور) رقم [٢٤]: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وقوله تعالى في سورة (فصلت) رقم [٢٠]: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. انظر شرح هذه الآيات في محالها. هذا؛ والتعبير بالماضي عن المستقبل إنما هو لتحقق الوقوع.

الإعراب: ﴿وَنُفِخَ﴾: الواو: حرف عطف. (نفخ): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿فِي ٱلصُّورِۚ﴾: في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (جاءت...) إلخ لا محلَّ لها مثلها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿يَوْمُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلْوَعِيدِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها، أو معترضة بين الجمل المتعاطفة، وجملة: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ معطوفة على ما قبلها أيضاً، لا محلَّ لها. ﴿مَّعَهَا﴾ ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، و(ها) في محل جر بالإضافة. ﴿سَآئِقٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿وَشَهِيدٌ﴾: الواو: حرف عطف. (شهيد): معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، وأجيز اعتبار الظرف متعلقاً بمحذوف حال من: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، فيكون ﴿سَآئِقٌ﴾ فاعلاً بمتعلق الظرف؛ وقال مكي: والجملة في موضع نصب على الصفة للنفس، أو لكل، فهي في محل رفع، أو في محل جر؛ لأنَّ ﴿كُلُّ﴾ مرفوعة، و﴿نَفْسٍ﴾ مجرورة،

والأصح في محل نصب حال كما قدمت، و﴿كُلُّ﴾ تخصصت بالإضافة لـ: ﴿نَفْسٍ﴾ فصحَّ مجيء الحال منها.

﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢)﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: قال ابن زيد: المراد به النبي ﷺ؛ أي: لقد كنت يا محمد في غفلة من الرسالة في قريش في جاهليتهم. وهذا لا أرتضيه، ولا تؤيده الآيات قبله، وبعده. وقال ابن عباس، والضحاك: إنَّ المراد به المشركون؛ أي: كانوا في غفلة من عواقب أمورهم. وقال أكثر المفسرين: إنَّ المراد به البرُّ، والفاجر. وهو اختيار الطبري. انتهى. قرطبي.

أقول: وهو المعتمد؛ لأنَّ الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة، والدنيا كالمنام، قال الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ: الناس نيام؛ إذا ماتوا؛ انتبهوا. أقول: ويؤيده قوله تعالى في سورة (الروم): ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾. ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ أي: الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا، والمراد: ما كان من أثر الغفلة، فهو استعارة؛ إذ الغطاء الحاجب لأمور المعاد الناتج من الغفلة، والانهماك في المحسوسات، والإلف بها، وقصور النظر عليها. ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: قوي ثابت نافذ، فقد جعلت الغفلة كأنها غطاء غطَّى بها جسده كله، أو غشاوة غطَّى بها عينيه، فهو لا يبصر، فإذا كان يوم القيامة؛ تيقَّظ، وزالت عنه الغفلة، وغطاؤها، فيبصر ما لم يبصره من الحق، ورجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته حديداً لتيقظه. هذا؛ وقرئ بكسر تاء الفاعل، والكافات، وذلك على خطاب النفس، وهو يرجح: أن المراد البر، والفاجر، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كُنتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (كان). ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان لـ: (كان) وهو أقوى من تعليقهما بمحذوف صفة: ﴿غَفْلَةٍ﴾، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين في اللام، والكلام في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: يقال له: لقد، أو والله لقد... إلخ، والكلام كلّه مستأنف، لا محلَّ له. (كشفنا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿عَنكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿غِطَاءَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. (بصرك): مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿الْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما بعده. ﴿حَدِيدٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، وفيها معنى التعليل. هذا؛ وجاز تعليق الظرف بـ: ﴿حَدِيدٌ﴾. وهو جامد؛ لأنه بمعنى قوي ثابت، ومثل هذه الآية قول الشاعر، وهو الشاهد رقم [٧٩٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، والشاهد رقم [٤٩٦] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

وإنَّ لِسَانِي شُهْدَةٌ يُشْتَفَى بِهَا وَهُوَّ عَلَى مَنْ صَبَّهُ اللهُ عَلْقَمُ

فالجار والمجرور: «على مَن» متعلقان بقوله: «علقم» لأنه بمعنى مُرّ، وأيضاً قوله تعالى في سورة (الأنعام) رقم [٣]: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ فالجار والمجرور: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ متعلقان بلفظ الجلالة؛ لأنه بمعنى المعبود، أو المسمَّى بهذا الاسم.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أي: الملك الموكل به في الدنيا لكتابة أعماله، وهو الرقيب السابق ذكره، وتقدَّم: أنه كاتب الحسنات والسيئات، وأن للإنسان رقيبين، وهما العتيدان. فإفراده لتأويله كما مرَّ في الرقيب، وقال الزمخشري: هو الشيطان الذي قيض له في قوله تعالى في سورة (الزخرف) الآية رقم [٣٦]: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ ويشهد له قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾. ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: هذا شيء لديَّ، في ملكتي عتيد لجهنم، والمعنى: أن ملكاً يسوقه، وآخر يشهد عليه، وشيطاناً مقروناً به يقول: قد أعتدته لجهنم وهيئته لها بإغوائي، وإضلالي.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: معاند للحق، والعنيد: المعرض عن الحق، يقال: عَنَد يعند بالكسر عنوداً؛ أي: خالف، ورد الحق، وهو يعرفه، فهو عنيد، وعاند، وجمع العنيد: عُنُد، مثل رغيف، ورُغُف. هذا؛ والعنيد: الطاغي؛ الذي لا يقبل الحق، ولا يذعن له. قال أبو عبيد: العنيد، والعَنود، والعاند، والمعاند: المعارض بالخلاف، وعَنَد، يَعْنُد من الباب الأول، وعنِد، يعنَد من الباب الرابع، وعنُد، يعندُ من الباب الخامس، والمصدر: عَنْداً، وعنوداً، وعَنَداً.

هذا؛ وألقيا خطاب من الله تعالى للملكين السابقين: السائق، والشهيد، ويجوز أن يكون خطاباً للواحد من وجهين: أحدهما قول المبرد: إن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما، كأنه قيل: ألقِ ألقِ للتأكيد. والثاني: أنَّ العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان، فكثر على ألسنتهم أن يقولوا: خليليَّ، ونحوه، ويجوز أن تكون الألف في ﴿أَلْقِيَا﴾ بدلاً من النون إجراء للوصل مجرى الوقف، ويؤيده قراءة الحسن البصري، وهي ليست سبعية: (أَلْقِيَنْ) ومن هذا الباب قول امرئ القيس في أول معلقته رقم [١]: [الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

ومن خطاب الاثنين، والمراد الواحد قول سويد بن كراع العكلي: [الطويل]

فإنْ تَزْجراني يا بْنَ عفَّانَ أنْزَجِرْ وإنْ تَدعاني أحْمِ عِرضاً مُمَنَّعا

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه في ماله، وقد يراد به الصد عن الدخول في الإسلام، وكثيراً ما ذكر الله تعالى عنهم ذلك بقوله: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

﴿مُّعْتَدٍ﴾: متجاوز حدّه في منطقه، وسيرته، ظالم لا يقر بتوحيد. ﴿مُّرِيبٍ﴾: واقع في شك من أمر التوحيد، والإسلام.

الإعراب: ﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): ماض. ﴿قَرِينُهُۥ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محلَّ له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مَا﴾: خبر المبتدأ. ﴿لَدَيَّ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿عَتِيدٌ﴾ بعده، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياء لاتصاله بياء المتكلم؛ التي هي ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿عَتِيدٌ﴾: صفة: ﴿مَا﴾، التقدير: هذا شيء حاضر عندي، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿لَدَيَّ﴾ متعلقاً بمحذوف صفة: ﴿مَا﴾، واعتبار ﴿عَتِيدٌ﴾ صفة ثانية لما، أو خبر لمبتدأ؛ أي: هو عتيد، وعليه فالجملة الاسمية صفة ثانية لِـ: ﴿مَا﴾، أو هي حال منها بعد وصفها بالظرف، والعامل في الحال اسم الإشارة. ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ موصولة بمعنى «الذي» مبتدأ، و﴿لَدَيَّ﴾ صلتها، و﴿عَتِيدٌ﴾ خبر الموصول، والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة. ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ بدلاً من ﴿هَٰذَا﴾ موصولة كانت، أو موصوفة بـ: ﴿لَدَيَّ﴾ و﴿عَتِيدٌ﴾: خبر ﴿هَٰذَا﴾، وجوّز الزمخشري في: ﴿عَتِيدٌ﴾ أن يكون بدلاً، أو خبراً بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف. انتهى. جمل نقلاً من السمين. وعن مكي، وأبي البقاء ما يقرب من هذا؛ وجملة: (قال...) إلخ معطوفة على جملة: (جاءت...) إلخ لا محلَّ لها مثلها.

﴿أَلْقِيَا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، وألف الاثنين فاعله، أو هو مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفاً في الوقف، كما رأيت في الشرح، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿فِى جَهَنَّمَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿كَفَّارٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَنِيدٍ﴾: صفة أولى لـ: ﴿كَفَّارٍ﴾. ﴿مَّنَّاعٍ﴾: صفة ثانية. ﴿لِّلْخَيْرِ﴾: متعلقان بـ: ﴿مَّنَّاعٍ﴾. ﴿مُّعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾: صفتان لـ: ﴿كَفَّارٍ﴾ وفيه، وفي جميع صفاته ضمير مستتر هو فاعل بهنَّ، وجملة: ﴿أَلْقِيَا...﴾ إلخ، في محل نصب مقول القول.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: أشرك بالله، فعبد معه غيره. ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾: قل فيه: ما قلته بسابقه. ﴿فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾: فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ

قال: «**يَخْرُجُ عنقٌ مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ: يقولُ: وُكِّلْتُ الْيَوْمَ بثلاثة: بِكلِّ جَبَّارٍ عنيدٍ، وَمَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْساً بغيرِ حَقٍّ، فَيَنْطوِي عَلَيْهِمْ، فيَقْذِفُهُمْ في حَمْراء جَهَنَّمَ**». رواه الإمام أحمد في مسنده.

الإعراب: ﴿الَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الذم بفعل محذوف، أو على البدل من: ﴿كُلَّ﴾. أو في محل جر بدلاً من: ﴿كَفَّارٍ﴾. أو في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ في محل رفع خبره، ودخلت الفاء في الخبر؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم. ﴿جَعَلَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿الَّذِى﴾، وهو العائد. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال من: ﴿إِلَهًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، و﴿مَعَ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَهًا﴾: مفعول به. ﴿ءَاخَرَ﴾: صفة له، وجملة: ﴿جَعَلَ...﴾ إلخ، صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾: الفاء: هي الفصيحة على الاعتبارات الأولى في الموصول، وزائدة على اعتبار الموصول مبتدأ. (ألقياه): إعرابه مثل سابقه، والهاء مفعول به. ﴿فِى الْعَذَابِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿الشَّدِيدِ﴾: صفة: ﴿الْعَذَابِ﴾، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على اعتبار الفاء الفصيحة، وفي محل رفع خبر الموصول على اعتباره مبتدأ.

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ يعني: الشيطان الذي قيض لهذا الكافر. ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أي: ما أوقعته في الطغيان، ولكنه طغى، واختار الضلالة على الهدى. وقيل: هذا جواب لكلام مقدر، وهو: أن الكافر حين يلقى في النار يقول: ربي أطغاني شيطاني، فيقول الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾، وما أضللته، وما أغويته! وقرينه هنا هو شيطانه بغير اختلاف، حكاه المهدوي. وحكى الثعلبي: قال ابن عباس، ومقاتل: قرينه: الملك، وذلك أنَّ الوليد بن المغيرة ـ الذي قيل: إنَّ الآيات نزلت فيه ـ يقول للملك الذي كان يكتب سيئاته: رب إنه أعجلني، فيقول الملك: ربنا ما أطغيته ـ أي: ما أعجلته. وقال سعيد بن جبير: يقول الكافر: ربي إنه زاد عليَّ في الكتابة. فيقول الملك: ربنا ما أطغيته؛ أي: ما زدت عليه في الكتابة، والمعتمد الأول. والله ولي التوفيق، ويوضحه الآية رقم [٢٢] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿وَلَكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: عن الرشد، والحق، والصواب. والضلال مصدر «ضل» الثلاثي، والإضلال مصدر الرباعي، فهو مستعار مِنْ ضلال مَنْ أبعد في التيه ضلالاً. أو هو مجاز عقلي، على حد جدَّ جدُّه؛ لأن البعيد في الحقيقة إنما هو الضال؛ لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق، فوصف به قوله. هذا؛ وإنما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الأولى؛ لأنَّ

الأولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها، ومعنى ما قبلها في الحصول، أعني: مجيء كل نفس مع الملكين، وقول قرينه ما قاله له، وأمَّا هذه؛ فهي مستأنفة كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول، كما في مقاولة موسى، وفرعون في سورة (طه) وفي سورة (الشعراء)، فكأنَّ الكافر قال: رب هو أطغاني، فقال قرينه: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ...﴾ إلخ، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾: ماض، وفاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء. و(نا) في محل جر بالإضافة؛ من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَطْغَيْتُهُۥ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه تقديره: «هو» يعود إلى قرينه الأول. ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَ﴾. ﴿بَعِيدٍ﴾: صفة: ﴿ضَلَٰلٍ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: الله. ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ﴾ أي: لا تعتذروا عندي بغير عذر، ولا تختصموا مع بعضكم في دار الجزاء، وموقف الحساب، فلا فائدة في اختصامكم، ولا طائل تحته. ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾: وعدتكم بعذابي، وأنذرتكم عقابي في كتبي، وعلى ألسنة رسلي، فما تركت لكم حجة تحتجُّون بها.

وقال الجمل: يرد عليه: أن قوله: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ﴾ واقع موقع الحال من: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ﴾ والتقديم بالوعيد في الدنيا، والخصومة في الآخرة، واجتماعهما في زمان واحد واجب. وإيضاح الجواب: أنَّ معناه: لا تختصموا؛ وقد صحَّ عندكم: أني قدمت إليكم بالوعيد. وصحة ذلك عندهم في الدار الآخرة.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَخْتَصِمُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَدَىَّ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياء لاتصاله بياء المتكلم والتي هي في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿قَدَّمْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْكُم﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: الباء صلة، و(الوعيد) مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل: ﴿قَالَ﴾ المستتر، والرابط:

الواو، والضمير. هذا؛ وأجيز أن يكون ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ حالاً من الفاعل، أو من المفعول، والمعنى: قدمت إليكم موعداً لكم به، أو قدمت إليكم هذا ملتبساً بالوعيد، مقترناً به.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾: قيل: هو قوله تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١٦٠]: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وقيل: هو قوله في سورة (السجدة) رقم [١٣]: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. وقال الفراء: ما يكذب عندي؛ أي: ما يزاد في القول، ولا ينقص لعلمي بالغيب، وأعلم كيف ضلوا. وهذا القول هو الأولى، يدل عليه: أنه قال: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ ولم يقل: ما يبدل قولي.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: ما أنا بمعذِّب من لم يُجرم. وقيل: فأزيد إساءة المسيء، أو أنقص من إحسان المحسن. وليس المراد بـ: (ظلَّام) المبالغة حتى تنتفي المبالغة، ويبقى أصل الظلم. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما المراد نفي نسبة الظلم إليه تعالى؛ إذ المراد ليس يظلم. ومثل الآية في ذلك قول امرئ القيس، وهو الشاهد رقم [١٧٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

وَلَيْسَ بِذِي رُمْحٍ فَيَطْعُنُنِي بِهِ ... وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ وَلَيْسَ بِنَبَّالِ

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يُبَدَّلُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿ٱلْقَوْلُ﴾: نائب فاعل. ﴿لَدَىَّ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، وهو مثل ما قبله في إعرابه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم (ما). ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (ظلام): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد،وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنا»، ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾: متعلقان بـ: (ظلام)، والجملة الاسمية: ﴿وَمَآ أَنَا۠...﴾ إلخ في محل نصب حال من ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ وهذا استفهام على سبيل التصديق لخبره، والتحقيق لوعده، والتقريع لأعدائه، والتنبيه لجميع عباده. وفي هذا رد على مَنْ قال كالزمخشري: سؤال جهنم، وجوابها من باب التخييل، الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب، وتبيينه، وجعله هذا من باب المجاز مردود، لما ورد: تحاجَّتِ الجنةُ، والنارُ، واشتكت النار إلى ربها، ولا مانع من

ذلك، فقد سبح الحصى، وسلَّم الحجر على النبي ﷺ، ولو فتح باب المجاز فيه لاتسع الخرق بخلاف الآيات الواردة في الصفات، وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه. انتهى. جمل نقلاً من كرخي.

﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي: ما بقي فيَّ موضع للزيادة، كقوله ﷺ: **«هَلْ تركَ لنا عقيلٌ مِنْ ربعٍ، أو منزلٍ؟»** أي: ما ترك. فمعنى الكلام الجحد، ويحتمل أن يكون الكلام استفهاماً بمعنى الاستزادة؛ أي: هل من مزيد، فأزداد؟ وقيل: ليس ثَمَّ قولٌ، وإنما هو على طريق المثل؛ أي: إنها فيما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة بذلك، كما قال الشاعر: [الرجز]

امتَلأَ الحوضُ وقال قَطْنِي ... مَهْلاً رويداً قد ملأْتَ بطْنِي

وهذا تفسير مجاهد وغيره. وقيل: يُنطق الله النار حتى تقول هذا كما تنطق الجوارح. وهذا هو الأصح فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«لا تَزَالُ جهنم يُلْقى فيها. وتقولُ: هَلْ من مزيدٍ حتَّى يضعَ ربُّ العزة فيها قدمَهُ؟ فينزوي بعضُها على بَعْضٍ، وتقولُ: قَطْ، قطْ، بعزتِك، وكرمِكَ! ولا يزالُ في الجنةِ فضلٌ؛ حتى يُنْشِئَ الله لها خَلْقاً، فيسْكِنَهُمْ فضلَ الجنَّةِ»**. متفق عليه، وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: **«وأمَّا النارُ فَلا تمتلئُ حتَّى يضعَ الله عليها رجْلَهُ، يقولُ لهَا: قطْ، قطْ! فهنالكَ تمتلئ، وينزوي بعضُها إلى بعْضٍ، فلا يظلمُ الله مِنْ خَلْقِهِ أحداً، وأمَّا الجنةُ فإنَّ الله يُنْشِئُ لَهَا خَلْقاً»**. قال علماؤنا ـ رحمهم الله تعالى ـ: أما معنى القدم هنا، فهم قوم يُقدِّمهم الله إلى النار، وقد سبق في علمه: أنهم من أهل النار، وكذلك الرِّجل، وهو العدد الكثير من الناس، وغيرهم، يقال: رأيت رِجْلاً من الناس، ورِجْلاً من جراد، قال الشاعر: [الطويل]

فمرَّ بنا رِجْلٌ مِنَ الناسِ وانزوى ... إليْهِم مِنَ الحيِّ اليمانينَ أَرْجُلُ
قبَائِلُ مِنْ لَخْمٍ وعُكلٍ وحِمْيرٍ ... على ابْني نزارٍ بالعداوةِ أحْفَلُ

«ينزوي بعضها إلى بعض» أي: تنقبض على من فيها، وتشتغل بعذابهم، وتكف عن سؤال: هل من مزيد؟ انتهى. قرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: (ظلَّام)، أو متعلق بمحذوف، تقديره: اذكر. ﴿نَقُولُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «نحن». ﴿لِجَهَنَّمَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿هَلِ﴾: حرف استفهام. ﴿ٱمْتَلَأْتِ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَتَقُولُ﴾: الواو: حرف عطف. (تقول): مضارع، والفاعل يعود إلى (جهنم). ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿مَّزِيدٍ﴾: مبتدأ، وخبره مرفوع، تقديره: هل من مزيد فِيَّ، أو هو فاعل لفعل محذوف، التقدير: أو هل بقي

مزيدٌ؟ فهو مرفوع على الاعتبارين وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة على الاعتبارين في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَتَقُولُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَأُزْلِفَتِ...﴾ إلخ: أي قربت منهم، قيل: هذا قبل الدخول في الدنيا؛ أي: قربت من قلوبهم حين قيل لهم: اجتنبوا المعاصي. وقيل: بعد الدخول قربت لهم مواضعهم فيها، فلا تبعد. انتهى. قرطبي. وقال الحسن البصري: إنهم يقربون منها، لا أنها تزول عن مواضعها. انتهى. أقول: فيكون هذا من باب القلب. انظر سورة (الأحقاف) رقم [٢٠]. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الذين اتقوا الشرك. ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: يعني: أنها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل أن يدخلوها. انتهى. خازن. وفائدة قوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ بعد قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾ التأكيد، كقولهم: هو قريب غير بعيد، وعزيز غير ذليل. ولم يقل: غير بعيدة لكونه وصفاً للجنة، وإيضاحه: أنه صفة لمذكر محذوف، أو لأن فعيلاً يستوي فيه المذكر، والمؤنث، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأُزْلِفَتِ﴾: الواو: حرف عطف. (أزلفت): ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً، والتعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿غَيْرَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله؛ أي: مكاناً غير بعيد، أو هو منصوب على الحال من الجنة. قاله الزمخشري، و﴿غَيْرَ﴾ مضاف، و﴿بَعِيدٍ﴾ مضاف إليه.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ
﴾

الشرح: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ أي: يقال لهم: هذا الجزاء الذي وعدتم به على ألسنة الرسل في الدنيا. ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ أي: رجاع عن المعصية إلى الله. قال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ: هو الذي يذنب، ثم يتوب، ثم يذنب، ثم يتوب. وقال عبيد بن عمير: هو الذي لا يجلس مجلساً؛ حتى يستغفر الله تعالى فيه. وعنه قال: كنا نحدث: أنَّ الأواب الحفيظ الذي إذا قام من مجلسه، قال: سبحان الله، وبحمده، اللهم إني أستغفرك مما أصبت في مجلسي هذا. أقول: وهذا صريح قول النبي ﷺ: «**مَنْ جلسَ مجلساً كثر فيه لَغَطُهُ، فقال قبل أن يقومَ مِنْ مجلسِهِ ذلكَ: سبحانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدك، أشهدُ أن لا إلهَ إلَّا أنتَ أستغفرُكَ، وأتوبُ إِلَيْكَ؛ إلا غُفِرَ له ما كانَ في مجلسِهِ ذَلِكَ**». رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿مَنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: خاف الرحمن، وأطاعه؛ ولم يره. وقيل: خافه في الخلوة بحيث لا يراه أحد؛ إذا ألقى الستر، وأغلق الباب. و﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: مخلص لله، مقبل على طاعته، وعبادته. وقال أبو بكر الوراق: علامة المنيب أن يكون عارفاً لحرمته، موالياً له، متواضعاً لجلاله، تاركاً لهوى نفسه.

الإعراب: ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه، لا محلَّ له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿تُوعَدُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . .إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: هذا الذي، أو شيء توعدونه. ﴿لِكُلِّ﴾: بدل من قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ بإعادة الجار، كقوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٧٥]: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ وعليه فالجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ معترضة بين البدل، والمبدل منه، لا محلَّ لها، و(كل) مضاف، و﴿أَوَّابٍ﴾ مضاف إليه، وهو صفة لموصوف محذوف، التقدير: لكل عبد أواب. ﴿حَفِيظٍ﴾: صفة ثانية للمحذوف. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بدل من (كل)، أو هو في محل رفع مبتدأ، والخبر جملة: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ على اعتباره اسم شرط جازم، فيكون الجواب محذوفاً، التقدير: فيقال لهم: ادخلوها، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم من، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني من، وأجاز الزمخشري أن يكون منادىً، كقولهم: يا من لا يزال محسناً أحسن إليَّ، وحذف حرف النداء للتقريب. ﴿خَشِيَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَنْ﴾، وهو في محل جزم فعل الشرط على اعتباره شرطاً، والجملة الفعلية صلة ﴿مَنْ﴾ على اعتبارها موصولة. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ أي: خشيه؛ وهو غائب لم يشاهده. ﴿وَجَآءَ﴾: الواو: حرف عطف. (جاء): ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَنْ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿بِقَلْبٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مُّنِيبٍ﴾: صفة (قلب).

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: يقال لأهل الصفات المتقدمة: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾: بسلامة من العذاب، والهموم، والأحزان. وقيل: بسلام من الله، وملائكته عليهم. وقيل: بسلامة من زوال النعم. هذا؛ ولا تنس: أنه أفرد الضمير في الآية السابقة مراعاةً للفظها، وجمعه هنا مراعاةً لمعناها. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ أي: يخلدون في الجنة، فلا يموتون، ولا يظعنون أبداً، ولا يبغون عنها حولاً.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ أي: أي شيء اختاروا؛ واشتهوا؛ وجدوا. قال تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٧١]: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ انظر شرحها هناك، ففيه الكفاية. ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: هو كقوله تعالى في سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ رقم [٢٦] انظر شرحها هناك، ففيها الكفاية؛ حيث تجد: أن المزيد هو النظر إلى وجهه الكريم. قيل: يتجلى الرب تبارك وتعالى لأهل الجنة في كل جمعة في دار كرامته، فهذا هو المزيد على نعيم الجنة، وعلى ما يشاؤون، ويشتهون، ولكن ينبغي أن تعلم: أنَّ هذه الرؤية بلا كيف. والمعتزلة ينكرون هذه الرؤية في الآخرة، كما ستقف عليه إن شاء الله في سورة (القيامة) و(المطففين).

الإعراب: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٠] من سورة (الزخرف). ﴿بِسَلَٰمٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، انظر الشرح. ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿يَوْمُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلْخُلُودِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها، وانظر تفصيل إعرابها في الآية رقم [٣]. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: الذي، أو شيء يشاؤونه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مَّا﴾، أو من العائد إليها، والأول أقوى. ﴿وَلَدَيْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (لدينا): ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المنقلبة ياءً لاتصاله بنا؛ التي هي في محل جر بالإضافة. ﴿مَزِيدٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾

الشرح: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ أي: قبل كفار قريش، ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ أي: من القرون الذين كذبوا رسلهم، كعاد، وفرعون، وثمود... إلخ. ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم﴾: من قومك يا محمد. ﴿بَطْشًا﴾: قوةً، وسطوةً. والبطش: الأخذ بصولة، وعنف. وانظر الآية رقم [١٦] من سورة (الدخان). ﴿فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي: ساروا فيها، وتقلّبوا، وسلكوا كل طريق. والتنقيب: التنقير عن الشيء، والبحث، والطلب، ومنه قول امرئ القيس: [الوافر]

وَقَــدْ نَــقَّـبْــتُ فــي الآفــاقِ حَــتَّــى رَضِـيــتُ مِــنَ الـغَـنـيـمَـةِ بـالإِيَـابِ

وقرئ الفعل بالتخفيف، وقرئ بصيغة الأمر على التهديد، والوعيد، والمعنى: طوفوا البلاد، وسيروا فيها؛ فانظروا: ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: مهرب، ومفرٌّ من الموت. وقرئ: (فَنَقِبُوا) بكسر القاف مع التخفيف. أي: أكثروا السير في البلاد حتى نقبت أقدامهم، أو أخفاف دوابهم، قال أعرابي: وهو الشاهد رقم [٥١٢] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الرجز]

أَقْــسَــمَ بــاللهِ أَبُــو حَــفْــصٍ عُــمَــرْ مــا مَــسَّــهَــا مِــنْ نَــقَــبٍ ولا دَبَــرْ

الإعراب: ﴿وَكَمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (كم): خبرية بمعنى: كثير مبنية على السكون في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿قَبْلَهُم﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. وقيل: متعلق بمحذوف، ولا وجه له. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَرْنٍ﴾: تمييز منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿هُمْ أَشَدُّ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب صفة: ﴿قَرْنٍ﴾. ﴿مِنْهُم﴾: متعلقان بـ: ﴿أَشَدُّ﴾. ﴿بَطْشًا﴾: تمييز. ﴿فَنَقَّبُوا۟﴾: الفاء: حرف عطف. (نقبوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. وقال أبو البقاء: عطف على المعنى؛ أي: بطشوا، فنقبوا. ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿مَّحِيصٍ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والخبر محذوف، التقدير: هل محيص لهم، أو لغيرهم؟! والجملة الاسمية إما على إضمار قول هو حال من واو: (نقبوا)؛ أي: فنقبوا في البلاد قائلين: هل من محيص، أو على إجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع، والتفتيش مجرى القول. أو هو كلام مستأنف وارد لنفي أن يكون لهم محيص. انتهى. جمل، نقلاً من أبي السعود.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما ذكرناه في هذه السورة. ﴿لَذِكْرَىٰ﴾: لموعظة، وعبرة، وتذكرة. ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي: عقل يتدبر به، فكنى بالقلب عن العقل؛ لأنه موضعه. وقيل: له قلب حاضر مع الله، واع عن الله. ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أي: أصغى إلى المواعظ، وانتفع بها. أو استمع القرآن، واتعظ بما فيه. و أو ليست لأحد الشيئين هنا، فهي مانعة خلو، لا مانعة جمع، فإن إلقاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب، كما يلوح به قوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿لَذِكْرَىٰ﴾: اللام: لام

الابتداء. (ذكرى): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدّرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية مستأنفة، أو ابتدائية لا محلَّ لها. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (ذكرى). ﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿قَلْبٌ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر، وأجيز اعتبار ﴿كَانَ﴾ تامة، وعليه فـ: ﴿قَلْبٌ﴾ فاعلها، والجار والمجرور متعلقان بها، والجملة الفعلية صلة (مَنْ)، أو صفتها على اعتبارها موصوفة، وأجيز اعتبار: ﴿كَانَ﴾ زائدة وعليه، فالجار، والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و﴿قَلْبٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صلة: (مَنْ)، واعتبر ابن هشام زيادتها ضعيفاً. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿أَلْقَى﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (مَنْ). ﴿ٱلسَّمْعَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وهو مما يؤكد ضعف القول بزيادة: ﴿كَانَ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ في محل نصب حال من فاعل: ﴿أَلْقَى﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾

الشرح: قال المفسرون: نزلت الآية في اليهود؛ حيث قالوا: خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، أولها الأحد، وآخرها الجمعة، ثم استراح يوم السبت، واستلقى على العرش، فلذلك تركوا العمل فيه، فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليهم، وتكذيباً لهم في قولهم: استراح يوم السبت، بقوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ أي: إعياء، وتعب. وانظر ما أذكره في سورة (الحديد) رقم [٤] إن شاء الله تعالى. وانظر شرح ﴿بَيْنَهُمَا﴾ في سورة (الدخان) رقم [٧] هذا؛ و(اللغوب) بضم اللام وفتحها، ومثله لغب بفتح اللام مع فتح الغين وسكونها بمعنى واحد، وفعله يأتي من باب قتل كذا في «المصباح». وفي «القاموس»: أنه من باب: منع، وكرم، ومن باب: تعب لغة ضعيفة.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾: انظر الآية رقم [٤٦] من سورة (الزخرف). ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على ما قبله. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿فِى سِتَّةِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿خَلَقْنَا﴾، و﴿سِتَّةِ﴾ مضاف، و﴿أَيَّامٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال، أو واو الاستئناف. (ما): نافية. ﴿مَسَّنَا﴾: فعل ماض، و(نا): مفعول به. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿لُّغُوبٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها

اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: (نا)، والرابط: الواو، والضمير. وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محلَّ لها، والكلام: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا...﴾ إلخ، مستأنف، لا محلَّ له.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَاصْبِرْ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: ما يقوله اليهود، كما رأيت في الآية السابقة، وأيضاً ما ينكره كفار قريش من إعادة الأجسام بعد فنائها. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: انظر ما ذكرته في الآية رقم [٩] من سورة (الفتح). ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح. ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ صلاة العصر. ورواه جرير بن عبد الله مرفوعاً، قال: كنَّا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**إنكم سَتَرَوْنَ ربَّكم كما تَرَونَ هذا القمر، لا تُضامُونَ في رؤيتِهِ، فإن استطعتم ألَّا تُغْلَبُوا على صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ، وقبلَ غروبِهَا**» يعني: العصر، والفجر، ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ...﴾ إلخ، متفق عليه، واللفظ لمسلم. وقال ابنُ عباس ـ رضي الله عنهما ـ: (قبل الغروب): الظهر، والعصر. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يعني: صلاة العشاءين. وقيل: المراد: تسبيحه بالقول تنزيهاً قبل طلوع الشمس، وقبل الغروب. قاله عطاء الخراساني، وأبو الأحوص. وقال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: ركعتي الفجر، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ الركعتين قبل المغرب. وقال ثمامة بن عبد الله بن أنس: كان ذوو الألباب من أصحاب محمد ﷺ يُصلّون الركعتين قبل المغرب، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، قال: كنّا بالمدينة، فإذا أذّن المؤذن لصلاة المغرب؛ ابتدروا السواريَ، فركعوا ركعتين، حتى إن الرجل الغريب ليدخل المسجد، فيحسب: أن الصلاة قد صليت من كثرة من يصليهما. وقال قتادة: ما أدركت أحداً يصلي الركعتين إلَّا أنساً، وأبا برزة الأسلمي. انتهى. قرطبي. أقول: وهاتان الركعتان سنة عند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وأنا أواظب عليهما من يوم طلبت العلم، والحمد لله!.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: يعني صلاة المغرب، والعشاء. وقيل: صلاة الليل؛ أيَّ وقت صلى. ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ وفي آخر سورة (الطور): ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾. قال عمر، وعلي ـ رضي الله عنهما ـ: (أدبار السجود) الركعتان بعد المغرب، و(أدبار النجوم) الركعتان قبل صلاة الفجر، وهي رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**ركعتَا الفجرِ خيرٌ من الدنيا وما فيها**». رواه مسلم، وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: ما أحصي ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب، والركعتين قبل صلاة الفجر بـ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. أخرجه الترمذي. وأخرج البخاري عن

ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: أُمِرَ رسول الله ﷺ أن يسبِّحَ في أدبارِ الصلوات كلها. وأخرج مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَبَّحَ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وحَمِدَ الله ثلاثاً وثلاثين، وكبَّرَ الله ثلاثاً وثلاثين، فتِلْكَ تسعةٌ وتسعون، ثم قال تمام المئة: لا إلهَ إلا الله وحدهُ لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيء قديرٌ، غفرتْ خطاياه، وإن كانتْ مثلَ زبدِ البحرِ**». وبالإضافة لما ذكرته في سورة (الفتح) رقم [٩] بشأن مادة التسبيح أذكر هنا: أنَّ في هذه الآية الكريمة دليلاً على عدم ما قاله بعض أهل المعاني والبيان: أن الجمع بين الحاء والهاء في كلمة واحدة، يخرجها عن فصاحتها، وجعلوا من ذلك قول أبي تمام: [الطويل]

كَـريـمٌ مَـتَـى أمْـدَحْـهُ أَمْـدَحْـهُ وَالـوَرَى مَـعـي وإذا مَـا لُـمْـتُـهُ لُـمْـتُـهُ وَحْـدِي

ويمكن أن يفرق بين البيت وبين الآية الكريمة بأنَّ التكرار في البيت هو المخرج له عن الفصاحة بخلاف الآية، فإنه لا تكرار فيها. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

الإعراب: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً، وحاصلاً من قول اليهود، والمشركين؛ ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾. (اصبر): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَىٰ مَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين في الفاء، وجملة: ﴿يَقُولُونَ﴾: صلة الموصول، لا محلَّ لها، والعائد محذوف، التقدير: على الذي يقولونه. ﴿وَسَبِّحۡ﴾: الواو: حرف عطف. (سبح): فعل أمر، وفاعله تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿بِحَمۡدِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل: (سبح) المستتر، و(حَمْدِ) مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿قَبۡلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: (سبح)، و﴿قَبۡلَ﴾ مضاف، و﴿طُلُوعِ﴾ مضاف إليه، و﴿طُلُوعِ﴾ مضاف، و﴿ٱلشَّمۡسِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿وَمِنَ﴾: الواو: حرف عطف. (من الليل): متعلقان بما بعدهما. ﴿فَسَبِّحۡهُ﴾: الفاء: صلة لتحسين اللفظ إلا إذا قدرت فعلاً محذوفاً قبل: (من الليل) فتكون حرف عطف، والفعلان: المحذوف، والمذكور معطوفان على: (سبح) السابق. (سبحه): أمر، وفاعله: أنت، والهاء مفعول به. (أدبار): معطوف على محل: ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ فهو منصوب بنزع الخافض، و(أدبار) مضاف، و﴿ٱلسُّجُودِ﴾ مضاف إليه.

﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾ أي: استمع يا محمد! أو التقدير: استمع يا مخاطب حديث يوم ينادي المنادي، وهو إسرافيل عليه السلام، يقف على صخرة بيت المقدس، فينادي

بالحشر، فيقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء! ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: وهو صخرة بيت المقدس، قيل: إنها أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. وقيل: هي في وسط الأرض. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾: الواو: حرف عطف. (استمع): فعل أمر، وفاعله: أنت، والمفعول محذوف، انظر الشرح. و﴿يَوْمَ﴾ متعلق بما قبله. وقيل: تقدير الكلام استمع ما أقول لك، فعلى هذا يكون ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ متعلقاً بـ: «يخرجون» مقدراً مدلولاً عليه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ وقيل: معنى (استمع): انتظر، وعليه فـ: ﴿يَوْمَ﴾ مفعول به له. ﴿يُنَادِ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء. ﴿ٱلْمُنَادِ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿مِن مَّكَانٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَرِيبٍ﴾: صفة: ﴿مَّكَانٍ﴾.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: صيحة البعث، وهي الصيحة الثانية، وأما الصيحة الأولى فهي لإماتة الخلق، كما قال تعالى في سورة (الزمر) رقم [٦٨]: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ أي: من القبور. ولا تنسَ: أنَّ الواو عائدة إلى غير مذكور.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: بدل من: ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾. ﴿يَسْمَعُونَ﴾: مضارع، والواو فاعله. ﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، أو من: ﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾، التقدير: ملتبسين بالحق، أو ملتبسة بالحق. ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿يَوْمُ﴾: خبر المبتدأ، و﴿يَوْمُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْخُرُوجِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ﴾ أي: الخلق في الدنيا بالتوالد، والتناسل. ﴿وَنُمِيتُ﴾: الخلق عند انقضاء الآجال، فهو كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾. ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: مصير الخلائق، فنجازي كلاً بعمله، إن خيراً؛ فخيرٌ، وإن شرّاً؛ فشرٌّ. وقيل: هو على التقديم، والتأخير، تقديره: نميت في الدنيا، ونحيي للحساب، والجزاء. ولا تنسَ الطباق بين ﴿نُحْىِۦ﴾ و(نميت) وحذف المفعول في الفعلين للاختصار.

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿نَحْنُ﴾: مبتدأ. ﴿نُحْيِۦ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ). هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير فصلاً، أو توكيداً لاسم (إنَّ) على المحل، فتكون الجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إنَّ). ﴿وَنُمِيتُ﴾: معطوف على ما قبله، وفاعله مستتر أيضاً. ﴿وَإِلَيۡنَا﴾: الواو: حرف عطف. (إلينا): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ له مثلها.

﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ٤٤﴾

الشرح: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ﴾: أصله: تتشقق الأرض، فحذفت إحدى التاءين. ﴿عَنۡهُمۡ﴾: عن الناس جميعاً، والضمير عائد إلى غير مذكور. ﴿سِرَاعٗاۚ﴾: مسرعين إلى المنادي، وهو صاحب الصور المذكور فيما سبق، وذلك: أن الله تعالى ينزل مطراً من السماء بعد النفخة الأولى، ينبت به أجساد الخلائق في قبورها، كما ينبت الحب في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام، فينفخُ في الصور النفخة الثانية، فإذا نفخ فيه؛ خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله عزَّ وجل: وعزّتي وجلالي لترجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره! فترجع كل روح إلى جسدها، فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ، وتنشق الأرض عنهم، فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى الله عزَّ وجل، كما قال تعالى في سورة القمر: ﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾.

﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ أي: هيِّن سهل، كما قال تعالى في سورة (القمر) الآية رقم [٥٠]: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ وقال جلَّ ذكره: «**أنا أوّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرضُ**». هذا؛ ومثل الآية في معناها ومغزاها قوله جلَّ ذكره في سورة (المعارج) رقم [٤٣]: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾.

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُحْشَرُ النّاسُ حفاةً عراةً غُرْلاً**». قالت عائشةُ، فقلتُ: الرجالُ والنساءُ جميعاً ينظرُ بعضُهُمْ إلى بعضٍ؟! قال: «**الأمرُ أشدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَلِكَ**». وفي رواية: «**مِنْ أَنْ ينظرَ بعضُهُمْ إلى بعضٍ**». رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما. وتقديم الجار والمجرور يدلُّ على الاختصاص؛ أي: لا يتيسر مثل ذلك الأمر العظيم؛ إلا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن.

الإعراب: ﴿يَوۡمَ﴾: بدل من: ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ﴾، وما بينهما اعتراض، وأجيز تعليقه بـ: ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾ وقيل: متعلق بـ: ﴿ٱلۡخُرُوجِ﴾. وقيل: متعلق بـ: «يخرجون» محذوفاً مقدراً، وجملة: ﴿تَشَقَّقُ

﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾ في محل جر بإضافة: ﴿يَوۡمَ﴾ إليها. ﴿عَنۡهُمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سِرَاعٗاۚ﴾: حال من الضمير المجرور في: ﴿عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: مسرعين. وقيل: حال من «يخرجون» المقدر على اعتبار الظرف متعلقاً به. ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿حَشۡرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿عَلَيۡنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿يَسِيرٞ﴾: صفة: ﴿حَشۡرٌ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾

الشرح: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ﴾ أي: يقول كفار قومك من تكذيبك، وشتمك، فهو كقوله تعالى في سورة (الحجر) رقم [٩٧]: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ وفيه تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديد لهم. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾: تجبرهم على الإيمان، فهو كقوله تعالى في سورة (الغاشية): ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾. وقال مجاهد، والضحاك: المعنى: لا تتجبر عليهم. والأول أولى، وأحق بالاعتبار، فهو صيغة مبالغة من: «جبر» الثلاثي، فإن فعالاً إنما يبنى من الثلاثي، وفي المصباح، وأجبرته على كذا بالألف: حملته عليه قهراً، وغلبته، فهو مجبر. هذه لغة عامة العرب. وفي لغة لبني تميم، وكثير من أهل الحجاز: جبرته جبراً من باب: قتل. حكاها الأزهري، ثم قال: جبرته، وأجبرته: لغتان جيدتان. وقال الخطابي: الجبار: الذي جبر خلقه على ما أراده من أمره، ونهيه. يقال: جبره السلطان، وأجبره بمعنىً. ورأيت في بعض التفاسير عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ أنَّ الثلاثي لغة حكاها الفراء، وغيره، واستشهد لصحتها بما معناه: أنه لا يبنى فعَّال إلَّا مِنْ فعلٍ ثلاثي، نحو: الفتاح، والعلام، ولم يجئ من أفعل بالألف إلا «دراك» فإن حمل (جبَّار) على هذا المعنى؛ فهو وجيه، قال الفراء: وقد سمعت العرب تقول: جبرته على الأمر، وأجبرته؛ وإذا ثبت ذلك؛ فلا يعول على قول مَنْ ضعفها. انتهى. جمل بحروفه.

﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾: فهو كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ (الرعد) [٤٠]، وقوله جلَّ ذكره: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ البقرة [٢٧٢]، وقوله تعالى شأنه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ القصص [٥٦].

الإعراب: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ﴾: مبتدأ وخبر. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعۡلَمُ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: أعلم بالذي، أو بشيء يقولونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول بما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: أعلم بقولهم. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب:

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وهي في محل نصب حال مثلها هنا من الواو، والرابط: الواو، والضمير. ﴿فَذَكِّرْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (ذكِّر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر، التقدير: وإذا كان الأمر كما ذكر؛ فذكّر. ﴿بِٱلْقُرْءَانِ﴾: متعلقان بما قبلهما، ﴿مَن﴾: مفعول به، وجملة: ﴿يَخَافُ﴾ صلته. ﴿وَعِيدِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة لمناسبة رؤوسِ الآي، وقد قرئ بإثباتها. تأمّل، وتدبّر، وربك أعلم، وأجلّ، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

انتهت سورة (قٓ) بحمد الله وتوفيقه شرحاً وإعراباً.




سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة (الذاريات)، وهي مكية، وهي ستون آية، وثلاثمئة وستون كلمةً، وألف ومئتان وتسعة وثلاثون حرفاً. انتهى. خازن.

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾: هي الرياح التي تذرو التراب، وغيره. قال تعالى في سورة (الكهف) رقم [٤٥]: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾. ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾: هي السحب؛ التي تحمل المطر من مكان إلى آخر بأمر الله تعالى، ومعنى ﴿وِقْرًا﴾: ثقلاً، ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾: هي السفن التي تسير على وجه الماء بقدرة الله تعالى. ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾: هم الملائكة؛ لأنهم يقسمون الأمور من الأمطار، والأرزاق، وغيرها حسب أوامر الله تعالى لهم، فجبريل عليه السلام صاحب الوحي إلى الأنبياء الأمين عليه، وصاحب الغلظة على الكافرين، والفاسدين، والمفسدين، وميكائيل عليه السلام صاحب الرزق، والرحمة. وإسرافيل عليه السلام صاحب الصور، واللوح. وعزرائيل عليه السلام صاحب قبض الأرواح. وقيل: هذه الأوصاف الأربعة في الرياح؛ لأنها تنشئ السحاب، وتسيره، ثم تحمله، وتقله، ثم تجري به جرياً سهلاً، ثم تقسم الأمطار بتصريف السحاب. والمعتمد الأول، وهو المروي عن علي، وعمر ـ رضي الله عنهما وأرضاهما ـ.

فقد روي عن سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ قال: جاء صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾؟ فقال: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن الجاريات يسراً؟ قال: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته. رواه الحافظ البزار، وهكذا فسَّرها ابن عباس، وابن عمر، وغير واحد. وقد أغرب البيضاوي حيث جوز تفسير (الذاريات) و(الحاملات) بالنساء، فهذا لم يقل به أحد غيره.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ أي: الذي توعدونه من الخير، والشر، والثواب، والعقاب. ﴿لَصَادِقٌ﴾: لا كذب فيه. ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ أي: الجزاء بعد الحساب لا بُدَّ أن يقع لا محالة. هذا؛ وإنما

أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لشرف ذواتها، ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعه، وقدرته. والمعنى: أقسم بالذاريات، وبهذه الأشياء. ومثل هذا كثير في أوائل السور، وأثنائها. قال الشعبي ـ رحمه الله تعالى ـ: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي أن يقسم إلا بالخالق. وقال أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ: أقسم الله بهذه الأشياء تشريفاً لها، وتنبيهاً على ما يظهر فيها من عجائب صنع الله، وقدرته، وقوام الوجود بإيجادها. وقيل: فيه مضمر، تقديره: ورب الذاريات. . .إلخ. هذا؛ ووقع جواب القسم في سورة (المرسلات) قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ وهو يشبه الجواب هنا.

بقي أن تعرف حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات، كما في هذه الآيات، وفي أوائل (الصافات) وأوائل (المرسلات) و(النازعات) ومنه قول ابن زيابة، وهو الشاهد رقم [٢٩٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [السريع]

يَا لَهْفَ زَيَّابَةَ لِلْحَارِثِ الصَّـ ... ـابِحِ فَالْغَانِمِ فَالآيِبِ

قيل: إما أن تدل على ترتيب معانيها في الوجود، كما في هذا البيت، كأنه قال: الذي صبح، فغنم، فآب. وإما أن تدل على ترتيب موصوفاتها في ذلك، كقول النبي ﷺ: «**رَحِمَ الله المُحَلِّقِينَ، فالمُقَصِّرِينَ**» وإما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه، كقولك: خذ الأفضل، فالأكمل، واعمل الأحسن، فالأجمل. انتهى.

الإعراب: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾: الواو: حرف قسم وجر. (الذاريات): مقسم به مجرور، أو المقسم به محذوف، كما رأيت تقديره في الشرح، والجار والمجرور على الاعتبارين متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، وفاعل (الذاريات) مستتر فيه، ومفعوله محذوف، التقدير: الذاريات التراب ونحوه. ﴿ذَرْوًا﴾: مفعول مطلق، عامله: (الذاريات)، والجملة القسمية ابتدائية، لا محلَّ لها. ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ﴾: معطوف على (الذاريات)، وفاعله مستتر فيه أيضاً. ﴿وِقْرًا﴾: مفعول به له. (الجاريات): معطوف على ما قبله أيضاً، وفاعله مستتر فيه. ﴿يُسْرًا﴾: صفة مفعول مطلق، التقدير: جرياً ذا يسر، أو هو مصدر في موضع الحال؛ أي: ميسرة. ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ﴾: معطوف على ما قبله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به. وقيل: هو حال بمعنى مأمورة، والأول أقوى. ﴿إِنَّمَا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسم (إنَّ). ﴿تُوعَدُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. . . إلخ، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني محذوف، وهو العائد؛ إذ التقدير: إن الذي توعدونه. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) مصدرية؛ فتؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب اسم (إنَّ)، التقدير: إن وعد الله لكم لصادق. ﴿لَصَادِقٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (صادق): خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية جواب القسم، لا محلَّ لها، وجملة: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ معطوفة عليها، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩)﴾

الشرح: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾: لقد فسر ﴿الْحُبُكِ﴾ بعدة تفاسير، وكلُّها ترجع إلى شيء واحد، وهو: الحسن، والبهاء، كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة، شديدة البناء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت، والسيارات، موشحة بالكواكب الزاهرات. هذا؛ وفي المختار: الحباك، والحبيكة: الطريقة في الرمل، ونحوه، وجمع الحباك: حبك، وجمع الحبيكة: حبائك، ويقرأ (الحبك) بقراءات كثيرة، وانظر شرح ﴿ذَاتِ﴾ في (الحديد) [٦]. ﴿إِنَّكُمْ﴾: الخطاب لأهل مكة. ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ يعني: في القرآن، وفي محمد ﷺ: أنه ساحرٌ، وشاعرٌ، وكاهن، ومجنون، فهو كقوله تعالى في سورة (ق) رقم [٥]: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾: يصرف عن الإيمان بالقرآن، أو بمحمد ﷺ من صُرِف حتى يكذبه، وهو من حرمه الله الإيمان. وهذا الصرف لا صرف أشد منه، وأعظم، وإنه لا يصرف عن الإيمان إلا من سبق في علم الله أنه مأفوك عن الحق لا يهتدي ولا يرعوي، وهو بهذا المعنى من باب ضرب، ومصدره أفكاً كضرباً، وهو من الباب الرابع بمعنى كذب، ومصدره إفكاً كعِلماً، ويغلب مجيء الأول بالبناء للمجهول وقد يجيء بالبناء للمعلوم، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ سورة (الأحقاف) رقم [٢٢] ومن مجيئه بمعنى الكذب قوله تعالى في سورة (الشعراء) رقم [٤٥]: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ انظر شرحها هناك تجد ما يسرك، والأفاك كثير الكذب، كما في سورة (الجاثية) رقم [٧]: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

الإعراب: ﴿وَالسَّمَاءِ﴾: متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، فهذا قسم ثان، وانظر تفصيل إعراب ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ فهو مثله. ﴿ذَاتِ﴾: صفة (السماء)، وهو مضاف، و﴿الْحُبُكِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿لَفِي﴾: اللام: هي المزحلقة. (في قول): متعلقان بمحذوف خبر (إن). ﴿مُّخْتَلِفٍ﴾: صفة: ﴿قَوْلٍ﴾، والجملة الاسمية جواب القسم لا محلَّ لها والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محلَّ له. ﴿يُؤْفَكُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿عَنْهُ﴾: متعلقان به. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع نائب فاعل. ﴿أُفِكَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل تقديره: «هو»، يعود إلى: ﴿مَنْ﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها، وجملة: ﴿يُؤْفَكُ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤)﴾

الشرح: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾: هو دعاء عليهم، كقوله تعالى في سورة (عبس): ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا

﴿ٱلۡكَفَرَةُ﴾ وأصله: الدعاء بالقتل، والهلاك، ثم جرى مجرى: لعن، وقبح. و﴿ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾: الكذابون المقدِّرون ما لا يصح، وهم أصحاب القول المختلف، و﴿ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾ جمع: خراص مبالغة: خارص. وقد خرص، يخرُص بضم الراء؛ أي: كذب. يقال: خرص، واخترص، وخلق، واختلق، وبشك، وابتشك، وسرج، واسترج، ومان، بمعنى: كذب حكاه النحاس. والخرص أيضاً: حزر ما على النخل، والكرم من الرطب تمراً، ومن العنب زبيباً.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ﴾ أي: في غفلة، وعمىً، وجهالة مطبقة. ﴿سَاهُونَ﴾: غافلون لاهون عن أمر الآخرة. والغمرة: ما ستر الشيء، وغطّاه، ومنه: نهر غمر؛ أي: يغمر من دخله، والغمرة هنا مراد بها: الحيرة، والغفلة، والضلالة، والجهالة، والغمرة في الأصل ما يغمرك، ويعلوك من ماء، ونحوه، فهي مستعارة لما في قلوبهم من كفر، ونحوه، ومنه: الغمر: الحقد؛ لأنه يغطي القلب. وهو بكسر الغين، وبفتحها: الماء الكثير؛ لأنه يغطي الأرض، وبضم الغين لمن لم يجرب الأمور؛ أي: فيه غباء، أو غباوة. وغمر الرداء الذي يشمل الناس بالعطاء، قال الشاعر في ممدوحه: [الكامل]

غَمْرُ الرِّدَاءِ إذا تَبَسَّمَ ضاحكاً غُلِقَتْ لِضَحْكَتِهِ رقابُ المالِ

﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: يقولون: متى يوم الجزاء؟ استهزاءً، وشكاً في القيامة، والحساب، والجزاء. والكلام على حذف مضاف، التقدير: أيان وقوع يوم الدين؛ لأنَّ الأحيان إنما تقع ظروفاً للحدثان. ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: في النار. ﴿يُفۡتَنُونَ﴾: يحرقون، وهو من قولهم: فتنت الذهب؛ أي: أحرقته لتختبره، وأصل الفتنة: الامتحان، والاختبار، وهي بهذا المعنى كثيرة في القرآن الكريم، قال تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٣٥]: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ وفي سورة (البروج) رقم [١٠] فضل زيادة.

﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ أي: يقالُ لهم: ذوقوا عذابكم. أو المعنى: ذوقوا جزاء تكذيبكم، وهو التحريق في نار الجحيم. ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ أي: هذا العذاب الذي كنتم تطلبون استعجاله استهزاءً، وسخريةً، وهو فحوى قوله تعالى في سورة (يس): ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ وكذا في كثير من السُّور.

هذا؛ والذوق يكون محسوساً، ومعنىً، وقد يوضع موضع الابتلاء، والاختبار، تقول: اركب هذا الفرس، فذقه؛ أي: اختبره، وانظر فلاناً، فذق ما عنده، قال الشماخ يصف قوساً: [الطويل]

فَذَاقَ فأعْطَتْهُ مِنَ اللِّينِ جَانباً كَفَى وَلَهاً أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

وقد يعبر بالذوق عمَّا يطرأ على النفس، وإن لم يكن مطعوماً لإحساسها به، كإحساسها بذوق المطعوم، قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الطويل]

فَذُقْ هَجْرَهَا إنْ كنْتَ تزعمُ أنَّها فَسَادٌ ألا يا رُبَّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ

وتقول: ذقت ما عند فلان؛ أي: خبرته، وذقت القوس: إذا جذبت وترها؛ لتنظر ما شدتها؟ وأذاقه الله وبال أمره: أي: عقوبة كفره، ومعاصيه، قال طفيل بن سعد الغنوي: [الطويل]

فَذُوقُوا كَمَا ذُقْنَا غَدَاةَ مُحَجَّرٍ ... مِنَ الْغَيْظِ فِي أَكْبَادِنَا وَالتَّحَوُّبِ

وتذوقته؛ أي: ذقته شيئاً فشيئاً، وأمر مستذاق؛ أي: مجرب معلوم، قال الشاعر: [الوافر]

وعَهْدُ الغَانِيَاتِ كَعَهْدِ قَيْنٍ ... وَنَتْ عِنْدَ الجَعَائِلِ مُسْتَذَاق

وأصله: الذوق بالفم، و(ذوقوا) في كثير من الآيات للإهانة، وفيه استعارة تبعية تخييلية، وفي ذكر العذاب في كثير من الآيات استعارة مكنية، حيث شبَّه العذاب بشيء يدرك بحاسة الأكل، وشبَّه الذوق بصورة ما يذاق، وأثبت للذوق تخييلاً.

الإعراب: ﴿قُتِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾: نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدل من: ﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني: ﴿ٱلَّذِينَ﴾. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فِى غَمْرَةٍ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿سَاهُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿أَيَّانَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿يَوْمُ﴾: مبتدأ مؤخر، وانظر الشرح لحذف المضاف، و﴿يَوْمُ﴾ مضاف، و﴿ٱلدِّينِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب سدّت مسدَّ مفعولي: ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾. وقال ابن هشام: الجملة في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: يسألون عن يوم الدين متى هو؟ والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾، أو هي مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿يَوْمَ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو يوم، فهو مبني على الفتح في محل رفع، وقرئ برفعه، فهو يوضح ذلك الاعتبار. وقيل: هو ظرف زمان منصوب متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذا الجزاء يوم، أو هو متعلق بفعل محذوف، التقدير: يقع الجزاء يوم. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿يُفْتَنُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: «هم يفتنون على النار» في محل جر بإضافة: ﴿يَوْمَ﴾ إليها.

﴿ذُوقُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: يقال لهم: ذوقوا. ﴿فِتْنَتَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محلَّ له. (ذا): اسم إشارة مبني

على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية فيها معنى التعليل للأمر. ﴿كُنتُم﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما، وجملة: ﴿بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في محل نصب خبر: (كان)، وجملة: ﴿كُنتُم...﴾ إلخ، صلة الموصول، لا محلَّ لها.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي: هم في بساتين، وحدائق، فيها عيون جارية على غاية ما يسر القلب، ويشرح الصدر، ويقرُّ العين من ماء، وعسل، ولبن، وخمر. انظر الآية رقم [١٥] من سورة (محمد ﷺ). وهذا بعد أن ذكر الله حال الكفار ذكر حال المؤمنين ومصيرهم في الآخرة، وذلك من باب المقابلة، وتلك سنة اقتضتها حكمة العليم الخبير ورحمته في كتابه بأن لا يذكر التكذيب من الكافرين، والمنافقين؛ إلَّا ويذكر التصديق من المؤمنين، ولا يذكر الإيمان؛ إلا ويذكر الكفر، ولا يذكر الجنة، ونعيمها؛ إلا ويذكر النار، وجحيمها، ولا يذكر الرحمة؛ إلا ويذكر الغضب، والسخط، ليكون المؤمن راغباً، راهباً، خائفاً، راجياً. ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: ما أعطاهم من الثواب، وأنواع الكرامات، والنعيم المقيم، والخير العميم. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قبل دخول الجنة في الدنيا. ﴿مُحْسِنِينَ﴾: قد أحسنوا العمل في الدنيا، وبين إحسانهم فيما يأتي. هذا؛ ويقال لهم في الجنة: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾. هذا؛ وقوله تعالى: ﴿فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ المعنى: وتكون العيون، وهي الأنهار الجارية بحيث يرونها، وتقع عليها أبصارهم، لا أنهم فيها، وفي كثير من الآيات: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ و﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ أي: من تحت القصور؛ التي يسكنونها، ويقيمون فيها.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿فِى جَنَّـٰتٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿وَعُيُونٍ﴾: الواو: حرف عطف. (عيون): معطوف على ما قبله. ﴿ءَاخِذِينَ﴾: حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف منصوب... إلخ، وفاعله مستتر فيه. ﴿مَآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به لـ: ﴿ءَاخِذِينَ﴾. ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء في محل نصب مفعول به أول. ﴿رَبُّهُمْ﴾: فاعل مرفوع، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: آخذين الذي آتاهم ربهم إياه. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿مُحْسِنِينَ﴾ بعده، و﴿قَبْلَ﴾

مضاف، و﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿مُحْسِنِينَ﴾: خبر (كان) منصوب. . .إلخ، وجملة: ﴿كَانُوا...﴾ إلخ، في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ، تعليل لما أنعم الله به عليهم.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿كَانُوا﴾ أي: المتقون، الذين استحقوا نعيم الجنة. ﴿قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ أي: ينامون. يقال: هجع، يهجع هجوعاً؛ أي: نام، ينام نوماً. قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي ـ رضي الله عنه ـ يتشوق أخته، وكان أسرها الصمة أبو دريد بن الصِّمَّة في الجاهلية: [الوافر]

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ ... يُؤَرِّقُنِي وأصحابي هُجُوعُ؟

هذا؛ وباب الفعل فتح يفتح، والهجعة النومة الخفيفة، ويقال: أتيت فلاناً بعد هجعة؛ أي: بعد نومة خفيفة، قال الشاعر: [السريع]

قَدْ حَصَّتِ البيضةُ رأسي فما ... أَطْعَمُ نوماً غَيْرَ تَهْجَاعِ

أَسْعَى عَلَى جُلِّ بَنِي مَالِكٍ ... كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِ

واختلف في ﴿مَا﴾ فقيل: صلة زائدة. قاله إبراهيم النخعي، والتقدير: كانوا قليلاً من الليل يهجعون؛ أي: ينامون قليلاً من الليل، ويصلّون أكثره. وقيل: ليست ﴿مَا﴾ صلة، بل الوقف عند قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ ثم يبتدئ بما بعدها. فـ: ﴿مَا﴾ للنفي، وهو نفي النوم عنهم البتة، وهذا يفيد: أنَّ المعنى: كان عددهم يسيراً. وهو فاسد معنىً؛ لأن الآية تدل على قلة نومهم، لا على قلة عددهم. وقيل: ﴿مَا﴾ مصدرية، والتقدير: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، ونومهم.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: ربما مدُّوا عبادتهم إلى وقت السحر، ثم أخذوا بالاستغفار، كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم. وقيل: يستغفرون من تقصيرهم في العبادة. وقيل: يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل.

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾: الحق هنا: الزكاة المفروضة. وقيل: إنه حق سوى الزكاة، يصل به رحماً، أو يقري به ضيفاً، أو يحمل به كلاًّ، أو يغني به محروماً. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ؛ لأنَّ السورة مكية، وفرضت الزكاة بالمدينة. والأقوى في هذه الآية: أنها الزكاة، لقوله تعالى في سورة (المعارج): ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ والحق المعلوم هو الزكاة؛ التي بيّن الشرع قدرها وجنسها، ووقتها، فأما غيرها لمن يقول به فليس بمعلوم؛ لأنه غير مقدر، ولا مجنس، ولا موقت.

أما السائل؛ فهو الذي يسأل الناس لفاقته. والمحروم هو الذي حُرم المال لسبب من الأسباب، وأظهر الأقوال فيه: أنه المتعفف؛ لأنه قرن بالسائل، والمتعفف لا يسأل، ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل، وإنما يفطن له متيقظ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ الْمِسْكِينُ الذي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ، واللُّقْمَتَانِ، والتمرةُ، والتمرتان، ولَكِنِ المسكينُ الَّذي لا يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ، ولا يُفطنُ لهُ، فَيُتَصَدَّقَ عليه، وَلا يَقُومُ فَيَسأَلَ النَّاسَ**». أخرجه البخاري ومسلم. وأصله في اللغة: الممنوع، من: الحرمان، وهو المنع، قال علقمة: [البسيط]

وَمُطْعَمُ الْغُنْمِ يَوْمَ الْغُنْمِ مُطْعَمُهُ   أَنَّى تَوَجَّهَ والمحرومُ محرومُ

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**ويلٌ للأغنياءِ مِنَ الفقراءِ يوْمَ القيامةِ، يقولون: ربنا ظلمونا حقوقنا التي وُضِعَتْ لنَا عليهم. فيقول الله تعالى: وعِزَّتي وجَلالي لأقربنكم، ولأبعِدَنَّهم!**» ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾. رواه الطبراني، والثعلبي.

هذا؛ وقد حثَّ الرسول ﷺ على إعطاء السائل، وبذل المال له مهما كان قليلاً، ومهما كانت هيئة السائل، وحالته، فقال ﷺ: «**لا تَرُدُّوا السائِلَ ولو بظلفٍ مُحْرَقٍ**». وقال: «**أعْطُوا السَّائِلَ ولَوْ جَاءَ على ظَهْرِ فَرَسٍ**». وفي الوقت نفسه حذّر الرسول ﷺ من السؤال، والمسألة، وشدّد النكير على الذين يتسوَّلون. وخذ ما يلي: فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا تزَالُ المسألةُ بأحدِكُم حتَّى يأتي الله تعالى وليس في وجْهِهِ مُزعةُ لَحْمٍ**». أخرجه البخاري، ومسلم. وعنه أيضاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المسألةُ كلُوحٌ في وجهِ صاحِبِهَا يَوْمَ القيَامَةِ، فمن شاءَ استبقَى على وَجْهِهِ**». رواه الإمام أحمد.

فالرسول ﷺ يريد من المسلم أن يكون عزيز النفس، مرفوع الرأس، لذا نفر من السؤال، والمسألة، ورغب في العمل، فعن الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبلَهُ، فيأتي بحزمةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فيكُفَّ بها وجهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسأَلَ الناسَ، أعْطوهُ، أمْ مَنَعُوهُ**» وغير ذلك كثير. وخذ ما يلي عن الأصمعي ـ رحمه الله تعالى ـ، قال: مررت في بعض سكك الكوفة، فإذا برجل قد خرج من حش على كتفه جرة، وهو يقول: [الطويل]

وأكْرِمُ نَفْسِي إنني إنْ أهَنْتُهَا   وحقِّكَ لَمْ تُكْرَم علَى أحَدٍ بَعْدِي

فقلت له: أتكرمها بمثل هذا؟ قال: نَعَمْ، وأستغني عن سفلةٍ مثلِك؛ إذا سألته، ثم قال: صنع الله بك، وترك! فقلت: تراه عرفني، فأسرعت، فصاح بي وأنشد: [الوافر]

لَنَقْلُ الصخْرِ مِنْ قُلَلِ الجِبَالِ   أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ مِنَنِ الرِّجَالِ

يقولُ الناسُ: كَسْبٌ فيهِ عارٌ   وَكُلُّ العارِ في ذُلِّ السُّؤَالِ

أما الصلاة في الليل بالإضافة لما ذكرته في سورة (الإسراء) [٧٩] وفي سورة (الفرقان) رقم [٦٤] فخذ ما يلي: عن عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناسُ إليه، فكنتُ فيمن جاءهُ، فلما تأمَّلْتُ وجهَهُ، واستبنته عرفتُ: أنَّ وجهه ليس بوجهِ كذَّاب، قال: فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: **«أيُّهَا النَّاسُ! أفْشُوا السلام، وأطعِمُوا الطَّعَامَ، وصِلُوا الأرحَام، وصَلُّوا باللَّيْلِ؛ والناسُ نيامٌ؛ تدخلُوا الجنة بسلام»**. رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم.

وعن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليْكُمْ بقيامِ الليلِ، فإنه دأبُ الصالحين قبلَكُمْ، ومقربَةٌ لكمْ إلى ربكمْ، ومكفرَةٌ لِلسَّيِّئاتِ، ومَنْهَاةٌ عن الإثم، ومطردةٌ للدَّاءِ عَنِ الجَسَدِ»**. رواه الطبراني في الكبير.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قالَ رسول الله ﷺ: **«رَحِمَ اللهُ رجلاً قامَ مِنَ الليل فصلَّى، وأيقظَ امرأتَهُ، فإنْ أبَتْ؛ نَضحَ في وجهِهَا الماءَ»**. رواه أبو داود، والنسائي، وغيرهما. وقد ذكر أن أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ وقف يوماً عند الكعبة في حجة حجها، أو عمرة اعتمرها، فاكتنفه الناسُ، فقال لهم: لو أنَّ أحدكم أراد سفراً أليس يعد زاداً؟ فقالوا: بلى! فقال: سفر القيامة أبعد مما تريدون، فخذوا ما يصلحكم، فقالوا: وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظائم الأمور، وصوموا يوماً شديداً حرُّهُ ليوم النشور، وصلوا في الليل لوحشة القبور. وروي أنَّ الإمام الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ رؤي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وذهبت تلك العبارات، ودرست تلك العلوم، وفنيت تلك الرسوم، وما نفعنا إلَّا ركيعاتٌ كنا نركعها وقت السحر. وروي عن بعض المتهجدين: أنه أتاه آتٍ في منامه فأنشده: [الطويل]

وَكَـيْـفَ تَـنَـامُ الـلَّـيْـلَ عـيـنٌ قَـرِيـرةٌ ... وَلَـمْ تَـدْرِ فـي أيِّ الـمَـجَـالِـسِ تَـنْـزِلُ؟

ويروى عن أبي خلاد: أنه قال: حدثني صاحب لي قال: فبينا أنا نائم ذات ليلة؛ إذ مثلت لي القيامة، فنظرت إلى أقوام من إخواني قد أضاءت وجوههم، وأشرقت ألوانهم، وعليهم الحلل من دون الخلائق، فقلت: ما بال هؤلاء مكتسون؛ والناس عراة، ووجوههم مشرقة، ووجوه الناس مغبرة؟ فقال لي قائل: الذين رأيتهم مكتسون فهم المصلون بين الأذان، والإقامة، والذين وجوههم مشرقة فأصحاب السهر، والتهجد. قال: ورأيت أقواماً على نجائب، فقلت: ما بال هؤلاء ركباناً، والناس مشاة حفاة؟ فقال لي: هؤلاء الذين قاموا على أقدامهم تقرباً لله تعالى، فأعطاهم الله بذلك خير الثواب. قال: فصحت في منامي: واهاً للعابدين ما أشرف مقامهم! ثم استيقظت من منامي وأنا خائف. انتهى. قرطبي. ورحم الله القائل: [الطويل]

أرانـي بَـعِـيـدَ الـدارِ لا أقـربُ الْـحِـمـى ... وقـدْ نُـصِـبَـتْ لِـلـسَّـاهِـريـنَ خِـيـامُ

عــلامــةُ طــردي طــولَ لــيْــلــي نــائِــمٌ ... وَغَــيْــرِي يَــرى أنَّ الْــمَــنَــامَ حَــرامُ

الإعراب: ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة مفعول مطلق عامله ما بعده، التقدير: يهجعون هجوعاً قليلاً، أو هو صفة ظرف محذوف، التقدير: يهجعون وقتاً قليلاً. ﴿مِّنَ اللَّيْلِ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَلِيلًا﴾، و﴿يَهْجَعُونَ﴾: مضارع مرفوع. . .إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وعلى هذا فـ: ﴿مَا﴾ صلة، وأجيز اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول بمصدر في محل رفع فاعل بـ: ﴿قَلِيلًا﴾، و﴿قَلِيلًا﴾ خبر (كان)، التقدير: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، وعلى هذين الوجهين فالجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿قَلِيلًا﴾، أو هما متعلقان بمحذوف صفة له. هذا؛ وقيل: الوقف على: ﴿قَلِيلًا﴾، ويبتدأ بما بعدها. و﴿مَا﴾ نافية، والجار والمجرور متعلقان بالفعل بعدهما. وبينت فساده في الشرح. هذا؛ وجملة: ﴿كَانُوا قَلِيلًا...﴾ إلخ، بدل من سابقتها، أو هي تفسير لها.

(بالأسحار): متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: ﴿يَهْجَعُونَ﴾ على جميع الوجوه فيها. (في أموالهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿حَقٌّ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿لِّلسَّائِلِ﴾: متعلقان بـ: ﴿حَقٌّ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها أيضاً.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)﴾

الشرح: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾: لما ذكر أمر الفريقين؛ أي: الكافرين، والمؤمنين؛ بيَّن سبحانه: أنَّ في الأرض علامات تدلُّ على قدرته على البعث والنشور، فمنها عود النبات بعد أن صار هشيماً، ومنها: أنه قدر الأقوات فيها للحيوانات، ومنها: سيرهم في البلدان التي يشاهدون فيها آثار الهلاك النازل بالأمم المكذبة. والموقنون: هم العارفون المحققون وحدانية ربهم، وصدق نبوة نبيهم، وخصّهم بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بتلك الآيات، وتدبرها. انتهى. قرطبي.

وفي النسفي: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾: تدل على الصانع، وقدرته، وحكمته، وتدبيره؛ حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها، وفيها المسالك، والفجاج للمتقلبين فيها، وهي مجزأة، فمن سهل، ومن جبل، وصلبة ورخوة، وعذبة وسبخة، وفيها عيون متفجرة، ومعادن مبثوثة، ودواب منبثة، مختلفة الصور، والأشكال، متباينة الهيئات، والأفعال. ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾: للموحدين؛ الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة: فهم نظارون بعيون باصرة، وأفهام نافذة، كلَّما رأوا آية؛ عرفوا وجه تأمُّلها، فازدادوا إيقاناً مع إيقانهم.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي: آيات، ودلالات على قدرة الصانع الحكيم؛ إذ كنتم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظماً إلى أن تنفخ الروح. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد اختلاف الألسنة، والصور، والألوان والطبائع. وقيل: يريد سبيل الغائط، والبول، يأكل، ويشرب من مدخل واحد، ويخرج من سبيلين. وقيل: يعني تقويم الأعضاء: السمع، والبصر، والنطق، والعقل إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم. ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ كيف خلقكم، فتعرفوا قدرته؛ ولذا قيل: من عرف نفسه؛ عرف ربه؛ أي: عرف نفسه بالضعف، والعجز، عرف ربه بالقدرة، والعظمة.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾: قال سعيد بن جبير، والضحاك: الرزق هنا: ما ينزل من السماء من مطر، وثلج ينبت به الزرع، ويحيا به الخلق. وعن الحسن البصري: أنه كان إذا رأى السحاب، قال لأصحابه: فيه والله رزقكم، ولكنكم تحرمونه بخطاياكم. وقال أهل المعاني: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾: معناه: وفي المطر رزقكم، سمِّي المطر سماء؛ لأنه من السماء ينزل. قال معوِّد الحكماء معاوية بن مالك: [الوافر]

إذا نـزلَ الـسـمـاءُ بـأرضِ قَـوْمٍ رعَـيْـنـاهُ وإنْ كـانُـوا غِـضَـابـا

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: يعني من الجنة والنار. وقيل: من الثواب، والعقاب. وقيل: من الخير، والشر. أو أراد ما ترزقونه في الدنيا، وما توعدونه في العقبى، كله مقدر ومكتوب في السماء.

الإعراب: ﴿وَفِي﴾: الواو: حرف عطف. (في الأرض): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ءَايَٰتٞ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿لِّلۡمُوقِنِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَايَٰتٞ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَفِيٓ﴾: الواو: حرف عطف. (في أنفسكم): متعلقان بمحذوف خبر، والمبتدأ محذوف، التقدير: وفي أنفسكم آيات، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي. الفاء: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿تُبۡصِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿رِزۡقُكُمۡ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع معطوفة على: ﴿رِزۡقُكُمۡ﴾. ﴿تُوعَدُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: والذي، أو شيء توعدونه.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾

الشرح: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾: الضمير يعود إلى (الرزق)، أو إلى: (ما توعدون). ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ أي: مثل نطقكم، كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون؛ ينبغي ألَّا تشكوا

في تحقق ذلك، ففيه تشبيه تحقق ما أخبر الله عنه، ووعد به من الرزق بتحقق نطق الآدمي. وخذ ما يلي:

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ فَرَّ أحدُكُم مِنْ رِزْقِهِ؛ أدْرَكَهُ، كَمَا يدركُه الموتُ**». رواه الطبراني، وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيُّهَا النَّاسُ اتقوا الله، وأجمِلُوا في الطلبِ، فإنَّ نفساً لَنْ تموتَ حتى تستوفيَ رِزْقَها، وإنْ أبطأ عنها، فاتقوا الله، وأجمِلُوا في الطَّلَبِ، خذوا ما حلَّ، ودعُوا ما حَرمَ**». رواه ابن ماجه، والحاكم.

روي أن قوماً من الأعراب زرعوا زرعاً، فأصابته جائحة، فحزنوا لأجله، فخرجت عليهم أعرابية، فقالت: ما لي أراكم قد نكستم رؤوسكم، وضاقت صدوركم؟! هو ربنا والعالم بنا، رزقنا عليه، يأتينا به من حيث شاء، ثم أنشأت تقول: [البسيط]

لوْ كانَ في صخرةٍ في الْبَحْرِ راسِيَةٍ ... صماً مُلَمْلَمَةٍ ملسَا نواحيها
رزقٌ لنفسٍ يراهُ اللهُ لانفلَقتْ ... حتَّى تؤدِّي إليها كُلَّ ما فِيها
أوْ كانَ بينَ طِباقِ السبعِ مسْلَكُهَا ... لسهَّلَ اللهُ في المرْقَى مَرَاقِيها
حتى تنالَ الَّذِي في اللَّوْحِ خُطَّ لها ... إنْ لمْ تنلْهُ وإلا سوف يَأتِيها

ولكن الناس في هذه الأيام لا يؤمنون بهذا، ويعتبرون جمع المال من أي طريق كان شطارةً، ويعتبرون اللف، والدوران، والغش، والتدليس حذقاً، ومهارةً، فلا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! وخذ ما يلي: فعن الأصمعي ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: أقبلت من جامع البصرة، فطلع أعرابي على قعود له، فقال: ممن الرجل؟ فقلت: من بني أصمع، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يُتلى فيه كلام الرحمن، قال: اتلُ عليَّ، فتلوت: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ فلما بلغت: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ قال: حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها، ووزعها على من أقبل، وأدبر، وعمد إلى سَيفه، وقوسه، فكسرهما، وولَّى، فلما حججت مع الرشيد، وطفقت أطوف، فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق، فالتفت؛ فإذا أنا بالأعرابي قد نحل، واصفر، فسلم عليَّ، واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح، وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ فصاح، وقال: يا سبحان الله! من ذا الذي أغضب الجليل؛ حتى حلف؟ لم يصدقوه بقوله حتى حلف! قالها ثلاثاً، وخرجت معها نفسه. انتهى. كشاف، وقرطبي، ونسفي.

فائدة: القسم أمران: أحدهما: أن العادة جارية بتأكيد الخبر في اليمين. والثاني: أنَّ في إقسام الله تعالى باسمه مضافاً إلى السماء، والأرض رفعاً منه لشأنهما، كما رفع من شأن الرسول ﷺ في قوله تعالى في سورة (مريم) رقم [٦٨]: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ...﴾ إلخ ومثلها في سورة (النساء) رقم [٦٥]. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَوَرَبِّ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ورَبِّ): جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. و(رَبِّ): مضاف، و﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾: الواو: حرف عطف. (الأرض): معطوف على ما قبله. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿لَحَقٌّ﴾: اللام: هي المزحلقة. (حق): خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية جواب القسم، لا محلَّ لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محلَّ له. ﴿مِّثۡلَ﴾: يقرأ بالرفع صفة: (حق)، أو خبر ثان، أو على أنهما خبر واحد، مثل: حلو حامض، و﴿مَآ﴾ زائدة على الأوجه الثلاثة. انتهى. عكبري. ويقرأ بالفتح وفيه وجهان:

أحدهما: هو معرب، ثم في نصبه على هذا أوجه: إما هو حال من النكرة؛ أي: حق، أو من الضمير فيها، أو على إضمار: أعني، أو على أنه مرفوع الموضع، ولكنه فتح كما فتح الظرف في قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ الآية رقم [٩٤] من سورة (الأنعام) على قول الأخفش، و﴿مَآ﴾ على هذه الأوجه زائدة أيضاً. والوجه الثاني: هو مبني، وفي كيفية بنائه وجهان: أحدهما: أنه ركب مع (ما) كخمسة عشر، و﴿مَآ﴾ على هذا يجوز أن تكون زائدة، وأن تكون نكرة موصوفة. والثاني: أن تكون بنيت؛ لأنها أضيفت إلى مبهم، وفيها نفسها إبهام. وقد ذكر مثله في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۗ﴾ رقم [٦٦] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، فتكون ﴿مَآ﴾ على هذا أيضاً، إما زائدة، وإما بمعنى شيء، وأما المصدر المؤول من: ﴿أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ فيجوز أن يكون في محل جر بإضافة: ﴿مِّثۡلَ﴾ إليه؛ إذا جعلت ﴿مَآ﴾ زائدة، وأن يكون بدلاً منها؛ إذا كانت بمعنى شيء، ويجوز أن يكون في موضع نصب بإضمار: أعني، أو في موضع رفع على تقدير: هو أنكم تنطقون. انتهى. عكبري بتصرف.

هذا؛ والتركيب الذي ذكره تركيب مزج، مثل: كلما، وطالما، وأينما، وقلما، فيقال في إعرابه: (مثلما) مبني على السكون في محل رفع على أنه صفة لـ: (حق) و(مثلما) مضاف، والمصدر المؤول من: ﴿أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ في محل جر بالإضافة. انتهى. جمل بتصرف. هذا؛ ونقل القرطبيُّ عن الزَّجَّاج، والفرَّاء جواز اعتبار ﴿مِّثۡلَ﴾ صفة مصدر محذوف. التقدير: لحق حقاً مثل نطقكم، و﴿مَآ﴾ زائدة للتوكيد، ونقل عن بعض الكوفيين صحة اعتبار ﴿مِّثۡلَ﴾ منصوباً على نزع الخافض، التقدير: كمثل نطقكم، و﴿مَآ﴾ زائدة. انتهى. هذا؛ وجملة: ﴿تَنطِقُونَ﴾ في محل رفع خبر (أن).

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤﴾

الشرح: ذكر الله قصة إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ ليبين بها: أنه أهلك المكذب بآياته، كما فعل بقوم لوط، وقد مضى الكلام في ضيف إبراهيم، وما جرى لهم

مع قوم لوط في سورة (هود) وسورة (الحجر) وغيرهما. هذا؛ و«ضيف» يقع للواحد، والاثنين، والجمع بلفظ الواحد، كما في الآية الكريمة؛ لأنه في الأصل مصدر، قال الشاعر: [الرجز]

لا تـعْـدَمِـي الـدَّهْـرَ شِـفَـارَ الـجـازِرِ لـلـضـيـفِ والـضـيْـفُ أَحَـقُّ زائِـرِ

وقد يثنى، فيقال: ضيفان؛ وقد يجمع على: أضياف وضيوف، وضيفان، وضِياف. والأول أكثر استعمالاً، كقولك: رجال صوْم، وفطرٌ، وزوْر، وأصل الضيف: الميل، يقال: ضفت إلى كذا: إذا ملت إليه، والضيف: من مال إليك نزولاً بك. هذا؛ والضيفن: من يجيء من غير دعوة مع الضيف متطفلاً، قال الشاعر: [الطويل]

كِـلَا الـضَّـيْـفَـنِ الـمَـشنُـوءِ والـضَّـيْـف وَاجِـدٌ لَـدَيَّ الـمُـنـى والأَمْـنَ في الْـعُـسْـرِ والـيُـسْـرِ

﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ أي: عند الله تعالى، أو عند إبراهيم؛ إذ خدمهم بنفسه.

قال عبد الوهاب، قال لي علي بن عياض: عندي هريسة ما رأيك فيها؟ قلت: ما أحسن رأيي فيها، قال: امضِ بنا، فدخلت الدار، فنادى الغلام، فإذا هو غائب، فما راعني إلا به، ومعه القُمْقُمة، والطست، وعلى عاتقه المنديل، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، لو علمت يا أبا الحسن: أن الأمر هكذا! قال: هوِّن عليك، فإنك عندنا مكرم، والمكرم إنما يخدم بالنفس، انظر إلى قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ...﴾ إلخ. انتهى. قرطبي. وخذ قول حاتم الطائي. وقيل: هو لقيس بن عاصم المنقري الصحابي - رضي الله عنه -: [الطويل]

وإنِّـي لَـعَـبْـدُ الـضـيْـفِ مـا دامَ ثـاوِيـاً وَمَـا فِـيَّ إلَّا تِـلْـكَ مِـنْ شِـيَـمِ الـعَـبْـدِ

وقد حثَّ النبي ﷺ على إكرام الضيف، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ كَانَ يؤمنُ بالله واليومِ الآخِرِ، فلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ. . .إلخ»**. رواه البخاري، ومثله من رواية أبي شريح خويلد بن عمرو العدوي - رضي الله عنه -. هذا؛ واختلف في عدد ضيوف إبراهيم، فقيل: كانوا اثني عشر ملكاً. وقيل: كانوا ثلاثة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل. وهو المعتمد. قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -. هذا؛ وقيل: ﴿هَلْ﴾ هنا بمعنى: قد، كقوله تعالى في أول سورة (الدَّهر): ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ هذا؛ ويجمع: «حديث» على: أحاديث شذوذاً، كما شذّ: أباطيل، وأعاريض، وأفاظيع في جمع: باطل، وعريض، وفظيع.

الإعراب: ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام، وتنبيه، وتفخيم، وتعظيم. ﴿أَتَىٰكَ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والكاف مفعول به. ﴿حَدِيثُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ضَيْفِ﴾ مضاف إليه، و﴿ضَيْفِ﴾ مضاف، و﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾: صفة: ﴿ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء. . .إلخ، وجملة: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ...﴾ إلخ، مستأنفة.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: نسلم عليكم سلاماً. ﴿قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي: عليكم سلام، أنتم قوم منكرون؛ أي: غرباء لا نعرفكم، وذلك لأنهم قدموا عليه في صورة شبان حسان، عليهم مهابة عظيمة. وقيل: أنكرهم؛ لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان، وفي تلك الأرض. وقيل: أنكرهم؛ لأنه ظن أنهم بنو آدم، ولم يعرفهم، أو لأنَّ السلام لم يكن تحيتهم، فإنه علم الإسلام. وقيل: أنكرهم: خافهم، يقال: أنكرته: إذا خفته، ومثله: نكر، واستنكر، فالكل بمعنى واحد. قال الأعشى، وقد جمع بين لغتين: [البسيط]

فَـأَنْـكَـرَتْـنـي وَمَـا كَـانَ الَّـذِي نَـكِـرَتْ مِـنَ الـحَـوادِثِ إِلَّا الـشَّـيْـبَ والـصَّـلَـعَـا

أقول: وهو فحوى قوله تعالى في سورة (الحجر) رقم [٥٢]: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي: خائفون. هذا؛ وقال سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قيل: قال الله تعالى في سورة (هود): ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ فدلَّ ذلك على أن إنكاره عليه السلام حصل بعد تقريب العجل إليهم، وقال هاهنا: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ثم قال: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ بفاء التعقيب، وذلك يدلُّ على أن تقريب الطعام إليهم كان بعد حصول إنكاره، فما وجه التوفيق؟ فالجواب: أن الإنكار الذي كان قبل تقريب العجل غير الإنكار الحاصل بعده، فإن الإنكار الحاصل قبله، بمعنى عدم العلم بأنهم من أي بلدة؟ والإنكار الحاصل بعده بمعنى عدم العلم بأنهم دخلوا عليه لقصد الخير، أو الشر، فإن من امتنع من تناول الطعام يخاف من شره. انتهى. نقلاً عن زاده. وفي البيضاوي، والنسفي تبعاً للزمخشري: والعدول إلى الرفع للدلالة على إثبات السلام، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذاً بأدب الله، وهذا أيضاً من إكرامه لهم. انتهى.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، مبني على السكون في محل نصب، وفي عامله أربعة أوجه: أحدها: أنه ﴿حَدِيثُ﴾ أي: هل أتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه. الثاني: أنه منصوب بما في ﴿ضَيْفِ﴾ من معنى الفعل؛ لأنه في الأصل مصدر، ولذلك يستوي فيه الواحد المذكر، وغيره، كأنه قيل: الذين ضافوه في وقت دخولهم عليه. الثالث: أنه منصوب بـ: ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾، إن أريد بإكرامهم: أن إبراهيم أكرمهم بخدمته لهم. الرابع: أنه منصوب بإضمار: اذكر، ولا يجوز نصبه بـ: ﴿أَتَىٰكَ﴾ لاختلاف الزمانين. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. ﴿دَخَلُوا۟﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. (قالوا): ماض، وفاعله. ﴿سَلَٰمًا﴾: مفعول مطلق عامله محذوف، كما رأيت في الشرح تقديره، والجملة الفعلية: «نسلم

سلاماً» في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها.

﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، تقديره: «هو». ﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: سلام عليكم، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿قَوْمٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: أنتم قوم. ﴿مُّنكَرُونَ﴾: صفة: ﴿قَوْمٌ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ﴾ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: مال إليهم سراً. ويقال: راغ، وأراغ لغتان بمعنى واحد. وراغ، يروغ روغاً، وروغاناً: مال سراً، وحاد، وطريق رائغ؛ أي: مائل، قال صالح بن عبد القدوس: [الكامل]

لا خيرَ في وُدِّ امْرِئٍ متقلِّبٍ حُلْوِ اللسانِ وقلبُهُ يَتَلَهَّبُ
يلقاكَ يحلفُ أنه بكَ واثقٌ وإذا توارَى عنكَ فهوَ الْعقربُ
يُعطيكَ مِنْ طَرفِ اللِّسَانِ حلاوةً ويروغُ عنكَ كمَا يروغُ الثعلبُ

أي: يميل عنك كما يميل الثعلب في سيره. وفي المصباح: وراغ الثعلب روغاً من باب: قال، ورَوَغاناً، ذهب يمنةً، ويسرةً في سرعة، وخديعة، فهو لا يستقر في جهة، وراغ فلان إلى كذا: مال إليه سراً. انتهى. وفي القرطبي: ويقال: إن إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ انطلق إلى منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا يظهروا على ما يريد أن يتخذ لهم من الطعام. انتهى. وفي البيضاوي: فإن من أدب المضيف أن يبادر بالقرى حذراً من أن يكفه الضيف، أو يصير منتظراً. انتهى.

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: لأن عامة ماله كانت من البقر، وكان قد شوى العجل، وجاءهم به كما في سورة (هود) رقم [٦٩]: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ وفي الصحاح: العجل: ولد البقرة، والعِجَّوْل مثله، والجمع: العجاجيل، والأنثى: عجلة، وبقرة معجل: ذات عجل، وعِجْل: قبيلة من ربيعة. ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾: بأن وضعه بين أيديهم. ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ أي: عرض عليهم الأكل، فلم يجيبوا.

وفي مختصر ابن كثير للصابوني: وفي الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عِجل فتيٌّ، سمينٌ، مشويٌّ، فقربه إليهم ولم يضعه، وقال اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة

الجزم: بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ على سبيل العرض، والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل، وتتكرم، فافعل. انتهى.

الإعراب: ﴿فَرَاغَ﴾: الفاء: حرف عطف. (راغ): ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ. ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَجَآءَ﴾: الفاء: حرف عطف. (جاء): ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿بِعِجْلٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿سَمِينٍ﴾: صفة: (عجل). ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ﴾: الفاء: حرف عطف. (قربه): ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ أيضاً، ﴿أَلَا﴾: حرف عرض، أو تحضيض. ﴿تَأْكُلُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ أَلَا...﴾ إلخ، في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الضمير فقط.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ﴾ أي: أضمر. وقيل: أحس من الملائكة خوفاً، وفزعاً لمَّا لم يتحرموا بطعامه، ومن أخلاق الناس أن من تحرَّم بطعام إنسان أمنه. قال الشاعر: [البسيط]

جَاءَ البَرِيدُ بِقِرْطَاسٍ يَخُبُّ بِهِ ... فَأَوْجَسَ القَلْبُ مِنْ قِرْطَاسِهِ جَزَعَا

قال عمرو بن دينار: قالت الملائكة: لا نأكل إلا بالثمن، قال: كلوا، وأدوا ثمنه. قالوا: وما ثمنه؟ قال: تسمون الله إذا أكلتم، وتحمدونه إذا فرغتم. فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: لهذا اتخذك الله خليلاً. ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ﴾: إنا رسل الله، لا نأكل، ولا نشرب، وإنا مرسلون لإهلاك قوم لوط. وفي البيضاوي: قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه، فقام يدرج حتى لحق بأمه، فعرفهم، وأمن منهم. ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾: هو إسحاق، على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام. ومعنى ﴿عَلِيمٍ﴾: يكمل علمه إذا بلغ؛ أي: باعتبار ما يؤول إليه أمره، فهو مجاز مرسل. هذا؛ والبشارة لإبراهيم بشارة لزوجه؛ لأن الولد منهما، فكل منهما بشر به.

هذا؛ و«غلام» يطلق على الصبي دون البلوغ، وجمعه: غلمان، وغلمة، وأغلمة، كما يطلق على العبد، والأجير اسم الغلام، وإن كانا كبيرين. هذا؛ وقد يقال للأنثى: غلامة. خذ قول الشاعر: [الطويل]

فَلَمْ أَرَ عَامًا عَوْضُ أَكْثَرَ هَالِكاً ... وَوَجْهَ غُلَامٍ يُشْتَرَى وَغُلَامَهْ

الإعراب: ﴿فَأَوْجَسَ﴾: الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (أوجس): ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿خِيفَةً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿خِيفَةً﴾: مفعول به، وجملة: (أوجس...) إلخ لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين في الفاء. ﴿قَالُواْ﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَا تَخَفْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ﴾ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَبَشَّرُوهُ﴾: الواو: حرف عطف. (بشروه): ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَالُواْ﴾ لا محلَّ لها مثلها. ﴿بِغُلَامٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿عَلِيمٍ﴾: صفة: (غلام). تأمَّل، وتدبَّر.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾: لما سمعت زوجة إبراهيم ـ واسمها سارة ـ البشارة المذكورة وكانت في زاوية من زوايا البيت، فجاءت عند الضيوف، وقالت ما ذكر. هذا؛ و(الصرة): الضجة، والصيحة، و(الصرة): الجماعة، و(الصرة): الشدة من كرب، وغيره. قال امرؤ القيس في معلَّقته رقم [٧٦]: [الطويل]

فَأَلْحَقَهُ بِالهَادِيَاتِ ودُونَهُ جَوَاحِرِهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ

يحتمل هذا البيت الوجوه الثلاثة. وصرة القيظ: شدة حره. وصرة الشتاء: شدة برده. هذا؛ وإن سارة عليها السلام لما بشرت بالولد؛ جاءت صائحة؛ لأنها وجدت حرارة دم الحيض، الذي فاجأها وقت البشارة، كما قال تعالى في سورة (هود) رقم [٧١]: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرّك، ويثلج صدرك.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: اختلف في هذا الصك، فقيل: هو الضرب باليد مبسوطة. وقيل: هو ضرب الوجه بأطراف الأصابع مثل التعجب، وهي عجوز عقيم. وقيل: وجدت حرارة دم الحيض الذي فاجأها بعد اليأس، فلطمت وجهها من الحياء، والأول أقوى. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: أنا عجوز عاقر، فكيف ألد؟! وفي سورة (هود) رقم [٧٢]: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

﴿عَجُوزٌ﴾: هي الطاعنة في السن، ويقال لها أيضاً، شهلة، وشهبرة، وشهربة، وشمطاء، وشيخة. قال صاحب مختار الصحاح: ولا تقل عجوزة، والعامة تقوله. والجمع: عجائز، وعُجُز، وفي حديث النبي ﷺ: «**إنَّ الجنَّةَ لا يَدْخلُهَا العُجز**». وأيام العجوز عند العرب خمسة

أيام: هي صِنٌّ، وصِنَّبْرٌ، وأُخَيُّهما وَبْر، ومطفئ الجمر، ومكفئ الظعن. وقال أبو الغوث: هي سبعة أيام، وأنشد لابن أحمر: [الكامل]

كُسِعَ الشتاءُ بسبْعَةٍ غُبْرِ ... أيامَ شهْلَتِنَا مِنَ الشَّهْرِ

فإذا انقضتْ أيامُها وَمَضَتْ ... صِنٌّ وصِنَّبْرٌ مع الوَبْرِ

وبآمرٍ وأخيه مُؤْتَمِرٍ ... ومعلِّلٍ وبمطفئِ الجمرِ

ذهبَ الشتاءُ مُوَلِّياً عَجِلاً ... وأتتْكَ واقدةٌ من النجْرِ

قلت: ترتيبها هو الترتيب في الشعر، إلا في مطفئ الجمر فإنه السادس، ومكفئ الظعن فإنه السابع، وهو الذي ذكر: «معلِّل» مكانه، أقول: وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الأيام، وهي التي أهلك الله فيها قوم عاد، وهي في سورة (الحاقة) قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ كما ستقف عليه هناك إن شاء الله تعالى. وخذ هذه الطرفة من قول رؤبة بن العجاج: [الرجز]

إذَا العجوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ ... وَلَا تَرضَّاهَا وَلَا تَمَلَّقِ

واعْمَدْ لأُخرى ذاتِ دَلٍّ مُونِقِ ... لَيِّنة المسِّ كمسِّ الخِرْنِقِ

﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: لا تلد، قال تعالى في سورة (الشورى) رقم [٥٠]: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ وهذا قد يكون في بعض الذكور، ويكون في بعض الإناث. يقال: رجل عقيم، وامرأة عقيم. يستوي فيه المذكر، والمؤنث. وعقِمت المرأة، تَعْقَم عقماً، مثل: حمِد، يحمد، وعَقُمَتْ تعقُم مثل عظُم، يعظُم. وأصله: القطع. ومنه: الملك العقيم؛ أي: تقطع فيه الأرحام بالقتل، والعقوق خوفاً على الملك. وريح عقيم؛ أي: لا تلقح سحاباً، ولا شجراً. وانظر الآية رقم [٤١] الآتية. ويوم القيامة يوم عقيم؛ لأنه لا يوم بعده. ويقال: نساء عقْم، وعقُم بسكون القاف، وضمها، قال أبو دهبل يمدح عبد الله بن الأزرق المخزومي: [الكامل]

عَقُمَ النساءُ فما يلِدْنَ شبيهَهُ ... إنَّ النساءَ بِمثْلِهِ عُقْمُ

الإعراب: ﴿فَأَقْبَلَتِ﴾: الفاء: حرف عطف. (أقبلت): فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿ٱمْرَأَتُهُۥ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿فِى صَرَّةٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من امرأته أي: صارة. ﴿فَصَكَّتْ﴾: الفاء: حرف عطف. (صكت): ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى امرأته. ﴿وَجْهَهَا﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَقَالَتْ﴾: الواو: حرف عطف. (قالت): فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿عَجُوزٌ﴾: خبر لمبتدأ

محذوف، التقدير: أنا عجوز، أو هو فاعل لفعل محذوف، التقدير: أتلد عجوز، والجملة على الاعتبارين في محل نصب مقول القول. ﴿عَقِيمٌ﴾: صفة: ﴿عَجُوزٌ﴾، وجملة: (قالت. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها.

﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الملائكة. ﴿كَذَٰلِكِ﴾: مثل ذلك الذي بشرناكما به. ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ أي: قضى، وحكم في الأزل: أنه من جهته تعالى، فلا تعجبي منه، ولا تشكي فيه، فإنه حاصل، وواقع لا محالة. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: بصنعه، وقوله. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بخلقه، لا يكون قوله إلَّا حقاً، ولا يكون فعله إلَّا محكماً. هذا؛ وكان بين البشارة والولادة سنة، وكانت سارة عليها السلام عقيماً كما ذكرت فولدت، وهي بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم كان عمره مئة وعشرين سنة، ولا تنسَ: أن سارة بشرت بالحفيد يعقوب أيضاً، كما بشرت بإسحاق. خذ قوله تعالى في سورة (هود) رقم [٧١]: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ وذلك ليتم سرورها وفرحها بالحفيد كما يتم بالوليد.

فائدة: عاش إبراهيم من العمر مئة وخمساً وسبعين سنة، وبينه وبين نوح ألف وستمئة وأربعون سنة، وعاش إسحاق مئة وثمانين سنة، وعاش يعقوب مئة وخمساً وأربعين سنة، وعاش يوسف الصديق مئة وعشرين سنة، وعاش إسماعيل مئة وسبعاً وثلاثين سنة، وأمه هاجر القبطية، وتزوج إبراهيم غير سارة، وهاجر امرأة، اسمها: قطورة، فولدت له: زمران، ويقشان، ومدان، ومديان، ويشباق، وشوما، فيكون جملة أولاده من صلبه ثمانية، وهم ذكور، ولم يذكر له بنات، فألف صلاة، وألف سلام على حبيبنا، وشفيعنا، وعلى إبراهيم، وعلى آله وذريته الطيبين الطاهرين، ارحمنا، واحشرنا معهم؛ برحمتك يا أرحم الراحمين!.

الإعراب: ﴿قَالُوا۟﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿كَذَٰلِكِ﴾: الكاف: حرف تشبيه، وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة مصدر محذوف، عامله ما بعده، التقدير: قال ربك قولاً مثل ذلك القول؛ الذي أخبرناك به. وقيل: متعلقان بمحذوف خبر مبتدأ محذوف، التقدير: الأمر كذلك. والجملة الاسمية تصلح أن تكون مقولاً لـ: (قال) الأولى، ومقولاً للثانية، وهو الأرجح، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ، لا محلَّ لها؛ لأنها مستأنفة. ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾: ماض، وفاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول للأولى، أو هي مستأنفة. وفيها معنى التأكيد لما قبلها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا

محلَّ له من الإعراب، أو هو توكيد لاسم: (إنَّ)، وعليهما فـ: ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ خبران لـ: (إنَّ). هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، و﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ خبرين عنه؛ فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر: (إنَّ). والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ، في محل نصب مقول القول لـ: (قال) الأولى، وفيها معنى التعليل.

الجزء ٢٧

﴿۞قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿۞قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: فلما تيقن إبراهيم عليه السلام: أنهم ملائكة بإحياء العجل، والبشارة بالولد؛ قال: فما شأنكم، وقصتكم، وفيمَ جئتم أيها المرسلون؟ والخطب: الأمر العظيم. قال البيضاوي: ولعله علم: أن كمال المقصود ليس البشارة؛ لأنهم كانوا عدداً، والبشارة لا تحتاج إلى عدد، ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا، ومريم عليهما السلام، أو لأنهم بشروه في تضاعيف الحال؛ لإزالة الوجل، ولو كانت البشارة تمام المقصود لابتدؤوه بها. انتهى.

﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: الملائكة، ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ أي: كافرين لإهلاكهم، وهم يعنون قوم لوط. ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ أي: لنرجمهم بها. ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أي: معلمة، من السيما، وهي العلامة، قيل: كانت مخططة بسواد، وبياض. وقيل: مكتوب على كل حجر منها اسم من رمي بها، وكانت لا تشاكل حجارة الأرض. ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: عند الله، وقد أعدها لرجم مَنْ قضى برجمه. ثم قيل: كانت مطبوخة طبخ الآجر. قاله ابن زيد، وهو معنى قوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾. هذا، ولا تنسَ أن هذه الحجارة إنما أرسلت عليهم بعد قلب قرى قوم لوط، وهذه الحجارة إنما أرسلت على مَنْ كان خارج هذه القرى من مسافريهم، قيل: إن الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط؛ حتى إن واحداً منهم دخل الحرم، فبقي الحجر معلقاً في السماء أربعين يوماً حتى خرج ذلك الرجل من الحرم، فسقط عليه الحجر، فأهلكه. خذ قوله تعالى في سورة (هود) رقم [٨٣]: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ ومعنى المسرفين: المجاوزين الحد في الفجور، وهو ما عرف عنهم من إتيان الذكور في أدبارهم.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف صلة، أو هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر؛ أي: إن كنتم ملائكة كما تقولون ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَطْبُكُمْ﴾: خبره، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿أَيُّهَا﴾: منادى نكرة مقصودة، حذف منه أداة النداء، مبني على الضم في محل نصب بـ: «يا» المحذوفة، و(ها): حرف تنبيه لا

محل له، وأقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: بدل من: (أي)، أو عطف بيان عليه، أو صفة، فهو مرفوع تبعاً للفظه، وعلامة رفعه الواو. . .إلخ، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أُرْسِلْنَآ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، و(نا): نائب فاعله. ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿مُّجْرِمِينَ﴾: صفة: ﴿قَوْمٍ﴾ مجرور. . .إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ، في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها. هذا؛ والآيتان مذكورتان بحروفهما في سورة (الحجر) رقم [٥٧] و[٥٨].

﴿لِنُرْسِلَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر وجوباً، تقديره: «نحن»، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿أُرْسِلْنَآ﴾. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حِجَارَةً﴾: مفعول به. ﴿مِّن طِينٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿حِجَارَةً﴾. ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: صفة ثانية للحجارة، أو حال منها بعد وصفها بما تقدم، وهي اسم مفعول، فنائب فاعله يعود إلى: ﴿حِجَارَةً﴾. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أيضاً. تأمَّل، وتدبَّر، وربك أعلم، وأجلّ، وأكرم.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ أي: لما أردنا إهلاك قوم لوط؛ أخرجنا من كان في قومه من المؤمنين؛ لئلا يهلك المؤمنون. والضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾ يعود إلى قرى قوم لوط، ولم يجرِ لها ذكر لكونها معلومة. ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾ أي: غير أهل بيت، وهم لوط، وابنتاه. وقيل: كان لوط، وأهل بيته الذين نجوْا ثلاثة عشر. ﴿مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: وصفوا بالإيمان، والإسلام؛ أي هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات. هذا؛ وقال الخطابي وغيره: إن المسلم قد يكون مؤمناً وقد لا يكون، والمؤمن مسلم دائماً، فهو أخصّ، وبهذا يستقيم تأويل الآيات، والأحاديث وقوله تعالى في سورة (الحجرات) رقم [١٤]: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ...﴾ إلخ، يدلُّ على الفرق بين الإيمان، والإسلام، وهو مقتضى حديث جبريل عليه السلام في صحيح مسلم، وغيره.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ أي: تركنا في قرى قوم لوط عبرة، وعلامة لأهل ذلك الزمان، ومن بعدهم، كما في قوله تعالى في سورة (العنكبوت) الآية رقم [٣٥]: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: فإنهم هم المنتفعون بالآيات، دون القاسية قلوبهم، التي لا تتأثر، ولا تتعظ بالآيات، والعبر. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (أخرجنا): فعل، وفاعل. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى: ﴿مَن﴾. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، و﴿مَن﴾ بيان لما أبهم في الموصول، والجملة الفعلية: (أخرجنا...) إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿وَجَدْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿غَيْرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿بَيْتٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿بَيْتٍ﴾، والجملة الفعلية: (ما وجدنا...) إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿وَتَرَكْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (تركنا): فعل، وفاعل. ﴿فِيهَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول به. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَايَةً﴾، وجملة: ﴿يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها، وجملة: (تركنا...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ، صلة الموصول.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ﴾: التقدير: وتركنا أيضاً في قصة موسى آية. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجة ظاهرة، وبرهان واضح، وهي معجزة اليد، والعصا. ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أي: أعرض عن الإيمان بجموعه، وجنوده؛ الذين كان يتقوى، ويعتز بهم. ومنه قوله تعالى في سورة (هود) رقم [٨٠]: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾. وقال ابن عباس، وقتادة: أي بقوته، ومنه قول عنترة: [الوافر]

فَمَا أوهَى مِرَاسُ الحَرْبِ رُكْني ... ولكنْ ما تقدمَ مِنْ زَمَاني

﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحراً، أو مجنوناً. وقال القرطبي: ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو؛ لأنهم قالوها جميعاً، قاله المؤرج، والفراء، وأنشدا بيت جرير: [الوافر]

أثَعْلَبةَ الْفَوَارِسِ أوْ رَيَاحَا ... عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ وَالخِشَابَا

أقول: ومن شواهده أيضاً قول جرير. وهو الشاهد رقم [٩٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

جَاءَ الخِلافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدراً ... كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: فأغرقناهم في البحر. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: آت بما يلام عليه، من كفره، وعناده، وإنما وصف يونس على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام في سورة (الصافات) رقم [١٤٢] بقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ لأنَّ موجبات اللوم تختلف، وعلى حسب اختلافها، تختلف مقادير اللوم، فراكب الكفر ملوم على مقداره، وراكب الكبيرة، أو الصغيرة على مقدارها؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ وقوله جلَّ ذكره: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ لأنَّ الكبيرة، والصغيرة يجمعهما اسم العصيان، كما يجمعهما اسم القبيح، والسيئة.

هذا؛ و(سلطان): تسلط، وولاية، ويأتي بمعنى: الحجة، والبرهان، كما هنا، ويأتي بمعنى: الكتاب. قال تعالى في سورة (الروم) رقم [٣٥]: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾. وقال بعض المحققين: سميت الحجة سلطاناً؛ لأن صاحب الحجة يقهر مَنْ لا حجة له، كالسلطان يقهر غيره بقوته. وقال الزجاج: السلطان هو الحجة، وسُمِّيَ السلطان سلطاناً؛ لأنه حجة الله في أرضه. انتهى. ولا تنسَ ما قاله عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ: (إنَّ الله لَيَزَعُ بالسلطانِ ما لا يزعُ بالقرآنِ) أي: يكف عن المعاصي، ويردع، وجمعه بمعنى الحاكم، والمالك: سلاطين، ولا يجمع إذا كان بمعنى الحجة، والبرهان. هذا؛ وزعم الفراء: أن العرب تؤنث السلطان، تقول: قضت به عليك السلطان، أما البصريون فالتذكير عندهم أفصح، وبه جاء القرآن الكريم، والتأنيث عندهم جائز؛ لأنه بمعنى الحجة. هذا؛ والسلطان ما يدفع به الإنسان عن نفسه أمراً يستوجب به عقوبة، كما قال تعالى حكاية عن قول سليمان ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ في حق الهدهد في سورة (النمل) رقم [٢١]: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

أما ﴿مُّبِينٍ﴾ فهو اسم فاعل من: أبان الرباعي، أصله مُبْيِن بسكون الباء، وكسر الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الباء بعد سلب سكونها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة. ولا تنسَ: أن اسم الفاعل من «بان» الثلاثي بائن أصله باين، وإعلاله مثل إعلال قائل.

الإعراب: ﴿وَفِى﴾: الواو: حرف عطف. (في موسى): قال الزمخشري، ووافقه النسفي، والبيضاوي: معطوفان على قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾ رقم [٢٠]، ورده ابن هشام بقوله: وفيه بعد، وإنما هما معطوفان على: ﴿فِيهَآ﴾ من قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً...﴾ إلخ. وقال الزمخشري أيضاً: أو هما معطوفان على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ على معنى: وجعلنا في موسى آية، كقول الشاعر: وهذا هو الشاهد رقم [١٠٧٤] من كتابنا «فتح القريب المجيب»: [الرجز]

عَــلَــفْــتُــهَــا تِــبْــنــاً وَمَــاءً بَــارِداً حَــتَّــى غَــدَتْ هَــمَّــالَــةً عَــيْــنَــاهَــا

ونقل الجمل عن السمين هذا القول عن الزمخشري، وقول ابن هشام أيضاً. ﴿إِذْ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه متعلق بـ: ﴿ءَايَةً﴾ على قول ابن هشام المتقدم: أي تركنا في قصة موسى علامة في وقت إرسالنا إياه. والثاني: متعلق بمحذوف نعت لـ: ﴿ءَايَةً﴾ أي: آية في وقت إرسالنا. الثالث: أنه متعلق بـ: (تركنا). ﴿أَرْسَلْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة.

﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مُوسَىٰ﴾، أو من ضميره. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة (سلطان). ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: الفاء: حرف عطف. (تولى): فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف، والفاعل يعود إلى: ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَرْسَلْنَٰهُ...﴾ إلخ، فهي في محل جر مثلها. ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. (قال): ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿فِرْعَوْنَ﴾ أيضاً. ﴿سَٰحِرٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو ساحر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿مَجْنُونٌ﴾: معطوف على: ﴿سَٰحِرٌ﴾ عطف مفرد على مفرد. وإن اعتبرته خبراً لمبتدأ محذوف؛ فالعطف يكون عطف جملة على جملة، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَجُنُودَهُۥ﴾: معطوف على الضمير، فهو منصوب مثله. وقيل: مفعول معه، وهو ضعيف لإمكان العطف، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً. ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَفِى عَادٍ﴾ أي: وتركنا في عاد آية لمن تأمل. ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾: وهي التي لا تلقح سحاباً، ولا شجراً، وليس فيها رحمة، ولا بركة، ولا منفعة. ومنه: امرأة عقيم لا تحمل، ولا تلد، كما رأيت في الآية رقم [٢٩]، ثم قيل: هي الجنوب، والأصح: أنها ريح غربية وهي المسماة بالدَّبور، كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «**نُصِرْتُ بالصَّبَا، وأُهلِكَتْ عَادٌ**

بالدَّبُور». وقال عبيد بن عمير: مسكنها الأرض الرابعة، وما فتح الله على عادٍ منها إلا كقدر منخر الثور. وفي الكلام استعارة مكنية، حيث شبه الريح التي لا منفعة فيها من إنشاء مطر، أو تلقيح شجر بالمرأة العاقر؛ التي لا تحمل. ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾: من أنفسهم، وأموالهم، وأنعامهم. ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ أي: كالشيء الهالك البالي، وهو يابس، وديس من نبات الأرض، يقال للنبت إذا يبس، وتفتت: رميم، وهشيم. قال جرير يرثي ابنه: [البسيط]

تَرَكْتَني حينَ كَفَّ الدهرُ مِنْ بصري ... وإذْ بقيتُ كعظمِ الرِّمَّةِ البالي

أي: الهالك البالي، وأصل الكلمة من: رمَّ العظم إذا بلي. وفي سورة (يٰس) قوله تعالى حكاية عن قول الكافر: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾. نقول: رمَّ العظم، يرم بالكسر رِمَّةً، فهو رميم، قال الشاعر: [الكامل]

ورأى عواقبَ خُلْفِ ذاكَ مَذِمَّةً ... تبقى عليْهِ وَالْعِظَامُ رَميمُ

هذا؛ و﴿عَادٍ﴾ اسم للحي، ولذلك صرف، ومنهم من جعله اسماً للقبيلة، ولذلك منعه، و(عاد) في الأصل اسم الأب الكبير، وهو عاد بن عوص بن إرم، بن سام، بن نوح على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، فسميت به القبيلة، أو الحي، وكذلك ما أشبهه من نحو (ثمود) إن جعلته اسماً لمذكر صرفته، وإن جعلته اسماً لمؤنث منعته، ورسول قوم عاد هو هود بن عبد الله، ابن رباح، بن الخلود، بن عاد بن عوص، بن إرم، بن سام، بن نوح. وقال ابن إسحاق: هو هود ابن شامخ، بن أرْفَخْشذ، بن سام، بن نوح. هذا؛ وكان بين هود، ونوح ثمانمئة سنة، وعاش عاد أربعمئة وأربعاً وستين سنة، وقبيلة عاد كانت تسكن الأحقاف من أرض اليمن.

الإعراب: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا﴾: هذا كلام معطوف على قوله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ...﴾ إلخ، وهو مثله في إعرابه في كل ما تقدم. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلرِّيحَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلْعَقِيمَ﴾: صفة: ﴿ٱلرِّيحَ﴾. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿تَذَرُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلرِّيحَ﴾، تقديره هي. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيْءٍ﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿أَتَتْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة؛ لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة؛ التي هي حرف لا محلَّ له، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾، والجملة الفعلية في محل جر صفة شيء على اللفظ. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿جَعَلَتْهُ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلرِّيحَ﴾ أيضاً، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به أول. ﴿كَالرَّمِيمِ﴾: الكاف: اسم بمعنى مثل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به ثان، والكاف مضاف، و(الرميم) مضاف إليه، وجملة: ﴿جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ في محل نصب مفعول به ثان لـ: ﴿تَذَرُ﴾، وجملة: ﴿مَا تَذَرُ...﴾ إلخ، في محل نصب حال من: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا﴾ أي: وفيهم أيضاً عبرة، وآية حين قيل لهم: عيشوا متمتعين بالدنيا. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت الهلاك، وهو ثلاثة أيام، كما قال في سورة (هود) رقم [٦٥]: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾. ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: خالفوا أمر الله، وعقروا الناقة. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: العذاب، وقال صاحب المختار: الصاعقة: نار تسقط من السماء في رعد شديد، يقال: صعقتهم السماء من باب: قطع: إذا ألقت عليهم الصاعقة. والصاعقة أيضاً صيحة العذاب. وكل عذاب مهلك صاعقة. هذا؛ وقال تعالى في سورة (هود) رقم [٦٧]: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ وقال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٧٨]: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ وقال تعالى في سورة (القمر) رقم [٣١]: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً...﴾ إلخ، والمراد فيها بكل معانيها صيحة جبريل عليه السلام. ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينظرون العذاب؛ لأنه نزل بهم نهاراً، أو هو من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما وعدوه من العذاب. ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ أي: فما قدروا على الهرب من العذاب، أو ما قدروا على النهوض بعد نزول العذاب بهم، أو ما قدروا على دفعه عن أنفسهم. وقيل: ما أطاقوه، تقول: لا أقوم لهذا الأمر؛ أي: لا أطيقه. ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ما كانوا ممتنعين من العذاب، بمعنى لم تكن لهم قوة يدفعون العذاب بها، ولم يكن لهم ناصر يمنعهم منه.

هذا؛ و(ثمود) قبيلة أخرى من العرب كـ: (عاد)، سموا باسم أبيهم الأكبر، ثمود بن غابر، بن سام بن نوح، وهو أخو جديس بن غابر. وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز، والشام إلى وادي القرى وما حوله. قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود لقلة مائها، والثمد: الماء القليل، والأول هو المعتمد، وانظر صرفه، وعدمه في الآية رقم [٤١] وقرئ بصرفه شاذاً، ورسول قبيلة ثمود هو صالح بن عبيد، بن آسف، بن ماسح، بن عبيد، بن حاذر، بن ثمود، وليس من أنبياء بني إسرائيل كـ: (هود) وكان بينهما مئة سنة، وعاش صالح مئتين وثمانين سنة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ﴾: هو مثل ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ﴾ رقم [٣٨]. ﴿قِيلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿تَمَتَّعُوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع نائب فاعل: ﴿قِيلَ﴾. أفاده ابن هشام في مغنيه، وهذا يكون جارياً على القاعدة العامة: «يحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه» وهذا لا غبار عليه، وقد ذكرت لك مراراً: أن بعضهم يعتبر نائب

الفاعل ضميراً مستتراً تقديره: «هو» يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف، يدلُّ عليه المقام؛ أي: وقيل قول، وبعضهم يعتبر الجار والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ في محل رفع نائب فاعل، والمعتمد الأول، وأيده ابن هشام في «المغني» حيث قال: إن الجملة التي يراد بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات، ولهذا تقع مبتدأ، نحو: «**لا حَوْلَ ولا قوةَ إلا بالله كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ**» ونحو: «**زعموا مَطِيَّةُ الكذبِ**». وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها.

﴿فَعَتَوْاْ﴾: الفاء: حرف عطف. (عتوا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ، فهي في محل جر مثلها. ﴿عَنْ أَمْرِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿أَمْرِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: الفاء: حرف عطف. (أخذتهم): فعل ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَنظُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: «هم ينظرون» في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. وقيل: عاطفة، والأول أقوى. (ما): نافية. ﴿ٱسْتَطَٰعُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿قِيَامٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه. ﴿مُنتَصِرِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، وجملة: ﴿كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: (قوم): اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: رهط، ومعشر. . .إلخ، وهو يطلق على الرجال دون النساء بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ...﴾ إلخ، الآية رقم [١١] من سورة (الحجرات). وقال زهير بن أبي سلمى المزني: [الوافر]

وَمَـــا أدْرِي وَسَـــوْفَ إخَـــالُ أَدْرِي ... أَقَـــوْمٌ آلُ حِـــصْـــنٍ أَمْ نِـــسَـــاءُ؟

وربما دخل فيه النساء على سبيل التبع للرجال، كما في إرسال الرسل لأقوامهم؛ إذ إن كل لفظ (قوم) في القرآن، إنما يراد به الرجال، والنساء جميعاً، وهو يذكر، ويؤنث، قال تعالى في سورة (الشعراء) الآية [١٠٥]: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وتأنيثه باعتبار المعنى، وهو أنهم أمة وطائفة وجماعة سُمُّوا قوماً؛ لأنهم يقومون مع داعيهم بالشدائد، والمتاعب، إما بالمعاونة معه على كشفها، وإما بالإيذاء، والمضايقة؛ إن عارضوه، وهذا شأن أعداء الخير، والإصلاح في كل زمان، ومكان.

هذا؛ و﴿نُوحٍ﴾ اسمه: السكن. وقيل: عبد الغفار، وسمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه، وهو ابن لَمَكَ بن متوشْلِح بن أخنوخ، وهو إدريس النبي، وكان نوح نجاراً، واختلفوا في سبب نوحه، فقيل: لدعوته على قومه بالهلاك. وقيل: لمراجعته ربَّه في شأن ابنه كنعان. وقيل: لأنه مرَّ بكلب مجذوم، فقال له: اخسأ يا قبيح! فأوحى الله إليه: أعبتني، أم عبت الكلب؟! وقيل: أنطق الله الكلب، فقال له: أتسخر من الخالق، أم من المخلوق؟ ونوح أول رسول بعث بشريعة، وأول نذير على الشرك، وأنزل الله عليه عشر صحائف.

وهو أول من عذبته أمته لردهم دعوته، وأهلك الله أهل الأرض بدعائه، وكان أبا البشر كآدم، على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام، وكان أطول الأنبياء عمراً، عمَّر ألفاً وخمسين سنة. وقيل: عمر ألفاً ومئتين وخمسين سنة، ولم تنقص قوته، ولم يشب، ولم تسقط له سن، وصبر على إيذاء قومه طول عمره، وكان أبواه مؤمنين بدليل دعوته لهما بالمغفرة في الآية الأخيرة من السورة المسماة باسمه، ويروى: أنَّ جبريل عليه السلام قال له: يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا؟ قال: وجدتها كدار لها بابان، دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر. وبشريعته غيرت بعض أحكام شريعة آدم، ولا سيما تحريم زواج الأخوات.

هذا؛ و﴿فَٰسِقِينَ﴾ جمع: فاسق، وأصل الفسق: الخروج عن القصد، والفاسق في الشرع: الخارج عن أمر الله بارتكاب المعاصي، وله ثلاث درجات: الأولى: التغابي، وهو أن يرتكب الكبيرة أحياناً مستقبحاً إياها. والثانية: الانهماك، وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبالٍ بها. والثالثة: الجحود، وهو أن يرتكبها مستصوباً إياها. فإذا شارف هذا المقام، وتخطى خططه؛ خلع ربقة الإيمان من عنقه، ولابس الكفر. وما دام في درجة التغابي، أو الانهماك؛ فلا يسلب عنه اسم المؤمن؛ لاتصافه بالتصديق، الذي هو مسمى الإيمان.

هذا؛ وقال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: الفسوق: الخروج من الشيء، والانسلاخ منه، يقال: فسقت الرطبة عن قشرها. ومن مقلوبه: فقست البيضة: إذا كسرتها، وأخرجت ما فيها، ومن مقلوبه أيضاً: قفست الشيء إذا أخرجته عن يد مالكه مغتصباً له عليه، ثم استعمل في الخروج عن القصد، والانسلاخ من الحق، قال رؤبة: [الرجز]

فَـوَاسِـقـاً عَـنْ قَـصْـدِهَـا جَـوَائِـرَا

الإعراب: ﴿وَقَوْمَ﴾: يقرأ بالجر عطفاً على ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ أو على: ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾، أو على: ﴿وَفِي عَادٍ﴾، أو على: ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ وهذا هو الظاهر لقربه وبعد غيره، ولم يذكر الزمخشري غيره، فإنه قال: قرئ بالجر على معنى: وفي قوم نوح، ويقويه قراءة عبد الله (وفي قوم نوح) ولم يذكر أبو البقاء غير الوجه الأخير لوضوحه، وهو العطف على: ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾.

هذا؛ ويقرأ بالنصب، وفيه ستة أوجه: أحدها: أنه منصوب بفعل مضمر؛ أي: وأهلكنا قوم نوح لأنَّ ما قبله يدلُّ عليه، الثاني منصوب بـ: «اذكر» مقدراً، ولم يذكر الزمخشري غيرها. الثالث: أنه منصوب عطفاً على مفعول (أخذناه). الرابع: أنه معطوف على مفعول ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ وناسب ذلك أن قوم نوح مغرقون من قبل، لكن يشكل بأنهم لم يغرقوا في اليم، وأصل العطف يقتضي التشريك في المتعلقات. الخامس: أنه معطوف على مفعول: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ وفيه إشكال؛ لأنهم لم تأخذهم الصاعقة، وإنما أهلكوا بالطوفان، إلا أن يراد بالصاعقة: الداهية، والنازلة العظيمة من أي نوع كانت، فيقرب ذلك. السادس: أنه معطوف على محل: ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ نقله أبو البقاء، وهو ضعيف.

كما يقرأ بالرفع على أنه مبتدأ، والخبر مقدر؛ أي: أهلكناهم، وقال أبو البقاء: والخبر ما بعده، يعني قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. انتهى. جمل نقلاً عن السمين بتصرف كبير. و(قوم) مضاف، و﴿نُوحٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مِّن قَبْلُ﴾: متعلقان بأحد الأفعال المقدرة التي رأيتها، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً.

﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء في محل نصب اسمها. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿قَوْمًا﴾: خبر (كان). ﴿فَاسِقِينَ﴾: صفة: ﴿قَوْمًا﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿كَانُوا...﴾ إلخ، في محل رفع خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية، لا محلَّ لها على الاعتبارين، وفي محل رفع خبر على قول رأيته لأبي البقاء.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)﴾

الشرح: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ أي: جعلناها بناءً محكماً، وسقفاً محفوظاً رفيعاً، قال تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٣٢]: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾. ﴿بِأَيْيدٍ﴾: هذه الآية من المتشابهات، ومثلها الآية في سورة (صۤ) رقم [٧٥]: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وأيضاً الآية رقم [١٠] من سورة (الفتح): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ

فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وفي ذلك مذهبان: مذهب السلف: التفويض، يقولون: لله يد تليق به لا نعلمها. ومذهب الخلف: التأويل، يقولون: اليد بمعنى القدرة، والقوة، والإرادة. انظر تفسير الآيتين في محلهما من سورة (صٓ) وسورة (الفتح) ففيهما بحث كافٍ ضافٍ والحمد لله.

هذا؛ واليد تستعمل في الأصل للجارحة، وتطلق، ويراد بها القوة، والقدرة كما رأيت آنفاً، وخذ قول عروة بن حزام العذري، وهو الشاهد رقم [١١٦] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الطويل]

وَحُمِّلْتُ زَفْرَاتِ الضُّحَىٰ فأطقْتُهَا   وَمَالِي بِزَفْرَاتِ الْعَشِيِّ يَدَانِ

قال تعالى في سورة (يس) رقم [٧١]: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ كما تطلق على النعمة، والمعروف؛ يقال: لفلان يد عندي؛ أي: نعمة، ومعروف، وإحسان. وتطلق على الحيلة، والتدبير، يقال: لا يد لي في هذا الأمر؛ أي: لا حيلة لي فيه، ولا تدبير. وينبغي أن تعلم أن (الأيد) في هذه الآية مفرد، وليس بجمع، ومثلها قوله تعالى في سورة (صٓ) رقم [١٧]: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: لقادرون. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. والمعنى: إنا لذو سعة بخلقها، وخلق غيرها لا يضيق، ولا يصعب علينا شيء نريده. وقيل: المعنى: قد وسعنا أرجاءها، ورفعناها بغير عمد؛ حتى استقلت كما هي، وكما ترونها. ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ أي: بسطناها كالفرش على وجه الماء، ومددناها؛ لتستقروا، وهذا لا ينافي ما قيل في العصر الحديث: إنها كروية الشكل، فإنها لعظمها ترى في العين مثل الفراش المبسوط: قال تعالى في سورة (الحجر) رقم [١٩] وسورة (ق) رقم [٧]: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾. وفي الخازن: ويمكن أن يقال: إن الكرة إذا كانت كبيرة عظيمة، فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم، فحصل الجمع بين القول بكرويتها، والقول ببسطها، ومع ذلك فالله تعالى أخبر: أنه مدَّ الأرض، وأنه دحاها، وبسطها، وكل ذلك يدل على التسطيح، والله تعالى أصدق قيلاً، وأبين دليلاً من أصحاب الهيئة. هذا؛ وقد أثبت كروية الأرض الآلوسي، والفخر الرازي، كما ستقف عليه في سورة (النبأ) و(النازعات) إن شاء الله تعالى.

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾: يقال: مهدت الفرش مهداً: بسطته، ووطأته. وتمهيد الأمور: تسويتها، وإصلاحها. وتمهيد العذر: بسطه وقبوله. هذا؛ و(نِعْمَ) فعل ماض جامد لإنشاء المدح، وضدها «بئس» لإنشاء الذم. قال في المختار: «نِعْم» منقول من نَعِم فلان (بفتح النون وكسر العين): إذا أصابه النعمة، و«بِئْس» منقول من بَئِس فلان (بفتح الباء وكسر الهمزة): إذا أصابه بؤس. فنقلا إلى المدح والذم، فشابها الحروف، فلم يتصرفا، وفيهما أربع لغات: نِعْم وبِئْس، بكسر فسكون، وهي لغة القرآن. ثم نِعِم وبِئِس، بكسر أولهما، وثانيهما، غير أنَّ الغالب في نِعِم أن يجيء بعدها (ما) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ سورة (النساء) رقم [٥٨]، وقوله تعالى:

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ سورة (البقرة) رقم [٢٧١]. وبئس جاءت بعدها (ما) على اللغة الفصحى كقوله تعالى: (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ) وقد تكرر هذا التركيب في القرآن كثيراً، واللغة الثالثة: نَعْم، وبَئْس بفتح، فسكون، والرابعة: نَعِم، وبَئِس بفتح فكسر، وهي الأصل فيهما.

ولا بد لهما من شيئين: فاعل، ومخصوص بالمدح، أو الذم، ويشترط في الفاعل أن يكون مقروناً بـ: «أل»، كما في قوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾، أو مضافاً لمقترن بها. كما في قوله تعالى: (نِعْمَ عُقْبى الدَّارِ). والقول بفعليتهما إنما هو قول البصريين، والكسائي بدليل دخول تاء التأنيث عليهما في قول الرسول ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ يَوْم الجمعةِ فبها ونِعْمَتْ، وَمَنِ اغْتسلَ؛ فالغُسْلُ أفضَلُ**». وقال الكوفيون إلا الكسائي: هما اسمان بدليل دخول حرف الجر عليهما في قول أعرابي، وقد أخبر بأن امرأته ولدت بنتاً له: (والله ما هِيَ بِنِعْمَ الولدُ، نَصْرُهَا بُكاءٌ، وبِرُّهَا سَرِقَةٌ). وقول غيره: (نِعْمَ السيرُ على بِئْسِ العَيْرُ). وأوله البصريون على حذف كلام مقدر؛ إذ التقدير: (والله ما هي بولدٍ مقولٍ فيه: نِعمَ الولدُ) و(نعم السيرُ على عَيْرٍ مَقُولٍ فيه: بئس العَيْرُ). والمعتمد في ذلك قول البصريين، ويلزم الكوفيين جر الولد والعَيْر بسبب الإضافة، والرواية بالرفع لا غير.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: صنفين، ونوعين مختلفين. قال ابن زيد: أي: ذكراً، وأنثى، وحلواً، وحامضاً، ونحو ذلك. وقال مجاهد: يعني الذكر، والأنثى من كل شيء، من السماء، والأرض، والشمس، والقمر، والليل، والنهار، والنور، والظلمة، والسهل، والجبل، والجن، والإنس، والخير، والشر، والبكرة، والعشي، وكالأشياء المختلفة الألوان من الطعوم، والأراييح، والأصوات؛ أي: جعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا، ومن قدر على هذا فإنه يقدر على الإعادة. انتهى. قرطبي، ويضاف زوجية بين الإيمان والكفر، والجنة والنار، والسعادة والشقاوة، حتى الحيوانات والنباتات.

هذا؛ وقد قال الله تعالى في سورة (يس) رقم [٣٦]: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال محمد علي الصابوني: سبحان الله ما أعظم قدرة الله، لقد كان السائد: أن الزوجية إنما تكون بين الإنسان، والحيوان فقط، وجاء القرآن بالمعجزة الباهرة المثبتة لما اكتشفه العلم الحديث منذ زمن قريب، وهي أن الزوجية بين الإنسان والحيوان، والنبات، والذَّرَّة، وسائر الكائنات، فقد ثبت: أن الذرَّة، وهي أصغر أجزاء المادة، مؤلفة من زوجين مختلفين من الإشعاع الكهربائي، سالب، وموجب، يتزاوجان، فيتحدان. وإن بين النبات أعضاء مذكرة، وأعضاء مؤنثة، فسبحان العلي القدير القائل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ...﴾ إلخ انتهى. هذا؛ وقوله تعالى هنا: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ عمّم الزوجية في النبات، والإنسان، وفي كل شيء مما نعلمه، ومما لا نعلمه، فسبحان الإله العلي القدير العليم، الذي أحاط علمه بكل الأكوان، وأحصى كل شيء عدداً.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أصل الفعل: تتذكرون، حذفت إحدى التاءين للتخفيف، وهذا الحذف تجده في كثير من الآيات. هذا؛ والترجي في هذه الآية، وأمثالها إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأنَّ الله تعالى لا يحصل منه ترجٍّ ورجاء لعباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الإعراب: ﴿وَالسَّمَاءَ﴾: الواو: حرف استئناف. (السماء): منصوب على الاشتغال بفعل محذوف، يفسّره المذكور بعده، وقدَّر أبو البقاء المحذوف بقوله: «رفعنا السماءَ» والأول أقوى، وأولى؛ لأنَّ تقديره يصار إليه عند تعذُّر الموافق لفظاً، نحو زيداً مررت به، وزيداً ضربت غلامه. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿بَنَيْنَاهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها مفسّرة للجملة المقدرة قبلها. ﴿بِأَيْيدٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من (نا)، أو من (ها)؛ أي: ملتبسين، أو ملتبسة بقوة، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل. و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَمُوسِعُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة، (موسعون): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. والجملة الاسمية: (إنا لموسعون) في محل نصب حال من: (نا)، والرابط: الضمير فقط.

﴿وَالْأَرْضَ﴾: منصوب على الاشتغال بفعل محذوف يفسره المذكور بعده مثل سابقه. هذا؛ وقرأ أبو السمال، وابن مقسم برفعهما على الابتداء، والخبر ما بعدهما، والنصب أرجح لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها، لذا فالقراءة فوق السبعة. ﴿فَنِعْمَ﴾: الفاء: حرف عطف. (نعم): ماض جامد لإنشاء المدح. ﴿الْمَاهِدُونَ﴾: فاعل (نعم) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: نحن، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَمِن﴾: الواو: حرف استئناف. (من كل): متعلقان بما بعدها، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. هذا؛ وأجيز تعليق الجار والمجرور بمحذوف حال من: ﴿زَوْجَيْنِ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. والأول أقوى معنى. ﴿زَوْجَيْنِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه مثنى، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبّه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (لعلَّ)، والجملة لا محلَّ لها؛ لأنها تعليلية.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد للناس أجمعين: اهربوا من عذاب الله إلى ثوابه بالإيمان، والطاعة له، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. فروا منه إليه، واعملوا بطاعته.

وقال أبو بكر الوراق: فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ﴾ أي: من عذابه، وعقابه المعد لمن أشرك، أو عصى. ﴿نَذِيرٌ﴾: مخوف. ﴿مُّبِينٌ﴾ أي: بين الرسالة بالحجة الظاهرة، والمعجزة الباهرة، والبرهان القاطع. ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ أي: وحِّدوه، ولا تشركوا به شيئاً. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: قيل: إنما كرر هذه الجملة عند الأمر بالطاعة، والنهي عن الشرك ليعلم: أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل، كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان، وأنه لا يفوز برضا الله، ودخول الجنة إلا الجامع بينهما، ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١٥٨]: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾. انتهى. خازن بتصرف. وهذا ذكرته مراراً، وسميته بالاحتراس. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَفِرُّوا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: إذا علمتم: أن الله فرد لا نظير له؛ ففروا إليه، ووحدوه، ولا تشركوا به شيئاً. والكلام كله في محل نصب مقول القول لقول مقدَّر، كأنه قيل: قل لهم: إذا كان الأمر كذلك؛ ففروا... إلخ، (فروا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم: اسمها. ﴿لَكُم مِّنْهُ﴾: جار ومجرور كلاهما متعلقان بـ: ﴿نَذِيرٌ﴾ بعدهما. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر (إن). ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي﴾، تعليل للأمر، وهي من جملة مقول القول المقدر.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا تجعلوا): مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله. وقيل: مفعول به ثان مقدم على الأول، و﴿مَعَ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَٰهًا﴾: مفعول به. ﴿آخَرَ﴾: صفة له، والجملة: (لا تجعلوا...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى تكذيب قريش النبي ﷺ، وتسميتهم إياه ساحراً، أو مجنوناً، وفيه تسلية له ﷺ؛ أي: كما كذبك قومك، وقالوا: ساحر، أو مجنون؛ كذب من قبلهم، وقالوا مثل قولهم. ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ...﴾ إلخ: فهذا تفسير لفحوى الإشارة المذكورة.

الإعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الأمر، والشأن، والقصة مثل ذلك. وإن اعتبرت المحل للكاف فلست مفنداً، وتكون مضافة، واسم الإشارة في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. هذا؛ وأجيز

اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف صفة مفعول مطلق محذوف مع عامله، التقدير: أنذركم إنذاراً مثل إنذار من تقدمني من الرسل؛ الذين أنذروا قومهم. ولا يجوز أن يكون العامل: ﴿أَتَى﴾ لأنَّ ما بعد ﴿مَآ﴾ النافية، لا يعمل فيما قبلها. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَتَى﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿مِن قَبۡلِهِم﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿رَّسُولٍ﴾: فاعل: ﴿أَتَى﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿مَآ أَتَى...﴾ إلخ مفسرة لمفهوم اسم الإشارة، لا محلَّ لها مثله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾: ماض، وفاعله. ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾: هو مثل الآية رقم [٣٩] بلا فارق، وجملة: ﴿قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال.

﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ۝٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥﴾

الشرح: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ أي: هل أوصى أولهم آخرهم، وبعضهم بعضاً بالتكذيب، وتواطؤوا عليه؟! وفيه توبيخ لهم. ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ أي: لم يتواصوا بهذا القول؛ لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد، بل جمعتهم على ذلك علَّة واحدة، هي الطغيان، وهو الحامل لهم على ذلك. ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ أي: فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة، فلم يجيبوا عناداً، واستكباراً. ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ أي: فلا لوم عليك في إعراضك عنهم بعدما بلغت الرسالة، وبذلت مجهودك في التبليغ، والدعوة، وما قصرت فيما أمرت به.

﴿وَذَكِّرۡ﴾: الناس بالقرآن، وعظهم به. ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: خصَّ المؤمنين بالمنفعة؛ لأنهم هم المنتفعون بالذكرى، ولكن في هذه الأيام قليلاً ما تجدي الذكرى، وتنفع الموعظة، والنصيحة، وذلك بسبب كثرة المعاصي، وأكل الحرام. قال تعالى في سورة (المطففين): ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾. روي أنه لما نزلت: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ حزن رسول الله ﷺ، واشتدَّ ذلك على أصحابه، ورأوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، فأنزل الله: ﴿وَذَكِّرۡ...﴾ إلخ، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ والتولي، والإعراض، والإدبار عن الشيء يكون بالجسم، ويستعمل في الإعراض عن الأمور المعنوية، والاعتقادات اتساعاً، ومجازاً، أما الطغيان؛ فهو مجاوزة الحد. يقال: طغى، يطغى، وطغا، يطغو: إذا جاوز الحد، وكل مَتجاوز حده في العصيان طاغ، وكل مسرف في الظلم، والمعاصي طاغ، وطغى البحر: هاجت أمواجه، وطغى السيل: جاء بماء كثير. قال تعالى في سورة (الحاقة) رقم [١١]: : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾.

الإعراب: ﴿أَتَوَاصَوْا﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. (تواصوا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة، لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿هُمْ قَوْمٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿طَاغُونَ﴾: صفة: ﴿قَوْمٌ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿فَتَوَلَّ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (تول): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً منهم وواقعاً؛ فتول. ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿فَمَآ﴾: الفاء: حرف تعليل. (ما) : نافية حجازية تعمل عمل: «ليس»، ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسم (ما). ﴿بِمَلُومٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (ملوم): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية لا محلَّ لها؛ لأنها تعليل للأمر. ﴿وَذَكِّرْ﴾: الواو: حرف عطف، (ذكر): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (تول...) إلخ لا محلَّ لها مثلها. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾: اسم (إنَّ) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿تَنفَعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل تقديره هي، يعود إلى الذكرى، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: (إن...) إلخ تعليل للأمر، لا محلَّ لها. ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مفعول به منصوب... إلخ.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا خَلَقْتُ...﴾ إلخ: قيل: هذا خاص بأهل طاعته من الفريقين، يدلُّ عليه قراءة ابن عباس - رضي الله عنهما -: (وما خلقتُ الجنّ والإنسَ من المؤمنين إلا لِيَعْبُدُون). وقيل: معناه: وما خلقت السعداء من الجن، والإنس إلا لعبادتي، والأشقياء منهم إلا لمعصيتي، وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة، والسعادة. وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا لآمرهم أن يعبدوني، وأدعوهم إلى عبادتي. وقيل: معناه: إلا ليعرفوني. وهذا حسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده، وتوحيده. وقيل: معناه: إلا ليخضعوا لي، ويتذللوا؛ لأنَّ معنى العبادة في اللغة: التذلل، والانقياد، وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله،

متذلل للمشيئة، لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق له. وقيل: معناه: إلا ليوحِّدوني، فأما المؤمن؛ فيوحده اختياراً في الشدَّة والرخاء، وأما الكافر؛ فيوحده اضطراراً في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء. انتهى. خازن بحروفه.

وقال سليمان الجمل: إن معنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا مهيئين، ومستعدين ليعبدون، بأن خلقت فيهم العقل، والحواس، والقدرة، التي تتحصل بها العبادة، وهذا لا ينافي تخلف العبادة بالفعل من بعضهم؛ لأن هذا البعض، وإن لم يعبد الله، لكن فيه التهيؤ، والاستعداد الذي هو الغاية بالحقيقة. انتهى. نقلاً عن شيخه.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي: ما أريد منهم أن يرزقوا أحداً من خلقي، ولا أن يرزقوا أنفسهم؛ لأني أنا الرزاق، المتكفل لعبادي بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي: أن يطعموا أحداً من خلقي، وإنما أسند الإطعام إلى نفسه؛ لأنَّ الخلق كلَّهم عيال الله. أو من أطعم عيال أحد؛ فقد أطعمه. لما صحَّ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عزَّ وجل يوم القيامة: «**يا بن آدم مرضْتُ، فلمْ تعدْني! قال: يا رب كيف أعودك؛ وأنت ربُّ العالمين؟! قال: أما علمتَ: أن عبدي فلاناً مرض، فلمْ تعدْهُ، أما علمت أنكَ لو عدته؛ لوجدتني عنده؟! يا بن آدم استطعمتك، فلم تطعمني! قال: يا رب كيف أطعمك؛ وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمْتَ: أنه استطعمك عبدي فلان، فلم تطعمه؟! أما علمت أنك لو أطعمته؛ لوجدت ذلك عندي؟! يا بن آدم استسقيتك فلم تسقني! قال: يا رب كيف أسقيك؛ وأنت ربُّ العالمين؟! قال: أما علمت: أنه استسقاك عبدي فلانٌ، فلم تسقِهِ؟! أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي**». أخرجه مسلم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾: الذي يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق: من إنسان، أو حيوان، أو هوام... إلخ، قال تعالى في سورة (هود) رقم [٦]: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾. وقال تعالى في سورة (العنكبوت) رقم [٦٠]: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وفي الكشاف: يريد إن شأني مع عبادي: ليس كشأن السادة مع عبيدهم، فإن ملاك العبيد إنما يملكونهم؛ ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم، وأرزاقهم، فإما مجهز في تجارة؛ ليفيء ربحاً، أو مرتب في فلاحة؛ ليغتل أرضاً، أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته، أو محتطب، أو محتشٍ، أو مستقٍ، أو طابخ، أو خابز، وما أشبه ذلك من الأعمال، والمهن؛ التي هي تصرف في أسباب المعيشة، وأبواب الرزق، فأما مالك ملك العبيد، فقد قال لهم: اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم، ولا أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي، ولا رزقكم، وأنا غني عنكم، وعن مرافقكم، ومتفضل عليكم برزقكم، وبما يصلحكم، ويعيشكم من عندي، فما هو إلا أنا وحدي. انتهى. بحروفه.

هذا؛ وجاء في حديث قدسي، يقول الله عزَّ وجل: «**يا عبادي! ما خلقتكمْ لأستأنسَ بكم من وحشة، ولا لأستكثر بكمْ من قلة، ولا لأعتزَّ بكمْ مِنْ ذلة، ولكني خلقتكم لتعبدوني طويلاً، وتسبِّحوني كثيراً، وتذكروني بكرة وأصيلاً**». بعد هذا لعلّك تدرك معي: أنه حصل التفات من الخطاب في الآيات السابقة إلى التكلم في هذه الآيات، ثم منه إلى الغيبة في الآية الأخيرة.

وللالتفات فوائد كثيرة: منها تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر، والملال، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد، هذه فوائده العامة، ويختص كل موضع بنكت، ولطائف باختلاف محلِّه، كما هو مقرر في علم البديع، ووجهه: حثُّ السامع، وبعثه على الاستماع، حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عنايته، وخصَّصه بالمواجهة.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿خَلَقْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلْجِنَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿وَٱلْإِنسَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام العاقبة، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿خَلَقْتُ﴾. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أُرِيدُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية في محل نصب حال من تاء الفاعل، والرابط: الضمير فقط. ﴿مِنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿رِّزْقٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أُرِيدُ﴾: مضارع، وفاعله تقديره: «أنا». ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يُطْعِمُونِ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن»، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: (ما أريد...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾: خبره. ﴿ذُو﴾: خبر ثان مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه من الأسماء الخمسة. و﴿ذُو﴾: مضاف، و﴿ٱلْقُوَّةِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ، مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿ٱلْمَتِينُ﴾: برفعه وفيه أوجه: إما النعت لـ: ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾، وإما النعت لـ: ﴿ذُو﴾ وإما النعت لاسم ﴿إِنَّ﴾ على الموضع، وهو مذهب الجرمي، والفراء، وغيرهما، وإما خبر بعد خبر، وإما خبر مبتدأ مضمر وعلى كل تقدير فهو تأكيد؛ لأن ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ يفيد فائدته. وقرئ بالجر على أنه صفة لـ: ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾، وإنما ذكر وصفها لكون تأنيثها غير حقيقي. انتهى. جمل. نقلاً.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩﴾

الشرح: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: رسول الله ﷺ ـ وهم أهل مكة ـ بالإيذاء، والتكذيب. ﴿ذَنُوبًا﴾ أي: نصيباً من العذاب. ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ أي: مثل نصيب أصحابهم، ونظائرهم؛ الذين هلكوا قبلهم، مثل قوم نوح، وثمود، وعاد، وغيرهم. قال ابن الأعرابي: يقال: يوم ذَنوب؛ أي: طويل الشر لا ينقضي، وأصل الذنوب في اللغة: الدلو العظيمة، فاستعير للنصيب من (العذاب)، وكانوا يستقون الماء، فيقسمون ذلك على الأنصباء، فقيل للذنوب: نصيباً من هذا، قال الراجز: [الرجز]

إنَّا إِذَا شَارَبَنَا شَرِيبُ ... لَهُ ذَنُوبٌ ولنا ذَنُوبُ
فَإِنْ أَبَى كَانَ لَهُ القَلِيبُ

وقال علقمة بن عبدة من قصيدة مدح بها الحارث بن أبي شمر الغساني، وكان أخوه شاس أسيراً عنده: [الطويل]

وأنْتَ الَّذِي آثارُهُ فِي عَدُوِّهِ ... مِنَ البؤسِ والنعمى لَهُنَّ نُدُوبُ
وفي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ ... فَحُقَّ لشأسٍ مِنْ نداكَ ذَنُوبُ

والذنوب: الدلو الملأى ماء، تؤنث، وتذكر، ولا يقال لها وهي فارغة: ذنوب، والجمع في القليل: أذنبة، والكثير: ذنائب: مثل: قلوص، وقلائص. انظر ما ذكرته تبعاً لشرح (كأس) في الآية رقم [٢٣] من سورة (الطور). ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي: فلا يستعجلون نزول العذاب بهم؛ لأنهم قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ رقم [٣٢] من سورة (الأنفال)، فنزل بهم يوم بدر ما حقق به وعده، وعجل بهم انتقامه، ثم لهم في الآخرة العذاب الدائم، والخزي القائم؛ الذي لا انقطاع له، ولا نفاد، ولا غاية، ولا آباد، وانظر شرح العجلة في الآية رقم [١٦] من سورة (القيامة).

الإعراب: ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إنَّ): حرف مشبَّه بالفعل، ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) مقدم. ﴿ظَلَمُواْ﴾: ماضٍ مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿ذَنُوبًا﴾: اسم: (إنَّ) مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِّثْلَ﴾: صفة: ﴿ذَنُوبًا﴾، وهو مضاف، و﴿ذَنُوبِ﴾ مضاف إليه. و﴿ذَنُوبِ﴾: مضاف، و﴿أَصْحَٰبِهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ما ذكر

حاصلاً، وواقعاً؛ فلا. . . إلخ. (لا): ناهية. ﴿يَسْتَعْجِلُونِ﴾: مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة، المدلول عليها بكسرة النون مفعول به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ المراد به: يوم القيامة. وقيل: يوم بدر. والأول أولى، وأقوى وقد وضع الموصول موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالكفر، وإشعاراً بعلة الحكم، والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم، على أن لهم عذاباً عظيماً، كما أن الفاء الأولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك. هذا؛ وانظر شرح: (ويل) في الآية رقم [٦٥] من سورة (الزخرف).

الإعراب: ﴿فَوَيْلٌ﴾: الفاء: حرف استئناف. (ويل): مبتدأ، وساغ الابتداء به؛ لأنه متضمن معنى الدعاء. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِن يَوْمِهِمُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان. هذا؛ وإن علَّقت: ﴿لِّلَّذِينَ﴾ بـ: (ويل)؛ فهما متعلقان بمحذوف خبر واحد لا تعدد فيه. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة: ﴿يَوْمِهِمُ﴾. ﴿يُوعَدُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف، التقدير: الذي يوعدونه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجلُّ، وأكرم، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم، والحمد لله رب العالمين.

انتهت سورة (الذاريات)، بحمد الله وتوفيقه.

شرحاً وإعراباً.

 

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة (الطور) وهي مكية، وهي تسع وأربعون آيةً، وثلاثمئة واثنتا عشرة كلمةً، وألف وخمسمئة حرف. انتهى. خازن. وروى الأئمة عن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بـ: (الطور) في المغرب. متفق عليه. انتهى. قرطبي.

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾

الشرح: في مطلع هذه السورة الكريمة أقسام خمسة، جوابها قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ والواو الأولى للقسم، والواوات بعدها للعطف، كما قال الخليل. انتهى. خطيب، أو كل واحد منها للقسم، كما قاله السمين. أقول: والأول أقوى؛ لأن الثاني يحوج إلى تقدير جواب لكل قسم، وقد بينت ذلك في الشاهد رقم [٨٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، وخذه وهو من قول أبي صخر الهذلي: [الطويل]

أَمَا والَّذي أَبْكى وأضحكَ وَالَّذي ... أَمَاتَ وأَحيا والَّذي أمرُهُ الأَمْرُ

لَقَدْ تركتني أحْسُدُ الوحشَ أنْ أرى ... أَلِيفَيْنِ مِنها لا يَرُوعُهُما الذُّعْرُ

﴿وَٱلطُّورِ﴾: اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، أقسم الله به تشريفاً له، وتكريماً، وتذكيراً لما فيه من الآيات، وهو أحد جبال الجنة، والمراد به طور سينا. وقيل: هو بمدين، وهو ضعيف. ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ أي: مكتوب، يعني: القرآن يقرؤه المؤمنون من المصاحف، ويقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ، كما قال تعالى في سورة (الواقعة): ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ وقيل: المراد به: التوراة؛ التي كتبها الله لموسى. وموسى يسمع صرير الأقلام. وقيل: هو اللوح المحفوظ. وقيل: هو ما تسجله الحفظة، والكتبة من أعمال بني آدم، يخرج إليهم يوم القيامة منشوراً، فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله. ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾: والرق: كل ما يكتب عليه جلداً كان، أو غيره. قاله الراغب.

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ أي: معمور بكثرة من يطوفون فيه، وهو بيت في السماء السابعة، قدام العرش بحيال الكعبة، يقال له: الضُّراح، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض. وصح في

حديث المعراج من أفراد مسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ رأى البيت المعمور في السماء السابعة، قال: «**فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه**». وفي رواية أخرى: «**قال: فانتهيت إلى بناء، فقلت للملك: ما هذا؟ قال: بناء بناه الله للملائكة، يدخل فيه سبعون ألف ملك، لا يعودون، يسبحون الله، ويقدسونه**». وفي أفراد البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. عن النبي ﷺ: أنه رأى البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك. انتهى. خازن، وقرطبي بتصرف.

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾: المراد به: السماء سماها سقفاً؛ لأنها للأرض كالسقف للبيت. وانظر الآية رقم [٤٧] من سورة (الذاريات). ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ أي: الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور، وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وذلك ما روي: أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة، فيزاد بها في نار جهنم، ودليل هذا قوله تعالى في سورة (التكوير): ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ وقيل: المسجور: المملوء، وأنشد النحويون للنمر بن تولب الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [المتقارب]

إذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً تَرى حَوْلَها النَّبْعَ والسَّاسَمَا

يريد وَعَلاً يطالع عيناً مسجورة مملوءةً ماءً. وقيل: المسجور: اليابس؛ الذي ذهب ماؤه، ونضب. وقيل: هو المختلط العذب بالملح. والمعتمد الأول، وانظر سورة (التكوير).

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ أي: إنه لحق، ونازل بالمشركين في الدنيا وفي الآخرة، قال جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ: قدمت المدينة لأسأل رسول الله ﷺ في أسارى بدر، فوافيته يقرأ في صلاة المغرب: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ فكأنما صدع قلبي، فأسلمت خوفاً من نزول العذاب، وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب. وجبير ـ رضي الله عنه ـ لم يدخل المسجد وقتئذ، وإنما سمع القراءة، وهو خارج المسجد؛ لأن صوت النبي ﷺ يخرج من المسجد. وقال هشام بن حسان: انطلقت أنا، ومالك بن دينار إلى الحسن، وعنده رجل يقرأ: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ...﴾ إلخ فبكى الحسن، وبكى أصحابه، فجعل مالك يضطرب حتى غُشي عليه، ولما وُلّي بكّار القضاء جاء إليه رجلان يختصمان، فتوجهت على أحدهما اليمين، فرغب في الصلح بينهما، وأنه يعطي خصمه من عنده عوضاً من يمينه فأبى إلا اليمين، فأحلفه بأول ﴿وَٱلطُّورِ﴾ إلى أن قال له قل: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ إن كنت كاذباً، فقالها، فخرج فكسر من حينه. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱلطُّورِ﴾: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره أقسم. وقد اختلف في المقسم به، فقيل: هو على ظاهره، وإنما أقسم الله بهذه الأشياء وأمثالها تنويهاً بشأنها، ورفعاً لقدرها. وقيل: المقسم به محذوف، التقدير: ورب الطور، ورب كتاب.. الخ، انظر الذاريات وذكرت لك ما قيل عن الخليل، وعن السمين، وأنني رجحت الأول، الذي لا تقدير فيه، وكل

الأسماء المتعاطفة فيها صفة، وموصوفة. ﴿فِي رَقٍّ﴾: متعلقان بـ: ﴿مَّسْطُورٍ﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿عَذَابَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ وهو مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَوَاقِعٌ﴾: (اللام): هي المزحلقة. (واقع): خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية جواب القسم الأول وما عطف على المعتمد. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿دَافِعٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائدة، والجملة الاسمية، قيل: مستأنفة. وقيل: صفة لـ:(واقع) والأجود القول بأنها مفسرة لـ: (واقع). وقيل: مفعول به لـ: (واقع) وهو ضعيف جداً. وقيل: خبر ثان لـ: ﴿إِنَّ﴾. ولا بأس به.

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾: المراد به يوم القيامة، وتمور: تدور كدوران الرحى، وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة. قاله أبو عبيدة، والأخفش، وأنشد للأعشى من معلقته رقم [٣]: [البسيط]

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ، لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

وقيل: تتحرك، وتختلف أجزاؤها بعضها من بعض، وتضطرب. وانظر سورة (الملك) رقم [١٦]. ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أي: تزول عن أماكنها، وتصير هباءً منثوراً، قال تعالى في سورة (القارعة): ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾، وقال تعالى في سورة (طه): ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا...﴾ إلخ. قال الخازن: والحكمة في مور السماء، وتسيير الجبال، الإنذار والإعلام بأن لا رجوع، ولا عود إلى الدنيا، وذلك؛ لأن الأرض والسماء وما بينهما من الجبال، والبحار، وغير ذلك إنما خلقت لعمارة الدنيا، وانتفاع بني آدم بذلك، فلما لم يبق لهم عود إليها، أزالها الله تعالى، وذلك لخراب الدنيا، وعمارة الآخرة. ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: المعنى: الويل، والعذاب الشديد في يوم القيامة لمن يكذب الرسول ﷺ، ولا يعتقد بالإسلام، وتعاليمه.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ أي: يخوضون في الباطل، ففيه استعارة لا تخفى؛ لأن الأصل في الخوض أن يكون في الماء. ﴿يَلْعَبُونَ﴾: غافلون لاهون مما يراد بهم، ولكنهم يندمون، ويتحسرون، كما ذكر الله عنهم في سورة (المدثر) قولهم: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ وهذا يكون منهم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء). ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ أي: يدفعون دفعاً بعنف، وجفوة في جهنم، وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيدي الكفار إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ويدفعون بهم دفعاً إلى النار على

وجوههم، وزخاً في أقفيتهم حتى يردوا إلى النار، قال تعالى في سورة (الماعون): ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ﴾.

هذا؛ والخوض من المعاني الغالبة، فإنه يصلح في كل شيء، إلا أنه غلب في الخوض في الباطل، كالإحضار، فإنه عام في كل شيء، ثم غلب استعماله في الإحضار للعذاب، قال تعالى في سورة (الصافات) حكاية عن قول المؤمن: ﴿وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾.

الإعراب: ﴿يَوۡمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: (واقع). ﴿تَمُورُ﴾: مضارع. ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوۡمَ﴾ إليها. ﴿مَوۡرًا﴾: مفعول مطلق، وجملة: ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرًا﴾ معطوفة عليها، فهي في محل جر مثلها، وإعرابها مثلها. ﴿فَوَيۡلٌ﴾: (الفاء): حرف استئناف. (ويل): مبتدأ، وساغ الابتداء به؛ لأنه بمعنى الدعاء. ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: (ويل)، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر.

﴿لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وقال مكي: والفاء جواب الجملة المتقدمة، وحسن ذلك؛ أي: دخول الفاء في (ويل) لأن الكلام في معنى الشرط؛ لأن المعنى؛ إذا كان ما ذكر واقعاً، وصحيحاً؛ فويل يومئذ للمكذبين. انتهى. بتصرف. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة (المكذبين)، أو هو بدل منه، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف. التقدير: أعني الذين، أو هو مبتدأ خبره ما بعده. ﴿هُمۡ﴾: مبتدأ. ﴿فِى خَوۡضٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿يَلۡعَبُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الموصول على الوجهين الأولين المعتبرين فيه، وفي محل رفع خبره على الوجه الثالث فيه. ﴿يَوۡمَ﴾: بدل من ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾. وقيل: بدل من ﴿يَوۡمَ تَمُورُ﴾ والأول أقوى؛ لأن الجملة الاسمية (ويل...) إلخ مستأنفة. ﴿يُدَعُّونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوۡمَ﴾ إليها. ﴿إِلَىٰ نَارِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿نَارِ﴾ مضاف، و﴿جَهَنَّمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿دَعًّا﴾: مفعول مطلق.

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي: في الدنيا، وهذا الكلام مقول لقول محذوف. ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ﴾ أي: يقال لهم على جهة التوبيخ، والتقريع: أهذا سحر؟! لأنهم كانوا يقولون في

الدنيا: إن ما يأتيهم به النبي ﷺ سحر، وإنه يموه عليهم، ويغطي أبصارهم، فوبخوا بذلك. ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾: كما كنتم لا تبصرون في الدنيا؛ أي: أم أنتم عمي عن المخبر عنه، كما كنتم عمياً عن الخبر. ﴿ٱصْلَوْهَا﴾: قاسوا حر نار جهنم. ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ﴾ على شدة حرها. ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ عليه. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: الصبر، وعدمه. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: من الكفر، والتكذيب.

المعنى: تقول لهم خزنة جهنم: هذه النار، التي وعدتم، فكذبتم بها، فذوقوا حرها بسبب كفركم في الدنيا! وهو أمر بإهانة، وتحقير لهم، وهو كقوله تعالى في سورة (يس): ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، وقوله تعالى في سورة (الرحمن): ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

فقد روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا كانَ يومُ القيامةِ جمعَ اللهُ الإنس، والجِنَّ، والأوَّلِينَ، والآخِرِين في صعيدٍ واحدٍ، ثم أشرفَ عنقٌ من النار على الخلائِقِ، فأحاطَ بِهِمْ، ثم يُنادي منادٍ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ...﴾ إلخ فحينئذ تجثو الأمم على رُكبها، وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها، وتذهلُ كلُّ مرضعةٍ عما أرضعت، وترى الناسَ سُكارى، وما هُمْ بسُكارى، ولكن عذابَ الله شديدٌ»**.

هذا وفي «المصباح المنير»: صَلِيَ بالنار، وصَلِيها صَلًى من باب: تعب: وجد حرها، والصِلاءُ وزانُ كتاب: حرُّ النار، وصليْتُ اللحمَ، أصليه من باب رمى: شويتُهُ. وقال الجوهري: يقال: صَلَيْتُ الرجل ناراً: إذ أدخلته النارَ، وجعلتُهُ يصلاها، فإن ألقيته فيها إلقاءً كأنك تريد الإحراق، قلت: أصلَيْتُهُ، وصَلَّيْتُهُ تَصْلِيةً. ويقال أيضاً: صَلِي بالأمر: إذا قاسى حره وشدته، واصطليت بالنار، وتصلَّيتُ بها: إذا استدفأت بها، وفلان لا يُصطلَى بنارِهِ: إذا كان شجاعاً، لا يُطاق.

هذا؛ و﴿سَوَآءٌ﴾ مصدر بمعنى الاستواء؛ فلذا صح الإخبار به عن متعدد. وقيل: هو اسم بمعنى مستوٍ، وهو لا يثنى، ولا يجمع، قالوا: هما هم سواء، فإذا أرادوا لفظ المثنى، قالوا: سيان، وإن شئت قلت: سواءان، وفي الجمع: هما سواء، وهذا كله ضعيف، ونادر، وأيضاً على غير القياس: هم سواسٍ، وسواسيةٌ؛ أي: متساويان، ومتساوون. هذا؛ ويأتي بمعنى الوسط، كما في قوله تعالى في سورة (الصافات) الآية رقم [٥٥]: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾، ويأتي بمعنى العدل، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ رقم [٥٨] من سورة (الأنفال) وسواء الشيء: غيره، قال الأعشى: [الطويل]

تجانفُ عنْ جَوِّ اليمامةِ ناقتي ... وَمَا عَدَلَتْ عَنْ أهْلِها لِسُوائِكا

وسواء السبيل: ما استقام منه، وسواء الجبل: ذروته.

الإعراب: ﴿هَٰذِهِۦ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلنَّارُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة

النار. ﴿كُنتُم﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون والتاء اسمه. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بما بعدهما، ﴿تُكَذِّبُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُم...﴾ إلخ: صلة الموصول، لا محل لها، والآية بكاملها في محل نصب مقول القول للقول المحذوف، التقدير: فيقال لهم: هذه... إلخ. ﴿أَفَسِحْرٌ﴾: (الهمزة): حرف استفهام وتوبيخ، وتبكيت. (الفاء): حرف عطف. (سحر): خبر مقدم. ﴿هَٰذَآ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والهاء حرف تنبيه لا محل له، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. وقيل: معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسحر... إلخ، والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُبْصِرُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها.

﴿ٱصْلَوْهَا﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. (وها): مفعول به. ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟﴾: (الفاء): حرف عطف، وفيها معنى الفصيحة. (اصبروا): أمر، مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَصْبِرُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة معطوفة على ما قبلها.

﴿سَوَآءٌ﴾: فيه وجهان: أحدهما: أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: صبركم، وعدمه سواء. والثاني: أنه مبتدأ، والخبر محذوف؛ أي: سواء الصبر والجزع، والأول أولى، وأحسن؛ لأن جعل النكرة خبراً أولى من جعلها مبتدأ، وجعل المعرفة خبراً. ونحا الزمخشري إلى الوجه الثاني، فقال: سواء خبره محذوف؛ أي: سواء عليكم الأمران: الصبر وعدمه. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة، ﴿تُجْزَوْنَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ. والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: إنما تجزون الذي، أو شيئاً كنتم تعملونه، والجملة: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ...﴾ إلخ تعليل لما قبلها، وهي من جملة مقول القول أيضاً.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾ أي: في أية جنات! ﴿وَنَعِيمٍ﴾ أي: وأي نعيم! بمعنى

الكمال في الصفة، أو في جنات، ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة. هذا؛ و﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ اسم فاعل من التقوى، وهي حفظ النفس من العذاب الأخروي بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه؛ لأن أصل المادة من الوقاية، وهي الحفظ، والتحرز من المهالك في الدنيا، والآخرة. وانظر ما وصف الله به المتقين في أول سورة (البقرة)، وأيضاً في سورة (الذاريات)، وبين ما أعد الله لهم في الآخرة في هذه الآيات، وأصل المتقين: «المُوْتقين» قلبت الواو تاء، وأدغمت التاء في التاء. مثل: متصل من اتصل، أصلهما: مُوْتصل، أوتصل. ولا تنس: أن الله جلت قدرته لما ذكر حال الكفار في الآيات السابقة؛ ذكر حال المؤمنين المتقين في هذه الآيات، وهذا من باب المقابلة، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥] من سورة (الذاريات).

﴿فَٰكِهِينَ﴾: ناعمين متلذذين. ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: منحهم، وأعطاهم من الخير، والكرامة، وأصناف الملاذ من مآكل، ومشارب، وملابس، ومساكن، ومراكب، وغير ذلك. ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾: وحفظهم ربهم من عذاب جهنم، وتلك نعمة مستقلة بذاتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة؛ التي فيها من السرور ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، ويجوز أن تكون من جملة المقول للكفار زيادة في غمهم، وتحسرهم. ﴿وَنَعِيمٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فَٰكِهِينَ﴾: حال من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور؛ أي: في الخبر المحذوف. ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بفاكهين، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالياء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء آتاهم ربهم إياه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بإيتاء ربهم. ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء مفعوله الأول، والثاني محذوف، كما رأيت تقديره. ﴿رَبُّهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾: معطوف على آتاهم فيكون مؤولاً معه بمصدر. التقدير: فاكهين بإيتاء ربهم وبوقايته لهم عذاب الجحيم. هذا وجه له. والثاني: أن الجملة: ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير العائد على ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ والرابط: الواو، والضمير، و«قد» مقدرة بعد الواو. والثالث: أن الجملة الفعلية معطوفة على: ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾. قاله الزمخشري، فيكون مخبراً به عن ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أيضاً. انتهى. جمل. وإعراب الجملة التفصيلي مثل ما قبلها بلا فارق، فهو واضح إن شاء الله تعالى.

﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ...﴾ إلخ، وقال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٤٣]: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال جل ذكره في سورة (الزخرف) رقم [٧٢]: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى في سورة (السجدة) رقم [١٩]: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: بسبب أعمالهم، وليس المراد السبب الحقيقي؛ حتى يخالف نص الحديث الشريف، وفحوى هذا: أن نص الآيات جميعاً يفيد أن دخول الجنة مسبب عن الأعمال الصالحة، والرسول ﷺ يقول: «**لَن يُدْخِلَ أحداً عملُهُ الجنةَ**». قالُوا: وَلَا أنتَ يا رسول الله؟! قال: «**لَا، ولَا أنا إلَّا أن يتغمدني الله بفضلِهِ، ورحمتِهِ! فسدّدُوا وقارِبوا**». أخرجه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

والجمع بين هذه الآيات والحديث الشريف بأن مجمل الآيات على أن منازل الجنة إنما تنال بالأعمال؛ لأن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال، وأن محمل الحديث الشريف على أصل دخول الجنة. فإن قيل: آية السجدة صريحة في أن دخول الجنة أيضاً بالأعمال، أجيب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث الشريف، والتقدير: ادخلوا منازل الجنة، وقصورها بما كنتم تعملون، وليس المراد أصل الدخول، أو المراد ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله، وتفضله عليكم؛ لأن اقتسام منازل الجنة برحمته، وكذا أصل دخولها، حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك، ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته، وفضله، لا إله إلا هو له الملك وله الحمد. انتهى. حاشية الشنواني على مختصر ابن أبي جمرة.

ومعنى ﴿هَنِيٓـًٔا﴾: لا كدر، ولا تنغيص فيه. وقيل: مأمون العاقبة من التخمة، والسقم. وقيل: لا أذية فيه، ولا غائلة. وفي سورة (الحاقة): ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾. ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ﴾: جمع: سرير. ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾: موضوعة بعضها إلى بعض؛ حتى تصير صفاً. وفي الأخبار: أنها تصف في السماء بطول كذا، وكذا، فإن أراد المؤمن أن يجلس عليها تواضعت له، فإذا جلس عليها عادت إلى حالها. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي سرر من ذهب مكللة بالزبرجد، والدر والياقوت. ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: قرناهم بهنَّ. قال يونس بن حبيب: تقول العرب: زوجته امرأة، وتزوجت امرأة، وليس من كلام العرب: تزوجت بامرأة. قال: وقول الله عز وجل ﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: قرناهم بهن. وقال الفراء: تزوجت بامرأة لغة في أزد شنوءة.

بعد هذا خذ ما يلي: عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ، قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ، فقال: يا أبا القاسم! تزعم: أن أهل الجنة يأكلون، ويشربون! قال: «**نعمْ والَّذِي**

نفسُ محمدٍ بيدهِ إن أحدهم ليعْطى قوةَ مئةِ رجلٍ في الأكلِ والشرب والجماع!». قال: فإن الذي يأكلُ ويشربُ، تكون له الحاجة، وليس في الجنة أذىً! قال: «**تكونُ حاجةُ أحدِهم رشحاً يفيضُ من جلودِهِمْ كرشْحِ المِسْكِ، فيَضْمُرُ بَطنهُ**». رواه أحمد والنسائي. هذا؛ وانظر شرح: (حور عين) في سورة (الواقعة).

الإعراب: ﴿كُلُوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: يقال لهم: كلوا، واشربوا. ﴿هَنِيٓـًٔا﴾: حال من واو الجماعة بمعنى: مهنئين، أو هو صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: كلوا، واشربوا أكلاً هنيئاً، وشرباً هنيئاً. وفاعله محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: هنيئاً الأكلُ، والشربُ. وقيل الفاعل (ما) المجرورة بالباء، وعليه يكون مثله قول كثير عزة: [الطويل]

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ لعزةَ مِنْ أعراضنا ما استحلَّتِ

فيكون مثل «ما» يرتفع بالفعل؛ أي: كما تقول، هنأكم ما كنتم تعملون، أو هنأكم الأكل والشرب، فعلى الأول الباء زائدة في الفاعل، وعلى الثاني الباء أصلية، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾، والجملة الفعلية بعدها صلتها على الاعتبارين، والعائد محذوف، التقدير: بالذي كنتم تعملونه، وإعراب الجملة واضح إن شاء الله تعالى. ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: حال من الضمير المستتر بقوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ أي: من الضمير المستتر في الخبر المقدر، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾: متعلقان به. ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾: صفة: ﴿سُرُرٍ﴾. ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على قوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ أي: عطف على الخبر، فهو خبر آخر في المعنى. ﴿بِحُورٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿عِينٍ﴾: صفة: (حور)، وساغ ذلك؛ لأنه جمع بمعنى: عظام العيون.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ أي: آمنت الذرية كما آمن الآباء، والأمهات. ويقرأ: (وأتبعناهم ذريتهم بإيمانٍ) أي: ألحقنا أولادهم الصغار، والكبار بإيمانهم، فالكبار البالغون بإيمانهم بأنفسهم، والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأحد أبويه؛ إذا كان مسلماً. ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ يعني: المؤمنين في الجنات بدرجات آبائهم، وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمةً لآبائهم، لتقر بذلك أعينهم. هذه رواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وفي رواية أخرى عنه: أن معنى الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ يعني:

البالغين (بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم) الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم. أخبر الله تعالى: أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة، كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا إليه، فيدخلهم الجنة بفضله، ويلحقهم بدرجته بعمله من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئاً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ يعني: وما نقصنا الآباء من أعمالهم شيئاً.

فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يرفعُ ذرية المؤمن معه في درجتِهِ، وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقرَّ بهم عينُهُ**». ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ...﴾ إلخ. وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «**هُمَا في النارِ**» فلما رأى الكراهية في وجهها؛ قال: «**لوْ رأيتِ مكانهما؛ لأبغَضْتهِمَا!**» قالت: يا رسول الله فولدي منك؟ قال: «**في الجنة**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإنَّ المشركين وأولادهُم في النار**» ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾. أخرج هذين الحديثين البغوي بإسناد الثعلبي. هذا؛ وحديث خديجة ـ رضي الله عنها ـ كان قبل قوله ﷺ: «**سألْتُ ربي فأعْطاني أولادَ المشركينَ خَدَماً لأَهْلِ الجنة**» هذا؛ وانظر ما ذكرته في سورة (الرعد) رقم [٢٣] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ والذرية: النسل من بني آدم، وهي تقع على الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا﴾ رقم [٩] من سورة (النساء). وتطلق على الواحد، كما في قوله تعالى حكاية عن قول زكريا ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ﴾ رقم [٣٨] من سورة (آل عمران) قيل: هي مشتقة من الذَّر بفتح الذال، وهو كل ما استذريت به، يقال: أنا في ظل فلان، وفي ذَراه؛ أي: في كنفه، وستره، وتحت حمايته، وهي بضم الذال: أعلى الشيء. وقيل: هي مشتقة من الذَّرْء، وهو الخلق، قال تعالى في سورة (الملك) رقم [٢٤]: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ رقم [١١] من سورة (الشورى) أبدلت همزة الذرء ياء، ثم شددت الياء، وتبعتها الراء في التشديد. هذا؛ وقرأ ابن كثير: (وَمَا أَلِتْناهمْ) بكسر اللام، وفتح الباقون، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ (آلتناهُمْ) بالمد، قال ابن الأعرابي: آلَتَهُ، يألِتهُ، ألتاً، وآلَتهُ، يُؤْلِتُهُ، إيلاتاً، ولاتَهُ، يلِيته، ليتاً، كلها إذا نقصه. وفي الصحاح: وَلَاتَهُ عن وجهه، يلوتُهُ، ويُليتُه؛ أي: حبسه عن وجهه، وصرفه، وكذلك: ألاتَهُ عن وجهه فعل وأفعل بمعنى، ويقال أيضاً: ما ألاتَهُ من عمله شيئاً؛ أي: ما نقصه، مثل: ألتَهُ. هذا؛ ومن الأول قول الشاعر: [البسيط]

أبْلغ بني ثُعَلٍ عني مُغُلْغَلةً ... جَهْدَ الرِّسالةِ لا ألتاً ولا كذبا

أي: لا نقصاً، ولا كذباً. ومن الثاني قول رؤبة: [الرجز]

ولَيْلَةٍ ذاتِ نَدىً سَرَيْتُ ... وَلَمْ يَلِتْني عَنْ سُراها لَيْتُ

أي: لم يمنعني عن سراها مانع. ومن الأخير قول عدي بن زيد: [الطويل]

ويأكُلْنَ ما أعنَى الوليُّ فلمْ يلِتْ ... كأنَّ بحافاتِ النِّهاءِ المزارِعَا

فلم يلت: فلم ينقص منه شيئاً، و«أعنى» بمعنى: أنبت، والولي: المطر بعد الوسميّ. وانظر سورة (الحجرات).

﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرهون بعمله، فإن عمل صالحاً؛ فلها، وإلا؛ أهلكها. وقيل: يرجع إلى أهل النار. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ارتهن أهل جهنم بأعمالهم، وصار أهل الجنة إلى نعيمهم؛ ولهذا قال تعالى في سورة (المدثر): ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ وقيل: هو عام لكل إنسان مرتهن بعمله، فلا ينقص أحد من ثواب عمله، فأما الزيادة على ثواب العمل؛ فهي تفضل من الله تعالى، وهو ما أعتمده إن شاء الله تعالى.

﴿ٱمْرِيِٕۭ﴾: أصل هذه الكلمة: المرءُ، ولما كثر استعمالهم لها؛ أصبحت تستعمل للدلالة على الإنسان، وعلى الحيوان مجازاً، وكان الهمز في آخرها ثقيلاً بعد السكون خففوها بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على الراء، فقالوا: المرُ، وبذلك أشبهت الراء منها النون من (ابن) في تلقي حركات الإعراب، ولإعلالهم هذه الكلمة كثيراً بحذف الهمز شبهوها بما حذف آخره، نحو (اسْم، ابن، اسْت) فجبروها بهمزة وصل في حالة التنكير، ثم ردوا إليها الهمزة، فقالوا: امرؤ، وبذلك أصبحت تعرب من مكانين، فتظهر حركات الإعراب فيها على الراء، والهمزة، فتقول: هذا امْرؤ، ورأيت امرءاً، ومررت بامرئ، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾، ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

هذا؛ ومثل كلمة (امرئ) كلمة (ابن) إذا زيدت في آخرها (ما) فإن حركة الإعراب تظهر على النون والميم، فتقول: حضر ابنُمٌ، ورأيت ابْنماً، ومررت بابْنمٍ، ولا ثالث لهما في اللغة العربية فاحفظه، فإنه جيد. والله ولي التوفيق.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه مبتدأ، والخبر الجملة الفعلية: (ألحقنا...) إلخ. والثاني: أنه منصوب بفعل مقدر، قال أبو البقاء على تقدير: وأكرمنا الذين. والثالث: أنه معطوف على: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾. قاله الزمخشري، وتبعه البيضاوي. وأعتمد الأول، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (اتبعتهم): ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محلَّ لها. ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل، أو من المفعول. ﴿أَلْحَقْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما

قبلهما. ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ على اعتبار الموصول مبتدأ، وفي محل نصب حال من الضمير الغائب على الوجهين الآخرين في الموصول، والرابط: الضمير فقط، و«قد» قبلها مقدرة. ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية، ﴿أَلَتْنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير. وهي حال متداخلة. ﴿مِّنْ عَمَلِهِم﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿شَيْءٍ﴾ كان نعتاً له، فلما قدم عليه صار حالاً، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة، ﴿شَيْءٍ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱمْرِيٍٕ﴾: مضاف إليه. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ: ﴿رَهِينٌ﴾ بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء كسبه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بكسبها. ﴿كَسَبَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ﴾. ﴿رَهِينٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية، ولا محل لها على الاعتبارين.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ أي: زدناهم في وقت بعد وقت. من الإمداد. وفي سورة (الواقعة): ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ بمعنى يأخذون خيارهم. ﴿وَلَحْمٍ﴾: وفي سورة (الواقعة): ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ﴾ انظر شرحهما هناك. ﴿يَشْتَهُونَ﴾: يتمنون من أنواع اللحوم. هذا؛ ويجمع لحم على: لحوم، ولحام، قال لبيد بن ربيعة ـ رضي الله عنه ـ في معلقته رقم [٧٤]: [الكامل]

أدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أو مُطْفِلٍ بُذِلَتْ لِجِيرَانِ الجَمِيعِ لِحَامُهَا

هذا؛ ويقال: لحم، وألحم، ولحمان، ولحام، ورجل لحيم شحيم: إذا كان قرماً إلى اللحم، والشحم. ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾ أي: يتناول بعضهم من بعض الكأس، وهو المؤمن، وزوجاته، وخدمه في الجنة، وهذا من يد هذا. هذا؛ والكأس عند أهل اللغة: اسم شامل لكل إناء مع شرابه، فإن كان فارغاً فليس بكأس، قال الضحاك، والسدي: كل كأس في القرآن فهي الخمر، والعرب تقول للإناء إذا كان فيه خمر: كأس، فإذا لم يكن فيه خمر قالوا: إناء، وقدح، كما يقال للخوان إذا كان عليه طعام: مائدة، فإذا لم يكن عليه طعام لم يقل له مائدة. قال أبو الحسن بن كيسان، ومنه: ظعينة للهودج إذا كان فيه المرأة. وأضيف: أنه لا يقال: ذنوب، وسجل إلا وفيه ماء، وإلا فهو

دلو. ولا يقال: جراب إلا وهو مدبوغ، وإلا فهو إهاب. ولا يقال: قلم إلا وهو مبرىً، وإلا فهو أنبوب. هذا؛ وشاهد التنازع، والكأس في اللغة قول الأخطل النصراني: [البسيط]

وشارِب مُربحٍ بالكأس نادمني ... لا بالحصورِ ولا فيها بسوَّارِ
نَازعتُه طيِّبَ الرَّاح الشمول وَقدْ ... صاحَ الدجاجُ وحَانَتْ وقعةُ السَّاري

وقال امرؤ القيس: [الطويل]

فلمَّا تنازعْنا الحدِيثَ وأسْمَحتْ ... هَصَرْتُ بغصنٍ ذي شماريخ ميَّال

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يتكلمون بلغو الحديث في أثناء شربها، ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا، وذلك مثل قوله تعالى في سورة (الصافات) رقم [٤٧]: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ والغول: أن تغتال عقول شاربيها، وهذه موجودة في خمر الدنيا. قال الشاعر: [المتقارب]

فما زالَتِ الكأسُ تغتَالُنَا ... وتذهَبُ بالأوَّلِ الأوَّلِ

أي: تصرعنا واحداً واحداً. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول، فذكر الله خمر الجنة. فنزهها عن هذه الخصال. انتهى. فخمر الجنة طعمها طيب كلونها، فلا خمار يصدع الرؤوس، ولا سكر، ولا عربدة يذهب لذة الاستمتاع، كما هي الحال في خمر الدنيا. يقال: الخمر غول للحلم، والحرب غول للنفوس؛ أي: تذهب بها. كيف لا؛ وقد قال تعالى في سورة (محمد ﷺ): ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾؟! قال ابن عطاء ـ رحمه الله تعالى ـ: أيُّ لغو يكون في مجلس محله جنة عدن، وسقاتُهم الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم وتحيتهم من عند الله، والقوم أضياف الله ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: أي لا يكون فيها ما يؤثمهم، ولا يكذب بعضهم بعضاً. وقيل: لا يأثمون بشربها.

هذا؛ والكأس تذكر، وتؤنث؛ لأنها من المؤنث المجازي، فمن التأنيث الآية التي نحن بصدد شرحها، وقوله تعالى في سورة (الصافات) رقم [٤٥ و٤٦]: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ ومن التذكير قولك: هذا كأس، والجمع كؤوس، وأكؤس، وكأسات، وكئاس.

الإعراب: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾: الواو: حرف عطف. (أمددناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾ على الوجهين المعتبرين فيها، وعليه: فالجملة الاسمية: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ معترضة بين المتعاطفتين. ﴿بِفَٰكِهَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَلَحْمٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (لحم). ﴿يَشْتَهُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: من الذي، أو من شيء يشتهونه.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾: مضارع وفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. وقيل: مستأنفة. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿كَأْسًا﴾: مفعول به.

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: يقرأ الاسمان بالرفع، والتنوين، وبالبناء على الفتح، فالرفع على أن ﴿لَّا﴾ عاملة عمل: «ليس» ولغو: اسمها. أو مهملة و﴿لَغْوٌ﴾ مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَّا﴾، أو بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿تَأْثِيمٌ﴾: معطوف على ﴿لَغْوٌ﴾، أو هو مبتدأ خبره محذوف، أو اسم ﴿لَّا﴾ وخبرها محذوف، لدلالة الأول عليه، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب صفة مثلها؛ لأن الأولى صفة ﴿كَأْسًا﴾ وعلى البناء فـ: ﴿لَّا﴾ عاملة عمل: «إنَّ»، و﴿لَغْوٌ﴾ اسم ﴿لَّا﴾ مبني على الفتح في محل نصب اسمها، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): مثل سابقتها، وخبرها محذوف، والجملة معطوفة على سابقتها، ومحل الجملتين في محل نصب صفة ﴿كَأْسًا﴾ مثل حالة الرفع، ولا يفوتني أن أذكر: أن ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ ذكر هذه المسألة في ألفيته بأوسع من هذا. خذ قوله: [الرجز]

وركِّبِ المفردَ فاتحاً كَلَا حَوْلَ، وَلَا قوةَ، والثَّاني اجْعَلَا
مَرْفوعاً، أوْ مَنْصوباً، أوْ مُرَكَّبَا وإنْ رَفَعْتَ أوَّلاً لَا تنصِبَا

قال ابن عقيل ـ رحمه الله تعالى ـ: وأشار ـ أي: ابن مالك ـ بقوله: «والثاني اجعلا» إلى أنه إذا أتى بعد «لا» والاسم الواقع بعدها بعاطف ونكرة مفردة، وتكررت لا، نحو (لا حول ولا قوةَ إلا بالله) يجوز فيه خمسة أوجه، وذلك لأن المعطوف عليه، إما أن يبنى مع «لا» على الفتح، أو ينصب، أو يرفع، فإن بني مع «لا» على الفتح؛ جاز في الثاني ثلاثة أوجه: الأول: البناء على الفتح؛ لتركبه مع «لا» الثانية، وتكون «لا» الثانية عاملة عمل «إنَّ» نحو: (لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم). الثاني: النصب عطفاً على محل اسم «لا»، وتكون «لا» الثانية زائدة بين العاطف والمعطوف، نحو: (لا حولَ ولا قوةً إلا بالله)، ومنه قول أنس بن العباس بن مرداس، وهو الشاهد رقم [٣٠٤] من كتابنا: «فتح رب البرية»، ورقم [٤١٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [السريع]

لَا نَسَبَ الْيَوْمَ ولَا خُلَّةً اتَّسَعَ الخَرْقُ عَلَى الرَّاقِع

الثالث: الرفع، وفيه ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون معطوفاً على محل «لا» واسمها؛ لأنهما في موضع رفع بالابتداء عند سيبويه، وحينئذ تكون «لا» زائدة، الثاني: أن تكون «لا» الثانية عملت عمل: «ليس». الثالث: أن يكون مرفوعاً بالابتداء، وليس لـ: «لا» عمل فيه، وذلك نحو: (لا حول ولا قوة إلا بالله) ومنه قول ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم، وهو الشاهد رقم [٣٠٢] من كتابنا: «فتح رب البرية» والشاهد رقم [١٠١٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الكامل]

هــذا ـ وَجَــدِّكُــمْ ـ الـصَّــغَـارُ بِـعَـيْـنِـه　　　لَا أُمَّ لــــي ـ إنْ كـــانَ ذَاكَ ـ وَلَا أَبُ

وإن نصب المعطوف عليه؛ جاز في المعطوف الأوجه الثلاثة المذكورة، أعني: البناء، والنصب، والرفع، نحو (لا غلامَ رجلٍ، ولا امرأةَ، ولا امرأةً، ولا امرأةٌ) وإن رفع المعطوف عليه؛ جاز في الثاني وجهان: الأول: البناء على الفتح، نحو لا رجلُ، ولا امرأةَ، ولا غلامُ رجلٍ، ولا امرأةَ، ومنه قول أمية بن أبي الصلت وهو الشاهد رقم [٣٠٣] من كتابنا: «فتح رب البرية»: [الوافر]

فَــلَا لَــغْــوٌ ولَا تَــأْثِــيــمَ فِــيــهَــا　　　ولا حَــيْــنٌ ولا فِــيــهَــا مُــلِــيــمُ

وَفِــيــهَــا لَــحْــمُ سَــاحِــرَةٍ وَبَــحْــرٍ　　　وَمَــا فَــاهُــوا بِــهِ أبَــدَاً مُــقِــيــمُ

والثاني: الرفع، نحو لا رجلٌ، ولا امرأةٌ، ولا غلامُ رجلٍ، ولا امرأة، ولا يجوز النصب للثاني؛ لأنه إنما جاز فيما تقدم للعطف على محل اسم «لا»، و«لا» هنا ليست بناصبة، فيسقط النصب. ولهذا قال المصنف: (وَإِنْ رَفَعْتَ أَوَّلاً لَا تَنْصِبَا). انتهى. بحروفه.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: على المتقين بالفواكه، والتحف، والطعام، والشراب. دليله قوله تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٧١]: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾، وقوله تعالى في سورة (الصافات) رقم [٤٥]: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾. ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ أي: مماليك مخصوصون بهم. وقيل: هم أولادهم الذين سبقوهم. وقيل: إنهم من أخدمهم الله تعالى إياهم من أولاد غيرهم، قال تعالى في سورة (الواقعة): ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾. ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ أي: في الحسن، والبياض، والجمال. ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾: مصون في الصدف الذي لم تمسه الأيدي، ولم يقع عليه الغبار، فهو أشد ما يكون صفاءً، وتلألأً، كما قال الشاعر: [البسيط]

كَــأَنَّــمَــا خُــلِــقَــتْ فِــي قِــشْــرِ لُــؤْلُــؤَةٍ　　　وكــلُّ أكــنــافِــهَــا وَجْــهٌ لِــمَــرْصَــادِ

وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ أنهم قالوا: يا رسول الله! إذا كان الخادم كاللؤلؤ؛ فكيف يكون المخدوم؟ فقال: «**ما بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين أصغر الكواكب**». فإن قيل: الجنة التي وعد المتقون لا تعب فيها، ولا نصب، فلا حاجة إلى الخدم! فيجاب بأن هذا تمام النعمة، ونهاية النعيم، ودوام السرور، وانظر تشبيه هؤلاء الخدم باللؤلؤ المنثور في سورة (الدهر) رقم [١٩] وما قيل فيهم: مَنْ هم، وما أصلهم.

هذا؛ وقال الكسائي: كننت الشيء: سترته، وصنته من الشمس، وأكننته في نفسي: أسررته. وقال أبو زيد: كننته، وأكننته بمعنىً في الكِن، وفي النفس جميعاً، تقول: كننت العلم، وأكننته فهو مكنون، ومُكَنٌّ، وكننت الجارية، وأكننتها، فهي مكنونة، وَمُكَنَّة. وما يحفظ به هذا الشيء المصون المكنون يسمى: كناناً، وجمعه: أكنة بمعنى أغطية، وفي كثير من الآيات: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾، والكِن أيضاً: ما يحيط بالشيء، ويحفظه، وجمعه: أكنان، قال تعالى في سورة (النحل) فقط: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾. ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: يسأل بعضهم بعضاً عن أحواله، وأعماله، وما توجب به نيل ما عند الله، ويتفاوضون فيما بينهم أحاديثهم في الدنيا، وهو من تمام السرور، والأنس في الجنة. والمعنى: يشربون من خمر الجنة الموصوف بما ذكر، ويطوف عليهم الغلمان الموصوفون بما ذكر، فيتحادثون على الشراب كعادة الشرَّاب. قال بعضهم: [الوافر]

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَّاتِ إِلَّا أَحَادِيثُ الْكِرَامِ عَلَى الْمُدَامِ

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم، وعليهم في الدنيا، ويحمدون الله على ما أنعم عليهم، وعلى زوال الخوف عنهم، ويقول بعضهم لبعض: بم نلت هذه المنزلة الرفيعة؟! وقد جيء بالفعل ماضياً على سنة الله تعالى في التعبير عن المستقبل بالماضي؛ لتحقق وقوعه. هذا؛ وتساؤل المؤمنين في الجنة غير تساؤل الكافرين، والظالمين في النار، فإن تساءلهم توبيخ لبعضهم بعضاً. انظر ما ذكرته في سورة (الصافات) رقم [٢٧] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَيَطُوفُ﴾: الواو: حرف عطف. (يطوف): مضارع. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿غِلْمَانٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿لَّهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿غِلْمَانٌ﴾. ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿لُؤْلُؤٌ﴾: خبر (كأن). ﴿مَّكْنُونٌ﴾: صفة ﴿لُؤْلُؤٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿كَأَنَّهُمْ...﴾ إلخ صالحة للوصفية، والحالية من ﴿غِلْمَانٌ﴾. ﴿وَأَقْبَلَ﴾: الواو: حرف عطف. (أقبل): ماض. ﴿بَعْضُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: في محل نصب حال من: ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، فهي حال متداخلة، والرابط: الضمير فقط.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قال كل مسؤول منهم لسائله. ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا. ﴿فِيٓ أَهْلِنَا﴾: بين أهلنا. ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين من عذاب الله، أو خائفين من نزع الإيمان، وفوت

الأمان، أو من رد الحسنات، والأخذ بالسيئات. ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالتوفيق للإيمان، والعمل الصالح؛ حتى نلنا هذا النعيم. ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾: وحفظنا من عذاب السموم. قال الحسن: السموم: اسم من أسماء النار، وطبقة من طبقات جهنم. والسموم: الريح الحارة التي تدخل المسام، فسميت بها نار جهنم؛ لأنها بهذه الصفة، وقد تستعمل السموم في لفح البرد، وهي في لفح الحر، والشمس أكثر. قال الراجز: [الرجز]

الْيَوْمَ يَوْمٌ بَارِدٌ سَمُومُهُ مَنْ جَزِعَ الْيَومَ فَلَا أَلُومُهُ

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾: في الدنيا. ﴿نَدْعُوهُ﴾: نسأله، ونضرع إليه أن يوفقنا إلى الهداية؛ التي هي طريق الجنة، وأن يجنبنا المعاصي؛ التي هي سبب جهنم، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾: المحسن الجواد اللطيف الكريم. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: الواسع الرحمة، الذي إذا عُبِد؛ أثاب، وإذا سُئِل؛ أجاب، وخذ ما يلي:

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، اشتاقُوا إلى الإخوانِ، فيجيء سريرُ هذا؛ حتى يحاذيَ سريرَ هذا، فيتحدثان، فيتكئُ هذا، ويتكئ هذا، فيتحدثان بما كان في الدنيا، فيقولُ أحدُهما لصاحبه: يا فلان! أتدري أيَّ يومٍ غُفِرَ لنا؟ يوم كنا في موضع كذا، وكذا، فدعوْنا الله عز وجل فغَفَرَ لنا**». أخرجه الحافظ البزار. وعن مسروق عن عائشة: أنها قرأت هذه الآية: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ...﴾ إلخ فقالت: اللهم مُنَّ علينا وقِنَا عذاب السمومِ، إنك أنت البر الرحيم! قيل للأعمش: في الصلاة؟ قال: نعم. أخرجه ابن أبي حاتم.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿قَبْلُ﴾: ظرف زمان مبني على الضم في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿فِىٓ أَهْلِنَا﴾: متعلقان بما بعدهما. (ونا): في محل جر بالإضافة. ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿كُنَّا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا كُنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَمَنَّ﴾: (الفاء): حرف عطف. (مَنَّ الله): ماض، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿عَلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَوَقَىٰنَا﴾: الواو: حرف عطف. (وقانا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الله، (ونا): مفعول به أول. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمُومِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿إِنَّا كُنَّا﴾: مثل سابقه. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بما بعدهما، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً. ﴿نَدْعُوهُ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، والجملة

الفعلية في محل نصب خبر (كان)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وفيها معنى البدلية من سابقتها. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٣٠] من سورة (الذاريات)، وهي تعليلية لا محل لها، ويقرأ بفتح الهمزة على تقدير لام التعليل، والمعنى لا يتغير، ولكن يحتاج إلى تأويل مصدر، وجره بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿نَدْعُوهُ﴾.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فذكر يا محمد قومك بالقرآن، واثبت على التذكير، ولا تكترث بقولهم: كاهن، أو مجنون، فإنه قول باطلٌ متناقض؛ لأن الكاهن يحتاج في كهانته إلى فطنة، ودقة نظر، وقد يخلطه بالكذب، وهو يوهم: أنه يعلم الغيب، ويخبر بما في غد من غير وحي. والمجنون مغطّى على عقله، وما أنت بحمد الله، وإنعامه عليك بصدق النبوة، ورجاحة العقل أحد هذين الوصفين. قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذا رد لقولهم في النبي ﷺ؛ فعقبة بن أبي معيط قال: إنه مجنون، وشيبة بن ربيعة قال: إنه ساحر، وغيرهما قال: كاهن، فأكذبهم الله، وردَّ عليهم، فهو كقوله تعالى في سورة (الذاريات): ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ ومثل هذه الآية رقم [٢] من سورة (ن).

الإعراب: ﴿فَذَكِّرْ﴾: الفاء: حرف استئناف، وقيل: الفصيحة، ولا وجه له. (ذَكِّرْ): فعل أمر، فاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَمَآ﴾: الفاء: حرف تعليل. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسم (ما). ﴿بِنِعْمَتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالنفي الذي أفادته (ما)، و(نعمة) مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بِكَاهِنٍ﴾: (الباء): حرف جر صلة. (كاهن): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: زائدة لتأكيد النفي. ﴿مَجْنُونٍ﴾: معطوف على لفظ كاهن، والجملة الاسمية: ﴿فَمَآ أَنتَ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها.

هذا؛ وفي السمين: قوله: ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ فيه أوجه: أحدها: أنه مقسم به متوسط بين اسم (ما) وخبرها ويكون الجواب حينئذ محذوفاً لدلالة هذا المذكور عليه، والتقدير: ونعمة ربك ما أنت بكاهن، ولا مجنون. الثاني: أن الباء في موضع نصب على الحال، والعامل فيها ﴿بِكَاهِنٍ﴾ أو ﴿مَجْنُونٍ﴾ والتقدير: ما أنت كاهناً، ولا مجنوناً حال كونك ملتبساً بنعمة ربك. قاله أبو البقاء. وعلى هذا فهي حال لازمة؛ لأنه عليه السلام، لم يفارق هذه الحال. الثالث: أن

الباء سببية، وتتعلق حينئذ بمضمون الجملة المنفية، وهذا هو مقصود الآية الكريمة، والمعنى: انتفى عنك الكهانة، والجنون بسبب نعمة ربك عليك، كما تقول: ما أنا بمعسر بحمد الله وغناه. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. وأعتمد ما جريت عليه في الأول من الإعراب، وهو الموافق لما في المغني لابن هشام.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أي: بل يقول الكفار: محمد شاعر. ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: قال قتادة: قال قوم من الكفار: تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه، كما كفى شاعر بني فلان. قال الضحاك: هؤلاء بنو عبد الدار نسبوه إلى أنه شاعر؛ أي: يهلك عن قريب، كما هلك مَنْ قبله من الشعراء، وإن أباه مات شاباً، فربما يموت كما مات أبوه. هذا؛ والمنون: الموت في قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال أبو الغول الطهوي: [الوافر]

هُمُ مَنَعُوا حِمَى الْوقبى بضربٍ يُؤلِّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمَنُونِ

أي: المنايا، يقول الشاعر: إن الضرب يجمع بين قوم متفرقي الأمكنة لو أتتهم مناياهم في أماكنهم؛ لأتتهم متفرقة، فاجتمعوا في موضع واحد، فأتتهم المنايا مجتمعة، وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: (ريب) في القرآن شك إلا مكاناً واحداً في الطور: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ يعني: حوادث الأمور. قال الشاعر: [الطويل]

تربّصْ بهَا رَيْبَ الْمَنُونِ لعَلَّها تُطَلّقُ يوماً، أو يموتُ حليلُها

وقال مجاهد: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ حوادث الدهر، و﴿ٱلْمَنُونِ﴾ هو الدهر، قال أبو ذؤيب الهذلي: [الكامل]

أمِنَ الْمَنُون ورَيْبهِ تَتوجَّعُ والدَّهرُ لَيسَ بمُعْتِبٍ مَنْ يجزعُ

وقال الأعشى في معلقته رقم [٢٠]: [البسيط]

أأنْ رأتْ رجلاً أعشى أضرَّ به ريبُ المنُونِ ودَهْرٌ مُتْبلٌ خَبِلُ

هذا؛ وإطلاق «الريب» على الحوادث استعارة تصريحية، شبهت بالريب؛ أي: الشك؛ لأنها لا تدوم. ولا تبقى على حال، كما أنه كذلك. قال الأصمعي: المنون: الليل، والنهار، وسُمّيا بذلك؛ لأنهما ينقصان الأعمار، ويقطعان الآجال. قال الفراء: والمنون مؤنثة، وتكون واحداً؛ وجمعاً. وقال الأصمعي: المنون واحد لا جماعة له. وقال الأخفش: هو جماعة لا

واحد له، والمنون يذكر، ويؤنث، فمن ذكره؛ جعله الدهر، أو الموت، ومن أنثه؛ فعلى الحمل على المعنى، كأنه أراد المنية. ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ أي: انتظروا، فهو تهديد. ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾: من المنتظرين بكم العذاب، فعذبوا يوم بدر بالسيف، وفي آخر سورة (طه) قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟﴾.

هذا؛ وذكرت ﴿أَمْ﴾ هنا خمس عشرة مرة، وكلها إلزامات، ليس للمخاطبين بها عنها جواب، لكن قال الثعلبي نقلاً عن الخليل: إن كل ما في سورة (الطور) من ﴿أَمْ﴾ فهو استفهام، وليس بعطف، وإنما استفهم تعالى مع علمه بهم تقبيحاً عليهم، وتوبيخاً لهم، كقول الشخص لغيره: أجاهل أنت مع علمه بجهله. انتهى. جمل. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف، بمعنى: «بل» فهي منقطعة. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها؛ لأن ﴿أَمْ﴾ منقطعة كما رأيت. ﴿شَاعِرٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو شاعر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿نَّتَرَبَّصُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿شَاعِرٌ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿رَيْبَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْمَنُونِ﴾ مضاف إليه. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿تَرَبَّصُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، والجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَإِنِّى﴾: (الفاء): حرف تعليل. (إني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمه. ﴿مَعَكُم﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده، وبعضهم لا يجيزه، بل يعلقهما بمحذوف يدل عليه ما بعده؛ لأنه لا يعمل ما بعد (أل) الموصولة فيما قبلهما، ولكن إن اعتبرتها للتعريف فهو جائز لا غبار عليه. وقيل: متعلق بمحذوف حال، ولا وجه له. والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إن)، والجملة الاسمية مفيدة للتعليل، وهي من جملة مقول القول.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ أي: عقولهم. ﴿بِهَٰذَآ﴾ أي: بالكذب والافتراء عليك. وفي البيضاوي: أي: بهذا التناقض في القول، فإن الكاهن يكون ذا فطنة، ودقة نظر، والمجنون مغطىً عقله، والشاعر يكون ذا كلام موزون مقفىً متسق، ولا يتأتى ذلك من المجنون، وأمر الأحلام بها مجاز عن أدائها إليه، فهو مجاز عقلي، حيث أسند الأمر إلى الأحلام، وقد كان العرب يتفاخرون بعقولهم، فأزرى الله بها، وحقرها؛ حيث لم تثمر لهم معرفة الحق، والباطل. ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: أم طغوا بغير عقول. ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ أي: اختلقه، وافتراه؛ أي:

القرآن. ولم يتقدم له ذكر لفهمه من المقام، والتقول: تكلف القول، وإنما يستعمل في الكذب في غالب الأمر. ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: جحداً، واستكباراً.

هذا؛ وقيل لعمرو بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا؛ وقد وصفهم الله بالعقل؟ فقال: تلك عقول كادها الله. أي: لم يصحبها بالتوفيق. وقيل: ﴿أَحْلَٰمُهُم﴾: أذهانهم؛ لأن العقل لا يُعطى للكافر، ولو كان له عقل؛ لآمن. وإنما يعطى الكافر الذهن، فصار حجة عليه، والذهن يقبل العلم جملة، والعقل يميز العلم، ويقدر المقادير لحدود الأمر، والنهي. وروي عن النبي ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما أعقل فلاناً النصراني! فقال: «**مَهْ إنَّ الكافر لا عقل له، أما سمعت قول الله تعالى ـ في سورة (الملك) ـ:** ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾».

وفي حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، فزجره النبي ﷺ، ثم قال: «**مَهْ، فإن العاقل مَنْ يعملُ بطاعةِ الله**». ذكره الترمذي الحكيم. انتهى. قرطبي.

هذا؛ و«أمر» يتعدى لمفعولين تارةً بنفسه، كما في قولك: أمرتك الخير، وتارةً يتعدى إلى الثاني بحرف الجر، كما في قولك: أمرتك بالخير، ومثله استغفر، واختار، وكنى، وسَمَّى، ودعا، وصدق، وزوَّج، وكان، ووزن، فمثال: «استغفر» وقد نصب مفعولين صريحين قول الشاعر: [البسيط]

أستغْفِرُ الله ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيهُ ... رَبَّ العبادِ إليه الوجهُ والْعَمَلُ

ومثال «أمر» وقد نصب مفعولين صريحين قول عمرو بن معدي كرب، وينسب لغيرِه، وهو الشاهد رقم [٤٨٥] من كتابنا: «فتح رب البرية»، والشاهد رقم [٥٩٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

أمرْتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمِرْتَ بِهِ ... فقَدْ تَركْتُكَ ذَا مَالٍ وذَا نَشَبِ

هذا؛ والأمر مِنْ أمَرَ: مُرْ، وأصله: أؤمُرْ، لكن لم يستعمل في الأصل، وحذفت الهمزتان تخفيفاً لاجتماع الضمات، وهذا الحذف واقع في الأمر المأخوذ من: أخذ، وأكل، فيقال: خُذْ، وكُلْ، وقد قالوا: أؤْمُرُ، واؤْخُذ، فاستعملا على الأصل، ومنه: (اؤْمُر) في الآية رقم [١٤٥] و[١٩٩] من سورة (الأعراف)، ورقم [١٣٢] من سورة (طه)، والآية رقم [١٧] من سورة (لقمان).

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿تَأْمُرُهُمْ﴾: فعل مضارع، والهاء مفعول به. ﴿أَحْلَٰمُهُم﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿بِهَٰذَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف معناه الإضراب. ﴿هُمْ قَوْمٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿طَٰغُونَ﴾: صفة ﴿قَوْمٌ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة... إلخ. ﴿أَمْ﴾: حرف

عطف. ﴿يَقُولُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿تَقَوَّلَهُ﴾: ماض، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى الرسول ﷺ، ولم يتقدم له ذكر لعلمه من المقام، وسترى مزيداً من ذلك في سورة (الواقعة) رقم [٨٣] إن شاء الله تعالى. والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بَل﴾: حرف عطف. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)﴾

الشرح: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ أي: بقرآن يشبهه من تلقاء أنفسهم. ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾: في أن محمداً ﷺ اختلقه، وافتراه، واصطنعه من عند نفسه، وهم فرسان البلاغة، ورجال الفصاحة. قال سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: مراتب تحدي رسول الله ﷺ الناس عامة، وقريشاً خاصة بالقرآن أربعة:

أولها: أنه تحداهم بكل القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ...﴾ إلخ الآية رقم [٨٨] من سورة (الإسراء).

ثانيها: أنه تحداهم بعشر سور، قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ...﴾ إلخ الآية رقم [١٣] من سورة (هود) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

ثالثها: أنه تحداهم بسورة واحدة، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٣] من سورة (البقرة)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٨] من سورة (يونس) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

رابعها: أنه تحداهم بحديث مثله. قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ...﴾ إلخ الآية التي نحن بصدد شرحها، فهذا مجموع الدلائل التي ذكرها الله تعالى في إثبات: أن القُرآن معجز. انتهى.

هذا؛ واعتبر محمد علي الصابوني الأول من التحدي العام لجميع الخلائق، والثلاثة بعده من التحدي الخاص؛ الذي جاء للعرب خاصة، وعلى الأخص منهم كفار قريش، كما تحداهم بالقرآن كله في سورة (القصص) في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ رقم [٤٩].

الإعراب: ﴿فَلْيَأْتُوا﴾: (الفاء): هي الفصيحة لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: فإن قالوا: اختلقه؛ فليأتوا... إلخ. (اللام): لام الأمر. (يأتوا): مضارع مجزوم بلام الأمر،

وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جزم جواب للشرط الذي رأيت تقديره. ﴿بِحَدِيثٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّثْلِهِۦٓ﴾: صفة (حديث)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبر (كان) منصوب وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه.

﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي: وجدوا في هذه الدنيا من غير موجد؛ فلذلك لا يعبدونه، ولا يقرون بوحدانيته! أو خلقوا من غير تكليف بعبادة، ولا مجازاة على عمل ما! وقيل: المعنى: أخلقوا من غير أب، ولا أم، فهم كالجماد لا يعقلون ولا تقوم لله عليهم حجة؟! لا، أليس قد خلقوا من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أي: أيدعون: أنهم خَلَقوا أنفسهم، فهم لا يأتمرون لأمر الله، وهم لا يقولون ذلك، وإذا أقروا، واعترفوا بأن لهم خالقاً، ورازقاً؛ فما الذي يمنعهم من الإقرار له بالعبادة، والتوحيد دون الأصنام، وما الذي يمنعهم من الإقرار بأن الله قادر على بعثهم، كما أوجدهم من العدم.

﴿أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يعني: ليس الأمر كذلك قطعاً، فإنهم لم يخلقوا شيئاً من ذلك. ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ أي: بالحق، وهو: توحيد الله، وقدرته على البعث، والحساب، والجزاء، وأن الله هو خالقهم، وخالق السموات، والأرض فليؤمنوا به، وليوقنوا: أنه ربهم، وخالقهم، ورازقهم، ومحييهم، ومميتهم.

هذا؛ وأصل يوقنون: (يُؤَيْقِنُونَ)؛ لأنه من: (أَيْقَنَ) الرباعي، فحذفت الهمزة للتخفيف، حملاً على المبدوء بهمزة المضارعة، مثل (أُأَيْقِنُون) الذي حذفت همزته للتخلص من ثقل الهمزتين، فصار (يُيْقِنُونَ) ثم قلبت الياء الثانية واواً لسكونها، وانضمام ما قبلها. وهذا الإعلال يجري في كل فعل ثلاثي، مزيدة الهمزة في أوله، مثل: أجاب يجيب، وأكرم، يكرم... إلخ. وقد يجيء على القياس، وهو الأصل المهجور، كما في قول أبي حيان الفقعسي: فإنَّه أَهْلٌ لأنْ يُؤَكْرمَا.

ولا تنس: أن هذه الهمزة المزيدة تحذف من اسمي الفاعل، والمفعول المأخوذين من الفعل الثلاثي المزيدة فيه الهمزة، وذلك مثل: مكرِم، ومكرَم، والقياس مُؤَكرِم، ومُؤَكْرَم. وقس على ذلك. هذا؛ و«غير» اسم شديد الإبهام، لا يتعرف بالإضافة لمعرفة، وغيرها، وهو ملازم

للإضافة، ويجوز أن يقطع عنها؛ إن فهم المعنى، أو تقدمت عليها كلمة ليس، يقال: قبضت عشرة ليس غير، وهو مبني على الضم، أو على الفتح خلاف.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف، وهي بمعنى همزة الاستفهام. ﴿خُلِقُواْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿مِنْ غَيْرِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وغير مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿خَلَقُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بَل﴾: حرف عطف، وإضراب. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يُوقِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ عِندَهُمْ﴾: عند كفار قريش، ومن على شاكلتهم من الملاحدة، والفجرة. ﴿خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ يعني: النبوة، ومفاتيح الرسالة، فيضعونها حيث شاؤوا، ويمنحونها لمن أرادوا. وقيل: المراد خزائن الرزق، والمطر. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: المسلطون الجبارون. وقيل: الأرباب القاهرون، فلا يكونون تحت أمر، ولا نهي، ويفعلون ما شاؤوا، ويشاؤون، والمسيطر: القاهر الغالب، من: سيطر عليه: إذا راقبه، وحفظه، أو قهره، ولم يأت على مُفَيْعِل إلا خمسة ألفاظ، أربعة صفة اسم فاعل، وهي: مُهَيْمِن، ومبيقر، ومُبَيْسِط، ومُبَيْطِر، وواحد اسم جبل، وهو: المُجَيْمِر، قال امرؤ القيس في معلقته رقم [٧٩]: [الطويل]

كــأَنَّ ذُرَا رَأْسِ الــمُــجَــيْــمِــرِ غُــدْوَةً مِــنَ الــسَّــيْــلِ والأَغْــثَــاءِ فَــلْــكَــةُ مِــغْــزَلِ

هذا؛ ويقرأ ﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ بالصاد، وبالسين. هذا؛ وفي الصحاح المسيطر، والمصيطر: المسلط على الشيء ليشرف عليه، ويتعهد أحواله، ويكتب عمله، وأقواله. وفي سورة (الغاشية) قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ ولم يرد المسيطرون في غير هذه السورة، ولم يرد مصيطر في غير سورة (الغاشية). والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿عِندَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿خَزَآئِنُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: مبتدأ، وخبر الجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ أي: أيدعون: أن لهم مرتقى إلى السماء، ومصعداً. ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: كلام الملائكة، وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم، وظفرهم في العاقبة دونه، كما يزعمون. أو المعنى: يعلمون أن ما هم عليه حق فهم مستمسكون به. ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: إن ادَّعْوا ذلك؛ فليأت المستمع منهم بحجة ظاهرة على ذلك. هذا؛ وقال الزجاج، وغيره: ﴿فِيهِ﴾ بمعنى: عليه. كقوله تعالى في سورة (طه) رقم [٧١] حكاية عن قول فرعون للسحرة: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾. وقال سويد ابن أبي كاهل اليشكري، وهو الشاهد رقم [٣٠٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

هُمُ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا

هذا؛ والسلم: الدرج يصعد عليه إلى الأعلى، وهو مشتق من السلامة، قالوا: لأنه يسلم به إلى المكان الذي يريد الارتقاء إليه، وربما سمي الغرز بذلك مجازاً، أو استعارةً. قال أبو الرُّبَيْس الثعلبي يصف ناقته: [الطويل]

مُطَارَةُ قَلْبٍ إِنْ ثَنَى الرِّجْلَ رَبُّهَا بِسُلَّمِ غَرزٍ فِي مُنَاخٍ يُعَاجِلُهْ

وقال زهير بن أبي سلمى المزني في معلقته رقم [٥٠]: [الطويل]

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وقال آخر: [الطويل]

تَجَنَّيْتِ لِي ذَنْباً وَمَا إِنْ جَنَيْتُهُ لِتَتَّخِذِي عُذْراً إِلَى الهَجْرِ سُلَّمَا

وجمعه: السلالم، قال ابن مقبل، وقد أشبع كسرة اللام: [البسيط]

لا تُحْرِزُ المَرْءَ أَحْجَاءُ الْبِلَادِ وَلَا يُبْنَى لَهُ فِي السَّمواتِ السَّلالِيمُ

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿سُلَّمٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، انظر تقديره في الشرح. والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿سُلَّمٌ﴾. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وقال الزمخشري: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، التقدير: صاعدين فيه. ﴿فَلْيَأْتِ﴾: (الفاء): هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان لهم سلم يستمعون فيه، فليأت. (اللام): لام الأمر. (يأت): مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها. ﴿مُسْتَمِعُهُم﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم

الفاعل لفاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، كما رأيت، والجملة الشرطية المقدرة معطوفة بواو محذوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة (سلطان).

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾: فيه توبيخ، وتسفيه لأحلامهم. والمعنى: أتنسبون إلى الله البنات، مع أنفتكم منهن، فهو كقوله تعالى في سورة (النحل) رقم [٦٢]: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ وانظر سورة (النجم) رقم [٢١]. ومن كان هذا عقله وشأنه فلا يُستبعد منه إنكار الإعادة بعد الموت. هذا؛ وفي سورة (الصافات) رقم [١٤٩] قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾. قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: أمر الله رسوله ﷺ باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولاً، ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى؛ التي قسموها حيث جعلوا لله الإناث، ولأنفسهم الذكور في قولهم: الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن، ووأدهن، واستنكافهم من ذكرهن.

ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر: أحدها: التجسيم؛ لأن الولادة مختصة بالأجسام. والثاني: تفضيل أنفسهم على ربهم حيث جعلوا أوضع الجنسين له، وأرفعها لهم، كما قال تعالى في سورة (الزخرف) [١٧ ـ ١٨]: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾. والثالث: أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه، وأقربهم إليه؛ حيث أنثوهم، ولو قيل لأدناهم، وأقلهم: فيك أنوثة، أو شكلك شكل النساء؛ للبس لقائله جلد النمر، ولانقلبت حماليقه، وذلك في أهاجيهم بيِّن مكشوف، فكرر الله سبحانه الأنواع في كتابه مرات، ودل على فظاعتها في آيات كثيرة. انتهى. هذا؛ والذين زعموا: أن الملائكة بنات الله هم قبيلة جهينة، وخزاعة، وبنو مُلَيْح، وبنو سلمة، وبنو عبد الدار.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي: جعلاً، وجائزة على ما جئتهم به من النبوة، ودعوتهم إليه من الدين، أو على التبليغ والإنذار. وهو استفهام إنكاري على معنى نفي الحصول من أصله. ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ يعني: أثقلهم ذلك المغرم الذي سألتهم، فمنعهم من الإيمان، والمغرم: أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه. والمعنى: ألزمهم مغرم ثقيل فدَحَهم، فزهدهم ذلك في اتباعك. ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: علم الغيب، وهو ما غاب عنهم حتى علموا: أن ما يخبرهم به الرسول ﷺ

من أمر القيامة، والبعث بعد الموت باطل. وقيل: هو جواب لقولهم: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ والمعنى: أعلموا: أن محمداً ﷺ يموت قبلهم. ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه، ويخبرون الناس به. ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: يريد أهل مكة بك يا محمد مكراً، وحيلةً، وغدراً في دار الندوة ليهلكوك، وهو ما عزموا عليه في ليلة الهجرة الشريفة من الأمور الثلاثة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ...﴾ إلخ رقم [٣٠] من سورة (الأنفال). ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ أي: المجزيون بكيدهم، والمعنى: أن ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ رقم [٤٣] من سورة (فاطر)، وقد انتقم الله منهم؛ حيث قتلوا في غزوة بدر، فكانوا عبرة لمن يعتبر، وما يعتبر إلا أولو الألباب، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْبَنَٰتُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَلَكُمُ﴾: الواو: حرف عطف. (لكم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْبَنُونَ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿تَسْـَٔلُهُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿أَجْرًا﴾: مفعول به ثان والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَهُم﴾: (الفاء): حرف عطف. (هم): مبتدأ. ﴿مِّن مَّغْرَمٍ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُّثْقَلُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿عِندَهُمُ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْغَيْبُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (هم): مبتدأ. ﴿يَكْتُبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله والمفعول محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها.

﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿يُرِيدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿كَيْدًا﴾: مفعول به، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَٱلَّذِينَ﴾: (الفاء): حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَرُوا۟﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. وقيل: معطوفة على ما قبلها، والأول أقوى.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)﴾

الشرح: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾: يخلق، ويرزق، ويعطي، ويمنع، يرفع، ويضع، يعز، ويذل... إلخ. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: نزه الله نفسه أن يكون له شريك. قال الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ: كل ما في سورة (الطور) من ذكر ﴿أَمْ﴾ فكلمة استفهام، وليس بعطف. وأقول: فهذا في المعنى، وهو مفيد للإنكار، والتوبيخ، والتقريع، ولكن في الإعراب لا بد من اعتبارها عاطفة صناعة.

هذا؛ و﴿سُبْحَانَ﴾ اسم مصدر. وقيل: هو مصدر، مثل: غفران، وليس بشيء؛ لأن الفعل «سبَّح» بتشديد الباء، والمصدر: تسبيح، ولا يكاد يستعمل إلَّا مضافاً منصوباً بإضمار فعله، مثل: معاذ الله. وقد أجري علماً على التسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قول الأعشى: [السريع]

قَدْ قُلْتُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ ... سُبْحَانَ مَنْ عَلْقَمَةُ الفَاخِرُ

وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار، والجهد بحقيقة الحال، ولذلك جعل مفتاح التوبة، فقد قال الله تعالى، حكاية عن قول موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وقد نزه الله ذاته في كثير من الآيات بنفسه تنزيهاً يليق بجلاله وعظمته. وجملة القول فيه: هو اسم موضوع موضع المصدر، وهو غير متمكن؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب، من رفع وجر، ولا تدخل عليه الألف واللام، ولم يجئ من لفظه فعل، وذلك مثل: قعد القرفصاء، ولم ينصرف؛ لأن في آخره زائدتين: الألف والنون، ومعناه: التنزيه والبراءة لله عز وجل من كل نقص، فهو ذكر عظيم لله تعالى، لا يصلح لغيره. وقد روي عن طلحة الخير بن عبيد الله، أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ أنه قال للنبي ﷺ: ما معنى سبحان الله؟ فقال: «**تنْزِيهُ اللهِ مِنْ كلّ سُوءٍ**». والعامل فيه على مذهب سيبويه، الفعل الذي من معناه، لا من لفظه؛ إذ لم يجر له من لفظه فعل، وذلك مثل: قعد القرفصاء، فالتقدير عنده: أنزه الله تنزيهاً، فوقع سبحان الله مكان قولك: تنزيهاً لله. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿إِلَٰهٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. ﴿غَيْرُ﴾: صفة ﴿إِلَٰهٌ﴾ وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿سُبْحَانَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف كما رأيت في الشرح، و﴿سُبْحَانَ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو من إضافته لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والفعل المقدر، والمصدر جملة فعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿سُبْحَانَ﴾، و(ما) تحتمل

الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: عن الذي، أو عن شيء يشركونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن) التقدير: عن شركهم.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾: هذا جواب لما حكى الله من قولهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية رقم [١٨٧] من سورة (الشعراء)، وأيضاً قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ رقم [٩٢] من سورة (الإسراء). هذا؛ و﴿كِسْفًا﴾ يقرأ هنا وفي غير هذه الآية بفتح السين، وسكونها. قال الأخفش: من قرأ بالسكون جعله واحداً، ومن قرأه بالفتح جعله جمعاً، وقال المهدوي: ومن أسكن السين جاز أن يكون كِسْفة، وجاز أن يكون مصدراً، من: كسفت الشيء: إذا غطيته، فكأنهم قالوا حين طلبوا ذلك: أسقطها علينا طبقاً واحداً. وفي القاموس المحيط: الكِسْفة بالكسر: القطعة من الشيء، والجمع كِسْف وكِسَف وجمع الجمع: أكساف، وكسوف. وفي القرطبي: و«الكِسْف» جمع: كِسْفة، وهي القطعة من الشيء.

﴿يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ أي: بعضه فوق بعض سقط علينا، وليس سماء. وهذا فعل المعاند، أو فعل من استولى عليه التقليد، وكان في المشركين القسمان. هذا؛ والسحاب: الغيوم التي تراها العيون في السماء، وهو واحد في اللفظ، ولكن معناه الجمع. وقيل: السحاب: اسم جنس، واحده: سحابة، فلذلك وصف بالجمع، وهو ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ في آية (الرعد) رقم [١٢]، وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ وأيضاً في سورة (الأعراف) رقم [٥٦]: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾. هذا؛ وتجمع السحابة على: سحاب، وسحائب، وسحب، وهو غربال الماء، قال تعالى في سورة (النور) رقم [٤٣]: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ قاله علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه. هذا؛ وقيل: السحاب: الغيم فيه ماء، أو لم يكن فيه ماء، ولهذا قيل: سحاب جهام، وهو الخالي من الماء. وأصل السحب: الجر، وسمي السحاب سحاباً، إما لجر الريح له، أو لجره الماء، أو لانجراره في سيره. ووصفه الله بـ: ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ في آية (الرعد) وآية (الأعراف) لثقله بالماء؛ الذي يحمله إلى حيث شاء الله الخلاق العظيم.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: (الواو): حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَرَوْا۟﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿كِسْفًا﴾: مفعول به، واكتفى الفعل به؛ لأنه بصري. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿كِسْفًا﴾. ﴿سَاقِطًا﴾: صفة ثانية لـ: ﴿كِسْفًا﴾ أو حال منه، بعد وصفه بما تقدم، وجملة: ﴿يَرَوْا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يَقُولُوا﴾: فعل مضارع جواب الشرط مجزوم... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب شرط جازم، ولم تقترن بالفاء، أو بـ: «إذا» الفجائية. ﴿سَحَابٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذا سحاب. ﴿مَرْكُومٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وإن ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَذَرْهُمْ﴾: اتركهم، وأعرض عنهم، والخطاب للنبي ﷺ، وهذا كان في مكة قبل الهجرة، وقبل الأمر بالقتال. ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ أي: يموتون، ويهلكون، وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعقة، وهي المذكورة في الآية رقم [٦٨] من سورة (الزمر)، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ. وقيل: المراد: يوم بدر. وهو ضعيف.

هذا؛ و(ذر) بمعنى: اترك، وأعرض، والمستعمل من هذه المادة المضارع، والأمر بكثرة في القرآن الكريم، وفي الكلام العربي، ومثله: (دَعْ) ومضارعه: «يدع» فكلا المادتين ناقص التصرف، وهما بمعنى الترك، وقد سمع الماضي منهما سماعاً نادراً، فقالوا: وَذَر، ووَدع، بوزن: وضع، إلا أن ذلك شاذ في الاستعمال؛ لأن العرب كلهم إلا قليلاً منهم قد أميت هذا الماضي من لغاتهم، وليس المعنى أنهم لم يتكلموا به ألبتة، بل تكلموا به دهراً طويلاً، ثم أماتوه بإهمالهم استعماله، فلما جمع العلماء ما وصل إليهم من لغات العرب؛ وجدوه مُماتاً إلا ما سمع منه سماعاً نادراً.

هذا؛ وقال قطة العدوي ـ رحمه الله تعالى ـ: قال بعض المتقدمين: زعم النحاة: أن العرب أماتت ماضي (وَدَعَ) ومصدره، واسم فاعله، واسم مفعوله، مع أنه قد قرأ عروة بن الزبير، وابنه هشام ـ رضي الله عنهما ـ قوله تعالى في سورة (الضحى): ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ بتخفيف الدال، بمعنى ما تركك، وكذا قرأ مقاتل، وابن أبي عبلة، وقال الرسول ﷺ: «**شرُّ الناسِ مَنْ ودعَهُ الناسُ اتقاء شرِّهِ**» وقال ﷺ: «**دَعُوا الحبشةَ ما وَدَعوكُمْ**» ورواه الجمل: (ذَرُوا الحبشة ما وذَرَتْكُمْ) وقال أبو العتاهية الصوفي: [المنسرح]

أَثْرَوْا فلم يُدْخِلوا قبورَهُمُ ... شيئاً من الثروةِ التي جَمَعُوا

وكان ما قدَّموا لأنفسهم ... أعظمَ نفعاً من الذي وَدَعُوا

وقال آخر: [الطويل]

وثَـمَّ وَدَعْـنـا آل عَـمـروٍ وعـامِـرٍ فَـرائِـسَ أطْـراء الـمـثـقـفـةِ الـسُّـمْـرِ

وقال أنس بن رُؤَيْم: [الرمل]

لـيـتَ شِـعْـرِي عَـنْ خَـلِـيـلـي مَـا الَّـذِي غـالَـهُ فـي الـحُـب حـتَّـى وَدَعَـهْ؟

فها هو الماضي قد ورد عن أفصح العرب قراءةً، وحديثاً، وكذا في شعر العرب، وورد المصدر أيضاً في قول النبي ﷺ: «**لَيَنْتَهينَّ قومٌ عَنْ ودْعهم الجُمعَات**» وفي رواية: (الجماعات)، «**أو ليختمنَّ الله على قلوبهم، ثمَّ ليكونُنَّ مِنَ الغافلين**». أخرجه مسلم وغيره، وورد اسم المفعول، واسم الفاعل من: «ودع» في قول خفَاف بن ندبة ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

إذَا مـا اسْـتـحـمَّـتْ أرضُـهُ مِـنْ سـمـائِـهِ جـرَى وهـو مـودوعٌ وواد عُ مُـصَـدَقُ

فكيف يقال: إن العرب أماتته، فالصواب القول بقلة الاستعمال لا بالإماتة. انتهى. بتصرف كبير. وقريب منه ما ذكره محب الدين الخطيب شارح شواهد الكشاف. هذا؛ وما قيل في: «وَذَرَ» ومضارعه: «يذَرُ»، وما قيل في: «وَدَعَ» ومضارعه: «يدعُ»، يقال في: «وَعَمَ»، ومضارعه «يَعِمُ»، وأمره: «عِمْ» وانظر الشاهد رقم [٣٠٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿فَذَرْهُمْ﴾: (الفاء): هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (ذرهم): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط يقدر بـ: «إذا» التقدير: إذا بلغوا في الكفر والعناد إلى هذا الحد، وتبين: أنهم لا يرجعون عن الكفر؛ فدعهم حتى يموتوا عليه. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها: «أن» مضمرة. ﴿يُلَٰقُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل ﴿يُلَٰقُواْ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَوْمَهُمُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: ﴿يَوْمَهُمُ﴾. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿يُصْعَقُونَ﴾: مضارع يقرأ بالبناء للفاعل، وللمفعول، والواو فاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ﴾: لا ينفعهم. ﴿كَيْدُهُمْ﴾ أي: ما كادوا به النبي ﷺ في الدنيا. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يمنعون من عذاب الله تعالى.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: بدل من ﴿يَوْمَهُمُ﴾ بدل كل من كل، أو هو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني يوم. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُغْنِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَيْدُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، والجملة: ﴿لَا يُغْنِى...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُنصَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: كفروا، والكفر أقسى أنواع الظلم، وأقبحه، وأشنعه. ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قبل موتهم. قال ابن زيد ـ رحمه الله تعالى ـ: مصائب الدنيا من الأوجاع، والأسقام، والبلايا، وذهاب الأموال، والأولاد. وقال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: هو الجوع، والجهد سبع سنين. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو القتل يوم بدر. وعنه أيضاً: عذاب القبر. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن العذاب نازل بهم. وذكر الأكثر إما لأن بعضهم لا يعرف الحق لنقصان عقله، أو لتقصيره في النظر، أو لم تقم عليه الحجة؛ لأنه لم يبلغ حد التكليف، أو لأنه يقوم مقام الكل.

هذا؛ و﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ هنا من المعرفة لا من العلم اليقيني، والفرق بينهما: أن المعرفة تكتفي بمفعول واحد، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

لِعِلْمِ عِرْفَانٍ وظَنٍّ تُهَمَهْ تعدِيَةٌ لواحِدٍ مُلْتَزَمَهْ

بخلافه من العلم اليقيني، فإنه ينصب مفعولين، أصلهما مبتدأ، وخبر. وأيضاً: فالمعرفة تستدعي سبق جهل، وأن متعلقها الذوات دون النسب بخلاف العلم، فإن متعلقه المعاني، والنسب. وتفصيل ذلك: أنك إذا قلت: عرفت زيداً؛ فالمعنى أنك عرفت ذاته، ولم ترد: أنك عرفت وصفاً من أوصافه، فإذا أردت هذا لم يتجاوز مفعولاً واحداً؛ لأن العلم، والمعرفة تناول الشيء نفسه، ولم يقصد إلى غير ذلك، وإذا قلت: علمت زيداً قائماً؛ لم يكن المقصود: أن العلم تناول نفس زيد فحسب، وإنما المعنى: أن العلم تناول كون زيد موصوفاً بهذه الصفة.

الإعراب: ﴿وَإِنَّ﴾: (الواو): حرف استئناف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) تقدم على اسمها. وجملة: ﴿ظَلَمُوا۟﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عَذَابًا﴾: اسم (إنَّ) مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿دُونَ﴾: ظرف مكان

متعلق بمحذوف صفة ﴿عَذَابًا﴾، و﴿دُونَ﴾ مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: (الواو): حرف عطف. (لكنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسم (لكنَّ) والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف للتعميم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكنَّ) والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: لقضاء ربك فيما حمَّلك من الرسالة. وقيل: لبلائه فيما ابتلاك به من قومك مع إمهالهم حتى يقع بهم ما يستحقون من العقاب الشديد، والعذاب الأليم. ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ أي: بمرأى منا، نرى، ونسمع ما تقول، وتفعل. وقيل: معناه: إنك بحيث نراك، ونحفظك، ونحوطك، ونحرسك، ونرعاك، فلا يصلون إليك بمكروه. وهذه الآية مِنَ المتشابهات، وفي ذلك مذهبان: مذهب السلف: التفويض، يقولون: لله عين تليق به، لا نعلمها. ومذهب الخلف: التأويل، يؤولونها بما ذكرته، وانظر الآية رقم [٤٧] من سورة (الذاريات)، والمحال عليهما بسورة (الفتح) وسورة (صٓ)، والله ولي التوفيق.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾: اختلف في تأويله، فقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وغيره: يسبح الله حين يقوم من مجلسه، فيقول: سبحان الله، وبحمده، أو سبحانك اللهم، وبحمدك، فإن كان المجلس خيراً؛ ازددت ثناءً حسناً، وإن كان غير ذلك؛ كان كفارة له. ودليل هذا التأويل ما خرجه الترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ جلسَ مجلساً، فكثُرَ فيه لغطهُ، فقالَ قبلَ أن يقومَ مِنْ مجلسهِ: سبحانكَ اللهمَّ وبحمدِك، أشهدُ أن لَا إلهَ إلا أنت، أسْتَغْفِرُكَ، وأتوبُ إليكَ؛ إلا غُفِرَ لَهُ ما كانَ في مَجْلِسِهِ ذَلِكَ**».

وقال أبو الجوزاء، وحسان بن عطية: المعنى: حين تقوم من منامك. قال حسان: ليكون مفتتحاً لعمله بذكر الله. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا قام من الليل يتهجَّد قال: «**اللهمّ لك الحمدُ، أنتَ نورُ السموات والأرضِ، ومَنْ فيهنَّ، ولكَ الحمدُ، أنتَ قيومُ السموات والأرضِ، ومَنْ فيهنَّ، ولكَ الحمدُ، أنتَ ربُّ السمواتِ والأرضِ، ومَنْ فيهنَّ، ولك الحمدُ، أنتَ الحقُّ، ووعدكَ الحقُّ، وقولكَ الحقُّ، ولقاؤكَ الحقُّ، والجنةُ حقٌّ، والنار حقٌّ، والساعة حقٌّ، والنبيون حقٌّ، ومحمدٌ حقٌّ. اللهمَّ لكَ أسلَمْتُ، وبكَ آمَنْتُ، وعليكَ توكلْتُ، وإليكَ أنبْتُ، وبِكَ خاصمْتُ، وإليكَ حاكمتُ، فاغفر لي ما قدمْتُ، وما أخَّرْتُ، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، أنتَ المقدمُ، وأنت المؤخرُ، لا إله إلا أنتَ، ولا إله غيركَ**». متفقٌ عليه.
والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱصْبِرْ﴾: (الواو): حرف استئناف. (اصبر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِحُكْمِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(حكم) مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿فَإِنَّكَ﴾: (الفاء): حرف تعليل. (إنك): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر، لا محل لها، وجملة: ﴿وَٱصْبِرْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَسَبِّحْ﴾: (الواو): حرف عطف. (سبح): فعل أمر، وفاعله: أنت، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿بِحَمْدِ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر التقدير: ملتبساً بحمد ربك. و(حمد) مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة... إلخ. ﴿حِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. ﴿تَقُومُ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿حِينَ﴾ إليها.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: لا أرى حاجة إلى المزيد على ما ذكرته في آخر سورة (ق) غير أني أضيف هنا ما يلي: عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لم يكن النبي ﷺ على شيء مِنَ النوافل أشدَّ معاهدةً منه على ركعتين قبلَ الصبح. أخرجه البخاري، ومسلم، وغيرهما. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَدَعُوا ركْعتي الفجْرِ، ولوْ طردتكمُ الخيلُ**». رواه أبو داود. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **تعدل ثلثَ القرآن، و**﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ **تعدِلُ ربعَ القرآن**». وكان يقرؤهما في ركعتي الفجر، وقال: «**هاتان الركعتان فيهما رُغَبُ الدَّهر**». رواه الطبراني في الكبير، وأبو يعلى بإسناد حسن.

هذا؛ و(إدبار النجوم) أي: جنوحها للغيبوبة. هذا؛ ويقرأ ﴿وَإِدْبَٰرَ﴾ بكسر الهمزة على أنه مصدر، وهي قراءة السبعة، وقرأ سالم بن أبي الجعد، ومحمد بن السميقع بفتح الهمزة على أنه جمع دبر، ودُبر الأمر، ودَبْرُه: آخره وانظر شرح التسبيح، وما قيل في الآية رقم [٩] من سورة (الفتح) وما ذكرته في آخر سورة (ق) جيد جداً جداً. وأما في الترغيب في التسبيح؛ فخذ ما يلي: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتانِ خفيفتان على اللّسانِ، ثقيلتانِ في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمدِهِ، سبحان الله العظيم**». رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقِيتُ إبراهيم عليه السلام ليلةَ أُسْري بي، فقال: يا محمد! أقرئ أمتك مني السلامَ، وأخبرهمْ: أنَّ الجنة طيبةُ**

التربة، عذبةُ الماء، وأنها قيعانٌ، وأن غراسَهَا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» رواه الترمذي، والطبراني، وزاد: «**وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوةَ إِلَّا بالله**».

الإعراب: ﴿وَمِنَ﴾: (الواو): حرف عطف. (من الليل): متعلقان بما بعدهما. ﴿فَسَبِّحْهُ﴾: (الفاء): صلة لتحسين اللفظ إلا إذا قدرت فعلاً محذوفاً قبل: (من الليل) فتكون حرف عطف، والفعلان: المحذوف والمذكور معطوفان على (سبح) السابق. (سبحه): أمر، وفاعله: أنت، والهاء مفعول به، ﴿وَإِدْبَرَ﴾: معطوف على محل (من الليل) فهو منصوب بنزع الخافض، و(إدبار) مضاف، و﴿ٱلنُّجُومِ﴾ مضاف إليه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

انتهت سورة (الطور) بحمد الله وتوفيقه، شرحاً وإعراباً.

والحمد لله رب العالمين.

 

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (النجم) وهي مكية. وقال ابن عباس، وقتادة: إلا آية منها، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ...﴾ إلخ وهي اثنتان وستون آية، وثلاثمئة وستون كلمة، وألف وأربعمئة وخمسة أحرف. انتهى. خازن.

وفي البخاري: عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون، والجن والإنس. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قرأ سورة (النجم) فسجد لها، فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفاً مِنْ حصباءَ أَو مِنْ ترابٍ، فرفعَهُ إلى وجهِهِ، وقال: يكفيني هذا. قال عبد الله: فلقد رأيته بعد قُتِل كافراً. متفق عليه. الرجل يقال له: أمية بن خلف. انتهى. قرطبي.

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أي: مال، وسقط، وغاب. والهوي: النزول، والسقوط. يقال: هوى، يهوي هُوِياً، مثل مضى، يمضي مُضِياً. قال أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة: [الخفيف]

بَيْنما نحنُ بالبلاكِثِ فالْقَا ... عِ سِراعاً والعيسُ تَهْوِي هُوِيا

خطرتْ خَطْرَةٌ على القلبِ مِنْ ذِكْـ ... ـرَاكِ، وَهْناً، فما استَطَعْتُ مُضِيَّا

كان هذا الشاعر متوجهاً إلى الشام، فلما كان بالبلاكث (مكان) تذكر زوجته، وكان شغوفاً بها، فكرَّ راجعاً، وقال الأبيات التي منها هذان البيتان. هذا؛ وقال الأصمعي: هوى بالفتح، يهوي هُوِياً؛ أي: سقط إلى أسفل. قال: وكذلك انهوى في السير: إذا مضى فيه، وهوى، وانهوى فيه، لغتان بمعنىً، وقد جمعهما يزيد بن الحكم الثقفي في قوله: [الطويل]

وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلايَ طِحْتَ كَمَا هَوَى بِأَجْرامِهِ مِنْ قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي

والمراد بـ: (النجم) هنا الثريا، والعرب تسمي الثريا نجماً، وإن كانت في العدد نجوماً، يقال: إنها سبعة أنجم. وهذا قول ابن عباس، وقتادة ـ رضي الله عنهما ـ. وعن مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ أن المعنى: والقرآن إذا نزل؛ لأنه كان ينزل نجوماً؛ أي: مفرقاً على حسب مقتضيات الأحوال. وقيل: المراد: نجوم السماء كلها حين تغرب. وهو قول الحسن؛ قال: أقسم الله بالنجوم إذا غابت. ولا يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد، ومعناه جمع كقول الراعي النميري: [الطويل]

فباتَتْ تعدُّ النجمَ في مُسْتحيرةٍ سريعٍ بأيدي الآكلينَ جمُودُها

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الخفيف]

أحْسَنُ النَّجْمِ في السماء الثريَّا والثُّريَّا في الأرضِ زَيْنُ النِّسَاءِ

وقيل: أراد بـ: (النجم) النبات، الذي ليس له ساق، و﴿هَوَىٰ﴾ سقط على الأرض، وقال جعفر الصادق: يعني بالنجم محمداً ﷺ، ومعنى ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: إذا نزل من السماء ليلة المعراج. والمعتمد الأول. ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ أي: ما ضل محمد ﷺ عن الحق، وما حاد عنه. ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ أي: ما صار غاوياً. والغي: ضد الرشد، والفرق بين الضلال والغي: أن الضلال هو أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقاً أصلاً، والغواية أن يكون له إلى مقصده طريق مستقيم، ولكن يحيد عنه، ويتركه، والمعنى: إن محمداً ﷺ مهتد راشد، وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال، والغي.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أي: ما يقول محمد ﷺ قولاً عن هوىً، وغرض. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ أي: إن ما يقوله محمد ﷺ وحي من الله لا زيادة فيه، ولا نقصان، كما روى الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ، قال: كنت أكتبُ كلَّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب، والرضا، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ. فقال: «**اكتبْ فو الَّذي نفسي بيدِهِ ما خرجَ مني إلَّا الحقُّ**». أخرجه أحمد وأبو داود، وقال ﷺ: «**ما أخبرتكمْ أنهُ مِنْ عِندِ الله، فهو الذي لا شك فيه**». وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا أقولُ إلَّا حقاً**» قال بعض أصحابه: إنك تداعبنا يا رسول الله! قال: «**إنّي لا أقولُ إلا حقاً**». أخرجه الإمام أحمد.

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ يعني: جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين، وهو الذي كان ينقل القرآن إلى النبي ﷺ، وكونه شديد القوى: لأنه اقتلع قرى قوم لوط، وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء، ثم قلبها، وصاح صيحةً بقوم ثمود، فأصبحوا جاثمين، وكان هبوطه بالوحي

على الأنبياء أسرع من رجعة الطرف. ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوة شديدة. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ذو منظر حسن.

وفي البيضاوي: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: حصافة في عقله، ورأيه، والحصافة بمعنى الاستحكام، وهي مخصوصة بالعقل، والتدبير، وهو بيان لما وضع له اللفظ؛ لأن العرب تقول لكل قوي العقل والرأي: ذو مِرة، من أمررت الحبل: إذا أحكمت فتله، وفي السمين: والمرة بالكسر: مزاج من أمزجة البدن، وقوة الخلق، وشدته، والعقل، والأصالة، والإحكام، والقوة، وطاقة الحبل. انتهى. جمل. هذا؛ ورجل مرير؛ أي: قوي، قال العباس بن مرداس، وينسب لكثير عزة: [الوافر]

تَرَى الرجلَ النحيفَ فتزْدَرِيه وحشْوُ ثيابِهِ أسَدٌ مريرُ

وقال لقيط: [البسيط]

حتى استمرَّتْ على شذْرٍ مريرَتُهُ مُرُّ العزيمة لا قَحْماً وَلَا ضَرَعا

ومنه قول خفاف بن ندبة ـ رضي الله عنه ـ: [الكامل]

إنّي امْرُؤٌ ذو مِرَّةٍ فاسْتَبْقِني فِيما يَنُوبُ مِنَ الخطوبِ صليبُ

هذا؛ وقال تعالى في وصفه في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٖ﴾. ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أي: فاستقام جبريل على صورته الحقيقية، دون الصورة؛ التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي، وكان ينزل في صورة دحية الكلبي، وذلك: أن رسول الله ﷺ أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها، فاستوى له في الأفق الأعلى، وهو أفق الشمس، فملأ الأفق. وقيل: ما رآه أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في صورته الحقيقية، سوى محمد ﷺ رآه مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء، أما التي في الأرض؛ فإن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام أن يراه في صورته، فسد الأفق، فذلك قوله تعالى في سورة (التكوير): ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾، وأما التي في السماء كانت ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى، كما تراه في الآيات التالية.

روى الإمام أحمد عن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمئة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، فخر رسول الله ﷺ مغشياً عليه، فنزل جبريل عليه السلام في صورة الآدميين، فضمه إلى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾. هذا؛ وانظر شرح (صاحب) في الآية رقم [١٤] من سورة (الأحقاف)، وانظر سورة (التكوير) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، وانظر ما ذكرته في أول سورة (الذاريات) بهذا الصدد. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مجرد عن الشرطية مبني على

السكون في محل نصب وفي عامله أوجه، وعلى كل واحد منها إشكال: أحد الأوجه: أنه متعلق بفعل القسم المحذوف، التقدير: أقسم بالنجم وقت هويه. قاله أبو البقاء، وغيره، وهو مشكل، فإن فعل القسم إنشاء، والإنشاء حال، و﴿إِذَا﴾ لما يستقبل من الزمان، فكيف يتلاقيان؟!.

الثاني: أن العامل فيه مقدر على أنه حال من (النجم) أي: أقسم به حال كونه مستقراً في زمان هويه، وهو مشكل من وجهين: أحدهما: أن النجم جثة، والزمان لا يكون حالاً منها، كما لا يكون خبراً عنها. والثاني: أن ﴿إِذَا﴾ للمستقبل، فكيف يكون حالاً؟! وقد أجيب عن الأول بأن المراد بالنجم القطعة من القرآن، والقرآن قد نزل منجماً في عشرين سنة، وهذا على تفسير ابن عباس، وغيره، وعن الثاني بأنها حال مقدرة.

الثالث: أن العامل نفس النجم؛ إذا أريد به القرآن. قاله أبو البقاء. وفيه نظر؛ لأن القرآن لا يعمل في الظرف إذا أريد به أنه اسم لهذا الكتاب المخصوص. وقد يقال: إن النجم بمعنى المنجَّم، كأنه قيل: والقرآن المنجَّم في هذا الوقت. انتهى. جمل. ﴿هَوَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى النجم، تقديره: «هو»، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿ضَلَّ﴾: فعل ماض. ﴿صَاحِبُكُمْ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: (الواو): حرف عطف. (ما): نافية. ﴿غَوَىٰ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿صَاحِبُكُمْ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية. ﴿يَنطِقُ﴾: مضارع والفاعل يعود إلى ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ أيضاً. ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿وَحْىٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يُوحَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿وَحْىٌ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿وَحْىٌ﴾. ﴿عَلَّمَهُۥ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿شَدِيدُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و(القوى) مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿عَلَّمَهُۥ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿وَحْىٌ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، والرابط على الاعتبارين محذوف، التقدير: علمه إياه، و﴿شَدِيدُ﴾ صفة لموصوف محذوف، التقدير: علمه إياه ملك ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾. ﴿ذُو﴾: صفة ثانية للموصوف المحذوف مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذُو﴾ مضاف، و﴿مِرَّةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: الفاء: حرف عطف. (استوى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾

والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع، أو نصب مثلها. ﴿وَهُوَ﴾: (الواو): واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿بِٱلْأُفُقِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾: صفة (الأفق) مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل (استوى) المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ أي: دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض. ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فنزل على النبي ﷺ بالوحي، والمعنى: أنه لما رأى النبي ﷺ من عظمة جبريل ما رأى، وهاله ذلك؛ رده الله إلى صورة آدمي حين قرب من النبي ﷺ بالوحي. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن معناه: أن الله تبارك وتعالى دنا من محمد ﷺ فتدلى. وروى نحوه أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، والمعنى: دنا منه أمره، وحكمه. وهذا يعني: أن في الكلام تقديماً، وتأخيراً. وبه قال القرطبي. وأصل التدلي: النزول إلى الشيء؛ حتى يقرب منه، فوضع موضع القرب، قال لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [الرمل]

فَتَدَلَّيْتُ عَلَيْهِ قَافِلاً ... وَعَلَى الأرضِ غَيَايَاتُ الطَّفَل

﴿فَكَانَ قَابَ﴾ أي: مقدار. ﴿قَوْسَيْنِ﴾: تثنية قوس، وقال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ: (القاب) صدر القوس العربية، حيث يشدّ عليه السير، الذي يتنكبه صاحبه، ولكل قوس قاب واحد. فأخبر الله: أن جبريل قرب من محمد كقرب قاب قوسين. وقال سعيد بن جبير، وعطاء، وأبو إسحاق الهمداني، وغيرهم: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي: قدر ذراعين، والقوس: الذراع يقاس بها كل شيء، وهي لغة بعض الحجازيين. والقوس يذكر، ويؤنث، فمن أنث قال في تصغيرها: قويسة، ومن ذكر قال: قُوَيْس، والجمع: قِسِيٌّ، وأقواسٌ، وقياسٌ، والقوس أيضاً: بقية التمر في الوعاء. والقوس برج في السماء. هذا؛ وقال الزمخشري: وقد جاء التقدير بالقوس، والرمح، والسوط، والذراع، والباع، والخطوة، والشبر، والفتر، والأصبع. ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾: أو أقل من قاب قوسين.

هذا؛ وقال القاضي عياض: فمن جعل الضمير عائداً إلى الله تعالى، لا إلى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب، ولطف المحل، وإيضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من محمد ﷺ، وعبارة عن إجابة الرغبة، وقضاء المطالب، وهذه الآية كقوله تعالى في سورة (الصافات) رقم [١٤٣]: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ لأن المعنى: فكان بأحد هذين المقدارين في

رأي الرائي؛ أي: لتقارب ما بينهما يشك الرائي في ذلك. هذا؛ وتقدير الكلام: فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قاب قوسين. فحذفت هذه المتضايفات، كما قال أبو علي الفارسي في قول كلحبة العرني اليربوعي وهو الشاهد رقم [١٠٥٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

فَأَدْرَكَ إِرْقَالَ الْعَرَادَةِ ظَلْعُهَا ... وَقَدْ جَعَلَتْني مِنْ حَزِيمَةَ إِصْبِعَا

هذا؛ وقال الكسائي، ونقله عنه الجوهري: أن المراد قوس واحد، فقلبت التثنية بالإفراد، فكان أصله (قَابَيْ قوس) ومثل الآية قول الشاعر، وهو الشاهد [١١٩٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

إِذَا أَحْسَنَ ابْنُ الْعَمِّ بَعْدَ إِسَاءَةٍ ... فَلَسْتُ لِشَرَّيْ فِعْلِهِ بِحَمُولِ

فأصل الكلام (فلست لشر فِعْلَيْهِ).

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾: الضمير المجرور بالإضافة يرجع إلى الرسول ﷺ. وقيل: إلى جبريل، عليه السلام. هذا؛ وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: أوحى الله إلى جبريل، وأوحى جبريل إلى محمد ﷺ. ثم قيل: هذا الوحي، هل هو مبهم؟ لا نطلع عليه نحن، وتعبدنا بالإيمان به على الجملة، أو هو معلوم مفسر؟ قولان، وبالثاني قال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ قال: أوحى الله إلى محمد ﷺ: **«ألَمْ أجِدْكَ يتيماً فآويتكَ؟ ألَمْ أجِدْكَ ضَالاً فهديتُكَ؟ ألَمْ أجِدْكَ عائِلاً فأغنيتُكَ؟»** ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ...﴾ إلخ

وقيل: أوحى الله إليه: أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد! وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك. وهذا الإبهام كثير في الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى في سورة (طه): ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ أي: قلب محمد ﷺ، ويقرأ الفعل بالتخفيف، والتشديد. قال الأخطل التغلبي، وهو الشاهد رقم [٦١] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الكامل]

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ ... غَلَسَ الظَّلامِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالا

ورحم الله من قال للجاحظ في مرضه الذي توفي فيه: [الوافر]

أَتَرْجُو أَنْ تَكُونَ وأَنْتَ شَيْخٌ ... كَمَا قَدْ كُنْتَ أَيَّامَ الشَّبَابِ؟

لَقَدْ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ثَوْبٌ ... جَدِيدٌ كَالدَّرِيسِ مِنَ الثِّيَابِ

﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ أي: بعينه تلك الليلة، بل صدقه، وحققه. واختلفوا في الذي رآه. فقيل: رأى جبريل على صورته الحقيقية؛ التي ذكرتها لك فيما سبق. وهو قول ابن عباس، وابن مسعود، وعائشة. وقيل: هو الله عز وجل، ثم اختلفوا في معنى الرؤية، فقيل: جعل بصره في فؤاده،

وهو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: رآه بفؤاده مرتين، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه حقيقة، وهو قول أنس بن مالك والحسن وعكرمة.

وكانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول: لم ير رسول الله ﷺ ربه، وتحمل الآية على رؤية جبريل عليه السلام، فعن مسروق ـ رضي الله عنه ـ قال: قلتُ لعائشة: يا أماهُ! هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقدْ قفَّ شعري مما قلتَ؛ أين أنتَ من ثلاث؟ من حدثكهن فقد كذب، من حدثك أن محمداً رأى ربه؛ فقد كذب، ثم قرأت الآية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ...﴾ إلخ رقم [١٠٣] من سورة (الأنعام)، وقرأت: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا...﴾ إلخ الآية رقم [٥١] من سورة (الشورى)، ومن حدثك: أن محمداً يعلم ما في غد؛ فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا...﴾ إلخ آخر آية في سورة (لقمان)، ومن حدثك أن محمداً كتم أمراً؛ فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...﴾ إلخ الآية رقم [٦٧] من سورة (المائدة)، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين. أخرجه البخاري، ومسلم.

هذا؛ وفي صحيح مسلم عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيتَ ربك؟ قال: «**نورٌ أنَّى أراهُ؟**». المعنى: غلبني من النور، وبهرني منه ما منعني من رؤيته. وروى أبو العالية قال: سئل رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك؟ قال: «**رأيْتُ نهراً، ورأيتُ وراءَ النهرِ حِجَاباً، ورأيْتُ وراءَ الحجاب نوراً، لَمْ أَرَ غَيْر ذَلِكَ**».

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أي: أتجادلونه على ما يرى، وذلك: أنهم جادلوه حين أسري به، وقالوا له: صف لنا بيت المقدس، وأخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به. هذا؛ وقرأ حمزة، والكسائي: (أفتَمْرونه) بفتح التاء من غير ألف على معنى: أفتجحدونه؟ يقال: مَراه حقه؛ أي: جحده، ومريته أنا، قال الشاعر: [البسيط]

لَئِنْ هَجَرْتَ أخا صِدْقٍ وَمَكْرُمَةٍ ... لَقَدْ مَرَيْتَ أخاً مَا كَانَ يُمْرِيكا

هذا؛ والمماراة، والمراء: الملاحاة، والمخاصمة، والمجادلة. قال تعالى لنبيه ﷺ في سورة (الكهف) رقم [٢٢]: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿دَنَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى جبريل عليه السلام، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: (الفاء): حرف عطف. (تدلى): فعل ماض، والفاعل يعود إلى جبريل أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَكَانَ﴾: (الفاء): حرف عطف. (كان): ماض ناقص، واسمه يعود إلى جبريل. ﴿قَابَ﴾: خبر (كان). وانظر ما قدرته في الشرح، و﴿قَابَ﴾ مضاف، و﴿قَوْسَيْنِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد،

وجملة: (كان. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿أَدْنَىٰ﴾: معطوف على ﴿قَابَ﴾ فهو منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾: (الفاء): حرف عطف. (أوحى): فعل ماض، والفاعل يعود مثل سابقه. ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿مَآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: الذي أوحاه. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَذَبَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلْفُؤَادُ﴾: فاعله. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على نزع الخافض التقدير في الذي رآه، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: مفعول به صريح. وقيل: إن الفعل: «كذب» بالتخفيف ينصب مفعولين: فيقال: كذبه الحديث؛ إذا نقل الكذب، فإذا شددت الذال ينصب مفعولاً واحداً، وهذا من عكس التعدية. والجملة بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: الذي رآه، وجملة: ﴿مَا كَذَبَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾: (الهمزة): حرف استفهام. (الفاء): حرف عطف، أو استئناف. (تمارونه): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الفاء. ﴿عَلَىٰ مَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وجملة ﴿يَرَىٰ﴾ صلة ﴿مَا﴾ والعائد محذوف، التقدير: على الذي يراه. وقيل: (ما) مصدرية، وهو ضعيف.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾: الفاعل يعود إلى النبي ﷺ، واختلف في عود الضمير المنصوب مثل سابقه، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: رأى محمد ﷺ ربه مرة أخرى بقلبه، فإنه كان له صعود، ونزول مراراً بحسب أعداد الصلوات المفروضة، فلكلٍّ عرجة نزلة. وقال ابن مسعود، وأبو هريرة ـ رضي الله عنهما ـ: إنه جبريل عليه السلام رآه مرةً في الأفق، والثانية عند سدرة المنتهى. وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: قال رسول الله ﷺ: «**رأيْتُ جبريلَ بالأفقِ الأعلى، لهُ سِتمئةِ جَناحٍ، يتناثرُ مِنْ ريشهِ الدرُّ والياقوت**». وسدرةُ المنتهى في السماء السادسة، وجاء: أنها في السابعة، والحديث بهذا في صحيح مسلم.

الأول: ما رواه مُرَّةُ عن عبد الله، قال: لما أُسْرِيَ برسول الله ﷺ انتهيَ به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَط به من فوقها، فيقبض منها، فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات

الخمس، وأعطي خواتيم سورة (البقرة)، وغُفِرَ لمن لمْ يشركْ بالله من أمته شيئاً الْمُقْحِمَاتُ. (الْمُقْحمات: الذنوب العظام؛ التي تقحم أصحابها في النار؛ أي: تلقيهم فيها.

والثاني: رواه قتادة عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**لما رُفِعْتُ إلى سِدْرة المنتهى في السماء السابعة. نبتُها مِثْلُ قِلَالِ هَجَر، وورقُها مثل آذان الْفِيَلَة، يخرج من ساقها نهران ظاهِران، ونهران باطِنان، قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: أمَّا الباطنانِ ففي الجنة، وأمَّا الظاهران فالنيلُ والفراتُ**». روى الحديثين مسلم في صحيحه. هذا؛ والسدر: شجر النبق، والنبق ثمر السدر واحده: نَبِقة.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾: الإضافة تعريف بموضع جنة المأوى، وأنها عند سدرة المنتهى. قال الحسن: هي التي يصير إليها المتقون. وقيل: إنها الجنة التي يصير إليها أرواح الشهداء. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ وهي عن يمين العرش. هذا؛ وانظر ما ذكرته بشأن الجنات في الآية رقم [٧٣] من سورة (الزمر).

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾: في هذه الآية تفخيم جنة المأوى، وتفخيم سدرة المنتهى. قال القشيري: وسئل رسول الله ﷺ ما غشِيَها؟ قال: فَراشٌ من ذهَبٍ. وفي خبرٍ آخر: «**غشِيَها نورٌ مِنَ الله حتى ما يستطيع أحد أنْ يَنْظُرَ إليها**». وقيلَ غيرُ ذلك. هذا؛ وفي إبهام الموصول تعظيم الأمر، ومثله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾. وقال الماوردي في معاني القرآن: فإن قيل: لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر؟ قيل: لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة ذكية، فشابهت الإيمان الذي يجمع قولاً، وعملاً، ونيةً. انتهى. قرطبي بتصرف كبير.

هذا؛ وسدرة المنتهى هي شجرة طوبى المذكورة في سورة (الرعد) رقم [٣١]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما مال بصر النبي ﷺ في ذلك المقام، وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يميناً، وشمالاً، ولا جاوز ما رأى. وقيل: ما أُمِر به. وهذا؛ وصف أدبه ﷺ في ذلك المقام الشريف؛ إذ لم يلتفت إلى شيء سوى ما أُمِر به. هذا وجه لتأويل الآية، والوجه الثاني: ما زاغ البصر بصعقة، ولا غَشْيةٍ، كما أخبر الله عز وجل عن موسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام بقوله في سورة (الأعراف) رقم [١٤٣]: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ وذلك أنه لما تجلى رب العزة، وظهر نوره على الجبل، قطع نظره، وغشي عليه، ونبينا ﷺ ثبت في ذلك المقام العظيم؛ الذي تحار فيه العقول، وتزل فيه الأقدام، وتزيغ فيه الأبصار. فوصف الله عز وجل قوة نبينا، وثباته في ذلك المقام العظيم بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ وما أحسن قول القائل: [الطويل]

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لتاها

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: رأى رفرفاً سد الأفق، فقد خرج الترمذي عن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في حلّةٍ من رفرفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض. وقال: حديث حسن صحيح، وقد تقدم: أنه رآه في صورته له ستمئة جناح.

تنبيه: هذه الآيات صريحة في أن النبي ﷺ عُرِجَ به إلى السموات العلى، ورأى ما رأى في ملكوت السموات من الآيات العظام، فلم يبق مجال للقول: إن الإسراء ثبت بآية (الإسراء) وهي قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ...﴾ إلخ، وإن المعراج ثبت بالأحاديث، بل كلاهما قد ثبت بالآيات القرآنية، وصار الحكم على منكر واحد منهما بالكفر حقيقة لا شك فيها، والله الموفق والمعين. والحمد لله رب العالمين.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: (الواو): حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. هذا؛ وبعضهم يعتبر الواو عاطفة، وبعضهم يعتبرها حرف استئناف. وبعضهم يعتبر الواو واو الحال، ويعتبرون الجملة الآتية جواباً لقسم محذوف. ولا أسلمه أبداً؛ لأنه على هذا يكون قد حذف واو القسم، والمقسم به، ويصير التقدير: ووالله أقسم، أو وأقسم والله، واللام واقعة في جواب القسم المحذوف، وبعضهم يقول: اللام موطئة للقسم، والموطئة معناها المؤذنة، وهذه اللام إنما تدخل على «إنْ» الشرطية، لتدل على القسم المتقدم على الشرط، وتكون الجملة الآتية جواباً للقسم المدلول عليه باللام، والمتقدم على الشرط حكماً، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ الآية رقم [١٢] من سورة (الحشر) افهم هذا؛ واحفظه، فإنه جيد. والله ولي التوفيق.

فإن قيل: ما ذكرته من إعراب يؤدي إلى حذف المقسم به، وبقاء حرف القسم، فالجواب: أنه قد حذف المقسم به حذفاً مطرداً في أوائل السور، مثل قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ فإن التقدير: ورب النجم، ورب الشمس... إلخ، الدليل على ذلك التصريح به في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية رقم [٢٣] من سورة (الذاريات)، وحذف المقسم به ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الآية رقم [٧١] من سورة (مريم)، وأظهر منه في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية رقم [٧٣] من سورة (المائدة)، فالواو في الآيتين حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف بلا ريب.

(قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿رَءَاهُ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل تقديره: «هو»، يعود إلى الرسول ﷺ، والهاء مفعول به. ﴿نَزْلَةً﴾: فيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها منصوبة على الظرف. قال الزمخشري نصب الظرف الذي هو

مرة؛ لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل، فكانت في حكمها. قلت: وهذا ليس مذهب البصريين، وإنما هو مذهب الفراء، نقله عنه مكي. الثاني: أنها منصوبة نصب المصدر الواقع موقع الحال، قال مكي: أي رآه نازلاً نزلةً أخرى، وإليه ذهب الحوفي، وابن عطية. والثالث: أنه منصوب على المصدر المؤكد، فقدره أبو البقاء: مرة أخرى، أو رؤية أخرى. قلت: وفي تأويل نزلة برؤية نظر، و﴿أُخۡرَىٰ﴾ تدل على سبق رؤية قبلها. انتهى. جمل نقلاً من السمين.

﴿أُخۡرَىٰ﴾: صفة ﴿نَزۡلَةً﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿نَزۡلَةً﴾، أو بالفعل رأى، أو بمحذوف حال من الفاعل، أو من المفعول به، أو منهما معاً، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿سِدۡرَةِ﴾ مضاف إليه، و﴿سِدۡرَةِ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾: مضاف إليه. ﴿عِندَهَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، (وها): في محل جر بالإضافة. ﴿جَنَّةُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾، والرابط: الضمير فقط. ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان بمعنى: «حين» مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل رأى. ﴿يَغۡشَى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱلسِّدۡرَةَ﴾: مفعول به. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿يَغۡشَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، والفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾ وهو العائد، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿زَاغَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلۡبَصَرُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: (الواو): حرف عطف. (ما): نافية. ﴿طَغَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى ﴿ٱلۡبَصَرُ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لَقَدۡ﴾: (اللام): واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: وعزتي وجلالي. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿رَأَىٰ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى الرسول ﷺ. ﴿مِنۡ ءَايَٰتِ﴾: جار ومجرور في محل نصب مفعول به، وقدر أبو البقاء المفعول محذوفاً شيئاً، فيكون الجار والمجرور متعلقين بمحذوف صفة له، وهذا لا يجوز عند سيبويه؛ لأنه لا يجوز حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه إلا في مواضع معينة، وليس هذا منها، و﴿ءَايَٰتِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّهِ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، ﴿ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾: صفة ﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾ فهو مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. هذا؛ وأجيز اعتباره مفعولاً به، واعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف حال من ﴿ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾، تقدمت الحال عليها. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾: لما ذكر الله الوحي إلى النبي ﷺ، وذكر من آثار قدرته ما ذكر؛ وبخ المشركين، وقرعهم بهذه الآيات؛ إذ عبدوا ما لا يعقل، فقال: أفرأيتم هذه الآلهة التي تعبدونها، أَوْحَيْنَ إليكم شيئاً، كما أُوحي إلى محمد ﷺ. وكانت اللات لبني ثقيف بالطائف، والعزى لقريش، وبني كنانة، ومناة لبني هلال. وقال هشام: فكانت مناة لهذيل، وخزاعة، وكانت اللات صخرة بيضاء مربعة، وكان سدنتها من ثقيف، وكانوا قد سوّْا عليها بناءً، له أستار، وسدنة، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش، فكانت قريش وجميع العرب تعظمها، وبها كانت العرب تسمي: زيدَ اللات، وتيم اللات، فلم تزل كذلك إلى أن أسلمت ثقيف، فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة، فهدمها، وحرقها بالنار، وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله، فقالوا: اللات، يعنون مؤنثة منه. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً! وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان اللات رجلاً يَلُتُّ السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه، تعظيماً له ولعمله. قال شداد بن عارض الجشمي من أبيات قالها حين هدمت اللات، وحرقت، ينهي ثقيفاً عن العود إليها والغضب لها. [البسيط]

لا تَنْصُرُوا الـلَّاتَ إنَّ الله مُـهـلِـكُـهـا وَكَـيْـفَ يَـنْـصُـرُكُـمْ مَـنْ لَـيْـسَ يـنـتـصِـرُ؟

أما العزى؛ فكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة، والطائف، كانت قريش تعظمها، كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى، ولا عزى لكم! فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: الله مولانا، ولا مولَى لكمْ**». وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم العزيز، فقالوا: العُّزى، يعنون مؤنثة منه، قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٨٠]: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾. انظر شرحها هناك تجد ما يسرك ويثلج صدرك، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ إلى العزى، فقطعها، وحطمها، وجعل يضربها بالفأس، ويقول: [الرجز]

يَـا عُـزَّ كـفـرانَـكِ لَا سُـبْـحَـانَـكِ إنِّـي رَأَيْـتُ الله قَـدْ أهـانَـكِ

فخرجت منها شيطانة، ناشرة شعرها، داعية بويلها، واضعة يدها على رأسها، ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هي حممة، ثم أتى النبي ﷺ، فأخبره فقال: «**تلك العزى، ولن تعبد أبداً**». وكانوا يسمون عبد العزَّى، فأبو لهب عم النبي ﷺ كان اسمه: عبد العزى. أما مناة فهي اسم صنم لهذيل، وخزاعة بقديد بين مكة، والمدينة، وكذلك قريش تعظمها أيضاً، وسميت بذلك؛ لأنهم كانوا يريقون عندها الدماء، يتقربون بذلك إليه، وبذلك سميت مِنى في الجاهلية

يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة. وكان للعرب أصنام كثيرة، وإنما أفردت هذه بالذكر؛ لأنها أشهر من غيرها، فلما دخل الرسول ﷺ مكة فاتحاً كان حول الكعبة ثلاثمئة وستون صنماً.

هذا؛ والعرب لا تقول للثالثة أخرى، وإنما ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ نعت للثانية، واختلفوا في وجهها، فقال الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ: إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآي؛ كقوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ ولم يقل: أخر. وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم، وتأخير، مجازها: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى، ومناة الثالثة. وقيل: إنما قال: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ لأنها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم بعد اللات، والعزى، فالكلام على نسقه. وقيل: هي صفة ذم كأنه تعالى قال: ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة، فعلى هذا فالأصنام ترتب مراتب، وذلك؛ لأن اللات كان صنماً على صورة آدمي، والعزى شجرة، فهي نبات، ومناة صخرة، فهي جماد، فهي في أخريات المراتب. انتهى. خازن.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾: استفهام توبيخي تقريعي، حيث قالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام بنات الله، مع أنهم يكرهون الإناث، قال تعالى في سورة (النحل) رقم [٦٢]: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾، وقال تعالى في سورة (الصافات) رقم [١٥٣] موبخاً ومؤنباً لهم: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾، وقال في سورة (الطور): ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي: جائرة عن العدل، خارجة عن الصواب، مائلة عن الحق، حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم، يقال: ضاز في الحكم؛ أي: جار، وضازه حقه، يضيزه ضيزاً؛ أي: نقصه وبخسه. قال امرؤ القيس: [الرجز]

ضَازَتْ بَنُو أَسَدٍ فِي حُكْمِهِمِ ... إِذْ يَجْعَلُونَ الرَّأْسَ كَالذَّنَبِ

هذا؛ ويقرأ: (ضِئْزى) بهمزة ساكنة، ومعنى ضأزه، يضأزه: نقصه حقه ظلماً، وجوراً، وهو بمعنى الأول، وفي المختار: ضاز في الحكم: جار، وضازه فيه: نقصه، وبخسه، وبابهما: باع.

قال محمد علي الصابوني: وفي القرآن لفظة غريبة، هي أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها فيه، وهي كلمة: ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن، ومن أعجبه، ولو أردت اللغة العربية ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها، وهي سورة (النجم) مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب؛ إذ وردت في ذكر الأصنام، وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة، والأصنام بنات لله، مع وأدهم للبنات، فقال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة؛ التي أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها، الإنكار في الأولى، والتهكم في

الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل. انتهى. علوم القرآن.

هذا؛ ولابن الأثير كلام جيد في الرد على من أنكر استعمال لفظة ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ في القرآن، فقال: إذا جئنا بلفظة في معنى هذه اللفظة، قلنا: قسمة جائرة، أو ظالمة، لا شك أن جائرة، أو ظالمة أحسن من ضيزى، إلا أننا إذا نظمنا الكلام، فقلنا (ألكمُ الذكرُ ولهُ الأنثى، تلكَ إذاً قسمةٌ ظالمةٌ) لم يكن النظم كالنظم الأول، وصار الكلام كالشيء المعوز، الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من له ذوق، ومعرفة بنظم الكلام، فلما سمع ذلك الرجل ما أوردته عليه ربا لسانه في فمه إفحاماً، ولم يكن عنده في ذلك شيء سوى العناد.

هذا ما قاله ابن الأثير، وهو جيد يدل على ذوق، وفهم، ولكنه لا يخرج عن الحدود اللفظية، وسنذكر ما سنح للخاطر من أمر معنوي يتعلق بهذا الكلام، فنقول: لما كان الغرض تهجين قولهم، وتفنيد قسمتهم، والتشنيع عليها، اختيرت لها لفظة مناسبة للتهجين، والتشنيع، كأنما أشارت خساسة اللفظة إلى خساسة أفهامهم، وهذا من أعجب ما ورد في القرآن الكريم من مطابقة الألفاظ لمقتضى الحال. انتهى. باختصار من الدرويش.

الإعراب: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾: (الهمزة): حرف استفهام، وتوبيخ. (الفاء): حرف استئناف، وقيل: عاطفة على كلام محذوف، انظر الشرح لتقدير هذا المحذوف. (رأيتم): فعل، وفاعل. ﴿ٱللَّٰتَ﴾: مفعوله الأول. (العزى): معطوف عليه منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. (مناة): معطوف أيضاً على ما قبله. ﴿ٱلثَّالِثَةَ﴾: صفة (مناة). ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾: صفة (العزى) وانظر الشرح، والمفعول الثاني محذوف، قدره الجلال، كما يلي: ألهذه الأصنام قدرة على شيء، فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره. وقيل: إن الثاني هو المذكور بقوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾. ﴿أَلَكُمُ﴾: (الهمزة): حرف استفهام إنكاري توبيخي. (لكم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلذَّكَرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة على اعتبار المفعول الثاني محذوفاً، أو هي في محل نصب مفعوله الثاني كما رأيت، والتي بعدها معطوفة عليها. ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء مهمل، لا عمل له، ﴿قِسْمَةٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿ضِيزَىٰٓ﴾: صفة ﴿قِسْمَةٌ﴾ والجملة الاسمية مستأنفة.

تنبيه: فإن قيل: ما فائدة الفاء في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ وقد وردت في مواضع بغير فاء، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ...﴾ إلخ رقم [٤] من سورة (الأحقاف)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ...﴾ إلخ الآية رقم [٤٠] من سورة (فاطر)؟ فالجواب: أنه لما تقدم عظمة الله في ملكوته، وأن رسوله إلى الرسل يسد الآفاق ببعض أجنحته، ويهلك المدائن بشدته وقوته، ولا

يمكنه مع هذا أن يتعدى السدرة في مقام جلال الله، وعزته؛ قال: أفرأيتم هذه الأصنام مع ذلتها، وحقارتها شركاء لله مع ما تقدم، فقال بالفاء؛ أي: عقيب ما سمعتم من عظمة آيات الله الكبرى، ونفاذ أمره في الملأ الأعلى، وما تحت الثرى، انظروا إلى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم إليه. انتهى. جمل نقلاً من كرخي.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿إِنْ هِىَ﴾ أي: ما هذه الأصنام ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ والمعنى: أنكم سميتموها آلهة، وليست بآلهة حقيقة، ولا بمعبودة حقيقة. وقيل: المعنى: قلتم لبعضها: عزى، ولا عزة لها فلا يكون لها مسمى حقيقة. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (يوسف) رقم [٤٠]: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾، وقوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٧١]: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾. وانظر شرح ﴿سُلْطَٰنٍ﴾ في سورة (الذاريات) رقم [٣٨]. هذا؛ وأسماء جمع: اسم، أصله: أسماو، فقل في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: إلا توهم أن ما هم عليه حق، تقليداً، أو توهماً باطلاً. ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾: وما تشتهيه أنفسهم، وتزينه لهم شياطينهم. وفي الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة، انظر الالتفات في سورة (الذاريات) رقم [٥٦]. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي: البيان المنزل، والنبي المرسل: أن الحجارة، والأوثان ليست بآلهة، وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار، فتركوا الدليل الواضح إلى الشيء المتوهم؛ الذي لا حقيقة له، وليس له أي مستند، وانظر الظن في سورة (الحجرات) رقم [١٢] فإنه جيد.

الإعراب: ﴿إِنْ﴾: حرف نفي. ﴿هِىَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَسْمَآءٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع. و(ها): مفعوله الأول، والثاني محذوف، تقديره: آلهة. وقيل بالعكس. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع توكيد لتاء الفاعل المتحركة. ﴿وَءَابَآؤُكُم﴾: الواو: حرف عطف. (آباؤكم): معطوف على تاء الفاعل، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿أَسْمَآءٌ﴾. ﴿مَّآ﴾: نافية. ﴿أَنزَلَ﴾: ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، ولا وجه له. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿سُلْطَٰنٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره،

منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿أَسۡمَآءٌ﴾، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلظَّنَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: (الواو): حرف عطف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على (الظن) والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: والذي تهواه الأنفس. ﴿وَلَقَدۡ﴾: انظر الآية رقم [١٣]. ﴿جَآءَهُم﴾: ماض، والهاء مفعوله. ﴿مِّن رَّبِّهِمُ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلۡهُدَىٰٓ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم...﴾ إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، أو هو معترض بين المتعاطفات، وقيل: في محل نصب حال من واو الجماعة في ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ وهو ضعيف.

﴿أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ...﴾ إلخ: معناه: أيظن الإنسان الكافر أن ينال ما يتمنى من شفاعة الأصنام. وقيل: ما يتمنى من البنين. وقيل: ما يتمنى من النبوة. والمعنى: ليس كل مَن تمنى خيراً يحصل له، قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾ أي: إن الأمر كله لله، مالك الدنيا، والآخرة، والمتصرف فيهما، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، لا راد لعطائه، ولا معطي لما منعه. هذا؛ والمراد بالأولى: الحياة الدنيا الحاضرة؛ التي يحياها الإنسان، وهو حي، والمراد بالآخرة: الحياة التي تكون بعد الموت، وما فيها من عذاب، أو نعيم، و﴿ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ الحياة الثانية الأبدية؛ التي تكون بعد الموت، ثم البعث والنشور، والحساب والجزاء، وهي في الجنة لمن آمن وعمل صالحاً، أو في النار لمن كفر، وعمل سيئاً، ورحم الله من يقول: [البسيط]

الْمَوْتُ بابٌ وكلُّ النَّاسِ داخِلُهُ ... فليْتَ شِعري بعدَ البابِ مَا الدَّارُ؟!

ورحم الله من أجابه بقوله: [البسيط]

الدَّارُ جَنَّةُ عدْنٍ إنْ عَمِلْتَ بمَا ... يُرْضِي الإلَه وإنْ خالفْتَ فالنَّارُ
هُمَا محلَّانِ مَا للنَّاسِ غيْرُهُمَا ... فانْظُرْ لِنفْسِكَ ماذَا أنتَ مخْتَارُ؟

الإعراب: ﴿أَمۡ﴾: حرف بمعنى: «بل» والهمزة، وفيها إنكار، وتوبيخ. ﴿لِلۡإِنسَٰنِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿تَمَنَّىٰ﴾: فعل ماض، أو فعل مضارع حذفت منه تاء المضارعة، والفاعل على الاعتبارين يعود إلى الإنسان،

والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: الذي تمناه، أو الذي يتمناه، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿فَلِلَّهِ﴾: (الفاء): حرف استئناف. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْآخِرَةُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿وَٱلْأُولَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (الأولى): معطوف على ما قبله فهو مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: ممن يعبدهم هؤلاء، ويرجون شفاعتهم عند الله. ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ المعنى: أن الملائكة مع علو منزلتهم، وكرامتهم على ربهم لا تنفع شفاعتهم شيئاً؛ فكيف تقبل شفاعة الأصنام مع حقارتها، وصغارها؟! لأنها جمادات، لا تبصر، ولا تسمع، ولا تعقل شيئاً. ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾: في الشفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ أي: من أهل الإيمان، والتوحيد. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد: لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه. وقيل: المعنى إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن شاء له الشفاعة. هذا؛ والآية هنا مثلها قوله تعالى في سورة (طه) رقم [١٠٩]: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ هذا؛ والقول المرضي عند الله قول لا إله إلا الله مقروناً بالعمل الصالح، كما قد نبهت عنه مراراً. وقال في سورة (الأنبياء) رقم [٢٨]: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾.

هذا؛ والشفاعة العظمى ثابتة للنبي ﷺ في الموقف العظيم، وبعده، وشفاعة المؤمنين ثابتة بعد الحساب والجزاء، وإدخالهم الجنة في ذويهم وأصحابهم في الدنيا؛ الذين دخلوا النار لشؤم معاصيهم، وسوء أعمالهم. هذا؛ والشفاعة معناها: التوسل، وابتغاء الخير، والذي يكون منه التوسل يسمى: الشفيع، والشفاعة في الآخرة لا تكون إلا حسنة؛ لأنها لطلب الخير الخالص، وأما في الدنيا، فتكون حسنة، وأكثرها سيئة، فالشفاعة الحسنة هي التي روعي فيها حق مسلم، أو دفع بها عنه شر، أو جلب إليه خير، وابتغي بها وجه الله، ولم تؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز، لا في حد من حدود الله، ولا في حق من حقوق الناس، والسيئة كانت بخلاف ذلك، والدستور في ذلك قول الله عز وجل في سورة (النساء) رقم [٨٥]: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾.

تنبيه: «كم» اسم كناية يكنى به عن الكثير، والقليل، يعبر به عن كل معدود كثيراً كان، أو قليلاً، وسواء في ذلك: المذكر، والمؤنث، فيجرى في ذلك مجرى كل، وأي، ومن، وما في

أنَّ كل واحد منها يقع على التثنية، والجمع، وكثيراً ما يعود الضمير عليه مفرداً نظراً للفظه، وكثيراً ما يعود عليه الضمير نظراً لمعناه مذكراً، أو مؤنثاً، مفرداً، أو مثنىً، أو مجموعاً، مثل الألفاظ: كل، وأي، ومن، وما. و«كم» تكون خبرية، واستفهامية، انظر أوجه الاتفاق، والافتراق بينهما في كتابنا: «فتح القريب المجيب» موجز الكلام على «كم» والله ولي التوفيق.

الإعراب: ﴿وَكَم﴾: (الواو): حرف استئناف. (كم): خبرية بمعنى كثير مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿مَّلَكٍ﴾: تمييز منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿مَّلَكٍ﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُغْنِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿شَفَٰعَتُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مستثنىً من عموم الأحوال. ﴿أَن يَأْذَنَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ»، والمصدر المؤول منهما في محل جر بإضافة بعد إليه. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَشَآءُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية صلة (من) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: للذي، أو لشخص يشاء الإذن له، ويرضاه له أيضاً. ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾: الواو: حرف عطف. (يرضى): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله) أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعني: الكفار الذين أنكروا البعث، والحساب، والجزاء. ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ أي: بتسمية الأنثى، حيث قالوا: إنهم بنات الله، وهم بنو مليح، وكانوا يعبدون الملائكة، قال تعالى في سورة (الصافات) رقم [١٥٠] موبخاً، ومؤنباً لهم: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ وانظر ما ذكرته في سورة (الطور) رقم [٣٩].

فإن قيل: كيف يصح أن يقال: إنهم لا يؤمنون بالآخرة، مع أنهم كانوا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وكان من عادتهم أن يربطوا مركوب الميت على قبره زعماً منهم أنه يحشر عليه؟! أجيب بأنهم ماكانوا يجزمون، بل كانوا يقولون: لا حشر، ثم يقولون: وإن كان؛ فلنا شفعاء. بدليل أنه تعالى حكى عنهم: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ رقم [٥٠] من سورة (فصلت)، وحكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ رقم [٣٧] من سورة (الكهف). وأيضاً كانوا لا يؤمنون

بالآخرة على الوجه الذي بينه الرسل، فهم لا يؤمنون بالآخرة؛ بل بما يزعمونه آخرة. انتهى. جمل.

هذا؛ والملائكة أجسام نورانية، لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة حسنة، لا يأكلون، ولا يشربون، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا ينامون، ولا يموتون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، فمن وصفهم بذكورة؛ فسق، ومَنْ وصفهم بأنوثة؛ كفر، وهم كثيرون، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى؛ حيث قال تعالى في سورة (المدثر) رقم [٣١]: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يقومون بأعمال مختلفة، كلٌّ فيما وكل إليه من أعمال، رؤساؤهم عشرة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، ورقيب، وعتيد، ومنكر، ونكير، ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار، عليهم ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿بِالْآخِرَةِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَيُسَمُّونَ﴾: (اللام): هي المزحلقة. (يسمون): مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾: مفعول به. ﴿تَسْمِيَةَ﴾: مفعول مطلق مبين للنوع، وهو مضاف، و﴿الْأُنْثَى﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨)﴾

الشرح: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ أي: بما قالوه: إن الملائكة بنات. ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: إنهم لم يشاهدوا خلقَ الله الملائكة، ولم يسمعوا ما قالوه من رسول الله ﷺ، ولم يروه في كتاب يعتد به، بل هو كذب، وزور، وكفر شنيع. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: فهو كقوله تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٢٠]: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾. ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: لا يجدي شيئاً، ولا يقوم مقام الحق أبداً، وقد ثبت في الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الْحَدِيثِ**». هذا؛ وأصل الظن: إدراك الطرف الراجح، ولكن ظنهم إدراك الطرف المرجوح، بل الظن الباطل، وانظر شرح ﴿الْحَقِّ﴾ في الآية رقم [٢٢] من سورة (الجاثية).

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: (الواو): حرف عطف. وقيل: واو الحال. (ما): نافية. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿عِلْمٍ﴾ بعدهما؛ لأنه مصدر. أو هما متعلقان بمحذوف حال منه. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿عِلْمٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع،

وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِن﴾: حرف نفي. ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلظَّنَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِنَّ﴾: (الواو): واو الحال. (إن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلظَّنَّ﴾: اسم (إنَّ). ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُغْنِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى الظن، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿ٱلظَّنَّ﴾، والرابط: الواو، وإعادة ﴿ٱلظَّنَّ﴾ بلفظه. ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، وله صفة محذوفة، التقدير: شيئاً نافعاً، ومثله قول العباس بن مرداس السلمي، وهو الشاهد رقم [١٠٦٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [المتقارب]

وقد كُنْتُ في الحربِ ذَا تُدْرَأً فَلَمْ أُعْطَ شَيْئاً، وَلَمْ أُمْنَعِ

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: أعْرَضَ عن القرآن، والإيمان بمحمد ﷺ. ومن كان كذلك فأعرِض أنت يا محمد عنه، فإن من تولى عن الله، وأعرض عن ذكره، وانهمك في الدنيا، بحيث كانت منتهى همه، ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة إلا عناداً، وإصراراً على الباطل. وهذا قبل الأمر بالجهاد، وقبل الهجرة. ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: إن همته مقصورة على الدنيا، وجمع حطامها الفاني، أما الآخرة؛ فليست في حسابه؛ لأنه لا يعتقد بها، ولا يعمل لها. وانظر شرح ﴿تَوَلَّىٰ﴾ في الآية رقم [٥٤] من سورة (الطور).

الإعراب: ﴿فَأَعْرِضْ﴾: (الفاء): حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (أعرض): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿عَن مَّن﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿تَوَلَّىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿مَّن﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عَن ذِكْرِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والجملة الفعلية: ﴿فَأَعْرِضْ...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء. ﴿وَلَمْ﴾: (الواو): واو الحال. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يُرِدْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) والفاعل يعود إلى ﴿مَّن﴾، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: (مَنْ)، والرابط: الواو، والضمير. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر.

﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ أي: ذلك نهاية علمهم، وقلة عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة، فيكون كقوله تعالى في سورة (الروم) رقم [٧]: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾. وقيل: معناه: أنهم لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم: أن الملائكة بنات الله، وأنهم يشفعون لهم، فاعتمدوا على ذلك، وأعرضوا عن القرآن، والإيمان. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: حاد عن دينه، وخالف أوامره، ونواهيه. ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ أي: هو الخالق لجميع المخلوقات، والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وإرادته وعلمه وحكمته، فلا تتعب نفسك يا محمد في دعوتهم؛ إذ ما عليك إلا البلاغ؛ وقد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة.

وقد روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الدّنْيا دارُ مَنْ لا دارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لا مالَ لَهُ، ولها يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقلَ لَهُ»**. رواه الشيخان، والإمام أحمد. وفي الدعاء المأثور: **«اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا»**. هذا؛ ومثل هذه الآية رقم [٧] من سورة (القلم).

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿مَبۡلَغُهُم﴾: خبر المبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (مَبْلَغُ)؛ لأنه مصدر، أو هما متعلقان بمحذوف حال منه. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿هُوَ أَعۡلَمُ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها تعليلية. ﴿بِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَعۡلَمُ﴾، فهو بمعنى عالم، وليس على بابه، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿ضَلَّ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) أو صفتها. ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَهُوَ﴾: (الواو): واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَعۡلَمُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل ﴿أَعۡلَمُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. وإن عطفتها على ما قبلها؛ فهي في محل رفع مثلها، وهو الأقوى. ﴿بِمَنِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعۡلَمُ﴾. ﴿ٱهۡتَدَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) أو صفتها.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً، وخلقاً، وعبيداً. وفيه تغليب غير العاقل على العاقل؛ لأنه أكثر كما هو مشاهد، وفيه إشارة إلى كمال قدرته، وسعة سلطانه. ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾: بعقاب ما عملوا من السوء، أو بمثله، أو بسبب ما عملوا من السوء. ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ أي: بالمثوبة الحسنى، وهي الجنة، و(الحسنى) مؤنث: «الأحسن» الذي هو أفعل تفضيل، لا مؤنث «أحسن» المقابل لامرأة حسناء، و(الحُسْنَى) بالضم ضد «السوأى» والجمع: الحُسَن، والحُسْنَيات، ولا يجوز النطق به إلا معرفاً، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلِلَّهِ﴾: (الواو): حرف استئناف. (لله): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله عطف مفرد على مفرد، وإن قدرت: «لله» قبله محذوفاً، فيكون العطف عطف جملة على جملة. ﴿لِيَجْزِيَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (الله)، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بما دل عليه معنى الملك في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ. وقيل: متعلقان بما دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾ وعليه فالجملة الاسمية: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ معترضة مقررة لما قبلها، فإن كون الكل مخلوقاً لله تعالى يقرر علمه بأحوالهم، كأنه قيل: فيعلم ضلال من ضل، واهتداء من اهتدى، فيحفظهما؛ ليجزي... إلخ. هذا؛ واعتبر الزمخشري اللام للصيرورة والعاقبة؛ أي: عاقبة أمرهم جميعاً للجزاء بما عملوا. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (يجزي)، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء عملوه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول بما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملهم. ﴿وَيَجْزِيَ﴾: الواو: حرف عطف. (يجزي): معطوف على ما قبله فهو منصوب مثله، والفاعل يعود إلى الله أيضاً. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَحْسَنُواْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِٱلْحُسْنَى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل (يجزي) وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر.

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: هذا نعت للمحسنين؛ أي: هم لا يرتكبون الإثم، وهو الشرك؛ لأنه أكبر الآثام. ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: الزنى، وقال مقاتل: ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ كل ذنب ختم بالنار، . ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ كل ذنب فيه الحد، وجمع الإثم آثام. هذا؛ والإثم اسم من أسماء الخمرة، قاله الحسن وعطاء. قال الجوهري: وقد تسمى الخمر إثماً، واستدل عليه بقول بعض الجاهليين: [الوافر]

شَرِبْتُ الإثْمَ حتَّى ضَلَّ عَقْلِي ... كَذاكَ الإثْمُ يَذْهَبُ بالعُقُولِ

وبه فسر في قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٣٣]: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيكون في ذلك إلقام حجر في فم كل من يقول: لم تذكر مادة حرم في تحريم الخمر.

﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ أي: إلا ما قل، وصغر من الذنوب. وقيل: هي مقاربة المعصية، من قولك: ألممت بكذا: إذا قاربته من غير مواقعة. ومعنى الآية: إلا أن يلم بالفاحشة مرة، ثم يتوب، أو يقع الوقعة، ثم ينتهي. وهو قول أبي هريرة، ومجاهد، والحسن. وهو رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. وقال أبو صالح: سُئلتُ عن قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ فقلت: هو الرجل يلم بالذنب، ثم لا يعاوده، فذكرت ذلك لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: أعانك عليها ملك كريم. وعن ابن عباس أيضاً: هو الرجل يُلمُّ بذنب، ثم يتوب. قال: ألم تسمع النبي ﷺ كان يقول؟: [الرجز]

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا ... وأيُّ عَبْدٍ لكَ لا ألَمَّا؟!

أخرجه الترمذي بهذا الإسناد، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، والبيت لأمية بن أبي الصلت، قاله عند احتضاره، وتمثل به النبي ﷺ تمثلاً، وهذا هو الشاهد رقم [٤٤٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». هذا؛ واللمم: صغار الذنوب، كالنظرة، والغمزة، والقبلة، ونحو ذلك مما هو دون الزنى. وهو قول ابن مسعود، وأبي هريرة، ومسروق، والشعبي. والرواية الأخرى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فقد قال ابن عباس: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله ـ عز وجلَّ ـ كتبَ على ابنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزّنى أدرك ذَلِكَ لا مَحَالة، فزنى العينين النظرُ، وزنى اللسان النطقُ، والنفسُ تَتمنَّى وتشتَهي، والفرجُ يصدقُ ذَلِكَ، أو يكذبُهُ**». متفق عليه.

ولمسلم، قال: «**كُتِبَ على ابن آدم نصيبه مِنَ الزّنى، مُدْرِكٌ ذلكَ لا محالة، العينان زناهما النظرُ، والأذنان زناهما الاستماعُ، واللسان زِناه الكلامُ، واليدُ زِناها البطشُ، والرِّجلُ زناها الخُطا، والقلبُ يَهْوَى، ويتمنَّى، ويصدقُ ذلكَ الفرجُ، أو يكذِّبُهُ**». وقيل: اللمم على وجهين: أحدهما: أنه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حداً في الدنيا، ولا عذاباً في الآخرة، فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس، وصوم رمضان، ما لم يبلغ الكبائر، والفواحش، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ رقم [١١٤] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وقال تعالى في سورة (النساء) الآية رقم [٣١]: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾، انظر شرحهما في محالهما. والوجه الثاني: هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة، فيتوب منه إذا قام بشروط التوبة؛ التي ذكرتها لك مراراً، وسأعيدها في سورة (التحريم) إن شاء الله تعالى.

تنبيه: قال العلماء: أكبر الكبائر الشرك بالله، وهو ظاهر لا خفاء فيه لقوله تعالى في سورة (لقمان) رقم [١٣]: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. ويليه القتل بغير حق، فأما ما سواهما من الزنى واللواط، وشرب الخمر، وشهادة الزور، وأكل مال اليتيم بغير حق، والسحر وقذف المحصنات الغافلات، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل الربا، وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص، فلها تفاصيل، وأحكام تعرف بها مراتبها، ويختلف أمرها باختلاف الأحوال، والمفاسد المترتبة عليها، فعلى هذا يقال في كل واحدة منها: هي من أكبر الكبائر بالنسبة إلى ما دونها، وقد جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه سئل عن الكبائر أسبع هي؟ قال: بل هي إلى السبعين أقرب، وفي رواية إلى سبعمئة أقرب.

وقد عرف ابن الصلاح الكبيرة في فتاويه: الكبيرة: كل ذنب كبر، وعظم بحيث يصح معه: أنه أطلق عليه اسم الكبيرة، ويوصف بكونه عظيماً على الإطلاق، فهذا حد الكبيرة، ولها أمارات، منها: الحد. ومنها: الإيعاد عليها بالعذاب بالنار، ونحوها في الكتاب، أو السنة. ومنها: ما وصف فاعلها بالفسق، أو يضاف إليها اللعن كلعن الله مَن غيَّر منار الأرض، ونحو ذلك، والله أعلم.

هذا؛ واللمم: طرف من الجنون، ورجل ملموم؛ أي: به لَمَم. ويقال أيضاً: أصابت فلاناً لمةٌ من الجن، وهي المسُّ، والشيء القليل، قال ابن مقبل: [الكامل]

فَـإِذَا وذَلِـكَ يَـا كُـبَـيْـشَـةُ لَـمْ يَـكُـنْ ... إلّا كَـلَـمَّـةِ حَـالِـمٍ بِـخَـيَـالِ

هذا؛ واللمم: القليل من: أَلَمَّ بالمكان: إذا قل فيه لبثه، قال الشاعر: [الطويل]

أراكَ إِذَا أيسَـرْتَ خـيَّـمْـتَ عِـنْـدَنَـا ... زَمَـانَـاً وإِنْ أعْـسَـرْتَ زُرْتَ لِـمَـامَـا

فـمـا أنـتَ إلا الـبـدرُ إِنْ قـلَّ ضَـوْءُهُ ... أغَـبَّ وإِنْ زَادَ الـضـيـاءُ أقَـامَـا

وقال جرير من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك: [الوافر]

فريشي منكم وهواي معكم وإنْ كانت زيارتكم لماما

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لمن فعل ذلك لمن تاب، وأناب. وروي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: لا كبيرة في الإسلام؛ أي: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار. والمعنى: أن الكبيرة تمحى بالاستغفار، والتوبة، والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار عليها. وقيل في حد الإصرار: هو أن يتكرر منه الصغيرة تكراراً يشعر بقلة مبالاته بذنبه. وخذ ما يلي.

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إيَّاكُمْ ومُحَقَّراتِ الذُّنوبِ، فَإنَّهُنَّ يجْتَمِعْنَ عَلَى الرجل حتى يُهْلِكْنَهُ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ ضربَ لهنَّ مثلاً، كمثَلِ قومٍ نزلُوا أرضَ فلاةٍ، فحضَرَ صنيع القومِ، فجعَلَ الرجلُ ينطلقُ، فيجيء بالعودِ، والرجلُ يجيءُ بالعودِ؛ حتى جمعُوا سواداً، وأجَّجُوا ناراً، وأنضَجُوا مَا قذفوا فِيهَا**». رواه الإمام أحمد، والطبراني، والبيهقي. وفي رواية: «**إنَّ الشيْطَانَ قَد يئِسَ أنْ تُعْبَدَ الأصْنامُ في أرضِ العرب، ولَكِنَّهُ سَيَرْضَى منكمْ بدونِ ذلكَ بالمحقَّرات، وهي الموبقاتُ يَوْمَ القيامة**». وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**يا عائشة! إياك ومحقَّرات الذنوبِ، فإن لها من الله طالِباً**». رواه النسائي، وابن ماجه، وانظر آخر سورة (الزلزلة).

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أي: أعلم بأحوالكم منكم. ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: حين أنشأ أباكم آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر، ثم قسمهم فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير. ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ أي: وقت كنتم في بطون أمهاتكم؛ حيث كتب الملك الموكل بكل واحد منكم رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد. هذا؛ و﴿أَجِنَّةٌ﴾ جمع: جنين، وهو الولد ما دام في بطن أمه، سمي جنيناً؛ لاجتنانه، واستتاره، قال عمرو بن كلثوم التغلبي من معلقته رقم [١٧]: [الوافر]

ذِرَاعَيْ حُرَّةٍ أدماءَ بِكْرٍ هِجانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: فلا تثنوا عليها بصلاح العمل، وزيادة الخير، فإنه أبعد من الرياء، وأقرب إلى الخشوع. وقال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي صانعة، وإلى ما هي صائرة، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: فلا تبرئوها من الآثام، ولا تمدحوها بحسن الأعمال، وقد ذم الله اليهود الذين كانوا يزكون أنفسهم، ورد عليهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الآية رقم [٤٩] من سورة (النساء)، فقد نزلت الآية الكريمة في ناسٍ كانوا يعملون أعمالاً حسنة، ثم يقولون: صلاتنا، وصيامنا، وحجنا. وهذا النهي إذا كان على سبيل

الإعجاب، أو الرياء، لا على سبيل الاعتراف بالنعمة، فإنه جائز؛ لأن المسرة بالطاعة طاعة، والتحدث بها شكر، قال تعالى مخاطباً نبيه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ من سورة (الضحىٰ).

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ أي: أخلص النية في العمل، وخاف عقاب الله، وعمل لنجاته يوم القيامة من الحساب الشديد، والعذاب الأليم. وعِلم الله بمن اتقى قديم أزلي قبل أن يخرجنا من صلب آدم، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ وكما نهى الله أن يمدح العبد نفسه؛ نهاه أن يمدح غيره، ولا سيما إذا كان تزلفاً، وتقرباً، ورياءً، وخداعاً، فقد روي عن همام بن الحارث قال: جاء رجل إلى عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، فأثنى عليه بوجهه، قال: فجعل المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ يحثو في وجهه التراب، ويقول: أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب. أخرجه مسلم، وأبو داود، وأحمد. وكذلك نهى النبي ﷺ أن يمدح الرجلُ الرجلَ في غيبته، فعن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، قال: مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ «**وَيْلَكَ قَطَعْتَ عنقَ صاحبك ـ مراراً ـ إذا كان أحدُكم مادحاً صاحبَه لا محالةَ؛ فلْيقلْ: أحسِبُ فلاناً، والله حسيبهُ، ولا أزكّي على الله أحداً، أحسِبُهُ كذا، وكذَا؛ إن كان يعلمُ ذَلِكَ**». أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وأحمد، وابن ماجه.

خاتمة: جاء في أسباب النزول للسيوطي ما يلي: روى ابن لَهيعة عن الحارث بن يزيد، عن ثابت بن الحارث الأنصاري الصحابي ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هذا صِدِّيق، شقيٌّ، أو سعيدٌ، فأنزل الله عز وجل عند ذلك قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ. ونحوه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وانظر شرح (أمهاتكم) في الآية رقم [٢] من سورة (المجادلة) إن شاء الله.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل من سابقه، أو عطف بيان، أو هو نعت له، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني الذين، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين. وهذان الوجهان على القطع. ﴿يَجْتَنِبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، والإثم مضاف إليه. ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: الواو: حرف عطف. (الفواحش): معطوف على ما قبله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱللَّمَمَ﴾: منصوب على الاستثناء المنقطع، وهو بمعنى: لكن اللمم. وقال الزمخشري: ولا يخلو قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ من أن يكون استثناءً منقطعاً، أو صفة كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ الآية رقم [٢٢] من سورة (الأنبياء)، وعليه يكون الإعراب كما يلي: ﴿إِلَّا﴾: اسم بمعنى: «غير» ظهر إعرابه على ما بعده بطريق العارية، لكونه على صورة الحرف، و﴿إِلَّا﴾ مضاف، و﴿ٱللَّمَمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة ﴿إِلَّا﴾ التي على صورة الحرف.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٰسِعُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ وهو مضاف، و﴿ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعله، التقدير: واسعة مغفرته، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل لاستثناء اللمم، لا محل لها. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾، وهو بمعنى: عالم، ففاعله مستتر فيه، تقديره: «هو». ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾ أيضاً. ﴿أَنشَأَكُم﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿رَبَّكَ﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من كاف الخطاب، التقدير: مخرجين من الأرض. ﴿وَإِذْ﴾: (الواو): حرف عطف. (إذ): معطوفة على ما قبلها، والجملة الاسمية: ﴿أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿فِى بُطُونِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿أَجِنَّةٌ﴾، و﴿بُطُونِ﴾ مضاف، و﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة.

﴿فَلَا﴾: (الفاء): هي الفصيحة كما رأيت في الآية رقم [٢٩]. (لا): ناهية، ﴿تُزَكُّوٓا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية تعليل للنهي، لا محل لها. ﴿بِمَنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱتَّقَىٰٓ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، وهو العائد، والمفعول محذوف للفاصلة، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، التقدير: بالذي اتقاه.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾: قال مجاهد، وابن زيد، ومقاتل: نزلت الآية في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه، فعيره بعض المشركين، وقال: لِمَ تركت دين الأشياخ، وضللتهم، وزعمت: أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله، ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له، ثم بخل، ومنعه، فأنزل الله هذه الآية. وهذه الرواية ذكرها السيوطي من غير

تعيين للذي أسلم، وقال مقاتل: كان الوليد قد مدح القرآن، ثم أمسك عنه، فأنزل الله: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ أي: من الخير بلسانه ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ أي: قطع ذلك، وأمسك عنه. وهذا الذي أعتمده، كما ستقف عليه في سورة (المدثر) إن شاء الله تعالى فإنه سمع القرآن من النبي ﷺ، ثم أتى مجلس قومه من بني مخزوم، فقال: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً، ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يُعْلَى عليه. هذا؛ وذكر السيوطي روايتين في أسباب النزول لا أعتمدهما. وذكر الزمخشري، والقرطبي: أنها نزلت في عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ كان يتصدق، وينفق في الخير، فقال له أخوه مِنَ الرضاعة عبد الله بن أبي سرح: ما هذا الذي تصنع؟ يوشك ألا يبقى لك شيء. فقال عثمان: إن لي ذنوباً، وخطايا، وإني أطلب بما أصنع رضا الله تعالى، وأرجو عفوه! فقال له عبد الله: أعطني ناقتك برحلها، وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها. فأعطاه، وأشهد عليه، وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة، فأنزل الله تعالى الآيتين، فعاد عثمان إلى أحسن ذلك، وأجمله. فهذه الرواية بادٍ عليها الضعف.

هذا؛ ومعنى (أرأيت) أخبرني، ومعنى ﴿تَوَلَّىٰ﴾: أعرض عن الإيمان بعد أن شارفه، وقاربه، ومعنى (أكدى): قطع، ومنع، وأصله من الكُدْية، يقال لمن حفر بئراً، ثم بلغ إلى حجر، لا يتهيأ له فيه حفر: قد أكدى، ثم استعملته العرب لمن أعطى، ولم يتمم، ولمن طلب شيئاً، ولم يبلغ آخره، قال الحطيئة: [الطويل]

فأعْطَى قَلِيلاً ثمَّ أكْدَى عطاءَهُ ومَنْ يَبْذُلِ المعروف في الناسِ يُحْمَدِ

قال الكسائي، وغيره: أكْدَى الحافر، وأجْبَلَ: إذا بلغ في حفره كُدْية، أو جبلاً، فلا يمكنه أن يحفر. قال الزمخشري: ثم استعير، فقيل: أجْبَلَ الشاعر: إذا أفحم. ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: أعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من أمر العذاب؟! ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: يعلم ما غاب عنه من أمر الآخرة، وما يكون من أمره؛ حتى يضمن حمل العذاب عن غيره. وفي الكلام استعارة تصريحية؛ لأنه استعير الإعراض، والإدبار لعدم الدخول في الإيمان، وهو في الأصل يكون في الأجسام. وأيضاً يوجد استعارة بقوله: (أكدى).

الإعراب: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: (الهمزة): حرف استفهام إنكاري. (الفاء): حرف استئناف. وقيل: عاطفة على محذوف. (رأيت): فعل، وفاعل. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول. ﴿تَوَلَّىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الذي، وهو العائد، والمتعلق محذوف، التقدير: تولى عن الإيمان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَأَعْطَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (أعطى): ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿قَلِيلًا﴾: مفعول به، وقيل: صفة مفعول مطلق

محذوف، وعليه فقد حذف المفعولان، وعلى الأول حذف المفعول الأول فقط. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ معطوفة أيضاً على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَعِندَهُۥ﴾: (الهمزة): حرف استفهام توبيخي إنكاري. (عنده): ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عِلْمُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به ثان لـ: (رأيت)، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، و﴿عِلْمُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْغَيْبِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَهُوَ﴾: (الفاء): حرف عطف. (هو): مبتدأ. ﴿يَرَىٰٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل يعود إلى ما قبله، والمفعول به محذوف، التقدير: يرى أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة. والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (هو...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها، قال أبو البقاء: (فهو يرى) جملة اسمية واقعة موقع الفعلية، والأصل: «أَعِنْدَهُ عِلْمُ الغيبِ فَيَرى» ولو جاء على ذلك لكان نصباً في جواب الاستفهام. قال الجمل: ولا ضرورة إلى دعوى وضع هذه الجملة موضع الفعلية، بل هي معطوفة على قوله: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ فهي داخلة في خبر الاستفهام، وتكون استفهامية خرجت مخرج الإنكار. قاله السفاقسي. انتهى.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾: يخبر. ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ أي: أسفار التوراة. ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: ويخبر بما في صحف إبراهيم بدليل قوله تعالى في سورة (الأعلى): ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾. ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ أي: كمل، وتمم ما أمر به. وقيل: عمل بما أمر به، وبلغ رسالات ربه إلى خلقه، ويشهد له قوله تعالى في سورة (البقرة): ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ رقم [١٢٤] انظر شرحها هناك، فإنه جيد يسرك، ويثلج صدرك. فقام بجميع الأوامر، وترك جميع النواهي، وبلغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون إماماً، يقتدى به، قال تعالى في سورة (النحل) رقم [١٢٣]: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. روى ابن أبي حاتم عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ قال: أتدري ما وَفَّى؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**وفَّىٰ عمل يومه بأربعِ ركعات من أول النهار**». وعن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**ألا أخبركمْ لِمَ سَمَّى الله تعالى إبراهيم خليله الذي وفَّى؟**» إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ حتى ختم الآية من سورة (الروم) رقم [١٧].

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر، أو شيء من الذنوب، فإنما عليها وزرها، لا يحمله عنها أحد، كما قال تعالى في سورة (فاطر) رقم [١٨]: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ والمعنى: لا تؤخذ نفس بإثم غيرها. وفي هذا إبطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة: أنه يحمل عنه الإثم، وانظر شرح الآية في سورة (فاطر).

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره، ويأخذون الولي بالولي في القتل، والجراحة، فيقتل الرجل بأبيه، وابنه وأخيه، وعمه وخاله، وابن عمه، وقريبه، وزوجته، وزوجها وعبده، حتى كان إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ فنهاهم عن ذلك، وبلغهم عن الله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ أي: إلا ما عمل، وهذا في صحف إبراهيم، وموسى أيضاً. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى في سورة (الطور) رقم [٢١]: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء. وقيل: كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى، فأما هذه الأمة؛ فلها ما سعوا، وما سعى لهم غيرهم، لما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن امرأة رفعت صبيّاً لها، فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: «**نعمْ، ولكِ أجرٌ**». أخرجه مسلم. وعنه: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أمي تُوُفِّيَتْ؛ أينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعمْ**». وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أمي افتُلِتتْ نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقتُ عنها؟ قال: «**نعم**». أخرجاه في الصحيحين.

وفي حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ دليل لمذهب الشافعي، ومالك، وأحمد، وجماهير العلماء: أن حج الصبي منعقد صحيح يثاب عليه، وإن كان لا يجزيه عن حجة الإسلام، بل يقع تطوعاً. وقال أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: لا يصح حجه، وإنما يكون ذلك تمريناً للعبادة. وفي الحديثين الآخرين دليل على أن الصدقة عن الميت، تنفع الميت ويصله ثوابها، وهو إجماع العلماء، وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء، وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك، ويصح الحج عن الميت حجة الإسلام، وكذا لو أوصى بحج تطوع على الأصح عند الشافعي.

واختلف العلماء في الصوم إذا مات، وعليه صوم، فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه، والمشهور من مذهب الشافعي: أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها. وقال جماعة من أصحابه: يصله ثوابها، وبه قال الإمام أحمد، وأرجو من الله أن يصله ثوابها، وأما الصلوات وسائر التطوعات؛ فلا يصله عند الشافعي، والجمهور. وقال أحمد: يصله ثواب الجميع. والله أعلم. انتهى. خازن.

هذا؛ وقال سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية: من اعتقد: أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله؛ فقد خرق الإجماع، وذلك من وجوه كثيرة، وسردها الجمل واحداً وعشرين وجهاً، ثم قال في آخرها: ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن نتأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة؟!.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾: أن يريه الله تعالى جزاءه يوم القيامة، قال تعالى في سورة (التوبة) رقم [١٠٥]: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فيجزيكم عليه أتم الجزاء، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهكذا قال هاهنا: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾. قال الأخفش: يقال: جزيته سعيه، وجزيته بسعيه، لا فرق بينهما، قال الشاعر ـ وقد جمع بين اللغتين ـ: [الكامل]

إنْ أجْزِ علقمةَ بن سعدٍ سعيَهُ لمْ أجزِهِ ببلاء يومٍ واحدِ

هذا فإن قيل: كيف يُرى العمل؟ أجيب بأنه يرى على صورة جميلة إن كان صالحاً، فيريه الله أعماله الصالحة؛ ليفرح بها، ويريه الله أعماله الخبيثة قبيحة سوداء، فيزداد هماً، وغماً، وبلاءً. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَمْ﴾: حرف عطف بمعنى: «بل» والهمزة. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يُنَبَّأْ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، ونائب فاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «هو». ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما وهما في محل نصب مفعول ثان له. ﴿فِى صُحُفِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، و﴿صُحُفِ﴾ مضاف، و﴿مُوسَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾: الواو: حرف عطف. (إبراهيم): معطوف على ﴿مُوسَىٰ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة (إبراهيم)، أو هو بدل منه، أو عطف بيان عليه، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره أعني، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو الذي. ﴿وَفَّىٰٓ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أَلَّا﴾: (أن): مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه. (لا): نافية. ﴿تَزِرُ﴾: فعل مضارع. ﴿وَازِرَةٌ﴾: فاعله، ﴿وِزْرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أُخْرَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنْ)، و(أنْ) المخففة، واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بدلاً من (ما)، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، أو هو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أعني أن لا تزر... إلخ، والجملة على الاعتبارين مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من (ما).

﴿وَأَن﴾: (الواو): حرف عطف. (أنْ): مخففة من الثقيلة أيضاً، واسمها ضمير الشأن محذوف أيضاً. ﴿لَّيْسَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لِلْإِنسَـٰنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَّيْسَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿سَعَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الإنسان، و﴿مَا﴾ والفعل ﴿سَعَىٰ﴾ في تأويل مصدر في محل رفع اسم ﴿لَّيْسَ﴾ مؤخر. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَا﴾ موصولاً؛ فهي الاسم، والجملة الفعلية صلتها، والعائد محذوف، التقدير: إلا الذي سعاه، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنْ)، والمصدر المؤول من (أنْ) المخففة، واسمها، وخبرها معطوف على سابقه على جميع الوجوه المعتبرة فيه. ﴿وَأَنَّ﴾: (الواو): حرف عطف. (أنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿سَعْيَهُۥ﴾: اسمها، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿سَوْفَ﴾: حرف تسويف، واستقبال. ﴿يُرَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل تقديره: «هو» يعود إلى ﴿سَعْيَهُۥ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر معطوف على المصدر المؤول السابق.

هذا؛ وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف. وكذا ما بعدها، فلا يكون مضمون الجمل في الصحف على الثاني. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُجْزَىٰهُ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، ونائب الفاعل يعود لـ: (الإنسان) أيضاً، وهو المفعول الأول، والهاء مفعوله الثاني. ﴿ٱلْجَزَآءَ﴾: قال أبو البقاء: هو مفعول: ﴿يُجْزَىٰهُ﴾، وليس بمصدر؛ لأنه وصف بـ: ﴿ٱلْأَوْفَىٰ﴾ وذلك من صفة المجزي به، لا من صفة الفعل. قال السفاقسي: لا يمنع ذلك من بقائه مصدراً؛ لأن الفعل قد يوصف بذلك مبالغة. هذا؛ وقال الزمخشري: ﴿ٱلْجَزَآءَ﴾ مفسر للضمير العائد على مصدر الفعل (يجزى)، أو هو بدل منه كقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾. وهذا الذي أرتضيه، وأعتمده، والله الموفق والمعين، وبه أستعين.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أي: المرجع، والمرد، والمصير، فيعاقب، ويثيب. وقيل: منه ابتداء المنة، وإليه انتهاء الأمان. وعن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ قال: «**لا فكرة في الرَّبِّ**». وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**وَإذَا ذُكِرَ الله فانْتَهِ**». ومثله ما روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «**تفكَّروا في الخَلقِ، ولا تفكَّروا في الخالق، فإنه لا تحيط به الفكرة**». ومعناه: لا فكرة في

الرب؛ أي: انتهى الأمر إليه؛ لأنك إذا نظرت إلى سائر الموجودات الممكنة؛ علمت: أنه لا بد لها من موجد، وإذا علمت: أن موجدها هو الله تعالى، فقد انتهى الأمر إليه، ومن هذا المعنى قول النبي ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدَكُمْ فيقولُ: مَنْ خلقَ كذا؟ منْ خلقَ كذا؟ حتى يَقُول: مَنْ خلقَ ربَّكَ؟! فإذا بلغ ذلك فلْيَسْتعذْ بالله، وَلْيَنْتَهِ**» أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ولقد أحسن من قال: [الطويل]

ولا تُفكِرَنْ في ذِي العُلا عزَّ وَجْهُهُ فإنَّك تُرْدَى إنْ فَعَلْتَ وَتُخْذَلُ
وَدُونَكَ مَصنوعَاتِهِ فاعْتَبِرْ بِهَا وَقُلْ مِثْلَ ما قَالَ الخليلُ الْمُبَجَّلُ

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ أي: إن الله هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد: الضحك والبكاء، ففيه دليل على أن جميع ما يعمله الإنسان، فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء، قيل: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار. وقيل: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر. وقيل: أفرح وأحزن؛ لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء. فعن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال: جالست النبي ﷺ أكثر من مئة مرة، وكان أصحابُهُ يتناشدون الشعرَ، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية، وهو ساكت، وربما تبسم معهم إذا ضحكوا، أخرجه الترمذي. وسئل ابن عمر - رضي الله عنهما -، هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون، قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل.

وقال ذو النون: أضحك قلوب المؤمنين، والعارفين بشمس معرفته، وأبكى قلوب الكافرين، والعاصين بظلمة مخالفته، ومعصيته. وقال بسام بن عبد الله: أضحك أسنانهم، وأبكى قلوبهم، وأنشد: [البسيط]

السِّنُّ تضحكُ والأحشاء تحترقُ وإنما ضِحْكُها زورٌ ومختلَقُ
يا رُبَّ باكٍ بعينٍ لا دموعَ لها ورُبَّ ضاحِك سِنٍّ ما به رَمَقُ

وقيل: إن الله تعالى خص الإنسان بالضحك، والبكاء من بين سائر الحيوان. وقد قيل: القرد وحده يضحك، ولا يبكي، وإن الإبل وحدها تبكي، ولا تضحك. وقال يوسف بن الحسين: سئل طاهر المقدسي أتضحك الملائكة؟ فقال: ما ضحكوا، ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم.

هذا؛ والبكا بالقصر إسالة الدمع من غير رفع صوت، وبالمد (البكاء) إسالة الدمع مع رفعه. قال الخليل - رحمه الله تعالى -: من قصر البكاء ذهب به إلى معنى الحزن، ومن مده ذهب به إلى معنى الصوت، قال كعب بن مالك الأنصاري - رضي الله عنه -: [الوافر]

بكَتْ عيني وحقَّ لهَا بكاهَا وَمَا يُغني البكاءُ ولا العويلُ

هذا؛ وكما يكون البكاء من الحزن، يكون كذلك من الفرح، فقد بكى الصديق ـ رضي الله عنه ـ حينما سأل الرسول ﷺ الصحبة، والرفقة في الهجرة. فقال له ﷺ: «**نعم**». قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: وما كنت أحسب أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر، ورحم الله من قال: [الكامل]

وردَ الـكـتـابُ مِـنَ الـحـبـيـب بـأنَّـهُ سَـيَـزُورُنِـي فـاسْـتَـعْـبـرتْ أجْـفـانـي

غـلـبَ الـسـرورُ عـلـيَّ حـتـى إنـنـي مـنْ فـرط مـا قـد سـرنـي أبـكـانـي

يـا عـيـن صـار الـدمـعُ عـنـدكِ عـادَةً تـبـكـيـن مِـنْ فـرحٍ ومِـنْ أحـزانِ

وكذلك لما قال الرسول ﷺ لأبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ...﴾ **إلخ**». بكى من الفرح. وقال: وسماني؟! قال: «**نعم**». وفي سفر السعادة قال العلماء: البكاء على عشرة أنواع: بكاء فرح، وبكاء حزن لما فات، وبكاء رحمة، وبكاء خوف لما يحصل، وبكاء كذب، كبكاء النائحة، فإنها تبكي بشجو غيرها، وبكاء موافقة بأن يرى جماعة يبكون، فيبكي مع عدم علمه بالسبب، وبكاء المحبة، والشوق، وبكاء الجزع من حصول ألم لا يحتمله، وبكاء الخور والضعف، وبكاء النفاق، وهو أن تدمع العين؛ والقلب قاس.

وأما التباكي، فهو: تكلف البكاء، وهو نوعان: محمود، ومذموم، فالأول: ما يكون لاستجلاب رقة القلب، وهو المراد بقول سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ لما رأى المصطفى ﷺ وأبا بكر ـ رضي الله عنه ـ يبكيان في شأن أسارى بدر: أخبرني ما يبكيك يا رسول الله، فإن وجدت بكاء بكيت، وإلا تباكيت؟ ومن ثم لم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك. والثاني: ما يكون لأجل الرياء، والسمعة. انتهى. السيرة الحلبية.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ ولم يقل: وأنه هو خلق الزوجين؟ كما قال: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ فالجواب: أن الضحك، والبكاء ربما يتوهم أنهما بفعل الإنسان، وكذا الإماتة، والإحياء، وإن كان ذلك التوهم فيهما أبعد، لكن ربما يقول به جاهل، كما قال من حاج إبراهيم: (أنا أحْيِي وأُمِيتُ) فأكد ذلك بالفصل، وأما خلق الذكر والأنثى من النطفة؛ فلا يتوهم أحد: أنه بفعل أحد من الناس، فلم يؤكد بالفصل. انتهى. جمل نقلاً من كرخي.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ أي: قضى أسباب الموت، والحياة. وقيل: خلق الموت، والحياة، كما قال تعالى في سورة (الملك): ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾. وقيل: أمات الكافر بالكفر، وأحيا المؤمن بالإيمان، قال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١٢٢]: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ، وقال تعالى في سورة (الأنعام) أيضاً رقم [٣٦]: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ

ﵟاللَّهُﵞ. وقيل: أمات في الدنيا، وأحيا للبعث. وقيل: أمات الآباء، وأحيا الأبناء. وهذان ضعيفان. ﵟوَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰﵞ أي: من كل حيوان، وهو أيضاً من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة، فيخلق بعضها ذكراً، وبعضها أنثى. وهذا شيء لا يصل إليه فهم العقلاء، ولا يعلمونه، وإنما هو بقدرة الله تعالى، وخلقه لا بفعل الطبيعة. وانظر ما ذكرته في سورة (الذاريات) رقم [٤٩]. ﵟمِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰﵞ أي: تصب في الرحم، وتراق. يقال: منى الرجل، وأمنى، من المني، وسميت منى ـ موضع بمكة ـ بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء؛ أي: يُراق. وقيل: تُقدَّر، قاله أبو عبيدة. يقال: منيت الشيء: إذا قدرته، ومني له؛ أي: قُدر له. قال أبو قلابة الهذلي: [البسيط]

وَلَا تَـقُـولَـنْ لِـشَـيءٍ سَـوْفَ أَفْـعَـلُـهُ ... حَتَّـى تُـلَاقِـيَ مـا يَـمْـنـي لـكَ الـمـانِـي

أي: ما يقدر لك القادر. وفي هذا تنبيه على كمال قدرته جل شأنه؛ لأن النطفة شيء واحد، خلق الله منها أعضاءً مختلفةً، وطباعاً متباينةً، وخلق منها الذكر، والأنثى. وهذا من عجيب صنعته، وكمال قدرته. هذا؛ ولا تنس الطباق، بل المقابلة بين: أضحك، وأبكى، وبين: أمات، وأحيا، وبين الذكر، والأنثى. وخذ قوله تعالى في سورة (القيامة): ﵟأَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰﵞ.

الإعراب: ﵟوَأَنَّﵞ: (الواو): حرف عطف. (أنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﵟإِلَىٰ رَبِّكَﵞ: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (أنَّ) تقدم على اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﵟٱلْمُنتَهَىٰﵞ: اسم (أنَّ) مؤخر منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر معطوف على سابقه على الوجهين المعتبرين فيه. ﵟوَأَنَّهُۥﵞ: (الواو): حرف عطف. (أنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﵟهُوَﵞ: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﵟأَضْحَكَﵞ: فعل ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (أن)، والمصدر المؤول معطوف على سابقه. ﵟوَأَبْكَىٰﵞ: الواو: حرف عطف. (أبكى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير فصلاً لا محل له، أو اعتبرته توكيداً لاسم (أنَّ) على المحل؛ فالجملة: ﵟأَضْحَكَ وَأَبْكَىٰﵞ في محل رفع خبر (أنَّ)، و ﵟوَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَاﵞ معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه، وتأويله. ﵟوَأَنَّهُۥ خَلَقَﵞ معطوف أيضاً على ما قبله. ﵟٱلزَّوْجَيْنِﵞ: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﵟٱلذَّكَرَﵞ: بدل من ﵟٱلزَّوْجَيْنِﵞ منصوب مثله. ﵟوَٱلْأُنثَىٰﵞ: الواو: حرف عطف. (الأنثى): معطوف عليه منصوب مثله، وعلامة نصبه

فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: متعلقان بالفعل ﴿خَلَقَ﴾. ﴿إِذَا﴾: ظرف متعلق بالفعل ﴿خَلَقَ﴾ أيضاً مبني على السكون في محل نصب. ﴿تُمْنَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿نُّطْفَةٍ﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ أي: إعادة الأرواح في الأشباح للبعث، والحشر، والحساب. هذا؛ وقال الزمخشري: وقال: ﴿عَلَيْهِ﴾ لأنها واجبة عليه في الحكمة؛ ليجازي على الإحسان، والإساءة. قال أحمد محشي الكشاف: هذا من فساد اعتقاد المعتزلة، الذين يسمونه مراعاة للصلاح، والحكمة. وأي فساد أعظم مما يؤدي إلى اعتقاد الإيجاب على رب الأرباب، تعالى الله عن ذلك. ومثل هذه القاعدة ـ التي عفت البراهين القاطعة رسمها، وأبطلت حكمها ـ لا يكفي فيها كلمة محتملة هي لو كانت ظاهرة؛ لوجب تنزيلها على ما يوفق بينها، وبين القواطع. والذي حملت عليه لفظة: ﴿عَلَيْهِ﴾ غير هذا المعنى، وهو: أنَّ المراد أن أمر النشأة الأخرى يدور على قدرته عز وجل وإرادته، كما يقال: دارت قضية فلان على يدي، وقول المحدثين: على يدي دار الحديث؛ أي: هو الأصل فيه، والسند. والله أعلم. انتهى. هذا؛ وقال البيضاوي: المراد: الإحياء بعد الموت وفاء بوعده.

هذا؛ وقال أحمد محشي الكشاف: ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾ تأنيث الآخر، ولا شك: أنه في الأصل مشتق من التأخير الوجودي، إلا أن العرب عدلت به عن الاستعمال في التأخير الوجودي إلى الاستعمال حيث يتقدم ذكر مغاير لا غير؛ حتى سلبته دلالته على المعنى الأصلي بخلاف: آخِر. وآخِرة على وزن: فاعل، وفاعلة، فإن إشعارهما بالتأخير الوجودي ثابت، لم يغير، ومن ثم عدلوا عن أن يقولوا: ربيع الآخر على وزن الأفعل، وجمادى الأخرى، إلى ربيع الآخِر على وزن فاعل، وجمادى الآخِرة على وزن فاعلة؛ لأنهم أرادوا أن يفهموا التأخير الوجودي؛ لأن الأفعل، والفعلى من هذا الاشتقاق مسلوب الدلالة على غرضهم، فعدلوا عنهما إلى الآخِر، والآخرة، والتزموا ذلك فيهما، وهذا البحث مما كان الشيخ أبو عمرو بن الحاجب ـ رحمه الله تعالى ـ قد حرره آخِر مدته، وهو الحق إن شاء الله تعالى، وحينئذ يكون المراد الإشعار بتقدم مغاير في الذكر مع ما نعتقده في الوفاء بفاصلة رأس الآية. والله أعلم. انظره في حاشية الكشاف عند الآية رقم [٢٠] من هذه السورة.

هذا؛ وفي القاموس المحيط: والآخِر خلاف الأول، والمؤنثة آخِرة، وبفتح الخاء بمعنى غير، والجمع بالواو والنون، وأُخَرُ، والأنثى: أخرى، وأخراة، والجمع أخريات وأُخَر. وفي المختار ما يشبهه وانظر سورة (الصافات) رقم [٨٢] إن أردت الزيادة.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أي: ملَّك عباده المال، وجعله قنية لهم، مقيماً عندهم، لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم. وقال ابن زيد: أغنى من شاء، وأفقر من شاء، ثم قرأ: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ وفي الكشاف: أقنى: أعطى القنية، وهي المال الذي تأثلته، وعزمت أن لا تخرجه من يدك. انتهى. وقال سفيان: أغنى بالقناعة، وأقنى بالرضا. والفصل بالضمير للتأكيد على أن المعطي، والمانع هو الله سبحانه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾: وهي الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، وهما الشعريان: العبور، والأخرى: الغميصاء سميت بذلك لأنها أخفى من العبور، والمجرة بينهما، وتزعم العرب: أنهما أختا سهيل، وإنما ذكر: أنه رب الشعرى، وإن كان رباً لغيره؛ لأن العرب كانت تعبده، فأعلمهم الله عز وجل أن الشعرى مربوب، وليس برب. واختلف فيمن كان يعبده، فقال السدي: كانت تعبده حِمير، وخزاعة. وقال غيره: أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ، من قبل أمهاته، ولذلك كان مشركو قريش يسمون النبي ﷺ ابن أبي كبشة، وقد كان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها، ويعتقد تأثيرها في العالم، قال الشاعر: [الوافر]

مَضَى أيْلُولُ وارْتَفَعَ الْحَرورُ وأخبَتْ نارَهَا الشِّعرى الْعَبُورُ

وهذا يفيد: أن العرب كانوا يعرفون تسمية الأشهر الميلادية، وهو غير موافق للحقيقة، وإنما كانوا لا يعرفون إلا الأشهر القمرية، والتسمية العربية المعروفة الآن. ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾: وهم قوم هود، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، أهلكوا بريح صرصر، وكان لهم عقب، فكانوا عاداً أخرى. وقيل: الأخرى إرم المذكورة في سورة (الفجر)، وقال ابن زيد: قيل لها عاداً الأولى؛ لأنها أول أمة أهلكت بعد نوح عليه السلام. وقال ابن إسحاق: هما عادان: فالأولى أهلكت بالريح الصرصر، ثم كانت الأخرى، فأهلكت بالصيحة. ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾: ثمود هم قوم صالح، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، أهلكهم الله بالصيحة فما أبقى منهم أحداً، وقد تقدمت قصة قوم عاد، وقوم ثمود مبسوطة في كثير من السور، مثل (الأعراف) وسورة (هود) وسورة (الشعراء) وغير ذلك، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأَنَّ﴾: (الواو): حرف عطف. (أنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (أنَّ)، تقدم على اسمها. ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾: اسم (أنَّ) مؤخر. ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾: صفة ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف، والمصدر المؤول من (أنَّ) واسمها، وخبرها معطوف على ما قبله. ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ إعراب هذه الآية مثل إعراب: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ بلا فارق بينهما. ﴿وَأَنَّهُۥ﴾: (الواو): حرف عطف، (أنه):

حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿رَبُّ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلشِّعْرَىٰ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (أنَّ). هذا؛ وإن اعتبرت الضمير فصلاً ف: ﴿رَبُّ﴾ هو خبر (أنَّ) وعلى الاعتبارين فالمصدر المؤول من (أنَّ) واسمها، وخبرها معطوف على ما قبله، وكذلك المصدر المؤول من (أنه أهلك عاداً) معطوف أيضاً على ما قبله. ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾: صفة ﴿عَادًا﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَثَمُودَاْ﴾: الواو: حرف عطف. (ثمود): معطوف على ﴿عَادًا﴾. وقيل: مفعول به لفعل محذوف، التقدير: وأهلك ثمود. ﴿فَمَآ﴾: (الفاء): حرف عطف. (ما): نافية. ﴿أَبْقَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّكَ﴾، والمفعول محذوف للفاصلة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَهْلَكَ عَادًا﴾ فهي في محل رفع مثلها.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: وأهلك قومَ نوح من قبل عاد، وثمود بالغرق. ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ أي: أظلم وأفسد من قوم عاد، وثمود، وذلك لطول مدة نوح فيهم، حتى كان الرجل منهم يأخذ بيد ابنه، فينطلق به إلى نوح عليه السلام، فيقول: احذر هذا، فإنه كذاب، وإن أبي قد مشى بي إلى هذا، وقال لي مثل ما قلت لك؛ ليموت الكبير على الكفر، وينشأ الصغير على وصية أبيه. وقيل: إن الكناية ترجع إلى كل من ذكر من عاد، وثمود، وقوم نوح؛ أي: كانوا أكفر من مشركي العرب، وأطغى، فيكون فيه تسلية، وتعزية للنبي ﷺ، فكأنه يقول له: فاصبر أنت؛ فالعاقبة الحميدة لك.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ يعني: مدائن قوم لوط ـ عليه السلام ـ ائتفكت بهم؛ أي: انقلبت بهم، وصار عاليها سافلها، وذلك: أن جبريل عليه السلام، رفعها إلى السماء، ثم أهوى بها. ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ أي: ألبسها ما ألبسها من الحجارة، قال تعالى في سورة (هود): ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ رقم [٨٢]، ومثلها في الآية رقم [٤٤] من سورة (الحجر). ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ أي: فبأي نِعَم ربك تشك أيها الإنسان المكذب؛ ونعم الله كثيرة لا تعد، ولا تحصى. وقيل: أراد بآلائه ما عدَّد في هذه السورة، وغيرها من النعم، والنقم، وسماها الله نعماً؛ وإن كانت نعماً، ونقماً؛ لأن النعمة ظاهرة، وأما النقمة ففيها من العبر، والمواعظ للمعتبرين، والانتقام من الكافرين للأنبياء، والمؤمنين، وانظر رقم [١٣] من سورة (الرحمن).

الإعراب: ﴿وَقَوْمَ﴾: الواو: حرف عطف. (قوم) معطوف على ﴿عَادًا﴾ و(ثمود) وهو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: وأهلك قوم، فيكون العطف عطف جملة فعلية على مثلها، و(قوم) مضاف، و﴿نُوحٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مِّن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل المقدر، والأولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل، وإلا فكان مقتضى الظاهر أن يقال: الأول. وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل لا محل له من الإعراب، أو هو توكيد لواو الجماعة. ﴿أَظْلَمَ﴾: خبر كان، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ تعليل لإهلاكهم. (أطغى): معطوف على ﴿أَظْلَمَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾: الواو: حرف عطف. (المؤتفكة): مفعول به مقدم. ﴿أَهْوَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ربك، تقديره: «هو»، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَهْلَكَ عَادًا...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾: الفاء: حرف عطف. (غشاها): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. (وها): مفعول به أول. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، ﴿غَشَّىٰ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ والمفعولان محذوفان، التقدير: الذي غشاها إياه. ﴿فَبِأَيِّ﴾: (الفاء): هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً؛ فبأي... إلخ. (بأي): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، و(أي) مضاف، و﴿ءَالَآءِ﴾: مضاف إليه، و﴿ءَالَآءِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿تَتَمَارَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». تأمل، وتدبر. وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ...﴾ إلخ: قال ابن جريج، ومحمد بن كعب: يريد: أن محمداً ﷺ نذير بالحق، الذي أنذر به الأنبياء قبله، فإن أطعتموه؛ أفلحتم، وإلا؛ حل بكم ما حل بمكذبي الرسل السالفة. هذا؛ وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ...﴾ إلخ رقم [٩] من سورة (الأحقاف)، وقال قتادة: يريد القرآن، وأنه نذير بما أنذرت به الكتب الأولى. هذا؛ و﴿ٱلنُّذُرِ﴾ في قول العرب بمعنى: الإنذار كالنكر بمعنى الإنكار؛ أي: هذا إنذار لكم. وقيل: متعلقان بمحذوف

حال، وهو ضعيف. ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ أي: قربت الساعة، ودنت القيامة، وسماها الله آزفة لقرب قيامها عنده، كما قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ وقيل: سماها: آزفة؛ لدنوها من الناس، وقربها منهم؛ ليستعدوا لها؛ لأن كل ما هو آت قريب. قال النابغة الذبياني: [الكامل]

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنْ قَدِ

وهذا هو الشاهد رقم [٣١٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، وكان بعضهم يتمثل، ويقول معترفاً بتقصيره بطاعة الله تعالى: [الكامل]

أَزِفَ الرَّحِيلُ وَلَيْسَ لِي مِنْ زَادِ غَيْرَ الذُّنُوبِ لِشِقْوَتِي ونَكَادِي

هذا؛ وقد قال الله تعالى في سورة (غافر) رقم [١٨]: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾، وقال تعالى في أول سورة (النحل): ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وقال في أول سورة (الأنبياء): ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾. ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: ليس لها من دون الله من يؤخرها، أو يقدمها. وقيل: كاشفة؛ أي: انكشاف؛ أي: لا يكشف عنها، ولا يبديها إلا الله تعالى، فالكاشفة على هذا اسم بمعنى المصدر، مثل: العاقبة، والعافية، والداهية، والباقية، قال تعالى في سورة (الحاقة): ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾، أو المعنى: ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله، لكنه لا يكشفها، أو المعنى: ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله؛ إذ لا يطلع عليها أحد سواه. قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٨٧]: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾.

هذا؛ و﴿دُونِ﴾ بمعنى: غير، وسوى هنا، وأصله من الدنو، وهو القرب، ومنه تدوين الكتب؛ لأنه إدناء؛ أي: تقريب البعض من البعض. ثم استعير للرتب، فيقال: زيد دون عمرو؛ أي: في الشرف، والسيادة، وعلو المنزلة، ثم اتسع فيه، فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد. هذا؛ ويأتي «دون» بمعنى: قدام، قال الشاعر: [الطويل]

تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهْيَ دُونَهُ إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ

هذا؛ ومثله: «أدنى» وألفه منقلبة عن واو؛ لأنه من: دنا، يدنو: إذا قرب، وله معنيان: أحدهما: أن يكون المعنى ما تقرب قيمته بخساسته، ويسهل تحصيله. والثاني: أن يكون بمعنى القريب منكم؛ لكونه في الدنيا، والذي هو خير ما كان من امتثال أوامر الله تعالى؛ لأن نفعه متأخر إلى الآخرة، خذ قوله تعالى لليهود اللؤماء، حكاية عن قول موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ من سورة (البقرة) رقم [٦١]. وقيل: الألف مبدلة من همزة؛ لأنه مأخوذ من: دنؤ يدنؤ، فهو دنيء، والمصدر: الدناءة، وهو من الشيء الخسيس، فأبدلت الهمزة ألفاً. وقيل: أصله: أدْوَن من الشيء الدون، فأخرت الواو، فانقلبت ألفاً، فوزنه الآن: أفلع. انتهى. عكبري في إعراب الآية [٦١] من سورة (البقرة).

الإعراب: ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿نَذِيرٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾: صفة ﴿ٱلنُّذُرِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿أَزِفَتِ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿ٱلْءَازِفَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَيْسَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بالخبر المحذوف، وتعليقهما بـ: ﴿كَاشِفَةٌ﴾ لا بأس به، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿كَاشِفَةٌ﴾: اسم ليس مؤخر، والجملة الفعلية مستأنفة. وقيل: في محل نصب حال من ﴿ٱلْءَازِفَةُ﴾.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٦١) فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ (٦٢)﴾

الشرح: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن، وانظر ما ذكرته في سورة (الذاريات) رقم [٢٤] ورقم [٣٤] من سورة (الطور). ﴿تَعْجَبُونَ﴾ أي: تتعجبون إنكاراً من أن يكون صحيحاً أنزله الله على رجل فقير، لا يملك شيئاً من عرض الدنيا. هذا؛ والعجب (بفتح العين، والجيم): انفعال نفساني، يعتري الإنسان عند استعظامه، أو استطرافه، أو إنكاره ما يرد عليه. وقال الراغب: العجب: حيرة تعرض للإنسان بسبب الشيء، وليس هو شيئاً له في ذاته حالة حقيقية، بل هو بحسب الإضافات إلى من يعرف السبب، ومن لا يعرفه، وحقيقة أعجبني كذا: ظهر لي ظهوراً لم أعرف سببه. هذا؛ والعَجَب، والتعجُّب في حق الله تعالى ليس هو كالتعجب من الآدميين؛ لأن العجب من الناس محمول على إنكار الشيء، وتعظيمه، والعجب، والتعجب في حق الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة، فإن كانت قبيحة يترتبْ عليها العقاب، وإن كانت حسنة يترتبْ عليها الثواب. هذا؛ وقد ورد العجب، والتعجب من الله تعالى في بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى في سورة (الرعد) رقم [٥٠]: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾. وفي بعض الأحاديث الشريفة، مثل قول الرسول ﷺ لمن أقرى الضيف المجهود: «**قَدْ عجب الله مِنْ صنيعكُما بضيفِكُمَا**». رواه مسلم، وغيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وقوله ﷺ: «**يَعْجَبُ رَبُّكَ من راعي غنم في رأسِ شَظِيَّةٍ للجبلِ يؤذِّنُ بالصَّلاة، ويُصَلّي**». رواه أبو داود، والنسائي عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ. هذا؛ وسئل الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ عن آية (الصافات) رقم [١٢]: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ حيث قرئ بضم التاء، فقال: إن الله لا يعجب من شيء، ولكن وافق رسوله، ولما عجب رسوله ﷺ، قال: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾.

هذا؛ والْعُجْب (بضم العين، وسكون الجيم): رؤية النفس، وحقيقته أن يرى الإنسان نفسه فوق غيره علماً، أو ورعاً، أو أدباً، أو غير ذلك، ويعتقد أن له منزلة لا يدانيه فيها أحد سواه، وهذا هو الكِبْر الذي يدخل صاحبه جهنم، وبئس المصير! وقد عده الرسول ﷺ من المهلكات في الحديث الذي رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ «**وأَمَّا المهلِكَاتُ؛ فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرءِ بِنفْسِهِ**».

﴿وَتَضۡحَكُونَ﴾ منه سخريةً، واستهزاءً، ﴿وَلَا تَبۡكُونَ﴾: خوفاً من الوعيد، والعقاب الشديد. روي: أن النبي ﷺ ما رؤي بعد نزول هذه الآية ضاحكاً إلا تبسماً. وقال أبو هريرة: لما نزلت هذه الآية قال أهل الصفة: إنا لله، وإنا إليه راجعون، ثم بكوْا؛ حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع النبي ﷺ بكاءهم؛ بكى معهم، فبكينا لبكائه، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يَلِجُ النارَ مَنْ بكى من خشيةِ الله، ولا يدخلُ الجنة مُصِرٌّ على مَعصيةٍ، ولوْ لمْ تذنبوا؛ لذهب الله بكم، ولجاء بقومٍ يذنبون، فَيَسْتَغْفِرونَ، فَيَغْفِرُ لهم، ويرحمهُمْ، إنه هو الغفورُ الرحيمُ**». رواه البيهقي. وقال أبو حازم ـ رضي الله عنه ـ: نزل جبريل على النبي ﷺ، وعنده رجل يبكي، فقال له: من هذا؟ قال: هذا فلان، فقال جبريل عليه السلام: «**إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء، فإن الله تعالى ليطفئ بالدمعة الواحدة بحوراً من جهنم**». وانظر سورة (الرحمن) رقم [٤٦]، وانظر ما ذكرته في آخر سورة (الطارق) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك بعد الإعراب.

﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾ أي: لاهون معرضون. وقيل: هو الغناء بلغة حمير، يقال: سمد له؛ أي: غنى له، فكانوا إذا سمعوا القرآن يتلى غنوْا، ولعبوا؛ حتى لا يسمعوا. وقيل: ﴿سَٰمِدُونَ﴾: شامخون متكبرون. وفي الصحاح: سمد سموداً: إذا رفع رأسه تكبراً، وكل رافع رأسه فهو سامد، قال رؤبة بن العجاج يصف إبلاً: [الرجز]

سَوامِدُ اللَّيْلِ، خِفافُ الأَوْرادْ

وقال المبرد: ﴿سَٰمِدُونَ﴾: خامدون. قال عبد الله بن الزَّبير ـ بكسر الباء ـ وهذا هو الشاهد رقم [١٨] من كتابنا: «فتح رب البرية» إعراب شواهد جامع الدروس العربية ـ: [الوافر]

رَمَى الحِدْثانُ نِسوةَ آلِ حربٍ ... بِمِقْدارٍ سَمَدنَ لهُ سُمُودا

فَردَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً ... وَرَدَّ وجوهَهُنَّ البِيضَ سُودَا

﴿فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ۩﴾: المراد به سجود تلاوة القرآن، وهو قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وبه قال أبو حنيفة، والشافعي، رحمهما الله تعالى، وقد تقدم أول هذه السورة من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ سجد فيها، وسجد معه المسلمون، والمشركون، والجن، والإنس. وقيل: إنما سجد معه المشركون؛ لأنهم سمعوا صوت الشيطان في أثناء قراءة

رسول الله ﷺ، عند قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ وأنه قال: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى، كذا في رواية سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: ترتجى، وفي رواية أبي العالية، وإن شفاعتهن ترتضى، ومثلهن لا ينسى.

ففرح المشركون، وظنوا: أنه من قول النبي ﷺ، انظر ما ذكرته في سورة (الحج) رقم [٥٢] و [٥٣] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، فلما بلغ الخبر من كان بالحبشة من أصحاب النبي ﷺ رجعوا إلى مكة ظناً منهم أن أهل مكة آمنوا، فكان أهل مكة أشد عليهم، وأخذوا في تعذيبهم إلى أن كشف الله عنهم البلاء، وذلك بالهجرة إلى المدينة المنورة.

وقيل: المراد: سجود الصلاة، وهو قول ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كان لا يراها من عزائم السجود، وبه قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ. وروى أُبَيُّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: كان آخر فعل النبي ﷺ ترك السجود في المفصل. والأول أصح. وسجود التلاوة يسن للقارئ، والسامع، والمستمع. والدليل على ذلك سجود النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن، فيقرأ سورةً فيها سجدة، فيسجد، ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعاً لمكان جبهته في غير وقت صلاة، متفق عليه. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قرأَ ابنُ آدَمَ السجدةَ، فسجدَ اعتزلَ الشيطانُ يَبْكِي، ويقولُ: يا ويْلَتَا أُمِرَ ابن آدم بالسجودِ، فسجدَ، فلهُ الجنةُ، وأُمِرْتُ بالسجودِ فأبيتُ فلي النارُ**» رواه مسلم.

هذا؛ وشروط سجود التلاوة هي شروط الصلاة، وتزيد عند الشافعي بأنها تحتاج إلى نية كنية الصلاة، وسلام كسلام الصلاة، وهي فورية عند الشافعي، وعلى التراخي عند أبي حنيفة. لذا إذا كان القارئ، أو السامع لا يستطيع السجود لعدم طهارته، أو لعدم قدرته على السجود لمانع يمنعه منه يكفيه أن يقول: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) أربع مرات، وهذا عند الشافعي، وأما عند أبي حنيفة، فيقضيها بعد التمكن من فعلها ولو بعد أيام، وإذا كانت في الصلاة؛ فلا تؤدى إلا بالسجود لها عند الشافعي، وعند أبي حنيفة تؤدى بركوع الصلاة إذا نواها معه.

الإعراب: ﴿أَفَمِنْ﴾: (الهمزة): حرف استفهام توبيخي إنكاري. (الفاء): حرف استئناف. (من هذا): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، والهاء مقحمة بينهما. ﴿ٱلْحَدِيثِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، وبعضهم يعربه صفة. ﴿تَعْجَبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، والجملتان بعدها معطوفتان عليها، لا محل لهما مثلها. ﴿وَأَنتُمْ﴾: (الواو): واو الحال. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿سَٰمِدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين

في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿فَٱسْجُدُواْ﴾: (الفاء): هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٢٩]. (اسجدوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها مستأنفة، أو هي جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً منكم؛ ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَٱعْبُدُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (اعبدوا): فعل أمر مثل سابقه، ومفعوله محذوف، التقدير: اعبدوا لله دون الحجارة، وما أشبهها من المعبودات الباطلة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

انتهت سورة (النجم) شرحاً وإعراباً، بحمد الله وبتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.




سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (القمر)، وهي مكية في قول الجمهور، وهي خمس وخمسون آية، وثلاثمئة واثنتان وأربعون كلمةً، وألف وأربعمئة، وثلاثة وعشرون حرفاً. انتهى. خازن، وذكرت لك في أول سورة (ق) أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سأل أبا واقد الليثي ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في الأضحى والفطر، فقال: كان يقرأ فيهما بـ: (ق) و(اقتربت). أخرجه مسلم وأصحاب السنن.

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴿٢﴾﴾



الشرح: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: دنت وقربت مثل ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ﴾ في سورة (النجم) رقم [٥٧]. أي: فهي بالإضافة إلى ما مضى قريبة؛ لأنه قد مضى أكثر الدنيا، كما روى قتادة عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: خطب رسول الله ﷺ، وقد كادت الشمس تغيب، فقال: «**مَا بَقِيَ مِنْ دنياكُمْ فيمَا مَضَى إِلَّا مثلُ ما بقيَ مِنْ هذا اليومِ فيمَا مَضَى**». وما نرى من الشمس إلا يسيراً. هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ في الآية رقم [٦١] من سورة (الزخرف). هذا؛ وقال تعالى في أول سورة (النحل): ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾، وقال تعالى في أول سورة (الأنبياء): ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾. هذا؛ وقيل: في اقترب زيادة مبالغة في قرب.

﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾: انشقاق القمر آية من آيات رسول الله ﷺ الظاهرة، ومعجزاته الباهرة، يدل عليه ما روي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آيةً، فأراهم انشقاقَ القمرِ مرتيْنِ. أخرجه البخاري ومسلم، وزاد الترمذي، فنزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ...﴾ إلخ. ولهما عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**». وفي رواية أخرى؛ قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى؛ إذ انفلق القمر فلقتين: فلقة فوق الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**اشهدوا!**». وعن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ: قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فصار فرقتين، فقالت قريش: سحر محمد أعيننا. فقال بعضهم: لئن كان سحرنا؛ ما يستطيع أن

يسحر الناس كلهم. أخرجه الترمذي. وزاد غيره: فكانوا يَتَلَقَّوْن الركبان، فيخبرونهم بأنهم قد رأوْه، فيكذبونهم.

فهذه الأحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك، فإنه أدل دليل، وأقوى مثبت له، وإمكانه لا يشك فيه مؤمن؛ وقد أخبر عنه الصادق، فيجب الإيمان به، واعتقاد وقوعه.

وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم، قال الزجاج: وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة، وذلك لما أعمى الله قلوبهم، ولا إنكار للعقل فيها؛ لأن القمر مخلوق لله تعالى، يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه، ويكوره في آخر أمره، فأما قول بعض الملاحدة: لو وقع هذا؛ لنُقِل متواتراً، واشترك أهل الأرض كلهم في رؤيتهم له، ومعرفته، ولم يختص بها أهل مكة. فأجاب العلماء عن هذا بأن الانشقاق حصل في الليل، ومعظم الناس نيام غافلون، والأبواب مغلقة، وهم مغطون بثيابهم، فقل من يتفكر في السماء، أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد: أن كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء بالليل من العجائب، والأنوار الطوالع، والشهب العظام، ونحو ذلك مما يقع، ولا يتحدث به إلا آحاد الناس، ولا علم عند غيرهم بذلك، لما ذكرناه من غفلة الناس به، وكان هذا الانشقاق آية عظيمة، حصلت في الليل لقوم سألوها، والتزموا رؤيتها، فلم يتأهب غيرهم لها. انتهى. خازن بتصرف بسيط.

﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ﴾: دليل على وجود هذه الآية العظيمة، وقد كان ذلك في زمن رسول الله ﷺ. والمعنى: وإن يروا آية تدل على صدق رسول الله ﷺ، ومعنى ﴿يُعْرِضُواْ﴾ أي: عن الإيمان، والتصديق بما جاء به رسول الله ﷺ. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: إن كنت صادقاً فاشقق لنا القمر فرقتين: نصفاً على أبي قبيس، ونصفاً على قعيقعان. فقال رسول الله ﷺ: «**إن فعلت؛ تؤمنوا؟**». قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي المشركين: «**يا فلان! يا فلان! اشهدوا!**».

﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾: أي دائم مطرد، وكل شيء دام حاله قيل فيه: مستمر، وذلك لما رأوا تتابع المعجزات، وترادف الآيات، فقالوا: هذا سحر مستمر. وقيل: مستمر؛ أي: قوي محكم شديد بعلوه، يعلو كل سحر. قال البحتري في وصف الذئب: [الطويل]

طَواهُ الطَّوى حتَّى استَمرَّ مريرُهُ ... فما فِيهِ إلَّا الروحُ والعظمُ والجلدُ

وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦] من سورة (النجم). وقيل: معناه: مُرٌّ من المرارة، يقال: أمرَّ الشيء صار مُراً، وكذلك مرَّ الشيء. وإنما قالوا ذلك تمنيةً لأنفسهم وتعليلاً. هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ تقديم، وتأخير، وبه قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ.

الإعراب: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾: فعل ماض: والتاء للتأنيث. ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ﴿وَٱنشَقَّ﴾: الواو: حرف عطف. (انشق القمر): ماض، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَرَوۡاْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَايَةً﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يُعۡرِضُواْ﴾: فعل مضارع جواب الشرط مجزوم... إلخ، والواو فاعله، ومتعلقه محذوف كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء ولا بـ: «إذا» الفجائية، و(إن) ومدخولها معطوف على ما قبله لا محل له أيضاً.

﴿وَيَقُولُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (يقولوا): معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله. ويجوز في القواعد النحوية اعتباره منصوباً، ومرفوعاً أيضاً، لكن لم يقرأ بالرفع. وهذا على القاعدة التي قررها ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله: [الرجز]

والفعلُ مِنْ بعدِ الجزَا إنْ يقترِنْ ... بالفَا أوِ الواوِ بتثليثٍ قَمِنْ

وقد قرئ بالأوجه الثلاثة قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٨٤]: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ﴾ حيث قرئ (فيغفر) برفعه، ونصبه، وجزمه. ﴿سِحۡرٞ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذا سحر. ﴿مُّسۡتَمِرّٞ﴾: صفة ﴿سِحۡرٞ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول.

﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣﴾

الشرح: ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ أي: النبيَّ ﷺ، وما عاينوا من قدرة الله. ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾ أي: اتبعوا ما تزينه لهم نفوسهم، وتزينه لهم شياطينهم من الباطل، ودفع الحق بعد ظهوره. ﴿وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ أي: لكل أمر حقيقة، فما كان منه في الدنيا فسيظهر، وما كان منه في الآخرة فسيعرف. وقيل: (كل أمر مستقر) فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار. وقيل: يستقر قول المصدقين، والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب، أو العقاب. وقيل: هو جواب قولهم: سحر مستمر، يعني: ليس أمره بذاهب كما زعمتم، بل كل أمر من أموره مستقر، وإن أمر محمد رسول الله ﷺ، سيظهر إلى غاية يتبين فيها: أنه حق. هذا؛ وقرئ بفتح القاف، فيكون المعنى: كل أمر ذو مستقر؛ أي: ذو استقرار، أو ذو موضع استقرار، أو زمان استقرار. هذا؛ وانظر شرح (الهوى) في الآية رقم [١٨] من سورة (الجاثية).

الإعراب: ﴿وَكَذَّبُوا﴾: (الواو): حرف عطف. (كذبوا): ماض مبني على الفتح لاتصاله بواو الجماعة. والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَاتَّبَعُوا...﴾ إلخ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَكُلُّ﴾: (الواو): حرف استئناف. (كل): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿أَمْرٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مُسْتَقِرٌّ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة مسوقة لإقناطهم مما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره ﷺ؛ حيث قالوا: سحر مستمر ببيان ثباته، ورسوخه.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم﴾ أي: جاء أهل مكة في القرآن. ﴿مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أي: أخبار الأمم السابقة؛ التي أهلكها بكفرها وسيِّئ أعمالها. أو المراد: أخبار الآخرة، وما وصف القرآن من عذاب الكفار، والعصاة. ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ما فيه واعظ، وزاجر عن الكفر، وارتكاب المعاصي، فهو مصدر ميمي، أو اسم مكان. يقال: زجره، وازدجره، فانزجر، وازدجر، وزجرته أنا فانزجر؛ أي: كففته، فكف، كما قال الشاعر: [المتقارب]

فأصبح ما يطلب الغانيا ... تُ مُزْدَجَراً عن هواهُ ازْدِجَارا

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ أي: القرآن حكمة بالغة عالية، لا خلل فيها، فيه نهاية الصواب والحق والحكمة. ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾: إذا كذبوا، وعصوْا، وأعرضوا، كما قال تعالى في الآية رقم [١٠١] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾. و﴿النُّذُرُ﴾ يجوز أن يكون جمع: نذير بمعنى المنذر، أو المنذر منه، أو هو مصدر بمعنى الإنذار.

هذا؛ وجاء يجيء لازماً، ومتعدياً، فإن كان بمعنى: حضر، وأقبل فهو لازم مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ومثلها كثير، وإن كان بمعنى: بلغ، أو وصل فهو متعد، كما في هذه الآية، ومثلها كثير، أما (النبأ): فهو الخبر وزناً ومعنىً، ويقال: النبأ أخص من الخبر؛ لأن النبأ لا يطلق إلا على كل ما له شأن، وخطر من الأنباء، وقال الراغب: النبأ: خبر ذو فائدة، يحصل به علم، أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحقه أن يتعرى عن الكذب، كالمتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر الرسول ﷺ. هذا؛ والفعل منه من الأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل، وقد يجيء الفعل منه غير مضمن معنى أعلم، فيتعدى لواحد بنفسه، وللآخر بحرف الجر، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا

كانوا يصنعون﴾ رقم [١٤] من سورة (المائدة)، والآية رقم [٦] من سورة (المجادلة) وانظر الآية رقم [٣] من سورة (التحريم) تجد ما يسرك ويثلج صدرك. وهو كثير في كتاب الله تعالى.

﴿مُزْدَجَرٌ﴾: الدال بدل من تاء، وهو مفتعل من الزجر، وإنما أبدلت الدال من التاء؛ لأن التاء مهموسة، والزاي مجهورة، ومخرجهما قريب من الآخر، فأبدلوا من التاء حرفاً هو من مخرجها، يوافق الزاي في الجهر، وهي الدال. هذا؛ وقرئ: (مُزَّجر) بقلب تاء الأفعال زاياً، وإدغامها في مثلها.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [١٣] من سورة (النجم) ففيها الكفاية. ﴿جَآءَهُم﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾: متعلقان بما قبلهما. وعلقهما الجمل بمحذوف حال من ﴿مَا﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل فاعل، والجملة الفعلية (لقد جاءهم...) إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم، وجوابه كلام مستأنف. هذا؛ وإن اعتبرت الجار والمجرور متعلقين بمحذوف صلة (ما) أو بمحذوف صفتها؛ ف: ﴿مُزْدَجَرٌ﴾ يكون فاعلاً بالمتعلق المحذوف. ﴿حِكْمَةٌۢ﴾: بدل من ﴿مَا﴾، أو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو حكمة، والجملة الاسمية هذه في محل نصب حال من ﴿مَا﴾. هذا؛ وقرئ: (حكمةً) بالنصب على أنه حال من ﴿مَا﴾. ﴿بَٰلِغَةٌۖ﴾: صفة ﴿حِكْمَةٌۢ﴾.

﴿فَمَا﴾: (الفاء): حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿تُغْنِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء. ﴿ٱلنُّذُرُ﴾: فاعله. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) استفهامية، فهي في محل نصب مفعول به مقدم، التقدير: فأي شيء من الأشياء النافعة تغني النذر، أو هي في محل نصب مفعول مطلق، التقدير: فأي إغناء تغني النذر، والجملة الفعلية على جميع وجوه الإعراب لا محل لها؛ لأنها مستأنفة، أو معطوفة على جواب القسم.

تنبيه: حذفت الياء من ﴿فَمَا تُغْنِ﴾ إتباعاً لرسم المصحف، ووجهه: إتباع الرسم للفظ، وهي في اللفظ قد حذفت لالتقاء الساكنين، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ﴾ لا ترسم في العين (واو) إتباعاً لخط المصحف الإمام، وقوله: ﴿ٱلدَّاعِ﴾ لا يرسم في العين ياءً، لأنها من ياءات الزوائد، وهي لا تثبت في الخط وإن كان في اللفظ يصح إثباتها، وحذفها، كما قرئ بهما في السبع، وكذا قوله فيما يأتي: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ لا ترسم فيه الياء لما ذكر. انتهى. جمل. هذا؛ وأما أنا فقد أثبت الواو والياء فيما ذكر ليتضح الإعراب، وعلل مكي هذا الحذف بقوله: لأن المصحف كتب بلفظ الإدراج، ووصل الكلام، ولم يكتب على حكم الأصل، والوقف.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم. قيل: هذا منسوخ بآية السيف. وقيل: هو تمام الكلام؛ أي: أعرض عنهم لعلمك: أن الإنذار لا يغني فيهم، ولا يجدي فتيلاً. ﴿يَوْمَ يَدْعُ

﴿ٱلدَّاعِ﴾: هو إسرافيل عليه السلام، ينفخ في الصور قائماً على صخرة بيت المقدس، ينادي: أيتها العظام البالية! أيتها اللحوم المتمزقة! أيتها الشعور المتفرقة! أيتها الأوصال المتقطعة! إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. قال تعالى في سورة (ق): ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾. ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾: منكر فظيع، تنكره النفوس؛ لأنها لم تعهد بمثله، وهو هول يوم القيامة، وما فيه من المتاعب والمصاعب.

الإعراب: ﴿فَتَوَلَّ﴾: (الفاء): هي الفصيحة. (تول): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: إذا لم يستجيبوا لك؛ فتول عنهم. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بفعل محذوف، التقدير: اذكر، وأجيز تعليقه بـ: ﴿خُشَّعًا﴾، أو بـ: (يخرجون) والأول قاله الرماني والزمخشري، والثاني قاله الزمخشري أيضاً، وأجيز تعليقه بـ: ﴿فَمَا تُغْنِ﴾ أيضاً. ﴿يَدْعُ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الواو. ﴿ٱلدَّاعِ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿نُّكُرٍ﴾: صفة ﴿شَىْءٍ﴾.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾: الخشوع في البصر: الخضوع، والذلة، وأضاف الخشوع إلى الأبصار؛ لأن أثر العز، والذل يتبين في ناظر الإنسان، قال تعالى في سورة (القلم) وسورة (المعارج): ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ وقال في سورة (النازعات): ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ ويقال: خشع، واختشع: إذا ذل. وخشع ببصره؛ أي: غضه، وخشع جمع: خاشع. ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور جمع جدث، وقرئ (من الأجداف). ذكره الزمخشري، يقال: جدث، وجدف، واللغة الفصيحة: جدث بالثاء، والجمع: أجدث، وأجداث، قال المتنخل الهذلي: [الوافر]

عَرَفْتُ بِأَجْدُثٍ فَنِعَافِ عِرْقٍ عَلامَاتٍ كَتَحْبِيرِ النِّمَاطِ

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾: هذا؛ وفي سورة (القارعة): ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ فهما صفتان في وقتين مختلفين: أحدهما: عند الخروج من القبور، يخرجون فزعين، لا يهتدون أين يتوجهون؟ فيدخل بعضهم في بعض، فهم حينئذ كالفراش المبثوث، بعضه في بعض، لا جهة له يقصدها. الثاني: فإذا سمعوا المنادي؛ قصدوه، فصاروا كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد له جهة يقصدها. هذا؛ والجراد مثل في الكثرة، والتموج، يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعضٍ جاؤوا كالجراد. ففيه تشبيه مرسل متصل؛ لأن الأركان الأربعة موجودة فيه. هذا،

وقوله تعالى: ﴿مُنتَشِرٌ﴾ جاء به مفرداً؛ لأن اسم الجنس الذي يفرق بينه وبين مفرده بالتاء مثل: الجراد، والحمام يجوز معاملته معاملة المفرد، ويجوز معاملته معاملة الجمع، وقد راعى الوجهين في الآية الكريمة. ومثل الآية قوله تعالى في الآية [٢٠] الآتية: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ وقال النابغة الذبياني: [البسيط]

واحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ إذْ نَظَرَتْ   إلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ

الإعراب: ﴿خُشَّعًا﴾: حال من واو الجماعة بقوله: ﴿يَخْرُجُونَ﴾. وقيل: من الضمير في: ﴿عَنْهُمْ﴾. وقيل: من الضمير المحذوف الواقع مفعول: «يدعوهم» المقدر. واعتبار الحال من الضمير في ﴿عَنْهُمْ﴾ ضعيف جداً. ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾: فاعل بـ: ﴿خُشَّعًا﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، ﴿يَخْرُجُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله. ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة بقوله: ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾ وهذا على اعتبار: ﴿خُشَّعًا﴾ حالاً من الضمير قبله، وجاز مجيء الحال من المضاف إليه؛ لأن المضاف جزؤه، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَلا تُجِزْ حَالاً مِنَ الْمُضَافِ لَهْ   إلَّا إذَا اقْتَضَى الْمُضَافُ عَمَلَهْ

أَوَ كَانَ جُزْءَ مَا لَهُ أضِيفَا   أَوْ مِثْلَ جُزْئِهِ فَلا تَحِيفَا

وأما على اعتبار ﴿خُشَّعًا﴾ حالاً من واو الجماعة؛ فالجملة الفعلية في محل نصب مفعول: ﴿يَدْعُ﴾ المحذوف. وقيل: مستأنفة، لا محل لها. وهو ضعيف. ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿جَرَادٌ﴾: خبر: (كأنَّ). ﴿مُنتَشِرٌ﴾: صفة ﴿جَرَادٌ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، فهي حال متداخلة.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾: مسرعين إلى الداعي، وهو إسرافيل عليه السلام، قال الشاعر: [الوافر]

بِدِجْلَةَ دَارُهُمْ وَلَقَدْ أَرَاهُمْ   بِدِجْلَةَ مُهْطِعِينَ إلى السَّمَاعِ

قال تعالى في سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ الآية رقم [٤٣] فعلى هذا المعنى: أن الغالب من حال من بقي بصره شاخصاً من شدة الخوف أن يبقى واقفاً باهتاً. فبين الله في الآيتين: أن أحوال أهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة، فأخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ: أنهم مع شخوص الأبصار يكونون مهطعين نحو الداعي. ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ يعني: يوم القيامة؛ لما ينالهم فيه من الشدة، فهو كقوله

تعالى في سورة (المدثر): ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ هذا؛ والمراد بـ: ﴿يَوْمٌ﴾ في الآية الكريمة: يوم القيامة، وهو مقدار ألف سنة من سني الدنيا، كما في الآية رقم [٤٧] من سورة (الحج)، وأما اليوم في الدنيا فهو الوقت من طلوع الشمس إلى غروبها، وهذا في العرف، وأما اليوم الشرعي؛ فهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، كما يطلق اليوم على الليل، والنهار معاً، كما يراد في الآية رقم [٦] من سورة (الحديد) وقد يراد به الوقت مطلقاً، تقول: ذخرتك لهذا اليوم؛ أي: لهذا الوقت، والجمع أيَّام، وأصله أيْوَام، فقلبت الواو ياءً، وأدغمت الياء في الياء، وجمع الجمع أياويم. وأيام العرب: وقائعها، وحروبها، وأيام الله: نعمه، ونقمه، قال تعالى في سورة (إبراهيم) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ رقم [٥]. ويقال: فلان ابن الأيام؛ أي: العارف بأحوالها. ويقال: أنا ابن اليوم؛ أي: أعتبر حالي فيما أنا فيه.

الإعراب: ﴿مُّهْطِعِينَ﴾: حال أخرى من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الياء؛ لأنه اسم منقوص. ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿هَـٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿يَوْمٌ﴾: خبر المبتدأ، ﴿عَسِرٌ﴾: صفة ﴿يَوْمٌ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها؛ لأنها بمنزلة جواب لسؤال مقدر، كأنه قيل: فما يكون حينئذ، فقيل: يقول الكافرون... إلخ. وجوز بعضهم أن تكون الجملة حالاً من فاعل يخرجون، وتعقب بأنها خالية من الرابط. ويجاب بأن الرابط يقدر: يقول الكافرون منهم. فعلى هذا فالأحوال الواو في: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أربعة واحد مقدم، وثلاثة مؤخرة. تأمل، وتدبر، وربك أجلّ، وأكرم.

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾

الشرح: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبل قومك يا محمد. ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ أي: نوحاً، والإضافة إضافة تشريف، وتعظيم، وتبجيل، وذكر العبودية مقام عظيم، ولو كان لنبينا، وحبيبنا محمد ﷺ أشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية، وهي ليلة الإسراء، والمعراج، وفي معناه أنشدوا: [السريع]

يـا قَـوْمِ قَـلْـبِـي عِـنْـدَ زَهْـرَاءِ ... يَـعْـرِفُـهُ الـسَّـامِـعُ والـرَّائِـي
لا تَـدْعُـنِـي إلا بِـيَـا عَـبْـدَهَـا ... فَـإنَّـهُ أَشْـرَفُ أَسْـمَـائِـي

﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ أي: زجروه على دعوته بالشتم والإيذاء، والوعيد بقولهم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾. هذا؛ وقال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ. فإن قلت: ما معنى

قوله: ﴿فَكَذَّبُواْ﴾ بعد قوله: ﴿كَذَّبَتْ﴾ قلت: معناه كذبوا، فكذبوا عبدنا؛ أي: كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن مكذب؛ تبعه قرن مكذب، أو كذبت قوم نوح الرسل، فكذبوا عبدنا؛ أي: لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأساً؛ كذبوا نوحاً؛ لأنه من جملة الرسل. انتهى. هذا؛ وقيل: معنى (ازدجر) ازدجرته الجن، وتخبطته. هذا؛ وانظر شرح ﴿قَوْمُ﴾ في (الذاريات) رقم [٤٦].

الإعراب: ﴿كَذَّبَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿قَبْلَهُمْ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَوْمُ﴾: فاعل ﴿كَذَّبَتْ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، و﴿قَوْمُ﴾ مضاف، و﴿نُوحٍ﴾ مضاف إليه. ﴿فَكَذَّبُواْ﴾: (الفاء): حرف عطف. (كذبوا): فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم الذي جيء به لمناسبة واو الجماعة. ويقال اختصاراً: فعل، وفاعل. ﴿عَبْدَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿فَكَذَّبُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَقَالُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (قالوا): ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿مَجْنُونٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذا مجنون. والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾: الواو: حرف عطف. (ازدجر): فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى نوح، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. وقيل: معطوفة على الجملة الاسمية، فهي من جملة مقول القول. وهو ضعيف.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿فَدَعَا﴾ أي: نوح. ﴿رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ﴾: مقهور غلبني قومي بتمردهم. ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ أي: فانتصر لي منهم. بمعنى: انتقم لي منهم. وهذا بعد صبره عليهم غاية الصبر؛ حيث مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى توحيد الله تعالى، فلم يجد فيهم شيئاً، فكان الواحد منهم يلقاه، فيخنقه حتى يخر مغشياً عليه، ثم يقول بعد إفاقته: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾: قيل: هو على ظاهره، وللسماء أبواب تفتح، وتغلق، ولا يستبعد ذلك؛ لأنه قد صح في الحديث أن للسماء أبواباً. وقيل: هو على الاستعارة، فإن الظاهر أن يكون المطر من السحاب. والمعنى: فأجبنا دعاءه، وأمرناه باتخاذ السفينة، وفتحنا أبواب السماء ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ أي: كثير منصب انصباباً شديداً، لم ينقطع أربعين صباحاً. قال الشاعر: [الطويل]

أعَينَيَّ جُودَا بالدُّموعِ الهَوامِرِ ... عَلَى خَيْرِ بادٍ مِنْ مَعَدٍّ وَحَاضِرِ

وقيل: المنهمر: الغزير المتدفق، قال امرؤ القيس يصف غيثاً: [الرمل]

راحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثمَّ انْتَحى فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْهَمِرْ

الإعراب: ﴿فَدَعَا﴾: (الفاء): حرف عطف. (دعا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿نُوحٍ﴾ تقديره: «هو»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿رَبَّهُۥٓ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمه. ﴿مَغْلُوبٌ﴾: خبر (أنَّ)، ونائب فاعله تقديره: «أنا»، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بأني، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (دعا). هذا؛ وقرئ بكسر الهمزة على إضمار القول؛ أي: فقال: إني مغلوب، أو هو على إجراء الدعاء مجرى القول، وهو مذهب الكوفيين.

﴿فَٱنتَصِرْ﴾: (الفاء): هي الفصيحة. (انتصر): فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً، وواقعاً؛ فانتصر لي. ﴿فَفَتَحْنَآ﴾: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بـ: (نا)، و(نا) ضمير متصل في محل رفع فاعل، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذا اللفظ، والإعراب الحقيقي أن تقول: مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض كراهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة. وقل مثله في إعراب كل ماض اتصل به ضمير رفع متحرك، مثل فتحتُ وفتحْنَ، ويقال اختصاراً: فعل، وفاعل. ﴿أَبْوَٰبَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ مضاف إليه، ﴿بِمَآءٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ﴿مُّنْهَمِرٍ﴾: صفة (ماء)، وجملة: ﴿فَفَتَحْنَآ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: وجعلنا الأرض كلها عيوناً تسيل بالماء، فقد أوحى الله إلى الأرض، أن تخرج ماءها، فتفجرت بالعيون. ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ أي: ماء السماء، وماء الأرض. ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر، حكاه ابن قتيبة. وقيل: المعنى قُضِيَ عليهم. قال قتادة: قدر لهم إذا كفروا أن يغرقوا. هذا؛ والالتقاء إنما يكون بين اثنين فصاعداً، وساغ ذلك في الآية الكريمة؛ لأن الماء يكون جمعاً، وواحداً. وقيل: لأنهما لما اجتمعا صارا ماءً واحداً، وقرأ الجحدري: (الماءان) وهي قراءة غير سبعية. وقيل: كان ماء السماء بارداً مثل الثلج، وماء الأرض كان حاراً مثل الحميم.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ أي: على سفينة ذات ألواح من خشب عريض. ﴿وَدُسُرٍ﴾: قال قتادة: يعني: المسامير؛ التي دُسرت بها ألواح السفينة؛ أي: شدتْ. وقيل: الدسر صدر السفينة. وقيل: هي عوارض السفينة، وأضلاعها. وقيل: الألواح: جانبا السفينة، والدسر: أصلها، وطرفاها. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الدَّسر كَلْكَل السفينة. والمتعمد الأول من هذه الأقوال، وهو الذي اقتصر عليه الجلال. هذا؛ وقال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: أراد بذات ألواح ودسر: السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات، فتنوب منابها، وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها، ونحوه قول الشاعر: [الخفيف]

مِفْرَشِي صَهْوَةُ الْحِصَانِ وَلَكِنَّ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ

أراد: ولكن: قميصي درع، ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح، وهذا من فصيح الكلام، وبديعه. هذا؛ والدسر: جمع دسار، وهو المسمار، فعال من: دسره: إذا دفعه؛ لأنه يدسر به منفذه. انتهى. كشاف بتصرف.

تنبيه: قال العلماء بالسير: أرسل الله المطر أربعين يوماً وليلةً، بالإضافة لما خرج من الأرض، كما بينته هذه الآيات. يعني: صار الماء نصفين: نصفاً من السماء، ونصفاً من الأرض، وارتفع الماء على أعلى جبل، وأطوله أربعين ذراعاً. وقيل: خمسة عشر ذراعاً حتى أغرق كل شيء. وهذا يعني: أنه عمَّ جميع الأرض، وأضيف أنه ذكر في الأثر أن الله تعالى لا يخلي الأرض من مطر في عام، أو عامين، وأنه ما نزل من السماء ماء قط إلا بحفظ ملك موكل به إلا ما كان من ماء الطوفان، فإنه نزل منه ما لا يحفظه الملك، وذلك قوله تعالى في سورة (الحاقة): ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾.

قال عبد الوهاب النجار ـ رحمه الله تعالى ـ: ويقول بعض علماء الجيولوجيا: إننا كلما بحثنا في أعالي الجبال وجدنا بقايا حيوانية من الأحياء التي لا تعيش إلا في الماء، وهذا يشير إلى أن الطوفان عم جميع الأرض، ويستأنس لذلك بقوله تعالى في سورة (الصافات) رقم [٧٧]: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ ويميل فريق إلى أن الطوفان لم يكن عامّاً، بل طغيان الماء كان على الجهة التي كان يسكنها نوح، وقومه، ومال على ترجيح الثاني. وأرجح الأول، والله أعلم بمراده، وأسراره في كتابه.

تنبيه: قد يرد سؤال: كيف اقتضت الحكمة الإلهية إغراق من لم يبلغوا الحلم من الأطفال، ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم، وكذلك إغراق البهائم، والهوام، والطير وغير ذلك من الحيوان، وإهلاك أطفال الأمم الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح؟! والجواب الشافي عن هذا كله: أن الله سبحانه وتعالى متصرف في خلقه، وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. انتهى. خازن بتصرف كبير.

هذا؛ و(نا) في قوله تعالى: (فتحنا) (فجرنا) (إنا) ونحو ذلك، فقد قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: وقوله تعالى: (جعلنا، وهبنا، نحن، إنا) لفظ يقع في جميع اللغات على من له شركاء، وأمثال، وعلى الواحد العظيم المطاع؛ الذي له أعوان يطيعونه، وإن لم يكونوا له شركاء، ولا نظراء والله تعالى خلق كل ما سواه، فيمتنع أن يكون له شريك، أو مثل، والملائكة وسائر العالمين جنوده، فإذا كان الواحد من الملوك يقول: فعلنا، وإنا، ونحن... إلخ، ولا يريدون: أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء ومليكه هو أحق أن يقول: فعلنا، ونحن، وإنا... إلخ، مع أنه ليس له تعالى شريك، ولا مثل، بل له جنود السموات والأرض. انتهى.

أقول: و(نا) هذه تسمى نون العظمة، وليست دالة على الجماعة، كما يزعم الملحدون، والكافرون، فالله تعالى لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكثيراً ما يتكلم بها العبد ذكراً كان، أو أنثى، فيقول: أخذنا، وأعطينا... إلخ، وليس معه أحد، والغاية من هذا الكلام الرد على النصارى الذين يدخلون الشبهة على السذج من المسلمين بأن الإله ثلاثة أقانيم: الأب، والابن، وروح القدس، ويدعمون شبهتهم بهذه الألفاظ الموجودة في القرآن، والتي ظاهرها يفيد الجمع.

الإعراب: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (فجرنا): فعل، وفاعل. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿عُيُونًا﴾: تمييز، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿فَٱلْتَقَى﴾: (الفاء): حرف عطف. (التقى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿ٱلْمَآءُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْمَآءُ﴾. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿قُدِرَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿أَمْرٍ﴾، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿أَمْرٍ﴾. ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾: الواو: حرف عطف. (حملناه): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿عَلَىٰ ذَاتِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿ذَاتِ﴾ مضاف، و﴿أَلْوَٰحٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَدُسُرٍ﴾: الواو: حرف عطف. (دسر): معطوف على ﴿أَلْوَٰحٍ﴾.

﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿تَجْرِى﴾ أي: تسير السفينة على وجه الماء. ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بحفظنا، ورعايتنا. وقيل: بمرأىً منا. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٨] من سورة (الطور) ففيها الكفاية. ﴿جَزَآءً﴾ أي: فعلنا ذلك بنوح، وفعلنا بهم من العقاب ما فعلنا مجازاةً، وثواباً لنوح عليه السلام؛ لأنه كُفِرَ به وجُحِدَ أمره، و﴿كُفِرَ﴾ بمعنى: جحد سعيه، ودعوته، ورسالته، وجعله الله مكفوراً؛ لأن كل

رسول نعمة من الله ورحمة لمن أرسل إليهم، قال تعالى لنبينا ﷺ في سورة (الأنبياء): ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ فكان نوح نعمة مكفورة. هذا؛ وقرئ بفتح الكاف، والفاء بمعنى: كان الغرق جزاءً، وعقاباً لمن كفر.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وما نجا من الغرق غير عوج بن عنق، كان الماء إلى حجزته. وسبب نجاته: أن نوحاً عليه السلام احتاج إلى خشبة الساج لبناء السفينة، فلم يمكنه حملها، فحمل عوج تلك الخشبة إليه من الشام، فشكر الله له ذلك، ونجاه من الغرق. انتهى. وفي قصص الأنبياء للثعالبي أنه عاش أربعة آلاف سنة، وفيه حكايات عن: «عوج» لا يقبلها العقل.

﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ﴾ أي: الفعلة التي فعلها الله بقوم نوح على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وقيل: أراد السفينة. قال قتادة: أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة عبرة، نظر إليها أوائل هذه الأمة. انتهى. خازن. هذا؛ وقال لي بعضهم: شاهدت آثار السفينة بعيني فوق جبل الجودي بأرض العراق. ﴿ءَايَةٗ﴾: عبرة لمن يعتبر، وعظة لمن يتعظ، وما يتذكر إلا أولو الألباب.

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ أي: متذكر، معتبر، متعظ خائف من مثل عقوبتهم. هذا؛ وأصله: مذتكر (مفتعل) من الذكر، لكن الذال حرف مجهور قوي، والتاء مهموسة ضعيفة، فأبدلوا من التاء حرفاً من مخرجها، مما يوافق الدال في الجهر، وهو الدال، ثم أدغمت الدال في الدال. ويجوز «مذَّكر» بالذال على إدغام الثاني في الأول، وبذلك قرأ قتادة، كما قرأ مذتكر على الأصل، وهما قراءتان شاذتان، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال: قرأت على رسول الله ﷺ (مُذَّكر) فردها عليَّ، وفي رواية أخرى سمعته يقول: (مدَّكر) دالاً، متفق عليه.

الإعراب: ﴿تَجۡرِي﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى الموصوف المحذوف، والجملة الفعلية في محل جر صفة ثانية للموصوف المحذوف، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿تَجۡرِي﴾ المستتر، التقدير: محفوظة، ونحوه، (ونا): في محل جر بالإضافة. ﴿جَزَآءٗ﴾: مفعول لأجله، عامله محذوف، كما رأيت تقديره في الشرح. ﴿لِّمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿جَزَآءٗ﴾؛ لأنه مصدر، ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى (مَنْ). ﴿كُفِرَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾. وجملة: ﴿كَانَ كُفِرَ﴾: صلة (مَنْ) لا محل لها.

﴿وَلَقَد﴾: انظر الآية رقم [١٣] من سورة (النجم) ففيها الكفاية. ﴿تَّرَكۡنَٰهَآ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿ءَايَةٗ﴾: مفعول به ثان. ﴿فَهَلۡ﴾: (الفاء): حرف استئناف، أو هي الفصيحة. (هل): حرف استفهام. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿مُّدَّكِرٖ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على

آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وخبره محذوف، التقدير: موجود، والجملة الاسمية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الفاء.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: كيف كان عذابي لمن كفر بي، وكذب رسلي، ولم يتعظ بما جاءت به نذري، وكيف انتصرت لهم، وأخذت لهم بالثأر ممن عاداهم، وآذاهم؟! والاستفهام بكيف للتعظيم، والتهويل، والتخويف، والوعيد. هذا؛ وقال الفراء: الإنذار، والنذر مصدران. وقيل: (نُذُر) جمع: نذير، ونذير بمعنى: الإنذار، كنكير بمعنى: الإنكار.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلناه للحفظ، وأعنا عليه من أراد حفظه. وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن. وقال غيره: ولم يكن هذا لبني إسرائيل، ولم يكونوا يقرؤون التوراة إلا نظراً غير موسى، وهارون، ويوشع بن نون، وعزير، صلوات الله على نبينا، وحبيبنا، وعليهم أجمعين. وبذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة على ما تقدم بيانه في الآية رقم [٣٠] من سورة (التوبة)، والآية رقم [٢٥٨] من سورة (البقرة). هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الدخان) رقم [٥٨]: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، وقال جل ذكره في سورة (مريم) رقم [٨٧]: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ انظر شرح هاتين الآيتين في محلهما.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: متعظ بمواعظه. وفيه الحث على تعليم القرآن، والاشتغال به؛ لأن الله قد يسر حفظه، وسهله على من يشاء من عباده؛ بحيث يسهل حفظه على الصغير، والكبير، والعربي، والعجمي، وغيرهم.

الإعراب: ﴿فَكَيْفَ﴾: (الفاء): حرف استئناف. وقيل الفصيحة، وليس بشيء. (كيف): اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، ﴿عَذَابِي﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿كَانَ﴾ تامة؛ فـ: (كيف) تكون في محل نصب حال من ﴿عَذَابِي﴾. ﴿وَنُذُرِ﴾: الواو: حرف عطف. (نذر): معطوف على ﴿عَذَابِي﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة لمناسبة رؤوس الآي.

﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [١٣] من سورة (النجم) ففيها الكفاية. ﴿يَسَّرْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له.

﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: مفعول به. ﴿لِلذِّكْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب ما قبلها بلا فارق.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٨﴾

الشرح: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾: هم قوم هود، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. انظر الآية رقم [٥٠] من سورة (النجم). هذا؛ وقال الجمل: لم يتعرض لكيفية تعذيبه لهم مسارعة إلى بيان ما نزل بهم من العذاب، فإن قيل: لِمَ لمْ يقل: فكذبوا هوداً، كما قال في قصة نوح: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾؟ أجيب بأن تكذيب قوم نوح أبلغ لطول مقامه فيهم، وكثرة عنادهم. وإما لأن قصة عاد ذكرت مختصرة. انتهى. من هنا وهناك.

الإعراب: ﴿كَذَّبَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿عَادٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وتقدم إعراب: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، فلا حاجة إلى إعادته.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ١٩﴾

الشرح: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: ريحاً باردةً شديدة البرد، أو شديدة الصوت والهبوب، فمن الأول قول الحطيئة: [البسيط]

المطعمونَ إذَا هَبَّتْ بصَرصرةٍ والحاملون إذَا اسْتُودُوا عَلَى النَّاسِ

استودوا: سئلوا الدية. ومن الثاني (أي شدة الصوت) قوله تعالى في سورة (الذاريات) [٢٩]: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ...﴾ إلخ وقال مكي: أصله: (صرَّراً) من صرَّ الشيء إذا صوت، لكنهم أبدلوا من الراء الثانية صاداً. ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ أي: مشؤوم من الشؤم، وهو ضد السعد، قال الشاعر: [الطويل]

سواءٌ عليهِ أيَّ حِينٍ أتَيْتَهُ أسَاعَةَ نَحْسٍ تُتَّقى أمْ بأَسْعُدِ؟

هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (فصلت) رقم [١٦]: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ حيث فسر بمتتابعات، ومعنى ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾: دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسه، واستمر عليهم فيه العذاب والهلاك، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر. ويوم الأربعاء أرسل اللهُ الرياحَ العاتية على جيش قريش يوم الأحزاب، وكان الرسول ﷺ قد دعا، وسأل الله من فضله في ذلك اليوم بقوله: **«يا صَريخَ المكرُوبين، يا مجيبَ المضطرِّينَ، اكشفْ هَمِّي، وغمِّي، وكَرْبي، فإنك تَرى ما نزل بي، وبأصحابي»**. وكان ذلك بين الظهر، والعصر، فاستجيب له ﷺ. ومن ثَمّ كان جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ يدعو في مهماته في ذلك اليوم، في ذلك الوقت، وكان يتحرَّى ذلك

اليوم، وأما الأحاديث التي جاءت بذم يوم الأربعاء محمولة على آخر أربعاء في الشهر، فإنه في ذلك اليوم وُلد فرعون، وادعى الربوبية، وأهلكه الله فيه، وهو اليوم الذي أصيب فيه أيوب ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ. انتهى. زيني دحلان بتصرف. هذا؛ وكان هلاكهم في أواخر فصل الشتاء، ولا تزال هذه الأيام إلى عصرنا هذا موسماً للمطر والبرد الشديد ويطلق عليها أيام العجوز.

فإن قيل: فإذا كان يوم الأربعاء يوم نحس مستمر، فكيف يستجاب فيه الدعاء؟ وقد جاء: أن النبي ﷺ استجيب له فيما بين الظهر، والعصر، كما رأيت في حديث جابر ـ رضي الله عنهما ـ والجواب ـ والله أعلم ـ ما جاء في خبر يرويه مسروق ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: أنه قال: «**أتاني جبريلُ، فقال: إن الله يأمُرُكَ أن تقضي باليمينِ مَعَ الشاهد، وقال: يومُ الأربعاء يومُ نحسٍ مستمرٌّ**». ومعلوم: أنه لم يرد بذلك: أنه نحس على الصالحين، بل أراد: أنه نحس على الفجار، والمفسدين كما كانت الأيام النحسات المذكورة في سورة (فصلت) نحسات على الكفار من قوم عاد، لا على نبيهم، والمؤمنين منهم، وإذا كان كذلك لم يبعد أن يمهل الظالم من أول يوم الأربعاء إلى أن تزول الشمس، فإذا أدبر النهار، ولم يحدث رجعة، وتوبة استجيب دعاء المظلوم عليه، فكان اليوم نحساً على الظالم، ودعاء النبي ﷺ إنما كان على الكفار. انتهى. قرطبي.

هذا؛ وقوله: «**إن الله يأمرك أن تقضي باليمين مع الشاهد**» معناه: أن المدعي مطالب بالبينة لإثبات حقه وهي شاهدان مسلمان عدلان، فإن لم يكن له إلا شاهد واحد، فيحلف، فاليمين تقوم مقام الشاهد الثاني. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ والريح في الأصل: الهواء المسخر بين السماء، والأرض، وهو جسم لطيف متحرك، ممتنع بلطفه من القبض عليه، يظهر للمس بحركته، ويخفى عن البصر بلطفه، وهو حياة كل نام، من إنسان، وحيوان، ونبات مثل الماء، بل الحاجة إليه أشد، وأصله الرِّوْح، قلبت الواو ياءً؛ لانكسار ما قبلها، والجمع: أرواح، ورياح، وأصل رياح: رِواح، فعل به كما فعل بأصل ريح، والأكثر في الريح التأنيث، كما في قوله تعالى: ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ وقد تذكر على معنى الهواء. والرياح الأصول أربع: إحداها: الشمال، وتأتي من ناحية الشمال وهي يسار من استقبل مطلع الشمس، وهذه الريح حارة في الصيف، باردة في الشتاء. والثانية: الجنوب، وهي مقابلتها؛ أي: تأتي من جهة يمين من استقبل مطلع الشمس. وهي اليمانية. والثالثة: الصَّبا بفتح الصاد، وتأتي من مطلع الشمس، وتسمى: القبول أيضاً. والرابعة: الدَّبور، وتأتي من مغرب الشمس.

وما أتى منها من بين تلك الجهات يقال لها: النَّكباء، ثم إن خرجت من بين الجنوب والشرق؛ قيل لها: أَزْيَب، بفتح الهمزة، وسكون الزاي، وفتح الياء، وإن خرجت من بين

الشمال والغرب، قيل لها: جِرْبِيَا، بكسر الجيم، وسكون الراء، وكسر الباء. وإن خرجت من بين الشمال والشرق؛ قيل لها: صَابِيَة. وإن خرجت من بين الجنوب والغرب، قيل لها: هَيْف، بفتح الهاء، وسكون الياء. وقد جمع النواجي الثمانية بقوله: [الطويل]

صَباً ودَبُورٌ والجَنوبُ وشَمْأَلٌ   بِشَرْقٍ وغَرْبٍ والتَّيَمُّنِ والضِّدِّ

ومِنْ بَيْنِها النَّكْبَاءُ أَزْيَبُ جِرْبِيَا   وصَابِيَةٌ والهَيَفُ خاتمةُ العدِّ

هذا؛ وأضيف أن ريح الصبا نصر الله بها نبينا ﷺ في غزوة الخندق، حيث فعلت بقريش العجائب، فارتدوا على أعقابهم خاسئين، كما رأيت في سورة (الأحزاب)، وأن ريح الدبور أهلك الله بها قوم عاد. ونبيُّهم هود ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ كما رأيت في سورة (الأعراف) وغيرها.

هذا؛ ولا تنس: أن الريح تفسر بالدولة، والقوة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الآية رقم [٤٦] من سورة (الأنفال)، والمعنى: تذهب دولتكم، وقوتكم، شبهت في نفوذ أمرها، وتمشيه بالريح وهبوبها، ويقال: هبت رياح بني فلان: إذا كانت الدولة، والغلبة لهم، ونفذ أمرهم، وتقول: الريح لفلان: إذا كان غالباً في الأمر. قال الشاعر: [الوافر]

إذا هَبَّتْ رياحُكَ فاغْتَنِمْهَا   فإنَّ لِكُلِّ خافِقَةٍ سُكُونُ

وَلَا تَغْفَلْ عَنِ الإحسانِ فِيها   فما تَدْرِي السكون متَى يكونُ؟!

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرِّيح مِنْ رَوْحِ الله تعالى، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذابِ، فإذا رَأيتموها؛ فلا تَسُبُّوها، واسألوا الله خيْرَها، واستعيذوا بالله مِنْ شَرِّها**». رواه الشافعي بطوله، وأخرجه أبو داود في المسند عنه. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**إن الرِّياحَ ثمان: أربعٌ منها عذابٌ، وهي: القاصِفُ، والعاصِفُ، والصَّرْصَرُ، والعقيمُ. وأربعٌ منها رحمةٌ، وهي الناشراتُ، والمبشراتُ، والمرسلاتُ، والذارياتُ**».

الإعراب: ﴿إِنَّآ﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿رِيحًا﴾: مفعول به، ﴿صَرْصَرًا﴾: صفة له. ﴿فِي يَوْمِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿أَرْسَلْنَا﴾، أو هما متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ: ﴿رِيحًا﴾، و﴿يَوْمِ﴾ مضاف، و﴿نَحْسٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾: صفة ﴿نَحْسٍ﴾. وقيل: صفة ﴿يَوْمِ﴾، وجملة: ﴿أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: تقلعهم من مواضعهم. قيل: قلعتهم من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصولها. وقال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: كانت تقلعهم من الأرض، فترمي بهم على رؤوسهم، فتندق أعناقهم، وتبين رؤوسهم عن أجسادهم. وقيل: حفروا حفراً، ودخلوها، فكانت الريح تنزعهم منها، وتكسرهم، وتبقى تلك الحفر كأنها أصول نخل هلك ما كان فيها، فتبقى مواضعها منقعرة. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾: جمع: عَجُز، وهو مؤخر الشيء. هذا؛ والعجوز: المرأة الطاعنة في السن، وجمعها: عجائز، وعجز. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٩] من سورة (الذاريات) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: منقلع، ومنقطع من أصله. يقال: قعرت الشجرة قعراً: قلعتها من أصلها، فانقعرت. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧]. هذا؛ ويقال هنا أيضاً: أجرى (منقعر) على لفظ ﴿نَخْلٍ﴾ وهو من الجمع الذي يذكر، ويؤنث. هذا؛ وقال الجلال: ذكَّر هنا، وأنَّثَ في (الحاقة) مراعاة للفواصل في الموضعين، ولا تنس التشبيه التمثيلي في الآية الكريمة حيث شبههم بأعجاز النخل المنقعر. وقال أبو بكر بن الأنباري: سئل المبرد بحضرة إسماعيل القاضي عن ألف مسألة هذه من جملتها، فقيل له: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ رقم [٨١] من سورة (الأنبياء)، وبين قوله تعالى: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ رقم [٢٢] من سورة (يونس)، وما الفرق بين قوله تعالى في سورة (الحاقة): ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾، وقوله تعالى في سورة (القمر): ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾؟ فقال: كل ما ورد عليك من هذا الباب، فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيراً، أو إلى المعنى تأنيثاً. هذا؛ و﴿نَخْلٍ﴾: اسم جنس جمعي، يفرق بينه وبين واحده بالتاء، وهو: نخلة، كتمر وتمرة. وفي مختار الصحاح: النخل، والنخيل بمعنى واحد، والواحدة: نخلة. وما ألطف قول الشاعر في التورية: [الوافر]

رَأَيْتُ بِهَا قَضِيباً فَوْقَ دِعْصٍ عَلَيْهِ النَّخْلُ أيْنَعَ وَالْكُرُومُ

فقد وَرَّى عن المرأة بالقضيب، وعن الحَلْي بالنخل، وعن قلائدها بالكروم، والدعص بكسر الدال: قطعة من الرمل مستديرة. هذا؛ وفائدة التكرير في هاتين الآيتين ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أن يجدد الكفار، والفجار عند سماع كل نبأ اتعاظاً، وهذا حكم التكرير بقوله تعالى في سورة (الرحمن): ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ عند كل نعمة عدها، وقوله تعالى في سورة (المرسلات): ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عند كل آية أوردها، وكذا تكرير القصص في القرآن، مثل قصة (عاد) و(ثمود) ونحوهما، لتكون العبرة حاضرة، مصورة للأذهان، غير منسية في كل أوان. انتهى. جمل بتصرف مني.

هذا؛ و﴿ٱلنَّاسَ﴾ اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: قوم، ورهط... إلخ، واحده إنسان من غير لفظه، وهو يطلق على الإنس، والجن، ولكن غلب استعماله في الإنس، قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وأصله: الأناس، حذفت منه الهمزة تخفيفاً على غير قياس، وحذفها مع لام التعريف كاللازم، لا يكاد يقال: الأناس، وقد نطق القرآن الكريم بهذا الأصل، ولكن بدون لام التعريف، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ رقم [٧١] من سورة (الإسراء). وقيل: إن أصله: النَّوس، ولم يحذف منه شيء، وإنما قلبت الواو ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها.

الإعراب: ﴿تَنزِعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الريح). ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿رِيحًا﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما ذكر، والرابط على الاعتبارين: الضمير. ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿أَعْجَازُ﴾: خبر (كأنَّ)، و﴿أَعْجَازُ﴾ مضاف، و﴿نَخْلٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مُّنقَعِرٍ﴾: صفة ﴿أَعْجَازُ﴾، وانظر ما ذكرته في الشرح، أو صفة لـ: ﴿نَخْلٍ﴾ وهو الظاهر، والأقوى، وجملة: ﴿كَأَنَّهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل ﴿تَنزِعُ﴾ المستتر، والرابط: الضمير فقط، وتقدم إعراب الآيتين التاليتين فيما تقدم.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾: هم قوم صالح ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ كذبوا الرسل، ونبيَّهم، أو كذبوا بالآيات التي هي النذر. هذا؛ وقد تقدمت قصة صالح مع قومه في كثير من السور. ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾: قال الزمخشري: فإن قلت: كيف أنكروا أن يتبعوا بشراً منهم واحداً؟ قلت: قالوا: ﴿أَبَشَرًا﴾ إنكاراً؛ لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية، وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر، وهم الملائكة، وقالوا: ﴿مِّنَّا﴾؛ لأنه إذا كان منهم؛ كانت المماثلة أقوى، وقالوا: ﴿وَٰحِدًا﴾ إنكاراً؛ لأن تتبع الأمة رجلاً واحداً، أو أرادوا واحداً من أفنائهم، ليس بأشرافهم، وأفضلهم، ويدل عليه قولهم: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾؟.

﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ أي: ذهاب عن الصواب. ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: جنون: من قولهم: ناقة مسعورة؛ أي: كأنها من شدة نشاطها مجنونة. ذكره ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، قال الشاعر: [الطويل]

تَـخَـالُ بِـهَـا سُعْـراً إذا الـسَّـفْـرُ هـزّهـا ... ذَمِـيـلٌ، وإيـقـاعٌ مِـنَ الـسَّـيْـرِ مُـتْـعِـبُ

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أيضاً: السُّعُر: العذاب، وقاله الفراء. وقال مجاهد: بعد الحق. وقال السُّدِّي: في احتراق، قال طرفة بن العبد: [الرمل]

أصَـحَـوْتَ الْـيَـوْمَ أمْ شَـاقَـتْـكَ هِـرّ ... ومِـنَ الْـحُـبِّ جُـنُـونٌ مُـسْـتَـعِـرْ

هذا؛ وبَشَر يطلق على الإنسان ذكراً، كان أو أنثى، مفرداً كان، أو جمعاً، مثل كلمة الفلك، تطلق على المفرد والجمع، وسُمِّي بنو آدم بشراً لِبُدُوِّ بشرتهم؛ التي هي ظاهر الجلد، بخلاف أكثر المخلوقات، فإنها مكسوة بالشعر، أو بالصوف، أو بالريش. هذا؛ وبشر يطلق على الواحد، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ الآية رقم [١٧] من سورة (مريم)؛ ولذا ثني في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ الآية رقم [٤٧] من سورة (المؤمنون)، كما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ الآية رقم [٢٥] من سورة (مريم) على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام. وقوله تعالى في سورة (المدثر) حكاية عن قول الوليد الخبيث: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾.

الإعراب: ﴿كَذَّبَتْ﴾: فعل ماض، والتاء حرف للتأنيث، لا محل له. ﴿ثَمُودُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَقَالُوٓاْ﴾: (الفاء): حرف عطف. (قالوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَبَشَرًا﴾: (الهمزة): حرف استفهام إنكاري. (بشراً): منصوب على الاشتغال بفعل محذوف، يفسره المذكور بعده، وهو الراجح لتقدم أداة هي بالفعل أولى. ﴿مِّنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (بشراً). ﴿وَٰحِدًا﴾: فيه وجهان: أظهرهما: أنه نعت لـ: (بشراً) إلا أنه يشكل عليه تقديم الصفة المؤولة على الصريحة، ويجاب: بأن ﴿مِّنَّا﴾ حينئذ ليس وصفاً، بل حالاً من ﴿وَٰحِدًا﴾ قدم عليه، والثاني: أن ﴿وَٰحِدًا﴾ حال من هاء ﴿نَّتَّبِعُهُۥ﴾ وهو مخلص من الإعراب المتقدم إلا أن المرجح لكونه صفة قراءتهما مرفوعين: (أبشرٌ منا واحدٌ نتبعه) أي: على المبتدأ، والخبر. فهذا يرجح كون ﴿وَٰحِدًا﴾ نعتاً لـ: (بشراً) لا حالاً. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. ﴿نَّتَّبِعُهُۥ﴾: فعل مضارع، والفاعل: نحن، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها مفسرة على قراءة النصب، وفي محل رفع خبر: (بشرٌ) على قراءة الرفع.

﴿إِنَّآ﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. (ونا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء، أو هو ظرف متعلق بما بعده، والتنوين نائب عن الجملة التي تضاف «إذ» إليها، وأصل الكلام إنا لفي ضلال إذا اتبعناه. ﴿لَّفِى﴾: (اللام): هي المزحلقة. (في ضلال): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). ﴿وَسُعُرٍ﴾: الواو: حرف عطف. (سعر): معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول مثل الكلام الذي قبلها، وجملة: ﴿فَقَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾

الشرح: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: خص صالح بالوحي، والرسالة من بين آل ثمود؛

وفيهم من هو أكثر مالاً، وأحسن حالاً؟! ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: ليس كما يدعي، وإنما يريد أن يتعاظم، ويلتمس التكبر علينا من غير استحقاق. والأشر: بفتح العين: المرح والتجبر، والنشاط، يقال: فرس أشر: إذا كان مرحاً نشيطاً. وقيل: ﴿أَشِرٌ﴾ بطر، والأشر: البطر، قال الشاعر: [الطويل]

أشِرْتُمْ بِلُبسِ الخزِّ لَمَّا لبِسْتمُ ... وَمِنْ قبلِ ما تَدْرُونَ مَنْ فَتَحَ الْقُرى

وقد أشِر بالكسر، يأشَرُ أشَراً، فهو أشِر، وأشْران، وقوم أُشَارى مثل: سكران، وسُكارى. قالت مية بنت ضرار الضبي ترثي أخاها: [المتقارب]

تَراهُ على الخيلِ ذَا قِدْمةٍ ... إذَا سَربَلَ الدَّمُ أكْفَالَها

وخَلَّتْ وعولاً أُشارى بها ... وقَدْ أزهفَ الطَّعْنُ أبْطالَها

وقرأ أبو جعفر، وأبو قلابة (أشَرُّ) بفتح الشين وتشديد الراء يعني به: أشرنا، وأخبثنا. ومثله في الآية التالية، وهو الأصل، كما ستقف عليه في الآية رقم [٤٣] الآتية. قال أبو حاتم: لا تكاد العرب تتكلم بالأشرِّ والأَخْيَر إلا في ضرورة الشعر، كقول رؤبة: [الرجز]

يَا قَاسِمَ الْخَيْراتِ، وَابْنَ الأَخْيَرِ ... مَا سَاسَنَا مِثْلُكَ مِنْ مُؤَمَّرِ

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ أي: سيرون العذاب في الدنيا، والآخرة. ففيه تهديد، ووعيد، والسين لتقريب مضمون الجملة، وتأكيده، و«غداً» يفيد التقريب أيضاً على عادة الناس في قولهم للعواقب: إن مع اليوم غداً. قال الشاعر: [البسيط]

لِلْموتِ فيها سهامٌ غيْرُ مخطئةٍ ... مَنْ لَمْ يكنْ مَيِّتاً في اليومِ ماتَ غدَا

والمراد بـ: (غد) على الأكثر اليوم الذي بعد يومك على الأثر، وأصله: غدوٌ، فحذفت منه الواو لغير علة تصريفية، وهو ما يسمى الحذف اعتباطاً، وقد ردها لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ في قوله: [الطويل]

وَمَا النَّاسُ إلَّا كالدِّيَارِ وأهْلُهَا ... بها يَوْمَ حَلُّوهَا، وغدْواً بَلاقِعُ

الإعراب: ﴿أَءُلْقِىَ﴾: (الهمزة): حرف استفهام إنكاري. (ألقي): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿الذِّكْرُ﴾: نائب فاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً بـ: (على). (ونا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف، وانتقال. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَذَّابٌ﴾: صفة لموصوف محذوف هو خبر المبتدأ. ﴿أَشِرٌ﴾: صفة ثانية، والجملة الاسمية معطوفة على ما

قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾: (السين): حرف استقبال. (يعلمون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿غَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. ﴿مَّنِ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْكَذَّابُ﴾: خبر المبتدأ، وهو صفة لموصوف محذوف أيضاً، وأل فيه للعهد الذكري، مثل قوله تعالى في سورة (المزمل): ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ...﴾ إلخ. ﴿ٱلْأَشِرُ﴾: صفة ثانية للموصوف، والجملة الاسمية: ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ في محل نصب سدت مسد مفعول (يعلمون) وهو من المعرفة، وليس قلبياً. وقيل: بل هو قلبي، والمعنى: سيعلمون غداً أيَّ فريق هو الكذاب الأشر. أهو هم، أم صالح، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام؟! والجملة الفعلية: ﴿سَيَعْلَمُونَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف؛ إذ هي من قول الله تعالى، وليست من مقولهم.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ أي: باعثوها، ومخرجوها من الهضبة التي سألوا، وذلك: أنهم تعنتوا على صالح، عليه السلام. فقالوا له: نريد أن نعرف المحق منا بأن ندعو آلهتنا، وتدعو إلهك، فمن أجابه إلهه علمنا: أنه المحق، فدعوا أوثانهم، فلم تجبهم، فقالوا: ادع أنت، فقال: فما تريدون؟ قالوا: تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عُشراء وبْراء! فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان، فوعدوه بذلك، وأكدوا، فكذبوا بعدما كذبوا في أن آلهتهم تجيبهم، وصدق هو عليه السلام في كل ما قال، فأخبره ربه سبحانه وتعالى: أنه يجيبهم إلى إخراجها، ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾: اختباراً، وامتحاناً. ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ أي: انتظر ما يصنعون. وفي آخر سورة (الدخان) قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾. ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ أي: اصبر على أذاهم، وأصل الطاء في اصطبر تاء، فتحولت طاءً لتكون موافقة للصاد في الإطباق.

الإعراب: ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. (ونا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها، ﴿مُرْسِلُوا۟﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّاقَةِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه تقديره: «نحن»، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿فِتْنَةً﴾: مفعول لأجله. وقيل: حال. ﴿لَّهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿فِتْنَةً﴾، أو بمحذوف صفة له، ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾: (الفاء): هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً، وواقعاً؛ فارتقبهم. وهذا فعل أمر، وفاعله مستتر وجوباً تقديره: «أنت»، والهاء

مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر بـ: «إذا»، وجملة: ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾: معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، والكلام كله في محل نصب مقول القول.

﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾: أخبرهم. ﴿أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: بين آل ثمود، وبين الناقة، لها يوم، ولهم يوم، كما قال تعالى في سورة (الشعراء) رقم [١٥٥]: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ «**كان يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئاً من الماء، وتسقيهم لبناً، وكانوا في نعيم، وإذا كان يوم الناقة شربت الماء كله، فلم تبق لهم شيئاً**». وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٩] من سورة (النمل) وفي سورة (الشعراء) تجد ما يسرك. وإنما قال تعالى: ﴿بَيۡنَهُمۡۖ﴾؛ لأن العرب إذا أخبروا عن بني آدم مع البهائم غلّبوا بني آدم. ﴿كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ﴾: الشرب بالكسر: الحظ، والنصيب من الماء، وهو بمعنى المشروب، كالطحن بمعنى المطحون. ومعنى «محتضر»: يحضره مَن هو له، فالناقة تحضر الماء يوم وردها، وتغيب عنهم يوم وردهم، قاله مقاتل. وقال مجاهد: إن ثمود يحضرون الماء يوم غبها، فيشربون، ويحضرون اللبن يوم وردها، فيحتلبون.

﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ﴾ هو قُدار بن سالف، قال الأفوه الأودي: [البسيط]

أو قَبْلَهُ كقُدَارٍ حينَ تابَعَهُ ... على الغِوايَةِ أقْوَامٌ فَقَدْ بَادُوا

والعرب تسمّي الجزار قُداراً، تشبيهاً بقُدار بن سالف مشؤوم آل ثمود، قال مهلهل بن ربيعة: [الكامل]

إنَّا لَنَضربُ بالسيوفِ رؤوسَهُمْ ... ضَرْبَ الْقُدارِ نَقِيعَةَ القُدَّامِ

﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾: فاجترأ على تعاطي عقرها، فقتلها، أو فتعاطى السيف، فقتلها، والتعاطي: تناول الشيء بتكلف، من قولهم: عطوتُ؛ أي: تناولتُ، ومنه قول حسان ـ رضي الله عنه ـ: [الكامل]

كِلْتَاهُمَا حَلَبُ العصيرِ فعَاطِني ... بزجَاجَةٍ أرْخَاهما لِلْمِفْصَلِ

وقال بعض بني يشكر ـ وهو الشاهد رقم [٤٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الطويل]

وَيَوْماً تُوَافِينَا بوَجْهٍ مُقَسَّمٍ ... كأنْ ظَبْيَةٍ تَعْطُو إلى وَارِقِ السَّلَمْ

هذا؛ واسم الفاعل من: تعاطى: معاطٍ، قال أوس بن حجر التميمي الجاهلي، وهو الشاهد رقم [٤٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

فأمْهَلَهُ حَتَّى إذَا أنْ كأنَّهُ ... مُعَاطِي يَدٍ في لُجَّةِ الْماءِ غَامِرُ

هذا؛ وروى أبو الزبير عن جابر ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلنا الحجر في مغزى رسول الله ﷺ تبوك، قال: «**أيها الناس! لا تسألوا في هذه الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم ناقة، فبعث الله إليهم الناقة، فكانت ترد من ذلك الفج، فتشرب ماءهم يوم وردها، ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون يوم غبها**». وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾، ومعنى قوله في سورة (الشعراء): ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

الإعراب: ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾: (الواو): حرف عطف. (نبئهم): فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً، تقديره: «أنت»، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الْمَاءَ﴾: اسم ﴿أَنَّ﴾. ﴿قِسْمَةٌ﴾: خبر ﴿أَنَّ﴾. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿قِسْمَةٌ﴾ أو بمحذوف صفة له، والهاء في محل جر بالإضافة، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (نبئ) الثاني، والثالث. ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿شِرْبٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية تعليلية، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿فَنَادَوْا﴾: (الفاء): حرف عطف. (نادوا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: فتماروا على ذلك. و«زاده» اعتبر الفاء فصيحة، وقدر قبلها كلاماً كثيراً. ﴿صَاحِبَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾: الفاء: حرف عطف. (تعاطى): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى صاحبهم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَعَقَرَ﴾: الفاء: حرف عطف. (عقر): فعل ماض، والفاعل يعود إلى صاحبهم أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: انظر الآية رقم [١٦]. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: يريد صيحة جبريل عليه السلام. فكانت في اليوم الرابع من عقر الناقة؛ لأنه كان في يوم الثلاثاء، ونزول العذاب بهم كان في يوم السبت. ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾: يقرأ بكسر الظاء على أنه اسم الفاعل، وبفتحها على أنه اسم المفعول. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر، والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك، فداسته الغنم فهو الهشيم. وقيل: هو الشجر البالي الذي يهشم، حين تذروه الرياح. والمعنى: أنهم صاروا كيبيس الشجر إذا بلي، وتحطم. وقيل: كالعظام النخرة المحترقة.

تنبيه: أذكر أنَّ الناقة ولدت ولداً مثلها، ومكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر، وترد الماء غباً، فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها، ثم تتفحج، فيحلبون ما شاؤوا؛ حتى تمتلئ أوانيهم، فيشربون، ويدخرون، وكانت تصيف بظهر الوادي، فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه، وتشتو ببطنه، فتهرب مواشيهم إلى ظهره، فشق ذلك عليهم، وزينت لهم عقرها عنيزة أم غنم، وصدقة بنت المختار، فعقروها، واقتسموا لحمها. فرقى ولدها جبلاً اسمه قارة، فرغا ثلاثاً، فقال لهم صالح: أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب، فلم يقدروا عليه؛ إذ انفرجت الصخرة بعد رغائه، فدخلها، فقال لهم صالح ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: تصبح وجوهكم غداً مصفرة، وبعد غد محمرة، وفي اليوم الثالث مسودة، ثم يصبحكم العذاب، فلما رأوا العلامات؛ طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين، ولما كانت صحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالأنطاع، فأتتهم صيحة جبريل عليه السلام، فتقطعت قلوبهم، فهلكوا. انتهى. بيضاوي في غير هذا الموضع.

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحِجر، قال: «**لا تدخلوا مساكِنَ الَّذينَ ظلمُوا أنفُسَهُمْ أنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إلَّا أنْ تكونُوا باكِين، ثم قنَّعَ رأسَهُ، وأسرعَ السَّيْرَ حتى جَاوَزَ الْوادي**». متفق عليه، والحِجْر هي بلاد ثمود، قال تعالى في سورة (الحجر): ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. وعن ابن عمر أيضاً: أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض ثمود، فاستقوْا من آبارها، وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوه، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر؛ التي كانت تردها الناقة، رواه الشيخان.

هذا؛ وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف، خرج بهم صالح عليه الصلاة والسلام بعد هلاك قومه من فلسطين إلى حضرموت، فلما دخلوها؛ مات صالح، فسُمِّي حضرموت، ثم بنوا فيها أربعة آلاف مدينة، وسمَّوْها حاضوراء. وقال قوم من أهل العلم: توفي صالح بمكة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وأقام في قومه عشرين سنة. انتهى. خازن في غير هذا الموضع.

الإعراب: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾: انظر الآية رقم [١٦] فالإعراب فيها كافٍ وافٍ. ﴿إِنَّآ﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت ألفها دليلاً عليها. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿صَيْحَةً﴾: مفعول به. ﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة لها. (كانوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿كَهَشِيمِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان) وإن اعتبرت الكاف اسماً؛ فهي الخبر، و(الكاف) مضاف، و(هشيم) مضاف إليه، و(هشيم) مضاف، و﴿ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ مستأنفة، أو ابتدائية، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا...﴾ إلخ إعراب هذه الجملة موجود في الآية رقم [١٧] وما يحال عليها.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾: هو مثل الآية رقم [٢٣]. هذا؛ ولوط هو ابن أخي إبراهيم عليه السلام آمن به، وهاجر معه من بلاد العراق إلى فلسطين، قال تعالى في سورة (العنكبوت) رقم [٢٦]: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ...﴾ إلخ؛ فأقام إبراهيم عليه السلام في فلسطين، وأقام لوط ـ عليه السلام ـ في الأردن، فأرسله الله إلى أهل سدوم يدعوهم إلى الله، وينهاهم عن فعلهم القبيح، وهو إتيان الرجال في أدبارهم، وقد ذكرت قصة لوط بتمامها في عدة سور باختلاف يسير، وبعضها يكمل بعضاً، وتتلخص: أن قوم لوط كانوا من الشر بمكان، وأنهم كانوا يقطعون السبيل على المارة، وقد ذهب الحياء من وجوههم، فلا يستقبحون قبيحاً، ولا يرغبون في حَسَن، كما قال تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ وكانوا قد ابتدعوا من المنكرات ما لم يسبقهم إليه أحد من خلق الله، وذلك: أنهم كانوا يأتون الذكران من العالمين شهوةً من دون النساء، يستعلنون بذلك، ولا يَسْتَسِرُّون، ولا يرون ذلك سوءاً، أو قبيحاً، وإن لوطاً عليه السلام قد وعظهم، ونصحهم، ونهاهم، وخوفهم بأس الله تعالى، فلم يأبهوا، ولم يرتدعوا، فلما ألح عليهم بالعظات، والإنذار؛ هددوه، وتوعدوه تارةً بالرجم، وتارةً بالإخراج من بينهم إلى أن جاء لوطاً الملائكة؛ الذين ذكرهم الله في سورة (الحجر) وسورة (العنكبوت) وغيرها، وقد جاؤوا إلى لوط بهيئة غلمان مرد حسان الوجوه، فجاء أهل القرية إلى بيت لوط طالبين ضيوفه الكرام، ليفعلوا فيهم الفاحشة؛ التي اعتادوها، وقد جهد لوط في ردهم، وبالغ في ذلك حتى طلب إليهم أن يأخذوا بناته بدل ضيوفه، فلم يصغوا إليه.

حينئذ التفت لوط إلى ضيوفه الكرام، وقال لهم: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أي: لجاهدتهم بكم، وأوقعت بهم ما يستحقون، وكان لا يعلم: أنهم ملائكة إلى ذلك الحين، وحينئذ أعلمه الملائكة بحقيقة أمرهم، وأنهم جاؤوا للتنكيل بأولئك القوم الخبثاء، ولما حاول أهل القرية أخذ أولئك المردان بالقوة، وهجموا على بيت لوط؛ طمس الله أعينهم، فلم يبصروا، ولم يهتدوا إلى مكان يقتحمون منه على لوط، وعلى من معه، كما ذكر الله في الآية التالية.

وأخرج الملائكة لوطاً، وابنتيه، وزوجه من القرية، وأمروهم أن لا يلتفت منهم أحد، وأن يحضروا حيث يؤمرون، فامتثلوا الأمر إلا امرأته، فقد التفتت إلى القرية لترى ما يحل بها، وكانت خبيثة هواها مع أهل القرية دون لوط فحل بها من السخط والعذاب ما حل بهم، وكانت كافرة غير مؤمنة، فأمطر الله عليهم حجارةً من سجيل، وقلبت ديار القوم، قال تعالى في سورة (هود) الآية رقم [٨٢]: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾. انتهى. من قصص الأنبياء للنجار بتصرف.

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ: وأعتقد: أن البحر الميت المعروف الآن ببحر لوط، أو بحيرة لوط لم يكن موجوداً قبل هذا الحادث، وإنما حدث من الزلزال الذي جعل عالي البلاد سافلها، وصارت أخفض من سطح البحر بنحو أربعمئة متر، وقد جاءت الأخبار في السنتين الماضيتين بأنهم اكتشفوا آثار مدن لوط على حافة البحر الميت. انتهى.

يا سبحان الله! كيف زل النجار حيث عزا ما وقع في قرى قوم لوط إلى الزلزال؟! وإنما حصل ذلك بفعل جبريل عليه السلام حيث وضع جناحه تحت القرى، ورفعها إلى السماء، ثم جعل عاليها سافلها، ولا زلزال، ولا بحر، ولا بحيرة، وكان هذا العمل الجبار الذي كان من قدرة الواحد القهار، فاعتبروا يا أولي الأبصار!.

هذا؛ ويقول ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره: وجعل الله تعالى مكان تلك البلاد بحرة منتنة، لا ينتفع بمائها، ولا بما حولها من الأراضي المتاخمة لفنائها لردائتها، ودناءتها، فصارت عبرة، ومثلة، وعظة، وآية على قدرة الله تعالى، وعظمته، وعزته في انتقامه ممن خالف أمره، وكذب رسله، واتبع هواه، وعصى مولاه. انتهى. النبوة والأنبياء للصابوني.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ يعني: الحصباء، وهي الحجارة التي هي دون ملء الكف. وقد يكون (الحاصب) الرامي، فعلى هذا يكون المعنى: إنا أرسلنا عليهم عذاباً يحصبهم؛ أي: يرميهم بالحجارة. انتهى. خازن. وفي القرطبي، والكشاف: ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي الحصى، قال النضر: الحاصب: الحصباء في الريح. والحاصب: الريح الشديدة التي تثير الحصباء، وكذلك الْحَصِبة، قال لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [الرجز]

جَـرَّتْ عَـلَـيْـهَـا أنْ خَـوَتْ مِـنْ أهـلِـهـا أذْيَـالَـهَـا كُـلَّ عَـصُـوفٍ حَـاصِـبَـهْ

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ﴾ يعني: من تبعه على دينه، ولم يكن معه إلا ابنتاه. ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾: السحر هو ما بين آخر الليل، وطلوع الفجر، وهو مفاد قوله تعالى في سورة (هود) رقم [٨١]: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾. هذا؛ وصرف (سحر) لأنه نكرة، ولو أراد سحر يوم بعينه لما أجراه، ونظيره قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٦١]: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ لمَّا نكره؛ صرفه، فلما عرَّفه بقوله تعالى في سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام الآية رقم [٩٩]: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ منعه من الصرف.

قال مكي: إنما انصرف؛ لأنه نكرة، ولو كان معرفة لم ينصرف؛ لأنه إذا كان معرفة فهو معدول عن الألف، واللام؛ إذ تعرف بغيرهما، وحق هذا الصنف أن يتعرف بهما، فلما لم يتعرف بهما صار مَعْدُولاً عنهما، فثقل مع ثقل التعريف، فلم ينصرف، فإن نكر انصرف. انتهى. خذ قول ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

والْـعَـدْلُ والـتـعـرِيـفُ مَـانِـعـاً سَـحَـرْ إِذَا بِـهِ الـتـعـيـيـن قَـصْـداً يُـعْـتَـبَـرْ

هذا؛ وأما ﴿ءَالَ﴾ فأصله: أهل، فأبدلت الهاء همزة ساكنة، فصار (أأْل) ثم أبدلت الهمزة الثانية الساكنة مداً مجانساً لحركة الهمزة الأولى على القاعدة: «إذا اجتمع همزتان: الأولى متحركة والثانية ساكنة، قلبت الثانية مداً مجانساً لحركة الهمزة الأولى» وذلك مثل آدم، وإيمان، وأومن، فإن الأصل أأْدم، وإإمان، وأُؤْمن. وقلب الهمزة سائغ مستعمل في أراق، فإن أصله: هراق، وهو كثير في الشعر العربي وغيره. وهذا مذهب سيبويه. وقال الكسائي: أصله: (أوَل) كجلٌ من يؤول تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وقد صغروه على: (أُهَيْل) وهو يشهد للأول، وعلى: (أوَيْل) وهو يشهد للثاني. ولا يستعمل (آل) إلا فيما له خطر، وشأن، بخلاف أهل، يقال: آل النبي، وآل الملك، ولا يقال: آل الحجام، ولكن: أهله، ولا ينتقض بـ: آل فرعون، فإن له شرفاً في الدنيا. واختلف في جواز إضافته إلى المضمر، فمنعه الكسائي، والنحاس، وزعم أبو بكر الزبيدي: أنه من لحن العوام. والصحيح: جوازه كما في قول عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ: [مجزوء الكامل]

لا هُــــمَّ إنَّ الــــمــــرْء يــــمــــ نَـعُ رحْـلَـهُ، فـامـنـعْ رحـالَـكْ

وانــصــرْ عــلــى آلِ الــصــلــيــ بِ وعــابــديــه الــيــوم آلَــكْ

الإعراب: ﴿كَذَّبَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿قَوْمُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿لُوطٍ﴾ مضاف إليه. ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿كَذَّبَتْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، ﴿إِنَّآ﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. (ونا): اسمها. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَاصِبًا﴾: مفعول به، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء. ﴿ءَالَ﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّآ﴾ وهو مضاف، و﴿لُوطٍ﴾ مضاف إليه. ﴿نَّجَّيْنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ والرابط: الضمير فقط، و«قد» قبلها مقدرة. ﴿بِسَحَرٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، التقدير: حال كونهم ملتبسين بسحر.

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ﴾ أي: إنعاماً على لوط، وابنتيه. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ أي: من آمن بالله، وأطاعه. ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾: خوفهم لوط. ﴿بَطْشَتَنَا﴾: عقوبتنا، وأخذنا إياهم بالعذاب الأليم. هذا؛ والبطش: الأخذ بقوة، وعنف، وبطشت اليد: إذا عملت، فهي باطشة. قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته رقم [١٠٧]. [الوافر]

لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا ونَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا

قال تعالى في سورة (الدخان) رقم [١٦]: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾. ﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: شكوا فيما أنذرهم، وخوفهم به لوط، ولم يصدقوه، وهو تفاعل من المرية. هذا؛ والفعل: «شكر» يتعدى بنفسه، وبحرف الجر، تقول: شكرته، وشكرت له، كما تقول: نصحته، ونصحت له.

الإعراب: ﴿نِّعْمَةً﴾: مفعول لأجله، أو هو مفعول مطلق، عامله ﴿نَّجَّيْنَٰهُم﴾ لأن الإنجاء من العذاب من أجلِّ النعم، ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿نِّعْمَةً﴾، أو بمحذوف صفة له. (ونا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق عامله ما بعده، التقدير: نجزي من شكر جزاءً مثل ذلك الجزاء الذي جزينا به آل لوط، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿نَجْزِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر وجوباً تقديره: «نحن». ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿شَكَرَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾ وهو العائد، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿نَجْزِى...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [١٣] من سورة (النجم). ﴿أَنذَرَهُم﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به أول، والفاعل ضمير. ﴿بَطْشَتَنَا﴾: مفعول به ثان. (ونا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم...﴾ إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿فَتَمَارَوْا۟﴾: الفاء: حرف عطف. (تماروا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ أي: أرادوا من لوط ـ عليه السلام ـ أن يمكنهم ممن كان أتاه من الملائكة في هيئة الأضياف طلباً للفاحشة؛ التي عرفوا بها، وانظر شرح (ضيف) في الآية رقم [٢٤] من سورة (الذاريات). ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾: يروى: أن جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا. وقيل: صارت أعينهم كسائر الوجه، لا يرى لها شق، كما تطمس الريح الأعلام بما تسفي عليها من التراب، وذلك: أنهم لما قصدوا دار لوط؛ عالجوا الباب؛ ليدخلوا عليهم، فقالت الرسل للوط: خلِّ بينهم وبين الدخول، فإنا رسل ربك، لن يصلوا إليك، فدخلوا الدار، فصفقهم جبريل بجناحه، فتركهم عمياً بإذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب،

وأخرجهم لوط عليه السلام عمياً لا يبصرون. وقيل: طمس الله على أبصارهم، فلم يروا الرسل، فقالوا: لقد رأيناهم حين دخلوا، فأين ذهبوا؟ فرجعوا ولم يروهم. وهذا قول ضعيف. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: فقلنا لهم: ذوقوا... إلخ والمراد من هذا الأمر الخبر؛ أي: فأذقتهم عذابي، الذي أنذرهم به لوط. وانظر ذوقوا في الآية رقم [١٤] من سورة (الذاريات).

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [١٣] من سورة (النجم). ﴿رَاوَدُوهُ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿عَن ضَيْفِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَطَمَسْنَا﴾: الفاء: حرف عطف. (طمسنا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَعْيُنَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَذُوقُوا﴾: (الفاء): حرف عطف. (ذوقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَذَابِي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله. ﴿وَنُذُرِ﴾: الواو: حرف عطف. (نذر): معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة... إلخ. وجملة: (ذوقوا...) إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: فقلنا لهم: ذوقوا... إلخ، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم﴾ أي: نزل بقوم لوط العذاب في الصباح الباكر، ومعنى (مستقر): دائم عام، استقر فيهم حتى يفضي بهم إلى عذاب الآخرة، وذلك العذاب كان قلب قريتهم عليهم، وجعل أعلاها أسفلها، يضاف إلى ذلك الحجارة التي أرسلها الله على مسافريهم، والذين لم يكونوا في القرية التي جعل عاليها سافلها، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٢] من سورة (هود)، والآية رقم [٧٤] من سورة (الحجر). ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا...﴾ إلخ انظر شرح هاتين الآيتين برقم [١٦] و [١٧] وانظر فائدة التكرير في الآية رقم [٢١] و [٢٢].

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [١٣] من سورة (النجم). ﴿صَبَّحَهُم﴾: فعلٌ ماض، والهاء مفعول به. ﴿بُكْرَةً﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾: صفة ﴿عَذَابٌ﴾. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٣٧]. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ...﴾ إلخ: انظر إعراب هذه الآية في الآية رقم [١٧]، والله الموفق والمعين، وبه أستعين.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: فرعون وقومه. ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ أي: موسى وهارون، وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين. وقيل: النذر الآيات التي أنذرهم بها موسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا﴾: معجزاتنا الدالة على وحدانيتنا، ونبوة أنبيائنا، وهي: العصا، واليد، والسنون، والطمسة، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. انظر (الأعراف) رقم [١٣٠] وما بعدها. ﴿فَأَخَذْنَـٰهُمْ﴾ أي: انتقمنا منهم بالعذاب. ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾: قوي غالب في أخذه، وانتقامه. ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾: قادر على ما أراد، لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر الآية رقم [١٣] من سورة (النجم). ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض. ﴿ءَالَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿ٱلنُّذُرُ﴾: فاعل ﴿جَآءَ﴾، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم، وجوابه كلام مستأنف، لا محل له.

﴿كَذَّبُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، (ونا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿كُلِّهَا﴾: توكيد معنوي، و(ها): في محل جر بالإضافة. وجملة: ﴿كَذَّبُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَخَذْنَـٰهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (أخذناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَخْذَ﴾: مفعول مطلق. وهو مضاف، و﴿عَزِيزٍ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾: بدل من ﴿عَزِيزٍ﴾. وقيل: صفة ﴿عَزِيزٍ﴾. والأول أقوى، وأولى.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾: هذا خطاب لكفار قريش. ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ﴾: الإشارة إلى الأمم السابقة الذين أهلكهم الله بذنوبهم، والمعنى: لستم أقوى، وأشد من الذين أحللت بهم نقمتي، مثل: قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وآل فرعون. ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾: أم نزلت إليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة: أن من كفر منكم، وكذب الرسل كان آمناً من عذاب الله، فآمنتم بتلك البراءة. هذا؛ و﴿ٱلزُّبُرِ﴾: الكتب جمع: زبور. ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾: المعنى: هل يقول أهل مكة: نحن جماعة أمرنا واحد، وكلمتنا واحدة، فلا نغلب، ولا نقهر، ولا نضام، ولم يقل: «منتصرون» لموافقة رؤوس الآي. وقيل: معناه: نحن كل واحد منا منتصر، كما يقال: كلهم عالم؛ أي: كل واحد منهم عالم.

هذا؛ و﴿خَيْرٌ﴾ أفعل تفضيل، أصله: أخير، نقلت حركة الياء إلى الخاء؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ثم حذفت الهمزة استغناءً عنها بحركة الخاء. ومثله قل في: «حِبّ» و«شر» اسْمَيْ تفضْيل؛ إذ أصلهما: أحْبَبُ، وأشْرَرُ، فنقلت حركة الباء الأولى، والراء الأولى إلى ما قبلها، ثم أدغم الحرفان المتماثلان في بعضهما، ثم حذفت الهمزة من أولهما استغناءً عنها بحركة الحاء والشين، وقد يستعمل خير وشر على الأصل، كقراءة بعضهم قوله تعالى: (سيعلمونَ غداً من الكذاب الأشرُّ) بفتح الشين رقم [٢٦] ونحو قول رؤبة بن العجاج: [الرجز]

يَـا قَـاسِـمَ الْـخَـيْـراتِ وابْـنَ الأَخْـيَـرِ مَـا سَـاسَـنَـا مِـثْـلُـكَ مِـنْ مُـؤَمَّـرِ

وخيرٌ، وشرٌّ، وحبٌّ يستعملْن بصيغة واحدة للمذكر، والمؤنث، والمفرد، والمثنى، والجمع؛ لأنهن بمعنى أفعل كما رأيت.

الإعراب: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾: (الهمزة): حرف استفهام إنكاري توبيخي. (كفاركم): مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿بَرَآءَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿بَرَآءَةٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف، يقوم مقام: «بل، والهمزة». ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿جَمِيعٌ﴾: خبره. ﴿مُّنتَصِرٌ﴾: صفة: ﴿جَمِيعٌ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ أي: جمع كفار مكة. ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي: الأدبار، فوحد لأجل رؤوس الآي. وقيل: في الإفراد إشارة إلى أنهم في التولية كنفس واحدة، فلا يتخلف أحد عن الهزيمة، ولا يثبت أحد للزحف، فهم في ذلك كرجل واحد. وقال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول: لما نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ كنت لا أدري أي جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثِبُ في درعه، ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فعلمت تأويلها. وروى سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ مثله. وقد روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قال: كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين، وهذا يعد من الأمور المغيبة؛ التي أخبر عنها القرآن قبل

وقوعها، وما أكثر ذلك! مثل الآيات في أول سورة (الروم). قال الزمخشري: وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة، وأن القرآن من عند الله؛ لأنها إنباء عن علم الغيب؛ الذي لا يعلمه إلا الله. هذا؛ ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (صَ) رقم [١١]: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ فكلتا الآيتين من المغيبات التي أخبر الله بها قبل وقوعها، وفيهما بشارة للنبي ﷺ ولأصحابه ـ ولا سيما المستضعفون منهم ـ بعزهم، ونصرهم، وقوة شوكتهم، وذل الكافرين، ودحرهم، وقد حقق الله وعده، ونصر المسلمين على الكافرين في غزوة بدر الكبرى، فيا لها من بشارة! ويا لها من تسلية للنبي ﷺ وأصحابه!.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾: موعد عذابهم الحقيقي، وما يحيق بهم في الدنيا مِنْ مقدماته، وطلائعه. ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ أي: أعظم داهية وأشد مرارة من القتل، والأسر يوم بدر. هذا؛ و﴿أَدۡهَىٰ﴾ من الداهية، وهي الأمر العظيم، يقال: دهاه أمر كذا؛ أي: أصابه دهواً، ودهياً، وقال ابن السكيت: دهته داهية دهواء، ودهياء.

الإعراب: ﴿سَيُهۡزَمُ﴾: (السين): حرف استقبال. (يهزم): مضارع مبني للمجهول. ﴿ٱلۡجَمۡعُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَيُوَلُّونَ﴾: الواو: حرف عطف. (يولون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿ٱلدُّبُرَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿بَلِ﴾: حرف عطف، وإضراب، ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: مبتدأ. ﴿مَوۡعِدُهُمۡ﴾: خبر المبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾: (الواو): حرف عطف. (الساعة): مبتدأ. ﴿أَدۡهَىٰ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَأَمَرُّ﴾: الواو: حرف عطف. (أَمَرُّ): معطوف على ما قبله.

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يعني: الكافرين. ﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾: في بُعْدٍ عن الحق. ﴿وَسُعُرٖ﴾ أي: نار تسعر عليهم؛ أي: يحترقون بها، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٤]. ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ أي: يوم يجرون على النار على وجوههم، تقول لهم الملائكة: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: عذاب سقر، ومسُّها: ما يجدون من الألم عند الوقوع فيها، والخطاب يكون في سقر لمن كان يكذب بآيات الله في الدنيا، ولا ينقاد لأوامر رسول الله. هذا؛ و﴿سَقَرَ﴾ إحدى دركات النار، وهي سبع، وهي منازل أهلها، والجنة درجات، فالدرك إلى أسفل، والدرج إلى أعلى، فالعليا

من طبقات، أو دركات النار لعصاة المسلمين، وهي: جهنم، تكون بعد خروجهم منها خراباً، لا نار فيها، والثانية: لظى للنصارى، والثالثة: الحطمة لليهود، والرابعة: السعير للصابئين، والخامسة: سقر للمجوس، والسادسة: الجحيم لأهل الشرك، والسابعة: الهاوية، (وهي الدرك الأسفل) للمنافقين، قال تعالى في سورة (النساء) رقم [١٤٥]: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وإنما كان عقابهم كذلك؛ لأنهم أخبث من الكفرة؛ لأنهم ضموا إلى الكفر استهزاءً بالإسلام، وخداعاً للمؤمنين. هذا؛ وبالمقابل انظر درجات الجنان في الآية رقم [٧٣] من سورة (الزمر). هذا؛ وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ هذا؛ وانظر (ذوقوا) في الآية رقم [١٤] من سورة (الذاريات).

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ أي: مقدور مكتوب في اللوح المحفوظ. وقيل: معناه قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كل شيء بقدر؛ حتى وضعك يدك على خدك.

هذا؛ والذي عليه أهل السنة: أن الله عز وجل قدر الأشياء؛ أي: علم مقاديرها، وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي، والسفلي، إلا وهو صادر عن علمه تعالى، وقدرته، وإرادته دون خلقه، وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب، ومحاولة، ونسبة، وإضافة، وأن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى، وبقدرته، وتوفيقه، وإلهامه، سبحانه لا إله إلا هو، ولا خالق غيره، كما نص عليه القرآن، والسنة، لا كما قالت القدرية، وغيرهم من أن الأعمال إلينا، والآجال بيد غيرنا، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ فقالوا: يا محمد! يكتب علينا الذنب، ويعذبنا، فقال: أنتم خصماء الله يوم القيامة. انتهى. قرطبي بتصرف. وخذ ما يلي:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كَتَبَ الله مقاديرَ الخلائقِ كلها قبلَ أنْ يَخْلُقَ السَّمواتِ والأرضِ بخمسين ألفَ سَنَةٍ. قال: وعرشُهُ على الماء**». أخرجه مسلم. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ «**كلُّ شيءٍ بقدرٍ حتى الْعَجْزِ، والكيْسِ**». أخرجه مسلم. وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حتى يؤمِنَ بأرْبَعٍ: يشهدُ أن لا إله إلا الله، وأني رسولُ الله بعثني بالحق. ويؤمن بالموتِ، وبالبعثِ بعْدَ الموتِ، ويُؤْمِن بالْقَدَرِ**». أخرجه الترمذي. وله عن جابر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يؤمِنُ عَبْدٌ حتى يؤمِنَ بالقدرِ خيْرِهِ، وشَرِّهِ، وحتى يعلمَ: أنَّ ما أصابَهُ لم يكنْ ليخطِئَهُ، وَمَا أخطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**». وقال: حديث غريب. وفي حديث جبريل المتفق عليه: «**وتُؤْمِن بالقَدرِ خَيْرِهِ، وشَرِّه. قال: صَدقْتَ**». ففيه ذم

القدرية، وما قاله الرسول ﷺ لعمر ـ رضي الله عنه ـ في ابن صياد: «**إن يكنه؛ فلنْ تسلَّط عليه، وإن لا يكنهُ؛ فلا خير لكَ في قتلِهِ**» يثبت: أن ما قدره الله نافذ لا مرد له، ولا محيص عنه.

وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل أمةٍ مجوسٌ، ومجوسُ هذِهِ الأمة الذين يَقُولُونَ: لا قدَر. مَنْ ماتَ مِنهُمْ؛ فَلا تَشهَدُوا جَنَازَتَهُ، ومن مرض منهم؛ فلا تعودوهُ، وهم من شيعةِ الدَّجَّالِ، وحقٌّ على الله أن يلحقَهُمْ بالدَّجَّالِ**». أخرجه أبو داود. وله عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مثله، وزاد: «**فَلَا تُجَالِسُوهُمْ، ولا تفاتحوهمْ في الْكَلَامِ**».

وروى ابن الجوزي في تفسيره عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ: قال: «**إذا جمع الله الخلائقَ يومَ القيامةِ؛ أمَر منادياً، فينادِي نداءً يسمعه الأولون، والآخرون: أينَ خصماءُ الله؟ فتقومُ القدريّة، فيأمُرُ بِهِمْ إلى النارِ: يقول الله: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ...﴾ إلخ**» قال ابن الجوزي: وإنما قيل: خصماء الله؛ لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد، ثم يعذبه عليها. وروي عن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ، قال: والله لو أن قدريّاً صام؛ حتى يصير كالحبل، وصلى حتى يصير كالوتر، ثم أُخِذَ ظلماً؛ حتى يذبح بين الركن، والمقام؛ لكبَّه الله على وجهه في سقر، ثم قيل له: ذق مس سقر، إنا كل شيء خلقناه بقدر.

قال الشيخ محيي الدين النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: اعلم: أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: أن الله تعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه، وتعالى: أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه، وتعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى. وأنكرت القدرية هذا، وزعمت: أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها، ولم يتقدم علمه بها، وأنها مستأنفة العلم؛ أي: إنما يعلمها الله عز وجل بعد وقوعها، وكذبوا على الله سبحانه، وتعالى عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً. وسميت هذه الفرقة قدرية، لإنكارها القدر. انتهى. خازن.

وفي صحيح مسلم: أن ابن عمر تبرأ منهم، ولا يتبرأ إلا من كافر، ثم أكد هذا بقوله: والذي يحلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً، فأنفقه؛ ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. وهذا مثل قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ رقم [٥٤] من سورة (التوبة)، وهذا واضح. وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال النبي ﷺ: «**الإيمان بالقدرِ يُذْهِبُ الهمَّ والْحَزَنَ**». انتهى. قرطبي. وأخيراً أقول: ما أكثر الذين يقولون في هذه الأيام: إذا كان قدر الله علينا المعاصي، والذنوب؛ فكيف يعذبنا؟! فهؤلاء خصماء الله في هذه الأيام، انظر ما ذكرته آنفاً، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿فِى ضَلَـٰلٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، أو مبتدأة، لا محل لها على

الاعتبارين. ﴿وَسُعُرٍ﴾: الواو: حرف عطف. (سعر): معطوف على ما قبله، ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بفعل محذوف، انظر تقديره فيما يأتي. ﴿يُسْحَبُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ذُوقُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق.

﴿مَسَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿سَقَرَ﴾ مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. وقيل: للعلمية والتأنيث. والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: ويقال لهم يوم يسحبون...: ذوقوا مس سقر؛ أي: عذاب سقر.

﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به لفعل محذوف، يفسره المذكور بعده، والجملة الفعلية المقدرة في محل رفع خبر (إنَّ)، و﴿كُلَّ﴾: مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مفسرة، لا محل لها عند الجمهور، وقال الشلوبين بحسب ما تفسره، وأرجحه هنا، وعليه: فهي في محل رفع مثل التي تفسرها. ﴿بِقَدَرٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الهاء، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مستأنفة، أو مبتدأة.

تنبيه: قراءة ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ بالنصب هي قراءة الجمهور، وقرأ أبو السَّمَّال بالرفع، وهي قراءة شاذة، وقد رجح الناس النصب، بل أوجبه بعضهم. قال: لأن الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد أهل السنة، وذلك: أنه إذا رفع: «كلُّ شيءٍ» كان مبتدأ، و﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ صفة لـ: «كلٌّ» أو لـ: «شيءٍ»، و: «بقدر» خبره، وحينئذ يكون له مفهوم لا يخفى على متأوله، فيلزم أن يكون هناك شيء ليس مخلوقاً لله تعالى، وليس بقدر. كذا قرره بعضهم. وقال أبو البقاء: وإنما كان النصب أولى لدلالته على عموم الخلق، والرفع لا يدل على عمومه، بل يفيد: أن كل شيء مخلوق، فهو بقدر وإنما دل نصب ﴿كُلَّ﴾ على العموم؛ لأن التقدير: إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر، فخلقناه تأكيد، وتفسير لـ: «خلقنا» المضمر الناصب لـ: ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾، فهذا لفظ عام يعم جميع المخلوقات، ولا يجوز أن يكون ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ صفة لـ: ﴿شَىْءٍ﴾؛ لأن الصفة والصلة، لا يعملان فيما قبل الموصول ولا الموصوف، ولا تكون تفسيراً لما يعمل فيما قبلهما، فإذا لم يبق: ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ صفة، لم يبق إلا أنه تأكيد، وتفسير للمضمر الناصب، وذلك يدل على العموم.

وأيضاً فإن النصب هو الاختيار؛ لأن ﴿إِنَّا﴾ عندهم تطلب الفعل، فهي أولى به، فالنصب عندهم في: ﴿كُلَّ﴾ هو الاختيار، فإذا انضم إليه معنى العموم، والخروج عن الإيهام؛ كان

النصب أولى من الرفع. وقال قوم: إذا كان الفعل يتوهم فيه الوصف، وأن ما بعده يصلح للخبر، وكان المعنى على أن يكون الفعل هو الخبر؛ اختير النصب في الاسم الأول؛ حتى يتضح: أن الفعل ليس بوصف، ومنه هذا الموضع؛ لأن قراءة الرفع تخيل: أن الفعل وصف، وأن الخبر: ﴿بِقَدَرٍ﴾ و﴿بِقَدَرٍ﴾ على قراءة النصب متعلق بالفعل الناصب، وفي قراءة الرفع في محل رفع؛ لأنه خبر لـ: (كلٌّ)، و(كل) وخبرها في محل رفع خبر لـ: (إنَّ) وسيأتي قريباً عكس هذا من اختيار الرفع في قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ فإنه لم يختلف في رفعه، قالوا: لأن نصبه يؤدي إلى فساد المعنى؛ لأن الواقع خلافه. وذلك: أنك لو نصبته؛ لكان التقدير: فعلوا كل شيء في الزبر، وهو خلاف الواقع؛ إذ في الزبر أشياء كثيرة جداً، لم يفعلوها، وأما قراءة الرفع فتؤدي إلى أن كل شيء فعلوه هو ثابت في الزبر، وهو المقصود، ولذلك اتفق على رفعه، وهذان الموضعان من نكت المسائل العربية؛ التي اتفق مجيئها في سورة واحدة في مكانين متقاربين. انتهى. جمل نقلاً من السمين.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ أي: وما أمرنا إلا مرَّة واحدة. وقيل: معناه: وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا بكلمة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيه، فعلى هذا: إذا أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ شيئاً؛ قال له: كن، فيكون، فهنا بان فرق بين الإرادة، والقول، فالإرادة قدر، والقول قضاء، وقوله: ﴿وَاحِدَةٌ﴾ فيه بيان: أنه لا حاجة إلى تكرير القول، بل هو إشارة إلى نفاذ الأمر. انتهى. خازن. ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد: أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر؛ أي: لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن قول الشاعر: [الطويل]

إِذَا مَا أرادَ اللهُ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ ـ قَوْلَةً ـ فَيَكُونُ

وفي سورة (النحل) رقم [٧٧]: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ والمعنى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ أي: وما أمر قيام القيامة في سرعته، وسهولته إلا كلمح البصر؛ أي: كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها، واللمح: النظر بالعجلة.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني: أمثالكم، وأشباهكم، وأسلافكم من الأمم السابقة المكذبة بالرسل، فهو كقوله تعالى في سورة (سبأ) رقم [٥٤]: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك الأقوام، فيعرف: أن ذلك حق، فيخاف، ويعتبر. وانظر إعلال (مدَّكر) فيما تقدم. هذا؛ و(أشياع) جمع: شيعة، وكل قوم اجتمعوا على أمر، فهم شيعة، وأشياع، وأصله من التشييع، وهو التحزب، ومعنى الشيعة: الجماعة الذين يتبع

بعضهم بعضاً. وقيل: الشيعة هم الذين يتقوى بهم الإنسان. وفي «القاموس المحيط»: وشيعة الرجل (بالكسر): أتباعه، وأنصاره، والفرقة على حدة، وتقع على الواحد، والاثنين، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليَّ بن أبي طالب وأهل بيته، ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، حتى صار اسماً لهم خاصة، قال الكميت: [الطويل]

وَمَا لِيَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيْعَةٌ وَمَا لِيَ إِلَّا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: (الواو): واو الحال. (ما): نافية. ﴿أَمْرُنَآ﴾: مبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿وَٰحِدَةٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير. ﴿كَلَمْحٍۭ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من متعلق الأمر، وهو الشيء المأمور بالوجود؛ أي: حال كونه يوجد سريعاً بالمرة من الأمر، ولا يتراخى عنها. ﴿بِٱلْبَصَرِ﴾: متعلقان بـ: (لمح)؛ لأنه مصدر. ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر إعرابه في الآية رقم [١٣] من سورة (النجم). ﴿أَهْلَكْنَآ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: انظر الآية رقم [١٥] فالإعراب مثله هناك.

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أي: جميع ما فعلته الأمم قبلهم من خير، أو شر كان مكتوباً عليهم. وهذا بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ والمراد بـ: (الزبر) اللوح المحفوظ. وقيل: المراد: ما عملوه مسجل في كتب الحفظة؛ الذين يحفظون أعمالهم. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾: من الأعمال التي يعملها العبد. ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: مسجل على عامله قبل أن يفعله، فيجازى به، ومسجل عليه إذا فعله؛ ليحاسب عليه، قال تعالى في سورة (ق): ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: الذين آمنوا وعملوا الصالحات على اختلاف درجاتها وتفاوت مراتبها. ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾: في حدائق، وبساتين، ﴿وَنَهَرٍ﴾ أي: أنهار. وإنما وحده لموافقة رؤوس الآي، وأراد: أنهار الجنة من الماء، والخمر، واللبن، والعسل المذكورة في سورة (محمد ﷺ) رقم [١٥]. وقيل: معناه: في ضياء وسعة، ومنه: النهار. ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: مجلس حق، وكرامة، لا لغو فيه، ولا تأثيم، وهو الجنة، بخلاف مجالس الدنيا؛ التي فيها الهذر، والنذر، والخوض في الباطل. ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾: مبالغة مَلِك؛ أي: عند عزيز الملك واسعه ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾، قادر لا يعجزه شيء وهو الله تعالى، و﴿عِندَ﴾ هاهنا عندية القربة، والزلفة،

والمكانة، والرتبة، والكرامة، والمنزلة، قال جعفر الصادق: مدح الله المكان الصدق، فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَكُلُّ﴾: (الواو): حرف استئناف. (كُلُّ): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿فَعَلُوهُ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿شَيْءٍ﴾، أو في محل رفع صفة (كلُّ). ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَكُلُّ﴾: الواو: حرف عطف. (كل): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿صَغِيرٍ﴾ مضاف إليه، ﴿وَكَبِيرٍ﴾: الواو: حرف عطف. (كبير): معطوف على: (صغير). ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿وَنَهَرٍ﴾: الواو: حرف عطف. (نهر): معطوف على ما قبله. ﴿فِى مَقْعَدِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو هما بدل من قوله: ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ و﴿مَقْعَدِ﴾ مضاف، و﴿صِدْقٍ﴾ مضاف إليه، من إضافة الموصوف إلى صفته. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ثالث لـ: ﴿إِنَّ﴾، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿مَلِيكٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾: بدل من ﴿مَلِيكٍ﴾ ويقال: صفة له، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مستأنفة، أو مبتدأة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم، والحمد لله رب العالمين.

انتهت سورة (القمر) شرحاً وإعراباً بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.

 

سُورَةُ الرَّحمٰنِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة (الرحمن) علا، وعزَّ، وجل، وهي مكية في قول الحسن، وعروة بن الزبير، وعكرمة، وعطاء، وجابر ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إلا آية منها هي قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ رقم [٢٩]. وقال ابن مسعود، ومقاتل: هي مدنية كلها. والقول الأول أصح لما روى عروة بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قال: أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي ﷺ ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

وذلك: أن الصحابة قالوا: ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قطُّ، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال ابن مسعود: أنا، فقالوا: إنا نخشى عليك، وإنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه، فأبى، ثم قام عند المقام، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ ثم تمادى رافعاً بها صوته، وقريش في أنديتها، فتأملوا، وقالوا: ما يقول ابن أم عبد؟ قالوا: هو يقول الذي يزعم محمد: أنه أنزل عليه، ثم ضربوه؛ حتى أثروا في وجهه. انتهى. قرطبي. أقول: وهذا ينفي نفياً قاطعاً ما نسب إلى ابن مسعود آنفاً.

وصح: أنه ﷺ قام يصلي الصبح بنخلة، فقرأ سورة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ ومر النفر من الجن فآمنوا به، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٩] من سورة (الأحقاف). وفي الترمذي عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة (الرحمن) من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «**لقد قرأتُهَا على الجِنِّ ليلةَ الجنِّ، فكانُوا أحسنَ رداً منكمْ، كنتُ كلَّمَا أتيتُ على قوله تعالى:** ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ **قالوا: لا بشيءٍ من نعمِكَ ربَّنا نكذبُ، فلكَ الحمدُ**». قال: هذا حديث غريب، وفي هذا دليل على أنها مكية. والله أعلم.

وروي: أن قيس بن عاصم المنقري ـ رضي الله عنه ـ قال للنبي ﷺ: اتل عليَّ مما أنزل عليك، فقرأ عليه سورة (الرحمن) فقال: أعدها، فأعادها ثلاثاً، فقال: والله إن له لطلاوة، وإن عليه لحلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. وروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لِكُلِّ شيءٍ عَروسٌ، وعروسُ القرآن سورةُ الرحمنِ**». انتهى. قرطبي. هذا؛ وطلاوة بتثليث الطاء.

﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)﴾

الشرح: ﴿الرَّحْمَنُ﴾: قال سعيد بن جبير، وعامر الشعبي: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ فاتحة ثلاث سور؛ إذا جُمعن كنَّ اسماً من أسماء الله تعالى (الر) و(حم) و(ن) فيكون مجموع هذه (الرحمن). هذا؛ وقد يوصف بالرحيم المخلوقون، وأما الرحمن فلا يوصف به إلا الله تعالى، ومن وصف به مسيلمة الكذاب؛ فقد تعنَّتَ، حيث قال فيه: [البسيط]

وأنْت غَيْثُ الوَرى لا زِلْتَ رَحْمَانا

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أي: علمه نبيه ﷺ حتى أدّاه إلى جميع الناس، وأنزلت حين قالوا: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ وقيل: نزلت جواباً لأهل مكة حين قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ وهو رحمنُ اليمامة: يعنون: مسيلمة الكذاب، وهذه هفوة من القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ انظر شرح الآية رقم [١٠٣] من سورة (النحل) تجد: أنه لا ذكر لمسيلمة الكذاب هناك. وقال الزجاج: معنى ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ سهله؛ لأن يُذكر، ويقرأ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾. ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾: يعني آدم عليه الصلاة والسلام. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وقيل: المراد: جنس الإنسان؛ أي: جميع الناس. ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾: أسماء كل شيء. وقيل: علمه اللغات كلها، فكان آدم يتكلم بسبعمئة لغة أفضلها العربية. وقيل: أراد بالإنسان محمداً ﷺ، و﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ يعني: بيان ما كان، وما يكون؛ لأنه ﷺ ينبئ عن خبر الأولين؛ والآخرين، وعن يوم الدين. وقيل: علمه بيان الأحكام من الحلال، والحرام، والحدود، والأحكام، وبيان النافع، والضار.

هذا؛ والبيان في اللغة: المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير. وفي الاصطلاح: أحد فنون البلاغة الثلاثة، وهو يبحث في التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية. وقد مر معنا كثير من ذلك في هذا الكتاب.

تنبيه: عدد الله عز وجل في أول هذه السورة آلاءه، ونعمه، فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدماً من ضروب آلائه، وصنوف نعمائه، وهي نعمة الدين، فقدم من نعمة الدين ما هو سنام في أعلى مراتبها، وأقصى مراقيها، وهو إنعامه بالقرآن، وتنزيله، وتعليمه؛ لأنه أعظم وحي الله رتبة، وأعلاه منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثراً، وهو سنام الكتب السماوية، ومصداقها، والعيار عليها، وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه؛ ليعلم: أنه إنما خلقه للدين، وليحيط علماً بوحيه، وكتبه، وقدم ما خلق الإنسان من أجله عليه، ثم ذكر ما يميزه عن سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير. انتهى. نسفي والكشاف.

الإعراب: ﴿الرَّحْمَنُ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدهما: أنه خبر مبتدأ مضمر، التقدير: الله الرحمن. الثاني: أنه مبتدأ، وخبره محذوف؛ أي: الرحمن ربنا، وهذان الوجهان عند من يرى:

أن الرحمن آية مع هذا المضمر، فإنهم عدوا ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ آية، ولا يتصور ذلك إلا بانضمام خبر، أو مخبر عنه إليه؛ إذ الآية لا بد أن تكون مفيدة. الثالث: أنه ليس بآية، وأنه مع ما بعده كلام واحد، وهو مبتدأ خبره: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾. انتهى. جمل نقلاً من السمين.

﴿عَلَّمَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الرحمن) وهو متعد لاثنين، الأول محذوف تقديره: علم جبريل، أو علم محمداً، أو علم الإنسان. وهذا أولى لعمومه، والمفعول الثاني هو القرآن. وقيل: ﴿عَلَّمَ﴾ من العلامة، فلا ينصب مفعولين، والجملة الفعلية مستأنفة على الوجهين في ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، وفي محل رفع خبره على الوجه الثالث فيه، والجملتان: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ مستأنفتان أيضاً، أو هما من تعدد الخبر، وهو جملة. قال النسفي تبعاً للزمخشري: وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد، كما تقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذل، كثرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد، فما تنكر من إحسانه؟. انتهى. وهو مفاد كلام ابن هشام في المغني.

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨﴾

الشرح: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يجريان بحسبان ومنازل لا يتعديانها. وقيل: يعني بهما حساب الأوقات، والآجال، ولولا الليل والنهار، والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب ما يريد، قال تعالى في سورة (إبراهيم) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ انظر شرحها هناك، فإنه جيد، والحمد لله، وانظر شرح الآية رقم [٣٨] من سورة (يٰس) وما بعدها؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. هذا؛ ويجوز في (حسبان) وجهان: أحدهما: أنه مصدر مفرد بمعنى الحساب، فيكون كالغفران والكفران. والثاني: أنه جمع حساب، كشهاب، وشهبان، ورغيف، ورغفان. انتهى. سمين.

﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾: قال ابن عباس، وغيره: النجم: ما لا ساق له، والشجر: ما له ساق، وأنشد ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قول صفوان بن أسد التميمي: [الطويل]

لَقَدْ أَنْجَمَ القاعُ الكبيرُ عِضَاهَهُ ... وتَمَّ بِهِ حَيَّا تَمِيمٍ وَوَائِلِ

وقال زهير بن أبي سُلمى المزني: [البسيط]

مُكَلَّلٌ بأُصُولِ النجمِ تنسُجُهُ ... ريحُ الجَنُوبِ لِضَاحي مَائِهِ حُبُكُ

واشتقاق النجم من: نجم الشيء، ينجم بالضم نجوماً: ظهر وطلع، وسجودهما بسجود ظلالهما. وقال الزجاج: سجودهما دوران الظل معهما، كما قال تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ

﴿ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾. وقيل: النجم: هو الكوكب، وسجوده: طلوعه. والقول الأول أظهر؛ لأنه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس، والقمر، ولأنهما أرضيان في مقابلة سمائيين.

ومعنى ﴿يَسْجُدَانِ﴾ ينقادان لله تعالى فيما خلقا له تشبيهاً بالساجد من المكلفين في انقياده، واتصلت هاتان الجملتان بـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بالوصل المعنوي، لما علم: أن الحسبان حسبانه، والسجود له، لا لغيره، كأنه قيل: الشمس والقمر بحسبانه، والنجم والشجر يسجدان له، ولم يذكر العاطف في الجمل الأول، ثم جيء به بعد؛ لأن الأول وردت على سبيل التعديد تبكيتاً لمن أنكر آلاءه، كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال المذكور، ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب، والتقارب بالعطف، وبيان التناسب: أن الشمس، والقمر سماويان، والنجم، والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل، وأن السماء، والأرض لا تزالان تذكران قرينتين، وأن جري الشمس، والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله تعالى، فهو مناسب لسجود الشمس، والقمر.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾: خلقها مرفوعة محلاً، ومرتبةً، فإنها منشأ أقضيته، ومتنزل أحكامه، ومحل ملائكته، الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه، ونبه بذلك على كبرياء شأنه، وملكه، وسلطانه. ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ أي: كل ما توزن به الأشياء، وتعرف مقاديرها من ميزان، ومكيال ومقياس؛ أي: خلقه موضوعاً على الأرض، حيث علق به أحكام عباده من التسوية، والتعديل في أخذهم، وإعطائهم. ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ أي: لا تجاوزوا العدل، ولئلا تميلوا، وتظلموا، وتجوروا بأكل أموال الناس بالباطل. هذا؛ والطغيان في كل شيء مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى في سورة (الحاقة): ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلشَّمْسُ﴾: مبتدأ. ﴿وَٱلْقَمَرُ﴾: الواو: حرف عطف. (القمر): معطوف على ما قبله. ﴿بِحُسْبَانٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، التقدير: يجريان بحسبان، قال ابن هشام في المغني: فإن قدرت الكون قدرت مضافاً؛ أي: جريان الشمس والقمر كائن بحسبان، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾: الواو: حرف عطف. (النجم): مبتدأ. ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿يَسْجُدَانِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والألف فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾: مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور، وهو ما يسمى بالاشتغال، وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ. ﴿رَفَعَهَا﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، (وها): مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها مفسرة على نصب (السماء)، وفي محل رفع خبره على رفعه، وعلى الاعتبارين فالجملة معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً، وجملة ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها. ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟﴾: فالفعل منصوب بـ: «أن» على اعتبارها مصدرية، و(لا) نافية، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال

الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و(أن) والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: أي: لئلا تطغوا، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (وضع). هذا؛ وقيل: (أنْ) مفسرة، و(لا) ناهية جازمة، والفعل مجزوم بـ: (لا) منصوب. وردَّ بأن شرط المفسرة تقدم جملة عليها فيها معنى القول دون حروفه، ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ ليس فيها معنى القول. وقد يجاب عنه بتوهم: أنَّ وضع الميزان يستدعي كلاماً في الأمر بالعدل فيه، فجاءت (أنْ) مفسرة بهذا الاعتبار. انتهى. جمل نقلاً من كرخي. ﴿فِى ٱلْمِيزَانِ﴾: متعلقان بما قبلهما.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾، قال تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٣٥]: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾. ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ أي: لا تنقصوا الميزان، ولا تبخسوا الكيل، والوزن. وهذا كقوله تعالى في سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ رقم [٨٤]. أمر الله بالتسوية، وإقامة الحق والعدل، ونهى عن الطغيان؛ الذي هو اعتداء وزيادة، وعن الخسران، الذي هو تطفيف، ونقصان، وكرر لفظ الميزان تشديداً للوصية به، وتقويةً للأمر باستعماله، والحث عليه. هذا؛ وأصل ميزان: مِوْزان، فقلبت الواو ياءً لسكونها، وانكسار ما قبلها، ومثله: ميعاد، وميراث، ونحوهما. ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي: بسط الأرض، وأرساها بالجبال الشامخات؛ لتستقر بما على وجهها من الأنام، وهم الخلائق المختلفة أنواعهم، وأشكالهم وألوانهم في سائر أقطارها، وأرجائها، وتشمل الخلائق الإنس، والجن. وقيل: تشمل كل ما ظهر على ظهرها من دابة. ﴿فِيهَا﴾: في الأرض. ﴿فَٰكِهَةٌ﴾ أي: كل ما يتفكه به الإنسان من ألوان الثمار. ﴿وَٱلنَّخْلُ﴾: انظر الآية رقم [٢٠] من سورة (القمر). ﴿ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ أي: صاحبة الأكمام. و﴿ٱلْأَكْمَامِ﴾ جمع: كم بكسر الكاف. قال الجوهري: والكِمّة، والكِمامة بكسر الكاف فيهما: وعاء الطلع، وغطاء النَّوْر، والجمع: كِمام، وأكِمّة، وأكمام، والأكاميم أيضاً. هذا؛ وكل شيء ستر شيئاً فهو كِم. واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر؛ لأنه أعظمها وأكثرها بركة. ﴿وَٱلْحَبُّ﴾ أي: جميع الحبوب؛ التي يقتات بها، كالحنطة، والشعير، ونحوهما، وإنما أخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء إلى الأعلى؛ لأن الحب أنفع من النخل، وأعم وجوداً في الأماكن. ﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني: التبن، وعنه: أنه ورق الزرع الأخضر؛ إذا قطع رؤوسه، ويبس. وقيل: هو ورق كل شيء يخرج منه الحب. ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ يعني: الورق. وقيل: العصف: الورق أول ما ينبت الزرع بقلاً، والريحان: الورق؛ يعني: إذا أدجن، وانعقد فيه الحب، كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة: [الطويل]

وقولا لهُ: مَنْ يُنْبِتُ الحبَّ في الثَّرى؟ فَيُصْبِحُ مِنْهُ البقلُ يَهْتَزُّ رابيَا
ويُخرجُ منهُ حَبَّهُ في رؤوسِهِ ففي ذاكَ آياتٌ لِمَنْ كانَ واعِيَا

الإعراب: ﴿وَأَقِيمُواْ﴾: (الواو): حرف عطف. (أقيموا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والألف للتفريق. هذا هو المشهور، والأصل أن يقال في مثل هذا الفعل: فعل أمر مبني على سكون مقدر على آخره، منع من ظهوره إرادة التخلص من التقاء الساكنين، وحرك بالضمة لمناسبة واو الجماعة. وما أجدرك أن تلاحظ هذا في كل فعل أمر مسند إلى واو الجماعة، أو إلى ألف الاثنين، مثل أقيما، وقد حرك بالفتحة لمناسبة ألف الاثنين، أو إلى ياء المؤنثة المخاطبة، مثل اعبدي، وقد حرك بالكسرة لمناسبة ياء المخاطبة. ﴿ٱلْوَزْنَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، على اعتبار (لا) ناهية، وهي مستأنفة على اعتبار (لا) نافية، و(أن) ناصبة الفعل المضارع، ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تُخْسِرُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْمِيزَانَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به لفعل محذوف يفسره المذكور بعده، ولم يقرأ بالرفع مثل السماء في الآية رقم [٧]. ﴿وَضَعَهَا﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، (وها): مفعول به، والجملة الفعلية مفسرة للمحذوفة، لا محل لها. ﴿لِلْأَنَامِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهو المعتمد. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فَٰكِهَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وجوز اعتبارها حالاً من (الأرض) والرابط: الضمير، كما جوز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بمحذوف حال من (الأرض)، واعتبار (فاكهة) فاعلاً بالجار والمجرور؛ أي: بمتعلقهما. ﴿وَٱلنَّخْلُ﴾: (الواو): حرف عطف. (النخل): معطوف على فاكهة. ﴿ذَاتُ﴾: صفة (النخل) وهو مضاف، و﴿ٱلْأَكْمَامِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْحَبُّ﴾: معطوف على ﴿فَٰكِهَةٌ﴾ أيضاً. ﴿ذُو﴾: صفة (الحب) مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذُو﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَصْفِ﴾ مضاف إليه، ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: معطوف على ما قبله. هذا؛ وقرئ بنصب الثلاثة على تقدير: خلق الحب... إلخ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ خطاب للإنس والجن؛ لأن الأنام واقع عليهما، وهذا قول الجمهور. وقيل: لما قال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ دل ذلك على أن ما تقدم،

وما تأخر لهما. وأيضاً قال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ وهو خطاب للإنس، والجن، وقد قال في هذه السورة: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾. هذا؛ والآلاء: النعم، واحدها: إلىً، وأَلىً، وإِلْيٌ، وأَلْيٌ. أربع لغات حكاها النحاس. قال: وفي واحدِ ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ ثلاثٌ تسقط منها المفتوحة الألف، المُسَكَّنة اللام. وقال ابن زيد: إنها القدرة، وتقدير الكلام: فبأي قدرة. . . إلخ؟

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: لما ذكر الله سبحانه خلق العالم الكبير من السماء، والأرض، وما فيهما من الدلالات على وحدانيته، وقدرته؛ ذكر خلق العالم الصغير، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ والمراد به آدم باتفاق أهل العلم. ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ يعني: من طين يابس له صلصلة، وهو الصوت منه إذا نقر. ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾: يعني الطين المطبوخ بالنار، وهو الخزف. هذا؛ واختلفت العبارات في صفة خلق الإنسان، الذي هو آدم، فقال في كثير من الآيات: ﴿مِن تُرَابٍ﴾، وقال في سورة (الحجر): ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾، وقال في سورة (الصافات): ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾، وقال هنا: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ وعند التأمل يظهر لك: أنه لا يوجد بين هذه العبارات اختلاف، ولكن مرَّ خلق آدم بأدوار، وذلك أن الله خلقه أولاً من تراب، ثم جعله طيناً لازباً لما اختلط بالماء، ثم حمأً مسنوناً، وهو الطين الأسود المنتن، فلما يبس صار صلصالاً كالفخار. وكل دور من هذه الأدوار، بل وكل طور من هذه الأطوار يقدر بأربعين عاماً.

تنبيه: وأما صفة خلق آدم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ فإني أنقلها لك من الخازن بحروفه، وذلك من سورة (البقرة) فقد قال وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ: لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم؛ أوحى إلى الأرض: أني خالق منك خليقة، منهم من يطيعني، ومنهم من يعصيني، فبكت الأرض، فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة، فبعث الله إليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة منها، من أحمرها، وأسودها، وطيبها، وخبيثها، فلما أتاها ليقبض منها، قالت: أعوذ بعزة الله الذي أرسلك إليَّ ألّا تأخذ مني شيئاً يكون للنار فيه نصيب، فرجع إلى مكانه، وقال: يا رب استعاذت بك مني، فكرهت أن أقدم عليها، فقال الله لميكائيل ـ عليه السلام ـ: انطلق فائتني بقبضة منها، فلما أتاها ليأخذ منها، قالت له: مثل ما قالت لجبريل، فرجع إلى ربه، فقال: ما قالت له. فقال لعزرائيل ـ عليه السلام ـ: انطلق فائتني بقبضة من الأرض، فلما أتاها؛ ليقبض منها، قالت له مثل ما قالت لجبريل، وميكائيل، فقال: وأنا أعوذ بعزته أن أعصي له أمراً، فقبض منها قبضة من جميع بقاعها، من عذبها، ومالحها، وحلوها، ومرها، وأبيضها، وأسودها، وطيبها، وخبيثها، وصعد بها إلى السماء.

فسأله ربه عز وجل ـ وهو أعلم بما صنع ـ فأخبره بما قالت الأرض، وبما رد عليها. فقال الله ـ عز وجل ـ: وعزتي وجلالي لأخلقن مما جئت به خلقاً، ولأسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك، ثم جعل الله تلك القبضة، نصفها في الجنة، ونصفها في النار، ثم تركها ما شاء الله، ثم

أخرجها، فعجنها طيناً لازباً مدة، ثم حمأ مسنوناً مدة، ثم صلصالاً مدة، ثم جسداً هامداً، وألقاه على باب الجنة، فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته؛ لأنهم لم يكونوا رأوْا مثله، وكان إبليس يمر عليه، ويقول: لأمر ما خلق هذا، ونظر إليه فإذا هو أجوف، فقال: هذا خلق لا يتمالك، وقال يوماً للملائكة: إن فضل هذا عليكم فما تصنعون؟ فقالوا: نطيع ربنا، ولا نعصيه.

فقال إبليس في نفسه: لئن فضل علي؛ لأعصينه، ولئن فضلت عليه؛ لأهلكنه، فلما أراد الله أن ينفخ فيه الروح أمرها أن تدخل في جسد آدم، فنظرت، فرأت مدخلاً ضيقاً، فقالت: يا رب كيف أدخل هذا الجسد؟ قال الله عز وجل: ادخليه كرهاً، وستخرجين منه كرهاً، فدخلت في يافوخه، فوصلت إلى عينيه، فجعل ينظر إلى سائر جسده طيناً، فسارت إلى أن وصلت إلى منخريه، فعطس، فلما بلغت لسانه؛ قال: الحمد لله رب العالمين، وهي أول كلمة قالها، فناداه الله تعالى: رحمك الله يا أبا محمد! ولهذا خلقتك، ولما بلغت الروح الركبتين؛ هم ليقوم، قال الله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

فلما بلغت إلى الساقين، والقدمين؛ استوى قائماً بشراً سوياً، لحماً، ودماً، وعظاماً، وعروقاً، وعصباً، وأحشاءً، وكسي لباساً من ظفر، يزداد جسده جمالاً، وحسناً كل يوم، وجعل في جسده تسعة أبواب، سبعة في رأسه، وهما الأذنان يسمع بهما، والعينان يبصر بهما، والمنخران يشم بهما، والفم فيه اللسان يتكلم به، والأسنان يطحن بها ما يأكله، ويجد لذة المطعومات بها، وبابين في أسفله، وهما: القبل والدبر، يخرج منهما ثفل طعامه، وشرابه، وجعل عقله في دماغه، وفكره، وصرامته في قلبه، وشرهه في كليته، وغضبه في كبده، ورغبته في رئته، وضحكه في طحاله، وفرحه، وحزنه في وجهه، فسبحان من جعله يسمع بعظم، ويبصر بشحم، وينطق بلحم ويعرف بدم! وركب فيه الشهوة، وحجزه بالحياء.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَلَقَ الله آدمَ عليه السلامُ، وطولُهُ ستون ذِراعاً، ثم قال: اذهبْ فسلِّمْ على أولئكَ النفرِ مِنَ الملائكةِ، فاستمع ما يحيونك به، فإنها تحيتك، وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه رحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورةِ آدم، فلم يزل الخلقُ ينقص حتى الآن**». متفق عليه.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لمَّا صوَّر الله آدَمَ تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطوف به ينظر ما هو؟ فلما رآه أجوف عرف: أنه لا يتمالك**». رواه مسلم. وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تبارك وتعالى خلقَ آدَمَ مِنْ قبضةٍ قبضها مِنَ الأرضِ، فجاء بنو آدمَ على قدرِ الأرض. منهم الأحمرُ، والأبيضُ، والأسودُ، وبين ذلك، والسهل، والحزْنُ، والخبيثُ، والطيِّبُ**» أخرجه الترمذي وأبو داود. انتهى. خازن.

تنبيه: من المقطوع به أن آدم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ من الأنبياء، وهو رأي جمهور العلماء، لم يخالف فيه أحد، وإنما الخلاف فيه، هل هو رسول، أم لا؟ ولمن أرسل؟ فيرى بعض العلماء: أنه رسول، وأنه أرسل إلى ذريته. ويرى الآخرون: أنه لم يكن رسولاً، وإنما كان نبياً، ويستدل هؤلاء بحديث الشفاعة، الوارد في صحيح مسلم: أن الناس يذهبون إلى نوح على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، ويقولون له: أنت أول رسل الله إلى أهل الأرض، فلو كان آدم رسولاً؛ لما ساغ هذا القول، والقائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان. والله أعلم بحقيقة الأمر، والرأي الأرجح: أنه من الرسل.

هذا؛ وقد عاش آدم عليه السلام على ما ورد في بعض الآثار ألف عام، ثم مات بعد ذلك، ودفن على المشهور في الهند عند الجبل الذي أهبط فيه. وقيل: دفن بجبل أبي قبيس في مكة المكرمة، ولما حضرته الوفاة جاءته الملائكة بكفن، وحنوط من الجنة، وبعد أن غسلوه، وكفنوه، وحنطوه؛ حفروا له، وألحدوه، وصلوا عليه، ثم أدخلوه قبره، فوضعوه فيه، ثم حثوْا عليه التراب، وقالوا: يا بني آدم هذه سنتكم. رحم الله آدم، وأسكنه فسيح جنته، وجمعنا معه في دار الخلد. آمين. والحمد لله رب العالمين. انتهى. النبوة والأنبياء للصابوني.

هذا؛ وقد قال عبد الوهاب النجار ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (قصص الأنبياء). هل آدم هذا أول البشر ولم يكن أحد قبله من جنسه؟

والجواب: أن العقل لا يجعل من المحال أن يكون الله خلق آدم غير آدم هذا، ولكن الله لم يذكر سوى آدم الذي نعرفه أبا البشر، فالقول بوجود غيره مجازفة بلا برهان، وقد وجد من البشر في الأزمان الغابرة، والحاضرة من يدعون: أن عمران بلادهم أقدم من خلق آدم، كأهل الهند، وقد كانوا في الزمان السابق يدَّعون: أن آدم كان عبداً من عبيدهم هرب إلى الغرب، وجاء بأولاده، وإلى هذا يشير المعري بقوله: [الوافر]

تَقُولُ الهِنْدُ آدَمُ كَانَ قِنّاً ... لَنَا فَسَعَى إليه مُخَبِّبُوهُ

وإلى القول بوجود أوادم سوى آدم يشير بقوله: [الخفيف]

جَائِزٌ أنْ يَكُونَ آدَمُ هذا ... قَبْلَهُ آدمٌ على إثْرِ آدَمْ

وقوله: [الطويل]

ومَا آدمٌ في مَذْهَبِ العقل وَاحِداً ... ولَكِنَّهُ عِنْدَ القِيَاسِ أوادِمُ

وهناك فريق من الناس يرجح: أنه ليس أول نوعه، ويستأنسون لذلك بقول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآية رقم [٣٠] من سورة (البقرة) ويقول: إن الملائكة لم يقولوا ذلك إلا لرؤيتهم من تقدموا قبل آدم من الخلق الذين على صورته قد فعلوا ذلك، وأن

آدم عليه السلام كان خليفة عن بشر كانوا من جنسه، وبادوا. وكل هذه الأقوال لا تستند إلى نص قطعي الثبوت، والدلالة. انتهى. بحروفه. وانظر ما ذكرته في آخر سورة (صٓ) فإنه جيد، والحمد لله.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾: المارج: اللهب. وقال الليث: المارج: الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه اللهب الذي يعلو النار، فيختلط بعضه ببعض، أحمر، وأصفر، وأخضر، ونحوه عن مجاهد. هذا؛ وفي سورة (الحجر) رقم [٢٧] قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ وأصل المرج: الإهمال، كما تمرج الدابة في المرعى، والمرج: أرض ذات نبات، ومرعى، والجمع مروج. هذا؛ والجان: أبو الجن، كما أن آدم أبو البشر. وقال قتادة: هو إبليس. وقيل: الجان أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين، وفي الجن مسلمون، وكافرون يأكلون، ويشربون، ويحيَوْن، ويموتون، ويتوالدون كبني آدم، وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون، ولا يموتون إلا إذا مات إبليس أبوهم، والأصح: أن الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار، سُمُّوا جناً لتواريهم، واستتارهم عن الأعين، من قولهم: جن الليل: إذا ستر بظلمته كل شيء. قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٢٧]: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾. وانظر ما ذكرته في سورة (الجن) وفي سورة (الأحقاف). والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَبِأَيِّ﴾: (الفاء): هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً؛ فبأي... إلخ. (بأي): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، و(أي) مضاف، و﴿ءَالَآءِ﴾ مضاف إليه، و﴿ءَالَآءِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّكُمَا﴾ مضاف إليه، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿تُكَذِّبَانِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر بـ: «إذا»، والجملة الشرطية مستأنفة، لا محل لها.

﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّكُمَا﴾. ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾. ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿صَلْصَٰلٍ﴾، وإن اعتبرت الكاف اسماً فهي الصفة، وتكون الكاف مضافة، و(الفخار) مضاف إليه. ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ﴾: مثل سابقتها في إعرابها، وهي معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿مِّن نَّارٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿مَّارِجٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ...﴾ إلخ: ذكرت هذه الآية في هذه السورة إحدى وثلاثين مرة: ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق، ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها بعدد أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عقبها؛ لأن من جملة الآلاء رفع البلاء، وتأخير العذاب، وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما بعدد أبواب الجنة، وثمانية أخرى بعدها في الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين، أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ فمن اعتقد الثمانية الأولى، وعمل بموجبها استحق هاتين الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة. انتهى. جمل عن شيخ الإسلام في متشابه القرآن.

هذا؛ وفي الخازن قوله: وكرر هذه الآية في هذه السورة في أحد وثلاثين موضعاً، تقريراً للنعمة، وتأكيداً في التذكير بها، ثم عدد على الخلق آلاءه، وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها، ليفهمهم النعم، وليقررهم بها، كقول الرجل لمن أحسن إليه، وتابع إليه بالأيادي، وهو ينكرها، ويكفرها: ألم تكن فقيراً، فأغنيتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم تكن عرياناً فكسوتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم تكن خاملاً فعززتك؟ أفتنكر هذا؟ ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب، حسن تقريراً؛ وذلك؛ لأن الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته، من خلق الإنسان، وتعليمه، والبيان، وخلق الشمس والقمر، والسماء والأرض إلى غير ذلك مما أنعم الله به على خلقه، وخاطب الجن والإنس، فقال: فبأي آلاء... إلخ من الأشياء المذكورة؛ لأنها كلها منعم بها عليكم. انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢١] و[٢٢] من سورة (القمر). هذا؛ ومعنى ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ تكفران، والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب؛ لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر شهادة منها بذلك، فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة؛ أي: فإذا كان الأمر كما فصل، فبأي فرد من أفراد آلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان؟ مع أن كلاً منها ناطق بالحق شاهد بالصدق. هذا؛ والاستفهام للتقرير بالنسبة للمؤمنين، وللتوبيخ، والتقريع بالنسبة للكافرين، والفاسقين من الإنس، والجن.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾: فينبغي أن تعلم: أن الله تعالى قال في سورة (البقرة) رقم [١١٥] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ فالمراد بهما ناحيتا الأرض، له سبحانه الأرض كلها، لا يختص به مكان دون مكان، وقال هنا: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ أي مشرقي الشتاء والصيف، ومغربيهما، وقال تعالى في سورة (المعارج): ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ فقد جمع المشرق والمغرب كما ترى باعتبار مشارق الشمس ومغاربها في السنة، وهي ثلاثمئة وخمس وستون كوة في مطلعها، ومثلها في مغربها على عدد أيام السنة الشمسية، تطلع كل يوم من كوة منها، وتغيب في

كوة، لا تطلع، ولا تغرب في تلك الكوة إلا في ذلك اليوم من العام المقبل. قال أمية بن أبي الصلت، الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**آمَنَ شِعْرُهُ وكَفَرَ قَلْبُهُ**». [الطويل]

زُحَلٌ وثَوْرٌ تَحتَ رِجْلِ يَمينِهِ والنَّسْرُ لِلأخْرَى ولَيثٌ مُرْصَدُ

والشمسُ تطلعُ كلَّ آخِرِ ليلةٍ حمراءَ يُصبحُ لونُها يَتَوَرَّدُ

لَيْسَتْ بطالِعَةٍ لهم في رِسْلِها إلَّا مُعَذَّبَةٌ وإلَّا تُجْلَدُ

قال عكرمة - رحمه الله تعالى - قلت لابن عباس - رضي الله عنهما -: يا مولاي! أتجلد الشمس؟ فقال: إنما اضطره الروي إلى الجلد، لكنها تخاف العقاب.

هذا؛ وكان من حق المشرق، والمغرب فتح العين، وهي الراء؛ لأن المصدر الميمي، واسمي الزمان، والمكان؛ إذا أخذ أحدهما من فعل ثلاثي مفتوح العين، أو مضمومها في المضارع أن يكون بفتح العين قياساً، ولكن التلاوة جاءت بكسرها. وأيضاً جاء كثير بكسر العين، وهو مذكور في كتب النحو، واللغة، من ذلك: المسجد، والمنبت، والمسقِط، والمرْفِق، والمنخِر، والمجزِر، والتحقيق: أنها أسماء نوعية غير جارية على فعلها، وإلا فلا مانع من الفتح. ولا تنس: أنه يقرأ: ﴿مَطْلِعَ﴾ بفتح اللام وكسرها.

الإعراب: ﴿رَبُّ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو رب، و﴿رَبُّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، والإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾: معطوف على ما قبله. هذا؛ ويقرأ: ﴿رَبِّ﴾ بالجر على أنه بدل من ﴿رَبِّكُمَا﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾

الشرح: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أي: أرسل البحرين: العذب، والملح متجاورين متلاقيين، لا فصل بين الماءين؛ لأن من شأنهما الاختلاط، وهو قوله: ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ لكن الله تعالى منعهما عما في طبعهما بالبرزخ، وهو قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجز من قدرة الله تعالى. ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي: لا يبغي أحدهما على صاحبه. وقيل: لا يختلطان، ولا يتغيران. وقيل: لا يطغيان على الناس بالغرق. وقيل: (مرج البحرين) يعني بحر الروم وبحر الهند، وأنتم الحاجز بينهما أي بلاد العرب. وقيل: بحر فارس، وبحر الروم بينهما برزخ، يعني: الجزائر. وقيل: بحر السماء، وبحر الأرض يلتقيان في كل عام. قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير - رضي الله عنهم أجمعين - وخذ قوله تعالى في سورة (الفرقان) رقم [٥٣] ﴿۞وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.

الإعراب: ﴿مَرَجَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿رَبِّكُمَا﴾. ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾، والرابط: الضمير فقط. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿بَرْزَخٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من ألف الاثنين. والرابط: الضمير فقط. ويجوز أن يكون الظرف متعلقاً بمحذوف حال. و﴿بَرْزَخٌ﴾ فاعلاً به، وهو أحسن لقربه من المفرد. وجملة: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ في محل نصب حال أخرى كالتي قبلها؛ أي: مرجهما غير باغيين، أو يلتقيان غير باغيين، أو بينهما برزخ في عدم بغيهما، وهذه الحال في قوة التعليل؛ إذ المعنى لئلا يبغيا. وقد تمحل بعضهم، وقال: أصل ذلك لئلا يبغيا، ثم حذف حرف العلة، وهو مطرد مع: «أنْ» و«أنَّ» ثم حذفت «أن» أيضاً وهو حذف مطرد، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ...﴾ إلخ الآية رقم [٢٤] من سورة (الروم)، فلما حذفت «أن» ارتفع الفعل، وهذا غير ممنوع إلا أنه يتكرر فيه الحذف، ولك أن تقول: قد جاء الحذف أكثر من ذلك فيما هو أخفى من هذا كما تقدم في: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾، وكما سيأتي في قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [٨٢] من سورة (الواقعة) انتهى. جمل نقلاً من السمين.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ أي: من البحرين؛ أي: يخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان، كما يخرج من التراب الحب، والعصف، والريحان. قيل: إنما تخرج المعادن الثمينة من البحر الملح دون العذب، فهو كقوله تعالى في سورة (نوح): ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ وقيل: أراد يخرج من أحدهما، فحذف المضاف. وقيل: لما التقى البحران، فصارا كالشيء الواحد؛ جاز أن يقال: يخرج منهما، كما يقال: يخرج من البحر، ولا يخرج من جميع البحر، ولكن من بعضه. وقيل: يخرج من ماء السماء وماء البحر، قيل: إذا أمطرت السماء، تفتح الأصداف أفواهها، فحيثما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة، و﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾ هو ما عظم من الدر، والمرجان صغاره. وقيل: بعكس ذلك. وقيل: (المرجان) هو الخرز الأحمر. وانظر ما ذكرته في سورة (فصلت) رقم [٣٩] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. هذا؛ ومن التفسير الشاذ الذي لا يقبله عقل، ولا يقره ذوق، فضلاً عن عدم وجوده في كتب اللغة، حيث يقول ناس: البحران

هما: فاطمة، وعلي ـ رضي الله عنهما ـ والبرزخ (أي: الحاجز): محمد ﷺ، و(اللؤلؤ): الحسن، و(المرجان): الحسين ـ رضي الله عنهما ـ. هذا؛ وخروج اللؤلؤ والمرجان مجاز عقلي؛ لأنه لا يخرج بنفسه، بل لا بد له من مخرج، كما هو معروف. وقال: ﴿مِنْهُمَا﴾ ولم يقل من أحدهما؛ لأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ أن يقول: منهما. ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾: السفن، الكبار. ﴿الْمُنشَآتُ﴾ أي: المرفوعات؛ التي يرفع خشبها بعضه على بعض. وقيل: هي ما رفع قِلْعها من السفن، أما ما لم يرفع قِلْعها، فليست من المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات. ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ أي: كالجبال في كبرها وما فيها من المتاجر، والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر، ومن إقليم إلى إقليم. مما فيه صلاح الناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع، ولهذا قال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وانظر (الشورى) رقم [٣٢].

عن عمر بن سويد؛ قال: كنت مع علي ـ رضي الله عنه ـ على شاطئ الفرات؛ إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها، فبسط علي ـ رضي الله عنه ـ يديه، ثم قال: يقول الله عز وجل: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ والذي أنشأها تجري في بحوره ما قتلت عثمان، ولا مالأت على قتله. أخرجه ابن أبي حاتم. هذا؛ و(الأعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل. قال جرير: [الرجز]

إذَا قَطَعْنَ عَلَماً بَدَا عَلَمْ حَتَّى تَنَاهَيْنَ بِنَا إلَى الحَكَمْ

هذا؛ ولا تنس تشبيه السفن؛ وهي تمخر عباب البحر رائحة جائية بالجبال.

الإعراب: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: انظر الآية رقم [١٣]. ﴿يَخْرُجُ﴾: فعل مضارع. ﴿مِنْهُمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿اللُّؤْلُؤُ﴾: فاعل ﴿يَخْرُجُ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من ألف الاثنين، والرابط: الضمير فقط. ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: الواو: حرف عطف. (المرجان): معطوف على ما قبله. ﴿وَلَهُ﴾: (الواو): حرف استئناف. (له): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿الْجَوَارِ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿الْمُنشَآتُ﴾: صفة ﴿الْجَوَارِ﴾. ﴿فِي الْبَحْرِ﴾: متعلقان بـ: ﴿الْمُنشَآتُ﴾. ونائب فاعله يعود إلى: ﴿الْجَوَارِ﴾. ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في ﴿الْمُنشَآتُ﴾. هذا؛ وإن اعتبرت الكاف اسماً، فالمحل لها، وهي مضافة و(الأعلام) مضاف إليه.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨)﴾

الشرح: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي: على الأرض، والضمير عائد على ذكرها في الآية رقم [١٠] والمراد بـ: ﴿مَنْ﴾ كل من على وجه الأرض من إنسان، وحيوان، وهوام، وغير ذلك. وإنما

ذكره بلفظة ﴿مَنْ﴾ تغليباً للعقلاء على غيرهم. ﴿فَانٍ﴾: هالك. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فنزلت: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ رقم [٨٨] من سورة (القصص) فأيقنت الملائكة بالهلاك. ووجه النعمة في فناء الخلق: التسوية بينهم في الموت، ومع الموت تستوي الأقدام. وقيل: وجه النعمة: أن الموت سبب النقل من دار الفناء إلى دار الجزاء، والثواب. ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ويبقى الله؛ فالوجه عبارة عن وجوده وذاته، قال الشاعر: [مخلع البسيط]

قَضَى على خَلْقِهِ المنايَا فكلُّ شيءٍ سِوَاهُ فاني

وفي المخاطب وجهان: أحدهما: أنه كل واحد، والمعنى: ويبقى وجه ربك أيها الإنسان السامع. والوجه الثاني: أنه يحتمل: أن الخطاب مع النبي ﷺ. ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ أي: صاحب العظمة، والكبرياء، الحقيق بصفات المدح، يقال: جلَّ الشيء؛ أي: عَظُم، وأجللته؛ أي: عظمته، و﴿ٱلْجَلَٰلِ﴾ اسم من: جلّ، ومعناه: الذي يجله الموحدون عن التشبيه. ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ أي: هو أهل لأن يكرم عما لا يليق به من الشرك، كما تقول: أنا أكرمك عن هذا، وهو المكرم لأنبيائه، وأوليائه، وجميع خلقه بلطفه، وإحسانه إليهم مع جلاله، وعظمته، وروى أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «**أَلِظُّوا بياذا الجلالِ والإكرام**». أخرجه الترمذي، ومعناه الزموا ذلك في الدعاء. وعن سعيد المقبري: أن رجلاً ألحَّ، فجعل يقول: اللهم يا ذا الجلال، والإكرام! اللهم يا ذا الجلال والإكرام! فنودي: إني قد سمعت؛ فما حاجتك؟

هذا؛ و﴿فَانٍ﴾ أصله: فانيٌ بضمة على الياء علامة للرفع وبتنوين الصرف، لكن استثقلت الضمة على الياء بعد كسرة، فسكنت الياء، فالتقى ساكنان: الياء والتنوين، فحذفت الياء لعلة الالتقاء، وبقيت النون مكسورة على ما كانت عليه قبل الإعلال، فقيل: (فانٍ) بالكسر، وإنما لم يقل بالرفع؛ لأن الياء محذوفة لعلة الالتقاء، فهي كالثابتةَ، فتمنع الرفع للدال، وهكذا قل في إعلال كل اسم منقوص، مثل: مهتدٍ، وهادٍ، ونحوهما.

الإعراب: ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، وهو مضاف. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿فَانٍ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَيَبْقَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (يبقى): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَجْهُ﴾: فاعله، وهو مضاف، وربك مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ذُو﴾: صفة وجه مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذُو﴾: مضاف، و﴿ٱلْجَلَٰلِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾: الواو: حرف عطف. (الإكرام): معطوف على ما قبله، وجملة: (يبقى...) إلخ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: من ملك، وإنس، وجن، فلا يستغني عن فضله أهل السموات، والأرض. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فأهل السموات يسألونه المغفرة، وأهل الأرض يسألونه المغفرة والرزق. وقيل: كل أحد يسأله الرحمة، وما يحتاجه في دينه أو دنياه. وفيه إشارة إلى كمال قدرة الله تعالى، وأن كل مخلوق وإن جل وعظم؛ فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج إليه، مفتقر إلى الله تعالى. انتهى. خازن. هذا؛ ومن أهم ما ينبغي أن يسأل المؤمن ربه التوفيق للطاعة، والمعونة على العبادة، وتسديد الخطى على الصراط المستقيم.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾: في أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل، من إحياء، وإماتة وإعزاز، وإذلال، وإغناء، وإفقار، وإجابة داع، وإعطاء سائل، وغير ذلك. وروى أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ قال: «**من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين**». وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ قال: «**يغفر ذنباً، ويكشف كرباً، ويجيب داعياً**».

وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: إن مما خلق الله عز وجل لوحاً من درة بيضاء، دفتاه من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمئة وستين نظرة، يخلق، ويرزق، يحيي، ويميت، يعز، ويذل، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾. وقال الحسين بن الفضل: هو سوق المقادير إلى المواقيت، ومعناه: أن الله ـ عز وجل ـ كتب ما يكون في كل يوم، وقدر ما هو كائن، فإذا جاء ذلك الوقت، فعلقت إرادته بالفعل، فيوجده في ذلك الوقت. هذا؛ وقيل: نزلت الآية رداً على اليهود حين قالوا: إن الله لا يقضي يوم السبت شأناً أو شيئاً.

فائدة: يروى أن ابن الشجري كان في مجلس وعظه، وإرشاده، والناس حوله يستمعون إليه، فرفع أحد الحاضرين يده، وقال: سؤال يا فضيلة الشيخ، فقال له: ما السؤال؟ فقال: الله يقول: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ ما شأن ربك الآن؟ فقال: غداً آتيك بالجواب إن شاء الله، فذهب إلى بيته فلم يهتد إلى الجواب، فنام مهموماً مكروباً، فرأى النبي ﷺ في المنام، فقال: يا رسول الله! عرض عليَّ سؤال، فلم أهتد إلى جوابه، وذكر السؤال. فقال النبي ﷺ: السائل لك الخضر، والجواب: شأن ربك الآن أمور يبديها، ولا يبتديها، يرفع أقواماً، ويضع آخرين. وفي اليوم الثاني جلس الشيخ في مجلس وعظه، فرفع السائل يده، وقال: الجواب يا أستاذ! فقال له: شأن ربك الآن أمور يبديها... إلخ. فقال له: صل وسلم على من علمك. انتهى. باجوري على جوهرة التوحيد. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

هذا؛ وسأل بعض الملوك وزيره عن معنى الآية، فاستمهله إلى الغد، وذهب كئيباً يفكر فيها، فقال له غلام أسود: يا مولاي! أخبرني ما أصابك؛ لعل الله يسهل لك على يدي؟! فأخبره، فقال: أنا أفسرها للملك، فأعلمه. فقال: أيها الملك شأن الله أن يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويشفي سقيماً، ويُسقم سليماً، ويبتلي معافىً، ويعافي مبتلىً، ويعز ذليلاً، ويذل عزيزاً، ويفقر غنياً، ويغني فقيراً، فقال الملك: أحسنت، وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة. فقال: يا مولاي هذا من شأن الله!.

وقيل: إن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل، وقال له: أشكلت عليَّ ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي. قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ رقم [٣١] من سورة (المائدة) وقد صح أن الندم توبة. وقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ وقد صح: أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة. وقوله تعالى في سورة (النجم) الآية رقم [٣٩]: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾، فما بال الأضعاف؟ فقال الحسين: يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الأمة، ويكون توبة في هذه الأمة. وقيل: إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل، ولكن على حمله. وأما قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ فإنها شؤون يبديها، لا شؤون يبتديها. وأما قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ فمعناه: ليس له إلا ما سعى عدلاً، ولي أن أجزيه بواحدة ألفاً فضلاً. فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه. انتهى. قرطبي، وكشاف، ونسفي.

الإعراب: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾: فعل مضارع، والهاء مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف للتعميم. ﴿مَن﴾: اسم موصول، مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: الواو: حرف عطف. (الأرض): معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وأجيز اعتبارها في محل نصب حال من ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾. ﴿كُلَّ﴾: قال ابن الأنباري: منصوب على الظرفية، وهو معمول الظرف الذي هو ﴿فِى شَأْنٍ﴾. وقال الجمل: ﴿كُلَّ﴾ منصوب بالاستقرار، الذي تضمنه الخبر. وقال أبو البقاء: هو ظرف لما دل عليه: ﴿هُوَ فِى شَأْنٍ﴾. هذا؛ ويجوز تعليقه بالفعل ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾ فيكون الوقف على ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ وما بعده جملة مستأنفة، و﴿كُلَّ﴾ مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿فِى شَأْنٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبره.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

الشرح: ﴿فَبِأَىِّ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [١٣]. ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾: قيل: هذا وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة، وليس هو فراغاً عن شغل؛ لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن. فهو كقول القائل: لمن يريد تهديده: لأتفرغن لك؛ وما به شغل. وهذا قول ابن عباس

ـ رضي الله عنهما ـ، وإنما حسن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن. وقيل: معناه سنقصدكم بعد الترك، والإمهال، ونأخذ في أمركم، فهو كقول القائل الذي لا شغل له: قد فرغت لك. وقيل: معناه: إن الله وعد أهل التقوى، وأوعد أهل الفجور، فقال: سنفرغ لكم مما وعدناكم، وأخبرناكم، فنحاسبكم، ونجازيكم، فننجز لكم ما وعدناكم، فنتم ذلك، ونفرغ منه، فهو على طريق المثل، والاستعارة، مثل قول الرجل لمن يتهدده: سأفرغ لك، يريد سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني. وأراد بالثقلين: الإنس، والجن، سُمِّيا ثقلين؛ لأنهما ثقلا على الأرض أحياءً، وأمواتاً. وقيل: كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه، فهو ثقل، ومنه قول النبي ﷺ: «**إني تاركٌ فيكمُ الثقلين: كتابَ اللهِ، وعِتْرتي**» فجعلهما ثقلين إعظاماً لقدرهما. وقال جعفر بن محمد الصادق: سُمِّي الإنس، والجن ثقلين؛ لأنهما مثقلان بالذنوب. هذا؛ وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ فجمع، ثم قال: ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ لأنهما فريقان، وكل فريق جمع، وكذا قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ ولم يقل: إن استطعتما؛ لأنهما فريقان في حال الجمع، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ الآية رقم [٤٥] من سورة (النمل)، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ الآية رقم [١٩] من سورة (الحج).

تنبيه: قرأ الجمهور ﴿أَيُّهَ﴾ بفتح الهاء، وبدون ألف، وقرأ ابن عامر بضمها، ووجهه: أن تجعل الهاء من نفس الكلمة، فيكون إعراب المنادى فيها. وضعف أبو علي الفارسي ذلك جداً، وقال: آخر الاسم هو الياء الثانية من (أيٍّ) فالمضموم ينبغي أن يكون آخر الاسم، ولو جاز ضم الهاء هاهنا لاقترانها بالكلمة لجاز ضم الميم في: (اللهم) لاقترانها بالكلمة في كلام طويل. والصحيح: أنه إذا ثبت عن النبي ﷺ قراءة، فليس إلا اعتقاد الصحة في اللغة، فإن القرآن هو الحجة، وأنشد الفراء: [الرجز]

يا أَيُّهَ القَلْبُ اللجوجُ النَّفْسِ أفِقْ من البيضِ الحسانِ اللُّعْسِ

وبعضهم يقف: ﴿أَيُّهْ﴾ وبعضهم يقف: (أيها) بالألف؛ لأن علة حذفها في الوصل، إنما هو سكونها وسكون اللام، فإذا كان الوقف ذهبت العلة، فرجعت الألف، وهذا الاختلاف الذي ذكرته، كذلك هو في الآية رقم [٣١] من سورة (النور): ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وأيضاً الآية رقم [٤٩] من سورة (الزخرف) وهي: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ...﴾ إلخ، وقد رسمت الهاء في هذه المواضع الثلاثة بدون ألف، وثبتت في غير هذه المواضع حملاً على الأصل، كما تراه في جميع آيات القرآن.

الإعراب: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: انظر الآية رقم [١٣]. ﴿سَنَفْرُغُ﴾: (السين): حرف استقبال. (نفرغ): فعل مضارع، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَيُّهَ﴾: نكرة مقصودة مبنية

على الضم في محل نصب بأداة النداء المحذوفة والهاء حرف تنبيه لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿الثَّقَلَانِ﴾: نعت لـ: (أيُّ) أو بدل منه مرفوع تبعاً للفظ (أيُّ) وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الندائية مستأنفة مثل التي قبلها.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ...﴾ إلخ: أي: إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات، والأرض هاربين من الله، فارين من قضائه، وتخرجوا من ملكه؛ فافعلوا، وقدم الجن على الإنس في هذه الآية؛ لأنهم أقدر على النفوذ، والهرب من الإنس، وأقوى على ذلك، فعلى هذا يكون في الدنيا. وذكر ابن المبارك؛ قال: وأخبرنا جويبر عن الضحاك؛ قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا، فتشققت بأهلها، فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب، فينزلون إلى الأرض، فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثم يأمر الله السماء التي تليها كذلك، فينزلون صفاً من خلف ذلك الصف، ثم السماء الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فينزل الملك الأعلى في بهائه، وملكه، ومجنبته اليسرى جهنم، فيسمعون زفيرها، وشهيقها، فلا يأتون قطراً من أقطارها إلا وجدوا صفوفاً من الملائكة، فذلك قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ...﴾ إلخ فعلى هذا يكون في الآخرة. انتهى. قرطبي.

أقول: ويؤيده قوله تعالى في سورة (الفجر) الآية رقم [٢٢]: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ وعلى القول الأول فهو مثل قوله تعالى في سورة (العنكبوت) الآية رقم [٢٢]: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية رقم [٢٢] ويؤيد الأول الآيات التالية. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المعنى إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات وما في الأرض؛ فاعلموه، ولن تعلموه إلا بسلطان؛ أي: ببينة من الله تعالى نصبها لكم، فتعرجون عليها بأفكاركم، وعقولكم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: من التنبيه، والتحذير، والمساهلة، والعفو مع كمال القدرة، أو مما نصب من المصاعد العقلية، والمعارج النقلية، فتنفذون بها إلى ما فوق السموات العلى. انتهى. بيضاوي. أقول: والذي رفع السموات، وبسط الأرضين بقدرته ما جاب الناس الفضاء في هذه الأيام إلا بهداية الله لهم، وتعليمه إياهم.

بعد هذا فـ:(معشر) اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل: رهط، ونفر، وأهل... إلخ. وقال الزمخشري: إن كل ما فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج، والذهاب، مثل: نفق، ونفذ، ونفخ... إلخ، وانظر شرح (سلطان) في الآية رقم [٣٨] من الذاريات.

فإن قيل: ما الحكمة في تقديم الجن على الإنس هاهنا، وتقديم الإنس على الجن في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ الآية رقم [٨٨] من سورة (الإسراء)؟! أجيب: بأن النفوذ من أقطار السموات، والأرض بالجن أليق إن أمكن، والإتيان بمثل القرآن بالإنس أليق إن أمكن، فقدم في كل موضع ما يناسبه. فإن قيل: لم جُمِعَ الضمير هنا. وثني في الآية التالية؟ قلت: جمع هنا نظراً إلى معنى الثقلين؛ لأن كلًّا منهما تحته أفراد كثيرة، وثني في ذاك نظراً إلى اللفظ. انتهى. جمل نقلاً من كرخي.

تنبيه: ما ذكر في هذه السورة، وفي سورة (الأحقاف)، وسورة: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ...﴾ إلخ يدل على أن الجن مخاطبون، مكلفون، مأمورون، منهيون، مثابون، معاقبون كالإنس سواء، مؤمنهم كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم، لا فرق بيننا، وبينهم في شيء من ذلك. انتهى. قرطبي.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (معشر): منادى، وهو مضاف، و(الجن) مضاف إليه. ﴿وَٱلْإِنسِ﴾: الواو: حرف عطف. (الإنس): معطوف على ما قبله، والجملة الندائية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنِ﴾: حرف شرط جازم. ﴿ٱسْتَطَعْتُمْ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب، واستقبال. ﴿تَنفُذُوا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و(أن) والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به. ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و﴿أَقْطَارِ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: الواو: حرف عطف. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (انفذوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و﴿إِنِ﴾ الشرطية ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَنفُذُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية تعليل للأمر، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

الشرح: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ...﴾ إلخ: أي: لو خرجتم أرسل عليكم شواظ من نار، وأخذكم العذاب المانع من النفوذ. وقيل: ليس هذا متعلقاً بالنفوذ بل أخبر: أنه يعاقب العصاة عذاباً

بالنار. وقيل: يحاط على الخلائق بالملائكة، وبلسان من نار، ثم ينادون: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾، فتلك النار قوله: ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ﴾ و(الشواظ) في قول ابن عباس، وغيره: اللهب الذي لا دخان له. و(النحاس): الدخان الذي لا لهب فيه، والعرب تسمي الدخان نحاساً. روى الطبراني عن الضحاك: أن نافع بن الأزرق، سأل ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن الشواظ، فقال: هو اللهب الذي لا دخان معه، فسأله شاهداً على ذلك من اللغة، فأنشده قول أمية بن أبي الصلت في حسان ـ رضي الله عنه ـ قال القرطبي: كذا وقع في تفسير الثعلبي والماوردي: بن أبي الصلت، وفي الصحاح والوقف والابتداء لابن الأنباري: أمية بن خلف. قال: [الوافر]

أَلَا مَــنْ مــبــلــغٌ حَــسَّــانَ عَــنــي ... مُــغــلْــغَــلَــةً تَــدبُّ إلــى عُــكَــاظِ؟

ألــيــسَ أبــوكَ فــيــنَــا كــانَ قَــيــنــاً ... لــدى الــقَــيْــنــاتِ فَــسْــلاً فــي الــحــفــاظ؟

يَــمَــانِــيَّــاً يــظَــلُّ يَــشُــدُّ كــيــراً ... ويــنــفــخُ دائِــبــاً لَــهَــبَ الــشُّــواظِ

فأجابه حسان ـ رضي الله عنه ـ فقال: [الوافر]

هَــجَــوتــكَ فــاخْــتَــضَــعْــتَ لــهَــا بِــذُلٍّ ... بــقــافــيــةٍ تــأجَّــجُ كــالــشُّــواظِ

قال نافع: صدقت؛ فما النحاس؟ قال: هو الدخان الذي لا لهب له، قال: فهل تعرفه العرب؟ قال: نعم أما سمعت قول النابغة الجعدي ـ رضي الله عنه ـ يقول: [المتقارب]

يُــضِــيءُ كَــضَــوْءِ سِــرَاجِ الــسَّــلِــيــ ... ــطِ لَــمْ يَــجْــعَــلِ الله فــيــهِ نُــحَــاسَــا

هذا؛ والمغلغلة: الرسالة. وقين: عبد، وفسْل: ضعيف عابر. والسليط: الزيت، الذي يوضع في السراج. هذا؛ والنحاس يقرأ بضم النون، وكسرها، وهو أيضاً: الطبيعة، والأصل، يقال: فلان كريم النُّحاس والنِّحاس؛ أي: كريم النِّجار والأصل، كما يقرأ شواظ بضم الشين، وكسرها، وهما لغتان. ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾: فلا تمتنعان؛ أي: لا ينصر بعضكم بعضاً. والمخاطب: الجن، والإنس. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: انظر الشرح والإعراب في الآية رقم [١٣] والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يُرۡسَلُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿عَلَيۡكُمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿شُوَاظٞ﴾: نائب فاعل ﴿يُرۡسَلُ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّن نَّارٖ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿شُوَاظٞ﴾. ﴿وَنُحَاسٞ﴾: الواو: حرف عطف. (نحاس): معطوف على ﴿شُوَاظٞ﴾ ويقرأ بالجر عطفاً على ﴿نَّارٖ﴾. ﴿فَلَا﴾: (الفاء): حرف عطف. (لا): نافية.

﴿تَنتَصِرَانِ﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: تصدعت يوم القيامة، فصارت أبواباً لنزول الملائكة، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (الحاقة): ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾، وقال جل ذكره في سورة (الفرقان): ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ وقال جل وعلا: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾، وقال تبارك وتعالى في سورة (الانفطار): ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾. ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾: فصارت كلون الورد الأحمر. وقيل: أصل لون السماء الحمرة، ولكن تُرى الآن زرقاء لبعدها، وكثرة الحواجز بيننا، وبينها. ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ أي: تذوب كما يذوب الدُّرْدِي، والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء، وتارة صفراء، وتارة زرقاء، وتارة خضراء، وذلك من شدة الأمر، وعظيم هول يوم القيامة، وشبهوا ذلك بعروق البدن، وهي حمراء كحمرة الدم، وترى بالحائل زرقاء، فإن كان هذا صحيحاً، فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة، وارتفاع الحواجز ترى حمراء؛ لأنه أصل لونها، وعلى كل حال فالآية فيها تشبيه تمثيلي لا يخفى.

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: (الفاء): حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿ٱنشَقَّتِ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿فَكَانَتْ﴾: (الفاء): حرف عطف، (كانت): فعل ماض ناقص، والتاء للتأنيث. ﴿وَرْدَةً﴾: خبر (كانت) واسمها ضمير مستتر تقديره هي يعود إلى (السماء)، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها، وجوابها محذوف التقدير: فما أعظم الهول! وقيل: الجواب قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ...﴾ إلخ. ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف صفة ﴿وَرْدَةً﴾، أو بمحذوف حال من اسم (كانت) المستتر، وإن اعتبرت الكاف اسماً؛ فالمحل لها على جميع الوجوه، وتكون مضافة، و(الدهان) مضاف إليه.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: فيوم تنشق السماء. ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾: قيل: لا يسألون عن ذنوبهم؛ لتعلم من جهتهم؛ لأن الله تعالى قد علمها منهم، وكتبتها الحفظة عليهم. وهذه رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وعنه أيضاً: لا تسأل الملائكةُ المجرمين؛ لأنهم

يُعرفون بسيماهم. دليله ما بعده. وعنه أيضاً في الجمع بين هذه الآية، وبين قوله تعالى في سورة (الحجر) رقم [٩٢]: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقوله تعالى في سورة (الصافات) رقم [٢٤]: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ قال: لا يسألهم: هل عملتم كذا، وكذا؛ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكنه يسألهم: لم عملتم كذا، وكذا؟ وعنه أيضاً قال: لا يسألون سؤال رحمة، وشفقة، وإنما يسألون سؤال تقريع، وتوبيخ. وقيل: لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم. وقيل: إنها مواطن، فيسأل في بعضها، ولا يسأل في بعضها. وانظر شرح الآيتين في محلهما. هذا؛ ومفرد إنس: إنسي، ومفرد جان: جني، مثل: زنج زنجي، وقال الزمخشري: فوضع الجانُّ الذي هو أبو الجن موضع الجن، كما يقال: هاشم ويراد ولده. انتهى.

هذا؛ وقال قتادة: قد كانت مسألة، ثم ختم على أفواه القوم، وتكلمت أيديهم، وأرجلهم بما كانوا يعملون. انتهى. وانظر الآية رقم [٢٢] من سورة (فصلت). وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ. وفيه قال: «**فيلقى العبد، فيقولُ: أيْ فُلْ! أَلَمْ أُكْرِمكَ، وأُسوِّدْكَ، وأزوِّجْكَ، وأُسَخِّرْ لَكَ الخيلَ، والإبلَ، وأذرْكَ ترأسُ، وتَرْبَعُ؟ فيقولُ: بلى! فيقول: أفظننتَ أنك مُلَاقيَّ؟ فيقولُ: لا، فيقولُ: إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني، فيقول له: مثل ذلك بعينه، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا ربِّ آمنتُ بكَ، وبكتابِكَ، وبرسولِكَ، وصليتُ، وصمتُ، وتصدقتُ، ويثني بخيرٍ ما استطاعَ، فيقولُ: ها هُنَا إذاً، ثم يقالُ لهُ: الآن نَبْعَثُ شاهدَنا عليك، فيتفكرُ في نفسِهِ مَنْ هذا الذي يشهد عليَّ؟ فيُختَمُ على فِيهِ، ويقال لفخذِهِ، ولحمِهِ، وعظامِهِ: انطقي، فتنطق فخذُهُ، ولحمُهُ، وعظامُهُ بعملِهِ، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه**». انتهى. قرطبي.

الإعراب: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: (الفاء): حرف استئناف، أو هي واقعة في جواب الشرط، كما رأيت والأول أقوى. (يومئذ): ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، (وإذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة والتنوين عوض عن جملة محذوفة، انظر تقديرها في الشرح. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يُسْـَٔلُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الثاني، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِنسٌ﴾: نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي، والجملة الفعلية حسب ما ذكرته في الفاء. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ...﴾ إلخ انظر الآية رقم [١٣].

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾: قال الحسن: هي سواد الوجوه، وزرقة الأعين. قال تعالى في سورة (طه) رقم [١٠٢]: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾، وقال جل وعلا في سورة

(آل عمران) رقم [١٠٦]: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾. هذا؛ ويعرف المؤمنون يوم القيامة بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء. ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أي: تأخذ الملائكة بنواصيهم؛ أي: بشعور مقدم رؤوسهم، وأقدامهم، فيقذفونهم في النار. والنواصي: جمع ناصية. وقال الضحاك: يجمع بين ناصيته، وقدميه في سلسلة من وراء ظهره. وعنه: يؤخذ برجلي الرجل، فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره، ثم يلقى في النار. وقيل: يفعل ذلك به ليكون أشد لعذابه، وأكثر لتشويهه. وقيل: تسحبهم الملائكة إلى النار، تارة تأخذ بناصيته، وتجره على وجهه، وتارة تأخذ بقدميه، وتسحبه على وجهه.

هذا؛ والمراد بالمجرمين في هذه الآية: الكافرون، وكثيراً ما يعبر القرآن الكريم عن الكافرين بالظالمين، والمجرمين، والمعتدين، والفاسقين، والمسرفين ونحو ذلك، ويتهددهم بالعذاب الأليم، ويتوعدهم بالعقاب الشديد، وإننا نجد الكثير من المسلمين يتصفون بهذه الصفات، فهل يوجه إليهم هذا التهديد، وهذا الوعيد؟ الحق أقول: نعم يوجه إليهم ما ذكر، وهم أحق بذلك، ولا سيما من قرأ القرآن منهم، واطلع على أحوال الأمم السابقة، وما جرى لهم مع رسلهم، وكيف نكل الله بهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين، وما يتذكر إلا أولو الألباب. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يُعْرَفُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم. ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يُعْرَفُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَيُؤْخَذُ﴾: الفاء: حرف عطف. (يؤخذ): فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿بِالنَّوَاصِي﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الياء. ﴿وَالْأَقْدَامِ﴾: الواو: حرف عطف. (الأقدام): معطوف على ما قبله. والجملة الفعلية: (يؤخذ...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي...﴾ إلخ أي: يقال لهم: هذه النار التي أخبرتم بها، فكذبتم بوجودها، فها هي حاضرة تشاهدونها عياناً. يقال لهم ذلك تقريعاً، وتوبيخاً، وتحقيراً. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (الطور): ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، وقوله تعالى في سورة (يس) رقم [٦٢]: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ أي: تارة يعذبون في الجحيم، وتارة يسقون من الحميم، وهو

الشراب الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء، والأحشاء، قال تعالى في سورة (محمد ﷺ): ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ ومعنى ﴿ءَانٍ﴾ شديد الحرارة، والمعنى: أنهم يسعون بين الحميم، وبين الجحيم فإذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآني، الذي صار كالمهل، قال تعالى في سورة (الكهف) رقم [٢٩]: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾. هذا؛ وإعلال ﴿ءَانٍ﴾ مثل إعلال ﴿فَانٍ﴾ في الآية رقم [٢٦].

فإن قلت: هذه الأمور المذكورة في هذه الآيات من قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ إلى هنا ليست نعماً، فكيف عقبها بقوله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ قلت: المذكور في هذه الآيات مواعظ، وزواجر، وتخويف، وكل ذلك نعمة من الله تعالى، لأنها تزجر العبد عن المعاصي، فصارت نعماً، فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ...﴾ إلخ. انتهى. خازن.

هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الأنبياء): ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ومعلوم: أن النبي ﷺ بعث بشيراً لمن آمن، ونذيراً لمن كفر، فجعل الإنذار رحمة، كما جعل التبشير رحمةً. والآيات التي نحن بصدد شرحها من هذا القبيل، كما جعل سبحانه، وتعالى التحذير رأفة، فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ الآية رقم [٣٠] من سورة (آل عمران).

هذا؛ و(بين) ظرف مكان بمعنى: وسْط بسكون السين، لا يقع إلا بين متعدد لفظاً، وحكماً تقول: جلسْت بين القوم، كما تقول: جلست وسْط القوم. هذا؛ والبين: الفراق، والبعاد، وهو أيضاً: الوصل، فهو من الأضداد، كالجوْن يطلق على الأسود، والأبيض. ومن استعماله بمعنى الوصل، ما قرئ به في سورة (الأنعام) رقم [٩٤]: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ حيث قرئ برفعه، ومن استعماله بمعنى الفراق، والبعاد قول كعب بن زهير ـ رضي الله عنه ـ من قصيدته؛ التي مدح بها النبي ﷺ وهو الشاهد رقم [٨٠٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

وَمَا سُعَادُ غَداةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرفِ مَكْحُولُ

الإعراب: ﴿هَٰذِهِۦ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿جَهَنَّمُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: فيقال لهم: هذه جهنم، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يُعْرَفُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة ﴿جَهَنَّمُ﴾. ﴿يُكَذِّبُ﴾: فعل مضارع. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿يَطُوفُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، والرابط: الضمير فقط، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿بَيْنَهَا﴾: ظرف مكان

متعلق بالفعل قبله، (وها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَ﴾: الواو: حرف عطف. (بين): معطوف على ما قبله، وهو مضاف، و﴿حَمِيمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿ءَانٍ﴾: صفة ﴿حَمِيمٍ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ...﴾ إلخ: انظر إعرابها في الآية رقم [١٣].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ يعني: جنة عدن، وجنة النعيم. وقيل: جنة بخوفه ربه، وجنة بتركه شهوته. وقيل: إن الجنتين جنته التي خلقت له وجنة يرثها من الكافر. وقيل: إحدى الجنتين منزله، والأخرى منزل أزواجه، كما يفعله رؤساء الدنيا. وقيل: إحدى الجنتين مسكنه، والأخرى بستانه. وقال الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي: جنة للخائف الإنسي، وجنة للخائف الجني، فإن الخطاب للفريقين، والمعنى لكل خائفين منكما، أو لكل واحد جنة لعقيدته، وأخرى لعمله. أو جنة لفعل الطاعات، وأخرى لترك المعاصي. أو جنة يثاب بها، والأخرى يتفضل بها عليه. أو روحانية، وجسمانية، وكذا ما جاء مثنى بعد.

هذا؛ وجاء في أسباب النزول للسيوطي عن عطاء: أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ ذكر ذات يوم القيامة، والموازين، والجنة، والنار، فقال: وددت أني كنت خضراء من هذه الخضر، تأتي عليَّ بهيمة، وتأكلني، وأني لم أخلق، فنزلت: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾.

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ أي: أغصان، واحدها: فنن، وهو الغصن المستقيم طولاً. قال النابغة: [الوافر]

بُكَاءَ حَمَامَةٍ تدعُو هَديلاً ... مُفَجَّعَةٍ على فَنَنٍ تُغَنِّي

وقال شاعر آخر: [البسيط]

مَا هَاجَ شَوْقَكَ مِنْ هَدِيلِ حَمَامَةٍ ... تَدْعُو عَلَى فَنَنِ الْغُصُونِ حَمَامَا

تَدْعُو أَبَا فَرْخَيْنِ صَادَفَ طَائِراً ... ذَا مِخْلَبَيْنِ مِنَ الصُّقُورِ قُطَامَا

وقال آخر يصف طائرين: [البسيط]

بَاتَا عَلَى غُصْنِ بَانٍ فِي ذُرى فَنَنٍ ... يُرَدِّدَانِ لُحُوناً ذَاتَ أَلْوَانِ

وخص الأفنان بالذكر؛ لأنها هي التي تورق وتثمر، ومنها تمتد الظلال، ومنها تجتنى الثمار.

والفنن: جمعه أفنان، ثم أفانين. وقيل: المعنى: ذواتا ظلال، وهو ظل الأغصان على الحيطان. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ذواتا ألوان، يعني: ألوان الفاكهة؛ أي: له فيهما ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين. قال الشاعر: [الطويل]

ومِـن كـلِّ أفـنـانِ الـلـذاذةِ والـصِّـبـا لـهـوْتُ بِـه والـعـيـشُ أخـضـرُ نـاضِـرُ

وجمع عطاء بين القولين: فقال: في كل غصن فنون من الفاكهة. ومعنى ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب. أو المعنى: وقوف العبد بين يدي الله تعالى في يوم القيامة لعلمه بأنه راجع إليه تعالى في ذلك اليوم الذي يفر المرء فيه من أخيه، وأمه، وأبيه، وصاحبته، وبنيه؛ لأن المقام للعبد، لا لله؛ لتنزهه عن المكان، وأضيف إليه تعالى؛ لملابسته له تعالى من حيث كونه بين يديه، ومقاماً لحسابه.

هذا؛ و﴿مَقَامَ﴾ قرئ به في سورة (الدخان) بفتح الميم، وضمها. وقال الكسائي: المقام: المكان. والمُقام: الإقامة. وقال الجوهري: وأما المقام، والمُقام؛ فقد يكون كل واحد منهما بمعنى: الإقامة، وقد يكون بمعنى: موضع القيام؛ لأنك إن جعلته من الثلاثي؛ فمفتوح، وإن جعلته من الرباعي؛ فمضموم، ويمكن أن يكون مصدراً ميمياً، ويقدر فيه المضاف؛ أي: في موضع إقامة. هذا؛ وأصله (مقْوَم) فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى القاف قبلها. ثم قل: تحركت الواو بحسب الأصل، وانفتح ما قبلها الآن، فقلبت ألفاً.

هذا؛ والخوف من الله شعار المقربين، وقرين المهتدين الصالحين، وهو بشير النجاة، والأمان الأكبر عند الله، وهو طريق لهداية القلوب النافرة، وسبيل لسلوك النفوس الحائرة، مَن استضاء بنوره؛ وصل، ومن تمسك بحبله؛ رشد، ومن أخذ نفسه به؛ هدي إلى صراط مستقيم، من خاف؛ سلم، ومن أطاع مولاه؛ غنم، ومن خاف ربه، وخشي ذنبه؛ استقام، واهتدى؛ لأنه علم: أن العمل اليوم، وأن الحساب غداً، لذلك كان الخوف من الله طريقَ الأنبياء، وحليةَ الأصفياء من الأتقياء، وكان رسول الله ﷺ أشدَّ الناس خوفاً من ربه مع شدة قربه من خالقه، فكان يختلي وحده، ويقول: «**لوْ تعلمونَ ما أعلمُ لَضحكتُمْ قليلاً، ولَبَكَيْتُم كثيراً، ومَا تلذَّذْتُمْ بطعامٍ، ولا بشرابٍ، ولا جلستم إلى نساءٍ في فراشٍ، ولخرجْتُم إلى الصُّعَداتِ تجأرونَ، وتدعونَ إلى الله حتى تلقوهُ**». وكان يجمع أصحابه، ويخوفهم في الله، ويقول لهم: «**لا أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي، ولا بكم غداً**». وانظر ما ذكرته في سورة: (النجم) رقم [٦٠] وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ـ جل وعلا ـ: أنه قال: «**وعِزَّتِي وجلالي لا أَجْمَعُ علَى عَبْدِي خوْفَينِ، وأَمْنَيْنِ! إذا خافنِي في الدُّنيا؛ أَمَّنْتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ، وإذا أمِنَنِي في الدُّنيا؛ أخَفْتُهُ في الآخِرَةِ**». رواه ابن حبان في صحيحه. وعن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ خَافَ الله عزَّ وجلَّ خوَّفَ الله منْهُ كلَّ شيءٍ، ومَنْ لَمْ يخفِ الله؛ خوَّفَهُ الله مِنْ كُلِّ شيءٍ**». رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب. ولا تنس قوله تعالى في سورة (النازعات): ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى

ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ هذا؛ ولما ذكر الله أحوال أهل النار؛ ذكر ما أعده للأبرار، وهذا من باب المقابلة. انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥] من سورة (الذاريات).

الإعراب: ﴿وَلِمَنْ﴾: (الواو): حرف استئناف. (لمن): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿خَافَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ) وهو العائد. ﴿مَقَامَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و(ربه) مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿جَنَّتَانِ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ذَوَاتَآ﴾: صفة ﴿جَنَّتَانِ﴾، أو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هما ذواتا، فهو مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، و﴿ذَوَاتَآ﴾ مضاف، و﴿أَفْنَانٍ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية المقدرة: «هما ذواتا أفنانٍ» في محل رفع صفة ﴿جَنَّتَانِ﴾. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ...﴾ إلخ: انظر الإعراب في الآية رقم [١٣].

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أي: في الجنتين المذكورتين عينان تجريان بالماء الزلال إحداهما: التسنيم، والأخرى: السلسبيل. قاله ابن عباس، والحسن. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: عينان مثل الدنيا أضعافاً مضاعفةً، حصباؤهما الياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، وترابهما الكافور، وحمأتهما المسك الأذفر، وحافتاهما الزعفران. وانظر أنواع الأنهار وماءها في الآية رقم [١٥] من سورة (محمد ﷺ). وقال أبو بكر الوراق: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾، لمن كانت عيناه تجريان في الدنيا من مخافة الله عز وجل، وخذ ما يلي:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ عينٍ باكيةٌ يَوْمَ القيامَةِ إلَّا عَيْنٌ غضَّتْ عن محارِمِ الله، وعيْنٌ سهرتْ في سبيلِ الله، وعينٌ خَرَجَ مِنها مثلُ الذباب مِنْ خشيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ**». رواه الأصبهاني.

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي: صنفان، وكلاهما حلو يستلذ به. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما في الدنيا شجرة حلوة، ولا مرة، إلا وهي في الجنة؛ حتى الحنظل إلا أنه حلو. وقيل: ضربانِ: رطب، ويابس، لا يقصر هذا عن ذلك في الفضل، والطيب. وقيل: أراد تفضيل هاتين الجنتين على الجنتين اللتين دونهما، فإنه ذكرها هنا عينين جاريتين، وذكر هناك عينين تنضخان بالماء، والنضخ دون الجري، فكأنه قال: في تينك الجنتين من كل فاكهة نوع، وفي هذه الجنة من كل فاكهة نوعان.

هذا؛ و﴿عَيْنَانِ﴾ تثنية: عين، وتطلق على الماء الجاري، أو النابع من الأرض، كما رأيت، وجمعها في القلة: أعين، وفي الكثرة: عيون. قال تعالى في سورة (الذاريات) وغيرها: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ وتجمع أيضاً في الكثرة: أعيان، وهذا غير مشهور، وقليل الاستعمال، كما تطلق العين على العين الباصرة، وهو أشهر، وأكثر ما تستعمل في ذلك، كما تطلق على الجاسوس، كما في قولك: بث الأمير عيونه في المدينة؛ أي: جواسيسه، كما تطلق على ذات الشخص، كما في قولك: جاء محمود عينه. وتطلق على الشمس، وعين الشيء: خياره، وتطلق على النقد من ذهب، وغيره، وإليك قول الشاعر: [البسيط]

واستخدموا العَيْنَ مني وهيَ جارِيةٌ ... وقَدْ سَمَحْتُ بها أيَّامَ وصْلِهِمُ

فالمراد بالعين نفسه وذاته، والمراد بـ: «جارية» عينه الباصرة التي تجري بالدمع، والمراد بقوله (بها) نقد الذهب، وهذا يسمى في فن البديع: استخداماً. وتطلق العين على أشياء كثيرة، وعلى المطر الهاطل من السحاب، قال عنترة في معلقته رقم [٢٩] وهو الشاهد رقم [٣٥٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الكامل]

جادتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ ... فَتَركْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كالدِّرْهَمِ

هذا؛ وأعيان القوم: أشرافهم، وبنو الأعيان: الإخوة من الأبوين.

الإعراب: ﴿فِيهِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والميم، والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿عَيْنَانِ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿تَجْرِيَانِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والألف ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿عَيْنَانِ﴾. ﴿فِيهِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿زَوْجَانِ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿فَٰكِهَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿زَوْجَانِ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع. . . إلخ، والجملة الاسمية مستأنفة.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ أي: مضطجعين، أو متربعين، وفي القاموس: توكأ عليه: تحامل، واعتمد. واتكأ: جعل له متكأ، وقوله ﷺ: «**أَمَّا أنا فَلَا آكُلُ مُتَّكِئاً**» أي: جالساً جلوس المتمكن

المتربع، ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل، بل كان جلوسه ﷺ للأكل مستوفزاً، مقعياً غير متربع، ولا متمكن، وليس المراد الميل على شق، كما يظنه عوام الطلبة.

﴿عَلَىٰ فُرُشٍ﴾: جمع فراش. ﴿بَطَآئِنُهَا﴾: جمع بطانة، وهي التي تحت الظهارة. هذا؛ وبطانة الرجل: هو الذي يطلعه الرجل على أسراره ثقة به، قال تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١١٨]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ...﴾ إلخ. ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: هو ما غلظ من الديباج، والسندس هو الرقيق من الديباج، واحده: سندسة، والإستبرق موشىً بالذهب، واحده: إستبرقة. وهل هو عربي الأصل مشتق من البريق، أو هو معرب، أصله: إسْتَبْرَهْ؟ خلاف بين اللغويين، وفي سورة (الكهف) رقم [٣١]: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾.

هذا؛ وقال ابن مسعود، وأبو هريرة ـ رضي الله عنهما ـ: إذا كانت البطانة التي تلي الأرض هكذا، فما ظنك بالظهارة؟ وقيل لسعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: البطائن من إستبرق؛ فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنما وصف لكم بطائنها؛ لتهتدي إليه قلوبكم، فأما الظواهر فلا يعلمها إلا الله. وفي الخبر عن النبي ﷺ: أنه قال «**ظواهِرُهَا نورٌ يَتَلألأ**». وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش؛ لأنه ذكر: أن بطائنها من إستبرق، ولا بد أن تكون الظهائر خيراً من البطائن، فهو مما لا يعلمه البشر.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾: الجنى: ما يُجتنى من الشجر. يقال: «أتانا بجناة طيبة» لكل ما يجتنى، وثمر جَنِيٌّ (على فعيل) حين جني. قال عمرو بن عدي اللخمي ابن أخت جذيمة الأبرش: [الرجز]

هَذَا جَنَايَ وخِيَارُهُ فِيهْ ... إذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إلى فِيهْ

و﴿دَانٍ﴾ قريب. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: تدنو الشجرة؛ حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائماً، وإن شاء قاعداً، وإن شاء مضطجعاً، لا يرد يده بعدٌ، ولا شوك. وخذ قوله تعالى في سورة (الحاقة): ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾، وفي سورة (الدهر): ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾. هذا؛ وإعلال ﴿دَانٍ﴾ مثل إعلال ﴿فَانٍ﴾ في الآية رقم [٢٦] مع العلم: أن أصله: (دانِوٌ)؛ لأنه من: دنا، يدنو، فهو واوي بخلاف ﴿فَانٍ﴾ فإنه يائي من: فنى، يفنى.

الإعراب: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: حال عامله محذوف، التقدير: يتنعمون، فهو حال من واو الجماعة، أو هو حال من: الخائفين؛ لأنَّ: (من خاف) في معنى الجمع. وقيل: هو منصوب على المدح للخائفين بفعل محذوف. وفاعله مستتر فيه؛ لأنه جمع: متكئ. ﴿عَلَىٰ فُرُشٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾. ﴿بَطَآئِنُهَا﴾: مبتدأ، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل جر صفة ﴿فُرُشٍ﴾. ﴿وَجَنَى﴾: (الواو): حرف استئناف. (جنى): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف

للتعذر، و(جنى) مضاف، و﴿ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿دَانٍ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال؛ ففيه ضعف ظاهر. وقيل: معطوفة على ما قبلها.

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿فِيهِنَّ﴾: في الجنتين المذكورتين. قال الزجاج: وإنما قال: ﴿فِيهِنَّ﴾ ولم يقل: فيهما؛ لأنه عنى الجنتين، وما أعد لصاحبهما من النعيم. وقيل: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعود على الفرش التي بطائنها من إستبرق؛ أي: في هذه الفرش.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: قصرن أعينهن على أزواجهن لا يريْنَ ولا ينظرن غيرهم. قال ابن زيد ـ رحمه الله تعالى ـ: تقول الواحدة منهن لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي، وجعلني زوجتك. فقاصرات اسم فاعل من قولهم: اقتصر على كذا إذا اقتنع به، وعدل عن غيره. قال امرؤ القيس: [الطويل]

مِن القاصراتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ ... مِنَ الذَّرِّ فوقَ الإتْبِ منها لأثَّرَا

ويروى (فوق الخدِّ) والأول أبلغ، والإتب القميص، والمحول الصغير من الذر، وأما الطرف فهو تحريك جفن العين؛ إذا نظرت، فوضع موضع النظر، ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف في نحو قول الشاعر: [الطويل]

وكُنْتَ إذا أرسَلْتَ طَرْفَكَ رَائداً ... لِقلبِكَ يَوْماً أتْعَبَتْكَ المناظِرُ

رأيْتَ الذي لا كُلُّهُ أَنْتَ قادِرٌ ... عليهِ ولا عَنْ بَعْضِهِ أنتَ صابِرُ

وقد وصفَ آصفُ سليمان برد الطرف، ووُصِفَ الطرفُ بالارتداد بقوله تعالى حكاية عن قول آصف: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ في الآية رقم [٤٠] من سورة (النمل) وقد يراد بالطرف الجفن خاصة كما في قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [الطويل]

أشارَتْ بطرفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا ... إشارَةَ مَحْزُونٍ ولَمْ تَتَكَلَّمِ

فأَيقنْتُ أنَّ الطرفَ قد قال: مرْحباً ... وأهلاً وسهلاً بالحبيبِ المُتَيَّمِ

هذا؛ وفي المختار: الطرف: العين، ولا يثنى، ولا يجمع؛ لأنه في الأصل مصدر، فيكون واحداً جمعاً، قال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ الآية رقم [٤٣] من سورة (إبراهيم) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ومثله قولهم: قوم عَدْل وصَوْم.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ أي: لم يجامعهن قبل أزواجهن هؤلاء أحد. والطمث: الافتضاض، وهو النكاح بالتَّدْمِيَة، وطمث، يطمث من الباب الأول، والثاني طمثاً إذا افتضها، ومنه قيل: امرأة طامث؛ أي: حائض، والطمث: الحيض، ومن الأول قول الفرزدق: [الوافر]

خَرجْنَ إلَيَّ لَمْ يُطْمَثْنَ قَبلي وهُنَّ أصَحُّ مِنْ بَيْضِ النعَامِ

فَبِتْنَ بِجانبيَّ مُصَرَّعَاتٍ وَبِتُّ أفُضُّ أغلاقَ الخِتامِ

وعن الفرزدق: أن سليمان بن عبد الملك لما سمع البيتين، قال له: قد وجب عليك الحد يا فرزدق! قال: يا أمير المؤمنين قد درأ الله عنِّي الحد بقوله: ﴿وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ الآيات من آخر سورة (الشعراء). وفي هذه الآية دليل على أن الجني يجامع الإنسي، وتدخل الجنُّ الجنة. وسئل ضمرة بن حبيب: هل للجن ثواب؟ فقال: نعم، وقرأ هذه الآية، ثم قال الإنسيات للإنس، والجنيات للجن. وقال مجاهد في هذه الآية: إذا جامع الرجل المسلم، ولم يسم انطوى الجني على إحليله، فجامع معه، أقول: وقد بينت هذا في سورة (الإسراء) رقم [٦٤].

واختلف في هؤلاء اللواتي لم يطمثن، فقيل: هن الحور العين؛ لأنهن خُلقن في الجنة لم يمسهن أحد قبل أزواجهن. وقيل: إنهن من نساء الدنيا، أنشئن خلقاً آخر أبكاراً، كما وصفهن لم يمسهن منذ أنشئن خلقاً آخر أحدٌ. وقيل: هن الآدميات اللاتي متن أبكاراً. ومعنى الآية المبالغة في نفي الطمث عنهن؛ لأن ذلك أقر لأعين أزواجهن إذا لم يغشهن أحد غيرهم. وانظر ما أذكره في سورة (الواقعة). هذا؛ وقد ذكرت فيما مضى: أن أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: إن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة، وإن جزاءهم على طاعاتهم عدم دخول النار فبعد حضورهم الموقف يوم القيامة، ومحاسبتهم يصيرون تراباً كالبهائم. والمعتمد الأول. وبالله التوفيق وبه أستعين.

هذا؛ والإنس: البشر، الواحد: إنسي بكسر الهمزة فيهما، وجمع الإنسي: أناس، كما في قوله تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٧١]: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ...﴾ إلخ، وأناسيَّ، كما في قوله تعالى في سورة (الفرقان): ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ ويقال: أناسية، مثل: صيارفة وصياقلة. هذا؛ وسمي بنو آدم إنساً لظهورهم، وأنهم يؤنسون؛ أي: يبصرون، كما سمي الجن جناً لاجتنانهم؛ أي: لاختفائهم عن أعين البشر، وسُمِّي بنو آدم بشراً لبدوِّ بشرتهم، كما رأيت في الآية رقم [٢٤] من سورة (القمر)، وانظر شرح ﴿النَّاسَ﴾ في الآية رقم [٢٤] من سورة (الحديد). والله أعلم بمراده.

الإعراب: ﴿فِيهِنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿قَاصِرَاتُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿الطَّرْفِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم

الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَمۡ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَطۡمِثۡهُنَّ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمۡ﴾ والهاء مفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿إِنسٞ﴾ فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من المحذوف الموصوف بـ: ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾، أو في محل رفع صفة ثانية للموصوف المحذوف؛ إذ أصل الكلام: فيهن نساء قاصرات... إلخ. ﴿قَبۡلَهُمۡ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: صلة لتأكيد النفي. ﴿جَآنّٞ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ...﴾ إلخ: انظر إعرابها في الآية رقم [١٣].

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١﴾

الشرح: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضاً. وقيل: شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت؛ لأن أحسن الألوان البياض المشوب بحمرة، والأصح: أنه شبههن بالياقوت لصفائه؛ لأنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً، ثم استصفيته؛ لرأيت السلك من ظاهره لصفائه. وقال عمرو بن ميمون: إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة، فيرى مخ ساقها من وراء الحلل، كما يرى الشراب الأحمر من الزجاجة البيضاء. يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ المرأةَ مِنْ نِسَاءِ أهْلِ الجَنَّةِ ليُرى بياضُ سَاقِها مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً حتَّى يُرَى مُخُّها، وذَلِكَ؛ لأن الله تعالى يقول:** ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ **فأما الياقوت؛ فإنَّه حَجَرٌ لو أدخلتَ فيهِ سِلْكاً، ثمَّ اسْتَصْفَيتَهُ لأريته مِنْ ورائِهِ**». أخرجه الترمذي. وقد روي عن ابن مسعود بمعناه، ولم يرفعه، وهو أصح. انتهى. خازن. والياقوت جوهر نفيس أحمر اللون، يقال: إن النار لا تؤثر فيه، قال بعضهم: [الخفيف]

أَلْقِني في لظىً فإنْ غيَّرتني فتيقَّنْ أنْ لسْتُ بالياقُوتِ

ومن خواصه: أنه يقطع جميع الحجارة إلا الماس، فإنه يقطعه لصلابته، وقلة مائه، وشدة الشعاع، والثقل والصبر على النار. ففي الآية الكريمة تشبيه مرسل لوجود الأداة، أما وجه الشبه؛ فهو الصفاء، والبريق، واللمعان.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أولُ زمرةٍ تلجُ الجنةَ صورُهُمْ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدْرِ**». زاد في رواية: «**ثمَّ الذين يلونَهُمْ على أشدِّ كوكبٍ درِّيٍّ في السماءِ إضاءةً، لا يبصُقونَ فيها، ولا يمتخطونَ، ولا يتغوطونَ، آنيتهم الذهبُ والفضة، وأمشاطُهُمُ الذهبُ، ومجامرهم الألوَّةُ، ورشحُهُمُ المسكُ، ولكلِّ واحدٍ منهُمْ زوجتانِ، يُرى مخ سوقِهِمَا من**

وراء اللحم من الحسن، لا اختلافَ بينهم، ولا تباغضَ، قلوبُهُمْ قلبُ رجلٍ واحدٍ، يسبحونَ اللهَ بكرةً وعشياً». متفق عليه. وللبخاري: قلوبهم على قلب رجل واحد. وزاد فيه: «ولا يسقمون». مجامرهم الألوة يعني: بخورهم العود. هذا؛ والياقوت جوهر نفيس، يقال: إن النار لا تؤثر فيه، ومن المعلوم: أن الياقوت أحمر اللون. فهذا التشبيه يقتضي: أن لون أهل الجنة البياض المشرب بحمرة، فبينا في المقرر المعلوم من أنه البياض المشرب بصفرة. وعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت لرسول الله ﷺ: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال: «**صفاؤهن كصفاء الدرِّ، الذي في الأصدافِ، الذي لا تمسُّه الأيدي**».

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ أي: ما جزاء من أحسن العمل في الدنيا إلا أن يحسن الله إليه في الآخرة بدخول الجنة، والرضا عنه، كما قال تعالى في سورة (يونس) رقم [٢٦]: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وقال في سورة (النجم) رقم [٣١]: ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية فقال: «**يقولُ الله: هل جزاءُ مَنْ أنعمتُ عليهِ بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنهُ جنتي، وحظيرة قدسِي برحمتي**».

وقال محمد بن الحنفية، والحسن البصري ـ رضي الله عنهما ـ: هي مسجلة للبر، والفاجر؛ أي: مرسلة، يعني أن كل من أحسن أحسن الله إليه، وكل من أساء أسيء إليه، وخذ قول النبي ﷺ وهو من شواهد النحو على حذف كان مع اسمها، أو على حذفها مع خبرها فمن الأول: «**الناسُ مجزيُّون بأعمالهمْ، إنْ خيراً؛ فخيرٌ وإن شراً فشرٌّ**». أي: إن كان عملهم خيراً؛ فجزاؤهم خيرٌ، وإن كان عملُهم شراً؛ فجزاؤهم شرٌّ. ومن الثاني وهي رواية أخرى: «**إنْ خيرٌ فخيراً، وإن شرٌّ فشراً**». أي: إن كان في عملهم خير فسيجزون خيراً. وإن كان في عملهم شر فسيجزون شراً. ولا تنس جواب الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام لما سأله عن الإحسان، فقال له: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

بعد هذا ف: «هل» تأتي على أوجه: تكون بمعنى قد، كما في قوله تعالى في سورة (الإنسان) رقم [١]: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ...﴾ إلخ، وتكون بمعنى الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا...﴾ إلخ رقم [٤٤] من سورة (الأعراف)، وتكون بمعنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ رقم [٩١] من سورة (المائدة)، وتكون بمعنى التمني، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ رقم [٥٣] من سورة (الأعراف)، وتكون بمعنى النفي كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ رقم [٣٥] من سورة (النحل)، والنفي في الآية التي نحن بصدد شرحها لا يخفى، وانظر مبحث ﴿هَلْ﴾ وشواهدها في كتابنا: «فتح القريب المجيب».

الإعراب: ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿ٱلْيَاقُوتُ﴾: خبر (كأنَّ)، والجملة الاسمية في محل رفع صفة للموصوف بـ: ﴿قَٰصِرَٰتُ﴾

وهو محذوف، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، التقدير: مشبهات الياقوت... إلخ. ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾: الواو: حرف عطف. (المرجان): معطوف على ما قبله. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام بمعنى (ما) النافية. ﴿جَزَآءُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْإِحْسَٰنُ﴾: خبر المبتدأ، وهو في المعنى فاعل بالمصدر ﴿جَزَآءُ﴾. تأمل. وانظر إعراب: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ...﴾ إلخ في الآية رقم [١٣]. والجملة: ﴿هَلْ جَزَآءُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي: ومن دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ومن دونهما في الدَّرج. وقال ابن زيد: ومن دونهما في الفضل. وقال أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ: جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين. وقال ابن جريج: هن أربع جنان: جنتان للمقربين السابقين، فيهما من كل فاكهة زوجان. وجنتان لأصحاب اليمين، والتابعين فيهما فاكهة، ونخل، ورمان. وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**جنتان من فضة آنيتهما، وما فيهما، وجنتانِ من ذهب آنيتهما، وما فيهما، وما بين القوم، وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**».

وقال الكناني: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ يعني: أمامهما وقبلهما، يدل عليه قول الضحاك: الجنتان الأوليان من ذهب، وفضة، والجنتان الأخريان من ياقوت، وزبرجد، وهما أفضل من الأوليين، انتهى. خازن وغيره، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ أي: خضراوان، أو سوداوان من ريهما، وشدة خضرتهما؛ لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد، والدهمة في اللغة السواد، يقال: فرس أدهم، وبعير أدهم، وناقة دهماء؛ أي: اشتدت زرقته حتى ذهب البياض الذي فيه، والعرب تقول لكل أخضر: أسود، قال لبيد ـ رضي الله عنه ـ يرثي قتلى هوازن: [الطويل]

وَجَاؤُوا بِهِ فِي هَوْدَجٍ وَوَراءَهُ ... كتائِبُ خُضْرٌ في نَسِيجِ السَّنَوَّرِ

ويعني (به) قتادة بن مسلمة الحنفي، والسنور: لبوس من قدٍّ كالدرع. وسميت قرى العراق سواداً لكثرة خضرتها، ويقال لِلَّيْل المظلم: أخضر، ويقال: أباد الله خضراءهم؛ أي: سوادهم. هذا؛ والجنة في الأصل: البستان الكثير الأشجار، وسميت بذلك؛ لأنها تجن؛ أي: تستر من يدخل فيها لكثرة أشجارها، وكثافتها، قال أبو عمر الداني: ولا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى في سورة (الرحمن): ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾.

الإعراب: ﴿وَمِن﴾: (الواو): حرف عطف، أو حرف استئناف. (من دونهما): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿جَنَّتَانِ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الفاء. ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾: صفة ﴿جَنَّتَانِ﴾ مرفوع مثله... إلخ، وانظر إعراب قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ...﴾ إلخ في الآية [١٣].

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: فوارتان بالماء، قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. والنضخ بالخاء أكثر من النضح بالحاء، والجري أقوى من النضخ، وقال ابن عباس، والضحاك: تنضخان بالخير والبركة على أهل الجنة. وقال ابن مسعود، وابن عباس وأنس ـ رضي الله عنهم ـ: تنضخان بالمسك، والكافور، والعنبر على أولياء الله في دور الجنة كطش المطر. وقيل: المعنى: ممتلئتان، ولا تنقطعان. ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾: أفردهما بالذكر لشرفهما على غيرهما، كقوله تعالى في التنويه بشأن الصلاة الوسطى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ رقم [٢٣٨] من سورة (البقرة)، وكقوله في التنويه بشأن جبريل وميكائيل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ الآية رقم [٩٧] من سورة (البقرة). وقال بعض العلماء: ليس الرمان، والنخل من الفاكهة؛ لأن الشيء لا يعطف على نفسه، وإنما يعطف على غيره، وهذا ظاهر الكلام. وقيل: إنما أفردهما بالذكر؛ لأن النخل، والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا؛ لأن النخل عامة قوتهم، والرمان كالثمرات، فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليهما، وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التي يعجبون بها، فإنما ذكر الفاكهة، ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة، إلى ما والاها من أرض اليمن، فأخرجهما في الذكر من الفواكه، وأفرد الفواكه على حدتها. وقيل: أفردا بالذكر؛ لأن النخل ثمرة فاكهة، وطعام، والرمان فاكهة، ودواء، فلم يخلصا للتفكه، ولذا قال أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا حلف أن لا يأكل فاكهة، فأكل رماناً، أو رطباً؛ لم يحنث. وخالفه صاحباه، والناس في ذلك.

هذا؛ وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«نظرتُ إلى الجنَّةِ فإذَا الرُّمَّانَةُ من رُمَّانِها كالبعيرِ المُقَتَّبِ»** وفي بعض الأخبار: نخل الجنة نضيد، من أصلها إلى فرعها، وثمرها أمثال القلال، كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى، وإن ماءها ليجري في غير أخدود، والعنقود اثنا عشر ذراعاً.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد! أفي الجنة فاكهة؟ قال: «**نَعَمْ فِيهَا فاكِهةٌ ونخلٌ ورُمَّانٌ**» قالوا: أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا؟ قال: «**نعمْ وأضعافٌ**». قالوا: فيقضون الحوائج؟ قال: «**لَا؛ ولكنَّهُمْ يعرقونَ، ويَرْشَحُونَ فيذهَبُ ما في بطونِهِمْ من أذىً**» أخرجه عبد بن حميد في مسنده. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فِيهِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿عَيْنَانِ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾: صفة ﴿عَيْنَانِ﴾ مرفوع مثله، وعلامة الرفع فيهما الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فِيهِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿فَٰكِهَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، وما بعده معطوف عليه، والجملة الاسمية مستأنفة مثل التي قبلها، لا محل لها، وانظر إعراب: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ...﴾ إلخ في الآية رقم [١٣].

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في الجنان الأربع. ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾: عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت قلت: لرسول الله ﷺ: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ قال: «**خيراتُ الأخلاقِ حسانُ الوجوه**». رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، وإذا كان الله قد وصفهن بكرم الأخلاق وحسن الوجوه؛ فمن هذا الذي يعرف مقدار ذلك.

وفي الحديث: «**إن الحور يأخذ بعضهن بأيدي بعض، ويتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بأحسن منها، ولا بمثلها: نحن الراضيات، فلا نسخطُ أبداً، ونحن المقيماتُ، فلا نظعن أبداً، ونحن الخالدات، فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات، فلا نبؤس أبداً، ونحن خيراتٌ حسانٌ حبيباتٌ لأزواجٍ كرام**». خرجه الترمذي بمعناه من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ. وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصلياتُ، وما صليتُنَّ، ونحنُ الصائماتُ، وما صمتُنَّ، ونحنُ المتوضئاتُ، وما توضأتُنَّ، ونحن المتصدقات، وما تصدقتُنَّ. فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: فغلبنهنَّ والله!.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾: محبوسات، مستورات، ﴿فِي ٱلْخِيَامِ﴾: في الحجال لسن بالطوافات في الطرق. هذا؛ وقد قال تعالى في الأولين: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي قصرن طرفهن على الأزواج، ولم يذكر: أنهن مقصورات، فدل على أن المقصورات أعلى،

وأفضل. وفي الصحاح: وقصرت الشيء، أقصره قصراً: حبسته، وامرأة قصيرة، وقصورة؛ أي: مقصورة في البيت بمعنى: مخدرة لا تُتْرَكُ أن تخرج، قال كثير عزة يخاطبها: [الطويل]

وأنتِ التي حَبَّبْتِ كُلَّ قَصيرةٍ إليَّ وَمَا تَدْرِي بذاكَ القَصَائِرُ

عنيْتُ قصيراتِ الحجالِ ولم أُرِدْ قِصَارَ الخُطَى شَرُّ النِّساءِ البَحَاتِرُ

﴿فِي ٱلْخِيَامِ﴾: جمع: خيمة، قيل: خيام الجنة من درٍّ ولؤلؤ، وزبرجد، مجوف، تضاف إلى القصور في الجنة. وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ للْمُؤمِنِ في الجنةِ لَخيمةً مِنْ لُؤلؤةٍ واحدةٍ مجوَّفَةٍ، طُولُهَا في السماءِ سِتُّونَ ميلاً، لِلْمؤمِن فيها أهلونَ، يطوفُ عليهِم المؤمنُ، فلا يرى بعضُهُمْ بَعْضاً**». رواه البخاري، ومسلم، والترمذي. ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٥٦].

الإعراب: ﴿فِيهِنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿خَيْرَٰتٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿حِسَانٌ﴾: صفة ﴿خَيْرَٰتٌ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿حُورٌ﴾: بدل من ﴿خَيْرَٰتٌ﴾، أو هو مبتدأ خبره محذوف، التقدير: فيهن حور، وعليه فالجملة الاسمية مستأنفة مثل سابقتها، لا محل لها. ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾: صفة ﴿حُورٌ﴾. ﴿فِي ٱلْخِيَامِ﴾: متعلقان بـ: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾. ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ...﴾ إلخ انظر إعرابها في الآية رقم [٥٦]. والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿حُورٌ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه، بما تقدم، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلست مفنداً.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

الشرح: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: انظر الآية رقم [٥٤]. ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾: الرفرف: رياض الجنة. ﴿خُضْرٍ﴾: مخصبة، ويروى هذا عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وقيل: إن الرفرف البسط. وقيل: الفرش المرتفعة. وقيل: كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف، قال ابن مقبل: [الطويل]

وإنا لَنَزَّالُونَ تغْشَى نِعالُنَا سَوَاقِطَ مِنْ أصْنَافِ رَيْطٍ ورَفْرَفِ

وقال عاصم الجحدري: الرفرف: الوسائد، وهو قول الحسن البصري. هذا؛ وقال الترمذي: فالرفرف أعظم خطراً من الفرش، فذكر في الأوليين: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وقال هنا: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ فالرفرف هو شيء إذا استوى عليه الولي رفرف به؛ أي: طار به هكذا وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح. هذا؛ ورفرف اسم للجمع، فلذلك نعت بـ: ﴿خُضْرٍ﴾ وهو جمع: أخضر، فهو كقولك: رهط كرام، وقوم لئام. وقيل: هو جمع، واحده: رفرفة.

﴿وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾: قيل: هي الزرابي، والطنافس الثخان. وقيل: هي الطنافس الرقاق. وقيل: كل ثوب موشىً عند العرب، فهو عبقري. قاله العتبي. وقال أبو عبيد: هو منسوب إلى أرض يعمل فيها الوشي، فينسب إليها كل وشي حُبِك، قال ذو الرمة: [البسيط]

حتَّى كأنَّ رِيَاضَ الْقُفِّ أَلْبَسَها مِنْ وشْيِ عَبْقَرَ تَجْلِيلٌ وتنجيدُ

وقال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقري عند العرب، ومنه قول النبي ﷺ في عمر: «**فلمْ أَرَ عَبْقَرِيّاً يَفْرِي فَرِيَّهُ**» وأصل هذا فيما قيل: إنه نسب إلى عبقر، وهي أرض يسكنها الجن، فصار مثلاً لكل منسوب إلى شيء رفيع عجيب، وذلك: أن العرب تعتقد في الجن كل صفة عجيبة، وأنهم يأتون بكل أمر عجيب، ولما كانت عبقر معروفة بسكنى الجن؛ نسبوا إليها كل شيء عجيب. هذا؛ وقد قال أبو عمرو بن العلاء، وقد سئل عن قول النبي ﷺ في عمر ـ رضي الله عنه ـ: «**فلم أرْ عَبْقَرِيّاً يفري فرِيَّهُ**» فقال: العبقري رئيس قوم وجليلهم.

والحديث بتمامه كما يلي، قال النبي ﷺ: «**بينا أنا نائم رأيتني على قليب، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذنوباً، أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غرباً؛ فأخذها ابن الخطاب فاستحالت في يده غرباً، فلم أر عبقريّاً من الناس يفري فريَّه؛ فنزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن**». (القليب): البئر. (الذنوب): الدلو العظيمة. (غرباً): دلواً كبيراً. وفي نزعه ضعف: إشارة إلى مدة خلافته، وهي سنتان. (ضرب الناس بعطن): حتى اتخذ الناس حولها بركاً لإبلهم لغزارة مائها. أخرج الحديث البخاري من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، وقال زهير بن أبي سلمى: [الطويل]

بِخَيْلٍ عَلَيها جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جديرونَ يوماً أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا

أقول: وبالجملة فالعبقري من كل نوع، ومن أي شيء ما يجمع فضائل ذلك النوع، وفضائل ذلك الشيء مثل لفظ: (كريم) فإنه صفة جليلة لكل ما يرضي في بابه. انظر الآية رقم [١١] من سورة (الحديد). وقال الجوهري: العبقري: موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن، قال لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

ومَنْ سادَ مِنْ إخوانِهِمْ وبنيهِم كهولٌ وشبَّانٌ كجِنَّةِ عَبْقَرِ

وقال آخر: [المتقارب]

فَوَارِسُ ذُبْيَانَ تَحتَ الحَدِيـ ـدِ كالجِنِّ يُوفِضْنَ من عَبْقَرِ

ثم نسبوا إليه كل شيء يعجبون من حذقه، وجودة صنعته، وقوته، فقالوا: عبقري، وهو واحد وجمع. هذا؛ وروى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قرأ: (متكئين على رَفَارِفَ خضرٍ وعَبَاقِرَ حسَانٍ).

تنبيه بل فائدة: يقول الغربيون، والشرقيون عن النبي ﷺ: عبقري، ولا يقولون: نبي، ورسول؛ لأنهم لا يعترفون بنبوته، ورسالته، ويريدون أن يلفتوا أنظار الناس عن الغرض الأسمى، والغاية العظمى من اتباعه والاهتداء بهديه. ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ...﴾ إلخ: تكاثر خيره من البركة، وهي كثرة الخير، وزيادته، ومعنى «تبارك الله»: تزايد خيره، وتكاثر، أو تزايد عن كل شيء، وتعالى عنه في صفاته، وأفعاله، وهي كلمة تعظيم، وتقديس، لم تستعمل إلا لله وحده، وهو ملازم للماضي، لا يأتي منه مضارع، ولا أمر، قال الطِّرِمَّاحُ: [الطويل]

تَبَارَكْتَ لَا مُعْطٍ لِشَيءٍ مَنَعْتَهُ   ولَيْسَ لِمَا أعطيتَ يَا رَبُّ مَانِعُ

وقال آخر: [الطويل]

تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرْ يَقَعْ ولَكَ الشُّكْرُ

أي ما تقدِّر من القضاء، والقدَر. والمعنى: تعالى اسمه من حيث إنه مطلق على ذاته، فما بالك بذاته؟ وقيل: ﴿ٱسۡمُ﴾ بمعنى الصفة، أو هو مقحم، قال لبيد بن ربيعة العامري ـ رضي الله عنه ـ من أبيات قالها لابنتيه قرب وفاته: [الطويل]

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسمُ السلامِ عليْكُمَا   وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فقدِ اعْتَذَرْ

هذا؛ وقال القرطبي: أي: هذا الاسم، الذي افتتح به هذه السورة، كأنه يعلمهم أن هذا كله خرج لكم من رحمتي، فمن رحمتي خلقتكم، وخلقت لكم السماء، والأرض، والخلق، والخليقة، والجنة، والنار، فهذا كله لكم من اسم الرحمن، فمدح اسمه، ثم قال: ﴿ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ أي: جليل في ذاته، كريم في أفعاله. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٧]. هذا؛ وقيل: لما ختم الله نعم الدنيا بقوله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ وفيه إشارة إلى أن الباقي هو الله تعالى وأن الدنيا فانية؛ ختم نعمة الآخرة بهذه الآية، وهو إشارة إلى تمجيده، وتحميده.

هذا؛ وعن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته؛ استغفر ثلاثاً، وقال: «**اللهمَّ أنتَ السلامُ، ومنكَ السلامُ، تباركْتَ يا ذَا الجَلَالِ، والإكرامِ**». أخرجه مسلم. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة؛ لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «**اللهمَّ أنتَ السلامُ، ومنكَ السلامُ، تَبارَكْتَ يا ذَا الجلالِ والإكرامِ**». أخرجه أبو داود، والنسائي.

الإعراب: ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: حال عامله محذوف على مثال ما رأيت في الآية رقم [٥٤] إذ التقدير: يتنعمون متكئين، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَلَىٰ رَفۡرَفٍ﴾: متعلقان بمتكئين. ﴿خُضۡرٖ﴾: صفة ﴿رَفۡرَفٍ﴾. ﴿وَعَبۡقَرِيٍّ﴾: الواو: حرف عطف. (عبقري): معطوف على ﴿رَفۡرَفٍ﴾. ﴿حِسَانٖ﴾: صفة (عبقري). ﴿تَبَٰرَكَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱسۡمُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف

في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ذِى﴾: صفة ﴿رَبِّكَ﴾ مجرور مثله، وقرأ ابن عامر: (ذو) بالواو صفة للاسم، وعلامة الجر الياء، أو علامة الرفع الواو نيابة عن الكسرة، أو الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذِى﴾ مضاف، و﴿ٱلْجَلَٰلِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾: الواو: حرف عطف. (الإكرام): معطوف على ما قبله. وجملة: ﴿تَبَٰرَكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

خاتمة: ذكرت لك في مقدمة هذه السورة الحديث الذي رواه جابر عن النبي ﷺ، وذكرت لك: أن الآية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ...﴾ إلخ كررت في هذه السورة إحدى وثلاثين مرة، وتفصيلها هنا: أن ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق، ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار، وشدائدها على عدد أبواب جهنم، وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما على عدد أبواب الجنة، وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين اللتين دونهما، فمن اعتقد الثمانية الأولى، وعمل بموجبها، فتحت له أبواب الجنة، وأغلقت عنه أبواب جهنم، نعوذ بالله منها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

انتهت سورة (الرحمن) شرحاً وإعراباً بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.

 

سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (الواقعة) وهي مكية في قول الحسن، وعكرمة، وجابر، وعطاء. وقال ابن عباس، وقتادة: إلا آية منها نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾. وهي سبع وتسعون آيةً، وثلاثمئة وثمان وسبعون كلمةً، وألف وسبعمئة وثلاثة أحرف.

قال مسروق ـ رحمه الله تعالى ـ: من أراد أن يعلم نبأ الأولين، والآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة؛ فليقرأ سورة (الواقعة). وذكر أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد»: أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ دخل على ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، يعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: أفلا نأمر لك بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه، حبسته عني في حياتي، وتدفعه لي عند مماتي، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفاقة من بعدي، إني أمرتهن أن يقرأن سورة (الواقعة) كل ليلة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قرأَ سورَةَ الواقعةِ كُلَّ لَيْلَةٍ لم تُصِبْهُ فاقةٌ أبداً**». أخرجه البغوي.

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي: إذا قامت القيامة، والواقعة: اسم للقيامة، مثل الآزفة، وسميت بذلك لتحقق وجودها، ووقوعها، كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ وسميت بذلك لكثرة ما يقع فيها من الشدائد، والمراد: النفخة الأخيرة؛ التي يخرج الناس فيها من قبورهم للحساب، والجزاء.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي: نفس كاذبة؛ أي: لا تكون حين تقع القيامة نفس تكذب على الله، وتكذب في تكذيب الغيب؛ لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة، وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات، فهي كقوله تعالى في سورة (غافر): ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ رقم [٨٤] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ رقم [٥٥] من سورة (الحج).

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: تخفض المتكبرين، وترفع المستضعفين. وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: خفضت أعداء الله في النار، ورفعت أولياء الله في الجنة. وقال محمد بن كعب القرظي: خفضت أقواماً كانوا في الدنيا مرفوعين ورفعت أقواماً كانوا في الدنيا مخفوضين. والخفض، والرفع يستعملان عند العرب في المكان، والمكانة، والعز، والمهانة، ونسب سبحانه الخفض، والرفع للقيامة، توسعاً ومجازاً على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل، والزمان، وغيرهما مما لم يكن منه الفعل، يقولون: ليلٌ نائمٌ، ونهارٌ صائمٌ. قال تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ رقم [٣٣] من سورة (سبأ) والخافض، والرافع على الحقيقة إنما هو الله تعالى وحده، فرفع أولياءه في أعلى الدرجات، وخفض أعداءه في أسفل الدركات، وبينهما مطابقة.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: إذا حركت، وزلزلت زلزالاً، قال تعالى في سورة (الزلزلة): ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا...﴾ إلخ، وذلك: أن الله عز وجل إذا أوحى إليها اضطربت فرقاً، ووجلاً. قال المفسرون: ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها، وينكسر كل شيء عليها من الجبال، وغيرها. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الرجة: الحركة الشديدة يسمع لها صوت.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس، والبسيسة: السويق، أو الدقيق يُلَتُّ بالسمن، أو بالزيت، ثم يؤكل، ولا يطبخ، وقد يتخذ زاداً. قال الراجز: [الرجز]

لا تَخْبِزَا خُبْزاً وبُسَّا بَسَّا ... وَلَا تُطِيلَا بِمُنَاخٍ حَبْسَا

وقال الحسن: ﴿وَبُسَّتِ﴾ قلعت من أصلها، فذهبت. نظيره قوله تعالى في سورة (طه) رقم [١٠٥]: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾.

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ أي: غباراً متفرقاً منتشراً كالذي يرى في شعاع الشمس من كوة في بيت مظلم، قال تعالى في حق أعمال الكفار الصالحة ونتيجتها يوم القيامة الآية رقم [٢٣] من سورة (الفرقان): ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾، انظر شرحها هناك تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وانظر ما ذكرته في سورة (النمل) رقم [٨٨] تجد ما يسرك ويثلج صدرك، وقد أعدته في سورة (النبأ).

الإعراب: ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب، متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر وقت وقعت الواقعة. وقيل: هي ظرف مجرد عن الشرطية مثل سابقه متعلق بـ: ﴿لَيْسَ﴾ من حيث ما فيها من معنى النفي. وقيل: هي شرطية، وجوابها محذوف، التقدير: إذا وقعت الواقعة؛ كان كيت، وكيت. وقيل: هي شرطية، والعامل فيها الفعل الذي بعدها، ويليها. وقيل: هي في محل رفع مبتدأ، وخبرها: ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾. وقيل: هي ظرفية مجردة عن الشرطية متعلقة بـ: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ وقيل: متعلقة بـ: ﴿رُجَّتِ﴾. وقيل: متعلقة بما دل عليها: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾. وقيل: متعلقة

بقوله: ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ هذا؛ وقال الجرجاني: (إذا) صلة؛ أي: وقعت الواقعة، مثل: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ و﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾. انتهى. جمل نقلاً من هنا، وهناك، وقد تصرفت فيه كثيراً.

﴿وَقَعَتِ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿ٱلۡوَاقِعَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على بعض الأقوال المتقدمة، وهو المشهور المرجوح، وابتدائية لا محل لها على بعض الأقوال، ولا سيما قول الجرجاني. ﴿لَيۡسَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لِوَقۡعَتِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَيۡسَ﴾ تقدم على اسمها، (وها): في محل جر بالإضافة. ﴿كَاذِبَةٌ﴾: اسم ﴿لَيۡسَ﴾ مؤخر، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ على بعض الأقوال المتقدمة، ومستأنفة على بعضها الآخر. ﴿خَافِضَةٞ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي خافضة. ﴿رَّافِعَةٌ﴾: خبر ثان للمبتدأ المحذوف، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿ٱلۡوَاقِعَةُ﴾، ويقرأ بنصب الاسمين على أنهما حالان من ﴿ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ أيضاً، والفراء قدر: «وقعت خافضةً رافعةً». واستبعد مكي الأول؛ لأن الحال في أكثر أحوالها إنما تكون لما يمكن أن يكون، ويمكن ألا يكون، والقيامة لا شك في أنها ترفع قوماً إلى الجنة، وتخفض آخرين إلى النار، لا بد من ذلك، فلا فائدة في الحال، أقول: وهو فحوى قول ابن مالك في ألفيته: [الرجز]

وكَوْنُهُ مُنْتَقِلاً مُشْتَقَّا ... يَغْلِبُ لَكِنْ لَيْسَ مُسْتَحِقّا

﴿إِذَا﴾: بدل من قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾ وقيل: تأكيد لها، أو خبر لها على أنها مبتدأ، ويجوز أن تكون متعلقة بـ: ﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾ أي: تخفض، وترفع وقت رج الأرض، وبس الجبال؛ لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع، ويرتفع ما هو منخفض. وقيل: أي: وقعت الواقعة إذا رجت الأرض. قاله الزجاج، والجرجاني، وهذا يعني: أن ﴿إِذَا﴾ متعلقة بالفعل ﴿وَقَعَتِ﴾. وقيل: متعلقة بفعل محذوف، تقديره: اذكر وقت رجت الأرض. ﴿رُجَّتِ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿رَجّٗا﴾: مفعول مطلق، وإعراب: ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا﴾ مثل سابقتها بلا فارق، وهي معطوفة عليها، فهي في محل جر مثلها. ﴿فَكَانَتۡ﴾: (الفاء): حرف عطف. (كانت): فعل ماض ناقص، والتاء للتأنيث، واسمها ضمير مستتر تقديره هي يعود إلى ﴿ٱلۡجِبَالُ﴾. ﴿هَبَآءٗ﴾: خبر (كان). ﴿مُّنۢبَثّٗا﴾: صفة ﴿هَبَآءٗ﴾. وجملة: ﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر أيضاً. تأمل.

﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ﴾ أي: أصنافاً ثلاثة، كل صنف يشاكل ما هو منه، كما يشاكل الزوج الزوجة، وكل صنف يكون، أو يذكر مع صنف آخر فهو زوج، وانظر ما ذكرته في سورة

(الذاريات) رقم [٤٩]. هذا؛ و(كان) في القرآن الكريم تأتي على أوجه: تأتي بمعنى الأزل، والأبد، وبمعنى المضي المنقطع، وهو الأصل في معناها، وبمعنى الحال، وبمعنى الاستقبال، وبمعنى «صار»، كما في هذه الآية، وسابقتها، وبمعنى حضر، وحصل، ووجد. وترد للتأكيد، وهي الزائدة، وهي بمعنى الاستمرار في نحو: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فليست على بابها من المضي، وإن المعنى: كان، ولم يزل كائناً إلى يوم القيامة، وإلى أبد الآبدين في الدنيا والآخرة. وينبغي أن تعلم: أن الأفعال في هذه الآيات قد جاءت بلفظ الماضي، والمراد المستقبل، وإنما جاءت بلفظ الماضي لتحقق الوقوع.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ...﴾ إلخ: هذا شروع في تفصيل، وشرح أحوال الأزواج الثلاثة، فذكرت أحوالهم أولاً على سبيل الإجمال بقوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ...﴾ إلخ، ثم على سبيل التفصيل بقوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ...﴾ إلخ، وبقوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ...﴾ إلخ، وبقوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ...﴾ إلخ. هذا؛ وبين ﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ و﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ مطابقة. ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار. وقيل: (أصحاب الميمنة) هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم. وقيل: (أصحاب الميمنة) هم الذين كانوا ميامين؛ أي: مباركين على أنفسهم، وكانت أعمالهم صالحة في طاعة الله، وهم التابعون لهم بإحسان، و(أصحاب المشأمة) هم المشائيم على أنفسهم، وكانت أعمالهم في المعاصي؛ لأن العرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى. وقيل: (أصحاب الميمنة) هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه، وقال الله تعالى: هؤلاء إلى الجنة، ولا أبالي. و(أصحاب المشأمة) هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية من صلبه، وقال الله تعالى: هؤلاء إلى النار، ولا أبالي. قاله ابن عباس، والسدي.

والتكرير للتفخيم والتعجيب مثل قوله تعالى في سورة (الحاقة): ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾، وفي سورة (القارعة): ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾. والمراد: تكثير ما لأصحاب الميمنة من الثواب، وما لأصحاب المشأمة من العقاب.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**السَّابِقونَ الذين إذا أُعطُوا الحقَّ قبلوه، وإذا سئِلوهُ بذلوهُ، وحكموا للناس كحكمهمْ لأنفسِهِمْ**». ذكره المهدوي، وقال محمد بن كعب القرظي: إنهم الأنبياء. وقال الحسن، وقتادة: هم السابقون إلى الإيمان من كل أمة، لذا قيل: إنهم أربعة، منهم سابق أمة موسى عليه السلام، وهو حزقيل مؤمن آل فرعون، وسابق أمة عيسى عليه السلام، وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية، وسابقان في أمة محمد ﷺ، وهما: أبو بكر، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ حكاه الماوردي. أقول: إذاً هم قليلون، والمعنى لا يؤيده؛ لذا فإني أعتمد ما يلي:

قال شُمَيْط بن العجلان: الناس ثلاثة، فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه، ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا؛ فهذا هو السابق المقرب. ورجل ابتكر عمره بالذنوب، وطول الغفلة، ثم رجع بتوبته؛ فهذا صاحب اليمين، ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه، ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا؛ فهذا صاحب الشمال.

أقول: ومن الأول بلا ريب الأنبياء، والصديقون، وهذا يعني: أن الأزواج الثلاثة هم من أتباع الرسل، وأما الكافرون، والمشركون؛ فيساقون إلى جهنم سوقاً، كما قال تعالى في سورة (مريم) رقم [٨٦]: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾، ويؤيد هذا قوله تعالى في سورة (فاطر) رقم [٦٢]: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

والحكمة من تأخير السابقين في الذكر ـ وهم أولى بالتقديم ـ على أصحاب اليمين: أن الله جلت قدرته، وتعالت حكمته ذكر في أول السورة من الأمور الهائلة ما ذكر من العقاب، تخويفاً لعباده، فإما محسن؛ فيزداد رغبةً في الثواب، وإما مسيء؛ فيرجع عن إساءته خوفاً من العقاب، فلذلك قدم أصحاب اليمين؛ ليسمعوا، ويرغبوا، ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا، ثم ذكر السابقين، وهم الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر؛ ليجتهد أصحاب اليمين في القرب من درجتهم. انتهى. خازن بتصرف كبير.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: من الله في جواره، وفي ظل عرشه، ودار كرامته، وهو قوله تعالى: ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾. وقال ابن أبي حاتم: قالت الملائكة: يا رب جعلت لبني آدم الدنيا، فهم يأكلون، ويشربون، ويتزوجون، فاجعل لنا الآخرة، قال: لا أفعل، فراجعوا ثلاثاً، فقال: لا أجعلُ مَنْ خلقتُ بيدي، كمن قلت له: كنْ فكانَ، ثم قرأ عبد الله بن عمرو بن العاص: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَكُنتُمْ﴾: (الواو): حرف عطف. (كنتم): فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿أَزْوَٰجًا﴾: خبر (كان). ﴿ثَلَٰثَةً﴾: صفة ﴿أَزْوَٰجًا﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿فَأَصْحَٰبُ﴾: (الفاء): حرف استئناف. (أصحاب): مبتدأ أول. ﴿مَآ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر الأول، والرابط إعادة المبتدأ الأول بلفظه، وإنما ظهر الاسم الثاني؛ وحقه أن يكون مضمراً؛ لتقدم إظهاره ليكون أجل في التعظيم، والتعجب، وأبلغ، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾. انتهى. مكي. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وإعراب: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ...﴾ إلخ مثلها بلا فارق. ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾: (الواو): حرف عطف. (السابقون): مبتدأ. ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾: خبره، وساغ وقوع الخبر

بلفظ المبتدأ، لاختلافهما في التأويل، والمعنى؛ إذ المعنى السابقون إلى الإيمان السابقون إلى الجنة، أو السابقون إلى طاعة الله السابقون إلى رحمته، وفي حديث الشفاعة، تكرر قول الرسل: «ربي نفسي نفسي» ومن هذه المشكاة قول أبي النجم العجلي: [الرجز]

أَنَا أَبُو النجمِ وشِعْرِي شِعْرِي ... للهِ دَرِّي ما يَجِنُّ صَدْرِي؟!

إذا المعنى: شعري المعروف بالفصاحة والبلاغة هو شعري لم يتغير عن حالته. وأيضاً قول خالد بن صخر الهذلي: [الطويل]

رَفَوْنِي وقَالُوا: يَا خُوَيْلِدُ لَا تُرَعْ ... فَقُلْتُ وأنكَرْتُ الوجوه هُمُ هُمُ

إذ المعنى: هم الكاملون في الشجاعة، والشهامة، والنجدة لم يتغيروا. هذا؛ وقيل: ﴿السَّٰبِقُونَ﴾ الثاني تأكيد للأول، والخبر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ وقوى هذا مكي، والجلال. وقوى الأول الزمخشري، وأبو البقاء، وسليمان الجمل نقلاً عن أبي السعود.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه ورفع ما قبله الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿السَّٰبِقُونَ﴾ على اعتبار الثاني تأكيداً، وفي محل رفع خبر ثان على اعتبار الثاني خبراً له، والاستئناف ممكن. تأمل. ﴿فِي جَنَّٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان لاسم الإشارة، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾، أو هما متعلقان به نفسه؛ لأنه اسم مفعول، أو هما متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم في جنات، ومحل الجملة الاسمية هذه: خبر ثان، أو حال، أو هي مستأنفة، لا محل لها، و﴿جَنَّٰتِ﴾ مضاف، و﴿النَّعِيمِ﴾ مضاف إليه.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ (١٦)﴾

الشرح: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: جماعة من الأمم الماضية غير محصورة العدد من لدن آدم إلى زمن نبينا، وحبيبنا، وشفيعنا ﷺ. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: ممن آمن بمحمد ﷺ. وسموا قليلاً بالإضافة إلى من كان قبلهم؛ لأن الأنبياء المتقدمين كثروا، فكثر السابقون إلى الإيمان منهم، فزادوا على عدد من سبق إلى التصديق من أمتنا. وقيل: لما نزل هذا شق على أصحاب رسول الله ﷺ، فنزل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال النبي ﷺ: «**إني لأرجو أنْ تكونوا رُبُعَ أهلِ الجنةِ، بلْ ثلثَ أهلِ الجنةِ، بل نصفَ أهلِ الجنةِ، وتقاسمُونهُمْ في النصفِ الثاني**». رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ. ذكره الماوردي، وغيره، ومعناه ثابت في صحيح مسلم

من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. وانظر ما أذكره في الآية رقم [٣٩] و [٤٠] وكأنه أراد: أنها منسوخة، والأشبه: أنها محكمة؛ لأنها خبر، ولأن ذلك في جماعتين مختلفتين.

هذا؛ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**الثُّلتانِ جميعاً مِنْ أمتي**». وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: «**كِلَا الثُّلَّتَيْنِ من أمةِ محمد ﷺ، فمنهم من هو في أول أمته، ومنهم من هو في آخرها**». وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ رقم [٣٢] من سورة (فاطر).

هذا؛ و﴿ثُلَّةٌ﴾ بضم الثاء: الجماعة من الناس، والكثير من الدراهم، وقد تفتح الثاء، وبالكسر: الهلكة، والجمع: كعنب، وبفتح الثاء: جماعة الغنم، أو الكثير منها، أو من الضأن خاصة، والجمع: ثِلَل، وثِلَال، مثل: بِدَر، وسِلال. انتهى. قاموس بتصرف. هذا؛ ومن الأول قول الشاعر: [الطويل]

وجَاءَتْ إلَيْهِمْ ثُلَّةٌ خَنْدَفِيَّةٌ ... بِجَيْشٍ كَتَيَّارٍ مِنَ السَّيْلِ مُزْبِدِ

ومن الثاني قول الراجز، ويستشهد به على حذف «كان» مع معمولَيْها: [الرجز]

أَمْرَعَتِ الأرضُ لَوَ أنَّ مَالا ... لَوْ أَنَّ نُوقاً لَكِ أَوْ جِمَالاً

أَوْ ثُلَّةً مِنْ غَنَمٍ إمَّا لَا

التقدير: أو ثلة من غنم إن كنتِ لا تجدين غيره.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أي: مجالس السابقين على سرر، جمع: سرير، وهو ما يجعل للإنسان من المقاعد العالية الموضوعة للراحة، والكرامة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: منسوجة بالذهب. وعنه أيضاً، قال: مصفوفة. كما قال في سورة (الطور): ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾. وقيل: ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بقضبان الذهب، مشبكة بالدر، والياقوت، والزبرجد، ودرع موضونة؛ أي: محكمة في النسج، مثل: مصفوفة. قال الأعشى: [المتقارب]

ومِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مَوْضُونَة ... تُسَاقُ مَعَ الحي عِيراً فَعِيراً

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾ أي: على السرر على الجنب، أو غيره، كحال من يكون على كرسي، فيوضع تحته شيء للاتكاء عليه، وانظر الآية رقم [٥٤] من سورة (الرحمن). ﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾ أي: لا يرى بعضهم قفا بعض، بل تدور بهم الأسرة كيفما أرادوا، وهذا في المؤمن، وزوجته، وأهله. وقال الكلبي: طول كل سرير ثلاثمئة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها؛ تواضعت، فإذا جلس عليها؛ ارتفعت. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ثُلَّةٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم ثلة، أو هو مبتدأ، خبره: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾. ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿ثُلَّةٌ﴾. ﴿وَقَلِيلٌ﴾: الواو: حرف عطف.

(قليل): معطوف على ﴿ثُلَّةٌ﴾. ﴿مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾: متعلقان بـ: (قليل) أو بمحذوف صفة له، وعلامة الجر فيه وفي سابقه الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿ثُلَّةٌ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم على سرر، على الوجه الأول في ﴿ثُلَّةٌ﴾، والجملة هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾: صفة ﴿سُرُرٍ﴾. ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾: حال من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ التقدير: استقروا عليها متكئين. ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾. ﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾: حال ثانية. وقال أبو البقاء: حال من الضمير المستتر بـ: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ وعليه فهي حال متداخلة، وفاعلهما ضمير مستتر فيهما، وعلامة نصبهما الياء... إلخ.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: غلمان لا يموتون، ولا يهرمون، ولا يتغيرون، ولا ينتقلون من حالة إلى حالة، ومنه قول امرئ القيس: [الطويل]

وَهَلْ يَنْعَمَنْ إلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ ... قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأوْجَالِ

وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: مخلدون مُقَرَّطون، والخلد: القرط، وهو الحلقة تعلق في الأذن، قال الشاعر: [الكامل]

ومخلَّدَاتٌ باللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا ... أعْجَازُهُنَّ أَقَاوِزُ الكُثْبَانِ

فهم على سن واحدة، أنشأهم الله لأهل الجنة، يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة، وصححه الخازن، كما أن الحور العين خلقهن الله من غير ولادة. وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، والحسن البصري: الولدان ها هنا: ولدان المسلمين، الذين يموتون صغاراً، ولا حسنة لهم ولا سيئة. وقال سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ: أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة. قال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: لم يكن لهم حسنات يجزون بها، ولا سيئات يعاقبون عليها، فوضعوا في هذا الموضع، والمقصود: أن أهل الجنة على أتم السرور، والنعمة، والنعمة إنما تتم باحتفاف الخدم، والولدان بالإنسان.

أقول: ما نسب إلى علي، والحسن ضعيف جداً؛ لأن أولاد المسلمين الصغار يكونون مع آبائهم، وأمهاتهم، وهو من جملة السرور، بل من أعظم السرور اجتماعهم بهم. قال تعالى في سورة (الطور): ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ رقم [٢١]. وتشبهها آية (الرعد) رقم [٢٣]؛ لأن من المؤمنين من لا ولد له، فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بأبي الخادم. وقول

سلمان الفارسي أقوى منه؛ لأنه قد اختلف في أولاد المشركين على ثلاثة مذاهب، فقال الأكثرون: هم في النار تبعاً لآبائهم، وتوقف فيهم طائفة، والمذهب الثالث ـ وهو الصحيح؛ الذي ذهب إليه المحققون ـ: أنهم من أهل الجنة، ولكل مذهب دليل، ليس هذا موضعه.

﴿بِأَكْوَابٍ﴾: جمع: كوب، وهو وعاء مدور، لا أذن له، ولا عروة بخلاف الإبريق، فإن له ذلك، والملاحظ: أن لفظ (أكواب) جاء بسورة (الزخرف)، وسورة (الدهر) و(الغاشية) جاء بلفظ الجمع، ولم يأت له مفرد قطعاً؛ لأنه لا يتهيأ فيها ما يجعلها في النطق من الظهور، والرقة، والانكشاف، وحسن التناسب كلفظ (أكواب) الذي هو الجمع، وقل مثله في: أباريق، فإنه لم يستعمل منه مفرد، ولم يذكر إلا في هذه (السورة) ومفرده: إبريق، سمي بذلك؛ لأنه يبرق لونه من صفائه. ﴿وَكَأْسٍ﴾: انظر الآية رقم [٢٣] من سورة (الطور).

و﴿مَّعِينٍ﴾ أي: ماء جار ظاهر للعيون، يقال: معين، ومُعُن، كما يقال: رغيف، ورُغُف، فهو فعيل من: معن الماء: إذا جرى. أو من الماعون، وهو المنفعة؛ لأنه نفَّاع. أو هو مفعول من: عانه: إذا أدركه بعينه؛ لأنه لظهوره مدرك بالعيون، فبين الله جلت قدرته، وتعالت حكمته: أنها ليست كخمر الدنيا؛ التي تستخرج بعصر، وتكلف، ومعالجة، وإنما هي فعيل من المعن وهو الكثرة. وانظر أنواع الماء في سورة (محمد ﷺ). ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: لا تنصدع رؤوسهم من شربها؛ أي: إنها لذيذة بلا أذىً بخلاف شراب الدنيا. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا تذهب عقولهم بشربها. يقال: نزف الرجل، ينزف، فهو منزوف، ونزيف: إذا سكر. قال الشاعر: [المتقارب]

وإذْ هِيَ تَمْشِي كَمَشْيِ النَّزِيـ ... فِ يَصْرعُهُ بالكَثِيبِ البَهَرْ

البهر: الكلال. وانقطاع النفس، وقال جميل بن معمر، وهو الشاهد رقم [١٥٩] من كتابنا «فتح القريب المجيب»: [الكامل]

فلَثَمْتُ فَاهَا آخِذاً بقُرُونِهَا ... شرب النَّزِيفِ ببردِ مَاءِ الحَشْرَجِ

وهذا على قراءة: (يُنْزَفُوْن) بفتح الزاي، وهو بكسر الزاي، بمعنى: لا ينفد شرابهم، ولا تفنى خمرهم. قال الشاعر: [الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ ... لبِئْس النَّدَامَى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرَا

وروى الضحاك عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول. فذكر الله خمر الجنة، فنزهها عن هذه الخصال. انتهى. ففي هاتين الآيتين من البلاغة ما لا يخفى، وهو فن الإيجاز.

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يتخيرون ما شاؤوا لكثرتها. ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾: روى الترمذي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثرُ؟ قال: «**ذاكَ نهرٌ أعطانِيهِ**

الله تعالى، **أشَدُّ بياضاً مِنَ اللَّبَنِ، وأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، فيهِ طَيْرٌ، أعْنَاقُهَا كأعناقِ الجُزُرِ**». قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: إن هذه لناعمة. قال رسول الله ﷺ: «**أكلَتُهَا أحسن منها**». قال: حديث حسن. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يخطر على قلبه لحم الطير، فيطير ممثلاً بين يديه على ما اشتهى. وقيل: إنه يقع على صحفة الرجل، فيأكل منه ما يشتهي، ثم يطير، وانظر شرح (لحم) في الآية رقم [٢٢] من سورة (الطور).

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: هل في تخصيص الفاكهة بالتخيير، واللحم بالاشتهاء بلاغة؟ قلت: نعم، وكيف لا؟ وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة، وفصاحة؟! والذي يظهر فيه: أن اللحم، والفاكهة إذا حضرا عند الجائع، تميل نفسه إلى اللحم، وإذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه إلى الفاكهة، فالجائع مشته، والشبعان غير مشته، بل هو مختار، وأهل الجنة إنما يأكلون، لا من جوع، بل للتفكه، فميلهم إلى الفاكهة أكثر، فيتخيرونها، ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم، وإذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه، فتميل نفسه إليه أدنى ميل، ولهذا قدم الفاكهة على اللحم، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿يَطُوفُ﴾: فعل مضارع. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وِلْدَانٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المستتر بـ: ﴿مُتَقَبِلِينَ﴾، فهي حال متداخلة، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: صفة ﴿وِلْدَانٌ﴾ فهو مرفوع مثله، وعلامة رفعه الواو... إلخ، ﴿بِأَكْوَابٍ﴾: متعلقان بـ: ﴿يَطُوفُ﴾. ﴿وَأَبَارِيقَ﴾: الواو: حرف عطف. (أباريق): معطوف على (أكواب) مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف. ﴿وَكَأْسٍ﴾: الواو: حرف عطف. (كأس): معطوف على ما قبله. ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (كأس). ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يُصَدَّعُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بـ: (على)، والرابط: الضمير فقط. وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿عَنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف، (لا): نافية. ﴿يُنزِفُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿وَفَٰكِهَةٍ﴾: الواو: حرف عطف. (فاكهة): معطوف على (أكواب). ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (فاكهة)، والجملة الفعلية صلة (ما)، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: من الذي يتخيرونه. ﴿وَلَحْمِ﴾: الواو: حرف عطف. (لحم): معطوف على (أكواب)، و(لحم): مضاف، و﴿طَيْرٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿طَيْرٍ﴾، أو صفة (لحم)، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: من الذي يشتهونه.

﴿وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا (٢٦)﴾

الشرح: ﴿وَحُورٌ﴾: بيض، جمع: حوراء، وهي التي يرى ساقها من وراء ثيابها، ويرى الناظر وجهه في كعبها كالمرآة من دقة الجلد، وبضاضة البشرة، وصفاء اللون، وفي القاموس المحيط: الحوَر بالتحريك: أن يشتد بياض العين، ويشتد سوادها، وتستدير حدقتها، وترق جفونها، ويبيض ما حواليها. ﴿عِينٌ﴾: عظام العيون، شديدات بياضها، شديدات سوادها، ومنه قيل لبقر الوحش: عين، والثور: أعين، والبقرة: عيناء. وانظر ما ذكرته في سورة (الرحمن) بشأن الحور العين، ففيه الكفاية. هذا؛ و﴿عِينٌ﴾ جمع: عيناء وأصله: «عُيْن» على وزن فُعْل، كقولك: حمراء وحُمْر، فكسرت العين لئلا تنقلب الياء واواً، فتشبه ذات الواو، وليس في كلام العرب ياء ساكنة، قبلها ضمة، ولا واو ساكنة قبلها كسرة، ومن العرب من يقول: «حِير عِين» على الاتباع.

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾: انظر الآية رقم [٢٤] من سورة (الطور) ففيه الكفاية. ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: فعلنا ذلك بهم مجازاة لأعمالهم الصالحة؛ التي كانوا يعملونها في الدنيا. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: في جنات النعيم. ﴿لَغْوًا﴾: باطلاً من الكلام. واللغو: ما يرغب عنه من الكلام، ويستحق أن يُلغى. وقيل: هو القبيح من القول. والمعنى: ليس فيها لغو فيسمع. ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾: قيل: معناه: أن بعضهم لا يقول لبعض: أثمت؛ لأنهم لا يتكلمون بما فيه إثم، كما يتكلم به أهل الدنيا. وقيل: معناه لا يأتون تأثيماً؛ أي: ما هو سبب التأثيم من قول، أو فعل قبيح. ﴿إِلَّا قِيلًا﴾: معناه: لكن يقولون قيلاً، أو يسمعون قيلاً. ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾: يعني يسلم بعضهم على بعض. وقيل: تسلم الملائكة عليهم، أو يرسل الرب بالسلام إليهم. وفي سورة (الأحزاب) رقم [٤٤]: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ...﴾ إلخ وفي الآيتين الأخيرتين تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ لأن السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم، فهو مدح لهم بإفشاء السلام. وهذا كقول القائل: لا ذنب لي إلا محبتك، وقال النابغة الذبياني: [الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِراعِ الكَتَائِبِ

الإعراب: ﴿وَحُورٌ﴾: (الواو): حرف عطف، أو حرف استئناف. (حور): يقرأ بالرفع، والنصب، والجر، فالرفع من وجهين: أحدهما وهو الأقوى: أنه مبتدأ خبره محذوف، التقدير: ولهم، أو وعندهم حور، والثاني: أنه معطوف على ﴿وِلْدَٰنٌ﴾ على المعنى، والنصب فعلى تقدير فعل؛ أي: يزوجون حوراً عيناً. وأما الجر فمن أوجه: أحدها: أنه عطف على ﴿فِى جَنَّٰتِ﴾ كأنه قيل: هم في جنات النعيم، وفاكهة، ولحم، وحور عين. قاله الزمخشري. الثاني: أنه معطوف على ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ وذلك بتجوز في قوله: ﴿يَطُوفُ﴾ إذ معناه: يتنعمون فيها بأكواب، وبكذا،

وبحور. قاله الزمخشري أيضاً. الثالث: أنه معطوف عليه حقيقة، وأن الولدان يطوفون عليهم بالحور أيضاً، فإن فيه لذة لهم. انتهى. جمل نقلاً من السمين.

هذا؛ وذكرت في آية (المائدة) رقم [٦] قوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بأنه قرئ بجر (أرجلكم) على الجوار لـ: (رؤوسكم) وقلت هناك: وله نظائر في القرآن الكريم، وفي الشعر العربي، وكلامه، فمن ذلك قوله تعالى في كثير من الآيات ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾، وقوله تعالى: (وحورٍ عين) بجر حور، فإن ﴿أَلِيمٍ﴾ صفة ﴿عَذَابَ﴾، وقد جر لمجاورته ﴿يَوْمٍ﴾، و(حورٍ) معطوف على: ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ وهو مرفوع، وقد جر لقربه من قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ومن ذلك قول امرئ القيس في معلقته رقم [٨٨]: [الطويل]

كَـأَنَّ أَبَـانـا فـي عَـرَانِـيـنِ وَبْـلِـهِ كَـبِـيـرُ أُنَـاسٍ فـي بِـجَـادٍ مُـزَمَّـلِ

فجر «مزمل» مع كونه صفة لـ: «كبيرُ» لمجاورته: «بجاد» وهذا البيت هو الشاهد رقم [٩٠٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، ومن ذلك قولهم: «هذا جحْرُ ضبٍ خربٍ» فجر «خربٍ» مع كونه صفة «جحر» المرفوع لمجاورته «ضب» والذي عليه المحققون: أن خفض الجوار يكون في النعت قليلاً، وفي التوكيد نادراً، انظر الشاهد رقم [١١٦٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، والكلام عليه، وعلى سابقه، وهو بيت امرئ القيس، ولا يكون في النسق إلا لحكمة واضحة؛ لأن العاطف يمنع من التجاور، ولذا بين الزمخشري الحكمة في آية الوضوء آية (المائدة) التي ذكرتها سابقاً، انظر شرحها في محلها. وقيل: (حورٍ) معطوف على (أكوابٍ) باعتبار المعنى؛ إذ معنى: (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب... وحورٍ) أي: ينعمون بأكواب... إلخ، وقال الراعي النميري: [الوافر]

إذا مـا الـغَـانـيـاتُ بَـرزْنَ يَـوْمـاً وزَجَّـجْـنَ الـحـواجـبَ والـعُـيُـونـا

وهذا هو الشاهد رقم [٦٦٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» انظر الكلام عليه تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿عِينٌ﴾: صفة (حور).

﴿كَأَمْثَٰلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ: (حورٌ)، أو بمحذوف حال منه بعد وصفه بما تقدم، وإن اعتبرت الكاف اسماً؛ فالمحل لها، وتكون مضافة، و(أمثال) مضاف إليه، و(أمثال) مضاف، و﴿ٱللُّؤْلُوِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْمَكْنُونِ﴾: صفة ﴿ٱللُّؤْلُوِ﴾. ﴿جَزَآءَۢ﴾: مفعول لأجله، أو مفعول مطلق، والعامل محذوف على الاعتبارين، التقدير: جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو جزيناهم جزاءً. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿جَزَآءَۢ﴾. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: جزاء بالذي كانوا يعملونه.

﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْمَعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَغْوًا﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية، أو صلة لتأكيد النفي. ﴿تَأْثِيمًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع. ﴿قِيلًا﴾: مستثنىً بإلا. ﴿سَلَامًا﴾: فيه أوجه، أحدها: أنه بدل من ﴿قِيلًا﴾ أي: لا يسمعون فيها إلا سلاماً سلاماً، الثاني: أنه نعت لـ: ﴿قِيلًا﴾، الثالث: أنه منصوب بنفس ﴿قِيلًا﴾ أي: إلا أن يقولوا: سلاماً سلاماً، وهو قول الزجاج. الرابع: أن يكون منصوباً بفعل مقدر، ذلك الفعل محكي بـ: ﴿قِيلًا﴾ تقديره: إلا قيلاً سلِّموا سلاماً، وهذا يعني: أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، وعليه فالجملة في محل نصب مقول القول. ﴿سَلَامًا﴾: توكيد لسابقه.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: لما بين الله حال السابقين؛ شرع في بيان حال أصحاب اليمين، وهم أصحاب الميمنة، واختلاف العبارة للتفنن في الكلام، وفيه بلاغة لا تخفى، وحلاوة في القلب يدركها المتأملون المعتبرون؛ إذ كل حرف من حروف القرآن فيه بلاغة، وفصاحة، وانظر الشرح برقم [٨] ففيه الكفاية.

﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ أي: لا شوك فيه، كأنه خضد شوكه؛ أي: قطع، ونزع. وهذا قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وقيل: هو الموقر؛ أي: المثقل بالثمر. وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: كنا نحدث: أنه الموقر الذي لا شوك فيه، والظاهر: أن المراد هذا وهذا، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس من هذا: لا شوك فيه، وفيه الثمر الكثير، الذي قد أثقل أصله، كما روى الحافظ أبو بكر النجار عن سليم بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله لينفعنا بالأعراب، ومسائلهم. قال: أقبل أعرابي يوماً، فقال: يا رسول الله! ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، فقال ﷺ: «**وما هي؟**». قال: السدر، فإن له شوكاً مؤذياً، فقال رسول الله ﷺ: «**أليس الله تعالى يقول: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ خضد الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمراً، تفتق الثمرة منها من اثنين وسبعين لوناً من طعام، ما فيها لون يشبه الآخر**». وأخرج البيهقي عن مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كانوا يعجبون بوجٍّ، وظلاله، وطلحه، وسدره، فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا، فنزلت الآيات: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ...﴾ إلخ. قال أمية بن أبي الصلت يصف الجنة: [الكامل]

إنَّ الحدائق في الجنانِ ظَليلةٌ فيها الكواعِبُ سِدْرُهَا مَخْضُودُ

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾: الطلح: شجر الموز واحده: طلحة. قاله أكثر المفسرين: علي، وابن عباس، وغيرهما. وقال الحسن: ليس هو موز، ولكنه شجر له ظل بارد رطب. وقال الفراء، وأبو عبيدة: شجر عظام له شوك. قال النابغة الجعدي: [الرجز]

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وقَالَا: غداً تَرَيْنَ الطَّلْحَ والأحْبَالا

الأحبال: جمع: حبلة بالضم، ثمر السلم، والسمر، أو ثمر العضاه عامة. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل. وقرأ علي ـ رضي الله عنه ـ (وطلع منضودٍ) بالعين، وتلا قوله تعالى في سورة (الشعراء) رقم [١٤٨]: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾، وقوله تعالى في سورة (ق) رقم [١٠]: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ فقيل له: أفلا نحولها؟ فقال: لا ينبغي أن يهاج القرآن، ولا يحول. وهذا تصريح منه ـ رضي الله عنه ـ أنه رجع عن تلك القراءة. هذا؛ و﴿مَّنضُودٍ﴾ متراكب بعضه فوق بعض، والنَّضْدُ: هو الرَّصُّ، والمُنَضَّد: هو المرصوص. قال النابغة الذبياني في معلقته رقم [٥]: [البسيط]

خَلَّتْ سَبِيلَ أَتِيٍّ كَانَ يَحْبِسُهُ ورَفَّعَتْهُ إلى السِّجْفَيْنِ فالنَّضَدِ

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي: دائم باق لا يزول، ليس فيه شمس، ولا حر كما بين الإسفار إلى طلوع الشمس. قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: الجنة سَجْسَجٌ كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. قال تعالى في سورة (النساء) رقم [٥٧]: ﴿لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾. وقال تعالى في سورة (الرعد) رقم [٣٧]: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ وقال تعالى في سورة (المرسلات) رقم [٤١]: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ انظر شرح هذه الآيات في محالها. وفي صحيح الترمذي، وغيره من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**إن في الجنة شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظِلِّهَا مئةَ عامٍ، لا يَقْطَعُهَا**». واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾» وهذا الحديث ذكرته في سورة (الرعد) رقم [٣٥]. هذا؛ وقال أبو عبيدة: تقول العرب للدهر الطويل، والعمر الطويل، والشيء الذي لا ينقطع: ممدود. قال لبيد بن ربيعة ـ رضي الله عنه ـ: [الكامل]

غَلَبَ العَزَاءُ وكُنْتُ غيْرَ مُغَلَّبِ دَهْرٌ طَوِيلٌ دَائِمٌ مَمْدُودُ

﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي: مصبوب يجري دائماً في غير أخدود، ولا ينقطع، وأصل السكب: الصب، يقال: سكبه سكباً، والسكوب: انصبابه، يقال: سكب سكوباً، وانسكب انسكاباً. هذا؛ وكانت العرب أصحاب بادية، وبلاد حارة، وكانت الأنهار في بلادهم عزيزة، لا يصلون إلى الماء إلا بالدلو، والرشاء، فوعدوا في الجنة خلاف ذلك، ووصف لهم أسباب النزهة المعروفة في الدنيا، وهي الأشجار، وظلالها، والمياه، والأنهار، واطرادها.

﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ أي: ليست بالقليلة العزيزة، كما كانت في بلاد العرب. ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي: في وقت من الأوقات، كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء. ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا يمنع من أكلها من

أرادها بشوك، ولا بُعد ولا حائط، بل إذا اشتهاها المؤمن؛ دنت منه؛ حتى يأخذها. قال تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ وانظر سورة (الرحمن) رقم [٥٤]. وقيل: ليست مقطوعة بالزمان، ولا ممنوعة بالأثمان. قال تعالى في سورة (البقرة): ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ رقم [٢٥] والمعنى: أن الشكل يشبه الشكل، ولكن الطعم غير الطعم.

الإعراب: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ انظر الآية رقم [٨] فالإعراب واحد لا يتغير. ﴿فِي سِدْرٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان لـ: (أصحاب اليمين)، أو هما متعلقان بمحذوف خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم في سدر، والجملة الاسمية هذه في محل رفع خبر ثان كما تقدم، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿مَّخْضُودٍ﴾: صفة ﴿سِدْرٍ﴾. ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾: هذه الأسماء كلها معطوفة على ﴿سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿مَقْطُوعَةٍ﴾: صفة ثانية لـ: (فاكهة) وهي منفية. وقيل: معطوفة على (فاكهة) وعليه فـ: ﴿لَّا﴾ حرف عطف، والأول أقوى، فهو مثل قوله تعالى في سورة (النور) رقم [٣٥]: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾. ومثلها في هذه السورة: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية، أو هي صلة لتأكيد النفي. ﴿مَمْنُوعَةٍ﴾: معطوف على ما قبله.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (٤٠)﴾

الشرح: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ أي: عالية، وطيئة، ناعمة. فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: «**ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمسمئة عام**». أخرجه النسائي، والترمذي، وقال: حسن غريب. وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث: الفرش في الدرجات، وما بين الدرجات كما بين السماء والأرض. وقيل: إن الفرش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة، ولم يتقدم لهن ذكر، ولكن قوله عز وجل: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ دال عليهن؛ لأن الفرش محل النساء، فالمعنى: ونساء مرتفعات الأقدار في حسنهن، وكمالهن، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ أي: خلقناهن خلقاً وأبدعناهن إبداعاً، والعرب تسمى المرأة: فراشاً، ولباساً، وإزاراً، وقد قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٨٧]: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.

ثم قيل: على هذا: هنّ الحور العين؛ أي: خلقناهن من غير ولادة. وقيل: المراد نساء بني آدم؛ أي: خلقناهن خلقاً جديداً، وهو الإعادة؛ أي: أعدناهن إلى حال الشباب، وكمال الجمال، والمعنى أنشأنا العجوز، والصبية إنشاءً واحداً، وعن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا

أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَآءً﴾ قال: «**منهن البكر، والثيب اللاتي كن في الدنيا**». وقال عبد بن حميد ـ رضي الله عنه ـ: أتت عجوز، فقالت: يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة، فقال: «**يا أم فلان! إن الجنة لا تدخلها عجوز**». قال: فولت تبكي. قال النبي ﷺ: «**أخبروها: أنها لا تدخلها، وهي عجوز، ولكنها تدخلها، وهي شابة، إن الله تعالى يقول:** ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾». وقال المسيب بن شريك: قال النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَآءً﴾ قال: «**هن عجائز الدنيا، أنشأهن الله خلقاً جديداً، كلما أتاهن أزواجهن؛ وجدوهن أبكاراً**». فلما سمعت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ذلك. قالت: واوجعاه! فقال لها النبي ﷺ «**لَيْسَ هناكَ وجَعٌ**». والبكر: هي التي لم يفترعها الرجل، فهي على خلقتها الأولى من حال الإنشاء. ﴿عُرُبًا﴾: متحببات إلى أزواجهن. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقال الضحاك: العُرُبُ: العواشق لأزواجهن، وأزواجهن لهن عاشقون. وقال ابن عباس أيضاً: العروب: الملقة. وقال عكرمة: هي الغنجة. ومنه قول لبيد ـ رضي الله عنه ـ: [البسيط]

وفي الخِبَاءِ عَرُوبٌ غَيْرُ فَاحِشَةٍ رَيَّا الروادفِ يَعْشَى دونها البَصَرُ

وعن عكرمة أيضاً، وقتادة: العُرب: المتحببات إلى أزواجهن، واشتقاقه من أعرب: إذا بين، فالعروب تبين محبتها لزوجها بملق، وغنج، وحسن كلام. أقول: ومن كانت كذلك فهي ألذ استمتاعاً.

﴿أَتْرَابًا﴾: متساويات في السن، والشباب، بنات ثلاث وثلاثين سنة، واشتقاقه من التراب فإنه يمسهن في وقت واحد. وقيل: متآخيات، لا يتباغضن، ولا يتغايرن، ولا يتحاسدن، ومثلهن أزواجهن في السن؛ لأن التحاب بين الأقران أثبت، وكانت العرب تميل إلى من جاوزت حد الصبا من النساء، وانحطت عن الكبر. هذا؛ ويقال في النساء: أتراب، وفي الرجال: أقران. هذا؛ وأتراب: جمع: ترب بكسر التاء وسكون الراء، كحمل، وأحمال، وهو المساوي لك في العمر. قال الشاعر: [البسيط]

لَوْلَا تَوَقُّعُ مُعْتَرٍّ فَأُرْضِيَهُ مَا كُنْتُ أُوثِرُ أَتراباً على تِرْبِ

وهذا هو الشاهد رقم [١٣٩] من كتابنا: «فتح رب البرية». هذا؛ وقد قال الرسول ﷺ: «**يدخل أهلُ الجنَّةِ الجنةَ جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكَحّلينَ أبناءَ ثلاثٍ وثلاثينَ**». ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: النساء المذكورات خلقن لأصحاب اليمين. ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني: من المؤمنين الذين هم قبل هذه الأمة. ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾: يعني من مؤمني هذه الأمة. يدل عليه ما روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عروة بن رُوَيْم ـ رضي الله عنه ـ قال: لما أنزل الله ـ عز وجل ـ على رسوله ﷺ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ بكى عمر ـ رضي الله عنه ـ وقال: يا رسول الله! آمنا برسول الله، وصدقناه، ومن ينجو منا قليل، فأنزل الله عز وجل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ

﴿مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ فدعا رسول الله ﷺ عمر ـ رضي الله عنه ـ، فقال: قد أنزل الله فيما قلت، فقال: رضينا عن ربنا، وعن تصديق نبينا، فقال رسول الله ﷺ: «**مِنْ آدمَ إِلَيْنَا ثُلَّةٌ، ومِنَّا إلى يَوْمِ القيامَةِ ثلةٌ، ولا يَسْتَتِمُّها إلا سُودانٌ مِنْ رُعاة الإبلِ مِمَّنْ قال: لا إلهَ إلا الله**». ولعل هذه الآية من الآيات التي وافقت رأي عمر ـ رضي الله عنه ـ.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضَتْ عليَّ الأممُ، فرأيتُ النبيَّ؛ ومعهُ الرُّهيطُ، والنبيَّ؛ ومعهُ الرجلُ، والرجلان، والنبيَّ؛ وليس معهُ أحدٌ؛ إذ رُفِعَ إليَّ سوادٌ عظيمٌ، فظننتُ: أنهم أمَّتِي، فقيل لي: هذا مُوسى، وقومُهُ، ولكن انظرْ إلى الأُفقِ، فنظرتُ؛ فإذَا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: انظرْ إلى الأفقِ الآخَرِ؛ فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: هذه أُمَّتُكَ، ومعهم سبعون ألفاً يدخلونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ، ولا عذابٍ**». ثم نهضَ، فدَخَلَ منزله. فخاضَ القومُ في أولئك الذينَ يدخلونَ الجنةَ بغيرِ حِسَابٍ ولا عذاب، فقال بعضهُمْ: لَعَلَّهُمُ الذينَ صحِبُوا رسول الله ﷺ. وقال بعضُهُمْ: لَعَلَّهُمُ الذين وُلِدُوا في الإسلام، ولم يشركوا بالله. وذكرُوا أشياء، فخرجَ عليهِمْ رسولُ الله ﷺ، فقال: «**ما الذي تخوضونَ فيه؟**». فأخبروهُ، فقال: «**هم الذين لا يَرْقونَ، ولا يَسْتَرقُونَ، ولا يتطيرُونَ، وعلى رَبِّهِمْ يتوكلونَ**». فقامَ عكاشةُ بن محصنٍ، فقال: يا رسولَ الله! ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنتَ منهم**». فقامَ رجلٌ آخَرُ، فقال: يا رسولَ الله! ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سبقك بها عُكاشَةُ**». متفق عليه.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في قبة نحواً من أربعين، فقال: «**أترضونَ أن تكونُوا رُبُعَ أهلِ الجنةِ؟**». قلْنَا: نعمْ. قال: «**أترضوْنَ أنْ تكونُوا ثُلُثَ أهلِ الجَنَّةِ؟**». قلنا: نعَمْ. قال: «**والَّذِي نفسُ محمد بيدِهِ إني لأَرْجُو أن تكونُوا نِصْفَ أهْلِ الجنَّةِ، وذَلِكَ أن الجنَّةَ لا يدخلُهَا إلَّا نفسٌ مؤمنةٌ مسلمةٌ، وما أنْتُمْ في أهلِ الشِّرْكِ إلا كالشَّعْرَةِ البيضاءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ الأسودِ، أو كالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ في جلْدِ الثَّوْرِ الأحمَرِ**». متفق عليه. وانظر ما ذكرته في رقم [١٣] و [١٤].

قال الخازن: فإن قلت: كيف قال في الآية الأولى رقم [١٤]: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾، وقال في هذه الآية: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ قلت: الآية الأولى في السابقين الأولين، وقليل من يلحق بهم من الآخرين، وهذه الآية في أصحاب اليمين، وهم كثيرون من الأولين والآخرين، وحكى بعضهم: أن هذه ناسخة للأولى، واستدل بحديث عروة بن رُوَيْم المتقدم، ونحوه، والقول بالنسخ لا يصح؛ لأن الكلام في الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ. انتهى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَفُرُشٍ﴾: الواو: حرف عطف. (فرش): معطوف على ما قبله. ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾: صفة (فرش). ﴿إِنَّآ﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، (ونا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث، لا محل

له، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل جر صفة (فرش)، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، وهذا على تفسير (فرش) بالنساء، وأما على تفسيره بما يفرش في الأرض من الأثاث؛ فالجملة الاسمية مبتدأة، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنشَآءً﴾: مفعول مطلق. ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿أَبْكَارًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿عُرُبًا﴾: صفة ثانية لموصوف محذوف، والصفة الأولى ﴿أَبْكَارًا﴾؛ إذ التقدير: فجعلناهن أزواجاً ﴿أَبْكَارًا﴾ عرباً، و﴿أَتْرَابًا﴾ صفة ثالثة. ﴿لِّأَصْحَٰبِ﴾: متعلقان بـ: (أنشأنا)، أو بـ: (جعلنا)، وهو أولى لقربه، و(أصحاب) مضاف، و﴿ٱلْيَمِينِ﴾ مضاف إليه. ﴿ثُلَّةٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم ثلة، والجملة الاسمية في محل جر صفة (أصحاب اليمين) على اعتبار (أل) فيه للجنس، وفي محل نصب حال منه على اعتبار (أل) فيه للتعريف، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿ثُلَّةٌ﴾. ﴿وَثُلَّةٌ﴾: الواو: حرف عطف. (ثلة): معطوفة على ما قبله. ﴿مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (ثلةٌ).

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾: الشمال، والمشأمة بمعنى واحد. وانظر اختلاف العبارة برقم [٢٧]. فقد ذكر الله منازل أهل النار، ومآلهم، وسماهم أصحاب الشمال؛ لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم. ﴿فِى سَمُومٍ﴾: السموم: الهواء الحار؛ الذي يدخل في مسامِّ البدن، والمراد هنا: حر النار، ولفحها. ﴿وَحَمِيمٍ﴾ أي: ماء حار قد انتهى حره، وهذا إذا أحرقت النار أكبادهم، وأجسادهم؛ فزعوا إلى الحميم، كالذي يفزع من النار إلى الماء ليطفئ به الحر، فيجده حميماً حاراً في نهاية الحرارة، والغليان. قال تعالى في سورة (محمد ﷺ): ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ الآية [١٥]. وقال تعالى في سورة (الكهف) رقم [٢٩]: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾. ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ أي: يفزعون من السموم، والحميم إلى الظل، كما يفزع أهل الدنيا إلى الظل من شدة الحر، فيجدونه ظلاً من يحموم؛ أي: من دخان جهنم، وهو أسود شديد السواد، وهو كقوله تعالى في سورة (المرسلات): ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾.

وقال الضحاك: النار سوداء، وأهلها سود، وكل ما فيها أسود. انتهى. قال تعالى في سورة (المرسلات): ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾. وقال ابن زيد: اليحموم: جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار. ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ بل هو حار؛ لأنه من دخان شفير جهنم. ﴿وَلَا

كَرِيمٍ﴾ أي: ليس بعذبٍ، ولا كريم المنظر، والرائحة. قال الضحاك: كل شراب ليس عذباً، فليس بكريم، وكل ما لا خير فيه؛ فليس بكريم. هذا؛ وقال ابن جرير: العرب تتبع هذه اللفظة في النفي، فيقولون: هذا الطعام ليس بطيب، ولا كريم، وهذا اللحم ليس بجيد، ولا كريم. وفي هذا فن الاحتراس، فإن كلمة (ظل) تفيد الراحة، والسرور، فنفى الله عنه ذلك بقوله: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.

الإعراب: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾: انظر الآية رقم [٨] فالإعراب لا يتغير. ﴿فِي سَمُومٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان لـ: (أصحاب الشمال)، أو هما متعلقان بمحذوف خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم في سموم، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان لـ: (أصحاب الشمال) كما تقدم، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَحَمِيمٍ﴾: الواو: حرف عطف. (حميم): معطوف عليه. ﴿وَظِلٍّ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مِّن يَحْمُومٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (ظل). ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾: صفتان لـ: (ظل) منفيتان بـ: (لا) النافية، انظر الآية رقم [٣٣] فهي مثلها بلا فارق.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: في الدنيا، ﴿مُتْرَفِينَ﴾: منعمين مرفهين مقيمين على الشهوات، مقبلين على الملذات، فمنعهم ذلك من الانزجار، وشغلهم عن الاعتبار. ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ﴾ أي: يقيمون على ما هم عليه، ولا ينوون مفارقته. ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: على الشرك، وكانوا يحلفون أن لا بعث، ولا حساب، وأن الأصنام أنداد الله. قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ...﴾ إلخ.

هذا؛ والحنث: الذنب صغيراً كان، أو كبيراً. فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثلاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ إلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بفضلِ رَحْمَتِهِ إيَّاهُمْ**». رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما. وفي رواية: «**ثلاثةٌ من الوَلَدِ**».

﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا﴾ يقرأ هذان اللفظان بقراءات كثيرة، جملتها تسع، وكلها سبعية، وهذه الآية ذكرت بحروفها كاملة في سورة (المؤمنون) رقم [٨٢]، وفي سورة (الصافات) برقم [١٦] وبمعناها في الآية رقم [٤٩] و[٩٨] من سورة (الإسراء).

﴿مِتْنَا﴾: يقرأ بضم الميم، وكسرها، فالأول من باب: نصر، وقتل، كقلت، ونصرت. والثاني من باب: علم، وفهم، كخفت، ونمت. وقول المفسرين: من: مات، يمات، كخاف، يخاف،

ونام، ينام، وهو بعد الإعلال يعود إلى باب: علم. هذا؛ وقول المشركين في هذه الآية وأمثالها تعجب منهم، واستبعاد للبعث بعد الموت، وفناء الجسد، وشاعرهم هو الذي يقول: [الوافر]

أَلَا مَنْ بَلَّغَ الرحمنَ عَنِّي ... بأَنِّي تارِكٌ شَهْرَ الصِّيامِ

أَيُوعِدُنَا ابْنُ كَبْشَةَ أَنْ سنحيا ... وكَيْفَ حياةُ أصداءٍ وهَامِ؟

أَتُتْرَكُ أَنْ تَرُدَّ المَوْتَ عَنِّي ... وتُحيِيني إذَا بَلِيتْ عِظَامِي

فهو يقصد بابن كبشة النبي ﷺ، وأبو كبشة هي كنية زوج حليمة مرضعته ﷺ، فقد كانوا يطلقون عليه ذلك تحقيراً له ﷺ، ولكنهم لم يتأملوا: أنهم كانوا قبل ذلك تراباً، فخلقهم الله، وأظهرهم إلى الوجود، وهم ظنوا: أن البعث، والإعادة يكونان في الدنيا، وهم لم يروْا أحداً رجع إلى الدنيا ممن تقدمهم.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي: أو آباؤنا الأولون كذلك سيبعثون كذلك، وهذا منهم زيادة استبعاد في الحشر، والحساب، والجزاء بعد الموت، يعنون: أنهم أقدم منهم، فبعثهم أبعد، وأبطل. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، وهذه الآية مذكورة في سورة (الصافات) بحروفها برقم [١٧].

الإعراب: ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو ضمير متصل في محل نصب اسمها، والألف للتفريق، وانظر إعراب (كذبوا): في الآية رقم [٩] من سورة (القمر). ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿مُتْرَفِينَ﴾، و﴿قَبْلَ﴾ مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿مُتْرَفِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من العذاب. ﴿يُصِرُّونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿وَكَانُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: صفة ﴿ٱلْحِنثِ﴾.

﴿وَكَانُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (كانوا): فعل ماض ناقص، والواو اسمه. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، وجملة (كانوا...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. ﴿أَئِذَا﴾: (الهمزة): حرف استفهام إنكاري. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب، وهذا عند سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ. ﴿مِتْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها، وجواب (إذا) محذوف دل عليه

الجملة الآتية، التقدير: أئذا متنا. . . . نبعث، ولا يجوز أن يعمل فيها (مبعوثون) لأن ما بعد (إنَّ) لا يعمل فيما قبلها، وينبغي أن تعلم: أن (إذا) هنا ظرف مجرد عن الشرطية، فإن تقدير الكلام: (أنبعث إذا. . .) إلخ وهذا قول غير سيبويه. ﴿وَكُنَّا﴾: (الواو): حرف عطف. (كنا): فعل ماض ناقص مبني على السكون، (ونا): اسمه. ﴿تُرَابًا﴾: خبره، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿وَعِظَامًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿أَءِنَّا﴾: (الهمزة): حرف استفهام إنكاري. (إنا): (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، (ونا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾: (اللام): هي المزحلقة. (مبعوثون): خبر إن مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . . إلخ، والجملة الاسمية: ﴿أَءِنَّا...﴾ إلخ مؤكدة لما قبلها، والاستفهام فيها مبالغة في الإنكار، وبدون الاستفهام فيها حصل الإنكار بالأولى، وهذه مرتبطة فيها، فالإنكار بالأولى إنكار فيها أيضاً، ولا تنس أن الكلام: ﴿أَئِذَا مِتْنَا...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول.

﴿أَوَ﴾: (الهمزة): حرف استفهام أيضاً. (الواو): حرف عطف. هذا؛ وقرئ بسكون الواو على أنها (أَوْ) العاطفة المقتضية للشك، وأكثرهم قرأ بفتحها، فمن فتح الواو أجاز في: ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ وجهين: أحدهما: أن يكون معطوفاً على محل (إنَّ) واسمها، والثاني: أن يكون معطوفاً على الضمير المستتر في: ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ واستغنى عن الفصل المطلوب بالفصل بهمزة الاستفهام، ومن سكن الواو تعين فيه الأول دون الثاني على قول الجمهور لعدم وجود الفاصل. انتهى. جمل نقلاً عن السمين في غير هذا الموضع. هذا؛ وعلى تسكين الواو يكون ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ مبتدأ خبره محذوف، ويكون فحوى الكلام عطف جملة على جملة، التقدير: أنحن نبعث، أو آباؤنا يبعثون؟

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ. ﴿إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ يعني: الآباء، والأبناء، بل الأولين، والآخرين من ذرية آدم إلى يوم القيامة. وانظر سورة (التغابن) رقم [٩] فإنه جيد. ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ يعني: إنهم يجمعون، ويحشرون ليوم الحساب، وهو ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم، والميقات: ما وقت به الشيء؛ أي: حُدَّ، ومنه مواقيت الإحرام، وهي الحدود؛ التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرماً. هذا؛ وفي سورة (الصافات) رقم [١٨]: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ جواب لمثل هاتين الآيتين.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾: عن الهدى، وعن طريق الخير. والخطاب لأهل مكة، وأمثالهم في كل عصر، ومكان. ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ أي: بالبعث، والحساب، والجزاء... إلخ. ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾: وهو شجر كريه المنظر، كريه الطعم. ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ أي: يأكلون منها حتى يملؤوا بطونهم، فقد ذكر الله تعالى: أنهم يأكلون من شجر الزقوم؛ التي لا أبشع منها، ولا أقبح من منظرها مع ما هي عليه من سوء الطعم، ونتن الريح، وخبث الطبع، فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها؛ لأنهم لا يجدون طعاماً إلا إياها، وما هو في معناها، كما قال تعالى في سورة (الغاشية): ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾. فقد روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، وقال: «**اتَّقُوا الله حقَّ تُقَاتِهِ، فلوْ أن قطرة من الزقومِ قطرتْ في بحارِ الدنيا لأفْسَدَتْ على أهلِ الأرضِ معَايشهُمْ، فكيفَ بمن تكون طعَامَهُ؟!**» أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه. وقال الترمذي: حسن صحيح.

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: شاربون على الزقوم، أو على الأكل، أو على الشجر؛ لأنه يذكر، ويؤنث. هذا؛ وأنث الضمير على المعنى، وذكره على اللفظ في (منها، وعليه) والحميم: هو الماء المغليُّ؛ الذي اشتد غليانه، وهو صديد أهل النار؛ أي: يورثهم حر ما يأكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشاً، فيشربون ماءً يظنون أنه يزيل العطش، فيجدونه حميماً مغليً.

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ أي: الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها، و﴿ٱلْهِيمِ﴾ الإبل يصيبها داء تعطش منه عطشاً شديداً، واحدها: أهيم، والأنثى: هيماء. قال ذو الرمة: [الطويل]

فأَصْبَحتُ كالهيماءِ لا الماءُ مُبْرِدٌ   صَدَاهَا ولا يقضي علَيْهَا هيَامُهَا

ويقال لذلك الداء: الهيام. قال قيس بن المُلَوَّح: [الطويل]

يُقَالُ بهِ داءُ الهيامِ أصابَهُ   وقَدْ عَلِمَتْ نفسي مكان شِفَائِهَا

وقوم هيم أيضاً؛ أي: عطاش، وقد هاموا هياماً، ومن العرب من يقول في الإبل: هائم، وهائمة، والجمع: هيم. قال لبيد رضي الله: [الوافر]

أجزتُ إلى معارِفِها بشُعْثٍ   وأَطْلَاحٍ مِن العِيديِّ هِيمِ

وفي الصحاح: والهيام بالضم: أشد العطش. والهيام: كالجنون من العشق. والهيام: داء يأخذ الإبل، فتهيم في الأرض لا ترعى، ولا تشرب. والهائم من الناس هو الذي يسير في الأرض لا يعلم أين يسير من عشق، أو غيره، هذا إن سلك طريقاً مسلوكاً، فإن سلك طريقاً غير مسلوك فهو: راكب التعاسيف. وهام، يهيم: تحير وتردد. قال تعالى في حق الشعراء الفاسدين في سورة (الشعراء): ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾. هذا؛ و﴿شُرْبَ﴾ يقرأ بضم الشين وفتحها، فهو مصدر، وبالكسر المشروب كالطحن بمعنى المطحون. قال تعالى في سورة

(الشعراء) رقم [١٥٥]: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وقال أبو عبيدة: الشَّرب بالفتح مصدر، وبالضم، والكسر اسمان. هذا؛ والشَّربة بفتح الشين: من الماء ما يشرب مرة، وهي المرة من الشُّرب أيضاً.

قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: كيف صح عطف الشاربين على الشاربين، وهما لذوات متفقة، وصفتان متفقتان، فكان للشيء على نفسه؟ قلت: ليستا بمتفقتين؛ من حيث إن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة، وقطع الأمعاء أمر عجيب، وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضاً، فكانتا صفتين مختلفتين. انتهى. أقول: ما أشبه هذا بقوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ كما رأيت.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: النزل: ما يهيأ من الطعام، والشراب، والإكرام للنازل تكرمةً له، وفيه تهكم، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قال أبو السعد الضبي، وقد استعار ما يعد للضيف النازل لما يفعله بالأعداء الهاجمين على قومه، وعليه: [الطويل]

وكُنَّا إِذَا الجَبَّارُ بِالجَيْشِ ضَافَنَا جَعَلْنَا القنا والمرهَفاتِ لَهُ نُزْلَا

هذا؛ والزقوم: مشتقة من التزقم، وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها، وهي تحيا بلهب النار، كما تحيا الشجرة في الدنيا بالماء البارد. واختلف فيها: هل هي من شجر الدنيا التي تعرفها العرب أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها معروفة من شجر الدنيا. ومن قال بهذا اختلفوا فيها، فقال قطرب: إنها شجرة مُرَّة تكون بتهامة من أخبث الشجر، وقال غيره: بل هو كل نبات قاتل. والقول الثاني: إنها لا تعرف في شجر الدنيا، فلما نزلت هذه الآية، وأمثالها قالت قريش: ما نعرف هذه الشجرة، فقدم عليهم رجل من أفريقية، فسألوه، فقال: هو عندنا الزبْدُ، والتمر. فقال ابن الزِّبَعْرَىٰ متهكماً: أكثر الله في بيوتنا الزقوم. فقال أبو جهل الخبيث لجاريته: هاتي زقِّمينا، فأتته بزبْدٍ وتمر، ثم قال لأصحابه: تَزَقَّموا هذا الذي يخوفنا به محمد، يزعم: أن النار تنبت الشجر، والنار تحرق الشجر، وهذا فحوى قوله تعالى في سورة (الصافات): ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: اسم (إنَّ). (الآخرين): معطوف على ما قبله، وعلامة نصبهما الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنهما جمعا مذكر سالمان، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾: (اللام): هي المزحلقة. (مجموعون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ﴾: متعلقان بمجموعون، و﴿مِيقَٰتِ﴾ مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾ مضاف إليه. ﴿مَّعْلُومٍ﴾: صفة ﴿يَوْمٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف

اسمها. ﴿أَيُّهَا﴾: نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة نداء محذوفة، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾: بدل، أو عطف بيان من أيها وهو صفة لموصوف محذوف، التقدير: أيها القوم الضالون. ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾: صفة ثانية للموصوف المحذوف، فهما مرفوعان تبعاً لمحله، وعلامة رفعهما الواو. . . إلخ، والجملة الندائية معترضة بين اسم (إنَّ) وخبرها، لا محل لها. ﴿لَأَكِلُونَ﴾: (اللام): هي المزحلقة. (آكلون): خبر (إنَّ) مرفوع. . . إلخ، وفيه وفي ما قبله ضمير مستتر هو الفاعل. ﴿مِن شَجَرٍ﴾: متعلقان بـ: (آكلون) وهما في محل المفعول به، وأصل الكلام؛ لآكلون شيئاً من زقوم. وقيل: ﴿مِن﴾ زائدة. ﴿مِّن زَقُّومٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿شَجَرٍ﴾، وقيل: بدل مما قبلهما، وهو ضعيف، والأول أقوى، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿فَمَالِـُٔونَ﴾: الفاء: حرف عطف. (مالئون): معطوف على ما قبله. ﴿مِنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (مالئون). ﴿ٱلْبُطُونَ﴾: مفعول به. ﴿فَشَٰرِبُونَ﴾: الفاء: حرف عطف. (شاربون): معطوف على ما قبله. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (شاربون). ﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾: متعلقان بـ: (شاربون). وفيه وفيما قبله ضمير مستتر هو الفاعل. ﴿شُرْبَ﴾: مفعول مطلق، وهو مضاف، و﴿ٱلْهِيمِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، وأصل الكلام: شرباً مثل شرب الهيم. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿نُزُلُهُمْ﴾: خبر المبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿نُزُلُهُمْ﴾، وقيل: متعلق بمحذوف حال، ولا وجه له، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلدِّينِ﴾ مضاف إليه.

تنبيه: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: ومعنى الكلام: القسم، ودخول اللام في قوله تعالى: ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ هو دليل القسم في المعنى؛ أي: إنكم لمجموعون قسماً حقاً، خلاف قسمكم الباطل. ولم أره لغيره.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: نحن خلقناكم ابتداءً بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى، والأحرىٰ؟! ولهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾: أي فهلا تصدقون بالبعث، وتقرون به؟! فهذا تقرير للمعاد، ورد على المكذبين من أهل الزيغ، والإلحاد في كل زمان، ومكان. ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ أي: ما تقذفونه في الأرحام من

النطف. ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي: أأنتم تخلقون ما تمنون بشراً. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾: المقدرون المصورون؟! والمعنى: أنه خلق النطفة، وصورها، وأحياها، فلم لا تصدقون بأنه قادر مقتدر على أن يعيدكم كما أنشأكم؟! احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق. ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: الآجال، فمنكم من يبلغ الكبر، والهرم، ومنكم من يموت صبياً، وشاباً، وغير ذلك من الآجال القريبة، والبعيدة. وقيل: معناه أنه جعل أهل السماء، وأهل الأرض متساوين في الموت، شريفهم، ووضيعهم، فعلى هذا القول يكون معنى (قدرنا) قضينا.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: لا يفوتنا شيء نريده، ولا يمتنع منا أحد مهما أوتي من القوة، والجاه، والعظمة في الدنيا. وقيل: معناه: وما نحن بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم، وإبدالكم بأمثالكم، وهو قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: نأتي بخلق مثلكم بدلاً منكم في أسرع حين. ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ أي: نخلقكم. ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من الصور، والهيئات، والمعنى تغيير شكلكم، وحليتكم إلى ما هو أسمح منها، من أي خلق شئنا. وقيل: نبدل صفاتكم، فنجعلكم قردة، وخنازير، كما فعلنا بمن قبلكم؛ أي: إن أردنا ذلك ما فاتنا.

وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ كما في قرطبي، وفي الخازن: سعيد بن المسيب ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: في حواصل طيور سود، كأنها الخطاطيف، تكون ببرهوت، وهو واد باليمن، وهذه الأقوال كلها تدل على المسخ، وعلى أنه لو شاء أن يبدلهم بأمثالهم من بني آدم؛ قدر، ولو شاء أن يمسخهم في غير صورهم؛ قدر. وقال بعض أهل المعاني: هذا يدل على أن النشأة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد، ولا يعلمون كيفيته، كما علموا الإنشاء الأول من جهة التناسل، ويكون التقدير على هذا، وما نحن بمسبوقين على أن ننشئكم في وقت لا تعلمونه، يعني: وقت البعث، والقيامة، وفيه فائدة، وهو التحريض على العمل الصالح؛ لأن التبديل، والإنشاء هو الموت، والبعث، وإذا كان ذلك واقعاً في الأزمان، ولا يعلمه أحد، فينبغي أن لا يتكل الإنسان على طول المدة، ولا يغفل عن إعداد العدة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: الخلقة الأولى، ولم تكونوا شيئاً، حيث خلقكم الله من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: بأني قادر على إعادتكم بعد الموت، كما قدرت على إبدائكم أول مرة بطريق الأولى، والأحرى؟! قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ رقم [٢٧] من سورة (الروم)، وقوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [٢٩]: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، وفي سورة (الأنبياء) رقم [١٠٤]: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾، وغير ذلك كثير. وفي الخبر: عجباً كل العجب للمكذب بالنشأة الأخرى، وهو يرى النشأة الأولى! وعجباً للمصدق بالنشأة الآخرة، وهو لا يسعى لدار القرار! وقال الزمخشري وتبعه البيضاوي، والنسفي: وفيه دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى.

هذا؛ ويستدل بالآيات من يقول بتناسخ الأرواح. فهم يقولون: الأرواح تنتقل من مخلوق إلى مخلوق فابن آدم إن كانت أعماله صالحةً، وحسنةً، فإذا مات؛ تنتقل روحه إلى إنسان مثله، وإن كانت أعماله خبيثة؛ تحل روحه بحيوان، أو بحية، أو حشرة من الحشرات، وهكذا، ومصدر هذه الفكرة من الهند، ويستدلون أيضاً بقوله تعالى في سورة (الانفطار): ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ انظر شرحها هناك.

الإعراب: ﴿نَحۡنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَلَوۡلَا﴾: (الفاء): حرف عطف، وسبب. (لولا): حرف تحضيض. ﴿تُصَدِّقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أَفَرَءَيۡتُم﴾: (الهمزة): حرف استفهام إنكاري. (الفاء): حرف استئناف. (رأيتم): فعل، وفاعل. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به أول. ﴿تُمۡنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: الذي تمنونه. ﴿ءَأَنتُمۡ﴾: (الهمزة): حرف استفهام إنكاري توبيخي. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع فاعل لفعل محذوف، يفسره المذكور بعده، كان متصلاً، فلما حذف الفعل؛ انفصل الضمير، وبرز، أو هو في محل رفع مبتدأ. ﴿تَخۡلُقُونَهُۥٓ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية مفسرة، لا محل لها على الوجه الأول في الضمير، وفي محل رفع خبره على الوجه الثاني فيه. ورجح الجمل نقلاً عن كرخي الأول؛ لأجل أداة الاستفهام. ورجح ابن هشام الثاني لمعادلتها الجملة الاسمية بعدها. والجملة على الاعتبارين في محل نصب مفعول به ثان للفعل: (رأيتم)، والجملة الفعلية: ﴿أَفَرَءَيۡتُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَمۡ﴾: حرف عطف. واختلف فيها، فقيل: متصلة. وقيل: منقطعة، والجملة الاسمية بعدها معطوفة على ما قبلها.

﴿نَحۡنُ﴾: مبتدأ. ﴿قَدَّرۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بَيۡنَكُمُ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلۡمَوۡتَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿قَدَّرۡنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَمَا﴾: (الواو): واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل ليس. ﴿نَحۡنُ﴾: اسمها. ﴿بِمَسۡبُوقِينَ﴾: (الباء): حرف جر صلة. (مسبوقين): خبر (ما) مجرور لفظاً منصوب محلاً، والجملة الاسمية في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر. ﴿أَن نُّبَدِّلَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن»، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والمصدر المؤول منهما في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ: (مسبوقين)، أو بالفعل ﴿قَدَّرۡنَا﴾. ﴿أَمۡثَٰلَكُمۡ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَنُنشِئَكُمۡ﴾: الواو: حر ف عطف. (ننشئكم): معطوف على ﴿نُّبَدِّلَ﴾، والفاعل

مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به. ﴿فِي مَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: في الذي لا تعلمونه. ﴿وَلَقَدْ﴾ الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿عَلِمْتُمُ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿النَّشْأَةَ﴾: مفعول به. ﴿الْأُولَىٰ﴾: صفة ﴿النَّشْأَةَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿فَلَوْلَا﴾: (الفاء): حرف عطف، وسبب. (لولا): حرف تحضيض. ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وانظر الإعراب التفصيلي لكلمة: ﴿وَلَقَدْ﴾ في الآية رقم [١٣] من سورة (النجم).

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق، وما فيه من دلائل وحدانيته؛ ذكر بعده الرزق؛ لأن به البقاء، وذكر أموراً ثلاثة: المأكول، والمشروب، وما به إصلاح المأكول، والمشروب، ورتبه ترتيباً حسناً، فذكر المأكول أولاً؛ لأنه هو الغذاء، وأتبعه المشروب؛ لأن به الاستمراء، ثم النار؛ التي بها الإصلاح، وذكر من أنواع المأكول الحب؛ لأنه هو الأصل، ومن المشروب: الماء؛ لأنه أيضاً هو الأصل، وذكر من المصطلحات النار؛ لأن بها إصلاح أكثر الأغذية. انتهى.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ أي: أخبروني عما تحرثون من أرضكم، فتطرحون فيها البذر: أنتم تنبتونه، وتحصّلونه زرعاً، فيكون فيه السنبل، والحب، أم نحن نفعل ذلك؟! وإنما منكم البذر وشق الأرض، فإذا أقررتم بأن إخراج السنبل من الحب ليس إليكم، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض، وإعادتهم؟ وأضاف الحرث إليهم، والزرع إليه تعالى؛ لأن الحرث فعلهم، ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى، وينبت على اختياره، لا على اختيارهم، وهو فحوى ما روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: أنه قال: «**لا يقولَنَّ أحدُكُم زرعْتُ، وليقلْ: حرثْتُ، فإن الزارعَ هُوَ الله**». قال أبو هريرة: ألَمْ تسمعوا قول الله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾.

والمستحب لكل من يلقي البذر في الأرض أن يقرأ بعد الاستعاذة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ ثم يقول: بل الله الزارع، والمنبت، والمبلِّغ. اللهم صلِّ على محمد، وعلى آله، وصحبه، وارزقنا

ثمره، وجنبنا ضرره، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين، وبارك لنا فيه يا رب العالمين! ويقال: إن هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات، الدود والجراد وغير ذلك، سمعناه من ثقة، وجُرِّب، فوجد كذلك. انتهى. قرطبي بحروفه.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ أي: متكسراً. والحطام: الهشيم الهالك؛ الذي لا يُنتفع به في مطعم، ولا في غذاء. قيل: هو جواب لمعاند يقول: نحن نحرثه، وهو بنفسه يصير زرعاً، لا بفعلنا، ولا بفعل غيرنا، فرد الله على هذا المعاند بقوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ فهل تقدرون أنتم على حفظه؟، أو هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات؛ التي تصيبه؟! ولا يشك أحد في أن دفع الآفات لا يكون إلا بإذن الله، وحفظه. انتهى. خازن، وقرطبي. ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أي: تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم. وقيل: تندمون على نفقاتكم. وقيل: تندمون على ما سلف منكم من المعاصي التي أوجبت تلك العقوبة. وقيل: تتلاومون. وقيل: تحزنون. وقيل: هو تلهف على ما فات. قال الكسائي: (تفكه) من الأضداد، تقول العرب: تفكهت بمعنى: تنعمت، وتفكهت بمعنى: حزنت. هذا؛ ولا يوجد هذا اللفظ إلا في هذه السورة. هذا؛ وأصل التفكه تناول ضروب الفواكه للأكل، والفكاهة: المزاح، ومنه حديث زيد: كان من أفكه الناس مع أهله، ورجل فكه: طيب النفس، وقد استعير هنا للتنقل في الحديث.

هذا؛ و(ظلْتم) أصله: ظلِلْتم. فحذفت اللام الأولى تخفيفاً، ومثله قوله تعالى في سورة (طه) حكاية عن قول موسى للسامري: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ رقم [٩٧]. هذا؛ ويقرأ: (ظللتم) على الأصل، ويقرأ بفتح الظاء، وكسرها؛ إذا حذفت اللام الأولى. قراءات ثلاث. هذا؛ والمراد من الفعل هنا وفي سورة (طه) الاستمرار، لا التوقيت بالنهار فقط، كما في قوله تعالى في سورة (الشورى) رقم [٣٣]: ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ وهو يفيد: أنه بمعنى المستقبل أيضاً وفي كثير من الآيات: ﴿لَّظَلُّوا۟﴾ وأصله: ظلِلُوا، فسكنت اللام الأولى بعد إسقاط حركتها، وأدغمت في الثانية، وذلك كراهة أن يجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد في كلمة واحدة وهذا يطرد في كل مضعف، مثل: مدُّوا، وشدُّوا، فإذا اتصل به ضمير متحرك؛ وجب الفك، مثل قولك: ظلَلْتَ، وظلَلْنَا، وظلِلْن. وتقول: ظَلَلْتُ أفعل ذلك، وظلِلْتُ أفعلُه، وظلت أفعله بكسر الظاء وفتحها: إذا كنت تفعله نهاراً.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: لملزمون غرامة ما أنفقنا، أو لمهلكون لهلاك رزقنا. من: الغرام، وهو الهلاك، وعن ابن عباس، وقتادة ـ رضي الله عنهما ـ قالا: والغرام: العذاب، ومنه قول ابن المحلم: [الطويل]

وثِقْتُ بأنَّ الحِفْظَ مِني سَجِيةٌ وأن فؤادي مُتْبَلٌ بكِ مُغْرَمُ

وقال مجاهد، وعكرمة ـ رضي الله عنهما ـ: لمولع بنا. ومنه قول النمر بن تولب ـ رضي الله عنه ـ: [المتقارب]

سَلا عَنْ تَذكُّرِهِ تُكْتَمَا وكَانَ رهيناً بِها مُغْرَمَا

وفي المختار: الغرام: الشر الدائم، والعذاب. هذا؛ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ سورة (الفرقان) رقم [٦٥] أي: هلاكاً لازماً لزومياً كلياً في حق الكفار، ولزوماً بعد إطلاق في حق عصاة المسلمين، ومنه سمي الغريم لملازمته من له عليه حق من دم، أو مال، أو نحوهما. وفلان مغرم بكذا؛ أي: ملازم له ومولع به، وهذا معناه في كلام العرب، فيما ذكر ابن الأعرابي وابن عرفة وغيرهما، وقال الأعشى: [الخفيف]

إنْ يعاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وإنْ يُعْطِ جزيلاً فإنه لا يُبالي

وقال بشر بن أبي خازم: [المتقارب]

يومُ النِّسارِ ويَوْمُ الجِفَارِ فَكَانَا عَذَاباً وكَانَا غَرَامَا

هذا؛ والمغرم بفتح الميم والراء: الخسران، والضياع، ومن دعاء الرسول ﷺ: «**اللهمَّ إني أعوذُ بِكَ من المأْثَم والمَغرَم، وأعوذُ بكَ مِنَ الفِتَنِ ما ظهرَ مِنها ومَا بَطَنَ**». قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا...﴾ إلخ الآية رقم [٩٨] من سورة (التوبة) وفي حديث النبي ﷺ الذي يرويه علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ: «**إذَا كانتِ الأمَانةُ مغنماً، والزَّكاةُ مَغْرماً**». والمغرم بزنة المفعول: أسير الحب والعشق. ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: ممنوعون، والمعنى: حرمنا الذي كنا نطلبه من الريع في الزرع، والمحروم: الممنوع من الرزق، وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ مر بأرض الأنصار، فقال: «**ما يَمْنَعُكُمْ مِنَ الحَرْثِ؟**». قالوا: الجدوبةُ يا رسولَ الله! فقال: «**لا تفعلوا؛ فإن الله تعالى يقول: أنا الزارع، وإنْ شِئْتُ زَرَعْتُ بالرِّيحِ، وإنْ شِئْتُ زرعتُ بالبذرِ**». ثم تلا: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ إعرابها مثل إعراب: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ بلا فارق بينهما. ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾: إعرابها مثل إعراب: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿نَشَآءُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَجَعَلْنَٰهُ﴾: (اللام): واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. (جعلناه): فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿حُطَٰمًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب ﴿لَوْ﴾، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿فَظَلْتُمْ﴾: (الفاء): حرف عطف. (ظلتم): فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمها. ﴿تَفَكَّهُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (ظل)، وجملة: (ظلتم تفكهون) معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثله. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ):

حرف مشبه بالفعل. (ونا): اسمها حذفت نونها وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾: (اللام): هي المزحلقة. (مغرمون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: تقولون: إنا لمغرمون، وجملة: ﴿نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: «تقولوا: إنا... إلخ» المقدرة في محل نصب حال.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾: أخبروني عن الماء الذي تشربونه، لتحيوا به أنفسكم، وتسكنوا به عطشكم: من أين تأتون به؛ إذا منع عنكم؟! قال تعالى في آخر سورة (الملك): ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾. هذا؛ وقدم الطعام؛ لأن الشراب إنما يكون تبعاً للمطعوم، ولهذا جاء الطعام مقدماً في الآيات السابقة، ولو عكست؛ قعدت تحت قول أبي العلاء المعري: [الوافر]

إذا سُقيتْ ضيوفُ الناسِ محضاً سَقَوْا أَضْيافَهُمْ شَبِماً زُلالا

وسُقِيَ بعضُ العرب، فقالَ: أنا لا أشربُ إلا على ثميلة.

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ أي: السحاب. الواحدة: مزنة. قال عامر بن جوين الطائي: [المتقارب]

فَلَا مُزْنَةٌ ودَقَتْ وَدْقَهَا وَلَا أَرْض أبْقَلَ إبْقَالَهَا

وهذا هو الشاهد رقم [١١١٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». والجمع: المزن، كما في الآية الكريمة، وقال الشاعر: [الطويل]

فَنَحْنُ كماءِ المزْنِ ما في نِصَابِهَا كَهَامٌ، ولَا فِينَا يُعَدُّ بخيلُ

وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: أن المزنَ: السحاب. هذا؛ وتطلق المزنة على المطرة الواحدة. قال الشاعر: [الطويل]

ألَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أنزلَ مُزْنَةً وعُفْرُ الظِّباءِ في الكِنَاسِ تَقَمَّعُ

وانظر ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ في سورة (النبأ) رقم [١٤] حيث أطلقت على السحاب أيضاً.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ أي: فإذا عرفتم بأني أنزلت المطر من السحاب، وهو حياة لكم، فلمَ لا تشكروني بإخلاص العبادة لي؟! ولِمَ تنكرون قدرتي على الإعادة؟! ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾: ملحاً شديد الملوحة. قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وقال الحسن البصري ـ رحمه الله

تعالى ـ: مراً زعاقاً، لا تنتفعون به في شرب، ولا زرع، ولا غيرهما. ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: فهلا تشكرون الله على إنعامه في إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً. قال تعالى في سورة (النحل) رقم [١٠]: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾. وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان إذا شرب الماء؛ قال: «**الحمدُ لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا**». أخرجه ابن أبي حاتم.

تنبيه: من الملاحظ: أن اللام دخلت في جواب (لو) في قوله: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ ونزعت من قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ فابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ قد علل حذف اللام من الثاني، واستحسنه لطول الفصل. وعلله النسفي بقوله: لأن (لو) لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط، ولم تكن مخلصة للشرط كـ: «إنْ» ولا عاملة مثلها، وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقاً؛ من حيث إفادتها في مضموني جملتيها: أن الثاني امتنع لامتناع الأول؛ افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علماً على هذا التعلق، فزيدت هذه اللام لتكون علماً على ذلك، ولما شهر موقعه؛ لم يبال بإسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به، وتساوي حالَيْ حذفه، وإثباته، على أن تقدم ذكرها، والمسافة قصيرة مغنٍ عن ذكرها ثانية، ولأن هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب؛ للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشد، وأصعب مِنْ قِبَل: أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم، ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب. انتهى.

هذا؛ و«يشاء» وماضيه: شاء، ولم يرد له، ولا لـ: «أراد» يريد أمر فيما أعلم، فهما ناقصا التصرف، وأصل شاء: شَيِءَ على وزن فعِل بكسر العين، بدليل شئت شيئاً، وقد قلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، وقد كثر حذف مفعوله، وحذف مفعول: أراد، حتى لا يكاد ينطق به إلا في الشيء المستغرب، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ وقال الشاعر الخزيمي: [الطويل]

فَلَوْ شِئْتُ أنْ أبكي دماً لَبكيْتُهُ ... عَلَيْهِ ولَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

وقيد بعضهم حذف مفعول هذين الفعلين بعد «لو» كما في آيتي هذه السورة. وليس كذلك. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ﴾: انظر الآية رقم [٥٨]. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة ﴿ٱلْمَآءَ﴾، والجملة بعده صلته، والعائد محذوف، التقدير: الذي تشربونه. ﴿ءَأَنتُمْ﴾: (الهمزة): حرف استفهام إنكاري توبيخي. (أنتم): يجوز فيه ما جاز بقوله: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾. ﴿أَنزَلْتُمُوهُ﴾: فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم حرف دال على جماعة الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به،

والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبارها مفسرة لجملة محذوفة، وفي محل رفع خبر الضمير على اعتباره مبتدأ، والجملة على الوجهين في محل نصب مفعول به ثان للفعل (أرأيتم)، والجملة الاسمية: ﴿نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها. ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ انظر الآية رقم [٦٥] فالإعراب مثله بلا فارق. ﴿فَلَوْلَا﴾: (الفاء): حرف عطف، وسبب، أو هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً، وحاصلاً؛ فهلا حصل منكم شكر لله المنعم المتفضل؟! (لولا): حرف تحضيض. ﴿تَشْكُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . . إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على اعتبار الفاء عاطفة، ولا محل لها على اعتبارها الفصيحة، ولكن الجملة الشرطية معطوفة برمتها على ما قبلها. تأمل، وتدبر.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ أي: أخبروني عن النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب. ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ يعني: التي تكون منها الزناد. وقيل: المراد بذلك: شجر المرخ، والعفار، ينبت في أرض الحجاز، فيأتي من أراد قدح نار، وليس معه زناد، فيقطع منهما غصنين مثل السواكين، وهما خضراوان، يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ ـ وهو ذكر ـ على العفار، وهو أنثى، فتنقدح النار بإذن الله تعالى، كالزناد سواء. وفي المثل: «في كل شجر نار، واسْتَمْجَد المرخ والعفار». ولقد أحسن من قال: [البسيط]

جَمْعُ النَّقِيضَيْنِ مِنْ أَسْرَارِ قُدْرَتِهِ ... هَذَا السَّحَابُ بِهِ مَاءٌ بِهِ نَارُ

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ أي: الخالقون للشجر، ولغيره، وإذا عرفتم قدرتي؛ فاشكروني، ولا تنكروا قدرتي على البعث، والحساب، والجزاء. ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾: قال قتادة، ومجاهد ـ رحمهما الله تعالى ـ: أي: تذكر نار الدنيا النار الكبرى يوم القيامة. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**نارُكُمْ هذِهِ ما يُوقِدُ بنُو آدَمَ جُزْءٌ واحدٌ مِنْ سبعينَ جُزْءاً مِنْ نارِ جهَنَّمَ**». قالوا: والله إن كانت لكافية! قال: «**إنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتسْعَةٍ وستين جُزْءاً، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**» رواه مالك، والبخاري، ومسلم، والترمذي. وعن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ قال: «**أُوقِدَ على النار ألف سنةٍ حتى احمرَّت، ثم أوقد عليهَا ألفُ سنةٍ حتى ابيَضَّتْ، ثم أُوقِدَ عليهَا ألفُ سنَةٍ حتى اسْوَدَّتْ، فهي سوداءُ كالليْلِ المُظْلِمِ**». رواه الترمذي، وابن ماجه، ويروى لفظ ألف برفعه، ونصبه.

﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾: منفعة للمسافرين، سموا بذلك لنزولهم القوى، وهو القفر، يقال: أقوت الدار، وقويت أيضاً؛ أي: خلت من سكانها. قال النابغة في معلقته رقم [١]: [البسيط]

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ أَقْوَتْ وطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَمَدِ

وقال عنترة في معلقته أيضاً رقم [١٠]: [الكامل]

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أقوى وأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الهَيْثَمِ

وقال مجاهد: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ المستمتعين بها من الناس أجمعين في الطبخ، والخبز، والاصطلاء والاستضاءة، ويتذكر بها نار جهنم، فيستجار بالله منها. وهذا أولى. ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار، وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى النار في منزله؛ أخرج زنده، وأورى، وأوقد ناره، فطبخ بها، واصطلى، واشتوى، واستأنس بها، وانتفع سائر الانتفاعات، فلهذا أُفْرِد المسافرون بالذكر، وإن كان ذلك عاماً في حق الناس كلهم.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة: الماء الزلال العذب البارد، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً كالبحار المغرقة، وخلق النار المحرقة، وجعل ذلك مصلحة للعباد، وجعل هذه منفعة لهم في معاشهم في دنياهم، وزجراً لهم في آخرتهم، وعذاباً للعاصين، والفاسقين منهم. وانظر (التسبيح) في سورة (الفتح) رقم [٩].

الإعراب: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ﴾: انظر الآية رقم [٥٨] فالإعراب لا يتغير. ﴿ٱلَّتِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة (النار) والجملة بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: التي تورونها. ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ﴾ إعراب هذه مثل: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿شَجَرَتَهَآ﴾: مفعول به. (وها): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مثلها. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿جَعَلْنَٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية تعليل لما قبلها، لا محل لها. ﴿تَذْكِرَةً﴾: مفعول به ثان. ﴿وَمَتَٰعًا﴾: الواو: حرف عطف. (متاعاً): معطوف على ما قبله. ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة متاعاً. ﴿فَسَبِّحْ﴾: (الفاء): الفصيحة. (سبح): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِٱسْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر. وقيل: الباء زائدة. وقيل: لفظ (اسم) أيضاً زائد، فيكون التقدير: فسبح ربك؛ أي: ذاته العلية، وعلى الأول فـ: (اسم) مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾ مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: صفة للمضاف، أو للمضاف إليه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً، وواقعاً؛ فسبح ربك ونزهه عما لا يليق به.

﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾: قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: (لا) صلة في قول أكثر المفسرين، والمعنى: فأقسم بدليل قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ وقال الفراء: هي نفي، والمعنى ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف: ﴿أُقۡسِمُ﴾ وقد يقول الرجل: لا، والله ما كان كذا! فلا يريد به نفي اليمين، بل يريد به نفي كلام تقدم؛ أي: ليس الأمر كما ذكرت، بل هو كذا. وقيل: (لا) بمعنى: ألا للتنبيه. ونبه بهذا على فضيلة القرآن؛ ليتدبروه، وأنه ليس بشعر، ولا سحر، ولا كهانة، كما زعموا. وقرأ الحسن، وحميد، وعيسى بن عمر: (فَلَأُقْسم) بغير ألف بعد اللام على التحقيق، وهو فعل حال، ويقدر مبتدأ محذوف، التقدير: فلأنا أقسم بذلك، ولو أريد به الاستقبال؛ للزمت النون، وقد جاء حذف النون مع الفعل الذي يراد به الاستقبال، وهو شاذ. انتهى. هذا؛ ويقرب من هذا ما تراه في أول سورة (القيامة) إن شاء الله تعالى.

هذا؛ وقال ابن هشام في المغني: اختلف في (لا) في مواضع من التنزيل: أهي نافية، أم زائدة؟ أحدها: قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فقيل: هي نافية. واختلف هؤلاء في منفيها على قولين: أحدهما: أنه شيء تقدم، وهو ما حكي عنهم كثيراً من إنكار البعث، فقيل لهم: ليس الأمر كذلك، ثم استؤنف القسم. قالوا: وإنما صح ذلك؛ لأن القرآن كله كالسورة الواحدة، ولهذا يذكر الشيء في سورة، وجوابه في سورة أخرى، نحو قوله تعالى في سورة (الحجر) الآية رقم [٦]: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾، وجوابه: قوله تعالى في سورة (القلم): ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾.

والثاني: أن منفيها ﴿أُقۡسِمُ﴾ وذلك على أن يكون إخباراً، لا إنشاءً. واختاره الزمخشري. قال: والمعنى في ذلك: أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ فكأنه قيل: إن إعظامه بالإقسام به كلا إعظام؛ أي: إنه يستحق إعظاماً فوق ذلك. وقيل: هي زائدة، واختلف هؤلاء في فائدتها على قولين: أحدهما: أنها زيدت توطئةً، وتمهيداً لنفي الجواب. والتقدير: لا أقسم بيوم القيامة لا يتركون سدىً! ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ الآية رقم [٦٥] من سورة (النساء)، وأيضاً قول امرئ القيس، وهو الشاهد رقم [٤٥٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [المتقارب]

فَلَا وَأَبِيكِ ابْنَةَ العَامِرِيِّ ... لَا يَدَّعِي القَوْمُ أَنِّي أَفِرْ

ورد بقوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ...﴾ الآيات فإن جوابه مثبت، وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾. والثاني: أنها زيدت لمجرد التوكيد، وتقوية الكلام، كما في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ رقم [٢٩] من سورة (الحديد) ورد بأنها لا تزيد لذلك صدراً، بل حشواً، كما أن زيادة (ما) و(كان) كذلك، نحو قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ رقم [١٥٩] من سورة (آل عمران)، وقوله تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ رقم [٧٨] من سورة (النساء)، ونحو: (زيد كان فاضل) وذلك؛ لأن زيادة الشيء تفيد إطراحه، وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به. قالوا: ولهذا نقول بزيادتها في نحو قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ سورة (المعارج)، وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ لوقوعها بين الفاء، ومعطوفها بخلاف هذا، وأجاب أبو علي بما تقدم من أن القرآن كالسورة الواحدة. انتهى. بحروفه.

﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾: مواقع النجوم: مساقطها، ومغاربها في قول قتادة، وغيره. وقال الحسن البصري: انكدارها، وانتثارها يوم القيامة. وقال القشيري: هو قسم، ولله أن يقسم بما يريد، وليس لنا أن نقسم بغير الله تعالى، وصفاته القديمة. قال القرطبي: يدل على هذا قراءة الحسن: (فَلَأُقسم) وما أقسم به سبحانه من مخلوقاته في غير موضع من كتابه. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: المراد بمواقع النجوم: نزول القرآن نجوماً، أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكاتبين، فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل عليه السلام على محمد ﷺ عشرين سنة، فهو ينزل به على الأحداث من أمته.

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾: لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة، وكمال الحكمة، وفرط الرحمة، ومن مقتضيات رحمته ألّا يترك عباده سدىً، وهو اعتراض في اعتراض بين القسم والمقسم عليه، و﴿لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ اعتراض بين الموصوف، والصفة. ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ أي: عزيز مكرَّم؛ لأنه كلام الله تعالى، ووحيه إلى نبيه ﷺ. وقيل: الكريم الذي من شأنه أن يعطي الكثير، وسمي القرآن كريماً؛ لأنه يفيد الدلائل؛ التي تؤدي إلى الحق في الدين. وقيل: الكريم: اسم جامع لما يحمد، والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى، والنور، والبيان، والعلم، والحكم، فالفقيه يستدل به، ويأخذ منه، والحكيم يستمد منه، ويحتج به، والأديب يستفيد منه، ويتقوى به، فكل عالم يطلب أصل علمه منه. وقيل: سمي كريماً؛ لأن كل أحد يناله، ويحفظه من كبير، وصغير، وذكي، وبليد، بخلاف غيره من الكتب. وقيل: إن الكلام إذا كرر مراراً يسأمه السامعون، ويهون في الأعين، وتمله الآذان، والقرآن عزيز كريم، لا يهون بكثرة التلاوة، ولا يخلق بكثرة الترداد، ولا يمله السامعون، ولا يثقل على الألسنة، بل هو غض طري، يبقى أبد الدهر. انتهى. خازن.

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ﴾: مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ من الشيطان من أن يناله بسوء. وقيل: المراد بـ: (الكتاب) المصحف، ومعنى ﴿مَّكۡنُونٍ﴾: مصون، محفوظ من التبديل، والتحريف. والقول الأول أصح.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ أي: ذلك الكتاب المكنون. ﴿إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾: وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك، والذنوب، والأحداث. يروى هذا القول عن ابن عباس، وأنس، وهو قول سعيد بن جبير، وأبي العالية، وقتادة، وابن زيد. وقيل: هم السفرة الكرام البررة، ويدل له قوله تعالى في سورة (عبس): ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾. وعلى القول الثاني من أن المراد بالكتاب: المصحف، فقيل: معنى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ أي: من الشرك. وكان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ينهى أن تمكن اليهود، والنصارى من قراءة القرآن. قال الفراء: لا يجد طعمه، ونفعه إلا من آمن به. وقيل: معناه لا يقرؤه إلا الموحدون. وقال قوم: معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث، والجنابات. وظاهر الآية نفي، ومعناه نهي. قالوا: لا يجوز للجنب، ولا للحائض، ولا للمحدث حمل المصحف، ولا مسه. وهو قول عطاء، وطاوس، وسالم، والقاسم، وأكثر أهل العلم، وبه قال مالك، والشافعي، وأكثر الفقهاء. يدل عليه ما روى مالك في الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم: أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: «**أن لا تمسَّ القرآن إلا طاهراً**». أخرجه مالك مرسلاً. وقد جاء موصولاً عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ كتب إلى أ هل اليمن بهذا. والصحيح فيه الإرسال. وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن أبيه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَمَسُّ القرآنَ إلَّا طاهرٌ**». والمراد بالقرآن: المصحف، سمَّاه قرآناً على قرب الجوار، والاتساع. كما روي: أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، وأراد به المصحف. وقال الحكم، وحماد، وأبو حنيفة: يجوز للمحدث، والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه. انتهى. خازن. وقال ابن جرير عن قتادة؛ قال: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا؛ فإنه يمسه المجوسي النجس، والمنافق الرجس.

﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: هذا القرآن منزل من رب العالمين، وليس هو كما يقولون: إنه لسحر، أو شعر، أو كهانة، بل هو الحق الذي لا مرية فيه، وليس وراءه حق نافع. وقال أبو زيد: زعمت كفار قريش: أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى: أنه لا يمسه إلا المطهرون، كما قال تعالى في سورة (الشعراء): ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾.

تنبيه: وجه المناسبة بين المقسم به (وهو النجوم) وبين المقسم عليه (وهو القرآن) في الآيات: [٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧]: أن النجوم جعلها الله ليهتدي بها الناس في ظلمات البر، والبحر،

وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الجهل، والضلالة، وتلك ظلمات حسية، وهذه ظلمات معنوية، فالقسم هنا جاء جامعاً بين الهدايتين: الحسية للنجوم، والمعنوية للقرآن. فهذا وجه المناسبة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَلَآ﴾: (الفاء): حرف استئناف. (لا): نافية، أو صلة، انظر الشرح. ﴿أُقْسِمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(مواقع) مضاف، و﴿ٱلنُّجُومِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: (الواو): واو الاعتراض. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿لَقَسَمٌ﴾: (اللام): هي المزحلقة، (قسم): خبر (إنَّ). ﴿لَّوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، وهو منزل منزلة اللازم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، والتقدير: لو كنتم من ذوي العلم؛ لعلمتم عظم هذا القسم. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة (قسم)، و﴿لَّوْ﴾ ومدخولها كلام معترض بين الموصوف، وصفته، والجملة الاسمية: (إنه لقسم...) إلخ معترضة بين القسم المتقدم، وجوابه الآتي، فهو اعتراض في اعتراض.

﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿لَقُرْءَانٌ﴾: (اللام): هي المزحلقة. (قرآن): خبر (إنَّ). ﴿كَرِيمٌ﴾: صفة (قرآن)، والجملة الاسمية جواب القسم: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ...﴾ إلخ. والقسم، وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (قرآن). ﴿مَّكْنُونٍ﴾: صفة ﴿كِتَٰبٍ﴾. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَمَسُّهُۥٓ﴾: مضارع مرفوع، والهاء مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثالثة لـ: (قرآن). وقيل: ﴿لَّا﴾ ناهية، والفعل مجزوم؛ لأنه لو فك؛ لظهر الجزم، كقوله تعالى: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ ولكنه أدغم، ولما أدغم حرك آخره بالضم لأجل هاء ضمير المذكر الغائب. وفي الكرخي: وضعف ابن عطية النهي بأن قوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ صفة فيلزم الفصل بين الصفات، وذلك لا يحسن، وأجيب بأن قوله: ﴿تَنزِيلٌ﴾ لا يتعين أن يكون صفة لجواز أن يكون خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو تنزيل، فلا يمتنع حينئذ أن يكون: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ نهياً، و﴿يَمَسُّهُۥٓ﴾ مجزوم في التقدير؛ إذ لو فك؛ لظهر الجزم، ولكنه لما أدغم حرك آخره لأجل الإدغام، وكانت الحركة ضمة إتباعاً لضمة الهاء. انتهى. جمل. هذا؛ وقرئ: (تنزيلاً) على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: نزل تنزيلاً. ﴿مِّن رَّبِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿تَنزِيلٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، و﴿رَّبِّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن، وانظر الآية رقم [٢٤] من سورة (الذاريات). ﴿أَنتُم﴾: خطاب لأهل مكة. ﴿مُّدْهِنُونَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: مكذبون. وقيل: كافرون. وقال المؤرج: المدهن، والمداهن: المنافق، أو الكافر؛ الذي يُلين جانبه، ليخفي كفره. والإدهان، والمداهنة: التكذيب، والكفر، والنفاق. قال تعالى في سورة (ن): ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ وأصله: اللين، وأن يسر خلاف ما يظهر. قال أبو قيس بن الأسلت: [السريع]

الحَزْمُ والقوةُ خيرٌ مِنَ الـ ... إدهانِ والفَهَّةِ والهَاعِ

الفهة: السقطة، والجهلة، ونحوها. والهاع، والهائعة: الصوت الشديد؛ الذي تفزع منه، وتخافه من عدو. ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: حظكم من القرآن. قال الحسن رحمه الله في هذه الآية: خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب. وقال جماعة من المفسرين: معناه: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون؛ أي: بنعمة الله عليكم، وهذا في الاستسقاء بالأنواء، وذلك: أنهم كانوا إذا مطروا يقولون: مطرنا بنوء كذا، ولا يرون ذلك من فضل الله عليهم، فقيل لهم: أتجعلون رزقكم؛ أي: شكركم بما رزقكم الله التكذيب، فمن نسب الإنزال إلى النجم؛ فقد كذب برزق الله، ونعمه، وكذب بما جاء به القرآن. والمعنى: أتجعلون بدل الشكر التكذيب.

فعن يزيد بن خالد الجهني ـ رضي الله عنه ـ قال صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف؛ أقبل على الناس، فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ ماذَا قال رَبكمْ؟**». قالُوا: الله ورسولُه أعلمُ. قال: قال: «**أصْبَحَ مِنْ عِبادي مؤمنٌ بي، وكافرٌ، فأمَّا مَنْ قالَ: مُطِرْنا بفضلِ الله، ورحْمتِهِ، فذلكَ مؤمنٌ بي، كافرٌ بالكواكبِ. وأمَّا مَنْ قالَ: مُطِرْنَا بنوءِ كذا، وكذا، فذلِك مؤمنٌ بالكواكب، كافِرٌ بي**». رواه مسلم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَفَبِهَٰذَا﴾: (الهمزة): حرف استفهام إنكاري توبيخي. (الفاء): حرف استئناف. (بهذا): جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُّدْهِنُونَ﴾، والهاء حرف تنبيه مقحم بينهما. ﴿ٱلْحَدِيثِ﴾: نعت لاسم الإشارة، أو بدل، أو عطف بيان عليه. ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مُّدْهِنُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (تجعلون): مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿رِزْقَكُمْ﴾: مفعول به أول، وهو على حذف مضاف، التقدير: شكر رزقكم، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أَنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿تُكَذِّبُونَ﴾: فعل مضارع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ)، واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به ثان، وجملة: (تجعلون. . .) إلخ معطوفة على ﴿مُّدْهِنُونَ﴾، فهي في محل رفع مثلها.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَوْلَآ﴾ أي: فهلا. ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ أي: بلغت النفس، أو الروح إلى الحلقوم عند الموت، والحلقوم: ممر الطعام، والشراب. ﴿وَأَنتُمْ﴾: يا أهل الميت. ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ يعني: إلى الميت متى تخرج روحه. وقيل: تنظرون إلى أمري، وسلطاني، لا يمكنكم الدفع، ولا تملكون شيئاً. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بالعلم، والقدرة، والرؤية. قال عامر بن عبد القيس: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليَّ منه. وقيل: أراد: ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إلى الميت منكم. والضمير المجرور بـ: (إلى) يعود إلى المحتضر، وهو غير مذكور، لكنه مفهوم من المقام. ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه. ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير مملوكين ومقهورين. قال الفراء، وغيره: دنته: ملكته، وأنشد للحطيئة: [الوافر]

لَقَدْ دُيِّنْتِ أَمْرَ بَنِيكِ حَتَّى تَرَكْتِهِم أَدَقَّ مِنَ الطَّحِينِ

وقيل: معنى مدينين: محاسبين، ومجزيين بأعمالكم، ومنه قوله تعالى في سورة (الصافات) حكاية عن قول منكر البعث، والجزاء: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي: لمجزيون، ومحاسبون. ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعدما بلغت الروح الحلقوم.

والمعنى: إنكم في جحودكم آيات الله في كل شيء؛ إن أنزل عليكم كتاباً معجزاً؛ قلتم: سحر، وافتراء. وإن أرسل عليكم رسولاً صادقاً؛ قلتم: ساحر كذاب. وإن رزقكم مطراً يحييكم به؛ قلتم صدق نوء كذا، على مذهب يؤدي إلى الإهمال، والتعطيل. فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغها الحلقوم، وإن لم يكن ثمة قابض، وكنتم صادقين في تعطيلكم، وكفركم بالمحيي المميت، المبدئ المعيد. انتهى. كشاف، ونسفي.

هذا؛ وأصل ﴿كُنتُمْ﴾ كُوَنْتُمْ، فقل في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار: «كانتم» التقى ساكنان: الألف وسكون النون، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار (كَنْتُم) بفتح الكاف، ثم أبدلت الفتحة ضمة لتدل على الواو المحذوفة، فصار: كُنْتم. وهناك إعلال آخر، وهو أن تقول: أصل الفعل: كَوَن، فلما اتصل بضمير رفع متحرك نقل إلى باب فعُل، فصار «كَوَنْت» ثم نقلت حركة الواو إلى الكاف قبلها، فصار: «كُونْتُ» فالتقى ساكنان: العينَ المعتلة، ولام الفعل، فحذفت العين وهي الواو لالتقاء الساكنين، فصار: «كُنْتُ» وهكذا قل في إعلال كل فعل أجوف واوي مسند إلى ضمير رفع متحرك، مثل: قال، وقام، ونحوهما.

الإعراب: ﴿فَلَوْلَآ﴾: (الفاء): حرف عطف، أو استئناف. (لولا): حرف تحضيض بمعنى: هلا. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مجرد من الشرطية مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ الآتي. ﴿بَلَغَتِ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾: مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره: هي يعود إلى «الروح» المفهومة من المقام، وهو مثل قوله تعالى في سورة (القيامة): ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾، وقوله تعالى في سورة (صٓ): ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾، وقوله تعالى في سورة (هود): ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾. ومثل هذه الآيات قول حاتم الطائي: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ امْرِئٍ إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْماً وضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

وأيضاً قول سوَّار بن المضرِّب السعدي، وهو الشاهد رقم [١٩١] من كتابنا: «فتح رب البرية» يخاطب به الحجاج حين فرض البعث مع المهلب بن أبي صفرة لقتال الخوارج: [الطويل]

إِذَا كَانَ لا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِي إِلَى قَطَرِيٍّ لَا إِخَالُكَ رَاضِيَا

﴿وَأَنتُمْ﴾: (الواو): واو الحال. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿حِينَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل بعده، و(إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والتنوين عوض عن جملة محذوفة، التقدير: حين إذ بلغت الروح الحلقوم. ﴿تَنظُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (أنتم تنظرون حينئذٍ) في محل نصب حال من فاعل ﴿بَلَغَتِ﴾، والرابط: الواو فقط. ﴿وَنَحْنُ﴾: (الواو): واو الحال. (نحن): ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿أَقْرَبُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، فهي حال متداخلة. وقيل: هي مستأنفة معترضة. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَقْرَبُ﴾. ﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَقْرَبُ﴾ أيضاً. ﴿وَلَٰكِن﴾: (الواو): حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿تُبْصِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب حال.

﴿فَلَوْلَآ﴾: معطوفة على مثلها، وهي من باب التوكيد اللفظي. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، و(التاء) اسمه. ﴿غَيْرَ﴾: خبر (كان)، و﴿غَيْرَ﴾ مضاف، و﴿مَدِينِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء، وجملة: ﴿كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف يدل عليه ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾. ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله و(ها) مفعول به، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها؛ لأنها واقعة

بعد لولا التحضيضية. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إعرابها واضح، وجواب الشرط في الجملتين محذوف لدلالة الكلام عليه، التقدير: إن كنتم غير مدينين إن كنتم صادقين فهلا ترجعونها؛ أي: الروح.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ليس من اعتراض الشرط على الشرط ـ نحو: إن ركبت، إن لبست، فأنت طالق ـ حتى يجيء فيه ما قدمته في هذه المسألة؛ لأن المراد هنا إن وجد الشرطان كيف كانا؛ فهلا رجعتم بنفس الميت. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. هذا؛ وسها القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ حيث اعتبر (إذا) أحد الشرطين، واعتبر جملة: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ جواباً لهما، وعزاه للفراء، وقال: وربما أعادت العرب الحرفين، ومعناهما واحد، ومنه: قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية رقم [٣٨] من سورة (البقرة). ولا وجه لاستشهاده بهذه الآية، ولو استشهد بقوله تعالى في سورة (هود) الآية رقم [٣٤]: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. وبقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا...﴾ إلخ الآية رقم [٥٠] من سورة (الأحزاب) فلا وجه له أيضاً. انظر شرح الآيتين وإعرابهما في محلهما، وخذ قول الشاعر، وهو الشاهد رقم [١٠٤١] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

إنْ تَسْتَغِيثُوا بِنَا إنْ تُذْعَرُوا تَجِدُوا ... مِنَّا مَعَاقِلَ عِزٍّ زَانَهَا كَرَمُ

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾

الشرح: عود على بدء، لقد ذكر الله تعالى في مطلع هذه السورة: أن الناس يوم القيامة يكونون أزواجاً ثلاثة ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ...﴾ إلخ، وذكر الله عز وجل هنا أحوالهم عند الموت، وما يبشرون به كل حسب ما يستحق من الجزاء، والجزاء من جنس العمل، فقال جلت قدرته وتعالت حكمته: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي: الذي حضره الموت. ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ يعني: السابقين إلى الطاعات، وهم الذين فعلوا الواجبات، والمستحبات، وتركوا المحرمات، والمكروهات، وبعض المباحات ابتغاء وجه رب الأرض، والسموات. ﴿فَرَوْحٌ﴾ أي: فلهم روح، وهو الراحة، ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ أي: وله استراحة، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت، فتقول: أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب، كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان. وجملة القول: فإن من مات مقرباً؛ حصل له الرحمة، والراحة، والاستراحة، والفرح، والسرور، والرزق الحسن. ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾: قال أبو العالية: لا يفارق أحد روحه من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة، فيقبض روحه فيه. وقال محمد بن كعب القرظي ـ رضي الله عنه ـ: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم: من أهل الجنة هو، أم من أهل النار؟.

هذا؛ وروى الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**مَنْ أَحبَّ لقاءَ الله؛ أحبَّ اللهُ لقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لقاء الله؛ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**». قال: فأكب القوم يبكون، فقال: «**ما يبكيكم؟**». فقالوا: إنا نكره الموت. قال: «**لَيْسَ ذلِكَ، ولكنه إذا احْتُضِرَ** ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾ **فإذا بشر بذلك؛ أحب لقاء الله، والله عز وجل للقائه أحبُّ** ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ۝٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ **فإذا بشر بذلك كره لقاء الله؛ والله تعالى للقائه أكره**». وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءَهُ، ومَنْ كَرِهَ لقاءَ الله؛ كَرِهَ الله لقاءَهُ**» فقلتُ: يا رسول الله! أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت! قال: «**لَيْسَ ذَلِكِ، ولكِنِ المؤمنُ إذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ، ورِضْوَانِهِ، وَجَنَّتِهِ؛ أحبَّ لقاءَ الله، فأحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإنَّ الكافِرَ إذَا بُشِّرَ بعذابِ الله، وسخطه؛ كرِهَ لقاءَ الله، فكرِهَ الله لِقَاءَهُ**». رواه البخاري ومسلم، وغيرهما.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي: المحتضر. ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾: وهم المذكورون في الآية رقم [٢٧] وما بعدها. ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ أي: تبشرهم ملائكة الرحمة بذلك. تقول لأحدهم: سلام لك. أي: لا بأس عليك أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين، وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: سَلِم من عذاب الله، وسَلَّمتْ عليه ملائكةُ الله. ويكون ذلك كقوله تعالى في سورة (فصلت): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ الآية رقم [٣٠].

هذا؛ و(سلام) اسم مصدر لا مصدر؛ لأن المصدر: تسليم؛ لأن الفعل سلَّم، يسلِّم بتشديد اللام فيهما. وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، ومثله: عذاب، وعطاء، ونبات، من: عذب، وأعطى، وأنبت، و﴿أَصۡحَٰبِ﴾ جمع: صاحب، ويكون بمعنى: المالك، كما في قولك: صاحب الدار، وصاحب المال، ونحوه. ويكون بمعنى الصديق، ويجمع أيضاً على: صحب، وصحاب، وصحابة، وصحبة، وصحبان. ثم يجمع (أصحاب) على: أصاحيب أيضاً، ثم يخفف، فيقال: أصاحب، ولا تنس: أن الصحابي من اجتمع مع النبي ﷺ، ولو ساعة وهو مؤمن، فالإيمان شرط لتسميته صحابياً، فإن اجتمع به؛ وهو غير مؤمن؛ لا يقال عنه: صحابي؛ وإن آمن بعد وفاة النبي ﷺ، كالذي حصل من كعب الأحبار، وأمثاله.

الإعراب: ﴿فَأَمَّآ﴾: (الفاء): حرف استئناف. (أمَّا): أداة شرط، وتفصيل وتوكيد، أما كونها أداة شرط؛ فلأنها قائمة مقام الشرط، وفعله، بدليل لزوم الفاء بعدها؛ إذ الأصل: مهما يك من شيء؛ فللمقربين روح، وريحان، فأنيبت (أمَّا) مناب: «مهما يك من شيء». فصار: (أما إن كان...) إلخ، وأما كونها أداة تفصيل؛ فلأنها في الغالب مسبوقة بكلام مجمل، وهي تفصله.

ويعلم ذلك من تتبع مواقعها. وأما كونها أداة توكيد؛ فلأنها تحقق الجواب، وتفيد: أنه واقع لا محالة؛ لأنها علقته على أمر متيقن.

﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى المحتضر، وهو غير مذكور، لكنه مفهوم من المقام، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٣]. ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَرَوْحٌ﴾: (الفاء): واقعة في جواب (أمَّا). (روح): مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: فله روح. والجملة الاسمية جواب (أمَّا)، وجواب ﴿إن﴾ محذوف اكتفاءً بجواب (أمَّا). ذكره ابن هشام في المغني، وأفاده مكي، والسمين. أقول: يكثر حذف جواب «إن»، وأما جواب (أما) فلا يحذف إلا في ضرورة الشعر. ﴿وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ﴾: معطوفان على (روح)، و(جنة) مضاف، و﴿نَعِيمٍ﴾ مضاف إليه، والكلام: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ...﴾ إلخ: كله مستأنف، لا محل له. ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾: إعرابه مثل سابقه بلا فارق. ﴿فَسَلَٰمٌ﴾: (الفاء): واقعة في جواب (أما). (سلام): مبتدأ، سوغ الابتداء به، وهو نكرة الدعاء. ﴿لَّكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية جواب أما، لا محل لها... إلخ. ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف خبر لمبتدأ ثان محذوف، أو بمحذوف حال من الكاف، وهو الأولى.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي: المحتضر. ﴿مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: بالبعث، والحساب، والجزاء. ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الهدى، وطريق الحق. وهؤلاء هم الصنف الثالث الذين ذكرهم الله في أول هذه السورة. ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: فلهم رزق من حميم، وزقوم، ونحو ذلك، كما قال تعالى في هذه السورة: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ...﴾ إلخ الآيات من هذه السورة. وانظر شرح (نُزُل) في الآية رقم [٥٦]، وقال تعالى في سورة (الصافات) رقم [٦٧]: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾. ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ أي: إدخال في النار، وانظر ﴿أَصْلَوْهَا﴾ في سورة (الطور) رقم [١٦]. ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: ما ذكر من قصة المحتضرين. ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: لا شك فيه. وقيلَ: إن هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في هذه السورة من الأقاصيص، وما أعد الله لأوليائه من النعيم، وما أعد لأعدائه من العذاب الأليم، وما ذكر مما يدل على وحدانية الله يقين، لا شك فيه، ولا ريب، ولا محيد لأحد عنه.

هذا؛ وجاز إضافة (الحق) إلى ﴿ٱلْيَقِينِ﴾ وهما واحد لاختلاف لفظهما. قال المبرد: هو كقولك: عين اليقين، ومحض اليقين، فهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين، وعند البصريين: هو على حذف المضاف إليه، وإقامة الصفة مقامه، التقدير: حق الأمر اليقين، أو الخبر اليقين وانظر (الحاقة) رقم [٥١] فإنه جيد.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: نزه الله تعالى عن السوء. وقيل: معناه فصلِّ بذكر ربك العظيم وبأمره. وعن عقبة بن عامر الجهني ـ رضي الله عنه ـ. قال: لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**اجعلوها في ركوعكم**» ولما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال النبي ﷺ: «**اجعلوها في سجودِكُمْ**». أخرجه الإمام أحمد، وابن ماجه، وأبو داود.

وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ أنه صلى مع النبي ﷺ، فكان يقول في ركوعه: «**سبحان الله العظيم**» وفي سجوده: «**سبحان ربي الأعلى**». وما أتى على آية رحمة؛ إلا وقف، وسأل، وما أتى على آية عذاب؛ إلا وقف، وتعوذ. أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

هذا؛ وقد حثنا الرسول ﷺ على كثرة التسبيح، ورغبنا فيه، أذكر منها ما يلي: فعن سليمان ابن يسار ـ رضي الله عنه ـ، عن رجل من الأنصار: أن النبي ﷺ قال، «**قال نوحٌ لابنِه: إني مُوصيك بوصيةٍ، وقاصِرُهَا لِكيْ لَا تَنْسَاهَا، أوْصِيكَ باثْنَتَيْنِ، وأَنهَاكَ عَنِ اثنَتَيْنِ، أَمَّا اللتَانِ أوصيك بهما؛ فيستبشرُ الله بهِمَا، وصالحُ خلقِهِ، وهما يُكثرانِ الولوج على الله: أوصيكَ بلا إلَهَ إلا اللهُ، فإن السمواتِ والأرضَ لَوْ كَانَتَا حلْقَةً؛ قصَمتْهُمَا، ولَوْ كَانَتَا في كِفَّةٍ؛ وزَنَتْهُمَا، وأوصيك بسبحان الله، وبحمده، فإنهما صلاةُ الخلقِ، وبِهما يُرْزَقُ الخلقُ، وإن مِنْ شيءٍ إلَّا يُسَبِّحُ بحمده، ولكِنْ لا تفقهونَ تَسبيحَهُمْ، إنه كان حليماً غفوراً. وأمَّا اللَّتانِ أنهاكَ عنهما؛ فيحتجبُ الله منهما، وصالِحُ خلْقِهِ: أنهاكَ عَنِ الشِّرْكِ، والكبْرِ**» رواه النسائي.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَلِمتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلى اللِّسانِ، ثَقِيلَتَانِ في الميزانِ، حَبيبتَانِ إلى الرحمن: سبحانَ الله وبحمده، سُبحانَ الله العظيم**». رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأنْ أقولَ: سُبْحَانَ الله والحمدُ لله، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ أحبُّ إليَّ مِمَّا طَلعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**». رواه مسلم والترمذي. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِيتُ إبراهيمَ عليهِ السلامُ ليلةَ أُسْرِيَ بي، فقالَ: يا محمدُ! أقرِئْ أُمّتَكَ مني السلامَ، وأخبرْهُمْ: أنَّ الجنةَ طيِّبةُ التربةِ، عذْبَةُ الماءِ، وأنَّهَا قيعانٌ، وأنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا الله، والله أكبرُ**». رواه الترمذي، والطبراني في الصغير، والأوسط، وزاد (ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللهِ).

تنبيه: لا يوجد في هذه السور الثلاث لفظ الجلالة (الله): (اقتربت، الرحمن، الواقعة)، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

فائدة: أثبتوا ألف الوصل في الآيتين المذكورتين في هذه السورة، وذلك: ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾؛ لأنه لم يكثر وروده كثرتَه في البسملة، وحذفوها منها لكثرة ورودها، وهم شأنهم الإيجاز، وتقليل الكثير إذا عرف معناه، وهذا معروف لا يجهل، وإثبات ما أثبت من إشكاله مما لا يكثر دليل على الحذف منه، ولذا لا تحذف الألف مع غير الباء في اسم الله، ولا مع الباء في غير الجلالة الكريمة من الأسماء. انتهى. جمل نقلاً عن الخطيب.

الإعراب: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾: انظر الآية رقم [٨٨] فالإعراب لا يتغير. ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ صفة ثانية لموصوف محذوف، والصفة الأولى ﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ وعلامة الجر فيهما الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنهما جمعا مذكر سالمان. ﴿فَنُزُلٌ﴾: (الفاء): واقعة في جواب (أمَّا). (نزل): مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: فله نزل، والجملة الاسمية جواب (أمَّا) لا محل لها، وجواب ﴿إِن﴾ محذوف، كما رأيت سابقاً. ﴿مِّنۡ حَمِيمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (نزل). ﴿وَتَصۡلِيَةُ﴾: الواو: حرف عطف. (تصلية): معطوفة على (نزل)، و(تصلية) مضاف، و﴿جَحِيمٍ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والكلام: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ...﴾ إلخ معطوف على ما قبله، لا محل له مثله. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم (إنَّ)، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿لَهُوَ﴾: (اللام): هي المزحلقة. (هو): مبتدأ. ﴿حَقُّ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، ويجوز اعتبار الضمير فصلاً لا محل له، ويكون (الحق) خبر ﴿إِنَّ﴾ ودخلت اللام على ضمير الفصل؛ لأنه إذا جاز أن تدخل على الخبر، فدخولها على الفصل أولى؛ لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، وأصلها أن تدخل على المبتدأ، و﴿حَقُّ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡيَقِينِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَسَبِّحۡ...﴾ إلخ تقدم إعراب هذه الجملة برقم [٧٤]. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

انتهت سورة (الواقعة) شرحاً وإعراباً بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.




سُورَةُ الحَدِيدِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة (الحديد) مدنية في قول الجميع، وهي تسع وعشرون آية، وخمسمئة وأربع وأربعون كلمة، وألفان وأربعمئة، وستة وسبعون حرفاً. انتهى. خازن. فعن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ، كان يقرأ بالمسبِّحاتِ قبل أن يرقدَ، ويقول: «**إن فيهنَّ آيةً أفضلُ مِنْ ألفِ آيةٍ**». يعني بالمسبحات: (الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن). أخرجه أحمد وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وقال الترمذي: حديث غريب.

أقول: لعل الآية المشار إليها في الحديث هي قوله تعالى في هذه السورة: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أو هي قوله تعالى في سورة (الحشر): ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ...﴾ إلخ إلى آخر السورة، ثلاث آيات، وأطلق عليهن لفظ آية تجوزاً.

هذا؛ وسميت السورة سورة (الحديد)؛ لذكر الحديد فيها، وهو قوة الإنسان في السلم، والحرب، وعدته في البنيان، والعمران، فمن الحديد تبنى الجسور الضخمة، وتشاد العمائر الفخمة، وتصنع آلات الحروب من الدروع، والسيوف، والرماح، وتكون الدبابات، والطائرات، والغواصات... إلى غير ما هنالك من منافع، انظر شرح الآية رقم [٢٥].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾

الشرح: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: مجد الله، وقدسه، ونزهه عن السوء. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ صلى لله ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ممن خلق من الملائكة. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: من شيء فيه روح، أو لا روح فيه. قال تعالى في سورة (الإسراء): ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ واختلف في هذا العموم، فقالت فرقة: المراد به تسبيح الدلالة، وكل محدث يشهد على نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر. وقالت فرقة أخرى: هذا التسبيح حقيقة، وكل شيء على العموم يسبّح تسبيحاً لا يسمعه البشر، ولا يفقهه. وهذا هو المعتمد. قال الزجاج ـ رحمه الله تعالى ـ: لو كان هذا تسبيح الدلالة، وظهور آثار الصنعة لكانت مفهومة، فلم قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾؟ ويستدل له بقوله تعالى في سورة (صٓ): ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾. وقوله جل ذكره في سورة (البقرة)

الآية رقم [٧٤]: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ وقوله جل شأنه في سورة (مريم): ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾.

فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: ما مِنْ صباحٍ، ولا رَواحٍ إلا تُنَادي بقاعُ الأرضِ بعضَها بَعْضاً: يا جاراهْ! هَلْ مرَّ بكِ اليومَ عبدٌ، فصلى لله، أو ذكر الله عليك؟ فمن قائلةٍ: لا، ومن قائلة: نعم، فإذا قالت: نعم رأت بذلك فضلاً عليها، وقال رسول الله ﷺ: «**لا يسمعُ صوتَ المؤذِّنِ جِنٌّ، ولا إنسٌ، ولا شجَرٌ، ولا حجرٌ، ولا مدرٌ، ولا شيءٌ إلا شهدَ لهُ يَومَ القيامةِ**». رواه ابن ماجه، ومالك من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ. وخبر حنين الجذع أيضاً مشهور في هذا الباب، وأخرجه البخاري في مواضع كثيرة في كتابه، وإذا ثبت ذلك في جماد واحد جاز في جميع الجمادات، ولا استحالة في شيء من ذلك، فكل شيء يسبح للعموم، ولو كان ذلك التسبيح تسبيح دلالة حال (كما يقول البعض) فأي تخصيص لتسبيح الجبال مع داود عليه السلام؟ وإنما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة، والإنطاق بالتسبيح كما تقدم. هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿مَا فِى﴾ تغليب غير العاقل على العاقل.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي الغالب؛ الذي لا يغلب. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي يضع الأمور في مواضعها حسب ما تقتضيه الحكمة. وقدم ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته.

الإعراب: ﴿سَبَّحَ﴾: فعل ماض. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. وقيل: اللام صلة، وعليه فلفظ الجلالة مجرور لفظاً، منصوب محلاً. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل ﴿سَبَّحَ﴾، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها من الإعراب. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: الواو: حرف عطف. (الأرض): معطوف على ما قبله. ﴿وَهُوَ﴾: (الواو): واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: خبر أول. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: ملكاً، وخلقاً، وعبيداً، فهو يتصرف بذلك كيف يشاء. ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: الإحياء يكون بالخلق والإيجاد الظاهرين، ويكون الإحياء بالإيمان على سبيل الاستعارة التبعية. وقل مثله في الإماتة. قال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [١٢٢]: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ فالاستعارة تمثيلية واضحة التقدير: له ملك السموات، والأرض محيياً، ومميتاً. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: من الإحياء، والإماتة. هذا؛ ولا تنس الطباق بين ﴿يُحْىِۦ﴾ و(يميت).

هذا؛ و«شيء» في اللغة عبارة عن كل موجود، إما حساً كالأجسام، وإما حكماً كالأقوال، نحو قلت: شيئاً، وجمع الشيء: أشياء (غير منصرف) واختلف في علته اختلافاً كبيراً، والأقرب ما حكي عن الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ: أن وزنه: شيآء، وزان حمراء، فاستثقل وجود همزتين في تقدير الإجماع، فنقلت الأولى إلى أول الكلمة: فبقيت لفعاء، كما قلبوا أدؤراً فقالوا: آدر وشبهه، وجمع الأشياء: أشايا.

الإعراب: ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، و﴿مُلْكُ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿يُحْىِۦ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى الله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المجرور بقوله: ﴿لَهُۥ﴾، والرابط: الضمير فقط. هذا؛ واللام مفيدة للملك الحقيقي، الذي هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور، أو هي في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو يحيي. والجملة الاسمية هذه في محل نصب حال من الضمير في ﴿لَهُۥ﴾، وإن اعتبرت الجملة الفعلية مستأنفة فلا محل لها. ﴿وَيُمِيتُ﴾: الواو: حرف عطف. (يميت): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿وَهُوَ﴾: (الواو): واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و(شيء): مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بـ: ﴿لَهُۥ﴾، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾

الشرح: اختلف في معاني هذه الأسماء، وقد شرحها رسول الله ﷺ شرحاً يغني عن قول كل قائل، فقال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «**اللهمَّ أنتَ الأولُ، فليسَ قَبْلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخر، فليسَ بعدك شيء، وأنت الظاهِرُ فليْسَ فَوْقَكَ شيء، وأنْتَ الباطِنُ فليْسَ دُونَكَ شيءٌ، اقضِ عنَّا الدينَ، وأغنِنَا من الفقر**». عنى بالظاهر: الغالب، وبالباطن: العالم. والله أعلم. انتهى. قرطبي. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: بما كان، ويكون، وسيكون، فلا يخفى عن علمه شيء، وهو السميع العليم.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء، كان هو، ولم يكن شيء موجوداً. والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء يفني الأشياء كلها، ويبقى هو. والظاهر الغالب العالي على كل شيء. والباطن العالم بكل شيء. هذا؛ والطباق ظاهر بين ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ و(الآخر) وبين (الظاهر) و(الباطن) وهو من المحسنات البديعية. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم، فيقول: «**اللهمَّ ربَّ السمواتِ السبعِ وربَّ العرشِ العظيم، رَبَّنا وربُّ كلِّ شيءٍ،**

مُنْزِلُ التوراةِ، والإنجيلِ، والفرقانِ، فالقُ الحبِّ، والنَّوَى، لا إلهَ إلا أنتَ، أعوذُ بك من شرِّ كُل شيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بناصيتهِ، أَنْتَ الأولُ، فليْسَ قبلكَ شيءٌ، وأنتَ الآخرُ، فليسَ بعدكَ شيءٌ، وأنتَ الظاهرُ، فليسَ فوقكَ شيءٌ، وأَنْتَ الباطِنُ، فليْسَ دونك شيءٌ. اقضِ عنَّا الدينَ، وأغنِنَا مِن الفقرِ!» رواه الإمام أحمد، وأخرجه مسلم بلفظ: عن سهل بن أبي صالح قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: اللهم رب السموات.... إلخ.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه، فيفرش له مستقبل القبلة، فإذا أوى إليه؛ توسد كفه اليمنى، ثم همس، ما يُدْرى ما يقول، فإذا كان في آخر الليل؛ رفع صوته، فقال: «**اللهمَّ ربَّ السموات السبع، وربَّ العرش العظيم، إلهَ كل شيءٍ، ومنزل التوراة، والإنجيل، والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شَرِّ كل شيءٍ أنت آخذٌ بناصيته! اللهم أنتَ الأول؛ الذي ليس قبلك شيءٌ، وأنتَ الآخرُ؛ الذي ليس بعدك شيءٌ، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطن، فليس دونك شيءٌ، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر!**». أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي. انتهى. خازن وابن كثير.

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: خبر المبتدأ، والأسماء بعده معطوفة عليه، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المستتر في (الظاهر) و(الباطن) والرابط: الواو، والضمير.

هذا؛ وقال الزمخشري: الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين: الأولية، والآخرية، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور، والخفاء، وأما الوسطى؛ فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأولين، ومجموع الصفتين الأخريين، فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية، والآتية، وهو في جميعها ظاهر، وباطن، جامع للظهور بالأدلة، والخفاء، فلا يدرك بالحواس. وفي هذا حجة على من جوز إدراكه في الآخرة بالحاسة، أقول: وهذا يتمشى مع مذهبه في الاعتزال، ونحن نقول: رؤية الله ممكنة في الدنيا، والآخرة؛ لأنه موجود، وكل موجود ممكن أن يرى، ولكنه لم تقع في الدنيا إلا لنبينا ﷺ، وأما في الآخرة، فإنها جائزة، بل وواقعة لجميع المؤمنين، والمؤمنات، كما ستقف عليه في سورة (القيامة) إن شاء الله تعالى.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في ستة أوقات، أو في مقدار ستة أيام، فإن اليوم المتعارف عليه: زمان طلوع الشمس إلى غروبها، لم يكن حينئذ موجوداً. وفي

خلق الأشياء مدرَّجاً مع القدرة على خلقها دفعة واحدة دليل للاختيار، واعتبار للنظار، وحث على التأني في الأمور. هذا؛ وما ذكر من أن الله ابتدأ الخلق يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة عصراً، فخلق الأرض في يومين: الأحد والاثنين، وخلق ما فيها في يومين: الثلاثاء، والأربعاء، وخلق السموات، وما فيها في يومين: الخميس، والجمعة، كل ذلك لم يثبت، وإن أسنده القرطبي في سورة (غافر) إلى عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ. ألا قاتل الله اليهود، فإنهم يقولون: استراح ربنا يوم السبت، فلذا اختاروه للراحة والعبادة، ولذا رد الله عليهم بقوله في سورة (ق) الآية رقم [٣٨]: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: استولى، ولا يجوز تفسيره باستقر، وثبت، فيكون الله من صفات الحوادث، وهذا التأويل ينبغي أن يقال في كل ما يوهم وصفاً، لا يليق به تعالى. والقول الفصل قول علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: الاستواء غير مجهول، والتكييف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة؛ لأنه تعالى كان، فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان. والمنقول عن جعفر الصادق، والحسن البصري، وأبي حنيفة، ومالك ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين يشبه ذلك. هذا؛ وهناك من يقول: استوى استواء يليق به، وهو قول السلف. هذا؛ و(استوى) في سورة (القصص) رقم [١٤] بمعنى بلوغ أربعين عاماً.

أما ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ فقد قال الراغب في كتابه: (مفردات القرآن): وعرش الله ـ عز وجل ـ مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم، لا بالحقيقة، وليس هو كما تذهب إليه أوهام العامة، فإنه لو كان كذلك؛ لكان حاملاً له، تعالى الله عن ذلك. انتهى. خازن. وقد قال سليمان الجمل: وأما المراد به هنا؛ فهو الجسم النوراني المرتفع عن كل الأجسام المحيط بكلها، وانظر ما ذكرته في آية الكرسي رقم [٢٥٤] من سورة (البقرة).

هذا؛ وذكر الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية وغيرها من آثار قدرته، ودلائل عظمته خلق السموات، والأرض، وخصهما بالذكر هنا، وفي كثير من الآيات؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وجَمَعَ السموات دون الأرض، وهي مثلهن؛ لأن طبقاتها مختلفة بالذات، متفاوتة بالصفات، والآثار والحركات، وقدمها لشرفها، وعلو مكانها، وتقدم وجودها، ولأنها متعبد الملائكة، ولم يقع فيها معصية كما في الأرض، وأيضاً: لأنها كالذَّكر، فنزول المطر من السماء على الأرض، كنزول المني من الذكر في المرأة؛ لأن الأرض تنبت، وتخضر بالمطر.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يدخل في الأرض من المطر، والكنوز، والأموات، والدفائن. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أي: من النبات، والشجر، والعيون، والمعادن، والأموات؛ إذا بعثوا يوم القيامة. ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من المطر، والثلج، والبرد، والصواعق، والأرزاق، والمقادير، والبركات، والملائكة، والكتب التي أنزلها على الرسل. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: يصعد

في السماء من الملائكة، وأعمال العباد، والأبخرة، والأدخنة، والغبار وغير ذلك. هذا؛ و(يلج) أصله: يُوْلج، وماضيه ولج، فحذفت الواو من مضارع المتكلم، والمخاطب قياساً عليه، والمصدر: الولوج؛ وهذا من الثلاثي وانظره من الرباعي في الآية رقم [٦].

هذا؛ و﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ يذكر، ويؤنث. والسماء: كل ما علاك، فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء. والسماء: المطر. يقال: ما زلنا نطأ السماء؛ حتى أتيناكم. قال معاوية بن مالك: [الوافر]

إذَا نَزَلَ السماءُ بأرضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وإنْ كانُوا غِضَابا

أراد بالسماء المطر، ثم أعاد الضمير عليه في رعيناه بمعنى النبات، وهذا يسمى في فن البديع بالاستخدام. وأصل «سماء»: سماو، فيقال في إعلاله: تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أي: بالعلم، والقدرة فليس أحد ينفك من تعليق علم الله تعالى وقدرته به أينما كان من أرض، أو سماء، براً، أو بحراً. وقيل: هو معكم بالحفظ، والحراسة. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: رقيب عليكم، عالم بأعمالكم، حيث كنتم في ليلٍ، أو نهار، في البيوت، أو في القفار، الجميع في علمه سواء، فيسمع كلامكم، ويرى مكانكم، ويعلم سركم، ونجواكم. قال تعالى في سورة (الرعد) رقم [١١]: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ فلا إله غيره، ولا رب سواه. وقد ثبت في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال لجبريل عليه السلام لما سأله عن الإحسان: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنهُ يَرَاكَ**». وفي الحديث قال رجل: يا رسول الله! ما تزكية المرء نفسه؟ فقال: «**يَعْلَمُ أن الله معهُ حيْثُ كان**». أخرجه أبو نعيم من حديث عبد الله العامري مرفوعاً. وقال رسول الله ﷺ: «**إن أفْضَلَ الإيمانِ أن تعلمَ: أَنَّ الله معَكَ حيثُمَا كُنْتَ**». أخرجه أبو نعيم عن عبادة بن الصامت، وكان الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ ينشد هذين البيتين: [الطويل]

إذا ما خلَوْتَ الدهرَ يوماً فلَا تَقُلْ خلَوْتُ ولكنْ قُلْ عَلَيَّ رَقيبُ
ولَا تَحْسَبَنَّ الله يغفلُ سَاعَةً ولا أَنَّ ما تُخْفِي عَلَيهِ يَغِيبُ

هذا؛ والفعل ﴿يَعْلَمُ﴾ من المعرفة، لا من العلم اليقيني، والفرق بينهما: أن المعرفة تكتفي بمفعول واحد. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

لِعِلْمِ عِرْفَانٍ وظَنٍّ تُهَمَهْ تَعْدِيَةٌ لِوَاحِدٍ مُلْتَزَمَهْ

بخلافه من العلم اليقيني، فإنه ينصب مفعولين، أصلهما مبتدأ، وخبر، وأيضاً: فالمعرفة تستدعي سبق جهل، وأن متعلقها الذوات دون النسب بخلاف العلم فإن متعلقه المعاني

والنسب، وتفصيل ذلك: أنك إذا قلت: عرفتُ زيداً، فالمعنى أنك عرفت ذاته، ولم ترد أنك عرفت وصفاً من أوصافه، فإذا أردت هذا المعنى لم يتجاوز مفعولاً؛ لأن العلم، والمعرفة تناول الشيء نفسه، ولم يقصد إلى غير ذلك. وإذا قلت: علمت زيداً قائماً؛ لم يكن المقصود أن العلم تناول نفس زيد فحسب، وإنما المعنى: أن العلم تناول كون زيد موصوفاً بهذه الصفة.

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنها ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: الواو: حرف عطف. (الأرض): معطوف على ما قبله. ﴿فِى سِتَّةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿سِتَّةِ﴾ مضاف، و﴿أَيَّامٍ﴾ مضاف إليه، ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى (الذي) أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: متعلقان بما قبلهما.

﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ المستتر، والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يَلِجُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: إعرابها مثل سابقتها، وهي معطوفة عليها، وكذلك ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ الجملتان معطوفتان على ما قبلهما.

﴿وَهُوَ﴾: (الواو): واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿مَعَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، التقدير: وهو شاهد معكم، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل ﴿يَعْرُجُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿أَيْنَ مَا﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون، ويقال: مبني على الفتح. و﴿مَا﴾: صلة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر (كان) مقدم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: أينما كنتم فالله معكم، والجملة الشرطية مستأنفة، أو في محل نصب حال من فاعل ﴿يَعْرُجُ﴾.

﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿بَصِيرٌ﴾ بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والرابط، أو العائد محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء تعملونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملكم. ﴿بَصِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿لَهُۥ مُلْكُ...﴾ إلخ: هذا التكرير للتأكيد؛ أي: هو المعبود على الحقيقة. وقال البيضاوي: ذكره مع الإعادة، كما ذكره مع الإبداء؛ لأنه كالمقدمة لهما. انتهى. ويعني بالإعادة: الرجوع إلى الله، ويعني بالإبداء: الإحياء، والإماتة. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ...﴾ إلخ: أي: إليه المرجع، والمآب يوم القيامة، فيحكم في خلقه بما يشاء. قال تعالى في سورة (الليل): ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ وقال جل ذكره، وتعالى شأنه في سورة (النجم): ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾.

هذا؛ والفعل رجع يكون متعدياً، ويكون لازماً، فمن الأول قوله تعالى في سورة (التوبة): ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ الآية رقم [٨٣]. وهو بمعنى ردك، ومن الثاني قوله تعالى في سورة (التوبة) أيضاً: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ الآية رقم [٩٤] وهو بمعنى عدتم إليهم، هذا؛ والفعل: ﴿تُرْجَعُ﴾ يقرأ بالبناء للمجهول، فيكون من المتعدي، ويقرأ بالبناء للمعلوم فيكون من اللازم.

الإعراب: ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، و﴿مُلْكُ﴾ مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: الواو: حرف عطف. (الأرض): معطوف على ما قبله. ﴿وَإِلَى﴾: (الواو): حرف عطف. (إلى الله): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والتقديم يفيد الاختصاص. ﴿تُرْجَعُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْأُمُورُ﴾: فاعل، أو نائب فاعل حسب ما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، لا محل لها.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ...﴾ إلخ: يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل؛ أي: يزيد من هذا في ذلك، ومن ذلك في هذا، أو بسبب أنه خالق الليل، والنهار، ومصرفهما، فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير، والشر. وقيل: المراد بالإيلاج: أنه سبحانه وتعالى يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار، وذلك بغيبوبة الشمس، ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس. أو المراد بإيلاج الليل في النهار، وبالعكس بأن يزيد كل منهما بما نقص من الآخر، كما هو ظاهر في طول الليل، وقصره تبعاً لفصول السنة. قال تعالى في سورة (النور) الآية رقم [٢٤]: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾. هذا؛ وفي الآية ردُّ العجز على الصدر، وهو من المحسنات البديعية. هذا؛ و﴿يُولِجُ﴾ من: أولج الرباعي، أصله: يُؤَوْلِج، حذفت الهمزة منه حملاً على المبدوء بالهمزة: «أؤولج» للتخفيف، ومصدره: الإيلاج. وانظره من الثلاثي في الآية رقم [٤].

هذا؛ و(ذات) بمعنى صاحبة، فجعلت صاحبة الصدور لملازمتها لها، وعدم انفكاكها عنها، نحو قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾، ﴿أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾. هذا؛ و(ذات) مؤنث: ذو، الذي بمعنى: صاحب. قال تعالى في سورة (الذاريات): ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ وقد يثنَّى على لفظه، فيقال: ذاتا، أو ذَاتَيْ، كذا من غير رد لام الكلمة، وهو القياس، كما يثنى «ذو» بـ: «ذوا»، أو «ذَوَيْ» على لفظه، ويجوز فيها «ذواتا» على الأصل برد لام الكلمة، وهي الياء ألفاً لتحرك العين، وهي الواو قبلها، وهو الكثير في الاستعمال؛ لأن أصلها: «ذَوَيَة» فالواو عين الكلمة، والياء لامها، والتاء للتأنيث؛ لأنه مؤنث «ذو»، وذو أصله ذَوَيَ، فتحركت الياء وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار: «ذَوَات» ثم حذفت الواو تخفيفاً، وإنما قلبت الياء ألفاً دون الواو مع أن كلاً منهما متحرك، وما قبله منفتح؛ لأنها طرف، والطرف محل التغيير، وإنما لم ترد هذه الألف في التثنية إلى الياء، فيقال: ذويتان؛ لأنه لما زيدت التاء في هذا اللفظ، تحصنت الألف من الرد إلى الياء. انتهى. جملاً نقلاً عن كرخي. وفي تثنيته وجهان: تارةً ينظر للفظه الآن، فيقال: ذاتان، وتارةً يُنظر له قبل حذف الواو، فيقال: ذواتان، فقوله تعالى في سورة (سبأ) رقم [١٦]: ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ وفي سورة (الرحمن) رقم [٤٨]: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ جاء على الأصل برد لام الكلمة.

هذا؛ والتاء في (ذات) لتأنيث اللفظ، مثل تاء ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، وَلَاتَ، ولكنها تعرب بالحركات الظاهرة على التاء، فالجر كما في الآية الكريمة، ومثلها كثير، والرفع جاء في قوله تعالى في سورة (الرحمن) رقم [١١]: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ والنصب جاء في قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ سورة (تبت) وكلها معانيها في القرآن صاحبة إلا في موضعين، فإنها جاءت بمعنى الجهة، وذلك في قوله تعالى في سورة (الكهف): ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ وقد رأيتَ تثنيتها في الآيتين المذكورتين في حالتي النصب والجر، ولم ترد في القرآن بمعنى الجمع. هذا؛ ولم يتعرض النحويون لها بهذا المعنى، مع كثرة تعرضهم لـ: «ذي» بمعنى صاحب، وتثنيته، وجمعه، ولكنهم ذكروا «ذات» بمعنى: التي، و«ذوات» بمعنى: اللواتي، وذلك في مبحث الاسم الموصول. قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

وكَالَّتِي أيضاً لَدَيْهِمْ ذاتُ ... ومَوْضِعَ اللاتي أتَى ذَوَاتُ

قال الأشموني: أي عند طيئ ألحقوا بـ: «ذو» تاء التأنيث مع بقاء البناء على الضم، حكى الفراء: (بالفضل ذُو فضَّلكُم الله بِهِ، والكَرَامَةِ ذَاتُ أكرمَكمُ اللهُ بِهْ). وقريب منه لابن هشام في أوضحه، وكلاهما أورد بيت رؤبة شاهداً لذلك: [الرجز]

جَمَعْتُهَا مِنْ أَيْنُقٍ مَوَارِقِ ... ذَوَاتُ يَنْهَضْنَ بِغَيْرِ سَائِقِ

والفرق بين الأولى، والثانية: الأولى لا تكون إلا مضافة لما بعدها، كما رأيت، بخلاف الثانية، فإنها لا تضاف؛ لأنها معرفة بالصلة؛ التي تذكر بعدها، كما رأيت في بيت رؤبة. تنبه لهذا؛ وافهمه، فإنه معنى دقيق، واسأل الله لي المزيد من التوفيق.

هذا؛ و﴿ٱلَّيۡلَ﴾ واحد بمعنى الجمع، واحده: ليلة، مثل: تمر، وتمرة. وقد جمع على ليال، فزادوا فيه الياء على غير قياس، ونظيره: أهل، وأهال. والليل الشرعي: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق، وهو أحد قولين في اللغة، والقول الآخر: من غروبها إلى طلوعها. هذا؛ و﴿ٱلنَّهَارِ﴾ ضد الليل، وهو لا يجمع كما لا يجمع العذاب، والسراب، فإن جمعته قلت في الكثير: نُهُر بضمتين، كسحاب، وسُحُب، وأنشد ابن كيسان: [الرجز]

لولَا الثَّرِيدانِ لَمُتْنَا في الضُّمُرْ ثَرِيدُ لَيْلٍ، وثَرِيدٌ بالنُّهُرْ

وفي القليل: أنْهُر، والنهار من طلوع الفجر الصادق، أو من طلوع الشمس على ما تقدم في نهاية الليل إلى غروب الشمس، وقد يطلق عليهما اسم اليوم، كما رأيت في الآية رقم [٨] من سورة (القمر). هذا؛ والليل يطلق على الحُبَارى، أو على فرخها وفرخ الكروان، والنهار يطلق على فرخ القطا. انتهى. قاموس. وقد ألغز بعضهم بقوله: [الوافر]

إذَا شَهْرُ الصِّيامِ إلَيْكَ وَافَى فَكُلْ مَا شِئْتَ لَيْلاً أَوْ نَهَارا

كما ألغز بعضهم في قصب السكر حيث قال: [الطويل]

مُهَفْهَفَةُ الأعطافِ عَذبٌ مَذَاقُها تفُوقُ القَنَا لَكِنْ بغَيْرِ سِنانِ

ويأخُذُ كلُّ الناسِ منْها منافِعاً وتُؤْكَلُ قَبْلَ العصرِ في رَمضانِ

هذا؛ والنسبة إلى الليل: ليليّ، والنسبة إلى النهار: نهاريّ، كما تجيء النسبة إليه على صفة فعِل، فتستعمل للنسب، ويستغنى بها عن يائه، فيقال: نَهِر، ومنه قول الشاعر، وهو من شواهد ابن عقيل على ألفية ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: [الرجز]

لسْتُ بِلَيْلِيٍّ ولَكِنِّي نَهِرْ لا أدْلِجُ الليلَ ولَكِنْ أبْتَكِرْ

هذا؛ ويطلق على الليل والنهار اسم الجديدين. قالت الخنساء ـ رضي الله عنها ـ: [البسيط]

إنَّ الجَديدَيْنِ في طُول اختلافِهِمَا لا يَفْسُدَانِ ولَكنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

الإعراب: ﴿يُولِجُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، ﴿ٱلَّيۡلَ﴾: مفعول به. ﴿فِي ٱلنَّهَارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من لفظ الجلالة؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الضمير فقط، والتي بعدها معطوفة عليها. ﴿وَهُوَ﴾: (الواو): واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿عَلِيمٌۢ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل ﴿يُولِجُ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿بِذَاتِ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌۢ﴾. و(ذات) مضاف، و﴿ٱلصُّدُورِ﴾ مضاف إليه.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾

الشرح: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: صدقوا، وأيقنوا، واعتقدوا: أن الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله. هذا؛ وبعد أن ذكر الله أنواعاً من الدلائل الدالة على توحيده، وعلمه، وقدرته؛ خاطب كفار قريش، وغيرهم بهذا الأمر الصريح، كما أمرهم بالإقلال من الدنيا، والإعراض عنها، وأمرهم بإنفاق المال في وجوه الخير، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ يعني: أن الأموال التي في أيديكم، إنما هي أموال الله بخلقه، وإنشائه لها، وإنما موَّلكم إياها للاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء، والنواب، فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى، ولْيهنْ عليكم الإنفاق منها، كما يهون على الرجل الإنفاق من مال غيره؛ إذا أذن له فيه. أو جعلكم مستخلفين ممن قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم، وسينقله منكم إلى من بعدكم، فاعتبروا بحالهم، ولا تبخلوا، فلعل وارثك يطيع الله فيه، فيكون أسعد بما ينعم الله به عليك منك، أو يعصي الله فيه، فتكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان.

فعن عبد الله بن الشخير ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيت النبي ﷺ، وهو يقرأ: «﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ ثم قال: «**يقولُ ابنُ آدَمَ: مَالي مَالِي، وهلْ لَكَ يا بنَ آدَمَ مِنْ مالِكَ إلا ما أكلْتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليْتَ أو تصدَّقْتَ فأمْضَيْتَ؟**» رواه مسلم، والترمذي، والنسائي. وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّكُمْ مَالُ وارِثِهِ أحبُّ إلَيْهِ مِنْ مالِهِ**». قالُوا: يا رسولَ الله ما مِنَّا أحَدٌ إلَّا مالُهُ أحَبُّ إليه. قالَ: «**فإن مَالَهُ ما قدَّمَ، ومَالَ وارثِهِ ما أَخَّرَ**». رواه البخاري، ورحم الله من يقول: [الطويل]

أَلَا إن مــالــي الَّــذي أنــا مُــنْــفِــقٌ ... ولَـيْـسَ لـي الـمـالُ الـذي أنَـا تـارِكُ

إذَا كُـنْـتَ ذَا مَـالٍ فـبـادِرْ بِـهِ الـتـي ... تـخـشـى وإلَّا اسْـتَـهْـلَـكَـتْـهُ الـهـوالِـكُ

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾: ترغيب في الإيمان، والإنفاق في وجوه الخير. والأجر الكبير: هو الجنة، وما فيها من النعيم المقيم، والخير العميم. وفي هذا الوعد مبالغات كثيرة: جعل الجملة اسمية، وهي تدل على الثبوت، والاستمرار، وإعادة ذكر الإيمان، والإنفاق، وبناء الحكم على الضمير، وتنكير الأجر، ووصفه بالكِبَر.

تنبيه: قال الجلال: نزلت الآية في غزوة العسرة، وهي غزوة تبوك، ثم قال: قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ...﴾ إلخ إشارة إلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ. قال الجمل معلقاً: فإنه

جهز في غزوة العسرة ثلاثمئة بعير بأقتابها، وأحلاسها، وأحمالها، وجاء بألف دينار، وضعها بين يدي رسول الله ﷺ. انتهى. أقول: لم يذكر أحد هنا هذا غير الجلال، مع العلم: أن غزوة تبوك قد فصلت في سورة (التوبة) تفصيلاً كافياً، وذكرت هناك ما تبرع به عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وما أثنى به النبي ﷺ فانظره هناك؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿ءَامِنُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: الواو: حرف عطف. (رسوله): معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَأَنفِقُواْ﴾: معطوف على ما قبله، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، الأولى بالابتداء، والثانية بالإتباع. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بفي.

﴿جَعَلَكُم﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به أول. ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ﴾، ونائب فاعله مستتر فيه. ﴿فَٱلَّذِينَ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو حرف تعليل. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(من) بيان للموصول. ﴿وَأَنفَقُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (أنفقوا): معطوف على ما قبله، والواو فاعله.

﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَجْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿كَبِيرٌ﴾: صفة ﴿أَجْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (الذين...) إلخ مستأنفة، أو تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ﴾ أي: أيُّ عذر لكم في ترك الإيمان بالله، والرسول بين أظهركم يدعوكم إليه، وينبهكم عليه، ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالحق، والبرهان، والحجج على صحة ما جاءكم به.

وقد روي في الحديث: أن النبي ﷺ قال يوماً لأصحابه: «**أيُّ المؤمنينَ أعجبُ إليكمْ إيماناً؟**». قَالُوا: الملائكةُ. قال: «**وما لَهُمْ لا يُؤمِنونَ، وهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟!**». قالوا: فالأنبياءُ.

قالَ: «**وما لَهُمْ لَا يُؤمِنونَ، والوَحْيُ ينزلُ علَيْهِمْ؟!**». قالُوا: فنحنُ. قال: «**ومَا لَكُمْ لا تؤمِنونَ وأنا بَيْنَ أظْهُرِكُمْ؟! ولكنْ أعجبُ المؤمنينَ إيماناً قوْمٌ يجيئونَ بَعْدَكُمْ، يجدونَ صُحُفاً يؤمنون بها**». قال الصابوني: أخرجه البخاري في كتاب الإيمان. ولم أجده في التجريد الصحيح. وأقول: ولا سيما في أيام الصبر التي ذكرت في الحديث الذي خرجه ابن ماجه، والترمذي، وأبو داود عن أبي ثعلبة الخشني عن النبي ﷺ قال: «**فإنَّ مِنْ ورائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فيهنَّ مِثْلُ القبضِ على الْجَمْرِ، للعامِلِ فيهنَّ مِثْلُ أجر خمسينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثلَ عَمَلِهِ**». قيلَ: يا رسولَ الله أجرُ خمسينَ رجلاً مِنا، أوْ مِنْهمْ؟ قالَ: «**بلْ أجرُ خمسينَ مِنْكُمْ**».

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾: قال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: هو الميثاق الأول الذي كان، وهم في ظهر آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه. أقول: هو ما ذكر في سورة (الأعراف) الآية رقم [١٧١] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾. وقيل: ﴿أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾: حيث ركب فيكم العقول، ونصب لكم الأدلة، والبراهين، والحجج؛ التي تدعو إلى متابعة الرسول. هذا؛ وميثاق أصله: مِوْثاق، قلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة قبلها.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: بالحجج، والدلائل، والبراهين. وقيل: المعنى: إن كنتم مؤمنين بحق يوماً من الأيام؛ فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا؛ لقيام الحجج، والأعلام ببعثة محمد ﷺ فقد صحت براهينه. وقيل: إن كنتم مؤمنين بالله خالقكم. وكانوا يعترفون بهذا؛ ولكنهم يجعلون له شريكاً: الحجارة، والأوثان. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: (الواو): حرف استئناف. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من كاف الخطاب، والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال (ما) لما فيها من معنى الفعل، وهو: أستفهم. ﴿وَٱلرَّسُولُ﴾: الواو: واو الحال. (الرسول): مبتدأ.

﴿يَدْعُوكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى (الرسول)، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، فهي حال متداخلة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿لِتُؤْمِنُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، التقدير: يدعوكم للإيمان. ﴿بِرَبِّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان

بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

﴿وَقَدْ﴾: (الواو): واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَخَذَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مِيثَٰقَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهي حال متداخلة. ﴿إِن﴾: حرف بمعنى «إذ»، أو هي شرطية. ﴿كُنتُم﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمها. ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: خبرها منصوب... إلخ، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إن) على اعتبارها بمعنى: «إذ»، ولا محل لها على اعتبار (إن) حرف شرط؛ لأنها ابتدائية، وعلى هذا فالجواب محذوف، التقدير: إن كنتم مؤمنين بحق يوماً من الأيام؛ فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج، والأعلام... إلخ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾ يعني: محمداً ﷺ بإجماع الأمة، والإضافة إضافة تشريف، وتعظيم، وتبجيل، وتفخيم، وتكريم. وذكر العبودية مقام عظيم، ولو كان للنبي ﷺ اسم أشرف منه لسماه الله به، ولا سيما في ليلة الإسراء، والمعراج؛ حيث قال جل ذكره: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا...﴾ إلخ وفي معناه أنشدوا: [الرجز]

يا قَوْمُ قَلْبي عِنْدَ زهراءِ ... يعرِفُهُ السامِعُ والرَّائي

لا تدْعُني إلَّا بِيَا عَبْدَهَا ... فإنهُ أشرفُ أسمائي

علماً بأنه ﷺ لم يذكر باسمه الصريح في القرآن إلا قليلاً، ذكر باسم محمد في سورة (آل عمران) وسورة (الأحزاب)، وسورة (محمد)، وسورة (الفتح)، وذكر باسم أحمد في سورة (الصف)، وذكر باسم طه في سورة (طه)، وذكر باسم ياسين في سورة (يٰس). هذا؛ والعبد: الإنسان حراً كان، أو رقيقاً، يجمع على: عبيد، وأعبد، وعبدان، وأعبدة، وغير ذلك. قال القشيري ـ رحمه الله تعالى ـ: لما رفعه الله تعالى إلى حضرته السنية، وأرقاه فوق الكواكب العلوية، ألزمه اسم العبودية تواضعاً للأمة.

﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: حججاً واضحات، ودلائل باهرات، وبراهين قاطعات. هذا؛ و﴿ءَايَٰتٍ﴾ جمع آية، وتطلق على معانٍ كثيرة الدلالة على قدرة الله تعالى، كما في قوله تعالى في سورة (الروم): ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ...﴾ إلخ، ومثلها كثير، وتطلق على المعجزة

الخارقة للعادة، مثل انشقاق القمر، ونحوه، وعصا موسى، ونحو ذلك. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ وتطلق على الموعظة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ كما تطلق على جملتين، أو أكثر من كلام الله تعالى، وعلى السورة بكاملها كما في مطلع سورة (النمل) و(الشعراء) ونحوهما.

﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: جمع ظلمة، وقد جمعت باعتبار تعدد معانيها؛ إذ المراد ظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلمة المعاصي، وظلمة الشهوات. وفيها استعارة لا تخفى، وقال تعالى في المحسوس منها: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ سورة (الأنعام) رقم [١] فقد جمعت هنا؛ لأنها متعددة أيضاً، وتختلف باختلاف الشيء الذي تكون فيه، مثل ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة المكان الذي يكون فيه الإنسان، فإن كل واحد منها يخالف صاحبه، ووحَّد النور؛ لأنه نوع واحد لا يختلف. وقدم الظلمات في الذِّكر بجميع معانيها على النور؛ لأنه نوع واحد لا يختلف، وقدم الظلمات؛ لأنها مخلوقة قبل النور، والظلمة بمعانيها المذكورة مستعارة من ظلمة الليل الحقيقية، والجامع بينهما عدم الاهتداء في كلٍّ منهما، كما أن النور بمعناه المتقدم، أو بمعنييه مستعار من نور النهار، أو من نور المصباح المضيء، والجامع بينهما: الاهتداء في كلٍّ منهما. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: حيث هيأ لكم أسباب الاستدلال، وفتح عليكم أبواب المنافع، ودفع عنكم أنواع المضار. هذا؛ والرأفة: أشد الرحمة، و(رؤوف) صيغة مبالغة، فالله أرأف بعباده المؤمنين من الوالدة بولدها.

هذا؛ و﴿ٱللَّهَ﴾ علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به؛ أجاب، وإذا سئل به أعطى. وإنما تتخلف الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به لتخلف شروط الإجابة؛ التي أعظمها أكل الحلال. ولم يسم به أحد سواه. قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: هل أحد تسمى الله غير (الله)؟ وقد ذكر في القرآن الكريم في ألفين وثلاثمئة وستين موضعاً.

الإعراب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿يُنَزِّلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، والجملة الاسمية مستأنفة، أو مبتدأة لا محل لها. ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿ءَايَٰتٍۭ﴾: مفعول به. ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: صفة ﴿ءَايَٰتٍۭ﴾ منصوب، وعلامة نصبهما الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنهما جمعا مؤنث سالمان. ﴿لِّيُخْرِجَكُم﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، والكاف مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُنَزِّلُ﴾. ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَإِنَّ﴾: (الواو): واو الحال. (إنَّ): حرف مشبه

بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿لَرَءُوفٌ﴾: (اللام): هي المزحلقة. (رؤوف): خبر: (إنَّ). ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل نصب حال من كاف المخاطب، والرابط: الواو، والضمير. وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. وقيل: الواو عاطفة. ولا وجه له.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: أيُّ شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله، وفيما يقربكم من ربكم، وأنتم تموتون، وتتركون أموالكم، وهي صائرة إلى الله تعالى؟! فمعنى الكلام التوبيخ على عدم الإنفاق، والخطاب للمؤمنين. ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: إنهما راجعتان إلى الله بانقراض من فيهما كرجوع الميراث إلى المستحق له.

﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ أكثر المفسرين على: أن المراد بالفتح: فتح مكة. وقال الشعبي، والزهري: فتح الحديبية. قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر، ونفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كان القتال، والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال، والنفقة بعد ذلك. وفي الكلام حذف، التقدير: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح، وقاتل، ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل، فحذف لدلالة الكلام عليه. وإنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم؛ لأن حاجة الناس كانت أكثر لضعف الإسلام، وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذ أشق، والأجر على قدر النَّصب. والله أعلم.

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: المتقدمون المتناهون السابقون إلى القتال، والإنفاق في سبيل الله، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله جميعاً الحسنى، وهي الجنة مع تفاوت الدرجات. وما أشبه هذه الآية بآية (النساء) رقم [٩٥] وهي قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المُؤمنِ الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ... إلخ**». أخرجه مسلم. وعنه أيضاً، قال رسول الله ﷺ: «**سَبَقَ دِرهمٌ مِئَةَ ألفِ دِرْهم**». فقالَ رجُلٌ: يا رسولَ الله! وكيْفَ ذلِكَ؟ قال: «**رجلٌ لهُ مالٌ كثيرٌ، أَخَذَ مِنْ عُرْضِهِ مِئَةَ ألفٍ درهمٍ تصدَّقَ بِهَا، ورجلٌ ليْسَ لهُ إلا دِرْهمَانِ، فأخَذَ أحَدَهُمَا، فتصدَّقَ بِهِ**». أخرجه النسائي.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح، وقاتل، ومن فعل ذلك بعد الفتح، وما ذاك إلا لعلمه التام بقصد الأول، وإخلاصه في إنفاقه في حال الجهد، والقلة، والضيق. وينبغي أن تعلم: أن الفعل «يستوي» من الأفعال؛ التي لا يكتفى فيها بواحد، فلو قلت: استوى زيد لم يصح، فمن ثم لزم العطف على الفاعل، أو تعدده.

هذا؛ وقال الكلبي: نزلت الآية في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ. ففيها دليل واضح على تفضيله، وتقديمه؛ لأنه أول من أسلم. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أول من أظهر الإسلام بسيفه النبي ﷺ، وأبو بكر. ولأنه أول من أنفق على النبي ﷺ. وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كنت عند النبي ﷺ، وعنده أبو بكر، وعليه عباءة قد خلَّلَها في صدره بخلال، فنزل جبريل عليه السلام، فقال: يا نبي الله! ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال؟! فقال: **«قد أنفق عليَّ ماله قبل الفتح»**. قال: فإن الله يقول لك: اقرأ على أبي بكر السلام، وقل له: أراضٍ أنتَ في فقرِك، أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ: **«يا أبا بكر! إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقرأ عليك السلام، ويقول: أراضٍ في فقرك، أم ساخط؟»**. فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وأرضاه: أأسخط على ربي؟ إني عن ربي لَرَاضٍ! إني عَنْ ربي لَرَاضٍ! إني عنْ ربي لَراضٍ! قال: **«فإن الله يقول لك: قد رضيت عنك، كما أنت عني راضٍ!»**. فبكى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ. فقال جبريل عليه السلام: والذي بعثك يا محمد بالحق، لقد تخللت حملة العرش بالعبي منذ تخلل صاحبك هذا بالعباءة». ولهذا قدمته الصحابة على أنفسهم، وأقروا له بالتقدم، والسبق.

وقال علي ـ رضي الله عنه وكرم الله وجهه ـ: **«سبق النبيُّ ﷺ، وصلَّى أبو بكر، وثَلَّث عمر، فلا أوتى برجل فضلني على أبي بكر إلا جلدته حد المفتري ثمانين جلدة، وطَرْحَ الشهادة»** المصلي في السبق هو الثاني، وصلى؛ أي: ثنى، فنال المتقدمون من المشقة أكثر مما نال من بعدهم، وكانت بصائرهم أيضاً أنفذ. انتهى. قرطبي. فويل للذين يبغضون أبا بكر! وويل، وويل للذين يشتمونه، ويسبونه!.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: (الواو): حرف استئناف. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف مصدري ونصب. (لا): نافية. ﴿تُنفِقُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (أن)، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف؛ لأنه مفهوم من المقام. ﴿فِي سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، و(أن) والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: في عدم الإنفاق، أو من عدم. والجار والمجرور متعلقان بـ: (ما) لتضمنها معنى الفعل: أستفهم. وقال أبو البقاء: متعلقان بالخبر المحذوف،

الذي تعلق به ﴿لَكُمْ﴾ وقيل: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال. ولا وجه له قطعاً. وقال أبو الحسن الأخفش: (أن) زائدة، والجملة في محل نصب حال، التقدير: وما لكم غير منفقين؟ مثل قوله تعالى في سورة (يوسف) حكاية عن قول أولاد يعقوب لأبيهم: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ...﴾ إلخ فقد أعمل (أن) وهي زائدة. قال الجمل: وفي السمين: قوله: ﴿أَلَّا تُنفِقُواْ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية رقم [٢٤٦] من سورة (البقرة)، فالأصل (في أن لا تنفقوا) فلما حذف حرف الجر جرى الخلاف المشهور. انتهى. ويعني الخلاف المشهور في محل المصدر المؤول من (أن) والفعل المضارع، أو المصدر المؤول من (أنَّ) واسمها، وخبرها بعد نزع الخافض.

﴿وَلِلَّهِ﴾: (الواو): واو الحال. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِيرَٰثُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر الميمي لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: الواو: حرف عطف. (الأرض): معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور: ﴿لَكُمْ﴾ وهو فحوى قول الجمل: حال من فاعل الاستقرار، أو من مفعوله، والرابط: الواو فقط. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَوِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِنكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من (مَنْ) تقدمت عليها، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم فيها. ﴿مَّنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل ﴿يَسْتَوِى﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَنفَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَّنْ﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والمفعول محذوف، مثل سابقه. ﴿مِن قَبْلِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿قَبْلِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْفَتْحِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَقَٰتَلَ﴾: الواو: حرف عطف. (قاتل): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَّنْ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿أَعْظَمُ﴾: خبر المبتدأ، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ولا تنس: أنه روعي لفظ ﴿مَّنْ﴾ في رجوع الفاعل إليها، حيث أفرد الضمير، وروعي معناها حيث جمع اسم الإشارة. ﴿دَرَجَةً﴾: تمييز. ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿دَرَجَةً﴾، أو بمحذوف صفة لها، أو هما متعلقان بأعظم، وجملة: ﴿أَنفَقُواْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، والمفعول محذوف. ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وبني ﴿بَعْدُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، وجملة: ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والمفعول محذوف أيضاً.

﴿وَكُلًّا﴾: (الواو): حرف استئناف. (كُلًّا): مفعول به أول مقدم. ﴿وَعَدَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف

للتعذر. هذا؛ ويقرأ برفع: (كلٌّ) على أنه مبتدأ؛ أي: كلُّهم، والجملة الفعلية في محل رفع خبره، والرابط محذوف، التقدير: وعده الله الحسنى. والجملة سواء أكانت فعلية، أم اسمية مستأنفة، لا محل لها. واعتبارها معطوفة على ما قبلها ضعيف. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ إعرابها مثل إعراب: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ بلا فارق بينهما.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: إقراض الله مثل لتقديم العمل الصالح الذي يطلب به ثوابه. ففيه استعارة تصريحية تبعية؛ حيث شبه الإنفاق في سبيل الله بإقراضه. والجامع إعطاء شيء بعوض. ويقال: الاستعارة تمثيلية؛ حيث مثل لمن ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله مخلصاً في عمله بمن يقرض ربه قرضاً واجب الوفاء به. ونقل الجمل عن القرطبي في سورة (البقرة) ما يلي: وطلب القرض في هذه الآية، وأمثالها لما هو تأنيس، وتقريب بما يفهمون، والله هو الغني الحميد، لكنه تعالى شبه إعطاء المؤمنين، وإنفاقهم في الدنيا؛ الذي يرجون ثوابه في الآخرة بالقرض، كما شبه إعطاء النفوس، والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء حسبما ذكر الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ...﴾ إلخ الآية رقم [١١١] من سورة (التوبة). وكنى الله سبحانه وتعالى عن الفقير بنفسه العلية المنزهة عن الحاجات ترغيباً في الصدقة، كما كنى عن المريض، والجائع، والعطشان بنفسه المقدسة عن النقائض والآلام، ففي صحيح الحديث إخباراً عن الله تعالى يقول يوم القيامة: «**يا بنَ آدم! مرضت فلم تعدني! يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني! يا بنَ آدمَ استسقيتك فلم تسقني! قال: يا ربُّ كيف أسقيكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟!. قال: استسقاك عبدي فلانٌ، فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي**». وكذا ما قبله، أخرجه البخاري ومسلم، وهذا كله خرج مخرج التشريف لمن كنى عنه، ترغيباً لمن خوطب به. انتهى. من سورة (البقرة) بحروفه.

ومعنى ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: مقروناً بالإخلاص وطيب النفس، مبتغىً به وجه الله، والعرب تقول لكل من فعل فعلاً حسناً: قد أقرض. قال لبيد ـ رضي الله عنه ـ، ويستشهد به على مجيء «ليس» حرف عطف. انظر الشاهد رقم [٥٥١] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». [الرمل]

وَإِذَا أُقْرِضْتَ قَرْضاً فَاجْزِهِ إِنَّمَا يَجْزِي الفتى لَيْسَ الجَمَلْ

فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. قال: لما نزلت هذه الآية ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! وإن الله تعالى ليريد منا القرض؟ قال: «**نَعَمْ يا أَبَا الدَّحْدَاحِ**». قال: أرني يدك يا رسول الله! قال: فناوله يده. قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، وهو حائط فيه ستمئة نخلة، وأم الدحداح، فيه

وعيالها. قال: فجاء أبو الدحداح، فناداها يا أم الدحداح! قالت: لبيك! قال: اخرجي، فقد أقرضته ربي عز وجل، فقالت: ربح بيعك، وقرضك يا أبا الدحداح! ونقلت منه متاعها، وصبيانها إلى بستان لهم آخر، فقال رسول الله ﷺ: **«كم من عَذْقٍ رداح في الجنة لأبي الدحداح!»**. وفي رواية: **«رُبَّ نخلة مدلَّاة عروقها من درٍّ وياقوتٍ لأبي الدحداح في الجنة»**.

هذا؛ وقال بعض العلماء: القرض لا يكون حسناً حتى تجتمع فيه أوصاف عشرة، وهي: أن يكون المال من الحلال. وأن يكون من أجود المال. وأن تتصدق به؛ وأنت محتاج إليه. وأن تصرف صدقتك إلى الأحوج إليها. وأن تكتم الصدقة ما أمكنك. وأن لا تتبعها بالمن، والأذى. وأن لا ترائي بها الناس. وأن تستحقر ما تعطي، وتتصدق به؛ وإن كان كثيراً. وأن يكون من أحب أموالك إليك. وأن لا ترى عز نفسك؛ وذل الفقير. فهذه عشرة أوصاف إذا اجتمعت في الصدقة؛ كانت قرضاً حسناً. انتهى. خازن. أقول: ولكل صفة دليل في القرآن، أو في السنة النبوية الشريفة، ولولا الإطالة؛ لبينت الدليل لكل صفة، فأسأل الله أن يوفق القارئ الكريم لاستنباطه مما ذكرت. والله ولي التوفيق.

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾: ما بين السبع إلى سبعمئة إلى ما شاء الحليم الكريم. وفي سورة (البقرة) رقم [٢٤٤]: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ وانظر الآية رقم [١٨] الآتية.

الإعراب: ﴿مَّن﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة ﴿ذَا﴾، أو بدل منها. هذا؛ وجوز أن يكون (مَنْ ذَا) اسماً مركباً مبنياً على السكون في محل رفع مبتدأ، و﴿ٱلَّذِى﴾ خبره. ﴿يُقْرِضُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿قَرْضًا﴾: مفعول مطلق. وقيل: مفعول به، وهو ضعيف. ﴿حَسَنًا﴾: صفة ﴿قَرْضًا﴾. ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾: (الفاء): للسببية. (يضاعفه): فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾ والهاء مفعول به. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: من ذا الذي يحصل منه إقراض لله تعالى، فمضاعفة له. هذا؛ ويقرأ الفعل بالرفع، فتكون الجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهو يضاعفه، والجملة الاسمية مستأنفة على حد قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ في كثير من الآيات، وعلى هذين الوجهين يكون كل ما جاء بعد الفاء؛ إذا وقعت في جواب الأمر، والنهي، والدعاء، والتمني، والعرض، والترجي، والاستفهام؛ لأن كل ذلك طلب، والنفي بأنواعه أيضاً. قال النابغة الذبياني: [الطويل]

فَلَا زَالَ قَبْرٌ بَيْنَ تُبْنَى وجَاسِمٍ ... عَلَيهِ مِنَ الوَسْمِيِّ جَوْدٌ وَوَابِلُ

فَـيـنـبـتُ حَـوْذَانـاً وعَـوْفـاً مُـنَـوِّراً   سَـأُتْـبِـعُـهُ مِـنْ خَـيْـرِ مَـا قَـالَ قَـائِـلُ

فيروى (فينبت) بالنصب والرفع، فالنصب بأن مضمرة بعد الفاء في جواب الدعاء، وذلك قوله: «فلا زال» والرفع على الاستئناف. (له): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَجْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿كَرِيمٌ﴾: صفة ﴿أَجْرٌ﴾، والجملة الاسمية معطوفة، أو مستأنفة، ولا محل لها على الاعتبارين. وقيل: في محل نصب حال، وهو وجه ضعيف. والجملة الاسمية: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى...﴾ إلخ مستأنفة أيضاً لا محل لها.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ...﴾ إلخ: يخبر الله تعالى عن مصير المؤمنين المتصدقين المخلصين: أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: على قدر أعمالهم حين يمرون على الصراط، فمنهم مَنْ نوره مثل الجبل، ومنهم مَنْ نوره مثل النخلة، ومنهم مَنْ نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً مَنْ نوره في إبهامه يتقد مرة، ويطفأ مرة. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

وقال الضحاك ـ رحمه الله تعالى ـ: ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط؛ طفئ نور المنافقين، فإذا رأى ذلك المؤمنون؛ أشفقوا أن يطفأ نورهم، كما طفئ نور المنافقين، فيقولون في سورة (التحريم): ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾. ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ أي: يسعى نورهم (بمعنى: يوجد) ويكون عن أيمانهم. وقيل: المعنى: وبأيمانهم كتبهم، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ والخطاب للنبي ﷺ، أو لكل من يتأتى منه الرؤية.

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ...﴾ إلخ: أي: تقول لهم الملائكة: بشراكم اليوم دخول جنات، تجري من تحتها الأنهار؛ أي: من تحتهم، أو من تحت قصورهم أنهار اللبن، والماء، والخمر، والعسل. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: ماكثين فيها أبداً، لا يخرجون ولا يبرحون. ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما تقدم من النور، والبشارة بالجنات المخلدة. ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: النجاح، والفلاح العظيم، الذي لا يعدله شيء. هذا؛ وانظر شرح (الأنهار) المذكورة في الآية رقم [١٥] من سورة (محمد ﷺ).

هذا؛ و﴿تَرَى﴾ ماضيه: رأى، وقياس المضارع تَرْأَيُ، وقد تركت العرب الهمز في مضارعه لكثرته في كلامهم، وربما احتاجت إلى همزه، فهمزته، كما في قول سراقة بن مرداس البارقي، وهو الشاهد رقم [٥٠٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». [الوافر]

أُرِي عَـيْـنَـيَّ مـا لَـمْ تَـرْأَيَـاهُ   كِـلانَـا عَـالِـمٌ بـالـتُّـرَّهَـاتِ

وربما جاء ماضيه بغير همز، وبه قرأ نافع في: (أَرَأَيْتَكُمْ) و(أَرَأَيْتَ) أَرَايْتكم، أَرَايْتَ، بدون همز، وقال الشاعر: [الخفيف]

صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ رَدَّ في الضَّرْعِ مَا قَرَى في الحِلَابِ؟!

وإذا أمرت منه على الأصل، قلت: ارْءَ، وعلى الحذف: رَهْ بهاء السكت، وقل في إعلال ترى: أصله: ترْأَيُ، قلبت الياء ألِفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وحذفت الهمزة بعد إلقاء حركتها على الراء للتخفيف.

هذا؛ والإيمان الصحيح هو: الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان. ولما سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان. قال: «**الإيمانُ أن تؤمنَ بالله، وملائكتِهِ، وكتبِهِ، ورسلِهِ، واليوم الآخر، والقدر خيرِهِ، وشرِّهِ مِن الله تعالى**». والإيمان يزيد، وينقص على المعتمد، كما رأيت في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال) وله شعب كثيرة، وهي سبع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق. وهو بفتح الهمزة جمع: يمين، وهو الحلف بالله، أو بصفة من صفاته، أو اسم من أسمائه. قال تعالى في سورة (البقرة) الآية رقم [٢٢٤]: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ واليمين أيضاً اليد اليمنى، وتجمع أيضاً على: أيمان كما في الآيات الكثيرة، ولا يجمع إذا كان بالمعنى الأول؛ لأنه مصدر.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿كَرِيمٌ﴾، أو بمحذوف صفة ثانية لـ: ﴿أَجْرٌ﴾، أو هو متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو مفعول به له، وهو أقوى. وقيل: متعلق بالفعل (يضاعفه)، أو بالفعل: ﴿يَسْعَىٰ﴾ وهذان ضعيفان، وأضعف منهما تعليقه بفعل محذوف. تقديره: يؤجرون يوم، وقال ابن عطية: ويظهر لي: أن العامل فيه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. ﴿تَرَى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ. ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: الواو: حرف عطف. (المؤمنات): معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿يَسْعَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿نُورُهُم﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، والرابط: الضمير فقط، والرؤية بصرية، وهذا على الوجه الأول في تعليق الظرف، وأما على تعليق الظرف به؛ فالجملة ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل (يسعى)، أو بمحذوف حال من (نورهم) التقدير: نورهم كائناً، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿أَيْدِيهِمْ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾: الواو: حرف عطف. (بأيمانهم): معطوفان على ما قبلهما.

﴿بُشْرَىٰكُمُ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: (بشرى)؛ لأنه مصدر. ﴿جَنَّٰتٌ﴾: خبر المبتدأ، وهو على حذف المضاف، التقدير: بشراكم اليوم دخول جنات، وهذه الجملة في محل نصب مقول القول لقول محذوف: ويقال لهم: بشراكم. والجملة المقدرة معطوفة على جملة: ﴿تَرَى...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها. ﴿تَجْرِى﴾: فعل مضارع. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، (وها): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعل ﴿تَجْرِى﴾، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿جَنَّٰتٌ﴾. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من كاف الخطاب منصوب، وعلامة نصبه الياء، وفاعله مستتر فيه والعامل في الحال المضاف المحذوف، الذي رأيت تقديره. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلْفَوْزُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: صفة له. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ ثانياً و﴿ٱلْفَوْزُ﴾ خبره، فتكون الجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿ذَٰلِكَ﴾، والجملة الاسمية هذه مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾: انظر شرح (النفاق) في سورة (المنافقون) إن شاء الله تعالى. ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾: بهمزة الوصل وضم الظاء من: نظر، والنظر: الانتظار؛ أي: انتظرونا. وقرئ بقطع الهمزة، وكسر الظاء من الإنظار؛ أي: أمهلونا، وأخرونا. هذا؛ وقال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٠٤]: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾ وقال في سورة (النساء) رقم [٤٦]: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾. هذا؛ ويقال: أنظرته أخرته، واستنظرته: أي: استمهلته. وقال الفراء: تقول العرب: أنظرني: انتظرني، وأنشد لعمرو بن كلثوم رقم [٢٨] من معلقته: [الوافر]

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِينَا

ومعنى ﴿نَقْتَبِسْ﴾ نستضيء. هذا؛ والقبس: الشعلة من النار، واقتبس منه أيضاً ناراً، وعلماً؛ أي: استفاده. قيل: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾: يقول لهم ذلك المؤمنون، أو الملائكة الموكلون بهم استهزاءً بهم: ارجعوا وراءكم من حيث جئتم. وقيل: ارجعوا إلى الدنيا، فاعملوا فيها أعمالاً يجعلها الله لكم نوراً. وقيل: معناه لا نور لكم عندنا، فارجعوا وراءكم. ﴿فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾

أي: اطلبوا لأنفسكم هناك نوراً؛ أي: لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا، فيرجعون في طلب النور، فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم ليلقوهم، فيميز بينهم، وبين المؤمنين، فذلك قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ أي: بين المؤمنين، والمنافقين. ﴿بِسُورٍ﴾: وهو حائط عظيم بين الجنة، والنار. ﴿لَّهُۥ﴾ أي: لذلك السور. ﴿بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ أي: في باطن ذلك السور الرحمة، وهي الجنة. ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: من جهة ذلك الظاهر العذاب، وهو النار، وبينهما مقابلة واضحة، وهي من المحسنات البديعية.

قيل: تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة، فيعطي الله المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم، كما رأيت فيما سبق، يمشون به على الصراط، ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم، واستهزاءً بهم، فبينما هم يمشون؛ إذ بعث الله ريحاً، وظلمةً. فأطفأت نور المنافقين، فذلك قوله تعالى في سورة (التحريم) رقم [٨]: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ مخافة أن يسلبوا نورهم، كما سلب نور المنافقين. وقيل: بل يستضيئون بنور المؤمنين، ولا يعطون النور، فإذا سبقهم المؤمنون؛ بقوا في الظلمة، وقالوا للمؤمنين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾.

هذا؛ و(السور) حاجز بين الجنة والنار، فالجنة من جهة الباطن؛ أي: الداخل، والنار وما فيها من جهة الظاهر، وذكرت لك في سورة (فصلت) رقم [٤٠]: أن من الإلحاد في القرآن ما يدعيه الباطنيون الملحدون، فإنهم يقولون: القرآن فيه ظاهر وباطن، وإن الظاهر غير مراد أصلاً، وإنما المراد الباطن، ويستدلون بهذه الآية! وقصدهم من وراء ذلك نفي الشريعة، وإبطال الأحكام، وهذا بلا شك إلحاد في الدين.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: بدل من: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ وقيل: منصوب بـ: «اذكر» محذوفاً. ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: فاعل مرفوع. ﴿وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾: الواو: حرف عطف. (المنافقات): معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿يَقُولُ﴾، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱنظُرُونَا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، (ونا): مفعول به. ﴿نَقْتَبِسْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿مِن نُّورِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، والكلام: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ في محل نصب مقول القول.

﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱرْجِعُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿وَرَآءَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع نائب فاعله. وهذا على رأي من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، أو نائب فاعل، ويكون جارياً على القاعدة: «يحذف الفاعل ويقام المفعول به مقامه».

وقيل: نائب الفاعل مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى مصدر الفعل. وقيل: نائب الفاعل الجار والمجرور المقدران بعد الفعل. ﴿فَٱلْتَمِسُواْ﴾: (الفاء): حرف عطف. (التمسوا): فعل أمر... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ﴾. ﴿نُورًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَضُرِبَ﴾: (الفاء): حرف عطف. (ضرب): ماض مبني للمجهول. ﴿بَيْنَهُم﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِسُورٍ﴾: (الباء): حرف جر صلة. (سور): نائب فاعل (ضُرِبَ) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. وقيل: الباء حرف جر أصلي، والجار والمجرور في محل رفع نائب فاعل. والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها من كلام، انظر تقديره في الشرح. ﴿لَّهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿بَابٌۢ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل جر صفة (سور). ﴿بَاطِنُهُۥ﴾: مبتدأ. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلرَّحْمَةُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ في محل رفع صفة ﴿بَابٌۢ﴾، أو في محل جر صفة (سور) والتي بعدها معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق بينهما.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم، وبقوا في الظلمة. ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: في الدنيا نصلي كما تصلون، ونصوم كما تصومون، ونغزو كما تغزون... إلخ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي: أجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى قد كنتم معنا. ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: أهلكتموها بالنفاق والكفر، واستعملتموها في المعاصي، والشهوات، وكلها فتنة. ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: ترقبتم بالنبي ﷺ الموت، وبالمؤمنين الدوائر، وقلتم: يوشك أن يموت الرسول ﷺ، فنستريح منه، وعندئذ ننقض على المسلمين، ونقضي عليهم. ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾: شككتم في نبوته، وفيما أوعدكم من الحساب، والعقاب، والجزاء، والجنة، والنار... إلخ. ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ أي: الأباطيل، وذلك ما كنتم تتمنون من هلاك النبي ﷺ، ونزول الدوائر بالمؤمنين، ومن الأماني الباطلة: الطمع في المغفرة من غير عمل صالح. والله يقول في حديث قدسي: «**كيف أجود بجنتي على من بخل عليَّ بطاعتي؟!**». ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: المعنى ما زلتم في هذه الأماني حتى جاءكم الموت، وحل ما حل بكم من المقت والسخط والوبال. ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ يعني: الشيطان. قال قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى

قذفهم في النار. هذا؛ وغرور الشيطان لهم هو ما كان يعدهم به؛ حيث يقول لهم: إن الله كريم حليم لا يعذبكم، إن الله غفور رحيم، وماذا عسى أن تكون ذنوبكم عنده، وهو عظيم، ومحسن، وحليم، فلا يزال بالإنسان؛ حتى يوقعه في شر أعماله.

هذا؛ وبلى حرف إثبات لما ادعوه من كونهم كانوا مع المؤمنين في الدنيا، وهي حرف جواب كـ: «نعم، وجير، وأجل، وإي» إلا أن بلى جواب لنفي متقدم؛ أي: إبطال، ونقض، وإيجاب له، سواء دخله الاستفهام، أم لا؟ فتكون إيجاباً له، نحو قول القائل: ما قام زيد. فتقول: بلى. أي قد قام. وقوله: أليس زيد قائماً؟ فتقول: بلى. أي: هو قائم. قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٧١]: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لو قالوا: نعم لكفروا.

الإعراب: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير في ﴿بَيْنَهُم﴾، أو هي مستأنفة، وهذا الاستئناف مبني على سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا يفعلون بعد ضرب السور، ومشاهدة العذاب، فقيل: ينادونهم. ﴿أَلَمْ﴾: (الهمزة): حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿نَكُن﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لم)، واسمه ضمير مستتر تقديره: «نحن». ﴿مَّعَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ﴿نَكُن﴾، والجملة مفسرة للنداء، أو هي في محل نصب مقول القول لقول واقع حالاً، التقدير: قائلين لهم: ألم نكن معكم. ﴿قَالُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لكنكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف في محل نصب اسمها. ﴿فَتَنتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكن) والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ﴾ معطوفة على (بلى) والكلام المقدر بعدها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (ارتبتم): فعل، وفاعل، والجملتان معطوفتان على ما قبلهما، فهما في محل رفع مثلها، ومتعلق الأفعال الثلاثة محذوف، كما رأيت تقديره في الشرح. ﴿وَغَرَّتْكُمُ﴾: الواو: حرف عطف. (غرتكم): فعل ماض، والتاء للتأنيث، والكاف مفعول به. ﴿ٱلْأَمَانِيُّ﴾: فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض. ﴿أَمْرُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و(الله): مضاف إليه، و«أن» المضمرة بعد حتى، والفعل ﴿جَآءَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (غرتكم)، وبعضهم يعتبر حتى حرف ابتداء، والجملة الفعلية بعدها مستأنفة، والمعتمد الأول. وجملة: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: ففي هذا اليوم العصيب، لا يقبل منكم بدل، ولا فداء، ولا عوض يا معشر المنافقين، ولا من الكافرين. ولم يؤنث الفعل ﴿يُؤْخَذُ﴾ لأن (فدية) مؤنث غير حقيقي، ولأنه قد فصل بينها، وبين الفعل بفاصل، وإنما عطف الكفار على المنافقين، وإن كان المنافق كافراً في الحقيقة؛ لأن المنافق أبطن الكفر، والكافر أظهره، فصار غير المنافق، فحسن عطفه على المنافق، وقدم المنافقين على الكافرين في هذه الآية وفي الآية الأخيرة من سورة (الأحزاب) وفي سورة (الفتح) رقم [٦]؛ لأن المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من المشركين؛ لأن الكافر يمكن الاحتراز منه، ويجاهد؛ لأنه عدو مبين، والمنافق لا يمكن أن يحترز منه، ولا يجاهد، فكان شره أكثر من شر المشرك، فكان أحق بالتقديم على المشرك. جاء في الحديث: «**إن الله تعالى يقولُ للكافر: أرأيتكَ لو كان لكَ أضعافُ الدنيا، أكنْتَ تفْتدي بجميع ذلك من عذاب النار؟ فيقولُ: نعم يا ربُّ، فيقولُ الله تبارك وتعالى: قد سألْتُكَ ما هوَ أيسر عليكَ مِنْ ذَلِكَ، وأنتَ في ظهر أبيكَ آدمَ أنْ لا تُشرك بي، فأبَيْتَ إلَّا الشِّركَ**». وهذا الحديث ذكرته لك في سورة (آل عمران) برقم [٩١] مع اختلاف في بعض ألفاظه، وخرجه هناك الإمام مسلم عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾: مقركم، ومصيركم. ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: وهي أولى بكم، لما أسلفتم من الكفر، والنفاق واجتراح السيئات. والمعنى: هي التي تلي أمركم؛ لأنها استولت عليكم، فلا محيص لكم عنها، ولا مخرج لكم منها. هذا؛ ولفظ (المولى) يطلق في الأصل على الإله المعبود بحق، ومن أسماء الله الحسنى: المولى، ويطلق على العبد، والسيد، والأمير، وابن العم، والحليف، والنصير، والمعين، والناصر. قال تعالى في آخر سورة (الحج) الآية رقم [٧٨]: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ وقال تعالى في سورة (محمد ﷺ) رقم [١١]: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

كما يطلق على مولى العتاقة، والمحالفة، وكل منهما لا يكون متصل النسب في القبيلة، ولكنه لصيق بها. والموالي في نظر العرب من الخسة، والضعة بحيث لا يرونهم في مصافهم. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: بئس المقر، والمآل نار جهنم لمن دخلها، وانظر الآية رقم [٤٨] من سورة (الذاريات).

الإعراب: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: (الفاء): حرف عطف، أو حرف استئناف. وقيل: الفصيحة، ولا وجه له. (اليوم): ظرف زمان متعلق بما بعده. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْخَذُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول،

﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِدْيَةٌ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها؛ إن كانت من قول المؤمنين للمنافقين، ومستأنفة؛ إن كانت من قول الله تعالى، أو من قول الملائكة للمنافقين. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: صلة لتأكيد النفي. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور معطوفان على قوله: ﴿مِنكُمْ﴾، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مَأْوَىٰكُمُ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلنَّارُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، أو هي معطوفة على ما قبلها، لا محل لها على الاعتبارين، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: هي النار.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...﴾ إلخ؟ أي يقرب ويحين. قال الشاعر: [الطويل]

أَلَـمْ يَـأْنِ لِـي يـا قَـلْـبُ أَنْ أَتْـرُكَ الـجـهـلَا ... وأَنْ يُـحْـدِثَ الـشَّـيْـبُ الـمُـبِـينُ لَـنَـا عَـقْـلَا؟!

وماضيه: أنَى، يَأْنِي مثل: رَمَى، يَرْمِي، ويقال: آنَ لك أن تفعل كذا، يئين أيناً؛ أي: حان، مثل: أَنَى لك، وهو مقلوب منه، وأنشد ابن السكيت: [الطويل]

أَلَـمَّـا يَـئِـنْ لِـي أَنْ تَـجَـلَّـى عَـمَـايَـتِـي ... وأَقْـصُـرَ عَـنْ لَـيْـلَـى بَـلَـى قَـدْ أَنَـى لِـيَـا

فجمع بين اللغتين: ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: والمعنى أما حان للمؤمنين أن ترق قلوبهم، وتلين قلوبهم لمواعظ الله. ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: ولِمَا نزل من آيات القرآن المبين. ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ يعني: اليهود، والنصارى، وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة، والإنجيل؛ خشعوا لله، ورقت قلوبهم، فلما طال عليهم الزمان؛ غلبهم الجفاء، والقسوة، واختلفوا، وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف، والتزييف للتوراة، والإنجيل.

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: الزمان الذي بينهم وبين أنبيائهم. ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: باتباع الشهوات، وارتكاب المعاصي؛ حتى صلبت، وصارت كالحجارة، أو أشد قسوة. قال تعالى مخاطباً لليهود اللؤماء في عهد النبي ﷺ في سورة (البقرة) الآية رقم [٧٤]: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. هذا؛ وقال تعالى في سورة

(المائدة) رقم [١٣]: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله، مارقون من دينهم الحقيقي، رافضون لما في التوراة، والإنجيل؛ حيث تركوا اليهود الإيمان بعيسى، ومحمد، عليهما السلام، والنصارى تركوا الإيمان بمحمد ﷺ. فجملة المعنى من الآية الكريمة: أن الله تعالى نهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم. وانظر شرح (الفسق) في سورة (الذاريات) [٤٦].

تنبيه: سبب نزول هذه الآية الكريمة: أن المهاجرين كانوا في مكة في ضيق شديد، وبلاء مزيد، فلما هاجروا إلى المدينة؛ استقبلهم أهلها، ورحبوا بهم، وأحسنوا ضيافتهم، حيث آخى الرسول ﷺ فيما بينهم، فجعل مع كل أنصاري مهاجراً يقوم بخدمته، ويساعده في معيشته، فكان الأنصاري يعطف على المهاجري عطف الوالد على ولده، والأخ على أخيه، والأم على ولدها، ويقسم ما يملكه من نخيل، وعقار قسمة شرعية، وكاد أحدهم يتنازل عن إحدى زوجتيه لأخيه المهاجر محبة دينية، ولذا مدح الله الأنصار بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ...﴾ إلخ الآية رقم [٩] من سورة (الحشر)، فبعد أن كان المهاجرون بمكة ضعفاء؛ أصبحوا في المدينة أقوياء، وبعد أن كانوا بمكة فقراء؛ أصبحوا في المدينة أغنياء؛ لأنهم تاجروا وعملوا، وغنموا من جهادهم غنائم كثيرة، وكسبوا مكاسب عظيمة عند ذلك ترك بعض المهاجرين قيام الليل، وصيام النهار، وغفلوا عن ذكر الله، فعاتبهم الله بهذه الآية الكريمة.

هذا؛ وذكر السيوطي في أسباب النزول: أن أصحاب النبي ﷺ، ظهر فيهم المزاح، والضحك، فنزلت الآية في ذلك، ونقل أيضاً عن السدي، عن القاسم؛ قال: ملَّ أصحاب رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: يا رسول الله! حدثنا، فأنزل الله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ الآيات من أول سورة (يوسف)، ثم ملُّوا ملةً، فقالوا: حدثنا يا رسول الله فأنزل الله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟...﴾ إلخ. وأخرج ابن المبارك في الزهد قال: أنبأنا سفيان عن الأعمش قال: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة، فأصابوا من العيش ما أصابوا بعد ما كان فيهم من الجهد فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ...﴾ إلخ.

تنبيه: هذه الآية كانت سبب توبة كثير من المسلمين، الذين كانوا تائهين عن الصراط المستقيم، فلما سمعوها عادوا إلى حظيرة الدين، وصاروا من عباد الله الصالحين المقربين أمثال الفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، ومالك بن دينار، رحمهم الله تعالى، ولكل واحد منهم قصة في حكاية توبته، ورجوعه إلى ربه خالقه ورازقه، لا يتسع المقام هنا لذكرها.

هذا؛ و(القلب) قطعة صغيرة على هيئة الصَّنَوْبَرَة، خلقها الله في الآدمي، وجعلها محلاً للعلم، فيحصي به العبد من العلوم ما لا يسع في أسفار. يكتبه الله بالخط الإلهي، ويضبطه فيه

بالحفظ الرباني، حتى يحصيه، ولا ينسى منه شيئاً، وهو بين لمَّتَين، لمةٍ من الملك، ولمةٍ من الشيطان، كما قال النبي ﷺ، خرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. وقد مضى في الآية رقم [٢٦٦] من سورة (البقرة) وهو محل الخطرات، والوساوس، ومكان الكفر، والإيمان، وموضع الإصرار، والإنابة، وموضع الانزعاج، والطمأنينة، ولا يجتمع في القلب الضدان. قال تعالى في سورة (الأحزاب) رقم [٤]: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ وهذا نفي لكل ما توهمه أحد في ذلك من حقيقة، أو مجاز.

هذا؛ و﴿أُوتُوا۟﴾ أصله: «أُوتِيُوا» فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان: الياء، والواو، فحذفت الياء لعلة الالتقاء، فصار: «أُوتِوْا» ثم قلبت الكسرة ضمة لمناسبة الواو.

خاتمة: قسوة القلب سبب في شقاء الفرد، وشقاء المجتمع، وسبب في إهمال واجبات الله، وارتكاب المعاصي، والسيئات. فإن قلت: ما هي أسباب قسوة القلب؟ فها أنذا أذكر بعضها على سبيل الاختصار، فأقول؛ وبالله التوفيق: منها: أكل الحرام. ومنها: إتباع الهوى، والانقياد للشيطان الرجيم. ومنها: كثرة الشغف بالمجادلة، والمخاصمة بالباطل. ومنها: الغفلة عن ذكر الله تعالى، وعدم مراقبته في السر، والعلن. ومنها: إهمال واجبات الله تعالى، كالصلاة، وغيرها. ومنها: الانغماس في الشهوات، والملذات، والإغراق في الترف، والنعيم، وكثرة الأكل، والشرب. قال بعض العلماء: من كثر أكله؛ كثر شربه، ومن كثر شربه؛ كثر نومه؛ ومن كثر نومه؛ كثر تخمه، ومن كثر تخمه؛ قسا قلبه، ومن قسا قلبه؛ غرق في الآثام، ومن غرق في الآثام؛ فالنار أولى به! ورحم الله من يقول: [الطويل]

يُمِيتُ الطعامُ القلْبَ إن زادَ كثرةً ... كزرعٍ إذَا بالماءِ قَدْ زادَ سَقْيُهُ
وإنَّ لبيباً يَرتَضِي نَقْصَ عَقْلِهِ ... بأَكْلِ لُقَيْمَاتٍ لَقَدْ ضَلَّ سَعْيُهُ

تنبيه: دواء قسوة القلب: الإكثار من التقوى، والإخلاص في العبادة، والتهجد في الليل، وقراءة القرآن، وتدبر معانيه، ومجالسة أهل الخير، والتقوى، والصلاح، والإقلال من الطعام، والشراب، ورحم الله من يقول: [البسيط]

دواءُ قلبكَ خمسٌ عندَ قَسْوتِهِ ... فدُمْ عليْهَا تَفُزْ بالخَيْرِ والظَفَرِ
خلاءُ بطنٍ وقرآنٌ تدبُّره ... كذا تضرُّعُ باكٍ ساعةَ السَّحَرِ
كذا قِيَامُكَ اللَّيْلَ أوسَطَهُ ... وأنْ تجالِسَ أهلَ الخيرِ والخَبَرِ

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تكثِرُوا الكلامَ بغيرِ ذكرِ الله، فإن كثرةَ الكلامِ بغيرِ ذكرِ الله قسوةٌ لِلْقَلْبِ، وإن أبعدَ الناسِ مِنَ اللهِ القلبُ القاسي**». أخرجه الترمذي. ورحم الله ابن المبارك؛ إذ يقول: [المتقارب]

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوبَ وقد يورثُ الذُّلَّ إدْمَانُهَا

وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفسِكَ عِصيانُهَا

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: (الهمزة): حرف استفهام توبيخي. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَأْنِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿ءَامَنُوٓا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أَن تَخْشَعَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والمصدر المؤول منهما في محل رفع فاعل: ﴿يَأْنِ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: فاعل ﴿تَخْشَعَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِذِكْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ذكر) مضاف، و(الله) مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير: لذكرها الله. ﴿وَمَا﴾: (الواو): حرف عطف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على (ذكر الله). ﴿نَزَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (ما)، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و(من) بيان لما أبهم في (ما). ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَكُونُوا۟﴾: فعل مضارع ناقص معطوف على ﴿تَخْشَعَ﴾ منصوب مثله، وجوز اعتباره مجزوماً بـ: (لا) على اعتبارها ناهية، وعلامة النصب، أو الجزم حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق.

﴿كَٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (تكونوا). هذا؛ وإن اعتبرت الكاف اسماً بمعنى: «مثل» فهي الخبر، وتكون مضافة، و(الذين) اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿أُوتُوا۟﴾: فعل ماض مبني للمجهول، وواو الجماعة نائب فاعله، وهو المفعول الأول. والألف للتفريق. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وبني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى. هذا؛ وأجيز تعليق الجار والمجرور بمحذوف حال من نائب الفاعل، وهو واو الجماعة. ﴿فَطَالَ﴾: الفاء: حرف عطف. (طال): فعل ماض. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿ٱلْأَمَدُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَقَسَتْ﴾: الفاء: حرف عطف. (قست): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث؛ التي هي حرف لا محل له. ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَكَثِيرٌ﴾: (الواو): واو الحال. (كثير): مبتدأ. ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (كثير)، أو بمحذوف صفة له. ﴿فَٰسِقُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير العائد على واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾

الشرح: جاء في مختصر ابن كثير للصابوني ما يلي: فيه إشارة إلى أن الله يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، هو الذي لما يشاء فعال، وهو الحكيم العدل في كل الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال. انتهى.

هذا؛ وفي الجمل نقلاً عن زاده: يعني: أن قوله: ﴿يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ استعارة تمثيلية، والمعنى: يلين القلوب بالذكر بعد قساوتها، شبه تليين القلوب بالخشوع المسبب عن الذكر، وتلاوة القرآن بإحياء الأرض الميتة بالغيث؛ من حيث اشتمال كل واحد منهما على بلوغ الشيء إلى كماله المتوقع بعد خلوه عنه. ويحتمل أن يكون تمثيلاً لإحياء الأموات؛ بأن شُبِّه إحياؤها بإحياء الأرض الميتة، فمن قدر على الثاني، فهو قادر على الأول، فحقه أن تخشع القلوب لذكره. وإنما حمل على التمثيل لترتبط هذه الآية بما قبلها. انتهى. وانظر مثل هذه الترجي في الآية رقم [٤٩] من سورة (الذاريات).

هذا؛ والعقل: نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه بالحواس الظاهرة. وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه؛ أي: يمنعه من فعل الرذائل؛ لذا فإن كل شخص لا يسير على الجادة المستقيمة لا يكون عاقلاً بالمعنى الصحيح، وخذ قول الشاعر: [البسيط]

لَمْ يَبْقَ مِنْ جُلِّ هذا النَّاسِ باقيةٌ يَنالُهَا الوَهْمُ إلا هذه الصُّوَرُ
لا يُدْهِمَنَّكَ مِنْ دهمائِهِمْ عَدَدٌ فإنَّ جُلَّهُمُ بل كُلَّهُمْ بَقَرُ

يقول: لا يدهمنك من جماعتهم الكثيرة عدد فيهم غناء ونصرة، فإن كلهم كالأنعام والبهائم، ولله در القائل: [المنسرح]

لا يدهمنْكَ اللِّحاءُ والصورُ تِسْعَةُ أَعْشَارِ مِنْ تَرى بَقَرُ
في شَجَرِ السَّرو منهُمُ شَبَهٌ لَهُ رِواءٌ ما لَهُ ثَمَرُ

ورضي الله عن حسان بن ثابت؛ إذ يقول: [البسيط]

لا بأسَ بالقَوْمِ مِنْ طُولٍ ومِنْ عظمٍ جِسْمُ البِغَالِ وأحْلَامُ العَصَافيرِ

فقد ورد: أن رجلاً معتوهاً مرَّ على مجلس النبي ﷺ، فقال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم: (هذا رجُلٌ مجنونٌ) فقال سيد الخلق، وحبيب الحق، الناطق بالصدق: «**هَذَا مُصَابٌ،**

إنَّمَا المجنُونُ مَن أصر على معصية الله تعالى». هذا؛ والعقل أيضاً: الدية. سميت بذلك؛ لأن الإبل المؤداة دية تعقل بباب ولي القتيل، والعِقال بكسر العين الحبل الذي تشد به ركبة الجمل عند بروكه على الأرض ليمنعه من القيام، والمشي، والعقال أيضاً صدقة عام. قال شاعر يهجو عاملاً على الصدقات في عهد بني أمية: [البسيط]

سعى عِقالاً، فلمْ يتركْ لنا سَبداً ... فكيفَ لَوْ قد سَعى عمرٌو عِقالَيْنِ؟

لأصبَحَ الناسُ أَوْبَاداً ولم يجدوا ... عند التَّفَرُّقِ في الهيجا جِمالَيْنِ

هذا؛ والعقال زكاة المال في سنة واحدة، والسبد: المال القليل، واللبد: المال الكثير، وأوباداً: هلْكى، جمع: وبْد. فهو يقول: صار عمرو عاملاً على الصدقات سنة واحدة، فظلم، وأخذ أموال الناس بغير حق؛ حتى لم يبق لنا إلا شيء قليل من المال، فكيف حالنا، أو كيف يبقى لأحد شيء لو صار عمرو عاملاً في زكاة عامين؟! ثم أقسم، وقال: والله لو صار عاملاً عامين لصارت القبيلة هلكى، فلا يكون لها عند التفرق في الحرب جمالان! فيختل أمر الغزوات.

الإعراب: ﴿اعْلَمُوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب (أقيموا) في الآية رقم [٩] من سورة (الرحمن). ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُحْيِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، ﴿الْأَرْضَ﴾: مفعول به. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وهو مضاف، و﴿مَوْتِهَا﴾ مضاف إليه، و(ها): في محل جر بالإضافة. و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي ﴿اعْلَمُوا﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها مبتدأة، أو مستأنفة. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿بَيَّنَّا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، واعتبارها في محل نصب حال من واو الجماعة فيه ضعف. ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿الْآيَاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها، وجملة: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ في محل رفع خبر (لَعَلَّ)، والجملة الاسمية تعليل لتبيين الآيات، لا محل لها.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾: بتشديد الصاد، والدال فيهما، وأصلهما (المتصدقين والمتصدقات) وقرئ بهما على هذا الأصل، كما قرئ بتخفيف الصاد فيهما،

وتشديد الدال، بمعنى الذين صدَّقُوا وصدَّقْنَ الله ورسوله. من: التصديق. هذا؛ ونص الآية صريح بإثابة النساء اللاتي يعملن الصالحات من الصدقات، وغيرها، ودليل واضح على أن المرأة مكلفة بالطاعات، ومنهية عن المعاصي، والمخالفات كالرجل. وانظر ما ذكرته في آية (الأحزاب) رقم [٣٥]. ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: ففيه تغليب الرجال على النساء، أو المعنى: أقرضوا، وأقرضن الله قرضاً. . . إلخ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١١].

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾: ويقرأ (يضعَّف) بتشديد العين، والمضاعفة: المكاثرة، وضعف الشيء (بكسر الضاد، وسكون العين): مثله، وضعفاه: مثلاه، وأضعافُه: أمثالُه، هذا هو الأصل في الضعف، ثم استعمل في المثل وما زاد، وليس للزيادة حد، فيقال: هذا ضِعف هذا؛ أي: مثله، أو مثلاه، أو ثلاثة أمثاله، وهكذا. ويقال: أضعفت الشيء، وضعَّفته، وضاعفته، فمعناه: ضممت إليه مثله، فصاعداً. وقال بعضهم: ضاعفت أبلغ من: ضعَّفت، ولذا قرأ أكثرهم في هذه الآية: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾، وفي سورة (الأحزاب) رقم [٣٠]: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وفي الآية رقم [٦٩] من سورة (الفرقان): ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾، وفي الآية رقم [٤٠] من سورة (النساء): ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ هذا؛ وللضعف (بفتح الضاد) والضِّعف (بكسرها) والضعف (بضمها) معانٍ نظمها بعضهم بقوله: [الرجز]

فـي الـرأي والـعـقـلِ يـكـونُ الـضَّـعْـفُ ... والـوهـنُ فـي الـجـسْـمِ فَـذَاكَ الـضِّـعْـفُ

زِيــادةُ الـمِـثْـلِ كـذا والـضُّـعْـفُ ... جَـمْـعُ ضـعـيـفٍ وهـوَ شـاكـي الـضُّـرِّ

﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ثواب عظيم، وهو الجنة، وفي سورة (الأنفال) رقم [٤]: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. وفسر بما لا ينتهي عدده، ولا ينقطع مدده، صاف عن كد الاكتساب، وخوف الحساب، لا منة فيه ولا عذاب، وانظر شرح ﴿كَرِيمٌ﴾ في سورة (الدخان) رقم [٢٦].

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء. . . إلخ، ﴿وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾: الواو: حرف عطف. (المصدقات): معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿وَأَقْرَضُوا۟﴾: (الواو): حرف عطف. (أقرضوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿قَرْضًا﴾: مفعول مطلق. ﴿حَسَنًا﴾: صفة ﴿قَرْضًا﴾. هذا؛ و(أقرضوا) ماض معطوف على ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾، وهو عطف فعل على اسم، وساغ ذلك؛ لأن الاسم في تقدير الفعل؛ إذ المعنى: إن الذين تصدقوا وأقرضوا، ومنه قوله تعالى في سورة (العاديات): ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ إذ المعنى: فاللاتي أغرن صبحاً فأثرن به نقعاً. هذا؛ وقال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته رقم [٩٥]: [الوافر]

وأنَّـا الـشَّـارِبُـونَ الـمـاءَ صَـفْـواً ... ويَـشْـرَبُ غَـيْـرُنَـا كَـدَراً وطِـيـنـا

إذ المعنى: وأنا الذين يشربون الماء، ويشرب... إلخ. هذا؛ وقال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

واعطِفْ على اسمٍ شِبْهِ فعلٍ فِعْلا   وعَكْساً اسْتَعْمِلْ تَجِدْهُ سَهْلا

قال ابن عقيل ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح هذا البيت: يجوز أن يعطف الفعل على الاسم المشبه للفعل كاسم الفاعل، ونحوه، ويجوز أن يعطف على الفعل الواقع موقع الاسم اسمٌ، فمن الأول قوله تعالى... وذكر آية (العاديات) والآية التي نحن بصدد شرحها، وقال: ومن الثاني قول الشاعر: [الطويل]

فألْفَيْتُهُ يوماً يُبِيرُ عدُوَّهُ   ومجْرٍ عطاءً يستحقُّ المَعَابِرَا

ف: «مُجْرٍ» عطاءً معطوف على: «يبير» وقول الشاعر: [الرجز]

باتَ يُعَشِّيها بِعَضْبٍ باتِرٍ   يَقْصِدُ في أسْوُقِها وجَائِرِ

ف: «جائر» معطوف على: «يقصد». ﴿يُضَٰعَفُ﴾: مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل فيه وجهان: أحدهما وهو الظاهر أنه الجار والمجرور: (لهم). والثاني: أنه ضمير التصدق، ولا بد من تقدير مضاف محذوف، التقدير: يضاعف لهم ثواب التصدق. والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿وَلَهُمْ﴾: (الواو): حرف عطف. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَجْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿كَرِيمٌ﴾: صفة ﴿أَجْرٌ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ...﴾ إلخ: لقد اختلف في هذه الآية، هل الشهداء هم الصديقون، أم هم غيرهم؟ فقال مجاهد، وزيد بن أسلم: إن الشهداء، والصديقين هم المؤمنون أنفسهم، وروي معناه عن النبي ﷺ، وعليه فلا يوقف على قوله: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾. وهذا قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في تأويل الآية. وروي عن ابن عباس، ومسروق ـ رضي الله عنهما ـ: أن الشهداء غير الصديقين، مثل قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٦٩]: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.

وعلى القول الأول ففي الشهداء قولان: أحدهما أنهم الرسل يشهدون على أممهم بالتصديق والتكذيب. قاله الكلبي، ودليله قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٤١]: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾.

الثاني: أن أمم الرسل يشهدون يوم القيامة، وفيما يشهدون به قولان: أحدهما: أنهم يشهدون على أنفسهم بما عملوا من طاعة، ومعصية. الثاني: أنهم يشهدون لأنبيائهم بتبليغهم الرسالة إلى أممهم. وعلى جميع ما تقدم؛ فالشهداء جمع: شاهد. وعلى القول الثاني: فالمراد بهم: الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله، وهو على هذا فالشهداء: جمع: شهيد، والشهيد على ثلاثة أنواع:

الأول: شهيد الدنيا، وهذا من قاتل رياءً، أو حباً في الغنيمة، أو حباً في السمعة، والشهرة، والمحمدة، فهذا تجري عليه أحكام الشهادة في الدنيا، ولا ثواب له في الآخرة. والثاني: شهيد الآخرة فقط، فقد روى الطبراني عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال ذات يوم: «**ما تعدُّونَ الشهيدَ فيكُمْ؟!**». قُلْنَا يا رسولَ الله! مَنْ قُتِلَ في سَبِيلِ الله. قال: «**إنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إذاً لقليلٌ، مَنْ قُتِلَ في سَبيلِ الله فهوَ شهيدٌ، والمتردي شهيدٌ، والنفساءُ شهيدٌ، والغريقُ شهيدٌ، والسِّلُّ شهيدٌ، والحريقُ شهيدٌ، والغَريبُ شهيدٌ**». قال الحافظ المنذري ـ رحمه الله تعالى ـ: ورواه الطبراني من طريق عبد الملك بن مروان بن عنترة ـ وهو متروك ـ عن أبيه عن جده. والثالث: شهيد الدنيا، والآخرة، وهو من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

هذا؛ ومعنى: (الشهداء عند ربهم) أي: في جنات النعيم، كما قال تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١٦٩]: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ قال: «**أَرْوَاحُ الشهداءِ في أجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أنْهَارَ الجَنَّةِ، وتأكلُ مِنْ ثمارِهَا، وتأوِي إلى قَنَاديلَ مُعَلَّقَةٍ في ظِلِّ العَرْشِ**». أخرجاه في الصحيحين. هذا؛ و﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ جمع: صدِّيق، وهو كثير الصدق. واختلف فيهم فالمعتمد: أنهم أفاضل الصحابة كأبي بكر وبقية العشرة المبشرين بالجنة، وغيرهم من السابقين إلى الإسلام. وقال مقاتل بن حيان: الصديقون هم الذين آمنوا بالرسل، ولم يكذبوهم طرفة عين، مثل مؤمن آل فرعون، وصاحب آل ياسين، وأبي بكر، وأصحاب الأخدود.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي: لهم عند الله أجر جزيل، ونور عظيم، يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في دار الدنيا من الأعمال، انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٢]. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله، ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أي: بالرسل، والمعجزات. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: لا ثواب لهم إلا النار، وبئس القرار! وقال البيضاوي: وفيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار؛ من حيث إن التركيب يشعر بالاختصاص، والصحبة تدل على الملازمة عرفاً، انتهى. وينبغي أن تعلم أنه تعالى لما ذكر السعداء، ومآلهم؛ ذكر الأشقياء، وبين حالهم. وهذا من باب المقابلة. انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥] من سورة (الذاريات).

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق،

والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَرُسُلِهِۦٓ﴾: الواو: حرف عطف. (رسله): معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾: خبر الضمير، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، وإن اعتبرت الضمير فصلاً، فـ: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (الذين) والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾: الواو: حرف عطف. (الشهداء): معطوف على ﴿ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ على اعتبارهما لمعنى واحد، ومبتدأ على اعتبارهما متغايرين. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: (الشهداء) على الوجه الأول فيه، ومتعلق بمحذوف خبره على اعتباره مبتدأ، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِمۡ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَهُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَجۡرُهُمۡ﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿وَنُورُهُمۡۖ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان لـ: (الشهداء) على اعتباره مبتدأ، أو في محل رفع خبر ثان لـ: (أولئك) على الوجه الأول في (الشهداء). ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الذين): مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلته، وجملة: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ. ﴿أَصۡحَٰبُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (الذين)، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾

الشرح: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: في هذا الحصر إشارة إلى تحقير الدنيا كيف لا؛ وهي لاتزن عند الله جناح بعوضة، ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء! ولقد وصف الله تعالى في هذه الآية وغيرها الحياة التي يحياها ابن آدم بـ: ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ لدناءتها وحقارتها، وأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة، ورحم الله الحريري؛ إذ يقول: [الكامل]

يا خاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيةِ إنها ... شَرَكُ الرَّدى وقرارةُ الأكْدارِ
دارٌ مَتى ما أضحكتْ في يومِها ... أبكتْ غداً تَبّاً لها مِنْ دارِ

أو هي من الدنو، وهو القرب؛ لأنها في متناول يد الإنسان ما دام حياً. وقال سليمان بن الضحاك: [السريع]

مَا أَحْسَنَ الدنيا ولَكِنَّها … مع حسْنِها غدَّارَةٌ فانِيهْ

ما أنعمَ الله على عبدِهِ … بنعمةٍ أوفَى مِنَ العافيهْ

وكلُّ مَنْ عُوفِيَ في جسمِهِ … فإنه في عِيشَةٍ راضيهْ

والمالُ حُلْوٌ حسنٌ جيدٌ … على الفتى لكنهُ عارِيَهْ

وانظر ما ذكرته في سورة (العنكبوت) رقم [٦٤] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي: كما يلعب الصبيان، ويلهون به، ويجتمعون عليه، ويبتهجون به ساعة، ثم يتفرقون عنه متعبين، واللعب العبث، واللهو: الاستمتاع بلذات الدنيا. وقيل: هو الاشتغال بما لا يعني الإنسان، وما لا يهمه. والمعنى: ليس ما أعطاه الله الأغنياء من حطام الدنيا؛ إلا وهو يضمحل، ويزول، كاللعب، واللهو؛ الذي لا حقيقة له، ولا ثبات. وقال الخازن: واللعب ما يشغل الإنسان، وليس فيه منفعة في الحال، ولا في المآل، ثم إذا استعمله الإنسان، ولم يشغله عن غيره، ولم يُنْسِهِ أشغاله المهمة؛ فهو اللعب، وإن أشغله عن مهمات نفسه؛ فهو اللهو.

﴿وَزِينَةٌ﴾ أي: وزينة يتزين بها الجهلاء، كالملابس الحسنة، والمراكب البهية، والمنازل الرفيعة. ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ أي: ومباهاة، وافتخار بالأحساب، والأنساب، والمال، والولد، كما قال القائل: [الوافر]

أرى أهلَ القُصورِ إذا أُميتُوا … بنَوْا فوقَ المقابِرِ بالصخورِ

أبَوْا إلّا مباهاةً وفخراً … على الفقراءِ حتَّى في القُبُورِ

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ أي: مباهاة، ومفاخرة بكثرة الأموال، والأولاد. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يجمع المال من سخط، ويتباهى به على أولياء الله، ويصرفه في مساخط الله، فهو ظلمات بعضها فوق بعض. وقال النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه الآية: لعب كلعب الصبيان، ولهو كلهو الفتيان، وزينة كزينة النسوان، وتفاخر بينكم كتفاخر الأقران، وتكاثر كتكاثر الدهقان.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾: وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، كما قال تعالى في سورة (الشورى) رقم [٢٨]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ وسمي المطر غيثاً؛ لأنه يغيث الناس، فيزيل همهم، ويفرج كربهم، ويطلق مجازاً على الجواد الكريم.

قال ذو الرمة في مدح بلال بن أبي بردة الأشعري: [الوافر]

سمعتُ الناسَ ينتجعونَ غيثاً … فقلتُ لِصَيْدَحَ: انْتَجِعِي بِلَالَا

فقد جعله أجود من الغيث، وأنفع، وصيدح: اسم ناقته. وللزمخشري قوله: [البسيط]

لا تَحْسَبُوا أنَّ في سِرْبالِهِ رَجُلاً فَفِيهِ غَيْثٌ ولَيْثٌ مُسْبِلٌ مُشْبِلُ

﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع؛ الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك، كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار بزهرتها وزينتها، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها. وسمي الزارع كافراً؛ لأنه يغطي البذر، ويستره بالتراب. وسمي الكافر كافراً؛ لأنه يغطي الحق، ويستره بجحوده، وإنكاره. ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: يجف بعد خضرته، وييبس، ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ أي: متغيراً عما كان عليه من النضرة، والخضرة الحسنة. ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ﴾ أي: فتاتاً، وتبناً، فتذهب بهجته، ونضرته.

هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزاً شوهاء. والإنسان يكون كذلك في أول عمره، وعنفوان شبابه غضاً طرياً، لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم يكبر، فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى، كما قال تعالى في سورة (الروم) رقم [٥٤]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾

ورحم الله من قال: [البسيط]

مـا أنْتَ إلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خضرتِهِ لِكُلِّ شيءٍ مِنَ الآفاتِ مَقْصُودُ

فإنْ سلِمْتَ مِنَ الآفاتِ أجْمَعِهَا فأنْتَ مِنْ بعدِ ذَا لَا بُدَّ مَحْصُودُ

تنبيه: في الآية الكريمة تشبيه التمثيل، الذي هو منتزع من متعدد، فقد شبه الله الدنيا، وبهجتها، وإقبالها على العبد، وركونه إليها بالنبات الذي ينزل عليه المطر، وهذا النبات يقوى، ويشتد، ويزهو يوماً بعد يوم، ولكنه لا يلبث أن يصفر، ثم ييبس، ثم يكون هشيماً، وحطاماً. وكذلك الدنيا مآلها إلى الهلاك، والدمار، والفناء. هذا؛ ويشبه هذه الآية في تمثيل الدنيا الآية رقم [٤٥] من سورة (الكهف).

﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: لمن كانت حياته بهذه الصفة. قال أهل المعاني: زهَّد الله في هذه الآية في العمل للدنيا، وهذه صفة حياة الكافرين، وحياة من يشتغل باللعب، واللهو ورغَّب في العمل للآخرة بقوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ أي: لأوليائه، وأهل طاعته. وقيل: عذاب شديد لأعدائه، ومغفرة من الله، ورضوان لأوليائه؛ لأن الآخرة إما عذاب، وإما نعيم، ولا تنس المقابلة بين معنى الجملتين. وهو من المحسنات البديعية. والموت لا بد واقع بكل إنسان، ورحم الله من يقول: [البسيط]

الموتُ بابٌ وكلُّ الناسِ داخِلُهُ فَلَيْتَ شِعْرِي بعدَ البابِ ما الدَّارُ؟

ورحم الله من رد الجواب بما يلي: [البسيط]

الـدارُ جـنـةُ عـدْنٍ إنْ عـمـلْـت بـمـا يُـرْضِـي الإلَـهَ وإنْ خَـالَـفْـتَ فـالـنَّـارُ
هُـمَـا مـحـلَّان مـا لـلـنَّـاسِ غـيْـرُهُـمَـا فـانـظُـرْ لـنـفـسِـكَ مـاذَا أَنْـتَ مُـخْـتَـارُ؟

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ أي: لمن عمل لها، ولم يعمل للآخرة، فمن اشتغل في الدنيا بطلب الآخرة، فهي له بلاغ إلى ما هو خير منه، وهي متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة. هذا؛ وأحاديث الرسول ﷺ في ذم الدنيا كثيرة لا تعد، ولا تحصى، ولكن النبي ﷺ مدحها إذا تزود منها المسلم العمل الصالح لآخرته حيث ورد قوله: «**نِعمتِ الدارُ الدنيا لِمَنْ تزودَ منها لآخرتِهِ**». ولا تنس المقابلة في آخر الآية.

هذا؛ ويجري على ألسنة العوام: أن متاع الغرور هو ما تحمله المرأة من خرق في أيام حيضها فمن أين أتوْا بهذا المعنى الذي لا يقره عقل، ولا ذوق فضلاً عن عدم وجوده في كتب اللغة. ولا تنس أن الغرور بفتح الغين، إنما هو الشيطان. قال تعالى في سورة (لقمان) رقم [٣٣]: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾.

الإعراب: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب (أقيموا) في سورة (الرحمن) رقم [٩]. ﴿أَنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف. ﴿لَعِبٌ﴾: خبر المبتدأ، والأسماء بعده معطوفة عليه. ﴿بَيْنَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: (تفاخر)؛ لأنه مصدر. وقيل: متعلق بمحذوف صفة له. ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾: الواو: حرف عطف. (تكاثر): معطوف على ما قبله. ﴿فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾: متعلقان بـ: (تكاثر)؛ لأنه مصدر أيضاً. وقيل: متعلقان بمحذوف صفة له. ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾: معطوف على ما قبله، و(أنما) وما بعدها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي ﴿ٱعْلَمُوٓا۟﴾، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

﴿كَمَثَلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي كمثل، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، أو الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان. وقيل: متعلقان بمحذوف صفة لـ: (تفاخر)، وهو ضعيف جداً. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من معنى ما تقدم؛ أي: ثبتت لها هذه الصفات مشبهة بغيث. هذا؛ وإن اعتبرت المحل للكاف؛ لأنها بمعنى مثل؛ فهو ضعيف جداً، و(مثل) مضاف، و﴿غَيْثٍ﴾ مضاف إليه. ﴿أَعْجَبَ﴾: فعل ماض، ﴿ٱلْكُفَّارَ﴾: مفعول به. ﴿نَبَاتُهُۥ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿غَيْثٍ﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يَهِيجُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿نَبَاتُهُۥ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فَتَرَىٰهُ﴾: (الفاء): حرف عطف. (تراه): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعوله.

﴿مُصۡفَرّٗا﴾: حال من الضمير المنصوب، أو مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿يَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى النبات. ﴿حُطَٰمٗاۖ﴾: خبر ﴿يَكُونُ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَفِي﴾: (الواو): حرف استئناف. (في الآخرة): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٞ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿شَدِيدٞ﴾: صفة ﴿عَذَابٞ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: معطوفة على ما قبلها. ولا وجه له. ﴿وَمَغۡفِرَةٞ﴾: الواو: حرف عطف. (مغفرة): معطوف على ﴿عَذَابٞ﴾. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمغفرة، أو بمحذوف صفة له، ﴿وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾: معطوف على (مغفرة).

﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (ما): نافية لا عمل لها. ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلدُّنۡيَآ﴾: صفة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَتَٰعُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلۡغُرُورِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الواو. تأمل وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: سارعوا بالأعمال الصالحة؛ التي توجب المغفرة لكم من ربكم. وقيل: سارعوا بالتوبة؛ لأنها تؤدي إلى المغفرة. ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لو وصل بعضها ببعض. وقيل: إن الله شبه عرض الجنة بعرض السموات، والأرض؛ لو وصل بعضها ببعض. قيل: إن السموات السبع، والأرضين السبع لو جعلت صفائح، وألزق بعضها ببعض؛ لكان عرض الجنة في قدرها جميعاً. وقيل: إن الله شبه عرض الجنة بعرض السموات، والأرض، ولا شك: أن الطول يكون أزيد من العرض، فذكر العرض تنبيهاً على أن طولها أضعاف ذلك، ومن عادة العرب: أنها تعبر عن سعة الشيء بعرضه دون طوله. قال الشاعر: [الطويل]

كأنَّ بلادَ اللهِ وهيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الخائِفِ المطْلُوبِ كِفَّةُ حَابِلِ

وقيل: هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه، ويقع في نفوسهم، وأفكارهم، وأكثر مما يقع في نفوسهم مقدار السموات، والأرض. فشبه عرض الجنة بعرض السموات، والأرض على ما يعرفه الناس. ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ أي: هيئت، ويفهم من الآية الكريمة: أن الجنة مخلوقة موجودة، كما أن النار أعدت وهيئت بالذات للكافرين وبالعرض للعصاة الذين حادوا عن الصراط المستقيم، فهي أيضاً مخلوقة، وموجودة. قال تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١٣١]: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾.

هذا؛ وقال أكثر المفسرين: فيه دليل على أن الإيمان وحده كاف في استحقاق دخول الجنة، وفيه أعظم رجاء، وأقوى أمل؛ لأن الله ذكر: أن الجنة أعدت لمن آمن بالله ورسوله، ولم يذكر مع الإيمان شيئاً آخر، وهذا غير مسلَّم لهم من عدة وجوه: أولها: أن الله عز وجل قال: ﴿سَابِقُوٓاْ...﴾ إلخ؛ وقد رأيت ما ذكرته لك آنفاً: أن المعنى: سابقوا، وسارعوا بالأعمال الصالحة، وليس المعنى سابقوا، وسارعوا إلى دخول الجنة بدون عمل. والله جلت قدرته يقول في الحديث القدسي: «**ما أقلَّ حياءَ من يطمع بجنتي من غير عملٍ، فكيف أجود بجنتي على من بخل عليَّ بطاعتي؟!**».

وثانيها: الآيات الكثيرة التي تقرن الإيمان بالعمل الصالح، وسميته في محالِّه احتراساً. وثالثها: الأحاديث الشريفة الكثيرة؛ التي تشترط العمل مع الإيمان لدخول الجنة، مثل قول الرسول ﷺ: «**الإيمانُ والعملُ قرينانِ، لا يقبلُ الله أحدَهُمَا بدونِ صاحبِهِ**». «**ليْسَ الإيمانُ بالتمنِّي، ولكنْ ما وقَرَ في القَلْبِ، وصَدَّقَهُ العملُ...**» إلخ.

وروى الإمام أحمد: أن النبي ﷺ قال: «**مفتاحُ الجنةِ شهادةُ أن لا إلهَ إلَّا الله**». وزاد البخاري: «**ولكن ليس مِنْ مفتاحٍ إلا ولهُ أسنانٌ، فإن أتيت بمفتاح له أسنانٌ فُتِحَ لكَ، وإلا لم يُفْتَحْ لكَ**». والمراد بالأسنان: الأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة.

ورابعها: أن ما أطلق هنا قيد في الآيات رقم [١٣٣] و[١٣٤] و[١٣٥] من سورة (آل عمران) ـ انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك ـ بالتقوى، وإنفاق المال في السراء، والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس المسيئين، والإحسان إليهم، والتوبة من الذنب، وعدم الإصرار عليه. فلماذا لا يحمل المطلق على المقيد، وهذا معروف في علم الأصول لا خفاء فيه. لذا ما قاله بعض المفسرين لا يعتد به، والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

هذا؛ ولا تنس قوله تعالى في سورة (الجاثية) رقم [٢١]: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وأيضاً قوله تعالى في سورة (السجدة) رقم [١٨]: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ أي: إن الجنة لا تنال، ولا تدخل إلا برحمة الله، وفضله، وقد قال الرسول ﷺ: «**لَنْ يُدخِلَ أحداً عملُهُ الْجَنَّةَ... إلخ**». انظر الجمع بين هذا الحديث، وبين قوله تعالى في سورة (الزخرف) الآية رقم [٧٢]: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تجد ما يسرك ويثلج صدرك.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: فلا يبعد أن يتفضل، ويتكرم بذلك؛ وإن عظم قدره، وخذ ما يلي: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن فقراء المهاجرين أتَوْا رسول الله ﷺ، فقالوا:

يا رسولَ الله! ذهبَ أهلُ الدثورِ بالأجورِ، بالدرجاتِ العُلى، والنعيم المقيم. قال: «**وَمَا ذَاكَ؟**». قالوا: يصلونَ كَما نُصَلِّي، ويصومون كمَا نَصُومُ، ويتصدقونَ، ولا نتصَدَّقُ، ويعتقونَ، ولَا نُعْتِقُ. قال رسول الله ﷺ: «**أفلَا أعلمكمْ شَيئاً تدرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وتسبقونَ بِهِ مَنْ بَعدَكُمْ، ولا يكون أحدٌ أفضلَ منكمْ إلَّا مَنْ صنعَ مِثلَ مَا صنعتُمْ؟**». قَالُوا: بلَى يا رسولَ الله؟ قال: «**تسَبّحونَ وتكبِّرون، وتحمدُون دُبُرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثينَ مَرَّةً**». قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «**ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**». رواه البخاري ومسلم.

تنبيه: ذكر الله عز وجل: أن عرض الجنة كعرض السماء والأرض للمبالغة في وصفها بالسعة؛ لأن العرض دون الطول، يقال: هذه صفة عرضها؛ فكيف طولها؟! قال الزهري: إنما وصف عرضها، فأما طولها فلا يعلمه إلا الله تعالى، وهذا على سبيل التمثيل، لا أنها كالسموات، والأرض لا غير، بل معناه: كعرض السموات السبع، والأرضين السبع عند ظنكم؛ لو وصل بعضها ببعض. روي: أن ناساً من اليهود سألوا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: إذا كانت الجنة عرضها ذلك، فأين تكون النار؟ فقال لهم: أرأيتم إذا جاء الليل فأين يكون النهار، وإذا جاء النهار؛ فأين يكون الليل؟ فقالوا: إنه لمثلها في التوراة. ومعناه حيث شاء الله. وسئل أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن الجنة: أفي السماء، أم في الأرض؟ فقال: وأي سماء وأي أرض تسع الجنة؟ قيل: فأين هي؟ قال: فوق السموات السبع تحت العرش. وقال قتادة ـ رضي الله عنه ـ: كانوا يرون: أن الجنة فوق السموات السبع، وأن جهنم تحت الأرضين السبع. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: متعلقان بـ: ﴿مَغۡفِرَةٖ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَجَنَّةٍ﴾: معطوف على (مغفرة). ﴿عَرۡضُهَا﴾: مبتدأ، (وها): في محل جر بالإضافة. ﴿كَعَرۡضِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وإن اعتبرت الكاف اسماً؛ فهي الخبر، وتكون مضافة، و(عرض): مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل جر صفة (جنة). ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾: معطوف على ما قبله، ﴿أُعِدَّتۡ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث، ونائب الفاعل يعود إلى جنة، والجملة الفعلية في محل جر صفة ثانية لـ: (جنة)، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بالجملة الاسمية بعدها، وتكون «قد» قبلها مقدرة، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾ صلة الموصول، لا محل لها.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿فَضۡلُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و(الله) مضاف إليه، من إضافة

المصدر لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يُؤْتِيهِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به أول. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يؤتيه الذي، أو شخصاً يشاء إيتاءه، والجملة الفعلية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والعامل اسم الإشارة لما فيه من معنى الفعل، والرابط: الضمير فقط. ﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف عطف. (اللهُ): مبتدأ. ﴿ذُو﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، و﴿ذُو﴾ مضاف، و﴿ٱلْفَضْلِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: صفة ﴿ٱلْفَضْلِ﴾.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا يحدث في الأرض مصيبة من المصائب كقحط، وزلزلة، وآفة في الزروع، وجائحة في الثمار، وعاهة في الحيوانات المسخرة لمنفعة الإنسان. ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: من الأمراض، والأوصاب، والفقر، وذهاب الأولاد. ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾: المراد به: اللوح المحفوظ، ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أي: نخلقها، ونبرزها للوجود. والضمير يعود إلى الخليقة، والنسمة. وقال بعضهم: الضمير عائد على النفوس. وقيل: عائد على المصيبة، والأحسن عوده على الخليقة، والبرية لدلالة الكلام عليها، كما روي عن منصور بن عبد الرحمن؛ قال: كنت جالساً مع الحسن، فقال رجل: سله عن قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ...﴾ إلخ. فسألته عنها، فقال: سبحان الله، ومن يشك في هذا؟ كل مصيبة بين السماء والأرض في كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة.

هذا؛ و«أصاب» يحتمل معاني كثيرة، تقول: أصاب السهم يصيب: لم يخطئ هدفه، وأصاب الرجل في قوله، أو في رأيه: أتى بالصواب، وأصاب فلاناً البلاءُ يصيبه: وقع عليه، وهو ما في هذه الآية، وأصابهم المطر: نزل عليهم. قال تعالى في سورة (الروم) رقم [٤٨]: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

وأصاب: قصد وأراد. قال تعالى في سورة (صٓ) رقم [٣٦]: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ قاله مجاهد. والعرب تقول: أصاب الصواب، وأخطأ الجواب. قاله ابن الأعرابي، وقال الشاعر: [المتقارب]

أَصَابَ الْكَلَامَ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ فَأَخْطَا الجَوابَ لَدَى الْمَفْصِلِ

هذا؛ والمضارع يصيب، وانظر إعلال (يوقنون) في الآية رقم [٣٦] من سورة (الطور)، فهو مثله. وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق لله تعالى قبحهم الله تعالى! روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قدرَ الله المقادِيرَ قبْلَ أن يخلُق السمواتِ والأرضَ بخمسين ألْفَ سَنَةٍ**». وزاد ابن وهب: «﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾». أخرجه مسلم، وأحمد، ورواه الترمذي بالزيادة، وقال: حسن صحيح. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إن علمه تعالى بالأشياء قبل وجودها سهل عليه عز وجل؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون. هذا؛ وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: وبلغنا: أنه ليس أحد يصيبه خدش عود، ولا نكبة قدم، ولا خلخال عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، أقول: وهو فحوى قوله تعالى في سورة (الشورى) رقم [٣٠]: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ انظر شرحها هناك؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

وأقول أيضاً: عفو الله عن كثير من الذنوب يتجلى بقوله تعالى في سورة (النحل) رقم [٦١]: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. وبقوله جل ذكره في سورة (فاطر) رقم [٤٥]: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

هذا؛ وبين الرسول ﷺ في أحاديثه الشريفة أن المصائب على اختلاف أنواعها، وتفاوت مراتبها تكفر السيئات، وتمحو الخطايا. وخذ نبذة من ذلك فيما يلي:

عن أبي سعيد، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**مَا يُصِيبُ المؤمِنَ مِنْ نصَبٍ، ولا وصَبٍ، ولا هَمٍّ، ولا حَزَنٍ، ولا أذىً، وَلَا غَمٍّ؛ حَتَّى الشوكةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ الله بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**». رواه البخاري، ومسلم. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن النبي ﷺ قال: «**إذَا اشْتَكَى العبدُ المؤمِنُ؛ أخلصَهُ الله مِنَ الذنوب، كما يُخَلِّصُ الكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**». رواه الطبراني، وغيره. وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الصداع، والْمليلةَ لا تزالُ بالمؤمِنِ، وإِنَّ ذَنْبَهُ مِثْلُ أَحُدٍ، فَمَا تَدَعُهُ؛ وعَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ**». رواه أحمد، وغيره.

هذا؛ وليست كل المصائب انتقاماً، ولا تكفيراً للسيئات، ولا دليلاً على أن الله يبغض العبد المبتلى، والمصاب، بل على العكس قد تكون المصائب دليلاً على أن الله يحب العبد، ويبتليه ليرفع درجاته في أعلى عليين، وكلما كان أقوى إيماناً؛ اشتد بلاؤه، فعن مصعب بن سعد عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ. قال: قُلْتُ: يا رسولَ الله! أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأنبياءُ، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ، يُبْتلَى الرجلُ على حسبِ دينه، فإذا كانَ دِينُهُ صُلْباً؛ اشتدَّ بَلَاؤُهُ، وإن كان في دينهِ رِقَّةٌ؛ ابتلاهُ الله على حسَبِ دينِهِ، فما يَبْرَحُ البلاءُ بالعبْدِ؛ حتَّى يمشِيَ على الأرضِ؛ وما عليهِ خطيئةٌ**». رواه ابن ماجه، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وعن محمود بن لبيد ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ

قال: «**إذا أحبَّ الله قَوْماً؛ ابتلاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ؛ فَلَهُ الصَّبْرُ، ومَنْ جَزِعَ، فَلَهُ الْجَزَعُ**». رواه الإمام أحمد. وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ عِظَمَ الجزاءِ معَ عِظَمِ البلاءِ، وإنَّ الله تعالَى إذا أَحَبَّ قَوْماً؛ ابتلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ؛ فله الرِّضَا، ومَنْ سَخِطَ؛ فَلَهُ السُّخْطُ**». رواه ابن ماجه، والترمذي، وقال: حديث حسن غريب. ورحم الله من قال: [الطويل]

بَنَى الله للأخيارِ بَيْتاً سَماؤُهُ هُمُومٌ وَأَحْزَانٌ وَحِيطَانُهُ الضُّرُّ

وأَدْخَلَهُمْ فِيهِ وأغلقَ بابَهُ وَقَالَ لهُمْ: مفتاحُ بَابِكُمُ الصَّبْرُ

وانظر ما أذكره في سورة (التغابن) رقم [١١] إن شاء الله تعالى.

الإعراب: ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَصَابَ﴾: فعل ماض. ﴿مِن﴾: حرف صلة. ﴿مُّصِيبَةٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والمفعول محذوف؛ إذ التقدير: ما أصابكم مصيبة. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿أَصَابَ﴾، أو بمحذوف صفة ﴿مُّصِيبَةٍ﴾ على اللفظ، أو على المحل، أو هما متعلقان بنفس ﴿مُّصِيبَةٍ﴾. هذا؛ وذكَّر الفعل ﴿أَصَابَ﴾؛ لأن ﴿مُّصِيبَةٍ﴾ مؤنث مجازي. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: صلة لتأكيد النفي. ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿مُّصِيبَةٍ﴾ وجاز ذلك وإن كانت نكرة؛ لتخصصها إما بالعمل، أو بالصفة، أو هما متعلقان بمحذوف خبر مبتدأ محذوف التقدير: إلا هي كائنة في كتاب، وتكون الجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿مُّصِيبَةٍ﴾. ﴿مِّن قَبْلِ﴾: متعلقان بما تعلق به ما قبلهما، التقدير: إلا ثابتة في كتاب من قبل. ﴿أَن نَّبْرَأَهَآ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «﴿أَن﴾»، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، (وها): مفعول به، و﴿أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة قبل إليه.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿يَسِيرٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية ابتدائية، أو مستأنفة، أو تعليلية، لا محل لها على جميع الاعتبارات.

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ أي: أعلمناكم بتقدم علمنا، وسبق كتابتنا للأشياء قبل وجودها، وقبل إظهارها لكم. وأخبرناكم بتقديرنا الأمور قبل وجودها؛ لتعلموا علماً يقيناً: أن

ما أصابكم لم يكن ليخطئكم، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق، أو من أمور الدنيا. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أن نبي الله ﷺ قال: «**لا يَجِدُ أحدُكُم طَعْمَ الإيمانِ؛ حتّى يعلَمَ: أنَّ ما أصابَهُ؛ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وما أخطَأَهُ؛ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَهُ**». ثم قرأ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾.

﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أي: أعطاكم. قال عكرمة ـ رحمه الله تعالى ـ: ليس أحد إلا وهو يفرح، ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً، والحزن صبراً. قال صاحب الكشاف: إن قلت: ما من أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به، ولا عند منفعة ينالها ألَّا يحزن ولا يفرح، قلت: المراد: الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر، والتسليم لأمر الله، ورجاء ثواب الصابرين. والفرح المطغي الملهي عن الشكر، فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام، والسرور بنعمة الله، والاعتداد بها مع الشكر؛ فلا بأس بهما، والله أعلم.

وقال جعفر الصادق بن محمد الباقر ـ رضي الله عنهما ـ: يا بن آدم! ما لك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت؟! وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت؟! هذا؛ وأصل «تأسوا»: تَأْسَيُونَ، تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصارت: تَأْسَاوْن، فالتقى ساكنان: الألف، والواو التي هي الفاعل، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار وزنه: (تَفْعُون)؛ لأن لامه التي هي الياء المنقلبة ألفاً قد حذفت، والمصدر: أسىً، فهو مقصور، فيقال: أَسِيَ أسىً، مثل: جَوِيَ جوىً.

هذا؛ والفرح لذة في القلب بإدراك المحبوب؛ ولذا أكثر ما يستعمل في اللذات البدنية الدنيوية، وقد ذم الله الفرح في مواضع من كتابه، كقوله تعالى في سورة (القصص) الآية رقم [٧٦]: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ رقم [١٠] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، ولكنه مطلق، فإذا قيد الفرح؛ لم يكن ذماً، لقوله تعالى في حق الشهداء: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ رقم [١٧٠] من سورة (آل عمران)، وقال جل ذكره: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ رقم [٥٨] من سورة (يونس)، وقال عز وجل في سورة (الروم): ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ رقم [٣] من سورة (الروم).

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ أي: متكبر. ﴿فَخُورٍ﴾: يفخر على الناس، ويعدد عليهم مناقبه تطاولاً، وتكبراً، ومعنى عدم محبة الله للمتكبر: سخطه، وغضبه عليه، وإبعاده من رحمته، وعفوه، ورضوانه. وهذا يشمل الذكر، والأنثى؛ وإن كان المخاطب به الذكر وحده.

تنبيه: في الآية الكريمة مسألة بيانية لم يتعرض لها المفسرون ألبتة، وهي ما إذا وقعت «كل» في حيز النفي؛ كان النفي موجهاً إلى الشمول خاصة، وأفاد بمفهومه ثبوت الفعل لبعض الأفراد، كقولك: ما جَاءَ كُلُّ القومِ، ولَمْ آخُذْ كلَّ الدراهِم، وكُلَّ الدراهِم لَمْ آخُذْ. وإن وقع

النفي في حيزها، اقتضى السلب عن كل فرد، كقول النبي ﷺ لما قالَ له ذو اليدين: أنسيتَ أم قصُرتِ الصلاةُ يا رسولَ الله؟!: «**كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ**». وقد يشكل على قولهم في القسم الأول قوله تعالى في سورة (القلم): ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾

وقوله تعالى في سورة (البقرة)، الآية [٢٧٦]: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾. والآية التي نحن بصدد شرحها، ومثلها في سورة (لقمان) رقم [١٨] حيث وقعت (كلّ) في حيز النفي، فتفيد أن المنفي الشمول، وأن البعض ثابت له المحبة من الله.

والجواب عن الآيات: أن دلالة المفهوم إنما يعول عليها عند عدم المعارض، وهو هنا موجود؛ إذ دل الدليل، وهو الإجماع على تحريم الاختيال، والفخر، والحلف، والكفر مطلقاً، ومستند هذا الإجماع الأحاديث الشريفة الكثيرة. هذا؛ ويعبر عما تقدم بسلب العموم، وعموم السلب.

هذا؛ وفي الآية الكريمة نهي عن الكبر، والتكبر، والفخر، والتفاخر، والخيلاء. وقد نهى الله عنه في كثير من الآيات القرآنية، وبين أنه يكون سبباً في صرف العبد المتكبر عن قبول الحق، واتباع الهوى. وقد ذكرت في سورة (لقمان) وغيرها كثيراً من الأحاديث الشريفة التي تشدد النكير على المتكبرين، وتتوعدهم بالعذاب الشديد والعقاب الأليم، وخذ هنا ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجلٌ يَمْشِي في حُلَّةٍ، تعجِبُهُ نَفْسُهُ، مرَجِّلٌ رأسَهُ، يختالُ في مِشْيَتِهِ؛ إذْ خَسَفَ الله بهِ، فَهُوَ يَتَجلْجَلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامةِ**». رواه البخاري، ومسلم. وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ تَعَظَّمَ في نفسِهِ، أوِ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ؛ لَقِيَ الله تَبَارَكَ وتعالى، وهُوَ عَلَيهِ غَضْبَانُ**». رواه الطبراني في الكبير، والحاكم بنحوه، وقال: صحيح على شرط مسلم. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله جل وعلا: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما؛ ألقيته في النار**». رواه ابن ماجه.

الإعراب: ﴿لِّكَيْلَا﴾: (اللام): حرف تعليل وجر. (كي): حرف مصدري، ونصب. (لا): نافية. ﴿تَأْسَوْا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (كي) وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و(كي) والفعل ﴿تَأْسَوْا۟﴾ في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: نكرة موصوفة، أو اسم موصول مبني على السكون في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَاتَكُمْ﴾: فعل ماض، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿مَا﴾، وهو الرابط، أو العائد، والجملة الفعلية صفة ﴿مَا﴾، أو صلتها. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَفْرَحُوا۟﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، والواو فاعله، والألف

للتفريق. ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به أول، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وهو المفعول الثاني؛ إذ التقدير: بالذي، أو بشيء آتاكموه الله.

﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿مُخْتَالٍ﴾: مضاف إليه، وهو صفة لموصوف محذوف. ﴿فَخُورٍ﴾: صفة ثانية، وجملة: ﴿لَا يُحِبُّ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية (الله...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾

الشرح: (البخل) هو منع المال، وإمساكه عن التصدق به في وجوه الخير، وشر البخلاء الذي يكون بخيلاً، وينهى الناس عن الإنفاق، ويحثهم على الإمساك. وفي القرطبي: قيل: أراد رؤساء اليهود الذين يبخلون ببيان صفة النبي ﷺ؛ التي في كتبهم، لئلا يؤمن به الناس، فتذهب مأكلتهم. قاله السدي، والكلبي. وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ يعني: بالعلم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ أي: بألا يعلِّموا الناس شيئاً. انتهى.

أقول: والتي نزلت في حق اليهود صراحة قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٣٧]: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: يعرض عن الإيمان، وعن أمر الله، وطاعته في إنفاق المال في وجوهه المشروعة، ولا سيما المفروض منه، كزكاة، وكفارة، ومن تعليم العلم، ومن نشره، وإذاعة أوصاف النبي ﷺ. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: عن عباده غير محتاج إليهم في شيء. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المحمود بكل لسان، الممجد في كل مكان على كل حال، وهو مستحق للحمد في ذاته، تحمده الملائكة، وتنطق بحمده ذرات المخلوقات.

هذا؛ والبخل على أنواع: البخل قد يكون من الإنسان على أولاده، وزوجه، فهو في سعة، ويقتر عليهم؛ بينما يبذر على نفسه وعلى أصحابه في المعاصي والمنكرات، وقد يبخل الإنسان على نفسه، ويسخو على أولاده، وزوجه، وهذا نوع آخر من البخل. والبخل قد يكون بما فرض الله على الإنسان من زكاة، وكفارة، ونذر، ونحو ذلك. وهذا مذموم، ولا سيما إذا كان ينفق المال في الشهوات الدنيئة. وخذ ما يلي:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ألا إن كلَّ جوادٍ في الجنة حَتْمٌ على الله، وأنا كفِيلٌ بِهِ. أَلَا وَإِنَّ كل بخيل في النارِ حَتْمٌ على الله، وأنا بِهِ كَفِيلٌ**». قالوا: يا رسول الله! مَنِ الجوادُ، ومنِ البخيلُ؟ قال: «**الجوادُ مَنْ جادَ بحقوقِ الله عز وجل في مَالِهِ، والبخيلُ مَنْ منعَ حُقُوقَ الله، وبَخِلَ على رَبِّهِ، ولَيْسَ الجَوادُ مَنْ أخَذَ حَراماً، وأنْفَقَ إسْرَافاً**». رواه الأصبهاني.

هذا؛ وقال الشاعر الحكيم يذم البخل بجميع أنواعه: [البسيط]

البخلُ شيْنٌ ولا يَرْضَى بِهِ أَحَدٌ إلَّا الأَسَافِلُ أَهْلُ الذمِّ والْعَارِ

المنفقونَ لَهم إخلافُ مَا بَذَلُوا والممسكونَ لَهم إتلافُ مَعْ نَارِ

هذا؛ ومن أنواع البخل البخل بإلقاء السلام على من عرفت من المسلمين، ومن لم تعرف، وقد حث النبي ﷺ فقال: «**أَفْشُوا السلامَ بَيْنَكُمْ**». ما لم يكن مانع من إفشائه كفسق، وفجور وإهمال واجب لله تعالى، فيكون عدم السلام زجراً، وردعاً للفاسق عن فسوقه، وللعاصي عن عصيانه. وأبخل الناس من يبخل بالصلاة والسلام على سيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ عند سماع ذكره، فعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجْتُ ذاتَ يوم، فأتيْتُ رسولَ الله ﷺ، فقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بأبخل الناس؟!**». قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «**مَن ذكرت عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عليَّ، فذَلِكَ أبخلُ الناسِ**». رواه ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة من طريق علي بن يزيد عن القاسم.

هذا؛ وأشنع أنواع البخل من يكون بخيلاً بنوع من الأنواع المذكورة، ثم يأمر غيره، ويحثه على البخل. قال أبو تمام الشاعر المعروف: [الطويل]

وَإِنَّ امْرأً ضَنَّتْ يَداهُ علَى امْرِئٍ بنيلِ يدٍ مِنْ غَيْرِهِ لَبَخِيلُ

والآية هنا وآية (النساء) تنعيان هذا النوع من البخل على صاحبه، وفي أمثال العرب: أبخل من الضنين بنائل غيره. وقيل: أبخل الناس من بخل بما في يد غيره. قال الزمخشري: ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من إذا طرق سمعه أن أحداً جاد على أحد شخَصَ به وعلا صوته، واضطرب، ودارت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله، وكسرت خزانته ضجراً من ذلك.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب بدلاً من ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، بدل كل من كل. وأجيز اعتباره صفة لـ: ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، كذا في المغني؛ لكنه ضعفه. أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف. تقديره: أعني الذين. أو هي في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف؛ التقدير: هم الذين، أو في محل مبتدأ خبره محذوف، التقدير: لهم وعيد شديد وعذاب أليم. ﴿يَبْخَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والتي بعدها معطوفة عليها. ﴿بِٱلْبُخْلِ﴾: متعلقان بما قبلهما.

﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف، (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَتَوَلَّ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو»، والمتعلق محذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿فَإِنَّ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم (إنَّ). ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: خبران لـ: (إنَّ). هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، و﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ خبرين له؛ فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر (إنَّ)، ورجح الأول؛ لأنه قرئ بإسقاط الضمير، والجملة الاسمية (إن الله...) إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت جواب الشرط محذوفاً، التقدير: ومن يتول عن الإيمان؛ فلا يضر إلا نفسه فلا بأس به، بل هو أجود؛ لأن الجملة الاسمية (إن الله...) إلخ خالية من رابط يربطها باسم الشرط كما هو واضح، وعليه تكون الجملة الاسمية تعليلاً لجواب الشرط المقدر، وهذه الجملة مذكورة في سورة (الممتحنة) برقم [٦]. والجملة الاسمية: (مَنْ يتولَّ...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات الباهرة، والحجج الدامغة، والبراهين الساطعة. وقيل: المراد بالرسل: الملائكة، وقيل المراد: جبريل، وجمع للتشريف، والتعظيم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الكتب، وجمهور المفسرين على حمل الرسل على البشر، وأولت (مع) بمعنى: إلى.

﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ أي: العدل؛ أي: وأمرنا بالعدل. قال القشيري: وإذا حملناه على الميزان المعروف، فالمعنى: أنزلنا الكتاب، ووضعنا الميزان، فهو من باب قول الشاعر: [الرجز]

عَلَفْتُهَا تِبْناً ومَاءً بَارِداً حَتَّى غَدَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا

انظر ما أذكره في الآية رقم [٩] من سورة (الحشر). قال القرطبي: ويدل على هذا التأويل قوله تعالى في سورة (الرحمن): ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾. ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل. قال تعالى في سورة (الرحمن) الآية رقم [٩]: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾. انظر شرح هاتين الآيتين في محلهما.

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾: قيل: إن الله تعالى أنزل مع آدم - عليه الصلاة والسلام - لما أهبط إلى الأرض السندان، والمطرقة، والكلبتين. روى عمر - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد، والنار، والماء، والملح**». وروى عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام: الحجر الأسود؛ وكان أشد بياضاً من الثلج، وعصا موسى؛ وكانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع مع طول موسى، والحديد، أنزل معه ثلاثة أشياء: السندان، والكلبتان، والميقعة، وهي المطرقة. هذا؛ وقيل: (أنزلنا) هنا بمعنى: أنشأنا، وأحدثنا الحديد، وذلك: أن الله أخرج لهم الحديد من المعادن، وعلمهم صنعته بوحيه وإلهامه، فيكون كقوله في سورة (الزمر): ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ رقم [٦].

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي: لإهراق الدماء. والمعنى فيه قوة شديدة، فمنه: جُنة، وهي آلة الوقع والدفع، والدفاع عن النفس، ومنه: السيف ونحوه، وهي آلة الهجوم والضرب. ﴿وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ أي: ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم، كالسكين، والفأس، والإبرة، ونحو ذلك؛ إذ الحديد آلة لكل صنعة، فلا غنى لأحد عنه.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ أي: وأرسلنا رسلنا، وأنزلنا معهم هذه الأشياء، أو أنشأناها ليتعامل الناس بالحق، والعدل، وليعلم الله، علم ظهور؛ لأن الله قد علم كل شيء قبل وجوده. ومثله كثير. قال تعالى في سورة (آل عمران): ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٦٦ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾. ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾: من ينصر دينه. ﴿وَرُسُلَهُۥ﴾ أي: وينصر رسله. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ينصرون دين الله وينصرون رسله، وهم لم يروا الله، ولم يروا رسله، ولم يروا الآخرة؛ التي يعملون لها، وإنما يحمد، ويثاب من أطاع، وامتثل بالغيب. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ينصرونه، ولا يبصرونه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾: يدفع بقوته بأس من يعرض عن ملته. ﴿عَزِيزٌ﴾: غالب لا يغالب، يربط بعزته جأش من يتعرض لنصرته.

والمناسبة بين هذه الأشياء الثلاثة: أن الكتاب قانون الشريعة، ودستور الأحكام الدينية، يبين سبل المراشد، والعهود، ويتضمن جوامع الأحكام، والحدود، ويأمر بالعدل، والإحسان، وينهى عن البغي، والطغيان، واستعمال العدل، والاجتناب عن الظلم، إنما يقع بآلة يقع بها التعامل، ويحصل بها التساوي، والتعادل، وهي الميزان، ومن المعلوم: أن الكتاب الجامع للأوامر الإلهية، والآلة الموضوعة للتعامل بالسَّوِيَّة، إنما تحض العامة على اتباعهما بالسيف، الذي هو حجة الله على من جحد، وعَنَد، ونزع عن صفقة الجماعة اليد، وهو الحديد، الذي يوصف بالبأس الشديد. انتهى. نسفي.

هذا؛ و(الناس) اسم جمع لا واحد له من لفظه: مثل: معشر، ونفر... إلخ، واحده: إنسان من غير لفظه، وهو يطلق على الإنس، والجن، لكن غلب استعماله في الإنس. قال تعالى

في سورة (الناس): ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ وأصله: الأناس، حذفت منه الهمزة تخفيفاً على غير قياس، وحذفها مع لام التعريف كاللازم، لا يكاد يقال: الأناس، وقد نطق القرآن الكريم بهذا الأصل، لكن بدون لام التعريف. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ رقم [٧١] من سورة (الإسراء). وقيل: إن أصله: النَّوس، ولم يحذف منه شيء، وإنما قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. وانظر (الإنس) في الآية رقم [٥٦] من سورة (الرحمن)، وشرح ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ في الآية رقم [١٩] من سورة (المعارج)، ولا تنس قوله تعالى في سورة (الفرقان) رقم [٤٩]: ﴿وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾.

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: (اللام): واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. وبعضهم يعتبرها لام الابتداء. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿رُسُلَنَا﴾: مفعول به، و(نا) في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية جواب القسم المقدر لا محل لها. ﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿رُسُلَنَا﴾ أي: مؤيدين بالبينات، ﴿وَأَنزَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (أنزلنا): فعل، وفاعل، والجملة معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿مَعَهُمُ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله. وأجيز تعليقه بمحذوف حال من ﴿ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ والأول أقوى، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لِيَقُومَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد اللام. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: فاعل. ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: متعلقان بالفعل (يقوم)، و«أن» المضمرة والفعل (يقوم) في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (أنزلنا). ﴿وَأَنزَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (أنزلنا): فعل، وفاعل. ﴿ٱلْحَدِيدَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿بَأْسٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿شَدِيدٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿ٱلْحَدِيدَ﴾، والرابط: الضمير فقط. ﴿وَمَنَـٰفِعُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ: (منافع).

﴿وَلِيَعْلَمَ﴾: (الواو): حرف عطف. (ليعلم): هو مثل ﴿لِيَقُومَ﴾ في الإعراب، والتأويل، والجار، والمجرور الناتجان معطوفان على ﴿لِيَقُومَ﴾ وهو قول الجلال، لكن المعطوف عليه إرسال الرسل، وإنزال الكتاب والميزان، والمعطوف علة لإنزال الحديد. وفي أبي السعود: أنه معطوف على محذوف دلت عليه الجملة الحالية، وهي قوله: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وعبارته: عطف على محذوف، يدل عليه ما قبله، فإنه حال متضمنة للتعليل، كأنه قيل: ليستعملوه، وليعلم الله. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل ليعلم. ﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يَنصُرُهُۥ﴾: مضارع، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَرُسُلَهُۥ﴾: معطوف على الضمير المنصوب، والهاء في محل جر

بالإضافة. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب العائد على ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾: خبران لـ: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾: لما ذكر الله بعثه الرسل؛ ذكر هنا شيخ الأنبياء نوحاً، وأبا الأنبياء إبراهيم، على حبيبنا، وشفيعنا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام. وبين أنه جعل في نسلهما النبوة، والكتب السماوية؛ أي: وبالله لقد أرسلنا نوحاً، وإبراهيم، وجعلنا النبوة في نسلهما، كما أنزلنا الكتب الأربعة، وهي: التوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن على ذريتهما، وإنما خص نوحاً وإبراهيم بالذكر تشريفاً لهما، وتخليداً لمآثرهما الحميدة. هذا؛ وقال تعالى في حق نوح عليه الصلاة والسلام سورة (الصافات) رقم [٧٧]: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ وقال تعالى في حق إبراهيم على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ سورة (العنكبوت) رقم [٢٧]، وانظر شرح ذرية في الآية رقم [٢١] من سورة (الطور). ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾ أي: فمن ذرية نوح وإبراهيم أناس مهتدون ممتثلون أوامر الله تعالى. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ أي: خارجون عن طاعة الله، مخالفون لأوامره، ومثله قوله تعالى في سورة (الصافات) رقم [١١٣]: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾ انظر إعراب هذا اللفظ في الآية رقم[١٣] من سورة (النجم). ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿نُوحًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها. (إبراهيم): معطوف على ﴿نُوحًا﴾. (جعلنا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والقسم وجوابه كلام مستأنف، لا محل له. ﴿فِى ذُرِّيَّتِهِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، ويقال: هما في محل المفعول الثاني تقدم على الأول، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿ٱلنُّبُوَّةَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾: معطوف على ما قبله.

﴿فَمِنْهُم﴾: (الفاء): حرف تفريع، واستئناف. (منهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُّهْتَدٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. هذا الإعراب هو الظاهر والمتعارف عليه في مثل هذه الجملة، والأصح: أن مضمون الجار والمجرور (منهم) مبتدأ، و﴿مُّهْتَدٍ﴾ هو الخبر؛ لأن (من) الجارة دالة على التبعيض، التقدير: وبعضهم مهتد. وجمع الضمير يؤيد ذلك، ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه

مبتدأ، يرشدك إلى ذلك الجملة التالية، وأيضاً قوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١١٠]: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ فعطف (كثير) و(أكثرهم) على (منهم) يؤيد أن معناه: بعضهم، وخذ قول الحماسي: [الكامل]

مِنْهُمْ لُيُوثٌ لا تُرَامُ وَبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمِشْتَ وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ

حيث قابل لفظ: «منهم» بما هو مبتدأ، أعني لفظة: «بعضهم» وهذا مما يدل على أن مضمون «منهم» مبتدأ. هذا؛ وليوث جمع: ليث، وهو الأسد. «لا ترام»: لا تقصد. «قمشت»: جمعت من هنا وهناك، والمراد: رذالة الناس، والقمش: الرديء من كل شيء. (كثير): مبتدأ. ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بكثير، ﴿فَٰسِقُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ أي: أتبعناهم رسولاً في إثر رسول: موسى وهارون، وإلياس، وداود، وسليمان، وغيرهم على نبينا، وحبيبنا، وعليهم ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ وأصل ﴿قَفَّيْنَا﴾ قفونا، قلبت الواو ياء لوقوعها رابعة. واشتقاقه من: قفوته: إذا اتبعت قفاه، ثم اتسع فيه، فأطلق على كل تابع، وإن بَعُد زمان التابع من زمان المتبوع. والقفا: مؤخر العنق، ويقال له: القافية أيضاً، ومنه قافية الشعر، وهي آخر حرف من البيت. هذا؛ وقال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٨٧]: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾. وقال في سورة (المائدة) رقم [٤٦]: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: قال القرطبي: على آثار الذرية. وقال البيضاوي: الضمير إلى نوح، وإبراهيم، ومَنْ أرسلا إليهم، أو مَنْ عاصرهما من الرسل، لا للذرية، فإن الرسل المقفَّى بهم من الذرية. هذا؛ و(الرسل) جمع: رسول، وهو بضم الراء، والسين، ويجوز تسكين السين. قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف، أوله مضموم، وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم من يثقله، وذلك مثل: عسر، ويسر، ورحم... إلخ.

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾: فهو من ذرية إبراهيم، وهو آخر الأنبياء من بني إسرائيل. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ أي: وأنزلنا عليه الإنجيل، الذي فيه البشارة بمحمد ﷺ. ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ

رَأْفَةً﴾: عطفاً، وليناً، وشفقة، والمراد بهم: الحواريون. قال في التسهيل: هذا ثناء من الله عليهم بمحبة بعضهم لبعض، كما وصف الله تعالى أصحاب سيدنا محمد ﷺ بأنهم: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ سورة (الفتح) [٢٩] وهؤلاء بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم، وحرفوا الكلم عن مواضعه.

هذا؛ و﴿الْإِنْجِيلَ﴾ هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، يذكر، ويؤنث، فمن أنث أراد الصحيفة، ومن ذكر أراد الكتاب، وهو الأكثر، وهو مشتق من النجل، وهو الأصل، كأنه أصل الدين، يرجع إليه، ويؤتم به، والإنجيل خال من الأحكام، وكل ما فيه حكم، ومواعظ، لذا فالنصارى عيال علينا في كثير من الأحكام، وخاصة المواريث، وقد دخل الإنجيل التحريف، والتزييف، كما دخلا التوراة، وما إنجيل متى، ومرقس... إلخ إلا من اختراعهم، وابتداعهم.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: اختلقوها واصطنعوها من قِبَل أنفسهم؛ أي: أحدثها القسس والرهبان من تلقاء أنفسهم لم يفرضها الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ولا أمرناهم بها. وقيل: إنه معطوف على (الرأفة، والرحمة) والمعنى على هذا: أن الله تعالى أعطاهم إياها، فغيروا، وبدلوا، وابتدعوا فيها. والأول أقوى، وهو المشهور. والرهبانية: رفض النساء، وشهوات الدنيا، واتخاذ الصوامع.

وسببها: أن ملوكهم غيروا، وبدلوا، وبقي نفر قليل، فترهبوا، وتبتلوا. قال الضحاك ـ رحمه الله ـ: إن ملوكاً بعد عيسى ـ عليه السلام ـ ارتكبوا المحارم ثلاثمئة سنة، فأنكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى، فقتلوهم، فقال قوم بقوا بعدهم: نحن إذا نهيناهم؛ قتلونا، فليس يسعنا المقام بينهم، فاعتزلوا الناس، واتخذوا الصوامع.

﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما فرضناها عليهم، ولا أمرناهم بها ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾: استثناء منقطع؛ أي: ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله. وقيل: متصل، فإن معنى ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾: ما تعبدناهم بها. وهو كما ينفي الإيجاب المقصود منه دفع العقاب؛ ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله، وهو يخالف قوله: ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ إلا أن يقال: ابتدعوها، ثم ندبوا إليها، أو ابتدعوها بمعنى: استحدثوها، وأتوْا بها أولاً، لا أنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم. انتهى. بيضاوي.

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: فما حفظوها حق حفظها؛ أي: كما ينبغي بل ضيعوها، وضموا إليها التثليث، والاتحاد. يقولون: اتحد اللاهوت بالناسوت. وكفروا بدين عيسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، ودخلوا في دين ملوكهم، وأقام أناس منهم على دين عيسى عليه السلام حتى أدركوا محمداً ﷺ، فآمنوا به. ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ أي: أعطينا الذين ثبتوا على الإيمان الصحيح في شريعة عيسى، وعملوا الصالحات، وآمنوا بمحمد ﷺ ثواباً

عظيماً، وأجراً جزيلاً. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ أي: وكثير من النصارى خارجون عن حدود الطاعة منتهكون لمحارم الله تعالى، كقوله عز وجل في سورة (التوبة) رقم [٣٤]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ فلما بعث الله محمداً ﷺ، ولم يبق منهم إلا قليل؛ جاؤوا من الكهوف، والصوامع، والغيران فآمنوا به، وهم الذين قال تعالى في حقهم في سورة (المائدة): ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذه الآية دالة على أن كل محدثة بدعة، فينبغي لمن ابتدع خيراً أن يدوم عليه، ولا يعدل عنه إلى ضده، فيدخل في الآية. وعن أبي أمامة الباهلي، ـ واسمه: صُدَي بن عجلان ـ. قال: أحدثتم قيام رمضان (التراويح) ولم يكتب عليكم، إنما كتب عليكم الصيام، فدوموا على القيام؛ إذ فعلتموه، ولا تتركوه، فإن ناساً من بني إسرائيل ابتدعوا بدعاً، لم يكتبها الله عليهم، ابتغوا بها رضوان الله، فما رعوها حقَّ رعايتها، فعابهم الله بتركها فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا...﴾ إلخ.

ثم قال: وفي الآية دليل على العزلة عن الناس في الصوامع، والبيوت، وذلك مندوب إليه عند فساد أهل الزمان، وتغير الأصدقاء، والإخوان. انتهى. أقول: وقد جاء الحث، والترغيب في العزلة في الأحاديث الشريفة مثل قول النبي ﷺ لحذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ من الحديث الطويل: «**اعْتَزِلْ تلكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تعضَّ بأصلِ شَجَرَةٍ**». وهو في البخاري: «**يوشكُ أن يكونَ خيرُ مالِ المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال يفرُّ بدينه مِنَ الفتن**». وحديث عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ مشهور لما سأله عن النجاة، فقال له النبي ﷺ: «**أَمْسِكْ عليْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**». رواه الترمذي.

هذا؛ وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. قال: دخلت على رسول الله ﷺ، فقال: «**يا بن مسعود! اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة، نجا منها ثلاث، وهلك سائرهن: فرقة وازرت الملوك، وقاتلوهم على دين عيسى، فأخذوهم، وقتلوهم، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازرة الملوك، ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى، فساحوا في البلاد، وترهبوا، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾**». قال ﷺ: «**من آمن بي، وصدَّقني، واتبعني؛ فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يؤمن بي؛ فأولئك هم الهالكون**». وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «**يا بن أم عبد، هل تدري من أين أخذت بنو إسرائيل الرهبانية؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بالمعاصي، فغضب أهل**

الإيمان، فقاتلوهم، فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء؛ فتنونا، ولم يبق أحد يدعو إليه تعالى، فتعالوْا: لنتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى ـ يعنون محمداً ﷺ ـ فتفرقوا في غيران الجبال، وأحدثوا الرهبانية، فمنهم من تمسك بدينه، ومنهم من كفر». ثم تلا هذه الآية: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾ أي: من الذين ثبتوا عليها ﴿أَجْرَهُمْ﴾.

ثم قال النبي ﷺ: «**يا بنَ أمِّ عبْدٍ! أتدري ما رَهْبانِيَّةُ أمَّتي؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**الهجرةُ، والصلاةُ، والجهادُ، والصومُ، والحجُّ، والعمرةُ، والتكبيرُ على التلاع**». وروي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ لِكُلِّ أمةٍ رَهبانيةً، ورَهْبانيةُ هذِهِ الأمَّة الجهادُ في سبيلِ الله**».

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿قَفَّيْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جواب القسم، لا محل لها مثلها. ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِرُسُلِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، وصنيع أبي السعود يقتضي: أن الباء زائدة في المفعول، ونصه: أي: ثم أرسلنا بعدهم رسلنا. انتهى. جمل. و(نا) في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى﴾ معطوفة على ما قبلها، والإعراب مثلها. ﴿ٱبْنِ﴾: صفة عيسى، أو هو بدل منه، وهو مضاف، و﴿مَرْيَمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي. وجملة: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾: معطوفة على ما قبلها. (جعلنا): فعل، وفاعل. ﴿فِى قُلُوبِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿قُلُوبِ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، ﴿ٱتَّبَعُوهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿رَأْفَةً﴾: مفعول به لجعلنا. (رحمة): معطوف على ما قبله، وهو مرادف له.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾: فيه وجهان: أحدهما: أنه معطوف على ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾، وجعل إما بمعنى: خلق، أو بمعنى صير، و﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ في هذا صفة لـ: (رهبانية) وإنما خصت بذكر الابتداع؛ لأن الرأفة، والرحمة في القلب أمر غريزي، لا تكسُّب للإنسان فيه، بخلاف الرهبانية فإنها من أفعال البدن، وللإنسان فيها تكسُّب، إلا أبا البقاء منع هذا الوجه بأن ما جعله الله لا يبتدعونه. وجوابه ما تقدم من أنها لما كانت مكتسبة صح ذلك فيها. والوجه الثاني: أنها منصوبة بفعل مقدر، يفسره الظاهر، فتكون المسألة من باب الاشتغال، وإليه نحا الفارسي، والزمخشري، وأبو البقاء، وجماعة؛ إلا أن هؤلاء يقولون: إنه إعراب المعتزلة، وذلك: أنهم يقولون: ما كان من فعل الإنسان؛ فهو مخلوق له، فالرأفة، والرحمة لمَّا كانتا من فعل الله؛ نسب خلقهما إليه، والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى، بل من فعل العبد يستقل بفعلها؛ نسب ابتداعها إليه. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة (رهبانية) على اعتبارها معطوفة على ما قبلها، ولا محل لها على اعتبارها مفسرة لجملة محذوفة مستأنفة. قال ابن هشام في مغنيه: والمشهور: أنه عطف على ما قبله، و﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ صفة. ولا بد من تقدير مضاف؛ أي: وحب رهبانية. انتهى.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَتَبۡنَٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب صفة (رهبانية) أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾: استثناء منقطع. وقيل: هو متصل مما هو مفعول من أجله، والمعنى: ما كتبناها عليهم لشيء من الأشياء إلا لابتغاء مرضاة الله، ويكون (كتب) بمعنى: قضى، وهذا قول مجاهد، وإلى الأول ذهب قتادة، وجماعة. قالوا: معناه: لم نفرضها عليهم، ولكنهم ابتدعوها. انتهى. نقلاً عن السمين. هذا؛ وأجيز اعتباره بدلاً من (ها) والمعنى: ما كتبنا عليهم إلا ابتغاء، وهو ضعيف معنىً كما ترى، و﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ مضاف، و﴿رِضۡوَٰنِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، و﴿رِضۡوَٰنِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿فَمَا﴾: (الفاء): حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿رَعَوۡهَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، (وها): مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿حَقَّ﴾: مفعول مطلق، أو نائب مفعول مطلق، و﴿حَقَّ﴾ مضاف، و﴿رِعَايَتِهَاۖ﴾ مضاف إليه، (وها): في محل جر بالإضافة. ﴿فَـَٔاتَيۡنَا﴾: (الفاء): حرف استئناف. (آتينا): فعل، وفاعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنۡهُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. ﴿أَجۡرَهُمۡۖ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَكَثِيرٞ﴾: (الواو): حرف استئناف. (كثير): مبتدأ. ﴿مِّنۡهُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (كثير). ﴿فَٰسِقُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الضمير العائد على الموصول، أو من الموصول نفسه؛ فالرابط: الواو، والضمير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: الخطاب لأهل الكتابين من اليهود، والنصارى، المعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى، وعيسى. ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾: محمد ﷺ ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ﴾: نصيبين. ﴿مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾: يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى، والإنجيل، وبمحمد ﷺ والقرآن،

كما قال تعالى في سورة (القصص) رقم [٥٤]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾. فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يُؤْتَوْن أجْرَهُمْ مَرَّتين: رجلٌ مِنْ أهلِ الكتابِ آمَنَ بنبيه، وبمحمد ﷺ، فله أجران، وعبدٌ مملوكٌ أدّى حقَّ الله وحقَّ مواليه فلهُ أَجْرانِ ورجلٌ أَدَّبَ أمتَهُ، فأحسنَ تَأدِيبَهَا، ثُمَّ أعْتَقَهَا، وتزوَّجَهَا، فلهُ أجْرَانِ**». أخرجه البخاري ومسلم.

هذا؛ وقال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين (انظر القصص رقم [٥٤]) أنزل الله تعالى على محمد ﷺ هذه الآية في حق هذه الأمة. وفي أسباب النزول للسيوطي مثله، وقد أسنده إلى مقاتل، فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب، وزادهم بقوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يعني: هدى يتبصر به من العمى، والجهالة، وسبيلاً واضحاً في الدين تهتدون به في الدنيا، وأيضاً في الآخرة على الصراط كما رأيت في الآية رقم [١٢]. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: هذا زيادة من فضله تعالى. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٢٩]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾. ومما يؤيد هذا القول ما يلي:

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثلُكمْ، ومثلُ اليهودِ، والنصارى، كمثل رجل استعمل عمَّالاً، فقال: منْ يعملُ لي من صلاةِ الصبح إلى نصفِ النهارِ على قيراطٍ قيراطٍ؟ ألا فعملت اليهود. ثم قال: مَنْ يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ ألا فعملَتْ النصارى. ثم قال: مَنْ يعْملُ لي مِنْ صلاةِ العصْرِ إلى غروبِ الشَّمْسِ على قيراطيْن قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم، فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً! قالَ: هل ظلمْتُكُمْ مِنْ أجرِكُمْ شيئاً؟ قالُوا: لَا. قالَ: فإنَّمَا هُوَ فَضْلِي أُوتيهِ مَنْ أشَاءُ**». أخرجه الإمام أحمد.

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ المسلمينَ، واليهودِ، والنصارى كمثَلِ رجلٍ استعملَ قوماً يَعْمَلُونَ لهُ عَملاً، يوْماً إلى الليلِ على أجرٍ معلوم، فعملوا إلى نصفِ النهارِ، فقالوا: لا حاجةَ لنا في أجرِكَ الذي شرطْتَ لَنَا، وما عَمِلْنا باطلٌ، فَقَالَ لهم: لا تفعلوا، أكملوا بقيةَ عَمَلِكم، وخذوا أجركم كاملاً! فأبَوا، وتركوا. واستأجر آخرين بعدهم، فقال: أكملوا يومكم، ولكم الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلَّوا العصر؛ قالوا: ما عمِلْنا باطلٌ، ولكَ الأجرُ الذي جَعلْتَ لنا فيه، فقال: أكملوا بقيةَ عَملِكُمْ، فإنما بَقِيَ مِن النهارِ شيءٌ يسيرٌ، فأبَوا. فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومِهم حتَّى غابتِ الشمسُ، فاستكملوا أجرةَ الفريقين كليْهما، فذلك مثلهم، ومثل ما قَبِلُوا مِنَ هذا النور**». رواه البخاري. انتهى. مختصر ابن كثير للصابوني.

هذا؛ وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وفي البخاري: حدثنا الحكم بن نافع؛ قال: حدثنا شعيب عن الزهري؛ قال: أخبرني سالم بن عبد الله: أن عبد الله بن عمر ـ رضي الله

عنهما ـ. قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول وهو قائم على المنبر: «**إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أعطي أهل التوراةِ التوراةَ، فعمِلُوا بها؛ حتى انتصفَ النهارُ، ثم عجزوا، فأُعْطُوا قيراطاً قيراطاً، ثم أُعْطِيَ أهلُ الإنجيلِ الإنجيلَ، فعمِلُوا بِهِ حتى صلاةِ العصرِ، ثمَّ عجزُوا، فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أعطيتم القرآن، فعملتم به حتى غَرَبَتِ الشمسُ، فأعطيتم قيراطين قيراطين. قال أهل التوراة: ربَّنا هؤلاءِ أقَلُّ عَملاً، وأكثرُ أجْراً! قال: هل ظلمتكم مِنْ أجرِكمْ مِنْ شيءٍ؟ قالوا: لَا. فقالَ: فَذلِكَ فضلي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ**». وفي رواية: «**فغضبت اليهود، والنصارى، وقالوا: ربنا...**». الحديث. انتهى.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، (وها): حرف تنبيه لا محل لها، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدل من (أيها)، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱتَّقُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها، وجملة: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾: معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿يُؤْتِكُمْ﴾: فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى الله تقديره: «هو»، والكاف مفعول به أول. ﴿كِفْلَيْنِ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية لا محل لها. ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿كِفْلَيْنِ﴾. ﴿وَيَجْعَل﴾: الواو: حرف عطف. (يجعل): معطوف على ﴿يُؤْتِكُمْ﴾، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿لَّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿نُورًا﴾: مفعول به. ﴿تَمْشُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿نُورًا﴾. ﴿وَيَغْفِرْ﴾: الواو: حرف عطف. (يغفر): فعل مضارع معطوف على (يجعل). ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان به، والفاعل يعود إلى (الله) أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المعنى: ليعلم أهل الكتاب. قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: حسد أهل الكتاب المسلمين، فنزلت الآية الكريمة. وقال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ:

قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي، والأرجل، فلما خرج من العرب؛ كفروا، فنزلت الآية الكريمة، وهو فحوى قول المفسرين: إن أهل الكتاب كانوا يقولون: الوحي، والرسالة فينا، والكتاب، والشرع ليس إلا لنا، والله خصنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين. فرد الله عليهم بهذه الآية الكريمة، ورمى كيدهم في نحورهم، ثم بين جل جلاله، وتعالى شأنه بأنهم عاجزون، لا يستطيعون تحصيل شيء من فضل الله، وأن الفضل: النبوة، والنعمة، وخيرات الدنيا بيد الله، يختص بها من يشاء من عباده، والله هو صاحب الفضل العظيم، والخير العميم. قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٠٥] وسورة (آل عمران) رقم [٧٤]: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وقال عز وجل في سورة (البقرة) رقم [٢٦٩]: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ ومعنى ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾: في ملكه، وتصرفه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ الله؛ لأنه قادر مقتدر مختار، وانظر شرح (اليد) في الآية رقم [٤٧] من سورة (الذاريات).

الإعراب: ﴿لِّئَلَّا﴾: (اللام): حرف تعليل وجر. (أن): حرف مصدري، ونصب، واستقبال. (لا): صلة. ﴿يَعْلَمَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن». ﴿أَهْلُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ مضاف إليه، و(أنْ) والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: أعلمكم بذلك؛ ليعلم... إلخ. وقال أبو البقاء: وقيل: ليست زائدة، والمعنى: لئلا يعلم أهل الكتاب عجز المؤمنين. انتهى. (أنْ): مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنهم. (لا): نافية. ﴿يَقْدِرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنْ)، و(أن) المخففة، واسمها المحذوف وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (يعلم). ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن فَضْلِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿شَيْءٍ﴾، و﴿فَضْلِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْفَضْلَ﴾: اسمها. ﴿بِيَدِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (أن). و(يد) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، والمصدر المؤول من (أنَّ) واسمها، وخبرها معطوف على ما قبله.

﴿يُؤْتِيهِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، منع من ظهورها الثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، والهاء مفعوله الأول. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، لا محل لها. وقيل في محل رفع خبر ثان لـ: (أنَّ). وقيل: هي الخبر وحدها، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الفضل، وهي حال لازمة؛ لأن كونه بيد الله لا ينتقل ألبتة. انتهى. نقلاً عن السمين. هذا؛ وأقول: يجوز اعتبار الجار والمجرور متعلقين بـ: ﴿ٱلْفَضْلَ﴾؛ لأنه مصدر.

﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿ذُو﴾: خبره مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذُو﴾: مضاف، و﴿ٱلْفَضْلِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: صفة ﴿ٱلْفَضْلِ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلم.

انتهت سورة (الحديد) شرحاً وإعراباً بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.




سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (المجادلة) مدنية في قول الجميع، وهي اثنتان وعشرون آيةً، وأربعمئة وثلاث وسبعون كلمةً، وألف وسبعمئة، واثنان وتسعون حرفاً. انتهى. خازن.


الجزء ٢٨

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾

الشرح: نزلت الآية الكريمة في خولة بنت ثعلبة ـ رضي الله عنها ـ وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنهما ـ وهو رجل أدركه الكبر، وألحت عليه الشيخوخة حتى أفسدت بعض رأيه، وجعلته متبرماً بكل شيء، ضعيف الاحتمال لأي شيء، لا يطيق نقاشاً في رأي يرتئيه، ولا يحتمل معارضة في أمر يشير به، فدار بينه وبين زوجته حديث، فراجعته في بعض الكلام، فساءه ذلك، وأثار في نفسه، وأغضبه، فالتفت إليها، وألقى في وجهها بكلمة اعتاد كثير من الناس أن يلقوا بها وبأمثالها في وجوه نسائهم إذا غضبوا، فقال لها: أنت عليَّ كظهر أمي.

هذه عبارة كان العرب في جاهليتهم يحرمون بها نساءهم على أنفسهم، يشبه الرجل منهم زوجته بظهر أمه، وأمه عليه حرام، فتحرم عليه بهذا زوجته، قذف أوس في وجه زوجته، وربة بيته، وأم أبنائه، وبناته بهذه العبارة الموروثة، ولكن لم يلبث أن سكن غضبه، فأراد أن يعاود زوجته، ولكنها أبت حتى تستفتي في أمرها رسول الله ﷺ، فانطلقت إليه تسعى، وقصت عليه قصتها، وانتظرت أن تنفرج شفتاه عن حكم تعود به إلى بيتها، وزوجها، وأولادها، ولكن رسول الله ﷺ لم يكن قد نزل عليه في مثل ذلك وحي من ربه، فقال لها: «**ما أراك إلا قد حرمت عليه، ولم ينزل عليّ في أمرك شيء**». فراجعته، وقالت: يا رسول الله! إنه ما ذكر لفظ الطلاق، فأعاد عليها حكمه: «**ما أراك إلا قد حرمت عليه**».

وقفت المرأة بهذا وجهاً لوجه أمام معضلة عسيرة، وتمثل لها بؤس ما هي قادمة عليه من فرقة، وشتات بعدما نعمت به من ألفة، واجتماع، فأبت بغريزتها أن يكون ذلك مصيرها، وغاية أمرها، فظلت تراجع رسول الله ﷺ، وتجادله، وتناشده أن يجد لمعضلتها حلاً غير هذا الحل،

وتناديه بصوت يخنقه الحزن، ونبرات تخالطها العبرات: يا رسول الله! تزوجني أوس وأنا شابة مرغوب فيَّ، فلما خلا سني، ونثرت له بطني؛ جعلني عليه كأمه، وتركني إلى غير أحد، فإن كنت تجد لي رخصة يا رسول الله؛ فحدثني بها، ولكن رسول الله ﷺ يعيد عليها ما قال من قبل: «**لم ينزل عليَّ في أمرك شيء، وما أراك إلا قد حرمت عليه**».

وكأن إحساساً خفياً بالفرج يساور المرأة؛ لأن رحمة الله تأبى أن تصيرها إلى هذا الشتات، وأن ترمي بها في ظلام هذا المستقبل الكريه، فتتوجه إلى الله شاكيةً ضارعةً: رب أشكو إليك وحدتي، وشدة فاقتي، وما يشق علي من فراق زوجي، وأولادي؛ رب إنك تعلم أن لي منه صبية صغاراً، إن تركتهم إليه؛ ضاعوا؛ وإن ضممتهم إليَّ؛ جاعوا.

بهذه الشكوى الضارعة توجهت المرأة إلى ربها، وحينئذ أذن الله لشكواها، وتقبل ضراعتها، ورحم ضعفها، وحل معضلتها، وأنزل على نبيه ﷺ قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى...﴾ إلخ. وحينئذ طلب الرسول ﷺ زوجها، وسأله: «**هل تستطيع العتق؟**». فقال: لا والذي بعثك بالحق، فقال: «**هل تستطيع الصوم؟**». فقال: لا والله! إن أخطأني الأكل في اليوم مرة، أو مرتين كلَّ بصري، وظننت أني أموت، فقال: «**فأطعم ستين مسكيناً**». قال: ما أجد إلا أن تعينني منك يا رسول الله بمعونة وصلة، فأعانه رسول الله ﷺ بمعونة تصدق بها على ستين مسكيناً. وخذ ما يلي:

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة خولة إلى النبي ﷺ تكلمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى﴾. أخرجه البخاري تعليقاً، ورواه النسائي، وابن ماجه. وروى ابن أبي حاتم عن أبي يزيد ـ رضي الله عنه ـ قال: لقِيت امرأةٌ عمر ـ رضي الله عنه ـ، يقال لها: خولة بنت ثعلبة، وهو يسير مع الناس، فاستوقفته، فوقف لها، ودنا منها، وأصغى إليها رأسه، ووضع يديه على منكبيها، حتى قضت حاجتها، وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! حبست رجالات قريش على هذه العجوز. قال: ويحك! تدري من هذه؟ قال: لا! قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل، ما انصرفت عنها؛ حتى تقضي حاجتها؛ إلا أن تحضر صلاة فأصليها، ثم أرجع إليها؛ حتى تقضي حاجتها!

هذا؛ وروي: أنها قالت لعمر ـ رضي الله عنه ـ في موقفها ذلك: يا عمر! قد كنت تدعى عُمَيراً، ثم قيل لك: يا عمر، ثم قيل لك: يا أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر! فإنه من أيقن بالموت؛ خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب؛ خاف العذاب.

هذا؛ والمحاورة: المراجعة في الكلام من: حار الشيء، يحور: إذا رجع، يرجع، ومنه الدعاء المأثور: «**نعوذُ باللهِ من الحَوْر بعد الكَوْر**». قال عنترة في معلقته رقم [٩٥]: [الكامل]

لو كانَ يدْرِي ما المحاورةُ اشتكى؟ ولكانَ لو عَلِمَ الكلامَ مُكَلِّمي

﴿وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: تتضرع إلى الله في تفريج كربتها. انظر ما تقدم. ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ أي: والله - جل وعلا - يسمع حديثكما، ومراجعتكما الكلام. قال الزمخشري - رحمه الله تعالى -: ومعنى سماعه تعالى لقولها: إجابة دعائها، لا مجرد علمه تعالى بذلك، وهو كقول المصلي: سمع الله لمن حمده. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أي: لمن يناجيه، ويتضرع إليه. ﴿بَصِيرٌ﴾ أي: بأعمال العباد، لا تخفى عليه خافية من أمرهم. وهما من صيغ المبالغة، وهما من صفات الذات، كالعلم، والقدرة، والحياة، والإرادة؛ أي: لم يزل الخالق - جل وعلا - متصفاً بذلك. وفي الوقت نفسه يعدان من الأسماء الحسنى. تأمل، وتدبر.

فائدة: هذه السورة أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد السور، فهي الثامنة والخمسون منها، وليس فيها آية إلا وفيها ذكر الجلالة مرة، أو مرتين، أو ثلاثاً، وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون. انتهى. جمل.

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿سَمِعَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها من الإعراب. ﴿قَوْلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلَّتِي﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿تُجَٰدِلُكَ﴾: فعل مضارع، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّتِي﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِي زَوْجِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، (وها): في محل جر بالإضافة. ﴿وَتَشْتَكِيٓ﴾: الواو: حرف عطف. (تشتكي): فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّتِي﴾ أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): واو الحال. (الله): مبتدأ. ﴿يَسْمَعُ﴾: فعل مضارع. والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو وإعادة الاسم الكريم بلفظه للتفخيم والتعظيم. وقيل: الجملة مستأنفة. ﴿تَحَاوُرَكُمَآ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: خبران لـ: ﴿إِنَّ﴾. والجملة الاسمية تعليلية، أو مستأنفة لا محلَّ لها على الاعتبارين.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ أي: الذين يقولون لنسائهم: أنتن كظهور أمهاتنا، يقصدون بذلك تحريمهن عليهم، كتحريم أمهاتهم؛ لسن في الحقيقة أمهاتهم، وإنما هن

زوجاتهم. قال الإمام الفخر الرازي: الظهار: هو عبارة عن قول الرجل لامرأته: أنتِ عليَّ كظهر أمي، يقصد: عُلُوِّي عليكِ حرامٌ كعلوِّي على أمي. والعرب تقول في الطلاق: نزلت عن امرأتي؛ أي: طلقتها، فغرضهم من هذه اللفظة تحريم معاشرتهم تشبيهاً بالأم. ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ﴾: المعنى: لا تصير الزوجة بقول زوجها لها: أنتِ عليَّ كأمي، أو مثل أمي، أو كظهر أمي، وما أشبه ذلك لا تصير أمه بذلك، إنما أمه الحقيقية هي التي ولدته. ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ﴾ أي: كلاماً فاحشاً، وباطلاً، ينكره الواقع، والحقيقة، وينكره الشرع الشريف، والدين الحنيف، وهو كذب، وزور، وبهتان؛ لأن الأم محرمة تحريماً مؤبداً، والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريماً مؤبداً، فلا جرم صار ذلك منكراً من القول وزوراً. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أي: كثير العفو وكثير المغفرة، فهما صيغتا مبالغة، وهما من أسماء الله الحسنى. وانظر ما قبلهما في الآية السابقة.

هذا؛ و﴿أُمَّهَٰتِهِمْۖ﴾ جمع: أم، والقياس أن يكون جمعها (أمَّات) قال الزمخشري: والهاء مزيدة في أُمَّات، كما زيدت في: أراق، فقيل: أهراق، وشذت زيادتها في الواحدة في قول قصي الجد الرابع للنبي ﷺ: [الرجز]

أُمَّهَتِي خِنْدَفُ وَالْيَاسُ أبِي عِنْدَ تَنَادِيهِمْ بِهَالٍ وَهَبِ

وقال ابن عصفور في الممتع: أما أُمَّهة، فمنهم من يجعل الهاء زائدة فيه، ومنهم من يجعلها أصلية، فالذي يجعلها زائدة يستدل على ذلك بأنها في معنى الأم، وأورد بيت قصي، إلا أن الفرق بين أُمَّهة، وأم: أن أُمَّهة تقع في الغالب على من يعقل، وقد تستعمل فيما لا يعقل، وذلك قليل جداً، نحو قول السفاح بن بكير: [السريع]

قَوَّالُ مَعْرُوفٍ وَفَعَّالُهُ عَقَّارُ مَثْنَى أُمَّهَاتِ الرِّبَاعِ

و«أم» يقع في الغالب على ما لا يعقل، وقد يقع على العاقل بنحو قول جرير: [الوافر]

لَقَدْ وَلَدَ الأُخَيْطِلَ أُمُّ سوءٍ عَلَى بَاب اسْتِهَا صُلُبٌ وَشَامُ

ومما يدل أيضاً على زيادة الهاء في أمَّهة قولهم: أمٌّ بينة الأمومة بغير هاء، ولو كانت أصلية لثبتت في المصدر، والذي يجعلها أصلية يستدل على ذلك بما حكاه صاحب العين من قولهم: تأمَّهت أمَّاً، فتأمَّهت تفعَّلت بمنزلة تَنَبَّهت، مع أن زيادة الهاء قليلة جداً، فمهما أمكن جعلها أصلية، كان ذلك أولى فيها، والصحيح: أنها زائدة؛ لأن الأمومة حكاها أئمة اللغة، وأما تأمَّهت فانفرد بها صاحب العين، وكثيراً ما يأتي في كتاب العين ما لا ينبغي أن يؤخذ به لكثرة اضطرابه، وخلله. انتهى. بعد هذا؛ فالأمُّ تعم من ولدتْكَ، أو ولدَتْ مَنْ ولدك، وإن علَتْ، ويقرأ: أُمَّهات بضم الهمزة، وفتح الميم، وهي قراءة العامة، ويقرأ بكسر الهمزة، وفتح الميم، وبكسرهما معاً.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(من) بيان لما أبهم في الموصول. ﴿مِّن نِّسَآئِهِم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّا﴾: نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿هُنَّ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع اسم ﴿مَّا﴾. ﴿أُمَّهَٰتِهِمْ﴾: خبر ﴿مَّا﴾ منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. هذا؛ وقرئ برفع: (أمهاتُهم) على إهمال ما، وعلى المبتدأ، والخبر، وعلى الاعتبارين فالجملة اسمية، وهي في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلَّٰٓـِٔى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَدْنَهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: (الواو): واو الحال. (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَيَقُولُونَ﴾: (اللام): هي المزحلقة. (يقولون): مضارع، وفاعله. ﴿مُنكَرًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: ليقولون قولاً منكراً، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، وهو أقوى من الاستئناف ومن العطف على ما قبلها. ﴿وَزُورًا﴾: الواو: حرف عطف. (زوراً): معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾: هذا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان أنه أمر منكر، وقول زور؛ أي: والذين يقولون هذا القول المنكر، ثم يعودون فيه، والعود عند الشافعي يكون بإمساك المظاهر عنها في النكاح زماناً يمكنه مفارقتها فيه، وعند أبي حنيفة يحصل باستباحة استمتاعها، ولو بنظرة شهوة، وعند الإمام مالك بالعزم على الجماع، وعند الحسن البصري بالجماع، أو بالظهار مرة أخرى. انتهى. بيضاوي، وجمل. وخذ تفصيل ذلك مما في الخازن فقد قال ـ رحمه الله تعالى ـ:

اختلف العلماء في معنى العود في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ ولا بد أولاً من بيان أقوال أهل العربية، ثم بيان أقوال الفقهاء، فنقول: قال الفراء: لا فرق بين اللغة بين أن يقال: يعودون لما قالوا، وفيما قالوا. وقال أبو علي الفارسي: كلمة (إلى) و(اللام) تتعاقبان، كقوله

تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ﴾، وقوله في سورة (الزلزلة): ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ وأما لفظة (ما) في قوله: ﴿لِمَا﴾ فهي بمعنى «الذي» والمعنى: يعودون إلى الذي قالوا، أو في الذي قالوا، وفيه وجهان: أحدهما: أنه لفظ الظهار، والمعنى: أنهم يعودون إلى ذلك اللفظ. الوجه الثاني: أن المراد ﴿لِمَا قَالُوا۟﴾؛ أي: المقول فيه، وهو الذي حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار، تنزيلاً للقول منزلة المقول فيه.

وعلى هذا معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ أي: يعودون إلى شيء، وذلك الشيء هو الذي قالوا فيه ذلك القول، ثم إذا فسر هذا اللفظ بالوجه الأول؛ يجوز أن يكون المعنى: عاد لِمَا فعل؛ أي: فعله مرة أخرى. وعلى الوجه الثاني يجوز أن يقال: عاد لما فعل؛ أي: نقض ما فعل، وذلك: أن من فعل شيئاً، ثم أراد أن يفعله ثانياً فقد عاد إليه، وكذا مَنْ فعل شيئاً ثم أراد إبطاله، فقد عاد إليه بالتصرف فيه، فقد ظهر بما تقدم: أن قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ يحتمل أن يكون المراد، ثم يعودون إليه، بأن يفعلوا مثله مرة أخرى، ويحتمل أن يكون المراد، ثم يعودون إليه بالنقض، والرفع، والإزالة. وإلى هذا الاحتمال ذهب أكثر المجتهدين، ثم اختلفوا فيه على وجوه:

الأول: وهو قول الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ أن معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زماناً يمكنه أن يطلقها فيه، وذلك؛ لأنه لما ظاهر، فقد قصد التحريم، فإن وصله بالطلاق؛ فقد تمم ما شرع فيه من إيقاع التحريم، ولا كفارة عليه، فإذا سكت عن الطلاق؛ فذلك يدل على أنه ندم على ما ابتدأ به من التحريم، فحينئذ تجب عليه الكفارة. وفسر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ العود بالندم، فقال: يندمون فيرجعون إلى الألفة.

الوجه الثاني: في تفسير العود، وهو قول أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: أنه عبارة عن استباحة الوطء، والملامسة، والنظر إليها بشهوة، وذلك: أنه شبهها بالأم في حرمة هذه الأشياء، ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضاً لقوله: (أنتِ عليَّ كظَهْرِ أمّي).

الوجه الثالث: وهو قول مالك ـ رحمه الله تعالى ـ أن العود إليها عبارة عن العزم على وطئها. وهو قريب من قول أبي حنيفة.

الوجه الرابع: وهو قول الحسن، وقتادة، وطاووس، والزهري: أن العود إليها عبارة عن جماعها، وقالوا: لا كفارة عليه ما لم يطأها.

قال العلماء: والعود المذكور هنا هب: أنه صالح للجماع، أو للعزم عليه، أو لاستباحته، إلا أن الذي قاله الشافعي هو أقل ما ينطلق عليه الاسم، فيجب تعليق الحكم عليه؛ لأنه هو الذي به يتحقق مسمى العود، وأما الباقي؛ فزيادة لا دليل عليه. انتهى. خازن.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾: المراد بالتماس: المجامعة، فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر منها؛ حتى يكفر عند الشافعي، وعند أبي حنيفة: يحرم الاستمتاع بها من

جماع، أو لمس بشهوة، أو غير ذلك. وهو أولى؛ لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. ثم الرقبة الواجب إعتاقها أن تكون كاملة سليمة من كل عيب، ومن كمالها: إسلامها عند مالك، والشافعي، كالرقبة في كفارة القتل، حملاً للمطلق على المقيد. وعند أبي حنيفة، وأصحابه: تجزئ الكفارة؛ ولو كانت كافرة. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: الحكم المذكور. ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ يعني: أن غلظ الكفارة وعظ حتى تتركوا الظهار، وتبتعدوا عنه. وهو دليل على أن الظهار جناية، وجريمة، فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم؛ حتى لا تعودوا إلى الظهار، وتخافوا عقاب الله عليه، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: لا تخفى عليه خافية من أعمالكم، من التفكير وغيره، وخبير بالتدابير الظاهرة، والباطنة، وخبير بمصالح العباد، وحاجاتهم، وفاقتهم، وخبير بنيات العباد، وأفعالهم وأقوالهم.

هذا؛ والألفاظ المستعملة للظهار في الشريعة، وعرف الفقهاء الأصل فيه قول الرجل لامرأته: أنتِ عليَّ كظهر أمي، وأنت مني، أو معي، أو عندي كظهر أمي. وكذا لو قال: أنت عليَّ كبطن أمي، أو كرأس أمي، أو كيد أمي، أو قال: بطنك، أو رأسك، أو يدك عليّ كظهر أمي، أو شبه عضواً منها بعضو من أعضاء أمه يكون ذلك ظهاراً. وهذا عند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ. وقال أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ: والظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي، وإذا وضع موضع أنت عضواً منها يعبر به عن الجملة، أو مكان الظهر عضواً آخر، يحرم النظر إليه من الأم، كالبطن، والفخذ، أو مكان الأم ذات رحم محرم منه بنسب، أو رضاع، أو صهر، أو جماع، نحو أن يقول: أنت عليَّ كظهر أمي من الرضاع، أو عمتي من النسب، أو امرأة ابني، أو أبي، أو أم امرأتي، أو ابنتها، فهو مظاهر. انتهى. نسفي، والأول من الخازن، والنسفي حنفي، والخازن شافعي.

ولو قال: أنتِ عليَّ كأمي، أو كروح أمي، وأراد به الإعزاز، والإكرام، لا يكون ظهاراً، حتى ينويه، ويريده، وهذا ما يسمى كناية. هذا؛ ولا يجوز له أن يطأها حتى يكفر لقوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾. هذا؛ وأركان الظهار أربعة: صيغة، وهي أن يقول: أنتِ عليّ كظهر أمي، ونحوه مما تقدم، ومظاهر، وهو الزوج، ومظاهر منها، وهي الزوجة، ومشبه به، وهي الأم ونحوها مما تقدم. والله أعلم.

تنبيه: الظهار من الكبائر، وإذا امتنع المظاهر من الكفارة فللمرأة أن ترافعه، وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر، وأن يحبسه، ولا شيء من الكفارات يجبر عليه، ويحبس إلا كفارة الظهار؛ لأنه يضرُّ بها في ترك التكفير، والامتناع من الاستمتاع، فإن مس من قبل أن يكفر استغفر الله، ولا يعود حتى يكفر، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: (الواو): حرف عطف. (الذين): مبتدأ، والجملة الفعلية بعده صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يَعُودُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه

ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وقال الأخفش: اللام متعلقة بـ: (تحرير) وفي الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: فعليهم تحرير رقبة؛ لما نطقوا به من الظهار، و(ما) تحتمل الموصولة والمصدرية، فعلى الأول مبنية على السكون في محل جر باللام، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف، التقدير: للذي قالوه، وانظر الشرح، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر باللام، التقدير: يعودون إلى القول، والقول بتأويل المقول؛ أي: يعودون للمقول فيهن لفظ الظهار. وهن الزوجات. انتهى. مغني اللبيب. فهي في التأويل مثل قوله تعالى في سورة (يونس) على حبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ رقم [٣٧]. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فَتَحْرِيرُ﴾: (الفاء): صلة، وزيدت في خبر الموصول؛ لأنه يشبه الشرط في العموم. (تحرير): مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: فعليهم تحرير، أو هو خبر لمبتدأ محذوف التقدير: فالواجب تحرير. وهو مضاف، و﴿رَقَبَةٍ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله وفاعله محذوف، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ (الذين)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿مِّن قَبْلِ﴾: متعلقان بالمصدر: (تحرير). ﴿أَن يَتَمَآسَّا﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعله، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿قَبْلِ﴾ إليه.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿تُوعَظُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَبِيرٌ﴾ بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء تعملونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملكم. ﴿خَبِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي: الرقبة. ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أي: فعليه صيام شهرين. ﴿مُتَتَابِعَيْنِ﴾: فإذا أفطر، ولو آخر يومٍ؛ انقطع التتابع، ووجب عليه الاستئناف. ﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾: هو مثل

سابقه عند الشافعي، وأبي حنيفة، رحمهما الله تعالى. ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي: الصوم للكبر، أو مرض، ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ أي: فعليه إطعام ستين مسكيناً، ولم يقيده هنا بقوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ كما قيده في العتق والصوم، فقال الإمام مالك: يجوز له الوطء قبله. وعند الآخرين: الإطلاق في الإطعام محمول على المقيد في العتق، والصيام. فإن جامع قبل أن يكفر؛ لم يجب عليه إلا كفارة واحدة، وهو قول أكثر أهل العلم، كمالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وسفيان. وقال بعضهم: إن واقعها قبل أن يكفر؛ فعليه كفارتان. وهو قول عبد الرحمن بن مهدي.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الذي بيناه من أحكام الظهار. ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: لتصدقوا الله فيما أمر به، وتصدقوا الرسول ﷺ فيما أخبر به عن الله تعالى. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: محارمه، فلا تنتهكوها، بخروجكم عن طاعة الله، وطاعة رسوله. هذا؛ وفي آية (البقرة) رقم [١٨٧]: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾. وفيها رقم [٢٢٩]: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الذين لم يؤمنوا، ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة، لا تعتقدوا: أنهم ناجون من الانتقام؛ كلا ليس الأمر كما زعموا، بل لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة. هذا؛ وأطلق لفظ الكافر على متعدي الحدود تغليظاً، وزجراً.

هذا؛ والصيام في اللغة: الإمساك، وقد يكون إمساكاً عن الكلام على حد قوله تعالى لمريم ـ على نبينا، وعليها ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ وقد يكون إمساكاً عن غيره، خذ قول النابغة الذبياني: [البسيط]

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ ... تَحْتَ الْعَجَاجِ وَأُخْرَى تَعْلِكُ اللُّجُمَا

ثم نقل في الشرع إلى إمساك مخصوص عن الطعام، والشراب، والجماع، ونحو ذلك بنية مخصوصة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. هذا؛ وفعل المادة واوي، صام، يصوم، ومصدره: صوْماً، وصِواماً، وقد قلبت الواو ياءً في الثاني لمناسبة الكسرة، ومثله: قيام، مصدر: قام، يقوم.

فقد ذكر السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: (همع الهوامع) في باب الإبدال ما يلي: تبدل الياء بعد كسرة من واو، هي عين مصدر لفعل معل العين، موزون بـ: «فِعَال» نحو قام قِياماً، وعاد عِيَاداً، بخلاف عين غير المصدر، كصِوان، وسِواك، والمصدر المفتوح أوله، كرَواح، أو المضموم كقُوار، أو المكسور الذي لم تعل عين فعله، كلاوذ لِواذاً. وعاود عِواداً، أو الموزون بـ: «فَعَل» كالحَول، وتبدل أيضاً: كثوب، وثياب، وحوض، وحياض، ودار، وديار، وريح، ورياح بخلاف عين المفرد.

هذا؛ و﴿شَهْرَيْنِ﴾ تثنية: شهر، وفيه لأهل اللغة قولان: أشهرهما: أنه اسم لمدة الزمان، الذي يكون مبدؤها الهلال ظاهراً إلى أن يستتر، سمي بذلك لشهرته في حاجة الناس إليه في المعاملات، وغيرها. والثاني قاله الزجاج: أنه اسم للهلال نفسه. ويجمع على: أشهر، وشهور.

الإعراب: ﴿فَمَن﴾: (الفاء): حرف عطف، أو حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَجِدْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من) والمفعول محذوف، التقدير: لم يجد الرقبة. ﴿فَصِيَامُ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط، (صيام): مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: فعليه صيام، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فالواجب صيام، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: هو جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان. وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) موصولة؛ فهي مبتدأ، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والجملة الاسمية المقدرة: «فعليه صيام» في محل رفع خبره، ودخلت الفاء على الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، كما في الآية السابقة، و(صيام) مضاف، و﴿شَهْرَيْنِ﴾ مضاف إليه. وانظر الآية رقم [٢٠] الآتية. ﴿مُتَتَابِعَيْنِ﴾: صفة ﴿شَهْرَيْنِ﴾ منصوب مثله، وعلامة النصب فيهما الياء نيابة عن الفتحة لأنهما مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿مِن قَبْلِ﴾: متعلقان بـ: (صيام)؛ لأنه مصدر، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَتَمَاسَّا﴾ في محل جر بإضافة ﴿قَبْلِ﴾ إليه، والجملة الاسمية: (من لم. . .) إلخ لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الفاء: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب سابقتها بلا فارق. و(إطعام) مضاف، و﴿سِتِّينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والإضافة من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿مِسْكِينًا﴾: تمييز.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَرَسُولِهِ﴾: الواو: حرف عطف. (رسوله): معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَتِلْكَ﴾: (الواو): حرف عطف، أو حرف استئناف. (تلك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿حُدُودُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: الواو: حرف عطف، أو استئناف. (للكافرين): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة: ﴿عَذَابٌ﴾. والجملة الاسمية معطوفة، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: يخالفون أمر الله ورسوله، ويعادون الله ورسوله. والمحادة المعاداة والمخالفة في الحدود، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وقال الزجاج: المحادة: أن تكون في حد يخالف حد صاحبك، وأصلها: الممانعة، ومنه: الحديد، ومنه: الحداد للبواب. ﴿كُبِتُوا۟﴾: أهينوا، وذلوا، واخزوا، وأهلكوا، وأغيظوا يوم الخندق. وقيل: يوم بدر. والمراد: المشركون، والمنافقون معاً. وانظر الآية الآتية برقم [٢٠]. وقيل: المعنى: سيكبتون، وهو بشارة من الله تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين بالنصر، والعزة، وإعلاء الشأن. ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من أعداء الرسل، الذين عصوا الله، ورسله. ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: تدل على صدق الرسل، وفيها بيان الحلال، والحرام، والفرائض، والأحكام، لا يخالفها ولا يعاندها إلا كافر فاجر مكابر. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: وللكافرين الذي جحدوا الآيات، ولم يعملوا بها عذاب شديد يهينهم، ويذلهم، ويذهب بعزهم.

قال الصاوي: وقد نزلت الآية في كفار مكة يوم الأحزاب حين تحزبوا على رسول الله ﷺ. والمقصود بها تسلية رسول الله ﷺ، وبشارته مع المؤمنين بأن أعداءهم المتحزبين سيذلون، ويخذلون، ويفرق جمعهم، فلا تخشوا بأسهم. هذا؛ وإعلال ﴿مُّهِينٌ﴾ مثل إعلال ﴿مُّبِينٍ﴾ في الآية رقم [٣٨] من سورة (الذاريات).

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿يُحَآدُّونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: الواو: حرف عطف. (رسوله): معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كُبِتُوا۟﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿كَمَا﴾: (الكاف): حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿كُبِتَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: نائب فاعله. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة، و(ما) والفعل (كبت) في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: كبتوا كبتاً كائناً مثل كبت الذين كانوا من قبلهم. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) اسماً موصولاً؛ فالمعنى لا يأباه، ويكون التقدير: كبتوا كبتاً كائناً مثل الذي كبته الذين من قبلهم. وإن اعتبرت الكاف اسماً. فالمحل لها، وتكون مضافة، وما بعدها في محل جر بالإضافة.

﴿وَقَدْ﴾: (الواو): واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَنزَلْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ءَايَٰتٍ﴾: مفعول به. ﴿بَيِّنَٰتٍۚ﴾: صفة ﴿ءَايَٰتٍ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبهما الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنهما جمعا مؤنث سالمان، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو فقط. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (للكافرين): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مُّهِينٌ﴾ صفة ﴿عَذَابٌ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: الرجال، والنساء، والكبار، والصغار، يبعثهم الله من قبورهم في حالة واحدة، وفي صعيد واحد. ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ﴾ أي: فيخبرهم الله بما عملوا من خير، وشر، وصغيرة، وكبيرة. قال تعالى في سورة (الكهف) رقم [٤٩]: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ﴾.

وانظر قول أبي العتاهية الصوفي في الآية رقم [٨] من سورة (الجمعة) فإنه جيد. ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ أي: ضبطه الله، وحفظه عليهم في صحائف أعمالهم بواسطة الملائكة الحفظة؛ الذين سجلوا عليهم ذلك، بينما هم نسوا تلك الأعمال لاعتقادهم: أن لا حساب، ولا جزاء. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾: صغير، وكبير. ﴿شَهِيدٌ﴾: حاضر ناظر، لا يخفى عليه شيء؛ لأنه لا يغيب عن علمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وانظر شرح (النبأ) وفعله في الآية رقم [٤] من سورة (القمر).

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿مُّهِينٌ﴾ أو بمحذوف تقديره: اذكر. وقيل: بـ: ﴿عَذَابٌ﴾. وقيل: عامله الاستقرار في الظرف الواقع خبراً، وهو قوله: (للكافرين). ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾: مضارع ومفعوله، وفاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الضمير المنصوب حال مؤكدة. ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾: الفاء: حرف عطف. (ينبئهم): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء مفعول به. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: ينبئهم بالذي، أو بشيء عملوه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: ينبئهم بعملهم.

والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿أَحْصَىٰهُ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، وقعت سؤالاً عما نشأ قبلها من السؤال إما عن كيفية التنبئة، أو عن سببها، كأنه قيل: كيف ينبئهم بأعمالهم؛ وهي أعراض منقضية متلاشية؟ فقيل: أحصاه الله. انتهى. جمل.

﴿وَنَسُوهُ﴾: (الواو): واو الحال. (نسوه): فعل ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، و«قد» قبلها مقدرة، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها معطوفة على ما قبلها؛ فلا محل لها، والأول أقوى. ﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَهِيدٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿شَهِيدٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ...﴾ إلخ: هذا خطاب للنبي ﷺ، ولكل عاقل يتأتى منه النظر والاعتبار، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى عالمٌ بجميع المعلومات، لا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السموات. ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ أي: من إسرار ثلاثة، وهي المسارة، والمشاورة. وقيل: ما يكون من متناجين ثلاثة يساور بعضهم بعضاً. ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ أي: بالعلم، والإحاطة لما يتناجون به، فهو حاضر معهم، وشاهدهم، كما تكون نجواهم عند إنسان رابع يكون معهم. ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾: هو مثل سابقه. ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ﴾ يعني: ولا أقل من ثلاثة، وخمسة، ولا أكثر من ذلك العدد. ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ أي: بالعلم، والقدرة، والإحاطة. ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾: لا يخفون عنه، ولا يغيبون عن علمه. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: هو مثل الآية السابقة، يخبرهم بذلك توبيخاً، وتقريعاً، وتشهيراً بحالهم، فعندها يتمنون الانصراف والمسارعة بهم إلى النار، لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد.

قال الخازن: فإن قلت: لم خص الثلاثة، والخمسة بالذكر، قلت: أقل ما يكفي في المشاورة ثلاثة، حتى يتم الغرض، فيكون اثنان كالمتنازعين في النفي، والإثبات، والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة، ويتم ذلك الغرض، وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد، يكون حكماً بينهم مقبول القول. وقيل: إن العدد الفرد أشرف من الزوج، فلهذا خص الله الثلاثة، والخمسة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وانظر سبب النزول في الآية التالية.

هذا؛ ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٧٨]: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

وقوله تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٨٠]: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾. هذا؛ والنجوى: حديث السر بين اثنين، فأكثر. روى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن الرسول ﷺ قال: «**إذَا كُنْتُمْ ثلاثةً فَلَا يَتَنَاجَ اثْنَانِ دُونَ الثالِثِ إلا بإذنه، فإن ذلِكَ يُحْزِنُهُ**». وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا كانُوا ثَلاثةً، فلا يتناجَ اثْنَانِ دون الآخرِ حتَّى يختلطوا بالنَّاسِ مِنْ أجْلِ أنْ يَحْزُنَهُ**». رواه أبو داود. والأول رواه الشيخان، وغيرهما. هذا؛ وقيل: إن النجوى القوم الذين يتناجون، وبه قيل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ الآية رقم [٤٧] من سورة (الإسراء)، و﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ هو اليوم الذي يقوم فيه الناس من قبورهم للحساب، والجزاء، وأصل القيامة: القوامة؛ لأنها من قام يقوم، قلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة، كما رأيت في إعلال (صيام) في الآية رقم [٤].

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: (الهمزة): حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، وهو من المعرفة، فيكتفي بمفعول واحد، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَكُونُ﴾: فعل مضارع تام. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿نَّجْوَىٰ﴾: فاعل مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، و﴿نَّجْوَىٰ﴾ مضاف، و﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. قال الفراء: «ثلاثة» نعت لـ: «النجوى» فانخفضت؛ وإن شئت أضفت نجوى إليها، ولو نصبت على إضمار فعل جاز، وهي قراءة ابن أبي عبلة. وقال الزمخشري: ويجوز رفع (ثلاثة) على البدل من محل ﴿نَّجْوَىٰ﴾. انتهى. قرطبي. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ في محل نصب حال مستثنىً من عموم الأحوال. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية. ويقال: زائدة لتأكيد النفي. ﴿خَمْسَةٍ﴾: معطوف على ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ على جميع اعتباراته. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال. ﴿وَلَآ﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية، أو صلة مثل سابقتها. ﴿أَدْنَىٰ﴾: معطوف على لفظ ﴿نَّجْوَىٰ﴾، فهو مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مِن ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَدْنَىٰ﴾، واللام

للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿وَلَآ﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): مثل سابقتها. ﴿أَكۡثَرَ﴾: معطوف على ما قبله فهو مجرور تبعاً للفظ ﴿نَّجۡوَىٰ﴾، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للصفة ووزن أفعل. هذا؛ وقرئ برفعه، وفيه وجهان: أحدهما: أنه معطوف على موضع ﴿نَّجۡوَىٰ﴾؛ لأنه مرفوع، و﴿مِن﴾ صلة كما رأيت، والثاني: أن يكون ﴿أَدۡنَىٰ﴾ مبتدأ. و﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ﴾ خبره، فيكون: ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ﴾ معطوفاً على المبتدأ، وحينئذ يكون: ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ...﴾ إلخ من باب عطف الجمل لا المفردات. انتهى. جمل.

هذا؛ وقال الزمخشري: وقرئ: ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ﴾ بالنصب على أن (لا) لنفي الجنس، ويجوز أن يكون: (ولا أكثرُ) بالرفع معطوفاً على محل: (لا) مع ﴿أَدۡنَىٰ﴾، كقولك: لا حولَ ولا قوةٌ إلا بالله، بفتح الحول، ورفع: «قوة»، ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء.

كقولك: لا حولٌ ولا قوة إلا بالله، وأن يكون ارتفاعهما عطفاً على محل: ﴿مِن نَّجۡوَىٰ﴾ كأنه قيل: ما يكون أدنى ولا أكثر إلا هو معهم. ويجوز أن يكونا مجرورين عطفاً على (نجوى) كأنه قيل: ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم. انتهى. ومثله في القرطبي.

﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، ﴿مَعَهُمۡ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال. ﴿أَيۡنَ مَا﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون، أو هو مبني على الفتح، و(ما) زائدة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر (كان) تقدم عليها، وعلى اسمها. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو اسمها، والألف للتفريق، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: أينما كانوا؛ فهو معهم. وقيل: (أين ما) ظرف مكان مجرد من الشرطية متعلق بالاستقرار الذي تعلق به معهم. والأول أقوى معنىً، وأتم سبكاً. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾: انظر الآية السابقة، فالإعراب مثله بلا فارق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يَعۡلَمُ...﴾ إلخ وما بينهما كلام معترض. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بعليم بعدهما، و(كل) مضاف، و﴿شَيۡءٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، أو تعليلية، لا محل لها على الوجهين.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨﴾

الشرح: قال الخازن، وغيره: نزلت الآية الكريمة في اليهود، والمنافقين، وذلك: أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم، ويوهمون

المؤمنين: أنهم يتناجون بما يسوءُهم، فيحزن المؤمنون لذلك، ويقولون: ما نراهم إلا قد بلغهم عن إخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل، أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم، ويحزنهم، فلما طال على المؤمنين وكثر شكَوْا إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم ألَّا يتناجوا دون المؤمنين، فلم ينتهوا، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أي: المناجاة فيما بينهم.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ أي: يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها. وفي الجمل: صيغة المضارع للدلالة على تمكن عودهم، وتجدده، واستحضار صورته العجيبة. ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي: ويتحدثون فيما بينهم بما هو إثم وعدوان، ومخالفة لأمر الرسول ﷺ؛ لأن حديثهم يدور حول الكيد، والمكر بالمسلمين. قال أبو حيان: بدأ بالإثم لعمومه ثم بالعدوان لعظمته في النفوس؛ إذ هو ظلامات العباد، ثم ترقى إلى ما هو أعظم، وهو معصية الرسول ﷺ، ومخالفة أمره، وفي هذا طعن على المنافقين؛ إذ كان تناجيهم في ذلك. وانظر شرح (الإثم) في الآية رقم [٣٢] من سورة (النجم).

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي: وإذا حضروا عندك يا محمد؛ حيوك بتحية ظالمة، لم يشرعها الله، ولم يأذن بها، وهي قولهم: (السامُّ عليكم) أي: الموت عليكم. قال المفسرون: كان اليهود يأتون رسول الله ﷺ، فيقولون: السام عليكم بدلاً من: السلام عليكم، والسامُّ: الموت، وهو ما أرادوه بقولهم، وكان رسول الله ﷺ، يقول لهم: «**وعليكم**». لا يزيد عليها، فسمعتهم عائشة ـ رضي الله عنها ـ يوماً، فقالت: بل عليكم السامُّ، واللعنة، فلما انصرفوا؛ قال لها رسول الله ﷺ: «**مهلاً يا عائشة! إن الله يكره الفحش، والتفحش**». فقالت: يا رسول الله! أما سمعت ما قالوا؟ فقال لها: «**أما سمعتِ ما قلتُ لهمْ؟ إني قلْتُ لهُمْ: وعليكم، فيستجيب الله لي فيهم، ولا يستجيب لهم فيَّ**». رواه البخاري وغيره مع اختلاف في بعض الألفاظ باختلاف الروايات.

﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي: يقولون: لو كان محمد نبياً؛ لعذبنا الله، ولما أمهلنا بسبه، والاستخفاف به، وجهلوا: أن الله تعالى حليم، ولا يعاجل من سبه، فكيف من سب نبيه؟ وقد ثبت: أن النبي ﷺ قال: «**لا أحدَ أصْبَرُ عَلى الأذَى مِنَ اللهِ، يدعُونَ لَهُ الصاحبةَ، والولَدَ، وهو يعافيهِمْ، ويَرْزُقُهُمْ**». فأنزل الله هذه الآية كشفاً لسرائرهم، وفضحاً لبواطنهم، ومعجزةً لرسوله ﷺ.

﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾: المعنى إن تعجيل العذاب في الدنيا، إنما يكون بحسب المشيئة والمصلحة، وإذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تعجيله، فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ أي: يحترقون فيها، وانظر الآية رقم [١٦] من سورة (الطور). ﴿فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: بئس المرجع، والمآب، والمقر، والمآل يوم القيامة. وانظر شرح (نعم) و(بئس) في الآية رقم

[٤٨] من سورة (الذاريات) هذا؛ ومعنى ﴿حَسْبُهُمْ﴾: تكفيهم. وهذا المعنى وارد في كثير من الآيات القرآنية.

هذا؛ والتحية مصدر: حيَّاه الله بتشديد الياء، وأصل معناه: الدعاء له بالحياة، ثم عم في كل كلام يلقيه بعض الناس على بعض بقصد الدعاء، كقولهم: أبيت اللعن، وأنعم صباحاً، وأنعم مساءً، ونحو ذلك، ثم خصته الشريعة الإسلامية بكلام معين، وهو قول القائل: السلام عليكم. هذا؛ وقد قال الله تعالى في سورة (النساء) رقم [٨٦]: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ والمعنى: إذا سلم عليكم أحد بسلام؛ فردوا بأحسن منه، أو ردوه بمثله، فالأحسن أن يزيد الرادُّ على المسلم (ورحمةُ الله) وإذا قال المسلم: (السلام عليكمْ ورحمةُ الله) يزيد الرادُّ: (وبركاتُهُ) وإذا قال المسلم: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاتُهُ) لا يزيد الرادُّ شيئاً بل يرد هذا الكلام بعينه فقط، واعلم: أن البدء بالسلام سنة، ورده فرض كفاية، والبدء أفضل من الردِّ، وكل جملة فيها عشر حسنات، سواء صدرت من المسلم، أو من الراد، وقد رغب الرسول ﷺ في إفشاء السلام، والإكثار من إلقائه. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسْلامِ خَيْرٌ؟

قال: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**». رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلُونَ الجنةَ حتَّى تؤمِنُوا، ولا تؤمِنُوا حتَّى تحابُّوا، ألا أدلكُمْ على شيءٍ إذا فعلتموهُ؛ تحاببتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بينكُمْ**». رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

هذا؛ وإذا ورد على إنسان تحية بكتاب، أو بواسطة شخص، ينبغي أن يرد الجواب؛ لأن الكتاب من الغائب كالسلام من الحاضر. روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه كان يرى رد الكتاب واجباً، كما يرى رد السلام من الحاضر. والله أعلم.

هذا؛ واختلف في بدء السلام على اليهود، والنصارى، والرد عليهم. فمنعه بعضهم، وجوز بعضهم تحية الكافر، وأن يبدأ بها، فقال النخعي: إذا كانت لك حاجة عند يهودي، أو نصراني فابدأه بالسلام. فظهر بذلك: أن قول النبي ﷺ؛ الذي رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «**لا تَبْدَؤُوا اليهودَ والنصارى بالسَّلامِ، وإذا لَقِيتُمْ أحدَهُمْ في طَرِيقٍ، فاضْطَرُّوهُمْ إلى أَضْيَقِهِ**». رواه مسلم وأبو داود، والترمذي؛ إذا كان لغير سبب يدعوكم إلى أن تبدؤوهم بالسلام، من قضاء ذمام، أو حاجة تعرض لكم قِبَلهم، أو حق صحبة، أو جوار، أو سفر... إلخ.

قال الطبري: وقد روي عن السلف: أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب. وفعل ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بدهقان صحبه في طريقه. قال علقمة بن قيس: فقلت له: يا أبا عبد الرحمن! أليس يكره أن يبدؤوا بالسلام؟ قال نعم، ولكن حق الصحبة. وسئل الأوزاعي عن

مسلم مرَّ بكافر، فسلَّم عليه، فقال: إن سلمت؛ فقد سلم الصالحون قبلك، وإن تركت؛ فقد ترك الصالحون قبلك. انتهى. قرطبي بتصرف من سورة (مريم).

أقول: لم يتعرض للكلام في الرد عليهم أحد، وأذكر ما رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذَا سَلَّمَ عليْكُمْ أهْلُ الكتابِ، فقُولُوا: عليْكُمْ**». رواه الستة إلا النسائي، وهذا يعني لا يرد عليهم السلام كاملاً، ولكن في هذا العصر كثر الاختلاط بهم، وتغيرت الأوضاع كما هو معروف، ومعلوم، فإذا كان قد أجاز بعض العلماء وأولهم ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بدأهم بالسلام، كما رأيت، فرد السلام عليهم كاملاً؛ فهو جائز بالأحرى، ولا سيما في هذا العصر الذي ضعفت فيه الروحانية الإسلامية عند كثير من المسلمين، وكذلك ما أصاب المسلمين من ضعف وهو أن في هذه الأيام، وإن أراد المسلم التبرئة من التبعة فلينوِ بالسلام عليهم، والرد عليهم الملائكة الذين يكتبون أعمالهم، وتصرفاتهم في جميع أحوالهم، وكذلك ينوي المسلمين من الجن الذين يكونون قريباً منهم. أقول هذا؛ والله ولي التوفيق، وأضيف: أنه لا يرد عليهم بالرحمة والبركة. بل يكتفي بقوله: (وعليكم السلام).

الإعراب: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل مفعول به. ﴿نُهُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها.

﴿عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والكلام: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ مستأنف، لا محل له. ﴿يَعُودُونَ﴾: مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر باللام، وجملة: ﴿نُهُواْ عَنْهُ﴾ صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور بـ: ﴿عَنِ﴾، وكذلك جملة: ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ﴾: معطوفان على (الإثم)، و(معصية) مضاف، و﴿ٱلرَّسُولِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر الميمي لمفعوله، وفاعله محذوف.

﴿وَإِذَا﴾: (الواو): حرف عطف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿جَآءُوكَ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿حَيَّوْكَ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والكاف في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها. و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، أو هو مستأنف، لا محل له على الاعتبارين. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور

متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يُحَيِّكَ﴾: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والكاف مفعول به. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿اللَّهُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية: ﴿لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء.

(يقولون): فعل مضارع، وفاعله. ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿يُعَذِّبُنَا﴾: فعل مضارع، و(نا): مفعول به. ﴿اللَّهُ﴾: فاعل. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء نقوله، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بقولنا، وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة، لا محل لها على الوجهين.

﴿حَسْبُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لمفعوله. ﴿جَهَنَّمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: فعل مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، أو في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة. وبه قال الجمل. وجاز مجيء الحال من المضاف إليه؛ لأن المضاف عامل فيه. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَلا تُجِزْ حالاً مِنَ المُضافِ لَهُ ... إلَّا إذَا اقْتَضَى المُضافُ عَمَلَهْ

أوْ كَانَ جُزْءَ مَا لَهُ أُضِيفَا ... أوْ مِثْلَ جُزْئِهِ فَلا تَحِيفَا

هذا؛ وعلى الوجه الأول فالوقف تام على الجملة الاسمية، وعلى الوجه الثاني، والثالث لا يوقف، بل توصل بها الجملة الفعلية. هذا؛ والجملة الفعلية: ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ مستأنفة، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: هي جهنم. هذا؛ وقيل: الفاء الفصيحة، ولا وجه له ألبتة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩)﴾

الشرح: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: في المخاطبين بهذه الآية قولان: أحدهما: أنه خطاب للمؤمنين، وذلك: أنه لما ذم اليهود، والمنافقين على التناجي بالإثم والعدوان، ومعصية الرسول؛ أتبعه بأن نهى المؤمنين أن يسلكوا مثل طريقهم، وأن يفعلوا كفعلهم، فقال: ﴿فَلَا تَتَنَاجَوْا

﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾، وهو ما يقبح من القول، ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ وهو ما يؤدي إلى الظلم، ومعصية الرسول، وهو ما يكون خلافاً عليه. والقول الثاني، (وهو الأصح): أنه خطاب للمنافقين. والمعنى: يا أيها الذين أمنوا بألسنتهم. وقيل: آمنوا بزعمهم، كأنه قال لهم: لا تتناجوا بالإثم، والعدوان، ومعصية الرسول. انتهى. هذا؛ ورجح القرطبي الأول. ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ أي: تحدثوا بما فيه خير، وبر، وإحسان. قال القرطبي: نهى الله المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل اليهود، والمنافقين، وأمرهم أن يتناجوا بالطاعة، والتقوى، والعفاف عما نهى الله عنه. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ...﴾ إلخ: أي: وخافوا الله بامتثالكم أوامره، واجتنابكم نواهيه، الذي سيجمعكم للحساب، ويجازي كلًّا بعمله.

عن صفوان بن محرز ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت آخذاً بيد ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ؛ إذ عرض له رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله يُدْني المؤمِنَ، فيضعُ علَيْهِ كَنَفَهُ، ويسْتُرُهُ مِنَ الناسِ، ويقرِّرُهُ بذنوبِهِ، ويقولُ لهُ: أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرفُ ذنبَ كذا؟ حتى إذا قرَّرَهُ بذنوبِهِ، ورأَى في نفسه أنْ قدْ هلَكَ. قال: فإني قد سترْتُهَا علَيْكَ في الدُّنيا، وأَنَا أغفِرُها لَكَ اليومَ، ثمَّ يُعْطَى كِتابَ حسناتِهِ. وأمَّا الكفارُ، والمنافقون، فيقولُ الأشهادُ: هؤلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِين**». أخرجه البخاري، ومسلم، والإمام أحمد، ولا تنس: أن البر كلمة جامعة لخصال الخير الدنيوية، والأخروية.

تنبيه: قال ابن هشام في المغني: قد يعبرون بالفعل عن إرادته، وأكثر ما يكون ذلك بعد أداة الشرط، نحو قوله تعالى في سورة (النحل) رقم [٩٨]: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. وقوله تعالى في سورة (المائدة) الآية [٦]: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾. وقوله تعالى في سورة (آل عمران) الآية رقم [٤٧]: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، وكذا قوله تعالى في سورة (المائدة) الآية رقم [٤٢]: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾.

﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ رقم [١٢٦] من سورة (النحل). وقوله تعالى: ﴿إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾. ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ...﴾ إلخ رقم [١٢] من هذه السورة، وقوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ رقم [١] من سورة الطلاق، وفي الحديث الصحيح قال الرسول ﷺ: «**إذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الجمعةَ؛ فَلْيَغْتَسِلْ**».

فهو يريد ـ رحمه الله تعالى ـ: أن المعنى: إذا أردت القراءة، إذا أردتم القيام إلى الصلاة؛ إذا أراد قضاء أمر، إن أردت الحكم، إن أردتم العقاب، فعاقبوا؛ إذا أردتم المناجاة؛ فلا؛ إذا أردتم مناجاة الرسول؛ إذا أردتم الطلاق؛ إذا أراد أحدكم إتيان الجمعة، فليغتسل.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، (وها): حرف تنبيه لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض

من المضاف إليه، ولا يجوز اعتبار الهاء ضميراً في محل جر بالإضافة؛ لأنه يجب حينئذ نصب المنادى. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدل من (أيها)، وجملة: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية السابقة. ﴿تَنَٰجَيۡتُمۡ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿فَلَا﴾: (الفاء): واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (لا): ناهية. ﴿تَتَنَٰجَوۡاْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له كالجملة الندائية قبله. ﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ﴾: معطوفان على (الإثم)، و(معصية) مضاف، و﴿ٱلرَّسُولِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ﴾: (الواو): حرف عطف. (تناجوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿بِٱلۡبِرِّ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. (التقوى): معطوف على ما قبله مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَٱتَّقُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (اتقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلَّذِيٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة لفظ الجلالة، أو هو بدل منه. ﴿إِلَيۡهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿تُحۡشَرُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ﴾: بالإثم، والعدوان، ومعصية الرسول. ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي: من تزيين الشيطان، ووسوسته. ﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إذا توهموا: أن المسلمين أصيبوا في السرايا، أو إذا أجروا اجتماعهم على مكايدة المسلمين، وربما كانوا يناجون النبي ﷺ، فيظن المؤمنون: أن المنافقين ينتقصونهم عند النبي ﷺ، ﴿وَلَيۡسَ﴾ أي: الشيطان، أو التناجي. ﴿بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا﴾: بملحق بهم أيَّ ضرر ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: بمشيئة الله، وإرادته. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ أي: على الله وحده فليعتمد المؤمنون، وليثقوا به، ولا يبالوا بنجوى المنافقين، والكافرين، وكيدهم، فإن الله يعصمهم من شرهم وكيدهم، ومن أحس بشيء من ذلك؛ فليستعذ بالله، وليتوكل على الله، فإنه لا يضره شيء بإذن الله تعالى.

هذا؛ والتوكل: تفويض الإنسان الأمر إلى من يملك أمره، ويقدر على نفعه، وضره. وقالوا: المتوكل من إن دهمه أمر؛ لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله تعالى. فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة، ثم سأل غيره خلاصةُ منها؛ لم يخرج عن حد التوكل؛ لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله تعالى، وإنما هو من تعاطي الأسباب في دفع المحنة، وخذ ما يلي:

فعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ على اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيرَ تَغْدُو خِمَاصاً، وتَرُوحُ بِطاناً**». أخرجه الترمذي، وانظر الآية رقم [٣] من سورة (الطلاق) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. هذا؛ والفرق بين التوكل، والتسليم، والتفويض، فيقال: التوكل أن تسكن إلى وعد الله تعالى، والتسليم أن تكتفي بعلم الله تعالى، والتفويض أن ترضى بحكم الله تعالى.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿ٱلنَّجْوَىٰ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية تعليل للنهي لا محل لها. ﴿لِيَحْزُنَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَلَيْسَ﴾: (الواو): واو الحال. (ليس): فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو»، يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾. ﴿بِضَآرِّهِمْ﴾: (الباء): حرف جر صلة. (ضارهم): خبر (ليس) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وفاعله ضمير مستتر يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله الأول.

﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به ثان وقيل: هو مفعول مطلق. وجملة (ليس...) إلخ في محل نصب حال من فاعل (يحزن) المستتر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿بِإِذْنِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مستثنىً من عموم الأحوال، و(إِذْنِ) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله.

﴿وَعَلَى﴾: (الواو): فيما أرى صلة. (على الله): متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: (الفاء): حرف استئناف، أو هي الزائدة. (ليتوكل): فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وقد قال أبو البقاء في مثلها: دخلت الفاء لمعنى الشرط، والمعنى هنا إن تناج

الكافرون والمنافقون بإيحاء من الشيطان؛ فالمؤمنون يتوكلون على الله. وعلى هذا فالواو ليست زائدة، وإنما هي حرف استئناف، وتكون الفاء هي الفصيحة، أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: وإذا رأى المؤمنون الكافرين، والمنافقين يتناجون؛ فليتوكلوا على الله، وتكون الجملة الشرطية مستأنفة، لا محل لها. ولا يخفى ما فيه من التكلف.

تنبيه: ذكرت هذه الجملة في الآية رقم [١٢٢] و[١٦٠] من سورة (آل عمران)، وفي الآية رقم [١١] من سورة (المائدة) وفي الآية رقم [٥١] من سورة (التوبة)، وفي الآية رقم [٦٧] من سورة (يوسف). وفي الآية رقم [١١] و[١٢] من سورة (إبراهيم)، وفي الآية رقم [٣٨] من سورة (الزمر)، وفي الآية رقم [١٣] من سورة (التغابن).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: هذا نداء من الله تعالى للمؤمنين بأكرم وصف، وألطف عبارة؛ أي: يا من صدقتم الله، ورسوله، وتحليتم بالإيمان الذي هو زينة الإنسان. ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ﴾ أي: إذا قال لكم أحد: توسعوا في المجالس، سواء كان مجلس رسول الله ﷺ، أو غيره من المجالس، فتوسعوا، وافسحوا له. ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ﴾ أي: يوسع لكم ربكم في رحمته، وجنته، ورضوانه. ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ أي: وإذا قيل لكم: أيها المؤمنون انهضوا من المجلس، وقوموا؛ لتوسعوا لغيركم؛ فارتفعوا منه، وقوموا. هذا؛ والنشز: الارتفاع مأخوذ من: نشز الأرض، وهو ارتفاعها، يقال: نشز، ينشز؛ إذا انتحى من موضعه؛ أي: ارتفع منه. وامرأة ناشز؛ أي: مترفعة عن طاعة زوجها.

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ أي: يرفع الله المؤمنين بامتثال أوامره، وأوامر رسوله ـ والعالمين منهم خاصة ـ أعلى المراتب، ويمنحهم أعلى الدرجات الرفيعة في الجنة. هذا؛ وقال مقاتل بن حيان ـ رحمه الله تعالى ـ: أنزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يومئذ في الصُّفَّة، وفي المكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين، والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر، وقد سُبِقوا إلى المجالس، فقاموا حيال رسول الله ﷺ، فقالوا: السلام عليك أيها النبي، ورحمة الله وبركاته! فرد النبي ﷺ عليهم، ثم سلموا على القوم بعد ذلك، فردوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام، فلم يفسح لهم، فشق ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حوله من المهاجرين،

والأنصار من غير أهل بدر: «**قم يا فلان! وأنت يا فلان!**». فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين، والأنصار أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وعرف النبي ﷺ الكراهة في وجوههم، فقال المنافقون: ألستم تزعمون: أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأيناه عدل على هؤلاء، إن قوماً أخذوا مجالسهم، وأحبوا القرب من نبيهم، فأقامهم، وأجلس من أبطأ عنه. فبلغنا: أن رسول الله ﷺ قال: «**رحم الله رجلاً يفسح لأخيه**». فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعاً، فيفسح لإخوانهم، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة. هذا؛ وقيل: نزلت الآية في ثابت بن قيس بن شماس، انظر الآية رقم [١١] من سورة (الحجرات).

وقد ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما -: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يُقِيمُ الرجلُ الرجلَ مِنْ مجلسِهِ، فيجلسَ فيهِ، ولَكِنْ تَفَسَّحُوا، وتوسَّعُوا**». أخرجه الشيخان، وأحمد. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**لا يُقم الرجلُ الرجلَ مِنْ مجلسِهِ، ثمَّ يجلسُ فيهِ، ولكنْ افسحُوا يفسحِ الله لكُمْ**». أخرجه الإمام أحمد.

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد؛ إذا جاء على أقوال، فمنهم من رخص في ذلك محتجاً بحديث: «**قُومُوا إلى سيِّدكم**». ومنهم من منع ذلك محتجاً بحديث: «**مَنْ أَحَبَّ أنْ يتمثَّلَ لَهُ الرجالُ قياماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**». ومنهم من فصَّل، فقال: يجوز عند القدوم من سفر، وللحاكم في محل ولايته، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ - رضي الله عنه -، فإنه لما استقدمه النبي ﷺ حاكماً في بني قريظة، فرآه مُقْبِلاً قال للمسلمين: «**قُومُوا إلى سَيِّدِكُمْ**». وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه، والله أعلم. فأما اتخاذه دَيْدَناً فإنه من شعار العجم، وقد جاء في السنن: أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكان إذا جاء لا يقومون له؛ لما يعلمون من كراهته لذلك. انتهى. مختصر ابن كثير. يروى أن حسان - رضي الله عنه - كان جالساً فمر الرسول ﷺ فقام، فقال مرتجلاً: [الوافر]

قِيَامِي لِلْعَزِيزِ عَلَيَّ فَرْضٌ وتركُ الفَرْضِ مَا هُوَ مُسْتَقِيمُ
أقولُ لِمَنْ لَهُ عقلٌ وذِهْنٌ: يَرى هذا الجمالَ ولا يَقُومُ

ولم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك بل تبسم؛ حتى بدت نواجذه، وكأنه إقرار منه ﷺ لفعل حسان. وأقول: واستدلت الشافعية بهذه الحادثة على أن الأدب خير من الامتثال. وأما الحنفية فيقولون: الامتثال خير من الأدب.

هذا؛ والآية الكريمة تنوه بفضل العلم وفضل أهله. وخذ نبذة من أحاديث الرسول ﷺ في بيان ذلك، فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذَا أَرَادَ الله بِعَبدٍ خَيْراً؛ فَقَّهَهُ في الدِّينِ، وأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ**». رواه الطبراني في الكبير. وروى البخاري، ومسلم عن

معاوية؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ الله بهِ خيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين**». وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سلكَ طَريقاً يلتمِسُ فيهِ عِلْماً؛ سَهَّلَ اللهُ لهُ طريقاً إلى الجنَّةِ، وإنَّ الملائكةَ لَتَضعُ أجنحتها لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بما يَصْنعُ، وإنْ العالِم لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ في السمواتِ ومَنْ في الأرضِ؛ حتى الحيتانُ في الماءِ، وفضلُ العالِمِ على العَابِدِ كفَضْلِ القمَرِ عَلَى سائِرِ الكواكِبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ. إنَّ الأنبياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا ديناراً ولا دِرْهماً، إنما وَرَّثُوا العلْمَ، فمَنْ أخَذَهُ، فقد أخذَ بحظٍّ وافرٍ**». رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والبيهقي.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مثلَ العُلَماءِ في الأرضِ كَمَثلِ النُّجوم يُهْتَدى بها في ظلمات البرِّ، والبحرِ، فإذَا انطَمستِ النجومُ؛ أوشكَ أنْ تضلَّ الهُداةُ**». رواه الإمام أحمد. وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «**فضْلُ العالِمِ على العابِدِ كفضلي على أدْنَاكُمْ**». ثم قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ وملائِكَتَهُ، وأهلَ السمواتِ والأرضِ؛ حتَّى النملةَ في حُجْرِهَا، وحتى الحوتَ لَيُصَلُّونَ على مُعَلِّمِ الناسِ الخَيْرَ**». رواه الترمذي.

وفي الصحيح: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يقدِّم عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ على كثير من الصحابة، ويدخله في الشورى مع مشيخة المهاجرين، والأنصار، فكلمه بعضهم في ذلك، فدعاهم، ودعاه، وسألهم عن تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فسكتوا، فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله إياه. فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: ما أعلم منها إلا ما تعلم. ومعنى قوله: هو أجل رسول الله ﷺ؛ أي: إنه إنذار بقرب وفاته ﷺ؛ لأن المعنى: إذا انتصر الدين، وانتشر في الجزيرة العربية، وتم فتح مكة؛ فلا يبقى لوجودك في الدنيا حاجة، بل انتقالك منها إلى الآخرة أولى. ومثل ذلك ما فهمه الصديق من نزول قوله تعالى في يوم عرفة في حجة الوداع: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾. رقم [٣] من سورة (المائدة).

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٩]. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿تَفَسَّحُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع نائب فاعل ﴿قِيلَ﴾، أفاده ابن هشام في مغنيه، وهذا يكون جارياً على القاعدة العامة: «بحذف الفاعل، ويقام المفعول به مقامه» وهذا لا غبار عليه، وقد ذكرت لك مراراً أن بعضهم يعتبر نائب الفاعل ضميراً مستتراً، تقديره: «هو»، يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف، يدل عليه المقام؛ أي: وقيل قول، وبعضهم يعتبر الجار والمجرور:

﴿لَكُمْ﴾ في محل رفع نائب فاعل. والمعتمد الأول، وأيده ابن هشام في المغني، حيث قال: إن الجملة التي يراد بها لفظها بحكم المفردات، ولهذا تقع مبتدأ، نحو: (لا حول ولا قوة إلا بالله كنزٌ من كنوزِ الجنة) ونحو: (زعموا مِطيَّةُ الكذبِ). وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿فَٱفۡسَحُواْ﴾: (الفاء): واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (افسحوا): فعل أمر، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له كالجملة الندائية قبله. ﴿يَفۡسَحِ﴾: فعل مضارع مجزوم بجواب الأمر، الواقع جواباً للشرط، وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف، التقدير: إن تفسحوا؛ يفسح الله لكم، و﴿ٱللَّهُ﴾ فاعله، و﴿لَكُمۡۖ﴾ جار ومجرور متعلقان به.

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ﴾: إعراب هذا الكلام مثل إعراب سابقه بلا فارق، وقد حذف متعلق انشزوا لدلالة ما قبله عليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(من) بيان لما أبهم في الموصول. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ما قبله فهو في محل نصب مثله. وقيل منصوب بفعل مضمر، تقديره: يخص الذين. ولا وجه له. ﴿أُوتُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿ٱلۡعِلۡمَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿دَرَجَٰتٖ﴾: مفعول يرفع منصوب فهو مفعول ثان. ﴿قِيلَ﴾: هو ظرف منصوب بنزع الخافض، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿يَرۡفَعِ...﴾ إلخ لا محل لها مثل جملة: ﴿يَفۡسَحِ...﴾ إلخ لأنهما جملتان واقعتان في محل جزم للشرط المقدر بـ: «إن». ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٣]. و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: أردتم مناجاة رسول الله ﷺ، انظر الآية رقم [٩]. ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ أي: أعطوا الفقراء والمساكين صدقة قبل محادثتكم النبي ﷺ، ومناجاتكم له. فقد استعير اليدان لمعنى قبل، كما استعيرا في كثير من الآيات لمعنى: أمام، وقدام. ومعنى الآية: أن الله أمر عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ؛ أي: يسارَّه فيما بينه وبينه أن يقدم قبل ذلك صدقة تطهره، وتزكيه وتؤهله؛ لأن يصلح لهذا المقام، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ أي: الصدقة لفقركم، وعجزكم. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾: هذا تسامح مع الفقراء الذين لا يجدون المال ليقدموه قبل مناجاة الرسول ﷺ وفائدة

ذلك إعظام مناجاة الرسول ﷺ، فإن الإنسان إذا وجد الشيء بمشقة؛ استعظمه، وإن وجده بسهولة؛ استحقره، وفي ذلك أيضاً نفع كثير للفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن الناس سألوا رسول الله ﷺ، وأكثروا حتى شق عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه ﷺ، فأمرهم أن يقدموا صدقة على مناجاته ﷺ. وقيل: نزلت في الأغنياء، وذلك: أنهم كانوا يأتون رسول الله ﷺ، فيكثرون مناجاته، ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله ﷺ طول جلوسهم، ومناجاتهم، فلما أمروا بالصدقة؛ كفوا عن مناجاته، فأما الفقراء وأهل العسرة، فلم يجدوا شيئاً، وأما الأغنياء، وأهل الميسرة، فضنوا، واشتد ذلك على أصحاب الرسول ﷺ فنزلت الرخصة.

وقال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: نُهُوا عن المناجاة؛ حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، تصدق بدينار (أي: على دفعات) وناجاه، ثم نزلت الرخصة، فكان علي كرم الله وجهه يقول: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، وهي آية المناجاة. وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: لما نزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ...﴾ إلخ قال لي النبي ﷺ: «**ما ترى؟ ديناراً؟**». قلت: لا يطيقونه. قال: «**فنصفَ دينار؟**». قلت: لا يطيقونه. قال: «**فكم؟**». قلت: شعيرة. قال: «**إنك لزهيد**». قال: فنزلت: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ﴾ قال: فبي خفف الله عن هذه الأمة. أخرجه الترمذي. هذا؛ ومعنى: شعيرة؛ أي: وزن شعيرة من ذهب، ومعنى: لزهيد، يعني: قليل المال، قدرت على قدر حالك. هذا؛ وفي هذه الآية منقبة عظيمة لعلي ـ رضي الله عنه ـ؛ إذ لم يعمل بها أحد غيره، ولكن ليس فيها طعن على غيره من الصحابة، ووجه ذلك: أن الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية، ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها. انتهى. خازن بتصرف بسيط.

وروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كان لي دينار، فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم، وسألت رسول الله ﷺ عشر مسائل، فأجابني عنها، قلت: يا رسول الله ما الوفاء؟ قال: «**التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله**». قلت: وما الفساد؟ قال: «**الكفر، والشرك بالله**». قلت: وما الحق؟ قال: «**الإسلام، والقرآن، والولاية إذا انتهت إليك**». قلت: وما الحيلة؟ قال: «**ترك الحيلة**». قلت: وما عليَّ؟ قال: «**طاعة الله، وطاعة رسوله**». قلت: وكيف أدعو الله؟ قال: «**بالصدق، واليقين**». قلت: وماذا أسأل الله؟ قال: «**العافية**». قلت: وما أصنع لنجاة نفسي؟ قال: «**كل حلالاً، وقل صدقاً**». قلت: وما السرور؟ قال: «**الجنة**». قلت: وما الراحة؟ قال: «**لقاء الله**». فلما فرغت منها نزل نسخها. انتهى. نسفي ولم يذكره غيره.

قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: لقد كانت لعلي ـ رضي الله عنه ـ ثلاثٌ، لو كانت لي واحدةٌ منهن كانت أحبَّ إليَّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى. انتهى.

وقد نسخ حكم هذه الآية بالآية التالية، وقد دام حكمها عشر ليال. وقيل: ما كان إلا ساعة من نهار. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

فائدة: قال مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى ـ في مثل هذا التركيب: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟﴾: دخلت (إنْ) على (لمْ) ليرتد الفعل إلى أصله في لفظه، وهو الاستقبال؛ لأن (لمْ) ترد الفعل المستقبل إلى معنى المضي، و (إنْ) ترد الماضي إلى معنى الاستقبال، فلما صارت (لمْ) ولفظ المستقبل بعدها بمعنى الماضي ردتها (إنْ) إلى الاستقبال؛ لأن (إنْ) ترد الماضي إلى معنى الاستقبال. انتهى.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾: انظر رقم [٩]. ﴿فَقَدِّمُوا۟﴾: (الفاء): واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (قدموا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له، ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و(بين) مضاف. و﴿يَدَىْ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى لفظاً، وحذفت النون للإضافة، و(يدي) مضاف، و﴿نَجْوَىٰكُمْ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿صَدَقَةً﴾: مفعول لـ:(قدموا).

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَإِن﴾: (الفاء): حرف استئناف، وتفريع، (إن): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَجِدُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾، وهو فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف لعلمه من المقام، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَإِنَّ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: خبران لها، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط. هذا؛ وإن اعتبرت الجواب محذوفاً. التقدير: فإن لم تجدوا الصدقة؛ فلا حرج، ولا إثم عليكم؛ فالجملة الاسمية تكون تعليلية لا محل لها، والجملة الشرطية: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟﴾ لا محل لها؛ لأنها مستأنفة.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: هذه الآية ناسخة لحكم الآية السابقة، فهي متأخرة عنها نزولاً؛ وإن اتصلت بها تلاوةً، والنسخ كان بقوله تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا يدل على جواز النسخ قبل

الفعل، وما روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ ضعيف؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ وهذا يدل على أن أحداً لم يتصدق بشيء، والله أعلم. انتهى. قرطبي. وقيل: نسخت بفرضية الزكاة، ومعنى ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾... إلخ: أي: أبخلتم بالإنفاق خشية الفقر؟، أو المعنى: أخفتم العيلة، والفقر، إن أنفقتم المال قبل مناجاة الرسول ﷺ؟ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ أي: فيما أمر، وفيما نهى. ﴿وَرَسُولَهُ﴾: كذلك فيما أمر، ورغب فيه، ونهى عنه من قول، أو فعل. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: محيط بأعمالكم: صغيرها، وكبيرها، خيرها، وشرها. فيجازيكم بها بالخير خيراً، وبالسوء سوءاً.

هذا؛ ومعنى (أقيموا الصلاة): أدوها على الوجه الأكمل، أدوها في أوقاتها، وحافظوا على طهارتها، وأتموا ركوعها، وسجودها، وخشوعها، ومن لم يؤدها على الوجه الأكمل، يقال عنه: صلى، ولا يقال: أقام الصلاة. هذا؛ والصلاة في اللغة: الدعاء والتضرع، وهي في الشرع: أقوال، وأفعال مخصوصة، مبتدأة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، ولها شروط، وأركان، ومبطلات، ومكروهات، ومندوبات مذكورة في الفقه الإسلامي. والصلاة من العبد معناها: التضرع، والدعاء. ومن الملائكة على العبد، معناها: الاستغفار، وطلب الرحمة له. ومن الله على عباده معناها: الرحمة، وإنزال البركات، وقد جمعت الأنواع الثلاثة في قوله تعالى في سورة (الأحزاب) رقم [٥٦]: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وأما الزكاة فهي في اللغة النماء والتطهير، وفي الشرع: اسم لمال مخصوص، يدفع لأشخاص معلومين مذكورين في الآية رقم [٦٠] من سورة (التوبة). وقد خص الله الصلاة، والزكاة بالذكر؛ لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، وشرعت لذكر الله، والزكاة أفضل العبادات المالية، وفرضت للفقير، ومجموعهما التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله. وانظر الصلاة التي تنهى صاحبها عن الفحشاء، والمنكر، والتي لا تنهاه في الآية رقم [٤٥] من سورة (العنكبوت).

هذا؛ ومن القرطبي: وفي حديثٍ: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ فَرَّقَ بينَ ثلاثٍ؛ فرَّقَ اللهُ بَيْنَهُ وبيْنَ رحمتِهِ يومَ القيامةِ، مَنْ قال: أطيعُ الله، ولا أطيعُ الرسولَ، واللهُ يقولُ:** ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ **وَمَنْ قال: أُقيمُ الصلاةَ، ولا أُوتي الزَّكاةَ، واللهُ تعالى يَقولُ:** ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ **ومَنْ فرَّقَ بَيْنَ شكر الله، وشكرِ والديهِ، واللهُ عزَّ وجل يقول:** ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾».

الإعراب: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾: (الهمزة): حرف استفهام، وتقرير. (أشفقتم): فعل، وفاعل، والمفعول محذوف، التقدير: أأشفقتم؛ أي: أخفتم الفقر. ﴿أَن تُقَدِّمُوا﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمصدر المؤول في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: من تقديم، والجار والمجرور متعلقان بما قبلهما، وإن قلت: في محل نصب بنزع الخافض؛ فلست مفنداً. ﴿بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ انظر الآية السابقة فالإعراب مثله. ﴿صَدَقَاتٍ﴾: مفعول به لـ: ﴿تُقَدِّمُوا﴾ منصوب،

وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَإِذْ﴾: (الفاء): حرف استئناف، وتفريع. (إذ): فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها على بابها من المضي، والمعنى: أنكم تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه بإقامة الصلاة. قاله أبو البقاء، وهذا يعني: أنها مبنية على السكون في محل نصب متعلقة بالفعل «تركتم» المقدر. والثاني: أنها بمعنى: (إذا)، كقوله تعالى في سورة (غافر) رقم [٧١]: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾. والثالث: أنها بمعنى: (إن) الشرطية، وهو قريب مما قبله، إلا أن الفرق بين «إن» و«إذا» معروف. انتهى. جمل نقلاً من السمين.

﴿لَمْ تَفْعَلُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: لم تفعلوا الصدقة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿وَتَابَ﴾: (الواو): واو الحال. (تاب الله): ماض، وفاعله. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، و«قد» قبلها مقدرة. ﴿فَأَقِيمُوا۟﴾: (الفاء): واقعة في جواب إذ. (أقيموا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها لوقوعها جواباً لـ: (إذ)، والجملتان بعدها معطوفتان عليها، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٣].

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ﴾ أي: ألم تنظر إلى الذين... إلخ، فهو تعجيب للرسول ﷺ من أمر المنافقين؛ الذين اتخذوا اليهود أصدقاء؛ أي: ألا تعجب يا محمد من حال هؤلاء المنافقين، الذين يزعمون الإيمان، وقد اتخذوا اليهود المغضوب عليهم أولياء، يناصحونهم، وينقلون إليهم أسرار المؤمنين. والذين غضب الله عليهم هم اليهود لقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٦١]: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وقوله تعالى في سورة (المائدة) رقم [٦٠]: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾. ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾: يعني: إن المنافقين ليسوا منكم في الدين، والولاء، ولا هم من اليهود، فهم مذبذبون بين ذلك، كما قال تعالى في سورة (النساء) رقم [١٤٣]: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾. ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون، نزلت الآية الكريمة في عبد الله بن نبتل المنافق، كان يجالس رسول الله ﷺ، ويرفع حديثه إلى اليهود، فبينا رسول الله ﷺ في حجرة من حجره؛ إذ قال: «**يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار، وينظر بعيني شيطان**». فدخل عبد الله بن نبتل، وكان أزرق العينين أسمر البشرة، قصيراً خفيف اللحية، فقال له النبي ﷺ: «**علام تشتمني أنت وأصحابك؟!**». فحلف بالله: ما فعل، وجاء

بأصحابه، فحلفوا ما سبوه، فأنزل الله الآية. هذا؛ وحلفهم على الكذب تكرر ذكره في الآية رقم [٦٢] من سورة (النساء) وفي الآيات: [٤٢- ٥٦- ٦٢-٧٤-٩٥-٩٦-١٠٧] من سورة (التوبة). هذا؛ وفائدة الإخبار عنهم: أنهم يعلمون بيان ذمهم بارتكابهم اليمين الغموس؛ التي تغمس صاحبها في النار، فلا يرد ما فائدة قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: انظر الآية رقم [٧]. ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿تَوَلَّوْا۟﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ في محل نصب صفة ﴿قَوْمًا﴾. ﴿مَّا﴾: نافية حجازية تعمل عمل: «ليس»، أو هي مهملة لا عمل لها. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم ﴿مَّا﴾، أو في محل رفع مبتدأ. ﴿مِّنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿مَّا﴾، أو بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية على الاعتبارين فيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها مستأنفة، لا محل لها. والثاني: في محل نصب حال من فاعل ﴿تَوَلَّوْا۟﴾. والثالث: أنها في محل نصب صفة ثانية لـ: ﴿قَوْمًا﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم والرابط على الحالية والوصفية الضمير. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية. ﴿مِنْهُمْ﴾: معطوفان على ﴿مِّنكُمْ﴾ عطف مفرد على مفرد، وإن اعتبرت الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف لدلالة ما قبله؛ فالعطف يكون عطف جملة على جملة. تأمل.

(يحلفون): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿تَوَلَّوْا۟...﴾ إلخ فهي من جملة الصلة، وعليه تكون جملة: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ...﴾ إلخ معترضة بين المتعاطفتين على الوجه الأول فيها. ﴿عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَهُمْ﴾: (الواو): واو الحال. (هم): مبتدأ، وجملة: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٥﴾

الشرح: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ...﴾ إلخ أي: هيأ الله للمنافقين عذاباً شديداً في الدرْك الأسفل من النار، كما قال تعالى في سورة (النساء) رقم [١٤٥]: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ وذلك لأنهم أخبث من الكفرة، وأضر على المسلمين منهم؛ لأنهم يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر، ويضمون إلى كفرهم الاستهزاء، والسخرية بالإسلام، والمسلمين. ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ﴾: يجوز في هذا الفعل أن يكون على بابه من التصرف، والتعدي، ومفعوله

محذوف؛ أي: ساءهم الذي كانوا يعملونه، أو عملهم، وأن يكون جارياً مجرى: «بئس» فيحول إلى فعُل بالضم، ويمتنع تصرفه، ويصير للذم، ويكون المخصوص بالذم محذوفاً. والمعنى: بئست أعمالهم الخبيثة، من نفاقهم وأيمانهم الكاذبة وصدهم الناس عن الإيمان بالله، ورسوله.

الإعراب: ﴿أَعَدَّ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة؛ فلست مفنداً، ويكون الرابط: الضمير فقط، و«قد» قبلها مقدرة، ﴿عَذَابًا﴾: مفعول به. ﴿شَدِيدًا﴾: صفة له. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿سَآءَ﴾: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله مستتر فيه وجوباً فسره التمييز، وهو: ﴿مَا﴾ فإنها نكرة موصوفة بمعنى: «شيئاً» مبنية على السكون في محل نصب، والجملة الفعلية بعدها صفتها، والرابط محذوف، التقدير: ساء الشيء شيئاً كانوا يعملونه، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: المذموم عملهم. وهذا الإعراب على اعتبار الفعل جامداً، وأما على اعتباره متصرفاً؛ فمفعوله محذوف، التقدير: ساءهم، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعله، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف. التقدير: ساءهم الذي، أو شيء كانوا يعملونه. وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ساءهم عملهم. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ مع مفعوله المحذوف في محل نصب خبر (كان). وجملة: ﴿سَآءَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ أي: جعلوا أيمانهم الكاذبة الفاجرة وقاية لأنفسهم، ولأموالهم؛ سترة من القتل، والاستيلاء عليها. قال في التسهيل: أصل الجنة ما يستتر به، ويتقى به المحذور كالترس، ثم استعمل هنا بطريق الاستعارة؛ لأنهم كانوا يظهرون الإسلام؛ ليعصموا دماءهم، وأموالهم وانظر الآية رقم [٢] من سورة (المنافقون). ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: فمنعوا الناس عن الدخول في الإسلام، بإلقاء الشبهات في قلوب الضعفاء، والمكر، والخداع بالمسلمين. ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: فلهم عذاب شديد في غاية الشدة والإهانة، فهو وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم. وقيل: الأول عذاب السعير، وهذا عذاب الآخرة. هذا؛ وقد وعدهم الله العذاب المخزي؛ لكفرهم وصدهم الناس عن سبيل الله، كما قال تعالى في سورة (النحل) رقم [٨٨]: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾.

هذا؛ و﴿أَيْمَـٰنَهُمْ﴾ جمع: يمين بمعنى: الحلف بالله، أو بصفة من صفاته، أو اسم من أسمائه. قال تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ رقم

[٢٢٤] من سورة (البقرة). واليمين أيضاً: اليد اليمنى، وتجمع أيضاً على: أيمان، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ وهو كثير في القرآن الكريم. هذا؛ ويقرأ بكسر الهمزة. والإيمان الصحيح هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان. ولما سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان. قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى**». والإيمان يزيد وينقص على المعتمد، كما رأيت في الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال)، وله شعب كثيرة، وفروع عديدة، وهي سبع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إلَهَ إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. ولا يجمع بهذا المعنى؛ لأنه مصدر، بخلاف ما تقدم.

هذا؛ وصد يصد يأتي بمعنى: يمنع، ويصرف، وهو ما في هذه الآية، وهو بضم الصاد، ويأتي بمعنى: يعرض، ويميل، ومنه قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ رقم [٦٨] من سورة (النساء)، وهو بهذا المعنى يأتي بضم الصاد، وكسرها، كما يأتي بمعنى: يضجون فرحاً، ومنه قوله تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٥٧]: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾.

الإعراب: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾: مفعول به أول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿جُنَّةً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية مفسرة لقوله: ﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، أو هي بدل منها؛ لأنك لو طرحت الأولى لا يخل بالمعنى طرحها. ﴿فَصَدُّواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (صدوا): ماض، وفاعله، ومفعوله محذوف التقدير: صدوا الناس، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿عَن سَبِيلِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَلَهُمْ﴾: (الفاء): حرف عطف، وتعقيب. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مُّهِينٌ﴾: صفة ﴿عَذَابٌ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها.

﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ أي: لن تنفعهم أموالهم، ولا أولادهم في الآخرة، ولن تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله. وقدم الله ذكر الأموال في هذه الآية، وكثير غيرها على الأولاد؛ لأنها أول عدة يفزع إليها عند نزول الخطوب، ولأن المال شقيق الروح، فقد يفرط الإنسان بروحه في سبيل الدفاع عن ماله، وقد يبيع شرفه، ومروءته، وكرامته في سبيل تحصيل المال، وقد يسبب له جمع المال العذاب الأليم في نار الجحيم، ولا سيما في هذا الزمن الذي صار الإنسان لا يبالي ما أخذ: من حلال، أو من حرام. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى المنافقين الموصوفين

في الآيات السابقة، واللاحقة. هذا؛ وقد ذكر الله هذه الآية بحروفها كاملة في سورة (آل عمران) رقم [١١٦] ولكنها صدرت هناك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾. ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: بمعنى: مالكيها لملازمتهم لها وعدم انفكاكهم عنها، ويقال مثله ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾. ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: مقيمون مخلدون، لا يخرجون منها أبداً.

الإعراب: ﴿لَّن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿تُغْنِيَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿لَّن﴾. ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَمْوَٰلُهُمْ﴾: فاعله. ﴿وَلَآ﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: صلة لتأكيد النفي. ﴿أَوْلَٰدُهُم﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿تُغْنِيَ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، والجار والمجرور في محل نصب مفعول به. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول مطلق، أو نائب عنه. هذا؛ وجوز أن يكون مفعولاً به، وعليه فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال منه، كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً على القاعدة؛ التي ذكرتها مراراً.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّارِ﴾ مضاف إليه، من إضافة جمع اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدُونَ﴾ بعدهما. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، أوهي في محل نصب حال من: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾، أو من: ﴿ٱلنَّارِ﴾، وفيها معنى التأكيد للكلام السابق، والرابط: الضمير على الاعتبارين. وهذه الجملة يكثر ذكرها في كثير من السور.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يحشرهم الله جميعاً للحساب، والجزاء، ومثله الآية رقم [٦]. ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أي: فيحلفون لله على أنهم مسلمون، وأنهم كانوا على الهدى، والاستقامة، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الآية رقم [٢٣] من سورة (الأنعام). ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ أي: كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا؛ لأن من عاش على شيء مات عليه، وبعث عليه، ويعتقدون: أن ذلك ينفعهم عند الله، كما كان ينفعهم عند الناس، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: يظنون أن حلفهم في

الآخرة ينفعهم، وينجيهم من عذابها، كما نفعهم في الدنيا بدفع القتل عنهم، وذلك؛ لأن تمكن النفاق في قلوبهم، بحيث يخيل إليهم في الآخرة أن الأيمان الكاذبة تروِّج الكذب على الله كما تروِّجه على المؤمنين في الدنيا. قال أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ: والعجب منهم كيف يعتقدون: أن كفرهم يخفى على علام الغيوب، ويجرونه مجرى المؤمنين في عدم اطلاعهم على كفرهم، ونفاقهم، والمقصود: أنهم تعودوا الكذب حتى كان على ألسنتهم في الآخرة، كما كان في الدنيا. ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ أي: البالغون الغاية في الكذب؛ حيث يكذبون يوم القيامة بين يدي عالم الغيب، والشهادة.

أقول: ولا يستغرب من المنافقين الكذب في الدنيا وفي الآخرة؛ لأنهم مطبوعون عليه، وهو وصف لازم لهم. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**آيةُ المنافِقِ ثلاثٌ: إذَا حدَّثَ كَذَبَ، وإذَا وعَدَ أخْلَفَ، وإذَا أُؤْتُمِنَ خانَ**». رواه البخاري، ومسلم، وزاد مسلم في رواية له: «**وإنْ صلَّى، وصامَ، وزعَمَ: أنه مُسْلِمٌ**». وبين الله عز وجل أن افتراء الكذب ديدَن الذين لا يؤمنون بآيات الله. قال تعالى في سورة (النحل) رقم [١٠٥]: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ انظر شرح هذه الآية هناك تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وانظر سورة (المنافقون) رقم [١].

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿مُّهِينٌ﴾، أو بـ: ﴿عَذَابٌ﴾، أو بالاستقرار الواقع خبراً، وهو قوله: (لهم) وعلى هذه الأوجه فالآية بينهما كلها معترضة، أو هو متعلق بمحذوف، تقديره: اذكر، وهو أقوى هنا. ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾: مضارع، ومفعوله، وفاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الضمير المنصوب، فهي حال مؤكدة. ﴿فَيَحْلِفُونَ﴾: (الفاء): حرف عطف، وجملة: (يحلفون له) معطوفة على ما قبلها فهي في محل جر مثلها. ﴿كَمَا﴾: (الكاف): حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿يَحْلِفُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) والفعل: (يحلفون) في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما قبله، التقدير: يحلفون له حلفاً كائناً مثل حلفهم لكم، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل ذلك أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم. وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها. ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾: الواو: حرف عطف. (يحسبون): فعل مضارع... إلخ. والواو فاعله. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه الفعل، والهاء اسمها. ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (يحسبون) وجملة (يحسبون...) إلخ معطوفة على ما قبلها. هذا؛

وقال الجمل: في محل نصب حال من فاعل (يحلفون) وهذا هفوة منه؛ لأن المضارع المثبت لا تقع جملته حالاً إلا بتقدير مبتدأ قبلها. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وذاتُ بَدْءٍ بمضارعٍ ثَبَتْ حَوَتْ ضميراً، ومِنَ الواوِ خَلَتْ

وذاتُ واو بعدَها انوِ مبتدا لهُ المضارع اجعلَنَّ مُسْنَدَا

﴿أَلَآ﴾: حرف تنبيه، واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له، أو هو توكيد لاسم (إنَّ) على المحل. ﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾: خبر (إنَّ). هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، و﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ خبره، فالجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ...﴾ إلخ ابتدائية، لا محل لها من الإعراب.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ أي: استولى على قلوبهم الشيطان، وغلب عليهم، وتملك نفوسهم؛ حتى أنساهم أن يذكروا ربهم، وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ ثلاثةٍ في قرْيةٍ، ولا بَدْوٍ، لا تُقَامُ فيهمُ الصلاةُ إلا قَدْ استحوَذَ عليهِمُ الشيطانُ، فعليكمْ بالجماعَةِ، فإنما يأْكُلُ الذِّئْبُ منَ الغنمِ القاصِيَةَ**». أخرجه أحمد، وأبو داود، والنسائي عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ. ولا ريب: أن المراد بإقامة الصلاة: الصلاة في الجماعة.

قال شاه الكرماني: علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل، والملابس، ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله، ونعمائه، والقيام بشكرها. ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب، والغيبة، والبهتان. ويشغل لبه عن التفكر، والمراقبة بتدبير الدنيا، وجمعها.

هذا؛ و﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾ من حذت الإبل، وحزتها: إذا استوليت عليها. الأول بالذال، والثاني بالزاي، وكون استحوذ من الثاني من حيث الاشتقاق الأكبر. قال القاضي البيضاوي: وهو مما جاء على الأصل، يعني على خلاف القياس، فإن القياس: استحاذ بقلب الواو ألفاً، كاستعان، واستعاذ، واستقام، ولكن استحوذ هاهنا أجود؛ لأن الفعل في هذا المعنى لا يستعمل إلا بزيادة. انتهى. نسفي. هذا؛ ومما جاء على الأصل مثل استحوذ: استصْوَب، واستنْوَق، مع العلم: أن هذا الفعل لم يذكر في غير هذه السورة، وذكر بلفظ المضارع في سورة (النساء) رقم[١٤١] فقط. هذا؛ والنسيان: مصدر: نسيت الشيء، أنساه، وهو مشترك بين معنيين: أحدهما: ترك الشيء عن ذهول، وغفلة، والثاني: عن تعمد، وقصد.

هذا؛ و(الحزب) في اللغة أصحاب الرَّجل؛ الذين يكونون معه على مثل رأيه، وهم القوم الذين يجتمعون معه لأمر حزبه، يعني: أهمه، والجمع: أحزاب. هذا؛ وكل حزب لا يكون سائراً على الجادة المستقيمة؛ فهو حزب الشيطان، يعني: أتباعه، وأنصاره، وأعوانه، وهم الخاسرون، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي: الكاملون في الخسران؛ لأنهم فوتوا على أنفسهم النعيم الدائم، وعرَّضوها للعذاب المقيم. وكل حزب يسير على الجادة المستقيمة فهو حزب الله، وحزب الله هم المفلحون، هم الناجون من غضب الله، وعقابه، الفائزون برحمة الله، ورضوانه.

الإعراب: ﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾: فعل ماض. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، أو مبتدأة لا محل لها على الاعتبارين. ﴿فَأَنسَىٰهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (أنساهم): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء مفعول به أول، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾. تقديره: هو. ﴿ذِكْرَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿حِزْبُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ مضاف إليه. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَلَآ﴾: حرف تنبيه، واستفتاح مثل سابقه. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿حِزْبَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ مضاف إليه. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل، لا محل له. ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، و﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ خبره؛ فالجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ حِزْبَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: انظر الآية رقم [٥] ففيها الكفاية. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ أي: في جملة الأذلين، أو مع الأذلين في الدنيا، والآخرة؛ لأن ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثاني، ولما كانت عزة الله، ورسوله غير متناهية، كانت ذلة من يحادهما، وينازعهما غير متناهية. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه، وانظر كَبْتَهُم في الآية رقم [٥].

الإعراب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: انظر الآية رقم [٥] فهي مثلها إفراداً وجملة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢١﴾

الشرح: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ أي: قدر الله، وقضى قضاء ثابتاً في اللوح المحفوظ، الذي لا يبدل، ولا يغير. هذا؛ وقيل: غلبة الرسل على نوعين: فمنهم من يؤمر بالحرب، فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب، فهو غالب في الحجة. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (الصافات): ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ وقال تعالى في سورة (غافر) رقم [٥١]: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾.

الإعراب: ﴿كَتَبَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَأَغْلِبَنَّ﴾: (اللام): واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: وعزتي وجلالي. (أغلبن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر، تقديره: «أنا». ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع توكيد للضمير المستتر. ﴿وَرُسُلِيٓۚ﴾: معطوف على الضمير المستتر، فهو مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية جواب القسم المحذوف لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مفعول به لفعل: ﴿كَتَبَ﴾. هذا؛ وقال الجمل: ضمن ﴿كَتَبَ﴾ معنى: أقسم؛ ولذا أجيب بما يجاب به القسم، وهو قوله: ﴿لَأَغْلِبَنَّ...﴾ إلخ وضعفه أبو البقاء، وما قاله الجمل قيل به في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ...﴾ إلخ رقم [١٢] من سورة (الأنعام). ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: خبران لـ: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾

الشرح: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا...﴾ إلخ أي: لا يمكن أن ترى أيها السامع جماعة يؤمنون بالله، واليوم الآخر الإيمان الكامل يحبون، ويوالون من عادى الله، ورسوله، وخالف أوامرهما؛ لأن

من أحب الله؛ عادى أعداءه، و لا يجتمع في قلب واحد حب الله، وحب أعدائه، كما لا يجتمع النور، والظلام. قال المفسرون: غرض الآية: النهي عن مصادقة، ومحبة الكفرة، والمجرمين من المسلمين، ولكنها جاءت بصورة إخبار مبالغة في النهي، والتحذير. انتهى. صفوة التفاسير.

قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: قد أجمعت الأمة على أنه تجوز مخالطتهم، ومعاملتهم، ومعاشرتهم، فما هذه المودة المحظورة؟ قلت: المودة المحظورة هي: مناصحتهم، وإرادة الخير لهم ديناً ودنيا مع كفرهم، فأما ما سوى ذلك؛ فلا حظر فيه. انتهى.

وقال القرطبي: قال السدي: نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ جلس إلى النبي ﷺ، فشرب النبي ﷺ ماءً، فقال له: بالله يا رسول الله ما أبقيت من شرابك فضلة أسقيها أبي، لعلَّ الله يُطهر بها قلبه؟ فأفضل له، فأتاه بها، فقال له والده: ما هذا؟ فقال: هي فضلة من شراب النبي ﷺ، جئتك بها تشربها، لعل الله يطهر قلبك بها! فقال له أبوه: فهلا جئتني ببول أمك، فإنه أطهر منها! فغضب، وجاء إلى النبي ﷺ، وقال: يا رسول الله! أما تأذن لي في قتل أبي؟ فقال النبي ﷺ: «**بل ترفق به، وتحسن إليه**». وقال ابن جريج ـ رحمه الله تعالى ـ: حُدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ، فصكه أبو بكر ابنه ـ رضي الله عنه ـ صكةً، فسقط منها على وجهه، ثم أتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: «**أو فعلته؟! لا تعد إليه!**». فقال: والذي بعثك بالحق نبياً لو كان السيف مني قريباً؛ لقتلته! وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح ـ رضي الله عنه ـ قتل أباه يوم أحد. وقيل: يوم بدر، وكان الأب يتصدى لأبي عبيدة، وأبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة، فقتله، فأنزل الله حين قتل أباه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ الآية، وهذا قاله كثير من المفسرين، وهو المعتمد.

﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ يعني: أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ دعى ابنه عبد الله. وقيل: عبد الرحمن إلى البراز يوم بدر فقال له النبي ﷺ: «**مَتِّعْنَا بنفسِكَ يا أبا بكرٍ! أَمَا تَعْلَمُ أَنَّكَ عندِي بمنزلَةِ السَّمْعِ والبصَرِ؟!**». ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ يعني: مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ قتل أخاه عبيد بن عمير يوم بدر. ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ يعني: عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر. وعلياً، وحمزة ـ رضي الله عنهما ـ قتلا عتبة، وشيبة، والوليد يوم بدر، وهم بنو عمهم، وعشيرتهم. انتهى. قرطبي بتصرف. هذا؛ وقد بدأ الله بالآباء؛ لأن طاعتهم واجبة على الأولاد، ثم بالأبناء؛ لأنهم أعلق بالقلوب، ثم بالإخوان؛ لأن بهم التعاضد، ثم بالعشيرة؛ لأن بهم التناصر، والمقاتلة، والتغلب على الأعداء. قال قُرَيْط بن أُنَيْف العنبري في مدح بني مازن: [البسيط]

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ ... طَارُوا إِلَيْهِ زرَافَاتٍ وَوِحْدَانَا

لا يسألونَ أخاهُمْ حينَ يَنْدُبُهُمْ ... في النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا

﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: أثبت الإيمان، ومكنه في قلوبهم، فهي مؤمنة موقنة مخلصة، وإنما ذكر القلوب؛ لأنها موضع الإيمان. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: قواهم بنصر منه. وإنما سمى نصره إياهم: روحاً؛ لأن أمرهم حَيِيَ به. وقيل: بالإيمان. وقيل: بالقرآن. وقيل: بجبريل. وقيل: برحمته. وقال ابن جريج: أيدهم بنور، وإيمان، وبرهان، وهدىً. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: ويدخلهم في الآخرة بساتين، وحدائق فسيحة تجري من تحت قصورها أنهار الجنة. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: ماكثين فيها أبد الآبدين. لم يذكر الأبد هنا، وذكر في آخر سورة (المائدة)، وغيرها، ويحمل المطلق على المقيد.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي: قبل الله أعمالهم، فرضي عنهم، ونالوا ثوابه، فرضوا بما أعطاهم. جاء في مختصر ابن كثير ما يلي: وفي قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ سر بديع، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى؛ عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم. ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أي: هؤلاء حزب الله، وخاصته، وأهل كرامته. ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: هذا تنويه بفلاحهم، وسعادتهم في الدنيا، والآخرة. وهذا كله في مقابلة قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ...﴾ إلخ.

قال سعيد بن أبي سعيد الجرجاني ـ رحمه الله تعالى ـ عن بعض مشايخه: قال داود عليه السلام: إلهي مَنْ حزبك، وحول عرشك؟ فأوحى الله إليه: يا داود الغاضة أبصارهم، النقية قلوبهم، السليمة أكفهم، أولئك حزبي، وحول عرشي. انتهى. قرطبي.

وفي الحديث: «**إن الله يحبُّ الأتقياءَ الأخفياءَ الأبرياءَ؛ الذين إذا غابوا؛ لم يفتقدوا، وإذا حضروا؛ لم يُدعوا، قلوبهم مصابيحُ الهدى، يخرجون مِنْ كلِّ فِتْنَةٍ سوداءَ مظلمةٍ؛ فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله فيهم:** ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾». أخرجه ابن أبي حاتم. وقال الحسن ـ رضي الله عنه ـ: قال رسول الله ﷺ: «**اللهمَّ لا تجعلْ لفاجر ولا لفاسقٍ عندي يداً ولا نعمةً، فإني وجدت فيما أوحيته إليَّ:** ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ...﴾ **إلخ**». أخرجه أبو أحمد العسكري. انتهى. مختصر ابن كثير.

هذا؛ وقال النسفي: وعن الثوري أنه قال: كانوا يرون: أن الآية نزلت فيمن يصحب السلطان. وعن عبد العزيز بن أبي روَّاد: أنه لقي المنصور العباسي في الطواف، فلما عرفه هرب منه، وتلاها. وقال سهل: من صح إيمانه، وأخلص توحيده؛ فإنه لا يأنس بمبتدع، ولا يجالسه، ويظهر له من نفسه العداوة، ومن داهن مبتدعاً؛ سلبه الله حلاوة السنن، ومن أجاب مبتدعاً لطلب عز الدنيا، أو غناها؛ أذله الله بذلك العز، وأفقره بذلك الغنى، ومن ضحك إلى مبتدع؛ نزع الله نور الإيمان من قلبه، ومن لم يصدق؛ فليجرب. انتهى.

تنبيه: تكرر رضا الله عن عباده، ورضا عباده عنه في القرآن الكريم، ويجدر بي أن أقول: إن رضا الله عن العبد موقوف على رضا العبد عن الله تعالى، وفحوى هذا: أن العبد إذا رضي بكل شيء يصيبه في دنياه من صحةٍ، أو مرضٍ، أو غنىً، أو فقر، فيكون راضياً عن الله تعالى؛ فالله يثيبه رضاه؛ أي: رحمته، وعفوه، وجوده، وإحسانه. فعليه: من أحب أن يعرف منزلته عند الله تعالى؛ فلينظر إلى منزلة الله عنده، فإن الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه، والدواء الشافي هو الرضا بقضاء الله، وقدره في كل ما يصيب المؤمن في دنياه. وخذ جرعة من هذا الدواء على لسان سيد الأنبياء: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**». رواه الإمام مسلم، وغيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. وخذ ما يلي:

قال أبو زيد ـ رحمه الله تعالى ـ: غلطت في أربعة أشياء في الابتداء مع الله تعالى، ظننت أني أحبه، فإذا هو أحبني. قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وظننت أني أرضى عنه، فإذا هو قد رضي عني. قال تعالى: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، وظننت أني أذكره، فإذا هو يذكرني. قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وظننت أني أتوب إليه، فإذا هو قد تاب عليّ. قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾. هذا؛ و(آباء) جمع: أب، وأصله: أبو، وجمعه آباوٌ، و(أبناء) جمع: ابن، وأصله بَنوٌ، فجمعه أبناوٌ، وصحح مكي: أن أصله: بني، وجمعه أبناي، و«نساء» أصله: نسايٌ، فقل في إعلال الثلاثة: تحركت الواو والياء، وانفتح ما قبلهما، فقلبتا ألفا ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة. ومثل ما ذكر: سماء، وكساء، وبناء، وبيداء... إلخ.

الإعراب: ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿تَجِدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿قَوْمًا﴾: مفعول به. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب صفة قوماً. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَٱلْيَوْمِ﴾: الواو: حرف عطف. (اليوم): معطوف على ما قبله. ﴿ٱلْـَٔاخِرِ﴾: صفة (اليوم). ﴿يُوَآدُّونَ﴾: فعل مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان لـ: ﴿تَجِدُ﴾، إن كان بمعنى (تعلم) وإن كان بمعنى: تصادف، وتلقى؛ فالجملة في محل نصب حال، أو صفة ثانية لـ: ﴿قَوْمًا﴾، وساغ مجيء الحال منه بعد وصفه بالجملة بعده. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿حَآدَّ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿مَنْ﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة ﴿مَنْ﴾، لا محل لها. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَوْ﴾: (الواو): واو الحال. (لو): وصلية. ﴿كَانُوٓا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم،

والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿ءَابَآءَهُمْ﴾: خبر ﴿كَانُوٓاْ﴾ وما بعده معطوف عليه، والهاء في الجميع في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: (لو كانوا...) إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، والجملة: ﴿لَّا تَجِدُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿كَتَبَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْإِيمَٰنَ﴾: مفعول به. ﴿وَأَيَّدَهُم﴾: الواو: حرف عطف. (أيدهم): فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها. ﴿بِرُوحٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِّنْهُۖ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (روح).

﴿وَيُدْخِلُهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (يدخلهم): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والهاء مفعوله الأول. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. ﴿تَجْرِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، (وها): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعل ﴿تَجْرِي﴾، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من الضمير المنصوب، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهَاۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال ثانية من الضمير المنصوب. ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾: معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ...﴾ إلخ انظر إعراب مثله إفراداً، وجملاً في الآية رقم [١٩].

انتهت سورة (المجادلة) شرحاً وإعراباً بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين




سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (الحشر) مدنية في قول الجميع. قال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: قلت لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: سورة (الحشر) فقال: قل: سورة بني النَّضِير، وهم رهط من اليهود من ذرية هارون عليه السلام، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل انتظاراً لمحمد ﷺ، وكان من أمرهم ما نص الله عليه في القرآن. وهي أربع وعشرون آيةً، وأربعمئةٍ، وخمس وأربعون كلمةً، وألف وتسعمئة، وثلاثة عشر حرفاً. انتهى. خازن.

هذا؛ وروى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قرأ سورةَ الحشر، لَمْ يبق شيءٌ مِنَ الجنةِ، والنارِ، والعرشِ، والكرسيّ، والسمواتِ، والأرضِ، والهوام، والرّيح، والسحاب، والطيرِ، والدوابِّ، والشجرِ، والجِبالِ، والشمسِ، والقمرِ، والملائكةِ، إلا صَلَّوْا عَلَيْهِ، واستَغْفَروا لَهُ، فإنْ ماتَ من يومِهِ، أو مِنْ ليلَتِهِ؛ ماتَ شَهِيداً**». خرجه الثعلبي.

وخرج الثعالبي عن يزيد الرقاشي، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قرأ آخرَ سورةِ الحشر:** ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ **إلى آخرها فمات من ليلته ماتَ شهيداً**». وروى الترمذي عن معقل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قال حينَ يصبحُ ثلاثَ مرَّاتٍ: أعوذ باللهِ السميع العليم مِنَ الشيطانِ الرجيم، وقرأ ثلاث آياتٍ من آخر سورةِ الحشرِ؛ وكَّلَ الله به سبعينَ ألف مَلَكٍ يُصَلُّونَ عليهِ حتَّى يُمسي، وإن مات في يومِهِ؛ مات شهيداً، ومَنْ قرأهَا حِينَ يُمسي؛ فكذلك**». قال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. انتهى. قرطبي.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾

الشرح، والإعراب لا حاجة إلى المزيد عما ذكرته في الآية رقم [١] من سورة (الحديد).

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾

الشرح: قال المفسرون: نزلت هذه السورة في بني النضير، وهم طائفة من اليهود، وذلك:

أن النبي ﷺ، لما دخل المدينة صالحه بنو النَّضيرِ، وغيرهم من قبائل اليهود على أن لا يقاتلوه، ولا يقاتلوا معه، فقبل ذلك رسول الله ﷺ. فلما وقعت غزوة بدر، وانتصر الرسول ﷺ على المشركين؛ قال بنو النَّضير: والله إنه النبي الأمي، الذي نجد نعته في التوراة، لا ترد له راية، فلما حصلت غزوة أحد، وهُزِم المسلمون؛ ارتابوا، وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وركب كعب بن الأشرف (عربي تهود) في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة، فأتوْا قريشاً، فحالفوهم، وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ، ودخل أبو سفيان في أربعين من قريش، وكعب بن الأشرف في أربعين من اليهود المسجد الحرام، وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار الكعبة، ثم رجع كعب ـ أخزاه الله ـ وأصحابه إلى المدينة، فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام، فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه كعب، وأبو سفيان، وأمره بقتل كعب بن الأشرف، فقتله محمد بن مسلمة ـ رضي الله عنه ـ غيلة.

وكان النبي ﷺ قد اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين، اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري ـ رضي الله عنه ـ في منصرفه من بئر معونة، فهموا بطرح حجر على النبي ﷺ من الحصن، فعصمه الله منهم، وأخبره بذلك، وقد تقدمت القصة في سورة (المائدة) فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله ﷺ، وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير، وكانوا بقرية يقال لها: زهرة، فلما سار إليهم النبي ﷺ وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف، فقالوا: يا محمد! واعية على إثر واعية، وباكية على إثر باكية؟! قال: «**نعم**». فقالوا: ذرنا نَبْكِ شجْوَنا، ثم ائتمر أمرك، فقال النبي ﷺ: «**اخرجوا من المدينة**». فقالوا: الموت أحب إلينا من ذلك، ثم تنادَوْا بالحرب، وأذَّنوا بالقتال، ودسَّ المنافقون عبد الله بن أُبَيٍّ وأصحابه ألَّا تخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم؛ فنحن معكم، ولا نخذلكم، ولننصرنكم، ولئن أخرجتم لنخرجن معكم، فدُرِّبوا على الأزقة، وحصَّنوها.

ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ، فأرسلوا إليه أن اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرجْ منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك، فيسمعوا منك، فإن صدقوك، وآمنوا بك؛ آمنا كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حَبراً من اليهود، حتى كانوا في براز من أصحابه، فقال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه، ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه، كلهم يحب الموت قبله، ولكن أرسلوا إليه كيف نفهم، ونحن ستون؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فيسمعون منك، فإن آمنوا بك؛ آمنا بك، وصدقناك.

فخرج إليهم رسول الله ﷺ في ثلاثة من أصحابه، وخرج ثلاثة من اليهود، معهم الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير، إلى أخيها، وهو رجل من

الأنصار، فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ، فأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبي ﷺ فسارَّه بخبرهم، قبل أن يصل إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان من الغد؛ صبحهم رسول الله ﷺ بالكتائب، فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وأيسوا من نصر المنافقين، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به، فقبلوا ذلك، فصالحهم على الجلاء. وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم، إلا الحلقة، (وهي السلاح) وعلى أن يخلوا لهم ديارهم، وعقارهم وسائر أموالهم.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: على أن يحمل كل أهل بيت على بعير ما شاؤوا من متاعهم، وللنبي ﷺ ما بقي. وقيل: أعطى كل ثلاثة نفر بعيراً، وسقاءً، ففعلوا، وخرجوا من ديارهم إلى أذرعاتٍ وأريحا من أرض الشام، إلا أهل بيتين منهم: آل أبي الحقيق، وآل حيي بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة بالحيرة، فذلك قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني بني النَّضيرِ، ﴿مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ يعني: التي كانت لهم في المدينة. قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير مرجع النبي ﷺ يوم أُحُد، وفتح قريظة مرجعه من الأحزاب، وبينهما سنتان. انظر فتح موطن بني قريظة في سورة (الأحزاب) تجد ما يسرك ويثلج صدرك.

﴿لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾: الحشر الجمع. قال تعالى في سورة (النمل) رقم [١٧] ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ...﴾ إلخ.

و(يحشرون) بالياء، والتاء في كثير من الآيات بمعنى: يساقون، ويجمعون، والمراد بأول الحشر هنا: طردهم وإجلاؤهم من المدينة المنورة إلى بلاد الشام، وغيرها، والمراد بالحشر الثاني: طردهم من خيبر، وجميع الجزيرة العربية في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى أذرعاتٍ، وأريحا، وغيرها. وقيل: ما تقدم هذا أول الحشر من المدينة، ونحوها، والحشر الثاني: نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا. والمعتمد الأول.

﴿مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ﴾: لشدة بأسهم، ووثاقة حصونهم، وكثرة عددهم، ووفرة عدتهم. خرجوا؛ وهم مهانون ذليلون. ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: وظن بنو النضير: أن حصونهم الحصينة تمنعهم من بأس الله، وتدفع عنهم عذابه، وانتقامه. هذا؛ وحصونهم هي: الوطيح، والنَّطاة، والسلالِم، والكتيبة. وفي قوله: ﴿مَا ظَنَنتُمۡ...﴾ إلخ طباق السلب. ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أمر الله، وعذابه، وعقابه. ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ﴾: من حيث لم يظنوا، ولم يخطر ببالهم، وفي كثير من الآيات قوله تعالى: ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾. ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ﴾ أي: الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الأشرف، وقذفه: إثباته في قلوبهم. وفي البخاري ومسلم قول النبي ﷺ: **«نُصِرْتُ بالرعب مِنْ مسيرةِ شهْرٍ»**. فكيف لا ينصره بالرعب مسيرة ميل من المدينة المنورة إلى محلة بني النضير؟ وهذه خِصِّيصى لمحمد ﷺ دون غيره.

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الزهري: وذلك: أن النبي ﷺ لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الإبل، كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم، فيهدمون، وينزعون منها ما استحسنوه منها، فيحملونه على إبلهم، ويخرب المؤمنون باقيها. وقيل: كانوا يقلعون العمد، وينقضون السقوف، وينقبون الجدران، لئلا يسكنها المؤمنون حسداً منهم، وبغضاً. وقيل: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها، ويخربها اليهود من داخلها، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانوا كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها، لتتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارها، فيخرجون إلى التي بعدها، فيتحصنون فيها، ويكسرون ما يليهم، ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ. انتهى. خازن. فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذي هو مآل النظم؟ أجيب بأنهم لما عرَّضوا المؤمنين لذلك، وكانوا السبب فيه صاروا كأنهم أمروهم به، وكلفوهم إياه. انتهى. جمل نقلاً من الخطيب. وفي القرطبي: وكان خروج النبي ﷺ لبني النضير في ربيع الأول أول السنة الرابعة من الهجرة، ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان: سفيان بن عمير، وسعيد بن وهب، أسلما على أموالهما، فأحرزاها.

﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أي: اتعظوا يا أصحاب العقول، والألباب، فيكون ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ جمع: بصيرة، وهو غير معروف في اللغة؛ لأن جمع البصيرة: بصائر، فالأولى اعتباره جمع: بصر بمعنى العلم، والمعنى: تأملوا فيما نزل بهؤلاء، أو السبب الذي استحقوا به ذلك العقاب، فاحذروا أن تفعلوا مثل فعلهم، فتعاقبوا بمثل عقوبتهم، وهو دليل على جواز القياس. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مبتدأة، أو مستأنفة، لا محل لها. وقيل: حالية. ولا وجه له. ﴿أَخْرَجَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِىٓ﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنْ أَهْلِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و﴿مِنْ﴾ بيان لما أبهم في الموصول. وقيل: متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أعني، والأول أقوى، و﴿أَهْلِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ مضاف إليه. ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَخْرَجَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِأَوَّلِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَخْرَجَ﴾ أيضاً، واللام بمعنى: عند، و(أول) مضاف، و﴿ٱلْحَشْرِ﴾ مضاف إليه.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿ظَنَنتُمْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن»، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾: في محل

نصب سد مسد مفعولي ﴿ظَنَنتُمْ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف. (ظنوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله. ﴿أَنَّهُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾: خبر (أنَّ). ﴿حُصُونُهُم﴾: فاعل بـ: ﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾. هذا؛ ويجوز اعتباره مبتدأ مؤخراً، و﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾ خبراً مقدماً، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (أنَّ)، والهاء في محل جر بالإضافة وأن واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي (ظنوا)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾.

﴿فَأَتَىٰهُمُ﴾: (الفاء): حرف عطف. (أتاهم): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿حَيْثُ﴾ مبني على الضم في محل جر. ﴿لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها. ﴿وَقَذَفَ﴾: الواو: حرف عطف. (قذف): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلرُّعْبَ﴾: مفعول به، وجملة: (قذف...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿يُخْرِبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، وقال البيضاوي، مفسرة لـ: ﴿ٱلرُّعْبَ﴾. ﴿بُيُوتَهُم﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ﴿وَأَيْدِى﴾: معطوف عليه مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل، و(أيدي) مضاف، و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ. ﴿فَٱعْتَبِرُواْ﴾: (الفاء): هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً، وصحيحاً؛ ﴿فَٱعْتَبِرُواْ﴾. (اعتبروا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل؛ لأنها جواب للشرط المقدر بـ: «إذا». (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (أولي): منادى مضاف منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و(أولي) مضاف، و﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية الندائية، لا محل لها كالجملة الفعلية قبلها.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾



الشرح: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾: قضى، وقدر الله عليهم الخروج من ديارهم. ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: في القتل والأسر، كما فعل ببني قريظة بعد سنتين، وقد علم الله أنهم

يبقون مدة، فيؤمن بعضهم، ويولد لهم من يؤمن. ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ أي: سواء قتلوا، أو لم يقتلوا؛ فلهم عذاب جهنم المؤبد، الذي لا يخرجون منه. وهذا إن ماتوا على كفرهم.

قال الإمام الفخر الرازي: الجلاء أخص من الخروج؛ لأنه لا يكون إلا للجماعة، والإخراج يكون للجماعة، والواحد. وقال بعضهم: الجلاء ما كان مع الأهل والولد، والإخراج لا يتقيد بذلك. وفي المختار: الجلاء بالمد والفتح: الأمر الجلي، تقول منه: جلا الخبر، يجلو جلاءً: وضح. والجلاء أيضاً: الخروج من البلد، والإخراج أيضاً، وقد جلوْا عن أوطانهم، وجلاهم غيرهم يتعدى، ويلزم. انتهى. جمل. هذا؛ وخذ قول سحيم بن وثيل الرياحي، وهو الشاهد رقم [٢٨٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». [الوافر]

أَنَــا ابْــنُ جَــلا وطَــلاعُ الــثَّــنَــايَــا مــتــى أَضَــعِ الــعِــمَــامَــةَ تَــعْــرِفُــونــي

الإعراب: ﴿وَلَوْلَآ﴾: (الواو): حرف استئناف. (لولا): حرف امتناع لوجود. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿كَتَبَ﴾: فعل ماض في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْجَلَآءَ﴾: مفعول به، و﴿أَن﴾ والفعل ﴿كَتَبَ﴾ في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف؛ أي: ولولا الكتب موجود. والأولى: ولولا كتب الجلاء عليهم موجود. ﴿لَعَذَّبَهُمْ﴾: اللام: واقعة في جواب (لولا). (عذبهم): فعل ماض، والهاء في محل نصب مفعول به، والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية جواب (لولا) لا محل لها، و(لولا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِي ٱلْآخِرَةِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿عَذَابُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّارِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: ذلك الجلاء، والعذاب بسبب: أنهم خالفوا الله، وعادوه، وعصوْا أمره، وارتكبوا ما ارتكبوا من جرائم، ونقضٍ للعهود في حق رسوله. ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: هذا وعيد، وتهديد، وفحواه: أن ما وقع بهم في الدنيا من الطرد، والإخراج من المدينة المنورة شيء قليل بجانب ما أعد الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم، والعقاب الشديد. هذا؛ و﴿يُشَآقِّ﴾ هنا بالإدغام. وفي سورة (الأنفال) رقم [١٣] بالفك، وقرئ هنا بالفك، وفي (الأنفال) بالإدغام أيضاً، ففي الآيتين قراءتان: الفك، والإدغام. ولم أر من تعرض للفرق بينهما، ولا أرى سوى: أنهما قراءتان، والقراءة توقيفية، والقواعد النحوية تجيز في المضارع المضعف المجزوم بجازم الفك، والإدغام. هذا؛ وللشقاق معنيان: أحدهما: الخلاف

كما في هذه الآية، ومنه قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٣٥]: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا...﴾ إلخ. والثاني: العداوة مثل قوله تعالى في سورة (هود) رقم [٨٩]: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ...﴾ إلخ، وقوله تعالى في سورة (الحج) رقم [٥٣]: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾، وقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٧٦] ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: (الباء): حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿شَآقُّوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: الواو: حرف عطف. (رسوله): معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿شَآقُّوا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ؛ أي: ذلك وقع بهم بسبب كونهم شاقوا... إلخ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف. وقيل: عاطفة، والأولى أولى. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُشَآقِّ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وحرك بالكسرة على أصل التقاء الساكنين، وقرئ بالفك في سورة (الأنفال) رقم [١٣]، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿فَإِنَّ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿شَدِيدُ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿ٱلْعِقَابِ﴾ مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها؛ إذ التقدير: شديد عقابه، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. هذا؛ وقد اختلف في خبر المبتدأ، الذي هو (مَنْ) فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: هو جملة الجواب، وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ ولا بد من تقدير رابط في جملة الجواب؛ أي: شديد العقاب له. هذا؛ وإن اعتبرت الجواب محذوفاً، التقدير: من يشاق الله؛ يعاقبه، فتكون الجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل، لا محل لها.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

الشرح: سبب نزول هذه الآية: أن النبي ﷺ لما نزل ببني النضير، وتحصنوا بحصونهم؛ أمر بقطع نخيلهم، وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك، وقالوا: يا محمد زعمت: أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح عقر الشجر، وقطع النخل؟! وهل وجدت فيما زعمت: أنه أنزل عليك الفساد في الأرض؟! فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون ذلك فساداً،

واختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: لا تقطعوا، إنه مما أفاء الله علينا، وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعه، فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وأن ذلك كان بإذن الله؛ أي: بأمره، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. قال: حَرّق رسول الله ﷺ نخل بني النضير، وقطع، وهي البُوَيْرَة، فنزل قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾. البُوَيْرَة: اسم موضع لبني النضير، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: [الوافر]

وَهَــانَ عَــلَــى سَــراةِ بَــنــي لُــؤَيٍّ حَـرِيـقٌ بـالـبُـوَيْـرَةِ مُـسْـتَـطِـيـرُ

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: النخل كلها لينة ما خلا العجوة، وكان النبي ﷺ يقطع نخلهم إلا العجوة، وأهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر: الألوان. وقيل: النخل كلها لينة إلا العجوة والبرْنِيَّة. وقيل: اللينة: النخل كلها من غير استثناء، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: في رواية أخرى عنه: هي لون من النخل. وقيل: كرام النخل. وقيل: هي ضرب من النخل يقال لتمرها: اللون، وهو شديد الصفرة، ويُرى نواه من خارجه، يغيب فيه الضرس، وكان من أجود تمرهم، وأعجبه إليهم، وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف، وأحب إليهم من وصيف، فلما رأوا المسلمين يقطعونها شق عليهم ذلك، وقالوا للمؤمنين: إنكم تكرهون الفساد، وأنتم تفسدون، دعوا هذا النخل قائماً، فهو لمن غلب عليه، فأخبر الله: أن قطعها كان بإذنه. انتهى. خازن بحروفه. هذا؛ وياء: ﴿لِّينَةٍ﴾ منقلبة عن واو لكسر ما قبلها، كالديمة.

روي: أن رجلين كانا يقطعان، أحدهما يقطع العجوة، والآخر اللون، فسألهما الرسول ﷺ، فقال أحدهما: تركتها لرسول الله، وقال الآخر: قطعتها غيظاً للكفار، فلم ينكر عليهما النبي ﷺ عملهما. وقد استدل به على جواز الاجتهاد، وعلى جوازه بحضرة النبي ﷺ؛ لأنهما بالاجتهاد فعلا. واحتج به من يقول: كل مجتهد مصيب. انتهى. كشاف، وقرطبي بتصرف. ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ أي: ليذل بني النضير، ويهينهم لخروجهم عن طاعة الله، ومخالفتهم، ومحاربتهم لرسوله. هذا؛ والفعل (يُخْزِي) من الإخزاء، وهو الإذلال. قال ذو الإصبع العدواني (شاعر جاهلي): [البسيط]

لَاهِ ابْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ عَـنـي، ولَا أَنْـتَ دَيَّـانِـي فَـتَـخْـزُونـي

هذا هو الشاهد رقم [٢٦٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، ومنه قول حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: يخاطب به من هشم وجه النبي ﷺ في غزوة أحد: [الطويل]

فَـأَخْـزَاكَ رَبِّـي يَـا عُـتَـيْـبَ بـنَ مـالِـكٍ ولَـقـاكَ قـبْـلَ الـمـوتِ إحـدَى الـصَّـوَاعِـقِ

مَـدَدْتَ يَـمِـيـنـاً لِـلـنَّـبِـيِّ تَـعَـمُّـداً وَدَمَّـيْـتَ فـاهُ قُـطِّـعَـتْ بـالـبـوارِقِ

وهو على هذا من: الرباعي من أخزى، يُخزي، وهو من الثلاثي: خَزِيَ، يَخزى خِزَايَةً بمعنى: استحيا، وخجل. قال نهشل بن حريٍّ الدارميٌّ من قصيدة يرثي بها أخاه مالكاً، وكان قد

قتل بصفين مع الإمام علي، كرم الله وجهه، وهذا هو الشاهد رقم [٣٢٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

أخٌ مَاجِدٌ لَمْ يُخْزِني يَوْمَ مَشْهَدٍ ... كَمَا سَيْفُ عَمْرٍو لَمْ تَخُنْهُ مَضَارِبُهْ

ومصدره: خَزِيَ، يَخْزَى خزايةً. قال ذو الرمة: [البسيط]

خِزَايَةً أدْرَكَتْهُ بَعدَ جَوْلَتِهِ ... مِنْ جانِبِ الحَبْلِ مخلوطاً بها الغَضَبُ

هذا؛ و﴿قَآئِمَةً﴾ أصله: قاومة؛ لأنه اسم فاعل من: قام، يقوم، فقلبت الواو ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، ولم يعتد بالألف الزائدة لكونها حاجزاً غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية منهما همزة. ومثله قل: في بائع، فإنه أصله: بايع.

الإعراب: ﴿مَا﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول به لفعل شرطه؛ إذ التقدير: أي شيء قطعتم. . . فبإذن الله. ﴿قَطَعْتُم﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية. ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿مَا﴾، و﴿مِّن﴾ بيان لما أبهم فيها. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿تَرَكْتُمُوهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله الأول، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿قَآئِمَةً﴾: مفعول به ثان، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾: متعلقان بـ: ﴿قَآئِمَةً﴾، و(ها) في محل جر بالإضافة. ﴿فَبِإِذْنِ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (بإذن): متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فقطعها بإذن، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إذْنِ) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَلِيُخْزِيَ﴾: (الواو): حرف عطف. (ليخزي): مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى الله. ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: مفعول به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف معطوف على ما قبله التقدير: وقطعتم، أو أذن لكم في القطع لإخزائهم. أو هما متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وقطْعُها، أو إذْنُه بقطعها؛ لإخزائهم. وهو أولى؛ ليكون العطف عطف جملة اسمية على مثلها.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾

الشرح: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي: وما أعاده عليه، بمعنى: صيره له، أو ردَّه عليه، فإنه كان حقيقاً بأن يكون له؛ لأنه تعالى خلق الناس لعبادته، وخلق ما خلق في الدنيا لهم،

ليتوسلوا به إلى طاعته، فهو جدير بأن يكون للمطيعين؛ والنبي ﷺ رأسهم، ورئيسهم، وبه أطاع من أطاع، فكان أحق به. ﴿مِنْهُمْ﴾: من بني النضير، أو من الكفرة. ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾: أوضعتم عليه، والإيجاف: الإيضاع في السير، وهو الإسراع، ومنه قول النبي ﷺ في الإفاضة من عرفات: «**لَيْسَ البِرَّ بِإيجَافِ الْخَيلِ وَلَا إيضَاعِ الإبل على هينتكم**». يقال: وجف الفرس: إذا أسرع، وأوجفته أنا؛ أي: حركته، وأتعبته. ومنه قول تميم بن مقبل: [الطويل]

مَذَاوِيدُ بِالبِيضِ الحَدِيثِ صِقَالُهَا عَنِ الرَّكْبِ أَحياناً إِذَا الرَّكْبُ أَوْجَفُوا

﴿مِنْ خَيْلٍ﴾: الخيل: اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويجمع على: خيول، والخيل مؤنثة؛ لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، مثل: خيل، وغنم، وإبل؛ فالتأنيث لها لازم، وإذا قالوا: خيلانِ، وغنمانِ، وإبلانِ، فإنما يريدون قطيعين من الخيل، والغنم، والإبل، وسميت الخيل خيلاً لاختيالها في مشيها؛ أي: فإنها تمشي مشية المختال؛ أي: المتكبر.

﴿وَلَا رِكَابٍ﴾: الركاب: الإبل، واحدتها: راحلة من غير جنسها؛ أي: إنه اسم جمع لا واحد له من لفظه. وقيل: واحدتها ركوبة، والركب: أصحاب الإبل في السفر دون الدواب، وهم العشرة فما فوقها، والركبان: الجماعة منهم. قال القحيف العقيلي وهذا هو الشاهد رقم [١٧٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

فَمَا رَجَعَتْ بِخَائِبَةٍ رِكَابٌ حَكِيمُ بْنُ المُسَيَّبِ مُنْتَهَاهَا

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ أي: إن سنة الله تعالى جارية على أن يسلط رسله على من يشاء من أعدائه تسليطاً غير معتاد من غير أن يقتحموا مضايق الخطوب، ويقاسوا شدائد الحروب. ﴿مَن يَشَآءُ﴾ أي: من أعدائه يقذف الرعب في قلوبهم. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادر، مقتدر، فيفعل ما يشاء من انتقام من أعدائه، ومن إمهال لهم إلى الآخرة. ومعنى الآية: أن ما خوَّل الله رسوله من أموال بني النضير شيء، لم تحصِّلوه بالقتال، والغلبة، ولكن سلطه الله عليهم، وعلى ما في أيديهم، كما كان يسلط رسله على أعدائهم. فالأمر فيه مفوض إليه، يضعه حيث يشاء. ومجمل القول: أنه لا يقسم قسمة الغنائم؛ التي قوتل عليها، وأخذت عُنوةً، وقهراً. وذلك: أنهم طلبوا القسمة، فنزلت الآية الكريمة، وبينت ما ذكر، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً، إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم: أبو دُجَانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصِّمة.

عن مالك بن أوس النضري ـ رضي الله عنه ـ: أن عمر ـ رضي الله عنه ـ دعاه؛ إذ جاءه حاجبه يرفأ: فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير،

وسعد يستأذنون؟ قال: نعم، فأدخلهم. فلبث قليلاً، ثم جاء يرفأ، فقال: هل لك في عباس، وعلي يستأذنان؟ قال: نعم، فأذن لهما، فلما دخلا. قال العباس - رضي الله عنه -: يا أمير المؤمنين! اقض بيني وبين هذا. (يعني علياً - رضي الله عنه -) فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما، وأرح أحدهما من الآخر - قال مالك بن أوس: يخيل إليَّ: أنهم قدَّموهم لذلك - فقال عمر: اتئدوا، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء، والأرض، هل تعلمون: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**» يريد بذلك نفسه. قالوا: نعم.

ثم أقبل عمر على العباس، وعلي، وقال: أنشدكما بالله الذي تقوم السماء، والأرض بإذنه، أتعلمان: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**»؟ قالا: نعم. قال عمر: إن الله خص رسوله ﷺ بخاصَّة لم يخصُصْ بها أحداً غيره، فقال: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ...﴾ إلخ فقال: فقسم رسول الله ﷺ بينكم أموال بني النضير، فو الله ما استأثرها عليكم، ولا أخذها دونكم، فقد أعطاكموها، وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال، وكان رسول الله ﷺ يأخذ منه نفقة سنة، ثم ما بقي يجعله مَجْعَلَ مال الله، فعمل بذلك رسول الله ﷺ، ثم أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السَّماء، والأرض أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم. قال: ثم أنشد عباساً، وعلياً بمثل ما نشد القوم أتعلمان ذلك؟ قالا: نعم.

قال: فلما توفي رسول الله ﷺ. قال أبو بكر: أنا وليُّ رسول الله ﷺ فقبضه أبو بكر، فعمل فيه بما عمل رسول الله ﷺ، وأنتم حينئذ. وأقبل على عليٍّ وعباس - رضي الله عنهما - وقال: أتذكران أن: أبا بكر عمل فيه كما تقولان. والله يعلم إنه لصادق، بارٌّ راشد، تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فقلت: أنا وليُّ رسول الله ﷺ وأبي بكر، فقبضته سنتين من إمارتي أعمل فيهما بما عمل فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر، والله يعلم إني فيه لصادق بارٌّ راشدٌ، تابع للحق، ثم جئتماني كلاكما؛ وكلمتكما واحدة، وأمركما جميع، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نُورثُ ما تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**». قلتما: ادفعه إلينا، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما. قلت: إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عَمِل فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر، وما عملت فيه منذ وليت، وإلا فلا تكلماني، فقلتما: ادفعه إلينا بذلك، فدفعته إليكما، أفتلتمسان مني قضاءً غير ذلك، فو الله الذي بإذنه تقوم السماء، والأرض لا أقضي فيه بقضاءٍ غير ذلك حتى تقوم الساعة! فإن عجزتما عنه فادفعاه إليَّ، فإني أكفيكماه: متفق عليه. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: (الواو): حرف استئناف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: والذي أفاء الله. ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِنۡهُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، العائد على

الموصول، و(من) بيان لما أبهم في الموصول. ﴿فَمَآ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الموصول. (ما): نافية. ﴿أَوْجَفْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، وزيدت الفاء فيها؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. هذا؛ ويضعف اعتبار (ما) هنا وفي الآية التالية شرطية. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿خَيْلٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿رِكَابٍ﴾: معطوف على لفظ ﴿خَيْلٍ﴾، والجملة الاسمية (ما أوجفتم...) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: (الواو): حرف عطف. (لكن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها ﴿يُسَلِّطُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكنَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها، وقيل: في محل نصب حال، ولا وجه له. ﴿رُسُلَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَىٰ مَن﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَشَآءُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: على الذي، أو على شخص يشاؤه، ﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (الله...) إلخ مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال؛ فلست مفنداً.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعني: من أموال أهل القرى. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي قرى قريظة، والنضير، وفدك، وقرى عرينة، وينبع. هذا؛ واختلف في قسم الفيء، فقيل: يسدس لظاهر الآية، ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة، وسائر المساجد. وقيل: يخمس؛ لأن ذكر الله للتعظيم، ويصرف الآن سهم الرسول ﷺ إلى الإمام على قول، وإلى العساكر، والثغور على قول، وإلى مصالح المسلمين على قول. وقيل: يخمس خمسهُ كالغنيمة، فإنه ﷺ كان يقسم الخمس كذلك، ويصرف الأخماس الأربعة كما يشاء، والآن على خلاف المذكور. انتهى. بيضاوي.

وفي القرطبي: وقال قوم، منهم الشافعي: إن معنى الآيتين واحد؛ أي: ما حصل من أموال الكفار بغير قتال، قسم على خمسة أسهم: أربعة منها لرسول الله ﷺ وكان الخمس الباقي على

خمسة أسهم: سهم لرسول الله ﷺ أيضاً، وسهم لذوي القربى، وهم بنو هاشم وبنو المطلب؛ لأنهم مُنِعوا الصدقة، فجعل لهم حق في الفيء، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل. وأما بعد وفاة الرسول ﷺ، فالذي كان من الفيء لرسول الله ﷺ يصرف عند الشافعي في قول إلى المجاهدين المترصدين للقتال في الثغور؛ لأنهم قائمون مقام الرسول ﷺ، وفي قول آخر له: يصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور، وحفر الأنهار، والسدود، وبناء القناطر، والجسور، يقدم الأهم فالأهم، وهذا في أربعة أخماس الفيء. فأما السهم الذي كان من خمس الفيء، والغنيمة، فهو لمصالح المسلمين بعد موته ﷺ بلا خلاف، كما قال ﷺ: **«لَيْسَ لِي مِنْ غنائِمِكُمْ إلا الخمسُ، والخمسُ مردودٌ فِيكمْ»**.

وروى ابن وهب عن الإمام مالك رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ بني النضير، لم يكن فيها خمس، ولم يوجف عليها بخيل، ولا ركاب، كانت صافية لرسول الله ﷺ، فقسمها بين المهاجرين، وثلاثة من الأنصار، حسب ما تقدم. وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ هي قريظة، وكانت قريظة والخندق في يوم واحد. قال ابن العربي ـ رحمه الله تعالى ـ: قول مالك: إن الآية الثانية في بني قريظة، إشارة إلى أن معناها يعود إلى آية الأنفال رقم [٤١] ويلحقها النسخ، وهذا أقوى من القول بالإحكام، ونحن لا نختار إلا ما قسمنا، وبينا: أن الآية الثانية لها معنًى مجدد، وفائدة جديدة. انتهى. قرطبي.

هذا؛ و﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ جمع: قرية، وهي اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، وهو يطلق على المدينة الكبيرة، وغيرها، كيف لا؛ وقد جعل الله مكة المكرمة أم القرى في قوله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ الآية رقم [٩٢] من سورة (الأنعام)؟! كما تطلق على الضيعة الصغيرة، وهي مأخوذة من: قريت الماء في المكان: جمعته، وفي «القاموس المحيط»: القرية: بكسر القاف، وفتحها، والنسبة إليها قَرَوِيٌّ بفتح القاف وكسرها، وقرَئِيٌّ، والفتح أقوى. ﴿وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: وهم بنو هاشم، وبنو المطلب، لما روي: أن النبي ﷺ قسم سهم ذوي القربى عليهما، فقال له عثمان وجبير بن مطعم: هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم، أرأيت بني إخواننا من بني المطلب أعطيتهم، وحرمتنا، وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة، فقال ﷺ: **«إنهُمْ لَمْ يُفَارِقُونَا في جَاهليَّةٍ، وَلَا في إسْلَامٍ، وشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»**. وقيل: هم بنو هاشم وحدهم. وقيل: جميع قريش، والغني والفقير سواء. وقيل: هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل. وانظر آية (الشورى) رقم [٢٣]، وانظر آية (الأنفال) رقم [٤١] ففيها فضل بيان.

(اليتامى): جمع يتيم، وهو من الحيوان مَنْ فقد أمه فقط، ومِنْ بني آدم مَنْ فقد أباه، أو أمه، أو فقدهما معاً، والمراد بهم هنا: من فقدوا معيلهم، وهو الأب، وهناك يتيم العلم، والعقل، والتربية، والخلق، والدين، وهو أسوأ حالاً من الأول، وإن كان قد بلغ من العمر الستين، والسبعين، ويملك من الأموال الملايين، ولله در القائل: [البسيط]

لَيْسَ اليتيمُ الَّذي قدْ ماتَ والِدُهُ إنَّ اليتيمَ يتيمُ العقلِ والأدَبِ

ومنه من أهمل أبوه، وأمُّه تربيته مع كونهما موجودين، وخذ قول الآخر: [الكامل]

لَيسَ اليتيمُ مَن انتهَى أبَوَاهُ مِنْ هَمّ الحَياةِ، وخلَّفَاهُ ذليلَا

إن اليتيمَ هو الذي تلْقَى لهُ أُمّاً تخلَّتْ أوْ أباً مَشْغولَا

(ابن السبيل): هو المسافر المنقطع في سفره بسبب نفاد ماله بسرقة منه، أو غيرها، يُعطى من مال الفيء، ومن مال الصدقات على أنواعها ما يكفيه مؤونة سفره؛ حتى يصل بلده، وإن كان له مال كثير في بلده. ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾: مال الفيء. ﴿دُولَةً﴾: بضم الدال: اسم للشيء الذي يتداول من الأموال. قاله أبو عبيدة وأبو عمرو بن العلاء. تقول: تداول القوم الشيء، وهو في يد هذا تارة، وفي يد ذاك أخرى. قال تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١٤٠]: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ وجمع دولة: دولات. قال الراجز، وهو الشاهد رقم [٢٨٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الرجز]

عَلَّ صروفَ الدهرِ أوْ دُولَاتِهَا تُديلُنا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَّاتِهَا

هذا؛ والدَّولة بفتح الدال: الغلبة، والظفر في الحرب. وقيل: هما بمعنى واحد. قال فروة بن مسيك المرادي، وهو صحابي مخضرم، وهو الشاهد رقم [٢٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

فَمَا إنْ طِبُّنَا جُبْنٌ ولكِنْ منَايَانَا ودُولةُ آخرينَا

﴿دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾ والمعنى: فعلنا ذلك في هذا الفيء، كي لا تقسمه الرؤساء والأغنياء والأقوياء بينهم دون الفقراء، والضعفاء؛ لأن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا؛ أخذ الرئيس ربعها لنفسه، وهو المرباع، ثم يصطفي منها أيضاً بعد المرباع ما شاء، وفيها قال شاعرهم، وهو عبد الله بن عنمة الضبي يخاطب بسطام بن قيس: [الوافر]

لكَ المرباعُ منها والصَّفَايا وحكْمُك والنشيطةُ والفضولُ

والنشيطة: ما أصاب الرئيس في الطريق قبل أن يصل إلى مجتمع الحي، والفضول: ما فضل من القسمة مما لا تصح قسمته على عدد الغزاة، كالبعير، والفرس، ونحوهما.

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ أي: من مال الفيء، والغنيمة. ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ أي: من الأخذ منه، والغلول وغيره. ﴿فَانْتَهُوا﴾: وهذا نزل في أموال الفيء، وهو عام في كل ما أمر به النبي ﷺ، أو نهى عنه من قول، أو عمل، من واجب، أو مندوب، أو مستحب، أو نهي عن محرم، أو مكروه، فيدخل فيه الفيء، وغيره، والمعنى: مهما أمركم به؛ فافعلوه، ومهما نهاكم عنه؛ فاجتنبوه؛ لأنه ﷺ لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر. هذا؛ والفعل: ﴿آتَاكُمُ﴾ وإن

جاء بلفظ الإيتاء، وهو المناولة، فإن معناه الأمر بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ فقابله بالنهي، ولا يقابل النهي إلا بالأمر، والدليل على فهم ذلك ما ذكرناه قبلُ مع قول النبي ﷺ: **«إذَا أَمَرْتُكُمْ بأَمْرٍ؛ فَأْتُوا مِنه ما اسْتَطعْتُمْ، وإذَا نَهيْتُكُم عَنْ شَيْءٍ؛ فاجْتَنِبُوهُ»**. أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: **«لعنَ الله الواشماتِ، والمستوشماتِ، والمتنمِّصاتِ والمتفلِّجاتِ للْحسنِ، المغيِّراتِ خلقَ الله»**. فبلغ امرأة من بني أسد، يقال لها: أم يعقوب، وكانت امرأة تقرأ القرآن، فأتته، فقالت: ما حديث بلغني عنك؟ قلت: كذا، وكذا، وذكرته. فقال عبد الله ـ رضي الله عنه ـ: (وما لي لا ألعنُ من لعن رسول الله ﷺ، وهو في كتاب الله تعالى) فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحيه، فما وجدته فقال: إن كنتِ قرأتِه؛ فقد وجدتِهِ، أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؟ قالت: بلى! قال: فإن رسول الله ﷺ نهى عنه. هذا؛ وخذ قوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾.

هذا؛ والوشم: غرز العضو من الإنسان بالإبرة، ثم يحشى بكحل، ونحوه. والواشمة: هي التي تفعل ذلك. والمستوشمة: هي الطالبة أن يُفعل بها ذلك. والنامصة: هي التي تنتف الشعر. والمتنمصة: هي التي تطلب أن يُفعلَ بها ذلك. و المتفلجة: هي التي تتكلف تفريج ما بين ثناياها بصناعة. هذا؛ وفي كتاب «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري أحاديث كثيرة في ترهيب الواصلة، والمستوصلة، والواشمة، والمستوشمة، والنامصة، والمتنمصة، والمتفلجة، وكلها مرفوعة إلى النبي ﷺ عن أسماء بنت أبي بكر، وابن عمر، وابن عباس، وعائشة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. هذا؛ ولا تنس المقابلة بين ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ وبين ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

الإعراب: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: ﴿مَّآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية صلتها، والعائد محذوف، التقدير: الذي أفاءه الله على رسوله. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَّآ﴾ شرطية، فهي مفعول به أول، والفعل ﴿أَفَآءَ﴾ فعل شرطها. ﴿مِنْ أَهْلِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف العائد على ﴿مَّآ﴾ على اعتبارها موصولة، أو منها نفسها؛ إن كانت شرطية، و(مِنْ) بيان لما أبهم فيها على الوجهين، وهناك مضاف محذوف، انظر تقديره في الشرح، و﴿أَهْلِ﴾ مضاف ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿فَلِلَّهِ﴾: (الفاء): واقعة في جواب (ما) على اعتبارها شرطية، وصلة على اعتبارها موصولة. (لله): متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فهو لله، والجملة الاسمية في محل جواب الشرط، أو في محل رفع خبر (ما) على اعتبارها موصولة، وجملة: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ تفسير لسابقتها، أو هي بدل منها، ولذا لم تقترن بعاطف، وانظر ما ذكرته في سورة (يٰس) رقم [٢١]. ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾: الواو: حرف عطف. (للرسول): معطوفان على ما قبلهما.

﴿وَلِذِى﴾: الواو: حرف عطف. (لذي): معطوفان أيضاً، وعلامة الجر الياء نيابةً عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة. و(ذي) مضاف، و﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ﴾: عطف على ما قبلهم، و(ابن) مضاف، و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: مضاف إليه.

﴿كَىْ﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ: ﴿كَىْ﴾ واسمه مستتر يعود إلى: «الفيء». ﴿دُولَةًۢ﴾: خبر ﴿يَكُونَ﴾. هذا؛ وقرئ: (يكون دولةٌ) برفع دولة على اعتبار الفعل تاماً، المعنى كيلا تقع دولة جاهلية، و(كي) والفعل يكون في تأويل مصدر في محل جر بلام تعليل محذوفة، التقدير: لكيلا . . . إلخ. هذا؛ وأجاز ابن هشام في مغني اللبيب اعتبار ﴿كَىْ﴾ حرف جر، والنصب بـ: «أن» مضمرة بعدها. انظر موجز الكلام في: «كي» والشواهد المتعلقة بها في كتابنا: «فتح القريب المجيب» فإن سبقت: «كي» بلام التعليل، لا يجوز تقدير: «أنْ» بعدها، كما في قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ رقم [٢٣] سورة (الحديد)، وقوله جل شأنه: ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ رقم [٣٧] من سورة (الأحزاب). وعلى الاعتبارين فالجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: جعل الله الفئ لمن ذكر لأجل ألَّا يكون لو ترك على عادة الجاهلية دولة. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة ﴿دُولَةًۢ﴾، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَغْنِيَآءِ﴾: مضاف إليه. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلْأَغْنِيَآءِ﴾، والجملة المقدرة: «جعل الله الفيء. . .» إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَآ﴾: (الواو): حرف استئناف. (ما): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان مقدم. ﴿ءَاتَىٰكُمُ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر في محل جزم فعل الشرط، والكاف مفعول به أول. ﴿ٱلرَّسُولُ﴾: فاعل. ﴿فَخُذُوهُ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (خذوه): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) موصولة فالجملة الفعلية بعدها صلتها. وجملة (خذوه) خبرها، وزيدت الفاء في خبره؛ لأنه يشبه الشرط في العموم، والأول أقوى هنا، بخلافه قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ...﴾ إلخ كما رأيت، والجملة على الاعتبارين مستأنفة، لا محل لها، والتي بعدها معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق.

﴿وَٱتَّقُوا۟﴾: (الواو): حرف عطف. (اتقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿شَدِيدُ﴾: خبر (إنَّ)، وهو مضاف، ﴿ٱلْعِقَابِ﴾: مضاف إليه من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل لا محل لها.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي: مال الفيء للفقراء المهاجرين؛ الذين تركوا الديار، والأموال، والأوطان حباً لله، ولرسوله، ونصرةً لدين الله، أخرجهم الكفار مما ذكر؛ بسبب إيذائهم لهم، ومضايقتهم؛ حتى إن الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه؛ ليقيم به صلبه من الجوع. ﴿يَبْتَغُونَ﴾: يطلبون. ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: رزقاً: غنيمة، وغيرها في الدنيا. ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: ثواباً في الآخرة مقروناً برضا الله. ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: ببذل أرواحهم، وأموالهم في سبيل الله. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: في إيمانهم، وقولهم، وفعلهم، ونياتهم.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ فقراءَ المهاجرينَ يسبِقون الأغنياءَ يومَ القيامَةِ إلى الجنَّة بأربعينَ خريفاً**». خرجه مسلم. وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبشرُوا صعاليكَ المهاجرين بالنورِ التّامِّ يومَ القيامة تدخلونَ الجنة قبل أغنياء الناسِ بنصفِ يومٍ، وذَلِكَ خمسمئة سنةٍ!**». أخرجه أبو داود. وهذا في حق فقراء المهاجرين، وهو غير قاصر عليهم بل هو يشمل فقراء المسلمين إلى يوم القيامة. وخذ ما يلي:

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يدخلُ فقراءُ أمتي الجنة قبلَ أغنيائِهم بأربعينَ خريفاً**». فقيل: صفهم لنا. قال: «**الدَّنِسَةُ ثيابُهُمْ، الشَّعِثَةُ رؤوسُهُم، الذين لا يُؤذَن لهم على السَّدات، ولا ينكحون المنعماتِ، يوكَّلُ بهِمْ مشارِقُ الأرض، ومغارِبُهَا، يُعْطُونَ كلَّ الذي علَيهِمْ، ولا يُعْطَوْن كُلَّ الذي لهم**». رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، ومعنى يوكل بهم: نفوسهم خاضعة لله خاشعة، فانية في ذكره.

وينبغي أن تعلم: أن المراد بالفقراء: الصابرون منهم، المؤدون ما أوجب الله، المنتهون عما نهى الله عنه، وأما إذا كان الفقير مهملاً ما أوجب الله، ورسوله عليه، وهو كذاب منافق، وهم الكثيرون في هذه الأيام؛ فمأواهم جهنم، وبئس المصير، وقد قال الرسول ﷺ: «**وإنَّ أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقرُ الدنيا، وعذابُ الآخرة**». أخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ وأن المراد بالأغنياء: الشاكرون منهم، وهم الذين يكسبون المال من حلال، وينفقونه في حلال، ويؤدون زكاته على الوجه الأكمل، ويمتثلون أوامر الله في كل ما أمر به، وكل ما نهى عنه.

(الفقراء): جمع فقير، وأصله: الذي انكسر فقار ظهره، ثم أطلق على المعدم؛ الذي لا يجد حاجته من المال؛ لأنه يشبه الذي انبتَّ ظهره، وعَدِم الحول، والقوة، وهو أسوأ حالاً من

المسكين عندنا معاشر الشافعية، ويدل عليه قوله تعالى في سورة (الكهف): ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ...﴾ إلخ فسماهم مساكين مع كونهم يملكون سفينة يتجرون فيها، وينقلون بضائع للناس من صقع إلى صقعٍ، وكان النبي ﷺ يسأل الله المسكنة، ويتعوذ به من الفقر، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهمَّ أحيِني مِسْكِيناً، وتوفني مسكيناً، واحْشُرْني في زمرةِ المساكين! وإنَّ أشْقى الأشقياءِ مَنِ اجتمعَ عليهِ فقرُ الدّنيا وعذابُ الآخرة**». رواه ابن ماجه، وروى الترمذي مثله عن أنس ـ رضي الله عنه ـ، والعكس عند أبي حنيفة.

﴿دِيَٰرِهِمْ﴾: جمع دار، وهي مأوى الإنسان، ومسكنه في الدنيا، وهي مؤنثة، وقد تذكَّر، أصلها: دَوَر بفتحتين، قلبت الواو ألفاً؛ لتحركها، وانفتاح ما قبلها، وجمعها: ديار، ودُور، وأدْؤُر، وأدْوُر، وأدوِرَة، وأدْوار، ودُورات، ودِيارَات، ودُوران، وديران، وأصل ديار دوار، قلبت الواو ياءً؛ لأنها وقعت عيناً في جمع على وزن فِعال لمفرد اعتلت عينه بالقلب. هذا؛ والدار أيضاً: البلد، والقبيلة، ودار القرار: الآخرة، والداران: الدنيا والآخرة، ودار الحرب: بلاد العدو.

هذا؛ وقال أبو حاتم: إن الديار العساكر، والخيام، لا البنيان، والعمران، وإن الدار البنيان، والعمران، وعليه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي: في عساكرهم، وخيامهم ميتين، وقال جل شأنه: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي: في مدينتهم المعمورة، ولو أراد غير ذلك؛ لجمع الدار، فعلم من كلامه: أن الديار مخصوصة بالخيام. انتهى. قال صاحب الخزانة: وهذه غفلة عن قول الشاعر، وهو مجنون ليلى: (أقبل ذا الجدار) وهو حائط البيت، وذلك في قوله: [الوافر]

أمرُّ على الدِّيار ديارِ ليلى أقبِّل ذا الجدارَ، وذَا الجدارَا
وما حُبُّ الديارِ شغفْنَ قَلْبي ولَكِنْ حُبُّ مَنْ سكنَ الدِّيارا

أقول: ولو استشهد بما في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ رقم [٤٠] من سورة (الحج)، ومثلها في (الأحزاب) رقم [٢٧]، ومثلها في البقرة [٨٤] و[٢٤٣] و[٢٤٦] وغيرها كثير؛ لكان أولى.

أما (أموالهم) فهي جمع: مال. قال ابن الأثير: المال في الأصل يطلق على ما يملك من الذهب، والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى، ويملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها أكثر أموالهم، وقال الجوهري: ذكر بعضهم: أن المال يؤنث، وأنشد لحسان ـ رضي الله عنه ـ: [البسيط]

المالُ تُزْري بأقوامٍ ذَوِي حَسَبٍ وقد تسوِّدُ غيرَ السَّيدِ المالُ

وعن المفضل الضبي: المال عند العرب الصامت، والناطق، فالصامت: الذهب، والفضة، والجواهر. والناطق: هو البعير، والبقرة، والشاة. فإذا قلت عن حضري: كثر ماله؛ فهو الصامت. وإذا قلت عن بدوي: كثر ماله فالمراد: الناطق. والنشب: المال الثابت، كالضياع، ونحوها، فلا يقال للمنقول المذكور آنفاً: نشب. قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي ـ رضي الله عنه ـ: [البسيط]

أمرْتُكَ الخَيْرَ فافعلْ ما أُمِرْتَ بهِ فقدْ تركْتُكَ ذَا مَالٍ وذَا نَشَبِ

وانظر قول الرسول ﷺ: **«من تواضع لغني لغناه فقد ذهب ثلثا دينه»**. في الآية رقم [٢٣].

الإعراب: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: جار ومجرور بدل من قوله: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وما عطف عليه. وقيل: متعلقان بفعل محذوف، تقديره اعجبوا. قاله الجلال. و(الفقراء) صفة لموصوف محذوف. ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾: صفة ثانية للمحذوف، فهو مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبني على الفتح في محل جر صفة ثالثة للمحذوف. هذا؛ ويجوز فيه القطع عن الموصوف، على تقدير مبتدأ، أو على تقدير فعل. ﴿أُخْرِجُوا۟﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَبْتَغُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. ﴿فَضْلًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿فَضْلًا﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: معطوف على ﴿فَضْلًا﴾، وجملة: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل، لا محل له. ﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: خبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ، و﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ خبراً له؛ فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾: المراد بهم: الأنصار الذين توطنوا المدينة، واتخذوها سكناً. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قبل الفقراء المهاجرين؛ الذين أتوْا إليها من مكة. هذا؛ وتبوءوا الدار: اتخذوها منزلاً. يقال: بوأته منزلاً، وبوأت له، كما يقال: مكنته، ومكنت له،

والمبوأ: المنزل الملزوم. ومنه بوَّأه الله منزلاً؛ أي: ألزمه إياه، وأسكنه فيه. قال الرسول ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عليَّ مُتعمِّداً؛ فلْيَتَبوأْ مقعدَهُ مِنَ النارِ**». أخرجه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. هذا؛ ومعنى يتبوأ: ينزل، ويحلل. قال الشاعر: [المنسرح]

وَبُـوِّئَـتْ فـي صَـمِـيـمِ مَـعْـشَـرِهَـا فَـتَـمَّ فـي قَـوْمِـهَـا مُـبَـوَّؤُهَـا

والإيمان لا يتبوأ؛ لأنه ليس بمكان، وفي ذلك تأويلات؛ أحدها: حمله على حذف المضاف، كأنه قيل: تبوءوا الدار ومواضع الإيمان. والثاني: حمله على ما دل عليه «تبوأ» كأنه قال: لزموا الدار، والإيمان، فلم يفارقوهما. والثالث: على تقدير فعل محذوف التقدير: والذين تبوءوا الدار، واعتقدوا الإيمان، وأخلصوه. وإلى ذلك أشار ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

والـفـاءُ قَـدْ تُـحْـذَفُ مَـعْ مـا عَـطـفَـتْ والـواوُ إِذْ لا لَـبْـسَ وهْـيَ انـفَـرَدَتْ

بِـعَـطْـفِ عَـامِـلٍ مُـزَالٍ قـدْ بَـقـي مَـعْـمُـولُـهُ دَفْـعـاً لِـوَهْـمٍ اتُّـقـي

هذا؛ ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (الفرقان) رقم [١٢]: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾، والآية رقم [٢٠] من سورة (الحج): ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾، ومن شواهده الشعرية قول الراعي النميري، وهو الشاهد [٦٦٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

إِذَا مـا الـغَـانِـيـاتُ بـرَزْنَ يَـوْمـاً وزَجَّـجْـنَ الـحـواجِـبَ والـعُـيُـونـا

إذ التقدير: زججن الحواجب، وكحلن العيونا، وقول الآخر، وهو الشاهد رقم [١٠٧٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الرجز]

عَـلَـفْـتُـهَـا تـبـنـاً ومـاءً بـارِداً حـتَّـى شَـتَـتْ هَـمَّـالَـةً عَـيْـنـاهَـا

إذ التقدير: علفتها تبناً، وسقيتها ماءً، وأيضاً قول لبيد ـ رضي الله عنه ـ من معلقته رقم [٦]: [الكامل]

فـعـلا فُـرُوعُ الأيْـهَـقَـانِ وأَطْـفَـلَـتْ بِـالْـجَـلْـهَـتَـيْـنِ ظِـبـاؤُهَـا وَنَـعـامُـهَـا

إذ التقدير: أطفلت ظباؤها، وباضت نعامها، ولولا الإطالة عليك لذكرت لك الكثير من ذلك.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ وذلك: أنهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم، وأشركوهم في أموالهم، وأراد أحدهم أن يتنازل عن إحدى زوجتيه لأخيه المهاجر محبة دينية. ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أي: حزازة، وغيظاً، وحسداً على المهاجرين. ﴿مِّمَّآ أُوتُوا﴾: مما أعطوا، وخصوا به من مال الفيء وغيره، وفيه تقدير مضافين محذوفين، المعنى: مَسَّ حاجة مِنْ فقد ما أوتوا. وكل ما يجد الإنسان في صدره مما يحتاج إلى إزالته فهو حاجة.

وكان المهاجرون في دور الأنصار، فلما غنم النبي ﷺ أموال بني النضير؛ دعا الأنصار، وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في إنزالهم إياهم في منازلهم، وإشراكهم في أموالهم، ثم قال: «**إنْ أحببْتُمْ؛ قسمتُ ما أفاءَ الله عليَّ مِنْ بني النضير بينكم، وبينهمْ، وكان المهاجرون على ما هُمْ عليه مِنَ السكنى في مساكِنِكُمْ، وأموالِكمْ. وإن أحْبَبْتُمْ؛ أعطيتهمْ، وخرجوا من دورِكمْ**». فقال السيدان السعدان ـ سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة رضي الله عنهما ـ: بل تقسمه بين المهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا. ونادى الأنصار جميعهم ـ رضي الله عنهم ـ: رضينا، وسلمنا يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «**اللهمَّ ارْحَمِ الأنصارَ، وأبناءَ الأنصارِ!**». وأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين ـ ولم يعطِ الأنصار شيئاً إلا الثلاثة الذين ذكرناهم. انتهى. قرطبي بتصرف.

هذا؛ وإطلاق لفظ الحاجة على ما تقدم من إطلاق الملزوم على اللازم على سبيل الكناية؛ لأن هذه المعاني لا تنفك عن الحاجة غالباً، وأصل حاجة ما يُحتاج، وتجمع على حاج، وحِوَج بوزن عِنب، وحوائج على غير قياس، وحاجات. قال الشاعر: [الطويل]

أرى الدهرَ إلا مَنْجَنُوناً بأهْلِهِ ... ومَا صَاحِبُ الحَاجَاتِ إلا مُعَذَّبا

وهذا هو الشاهد رقم [١١٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب».

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: فقر وحاجة إلى ما يؤثرون به غيرهم، والإيثار: هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة، يقال: آثرته بكذا؛ أي: خصصته به، وفضلته، وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني مجهود. فأرسل إلى بعض نسائِهِ، فقالت: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى الأخرى، فقالت: مثل ذلك؛ حتى قلْنَ كلهن مثلَ ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: «**منْ يُضِيفُ هذا الليلة رحمه الله؟!**». فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله! فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: فعلليهم بشيء، فإذا أرادوا العشاء؛ فنوميهم، فإذا دخل ضيفنا؛ فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، فقعدوا، وأكل الضيف، وباتا طاويَيْنِ، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ، فقال: «**قدْ عجبَ الله مِن صنيعِكُمَا الليلة بضيفِكُمَا**». ونزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ رواه مسلم وغيره.

وقال ابن عمر، وأنس بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ: أُهدِيَ لرجل من الصحابة رأس شاة، وكان مجهوداً، فوجه به إلى جار له، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر، حتى تداوله سبعة أبيات، ثم عاد إلى الأول. ذكره الثعلبي، وقصة حذيفة العدوي في وقعة اليرموك مشهورة مسطورة لا أطيل الكلام فيها.

﴿وَمَن يُوقَ﴾: من الوقاية، وهي التحرز من الوقوع في المهالك، والمعنى: ومن حماه الله، وحفظه، وسلم من الشح؛ فقد أفلح، ونجح. ﴿شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: حرصها على المال، والشح في كلام العرب: البخل مع الحرص، وقد فرق العلماء بين البخل والشح، فقال: البخل نفس

المنع، والشح: هو الحالة النفسانية؛ التي تقتضي ذلك المنع، روي: أن رجلاً قال لابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إني أخاف أن أكونَ قد هلكتُ. قال: وما ذاك؟ قال: إني أسمع الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وأنا رجل شحيح، لا يكاد يخرج من يدي شيء. فقال ابن مسعود: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله في القرآن، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً، ولكن ذلك البخل، وبئس الشيء البخل. وقيل: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم، وخذ قول عمرو بن كلثوم التغلبي من معلقته رقم [٤]: [الوافر]

تَرَى اللَّحِزَ الشحيحَ إذَا أُمِرَّتْ ... عَلَيْهِ لِمالِهِ فِيْها مُهِينَا

هذا؛ وفي الكشاف: الشح بالضم والكسر، وقرئ بهما: اللؤم، وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة، كما قال الشاعر: [الطويل]

يمارسُ نَفْساً بَيْنَ جنبيْهِ كزَّةً ... إذا همَّ بِالمَعْروفِ قالَتْ لَهُ مَهْلا

وأضيف الشح إلى النفس؛ لأنه غريزة فيها، والكزازة: اليبس، والانقباض، ورجل كز اليدين: إذا كان بخيلاً، يصف الشاعر رجلاً بالبخل، والشح المطاع، وأنه إذا هم يوماً أن يجود بشيء. قالت له نفسه: مهلاً، فيطيعها، ويمتنع عن الخير. وأين هذا من قول المتنبي؟: [الطويل]

إذا كان ما تَنوِيهِ فعلاً مضارعاً ... مضى قَبْلَ أنْ تُلْقَى عليهِ الجوازِمُ

هذا بالإضافة لما ذكرته بشأن البخل في آخر سورة (محمد ﷺ) وفي سورة (الحديد) رقم [٢٤] أذكر هنا ما يلي: فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «**إياكم والظلم! فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. وإياكم والفحش والتفحش! وإياكم والشح! فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالقطيعة، فقطعوا، وأمرهم بالبخل، فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا...**» إلخ. رواه أبو داود، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمع غبار في سبيل الله، ودخان جهنم في جوف عبدٍ أبداً، ولا يجتمع شحٌّ، وإيمان في قلبِ عبدٍ أبداً**». رواه النسائي وغيره. وفي حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثٌ كفارات، وثلاث درجات، وثلاثٌ منجيات، وثلاثٌ مهلكات، فأما المهلكات؛ فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**». رواه البزار والبيهقي، وغيرهما.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: (الواو): حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل جر معطوف على (الفقراء) فهو من عطف المفردات، أو هو في محل رفع مبتدأ، وخبره يأتي، فيكون من عطف الجمل. ﴿تَبَوَّءُو﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱلدَّارَ﴾: مفعول به. (الإيمان): معطوف على ما قبله، أو هو مفعول به لفعل محذوف، كما رأيت في الشرح. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال

من واو الجماعة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يُحِبُّونَ﴾: فعل مضارع، والواو فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة على اعتبار الموصول معطوفاً على ما قبله، وفي محل رفع خبره على اعتباره مبتدأ. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿هَاجَرَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما.

﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَجِدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿صُدُورِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما المفعول الثاني، تقدم على الأول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿حَاجَةً﴾: مفعول به.

﴿مِّمَّآ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿حَاجَةً﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿أُوتُواْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: من الذي، أو من شيء أوتوه. ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَوْ﴾: (الواو): واو الحال. (لو): وصلية، وقيل: شرطية ولا وجه له ألبتة. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿بِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، تقدم على اسمها. ﴿خَصَاصَةٌ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُوقَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، ونائب الفاعل يعود إلى (مَن) وهو المفعول الأول. ﴿شُحَّ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿نَفْسِهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط، وإعراب الجملة مثل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ وهي في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٤] والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد المهاجرين، والأنصار، وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: أخبر الله: أنهم يدعون لأنفسهم بالمغفرة، ولإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان.

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾: غشاً، وحسداً، وحقداً، وبغضاً، وهو بكسر الغين، وهو بضمها: القيد من الحديد، ونحوه، وحرارة العطش أيضاً. ولا يجمع بالمعنى الأول؛ لأنه مصدر، ويجمع بالمعنى الثاني على أغلال، وهو كثير في القرآن، وبالمعنى الثالث على غلات، كقول قسَّام بن رواحة العبسيِّ، وهو شاعر جاهلي، وهو الشاهد رقم [٢٧٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». [الطويل]

عَسَى طَيِّئٌ مِنْ طَيِّئٍ بَعْدَ هَذِهِ ... سَتُطْفِئُ غُلَّاتِ الكُلَى والجَوانِحِ

وخذ هذين البيتين، وصل وسلم على سيد الأنبياء والمرسلين: [البسيط]

يَا طَالِبَ العَيْشِ في أمْنٍ وفي دَعَةٍ ... رغداً بلا قَتَرٍ صَفْواً بِلَا رَنَقِ

خَلِّصْ فُؤَادَكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ ... الغِلُّ في القَلْبِ مِثْلُ الغُلِّ في العُنُقِ

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: يعني صحابة رسول الله ﷺ. ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: انظر الآية رقم [٩] من سورة (الحديد)، بعد هذا قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاثة منازل: المهاجرون، والذين تبوؤا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم، فاجهد ألَّا تخرج من هذه المنازل، فكل من كان في قلبه غل، أو بغض لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يترحم على جميعهم، فليس ممن عناه الله بهذه الآية؛ لأن الله رتب المؤمنين على ثلاث منازل: المهاجرون، ثم مِنْ بعدهم الأنصار، ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة، كان خارجاً من أقسام المؤمنين، وليس له في الإسلام نصيب. وقال بعضهم: كن شمساً، فإن لم تستطع؛ فكن قمراً، فإن لم تستطع؛ فكن كوكباً مضيئاً، فإن لم تستطع؛ فكن كوكباً صغيراً، ومن جهة النور لا تنقطع. ومعنى هذا: كن مهاجرياً، فإن قلت: لا أجد؛ فكن أنصارياً، فإن لم تجد؛ فاعمل كأعمالهم، فإن لم تستطع، فأحبهم، واستغفر لهم، كما أمرك الله.

وعن جعفر بن محمد بن علي، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين ـ رضي الله عنهم ـ أنه جاءه رجل، فقال له: يا بن بنت رسول الله ﷺ: ما تقول في عثمان؟ فقال له: يا أخي أنت من قوم قال الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الآية؟ قال: لا. قال: فأنت من قوم قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ الآية؟ قال: لا. قال: فو الله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة؛ لتخرجن من الإسلام، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ...﴾ إلخ.

فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابي، فلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذَهَباً؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أحدِهِمْ، ولا نَصِيفَهُ**». متفق عليه. وعن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قال: قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: (يا بنَ أُخْتِي أُمِرُوا أن يَسْتَغْفِرُوا

لأصحابِ رسول الله ﷺ، فسبُّوهم). أخرجه مسلم. وعن عبد الله بن مغفل ـ رضي الله عنه ـ. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الله الله في أصحابي، لا تتخذوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي، فمنْ أحبَّهُمْ؛ فبحبي أحَبَّهُمْ، ومَنْ أبْغَضَهُمْ؛ فببغضي أبغضهُمْ، ومَنْ آذاهُمْ؛ فقد آذاني، وَمَنْ آذاني؛ فقد آذى الله، فيوشك أن يأخذه**». أخرجه الترمذي.

وقال الشعبي: تفاضلت اليهود، والنصارى على الرافضة بخصلة. سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى. وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد ﷺ. أمروا أن يستغفروا لهم، فسبوهم، فالسَّيف مسلولٌ عليهم إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم، وتفريق شملِهِمْ، وإدحاض حجتهم. أعاذنا الله، وإياكم من الأهواء المضلة. وروي عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قيل لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر. انتهى. خازن وقرطبي بتصرف.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: (الواو): حرف عطف. (الذين): معطوف على ما قبله في الآية السابقة على الوجهين المعتبرين فيه، وجملة: ﴿جَآءُو﴾: صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَقُولُونَ﴾: مضارع، وفاعله. والجملة الفعلية في محل رفع خبر الموصول، على اعتباره مبتدأ، وفي محل نصب حال من واو الجماعة، على اعتبار الموصول معطوفاً على ما قبله عطف مفرد على مفرد. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى، حذفت منه أداة النداء، و(نا) في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿ٱغۡفِرۡ﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾: جار ومجرور معطوف على ما قبله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول صفة: (إخواننا)، أو بدل منه. ﴿سَبَقُونَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): دعائية. ﴿تَجۡعَلۡ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿فِي قُلُوبِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿غِلّٗا﴾: مفعول به. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿غِلّٗا﴾، أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾: مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿رَبَّنَآ﴾: توكيد لفظي لسابقه. ﴿إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾: إن واسمها، وخبراها، والجملة الاسمية تعليل للدعاء، لا محل لها.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾: عبد الله بن أبي، وأصحابه. ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ...﴾ إلخ: يعني اليهود من بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع، وإنما اعتبر الله المنافقين إخوان اليهود؛ لأنهم أكفر منهم؛ لأنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر. ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾: من المدينة. ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾: منها. ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: إن طلب منا أحد خلافكم، وخذلانكم؛ فلا نسمع لقوله، ولا نطيعه فيكم. ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾: حاربكم، وقاتلكم محمد ﷺ. ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾: لنحاربن معكم، ولا نخذلكم. ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ﴾ أي: المنافقين. ﴿لَكَـٰذِبُونَ﴾ أي: فيما قالوا، ووعدوا اليهود، وفي هذا دليل واضح على صحة نبوة محمد ﷺ من جهة علم الغيب، فهو إخبار عن ذلك قبل وقوعه؛ لأنهم أخرجوا، فلم يخرجوا معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم.

تنبيه: ذكرت لك في الآية رقم [٢] من هذه السورة ما فعل الله ببني النضير، وكيف دس المنافقون لهم ما ذكره الله في هذه الآية، وذكرت لك في سورة (الأحزاب) رقم [٢٦] ما فعل الله ببني قريظة من القتل، والخزي، والذل، وأما بنو قينقاع، فهم قوم من اليهود كانت منازلهم في بطحان مما يلي العالية، وكانوا أشجع اليهود، وكانوا صاغة، وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ، وعبد الله بن أبي ابن سلول لعنه الله، فلما كانت وقعة بدر، أظهروا البغي، والحسد، والعداوة، ونبذوا العهد؛ لأن النبي ﷺ كان عاهدهم، وعاهد بني قريظة، وبني النضير على أن لا يكونوا معه، ولا عليه، وكان عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ، من أعظم أحبارهم، فهداه الله للإسلام، وهم أول من نقض العهد من اليهود.

وسبب نقضهم العهد أن امرأة من العرب، وكانت زوجة لبعض الأنصار، الساكنين بالبدو، قدمت المدينة بجلب لها، وهو ما يجلب ليباع في المدينة من نتاج الماشية، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ منهم، فجعل جماعة منهم يراودونها كشف وجهها، فأبت عليهم، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها، فعقده إلى ظهرها، وهي لا تشعر، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ، فقتله، وشدت اليهود على المسلم، فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، وتواثبوا من كل جهة، فبلغ الخبر النبي ﷺ، فقال: «**ما على هذا عاهدناهم**». فتبرأ عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ من حلفهم. وقال: أتولى الله ورسوله، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار.

وتشبث به عبد الله بن أبي أخزاه الله، وفي ذلك أنزل الله عز وجل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ رقم [٥١] إلى [٥٦] من سورة (المائدة). فجمعهم رسول الله ﷺ، وقال لهم: «**يا معشر اليهود! احذروا من الله، مثل ما نزل بقريش من النقمة ببدر، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم: أني مرسل، تجدون ذلك في كتابكم، وعهد الله تعالى إليكم به!**». قالوا: يا محمد تظننا أنا مثل قومك، ولا يغرنك أنك لقيت قوماً، لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله لو حاربناك؛ لتعلمن أنا نحن الناس؛ أي: لأنهم كانوا أشجع اليهود، وأكثرهم أموالاً، وأشدهم بغياً، وأنزل الله تعالى فيهم قوله في سورة (آل عمران): ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ﴾. ونزل قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ الآية رقم [٥٨] من سورة (الأنفال) ثم إن القوم تحصنوا في حصونهم، فسار إليهم رسول الله ﷺ، وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار، وكان خروجه في نصف شوال، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وكانوا أربعمئة حاسر، وثلاثمئة دارع، فسألوا رسول الله ﷺ أن يخلي سبيلهم، وأن يخرجوا من المدينة، وأن لهم النساء، والذرية، وأن يتركوا الأموال للنبي ﷺ، ومنها السلاح، ولم يكن لهم نخيل، فصالحهم على ذلك. وقيل: إنهم نزلوا على أمر رسول الله ﷺ، فأمر بهم أن يُكتَّفوا، فكُتِّفوا، فأراد قتلهم، فكلمه فيهم عبد الله بن أبي، وألح عليه، فقال: يا محمد أحسن إلى مواليَّ، فأعرض عنه ﷺ، فأدخل يده في جيب درعه من خلفه، فقال له رسول الله ﷺ: «**ويحك أرسلني!**». وغضب؛ حتى رأوْا لوجهه سمرة لشدة غضبه، ثم قال: «**ويحك أرسلني!**». فقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليَّ، فإنهم أعزتي، وأنا امرؤ أخشى الدوائر، أربعمئة حاسر، وثلاثمئة دارع، وقد منعوني من الأحمر، والأسود وتحصدهم في غداة واحدة! فقال ﷺ: «**خلوهم! لعنهم الله، ولعنه معهم!**». وتركهم من القتل، وقال له: «**خذهم، لا بارك الله لَكَ فيهم!**». وإلى ذلك أشار الله عز وجل بقوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ الآية رقم [٥٢] من سورة (المائدة)، ثم أمر بهم النبي ﷺ أن يجلوا، ووكل بإجلائهم عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ فذهبوا إلى أذرعات في بلاد الشام، ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا جميعاً بدعوته ﷺ، في قوله لابن أُبَيٍّ: «**لا باركَ الله لَكَ فيهم**». ووجد النبي ﷺ في منازلهم سلاحاً كثيراً، وأموالاً، وهذا مما أفاء الله على نبيه ﷺ.

الإعراب: ﴿أَلَمۡ﴾: (الهمزة): حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿نَافَقُواْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، والخطاب في الآية للنبي ﷺ، ولكل واحد له حظ في الخطاب، ويتأتى منه النظر، والاعتبار.

﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية مع مقولها مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِإِخْوَٰنِهِمُ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: صفة لما قبله، أو هو بدل منه، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنْ أَهْلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و﴿مِنْ﴾ بيان لما أبهم في الموصول، و﴿أَهْلِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَئِنْ﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾: ماض مبني للمجهول، مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء نائب فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَنَخْرُجَنَّ﴾: (اللام): واقعة في جواب القسم؛ الذي دلت عليه اللام. (نخرجن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والنون للتوكيد حرف لا محل لها. ﴿مَعَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها، وجواب الشرط محذوف، لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما». قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته: [الرجز]

وَاحذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وقَسَمْ جَوابَ مَا أخرتْ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

والكلام ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية. ﴿نُطِيعُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿فِيكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله أيضاً. ﴿وَإِن﴾: (الواو): حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم، وقبلها اللام مقدرة، بدليل ما قبلها. ﴿قُوتِلْتُمْ﴾: مثل ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾، إعراباً ومحلاً. ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾: إعرابه مثل إعراب ﴿لَنَخْرُجَنَّ﴾ إفراداً ومحلاً، والكلام معطوف على ما قبله، فهو مثله في محل نصب مقول القول.

﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿يَشْهَدُ﴾ : فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾: (اللام): لام المزحلقة، أو هي لام الابتداء، وقد علقت الفعل ﴿يَشْهَدُ﴾ عن العمل لفظاً، لذا كسرت همزة (إنَّ) بعده. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وكَسَرُوا مِنْ بَعدِ فِعْلٍ عُلِّقَا بِاللَّامِ كَاعْلَمْ إنَّه لَذُو تُقَى

(كاذبون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية خبر المبتدأ، والجملة الاسمية (الله...) إلخ مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من واو الجماعة، فالمعنى لا يأباه. ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾ أي: اليهود. ﴿لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ أي: لا يخرج المنافقون من المدينة إن خرج اليهود. ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا﴾ أي: قاتل النبي ﷺ اليهود. ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ أي: لا ينصرهم المنافقون، وقد تحقق ذلك حينما أُجْلِيَ اليهود من المدينة المنورة، فلم يحرك المنافقون ساكناً، بل خنسوا، وردَّ كيدهم في نحورهم.

هذا؛ وإنما قال تعالى: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ بعد الإخبار بأنهم لا ينصرون على سبيل الفرض، والتقدير، كقوله تعالى مخاطباً النبي ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وكما يعلم ما يكون، فهو يعلم ما لا يكون لو كان، كيف يكون؟ والمعنى: ولئن نصر المنافقون اليهود؛ لينهزمن المنافقون، ثم لا ينصرون بعد ذلك؛ أي: يهلكهم الله، ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم، أو لينهزمن اليهود، ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين. انتهى. نسفي.

الإعراب: ﴿لَئِنْ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿أُخْرِجُوا﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجملة: ﴿لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ جواب القسم لا محل لها، وانظر ما ذكرته في الآية السابقة. والكلام بجملته لا محل له من الإعراب؛ لأنه مستأنف. ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ مثل ما قبله في الإعراب إفراداً، وجملاً. ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ مثل سابقه في إعرابه. ﴿لَيُوَلُّنَّ﴾: (اللام): واقعة في جواب القسم مثل سابقه. (يُوَلُّنَّ): مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة في محل رفع نائب فاعل وهو المفعول الأول، والنون حرف لا محل له. ﴿الْأَدْبَارَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية جواب القسم المدلول عليه باللام، والكلام معطوف على ما قبله، فهو مثله لا محل له من الإعراب. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُنصَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جواب القسم، لا محل لها مثلها.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَأَنتُمْ﴾: خطاب للمؤمنين الصادقين. ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً﴾: أعظم خوفاً، وخشيةً. ﴿فِي صُدُورِهِم﴾: في صدور المنافقين. وقيل: في صدور بني النضير. وقيل: في صدور اليهود، والمنافقين معاً. والمعنى: أن خوفهم في السر منكم أشد من خوفهم من الله؛ الذي يظهرونه

لكم. وكانوا يظهرون للمؤمنين خوفاً شديداً من الله، فلا يرد كيف يستقيم التفضيل بأشدية الرهبة مع أنهم لا يرهبون من الله؛ لأنهم لو رهبوا منه لتركوا الكفر والنفاق. انتهى. كرخي، وهذا مما يؤيد: أن المراد المنافقون. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (النساء) رقم [٧٧] في حقهم: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الخوف الشديد من المؤمنين، وعدم خوفهم من الله. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: لا يعلمون قدرة الله، وعظمته حتى يخشوه حق خشيته. هذا؛ والفقه في اللغة: الفهم، والعلم بالشيء، ثم صار علماً على اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم. يقال: فقِه الرجل يفقه فهو فقيه: إذا فهم، والفعل من باب: فهم الذي هو بمعناه، وفقُه من باب: ظرُف، وكرم: صار فقيهاً.

الإعراب: ﴿لَأَنتُمْ﴾: (اللام): لام الابتداء. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَشَدُّ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، أو مبتدأة لا محل لها على الاعتبارين. ﴿رَهْبَةً﴾: تمييز. ﴿فِى صُدُورِهِم﴾: متعلقان بـ: ﴿رَهْبَةً﴾؛ لأنه مصدر، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَشَدُّ﴾ وتعليقهما بـ: ﴿رَهْبَةً﴾ جيد أيضاً. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: (الباء): حرف جر. (أنَّهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿قَوْمٌ﴾: خبرها، وجملة: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ في محل رفع صفة ﴿قَوْمٌ﴾، وهي صفة موطئة، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾: الخطاب للمؤمنين، والمعنى لا يقاتلكم اليهود مجتمعين، أو لا يقاتلكم اليهود، والمنافقون مجتمعين متعاونين. ﴿إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ أي: في قرى محاطة بالحصون، والقلاع، والخنادق. ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾: أو يقاتلونكم من وراء الجدران، والحيطان؛ ليحتموا بها، وذلك لفرط جبنهم، وهلعهم، والرعب في قلوبهم. ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾: العداء متأصل، ومحتوم فيما بينهم، والمعنى: فعجزهم عن قتالكم، ليس لجبنهم، بل هم في غاية القوة، والشجاعة؛ إذا حارب بعضهم بعضاً، وأما إذا حاربوكم، فيضعفوا، ويجبنوا للرهبة التي في قلوبهم منكم.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: تظنهم مجتمعين على أمر، ورأي في الظاهر، ذوي ألفة، واتحاد، وهم مختلفون غاية الاختلاف؛ لأن آراءهم مختلفة، وقلوبهم متفرقة. قال قتادة ـ رحمه الله

تعالى ـ: أهل الباطل مختلفة آراؤهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة شهادتهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ...﴾ إلخ: ذلك التفرق، والتشتت بسبب: أنهم لا عقول لهم يعقلون بها أمر الله، فهم كالبهائم، لا تتفق على حالة. وانظر العقل في الآية رقم [١٧] من سورة (الحديد) ولا تنس الطباق بين ﴿جَمِيعًا﴾ و﴿شَتَّىٰ﴾.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من واو الجماعة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿فِي قُرًى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مستثنىً من عموم الأحوال، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف المحذوفة، لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿مُّحَصَّنَةٍ﴾: صفة ﴿قُرًى﴾. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿مِن وَرَآءِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، و﴿وَرَآءِ﴾ مضاف، و﴿جُدُرٍۭ﴾ مضاف إليه. ﴿بَأْسُهُم﴾: مبتدأ، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿شَدِيدٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿تَحْسَبُهُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به أول. ﴿جَمِيعًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ضمير الغيبة، والرابط: الضمير فقط، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿وَقُلُوبُهُمْ﴾: (الواو): واو الحال. (قلوبهم): مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿شَتَّىٰ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: (الباء): حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وانظر بقية الإعراب في الآية السابقة.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: أي: حال بني النضير فيما وقع لهم من الجلاء، والذل، كحال كفار مكة فيما وقع لهم من الهزيمة، والأسر يوم بدر. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: يهود بني قينقاع. وهذا القول أشبه بالصواب، فإن رسول الله ﷺ كان قد أجلى بني قينقاع قبل بني النضير، فإن غزوة بني قينقاع كانت بعد غزوة بدر، وغزوة بني النضير بعد غزوة أحد، والمقصود تشبيه حال اليهود، وهي ما حصل لهم في الدنيا من الجلاء، والخزي، وما سيحصل لهم في الآخرة من العذاب بحال المشركين في هذين الأمرين.

هذا؛ والوبال: المكروه، والضرر؛ الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه، من قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: ثقيلاً شديداً. والطعام الوبيل: هو الذي يثقل على المعدة، فلا

يستمرأ. والوابل: المطر الغزير الثقيل. قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٦٥]: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾. هذا؛ وانظر ﴿ذُوقُوا﴾ في الآية رقم [١٤] من سورة (الذاريات).

هذا؛ و(مَثَل) بفتحتين هو عبارة عن قول في شيءٍ يشبه قولاً في شيءٍ آخر بينهما مشابهة؛ ليتبين أحدهما من الآخر، ويصوره. وقيل: هو تشبيه شيء بشيء آخر. وبالجملة: هو القول السائر بين الناس، والذي فيه غرابة من بعض الوجوه. والممثل بمضربه؛ أي: هو الحالة الأصلية التي ورد الكلام فيها. وما أكثر الأمثال في اللغة العربية، علماً بأن الأمثال لا تغير، تذكيراً، وتأنيثاً، إفراداً، وتثنيةً، وجمعاً، بل ينظر فيها دائماً إلى مورد المثل؛ أي: أصله، مثل: (الصَّيفَ ضَيَّعتِ اللَّبَن) فإنه يضرب لكل من فرط في تحصيل شيء في أوانه، ثم طلبه بعد فواته.

هذا؛ و«مِثْل» بكسر الميم وسكون الثاء، ومثله: مثيل، وشبه، وشبيه، وهو اسم متوغل في الإبهام فلا يتعرف بإضافته إلى الضمير ونحوه من المعارف، ولذلك نعتت به النكرة في قوله تعالى حكاية عن قول فرعون، وقومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ ويوصف به المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وهو واضح في محاله، ويستعمل على ثلاثة أوجه: الأول بمعنى: الشبيه، والنظير، كما في الآية الكريمة المذكورة، ونحوها. والثاني: بمعنى نفس الشيء، وذاته، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ عند بعضهم؛ حيث قال: المعنى: ليس كذاته شيء. الثالث: زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ أي: بما آمنتم به.

الإعراب: ﴿كَمَثَلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، انظر تقديره في الشرح، وقد صرح به في الآيات رقم [١٧] [١٧١] [٢٦١] [٢٦٤] [٢٦٥] من سورة (البقرة)، و(مَثَل) مضاف، و﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿قَرِيبًا﴾: صفة «زمان» محذوف متعلق بما بعده، التقدير: ذاقوا وبال أمرهم في زمنٍ قريب. أو هو متعلق بمضاف محذوف، التقدير: حالهم، وشأنهم كوقوع، وحصول مثل الذين من قبلهم قريباً. ﴿ذَاقُوا﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿وَبَالَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أَمْرِهِمْ﴾ مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الموصول، والرابط: الضمير فقط، و«قد» قبلها مقدرة لتقربها من الحال. ﴿وَلَهُمْ﴾: (الواو): حرف عطف. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة له، وهو بمعنى مؤلم. والجملة معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: مثل المنافقين مع بني النضير، وخذلانهم إياهم، كمثل الشيطان؛ ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ اكفر: وذلك ما روي عن عطاء، وغيره عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان راهب في الفترة، يقال له: برصيصا يعبد الله في صومعة له سبعين سنةً، لم يعصِ الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعياه في أمره الحيل، فجمع ذات يوم مردة الشياطين، وقال: ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا؟! فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء، وهو الذي تصدى للنبي ﷺ، وجاءه في صورة جبريل ليوسوس له على وجه الوحي، فلحقه جبريل عليه السلام، فدفعه إلى أقصى أرض الهند.

فقال الأبيض لإبليس: أنا أكفيك أمره، فانطلق، فتزين بزينة الرهبان، وحلق وسط رأسه، وأتى صومعة برصيصا، فناداه، فلم يجبه، وكان لا ينفتل عن صلاته، إلا في كل عشرة أيام يوماً، ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام مرة، فلما رأى الأبيض: أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل الصومعة، فلما انفتل برصيصا من صلاته؛ اطلع من صومعته، فرأى الأبيض قائماً يصلي في هيئة حسنة على هيئة الرهبان، فلما رأى ذلك من حاله ندم في نفسه؛ أي: لام نفسه حين لم يجبه، فقال له: ناديتني، وكنت مشتغلاً عنك، فما حاجتك؟

قال الأبيض: حاجتي أني جئت لأكون معك، فأتأدَّب بأدبك، وأقتبس من عملك، ونجتمع على العبادة، فتدعو لي، وأدعو لك! قال برصيصا: إني لفي شغل عنك، فإن كنت مؤمناً فإن الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيباً؛ إن استجاب لي، ثم أقبل على صلاته، وترك الأبيض، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوماً، فلما انفتل بعدها رآه قائماً يصلي، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الأبيض. قال له: ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تأذن لي، فأرتفع إليك، فأذن له، فارتفع إليه في صومعته، فأقام حولاً يتعبد لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً مرة، ولا ينفتل عن صلاته إلا كذلك، وربما مد إلى الثمانين، فلما رأى برصيصا اجتهاده، تقاصرت إليه نفسه، وأعجبه شأن الأبيض، فلما حال الحول. قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق، فإن لي صاحباً غيرك، ظننت أنك أشد اجتهاداً مما رأيت، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت، فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد، وكره مفارقته لما رأى من كثرة اجتهاده، ولمَّا ودعه الأبيض؛ قال له: إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهنَّ، فهو خير لك مما أنت فيه، يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلى، والمجنون.

قال برصيصا: أنا أكره تلك المنزلة؛ لأن لي في نفسي لشغلاً، وإني أخاف إن علم الناس شغلوني عن العبادة، فلم يزل به الأبيض حتى علمه، ثم انطلق حتى أتى إبليس: فقال: قد والله

أهلكت الرجل. قال: فانطلق الأبيض. فتعرض لرجل، فخنقه، ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لأهله: إن بصاحبكم جنوناً، أفأعالجه. قالوا: نعم، فعالجه، فلم يفد، فقال لهم: إني لا أقوى على جنته. ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله، فيعافيه، انطلقوا إلى برصيصا، فإن عنده الاسم الذي إذا دعا به أجيب! قال: وانطلقوا إليه، فسألوه ذلك، فدعا بتلك الدعوات، فذهب عنه الشيطان، فكان الأبيض يفعل ذلك بالناس، ويرشدهم إلى برصيصا، فيدعو لهم، فيعافون، فانطلق الأبيض: فتعرض لجارية من بنات ملوك بني إسرائيل، ولها ثلاثة إخوة، وكان أبوهم هو الملك.

فلما مات؛ استخلف أخاه، فكان عم تلك الجارية ملك بني إسرائيل، فخنقها، وعذبها، ثم جاء إليهم كما كان يأتي الناس في صورة متطبب، فقال لهم: أعالجها. قالوا: نعم، فقال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى من تثقون به تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، فإذا علمتم: أنها قد عوفيت تردونها صحيحة. قالوا: ومن هو؟ قال: برصيصا. قالوا: وكيف لنا أن يجيبنا إلى هذا، وهو أعظم شأناً من ذلك؟! قال: فانطلقوا، فابنوا صومعة إلى جنب صومعته حتى تشرف عليه، فإن قبلها، وإلا فضعوها في صومعتها، وقولوا له هذه أمانة عندك، فاحتسب أمانتك. قال: فانطلقوا، فسألوه ذلك، فأبى عليهم، فبنوْا صومعة على ما أمرهم الأبيض، ثم انطلقوا، فوضعوا الجارية، في صومعتها، وقالوا: يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك، فاحتسب فيها، ثم انصرفوا، فلما انفتل برصيصا! عن صلاته عاين الجارية، وما هي عليه من الجمال، فوقعت في قلبه، ودخل عليه أمر عظيم، فجاءها الشيطان، فخنقها، فدعا برصيصا بتلك الدعوات، فذهب الشيطان عنها، ثم أقبل برصيصا على صلاته، فجاءها الشيطان فخنقها، فكانت تكشف عن نفسها، وتتعرض لبرصيصا، فجاءه الشيطان، وقال له: ويحك واقعها، فلم تجد مثلها، وستتوب بعد ذلك، فتدرك ما تريد من الأمر، فلم يزل به حتى واقعها. فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت، وظهر حملها، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افتضحت، فهل لك أن تقتلها وتتوب؟ فإن سألوك، فقل: ذهب بها شيطانها، فلم أقف عليه! فقتلها، ثم انطلق بها، فدفنها إلى جانب الجبل، فجاء الشيطان، وهو يدفنها بالليل، فأخذ بطرف إزارها، فبقي خارجاً من التراب، ثم رجع برصيصا إلى صومعته، وأقبل على صلاته؛ إذ جاء إخوتها، يتعاهدون أختهم، وكانوا يجيئون في بعض الأيام يسألون عنها، ويوصونه بها.

فقالوا: يا برصيصا! ما فعلت أختنا؟ قال: قد جاء شيطانها، فذهب بها، ولم أطقه! فصدقوه وانصرفوا، فلما أمْسَوْا، وهم مكروبون جاء الشيطان إلى أكبرهم في منامه، فقال: ويحك إن برصيصا فعل بأختك كذا، وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا، وكذا، فقال: هذا حلم، وهو من الشيطان، إن برصيصا خير من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال، فلم يكترث به، فانطلق

الشيطان إلى أوسطهم، فقال الأوسط مثل ما قال الأكبر، ولم يخبر به أحداً، فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك، فقال الأصغر لأخويه: والله لقد رأيت كذا، وكذا، فقال الأوسط: أنا والله رأيت مثله، فقال الأكبر: وأنا والله قد رأيت مثله.

فانطلقوا إلى برصيصا، فقالوا: يا برصيصا! ما فعلت أختنا؟ فقال: أليس قد أعلمتكم بحالها؟! فكأنكم قد اتهمتموني. فقالوا: لا والله لا نتهمك، واستحيوا منه، وانصرفوا، فجاءهم الشيطان، وقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا، وكذا، وإن طرف إزارها خرج من التراب، فانطلقوا، فرأوْا أختهم على ما رأوْاه في المنام. فمشوْا في مواليهم، وغلمانهم معهم الفؤوس، والمساحي، فهدموا صومعة برصيصا، وأنزلوه منها وكتفوه، ثم انطلقوا به للملك، فأقر على نفسه، وذلك: أن الشيطان أتاه، فوسوس له، فقال له: تقتلها، ثم تكابر يجتمع عليك أمران: قتل ومكابرة، اعترف، فلما اعترف؛ أمر الملك بقتله، وصلبه على خشبة، فلما صلب؛ أتاه الأبيض. فقال: يا برصيصا! أتعرفني؟ فقال: لا! قال: أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات، وكنت إذا دعوت بهن يستجاب لك، ويحك ما اتقيت الله في أمانتك، خنت أهلها، وزعمت: أنك أَعْبَدُ بني إسرائيل، أما استحيت؟ فلم يزل يعيره ويعنفه؛ حتى قال في آخر ذلك: ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك، وفضحت أشباهك من الناس، وفضحت نفسك، فإن مت على هذه الحال لن تفلح أبداً، ولن يفلح أحد من نظرائك. قال: وكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خصلة واحدة حتى أخلصك مما أنت فيه، فآخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك. قال: وما هي؟ قال: تسجد لي. قال: ما أستطيع أنْ أفعل. قال: بطرفك افعل، فسجد له برصيصا، فقال: يا برصيصا هذا الذي أردت منك، صارت عاقبتك إلى أن كفرت بربك. انتهى. خازن، ومثله في القرطبي.

هذا؛ وفي حاشية الجمل: المراد به برصيصا العابد، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإنسان الذي قال له الشيطان: اكفر، راهب نزلت عنده امرأة أصابها لمم، ليدعو لها، فزين له الشيطان، ووطئها، فحملت، ثم قتلها خوفاً من أن يفتضح، فدل الشيطان قومها على موضعها، فجاؤوا، فاستنزلوا الراهب، ليقتلوه، فجاءه الشيطان، فوعده إن سجد له أن ينجيه منهم، فسجد له، فتبرأ منه**». انتهى. نقلاً من الخطيب.

هذا؛ وأبعد الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي حيث قالوا: والمراد من الإنسان الجنس. وقيل: هو أبو جهل؛ قال له إبليس يوم بدر: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾. انتهى. بيضاوي، أقول: انظر الآية رقم [٤٨] من سورة (الأنفال). هذا؛ ولا تنس التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ حيث وجه الشبه منتزع من متعدد، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ﴾ الآية رقم [٢٤] من سورة (يونس) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿كَمَثَلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال كمثل... إلخ، و(مثل) مضاف، و﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بمثل، أو هو بدل منه بدل اشتمال. وقيل: متعلق بالخبر المحذوف. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱكْفُرْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿فَلَمَّا﴾: (الفاء): حرف تفريع واستئناف. (لمَّا): حرف وجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة ظرف زمان بمعنى: حين، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه. وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿كَفَرَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى «برصيصا» والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب (لما)، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها. ﴿بَرِىٓءٌ﴾: خبرها، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿مِّنكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿بَرِىٓءٌ﴾. ﴿إِنِّىٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، والياء اسمها. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول وفيها معنى التعليل. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿رَبَّ﴾: صفة لفظ الجلالة، أو بدل منها، و﴿رَبَّ﴾ مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ...﴾ إلخ: أي: نتيجة، وعاقبة الشيطان، وذلك الإنسان؛ حيث صارا إلى النار المؤبدة. وعاقبة المنافقين، واليهود مثل عاقبة الشيطان، والذي أغواه. ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي: الخلود في النار. ﴿جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مجازاة ومعاقبة كل ظالم فاجر منتهك لحرمات الله والدين. هذا؛ وقال القرطبي: والتثنية ظاهرة فيمن جعل الآية مخصوصة في الراهب، والشيطان، ومن جعلها في الجنس، فالمعنى: وكانت عاقبة الفريقين، أو الصنفين.

الإعراب: ﴿فَكَانَ﴾: (الفاء): حرف استئناف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَتَهُمَآ﴾: خبر كان مقدم. ﴿أَنَّهُمَا﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، والميم والألف حرفان دالان على

التثنية. ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع اسم كان مؤخر. هذا؛ وقرأ الحسن برفع ﴿عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ على الضد من ذلك، وهي قراءة شاذة. ﴿خَٰلِدَيْنِ﴾: حال من ألف التثنية منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وقرأ الأعمش: (خالدان) على أنه خبر (أنَّ) على إلغاء الجار والمجرور: ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾، أو إلغاء: ﴿فِيهَآ﴾ وهي قراءة شاذة. ﴿فِيهَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدَيْنِ﴾، وجملة: (كان...) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَذَٰلِكَ﴾: (الواو): حرف استئناف. (ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: لما انقضى الكلام على المنافقين، واليهود، وضرب الأمثال لهم؛ وعظ المؤمنين موعظة حسنة؛ تحذيراً من أن يكونوا مثل مَنْ تقدم ذكرهم؛ لأن الموعظة بعد المصيبة أوقع في النفس لرقة القلوب، والحذر مما يوجب العقاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: هذا نداء من الله تعالى للمؤمنين بأكرم وصف، وألطف عبارة؛ أي: يا من صدقتم الله، ورسوله، وتحليتم بالإيمان؛ الذي هو زينة الإنسان. ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: خافوا الله في أوامره، فلا تخالفوها، وفي حدوده، فلا تعتدوها. ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: لينظر كل واحد منكم أيَّ شيء قدم لنفسه من الأعمال الصالحة، أو من الأعمال السيئة التي تهلكه، وتوقعه في العذاب الأليم. والمراد بـ: (غدٍ) يوم القيامة. والعرب تكني عن المستقبل بالغد. وقيل: ذكر الغد تنبيهاً على أن الساعة قريبة. قال قراد بن أجدع للنعمان بن المنذر: [الوافر]

فَإنْ يَكُ صدرُ هذا اليومِ ولَّى فإنَّ غَداً لِناظِرِهِ قريبُ

وانظر شرح ﴿غَدًا﴾ في الآية رقم [٢٦] من سورة (القمر). ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: هذه الجملة مؤكدة لما قبلها، تأكيداً لفظياً. وقيل: معنى الأول: اتقوا الله في أداء الواجبات. ومعنى الثاني: واتقوا الله، فلا تأتوا المنهيات. وقيل: التقوى الأولى: التوبة فيما مضى من الذنوب، والثانية: اتقاء المعاصي في المستقبل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: محيط بأعمالكم صغيرها، وكبيرها، خيرها، وشرها، فيجازيكم به بالخير خيراً، وبالسوء سوءاً.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ انظر الآية رقم [٩] من سورة (المجادلة) فالإعراب نفسه، لا يتغير. ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ولفظ

الجلالة منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية مثل الجملة الندائية قبلها. ﴿وَلْتَنظُرْ﴾: الواو: حرف عطف. (لتنظر): مضارع مجزوم بلام الأمر. ﴿نَفْسٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿قَدَّمَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى ﴿نَفْسٌ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَّا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: الذي، أو شيئاً قدمته. ﴿لِغَدٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: هذه الجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: انظر الآية رقم [٣] من سورة (المجادلة)، فالإعراب مثله لا يتغير، والجملة الاسمية هنا تعليل للأمر.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: نسوا طاعة الله، وأهملوا أوامره. ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾: فجعلهم ناسين حق أنفسهم من رحمة الله ورضوانه؛ حيث لم يقدموا عملاً صالحاً يستحقون به ما ذكر من فضله تعالى، وجوده، وإحسانه. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن طاعة الله، المخالفون أوامره. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٦] من سورة (الذاريات) بشأن الفسق. هذا؛ والمراد بالفاسقين هنا: اليهود، والمنافقون؛ الذين مر ذكرهم في هذه السورة مفصلاً، وانظر شرح «النسيان» في الآية رقم [١٩] من سورة (المجادلة).

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُونُوا﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق، ﴿كَالَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿تَكُونُوا﴾، وإن اعتبرت الكاف اسماً بمعنى: مثل؛ فهي الخبر، وتكون مضافة، و(الذين) اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، وجملة: (لا تكونوا...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَأَنسَاهُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (أنساهم): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهَ﴾، والهاء مفعول به أول. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٨]: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: لما أرشد الله المؤمنين إلى ما يصلحهم في الآية رقم [١٨] وهدد الكافرين، والمنافقين في الآية السابقة بيّن الفرق بين الفريقين بقوله جل شأنه: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ﴾

يعني: الذين هم في العذاب الدائم، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ يعني: الذين هم في النعيم المقيم، ثم أتبعه بقوله تعالت حكمته: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ ومعلوم: أن من جعل له النعيم المقيم؛ فقد فاز فوزاً عظيماً. انتهى. خازن.

وفي الكشاف: هذا تنبيه للناس، وإيذان لهم بأنهم لفرط غفلتهم، وقلة فكرهم في العاقبة، وتهالكم على إيثار العاجلة، واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة، والنار، والبون العظيم بين أصحابها، وأن الفوز مع أصحاب الجنة، فمن حقهم أن يعلموا ذلك، وينبهوا عليه، كما تقول لمن يعق أباه: هو أبوك، تجعله بمنزلة مَنْ لا يعرفه، فتنبهه بذلك على حق الأبوة؛ الذي يقتضي البر، والتعطف، وقد استدل أصحاب الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر، وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر، وانظر شرح ﴿يَسْتَوِىٓ﴾ في سورة (الحديد) رقم [١٠] وشرح ﴿أَصْحَٰبِ﴾ في سورة الواقعة [٩٠]. هذا؛ وفحوى هذه الآية مثل قوله تعالى في سورة (المائدة) رقم [١٠٠]: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ وفي سورة (السجدة) رقم [١٨]: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾، وفي سورة (صٓ) رقم [٢٨]: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾، وفي سورة (الجاثية) رقم [٢١]: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، وفي سورة (ن) [٣٥]: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَوِىٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّارِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٩].

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا...﴾ إلخ: أي: لو خلقنا في الجبل عقلاً، وتمييزاً، كما خلقنا للإنسان، وأنزلنا عليه هذا القرآن بوعده، ووعيده: لخشع، وخضع، وتشقق، خوفاً من الله تعالى، ومهابةً له. وهذا تصوير لعظمة قدر القرآن، وقوة تأثيره، وأنه بحيث لو خوطب به جبل ـ على شدته وصلابته ـ لرأيته ذليلاً متصدعاً من خشية الله. والمراد منه: توبيخ الإنسان بأنه لا يتخشع عند تلاوة القرآن، بل يعرض عما فيه من عجائب، وعظائم. فهذه الآية في بيان عظمة القرآن، ودناءة حال الإنسان. والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وعدم تأثره بهذا الذي لو أنزل على

جبل؛ لتخشع، وتصدع. وإذا كان الجبل على عظمته، وتصلبه يعرض له الخشوع، والتصدع، فابن آدم كان أولى بذلك، لكنه على حقارته، وضعفه لا يتأثر. انتهى. صابوني.

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله، وفهمته؛ لخشعت، وتصدعت من خشيته، فكيف بكم؛ وقد سمعتم وفهمتم؟! وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية رقم [٣١] من سورة (الرعد) انظر شرحها هناك. هذا؛ وقال الخازن وغيره: وهذا تمثيل؛ لأن الجبل لا يتصور منه الخشوع، والخشية إلا أن يخلق الله تعالى له تمييزاً، وعقلاً يدل على أنه تمثيل. انتهى. أقول: انظر قوله تعالى في آخر سورة (الأحزاب): ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ...﴾ إلخ ففيها بحث قيم.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: وتلك الأمثال نفصلها، ونوضحها للناس لعلهم يتفكرون في آثار قدرة الله، ووحدانيته، فيؤمنون. وقال الخازن: أي الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار، وقساوتها، وغلظ طباعهم. انتهى. وخذ قوله تعالى في سورة (العنكبوت) رقم [٤٣]: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

هذا؛ والخشوع: الخضوع، والتواضع، والتذلل بوجه عام. وهو في الصلاة جوهرها ولبها، ويكون في القلب والجوارح، أما خشوع القلب فهو الخوف من الله، وحضوره معه حينما يقول المصلي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وملاحظة: أنه بين يديه تعالى في جميع حركاته، وسكناته، وأما خشوع الجوارح؛ فعدم الالتفات في الصلاة، وعدم رفع البصر إلى السماء، وعدم العبث بشيء من جسده، وثيابه. وخذ ما يلي.

فعن عائشة ـ رضي الله عنها وعن أبويها ـ. قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: «**هو اختلاسٌ يختلسه الشيطان من صلاة العبد**». متفق عليه، والاختلاس: السرقة، والاختطاف. وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**لا يزالُ الله مقبلاً على العبْدِ، وهو في صلاتِهِ ما لَمْ يَلْتَفِتْ، فإذَا التَفَتَ؛ أَعْرَضَ عَنْهُ**». أخرجه أبو داود، والنسائي.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يرفعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ**». فاشتد قوله في ذلك؛ حتى قال: «**لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ!**». خرجه البخاري. وروي: أن النبي ﷺ أبصر رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: «**لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا؛ لَخَشَعَتْ جوارِحُهُ**». ذكره البغوي بغير سند.

هذا؛ والخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، وهو المراد منه بخشية عباد الله المؤمنين المتكررة في القرآن الكريم. هذا؛ والماضي: خشيَ، والمصدر: خشْيَة، والرجلُ خَشْيَانُ، والمرأة خَشْيَا، وهذا المكان أخشى من ذلك؛ أي: أشد خوفاً. هذا؛ وقد يأتي الفعل خَشِيَ بمعنى علم القلبية. قال الشاعر المسلم: [الكامل]

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنَّ مَنْ تَبِعَ الهُدَى سَكَنَ الجِنَانَ مَعَ النبيِّ مُحَمَّدِ

قالوا: معناه علمت، وقوله تعالى في سورة (الكهف) رقم [٨٠]: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ قال الأخفش: معناه: كرهنا. والله أعلم بمراده.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: وإذا تفكروا؛ اتعظوا، وإذا اتعظوا؛ آمنوا، وعبدوا الله. والتفكر في صنع الله أعظم عبادة يقوم بها العبد، وقد ورد: لتفكُّر ساعةٍ في صنع الله أفضلُ من عبادةِ ستِّين سنةً. ووَرَدَ: «**تَفكَّرُوا في آلاءِ الله، ولا تفكَّرُوا في اللهِ، فإنه لا تُحيطُ به الفكرةُ**». وروي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**لا عِبادَةَ كالتفكُّرِ**»؛ لأنه المخصوص بالقلب، والمقصود من الخلق. وعنه ﷺ أنه قال: «**بينما رَجُلٌ مُسْتَلقٍ على فراشِهِ؛ إذ رفع رَأْسَهُ، فنظر إلى السماء، والنجوم، فقال: أشهدُ أنَّ لكِ ربّاً، وخالِقاً، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي! فنظر الله إليه، فَغَفَرَ لَهُ**». هذا؛ والفكر: تصرف القلب في طلب الأشياء. وقال صاحب المفردات: الفكر: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم. والتفكر: جريان تلك القوة بحسب نظر العقل. وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يكون له صورة في القلب. انتهى. هذا؛ والفكر يؤدي إلى الوقوف على المعاني المطلوبة من التآنس، والتجانُسِ بين الأشياءِ كالزَّوْجَيْنِ. وانظر الترجي في الآية رقم [٤٩] من سورة (الذاريات).

الإعراب: ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقعُ لوقوع غيره. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿هَٰذَا﴾: (الهاء): حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، أو هو نعت له. ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَنزَلْنَا﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ﴾: (اللام): واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾. (رأيته): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية جواب ﴿لَوْ﴾ لا محل لها. ﴿خَٰشِعًا﴾: حال من الضمير المنصوب، أو هو مفعول به ثان على اعتبار الفعل قلبياً. ﴿مُّتَصَدِّعًا﴾: حال ثانية، أو هو من تعدد المفعول الثاني. ﴿مِّنْ خَشْيَةِ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَٰشِعًا﴾ أو بـ: ﴿مُّتَصَدِّعًا﴾ على التنازع، و﴿خَشْيَةِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿وَتِلْكَ﴾: (الواو): حرف استئناف. (تلك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿ٱلْأَمْثَٰلُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، أو نعت له. ﴿نَضْرِبُهَا﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، (وها): مفعول به. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ خبراً للمبتدأ فالجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ٱلْأَمْثَٰلُ﴾

والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال اسم الإشارة، فتكون الجملة مثل قوله تعالى حكاية عن قول سارة زوج إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ رقم [٧٢] من سورة (هود). وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ رقم [١٥٣] من سورة (الأنعام). ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف ترج مشبه بالفعل، والهاء: اسمها، وجملة: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية مفيدة للتعليل، لا محل لها، والجملة الاسمية: (تلك الأمثال...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ المعنى: أنه تعالى أعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه، ولم يعلموه، وعليم بما شاهدوه، وما علموه. وقيل: استوى في علمه تعالى السر، والعلانية، والموجود، والمعدوم. وقيل: علم حال الدنيا، والآخرة. هذا؛ والغيب: ما غاب عن الإنسان، ولم تدركه حواسه، قال الشاعر: [الطويل]

وبالغَيْبِ آمَنَّا وقَدْ كَانَ قَوْمُنَا ... يصلُّونَ لِلأوْثَانِ قَبْلَ مُحَمَّدِ

ولا تنس الطباق بين ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ و﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.

﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: هما اسمان. وقيل: صفتان مأخوذتان من الرحمة، ورحمة الله: إرادته الخير، والنعمة، والإحسان إلى خلقه. وهما في حقه سبحانه وتعالى بمعنى المحسن، أو مريد الإحسان، لكن الأول بمعنى: المحسن بجلائل النعم، والثاني بمعنى: المحسن بدقائق النعم، وإنما جمع بينهما هنا، وفي البسملة إشارة إلى أنه ينبغي أن يطلب منه تعالى النعم الحقيرة، كما يطلب منه النعم العظيمة. وقد يوصف بالرحيم المخلوقون، وأما الرحمن فلا يوصف به إلا الله تعالى، ومن وصف به مسيلمة الكذاب؛ فقد تعنَّت حيث قال فيه: [البسيط]

وأنْتَ غَيْثُ الوَرَى لا زِلْتَ رَحْمَانَا

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة لفظ الجلالة. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم ﴿لَآ﴾ مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف، التقدير: موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هُوَ﴾: يجوز فيه ثلاثة أوجه: أحدها اعتباره بدلاً من اسم ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء. والثاني: اعتباره بدلاً من ﴿لَآ﴾ واسمها؛ لأنهما في محل رفع بالابتداء. والثالث:

اعتباره بدلاً من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وهو الأقوى والأولى، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عَٰلِمُ﴾: يجوز فيه أربعة أوجه: أحدها: أن يكون بدلاً من (هو) بدل ظاهر من مضمر. الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو عالم، وحسن حذفه توالي اللفظ بـ: ﴿هُوَ﴾ مرتين. الثالث: أن يكون خبراً ثانياً، لقوله: ﴿هُوَ﴾ الأول. الرابع: أن يكون صفة للضمير قبله، وذلك عند الكسائي، فإنه يجيز وصف الضمير الغائب بصفة مدح، فهو يشترط هذين الشرطين: أن يكون غائباً، وأن تكون الصفة صفة مدح، و﴿عَٰلِمُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْغَيْبِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: مبتدأ، وخبران له. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، واعتبارها بدلاً من سابقتها، لا بأس به.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾: هو بكسر اللام: الذي يستغني في ذاته، وصفاته عن كل موجود، ويحتاج إليه كل موجود. وقيل: من إذا شاء ملك، وإذا شاء أهلك. ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ بضم القاف، وقد تفتح، وهو قليل، وهو من أبنية المبالغة، ومعناه: المنزه عن كل نقص، والطاهر عن كل عيب. وقيل: هو من: تقدس عن الحاجات ذاته، وتنزه عن الآفات صفاته، وحظ العبد منه التنزه عما يشينه في أمر دينه، ودنياه وآخرته. وهو من أسماء الله الحسنى، وكل فعّول مفتوح غير قدوس، وسبوح، وذروح، وفروج، فبالضم، ويفتحن ولم يذكر هذا الاسم إلا في هذه السورة وفي سورة الجمعة.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: قيل: هو الذي سلمت ذاته عن الحدوث والعيب، وصفاته عن النقص، وأفعاله عن الشر المحض، فيرجع إلى معنى التنزيه. وقيل: معناه: المسلم على عباده في الجنة. فيرجع إلى الكلام القديم. وقيل: معناه: المسلم عباده من المعاطب، والمهالك. فيرجع إلى القدرة. وقيل: غير ذلك. وحظ العبد منه بالمعنى الأول: أن ينزه نفسه عن كل لهو، ولسانه عن كل لغو، وقلبه عن كل غير، ويأتي ربه بقلب سليم. وبالمعنى الثاني: إفشاء السلام. وبالمعنى الثالث: دفع المضار عن الناس.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ أي: المصدق لرسله بإظهار معجزاته عليهم. ومصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب. ومصدق الكافرين، والفاسدين المفسدين ما أوعدهم من العقاب. وقيل: إنه مأخوذ من الأمن، وهو المؤمن عباده من المخاوف، كما قال تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ فهو مؤمن. قال النابغة الذبياني في معلقته رقم [٣٨]: [البسيط]

والـمـؤْمِـنِ الـعـائِـذَاتِ الـطَّـيْـرَ يَـمْـسَـحُـهَـا ... ركـبـانُ مـكـةَ بَـيْـنَ الـغَـيْـلِ والـسَّـنَـدِ

وحظ العبد منه بالمعنى الأول: تحقيق اتصافه بحقائق الإيمان. وبالمعنى الثاني: أن يأمن غيره أذاه. قال رسول الله ﷺ: **«المسلمُ من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويَدِهِ»**. أخرجه البخاري، ومسلم عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ. وقال ﷺ: **«لَيْسَ بِمؤمِنٍ مَنْ لَمْ يأْمَنْ جارُهُ بَوائِقَهُ»**. رواه أبو يعلى، وغيره عن أنس ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ أي: الرقيب المبالغ في المراقبة، والحفظ، من قولهم: هيمن الطير: إذا نشر جناحه على فرخه صيانةً له. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أي: الشهيد على عباده بأعمالهم؛ الذي لا يغيب عنه شيء. فيرجع إلى معنى العلم. قال تعالى في سورة (المائدة) [٤٨]: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾. انظر شرحها هناك. وقيل: هو القائم على خلقه يرزقه، وأنشد في معناه: [الطويل]

أَلَا إِنَّ خَـيْـرَ الـنـاسِ بَـعْـدَ نـبـيِّـهِ ... مُـهَـيْـمِـنُـهُ الـتَّـالـيـهِ فـي الـعُـرْفِ والـنـكـرِ

أي: القائم على الناس بعده. وقيل: هو بمعنى العلي، ومنه قول العباس ـ رضي الله عنه ـ يمدح النبي ﷺ في أبيات منها: [المنسرح]

حـتَّـى احـتَـوَى بَـيْـتُـكَ الـمـهـيـمـنُ مِـنْ ... خِـنْـدِفَ عَـلْـيَـاءَ زَانَـهـا الـنـطـقُ

وقيل: المهيمن اسم من أسماء الله تعالى، هو أعلم بتأويله، وأنشدوا في معناه: [الكامل]

جـلَّ الـمـهـيـمـنُ عـنْ صـفـاتِ عـبـيـدِهِ ... ولـقـدْ تـعـالـى عـنْ عـقـولِ أولـي الـنُّـهـى

رامُـوا بـزعـمِـهِـمُ صـفـاتِ مَـلِـيـكِـهِـمْ ... والـوصـفُ يـعـجـزُ عـنْ مِـلـيـكٍ لا يُـرَى

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: الذي لا يدركه طالبه، ولا يعجزه هاربه، فيرجع إلى القدرة. وقيل: هو العديم المثل، والنظير، فيرجع إلى التنزيه. والعزة في الأصل: القوة، والشدة، والغلبة. وحظ العبد منه أن يغلب نفسه، وسلطانه، بالاستقامة والاستعانة به تعالى. وقال ﷺ: **«مَنْ تواضعَ لغنيٍّ لغناه فقد ذهبَ ثُلُثَا دينِهِ»**. وإنما كان كذلك؛ لأن الإيمان متعلق بثلاثة أشياء: المعرفة بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، فإذا تواضع بلسانه، وأعضائه؛ فقد ذهب الثلثان، فلو انضم إليه القلب ذهب الكل.

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: الجبار: هو العظيم، وجبروت الله: عظمته. فعلى هذا هو صفة ذات، وهو صيغة مبالغة. وقيل: هو من الجبر، ومنه جبر العظم، وهو في الأصل إصلاح الشيء، وربنا سبحانه وتعالى يجبر قلوب عباده، يغني الفقير، ويجبر الكسير، ويكشف الهم، ويزيل الغم، فعلى هذا هو صفة فعل. وقيل: هو الذي يجبر الخلق، ويقهرهم على ما أراد، وسئل بعضهم عن معنى الجبار، فقال: هو القهار؛ الذي إذا أراد أمراً؛

فعله، لا يحجزه عنه حاجز، والجبار في صفة الله تعالى مدح. وفي صفة الناس ذم، ولم يرد هذا الاسم الكريم إلا في هذه الآية من هذه السورة، وانظره في النهي عنه في حق العباد في آخر سورة (ق) فإنه جيد جدّاً جدّاً.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ أي: المتعالي العظيم؛ الذي تكبر بربوبيته، فلا شيء مثله. وقيل: المتكبر عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدوث، وأصل الكبر، والكبرياء: الامتناع، وقلة الانقياد. قال حميد بن ثور الهلالي: [الطويل]

عَفَتْ مثلَ ما يَعْفُو الفصيلُ فأصْبَحَتْ بِهَا كبرياءُ الصَّعْبِ وهيَ ذَلُولُ

وهو على الإطلاق لا يتصور إلا لله تعالى، فإنه المنفرد بالعظمة، والكبرياء بالنسبة إلى كل شيء من كل وجه، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله جل وعلا: «**الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري، فَمَنْ نَازَعنِي واحداً منهما؛ ألقيتُهُ في النارِ**». رواه ابن ماجه، وهو في حق الله مدح، وفي حق المخلوقين ذم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٧] من سورة (الجاثية)، مع العلم: أن هذا اللفظ لم يرد في غير هذه الآية من هذه السورة. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: انظر الآية رقم [٤٣] من سورة (الطور) لشرحه، وإعرابه.

الإعراب: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾: انظر الآية السابقة فالإعراب مثله فيها، والأسماء الآتية كلها بدل من لفظ الجلالة، وانظر إعراب: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ في آخر سورة (الطور).

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾: انظر شرحه في الآية رقم [٩] من سورة (الحديد). ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾: من الخلق، وأصله: التقدير المستقيم، كقوله تعالى في سورة (المؤمنون) رقم [١٤] بعد ذكر خلق الإنسان في ثلاثة أطوار: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾. ويستعمل بمعنى الإبداع، وهو إيجاد الشيء من غير أصل، كقوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. وبمعنى التكوين، كقوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾. وقيل: الخالق الذي أظهر الموجودات بقدرته، وقدَّر كلَّ واحد منها بمقدار معين بإرادته. قال تعالى مخاطباً عيسى على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام في سورة (المائدة) رقم [١١٠]: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾. وقال زهير: [الكامل]

ولأنْتَ تَفْرِي ما خلقْتَ وبَعْـ ـضُ القومِ يخلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي

يقول: تقدر ما تقدر ثم تفريه؛ أي: تمضيه على وفق تقديرك، وغيرك يقدر ما لا يتم له، ولا يقع فيه مراده، إما لقصوره في تصور تقديره، أو لعجزه عن تمام مراده. ﴿ٱلْبَارِئُ﴾: المنشئ المخترع. وقيل: مأخوذ من البرء، وأصله: خلوص الشيء عن غيره، إما على سبيل التقصي منه، ومنه قولهم: برئ فلان من مرضه، أو المديون من دينه، وإما على سبيل الإنشاء منه، ومنه برأ الله النسمة، وهو البارئ لها.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: المبدع لصور المخترعات، ومزينها، ومرتبها. وقيل: المصور الذي سوى قامتك، وعدل خلقتك. قال تعالى في سورة (التين): ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وقيل: معنى التصوير: التخطيط، والتشكيل. قال النابغة: [المنسرح]

الخالِقُ البارئُ المُصَوِّرُ في الـ ... أرحامِ ماءً حتَّى يصيرَ دَمَا

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: لله الأسماء الحسنى، ومعنى كونها أحسن الأسماء: أنها مشتملة على معاني التقديس، والتعظيم، والتمجيد، وعلى صفات الجلال، والجمال. و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: مؤنث الأحسن؛ الذي هو أفعل تفضيل، لا مؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء. والحسنى: ضد السوأى، وقد وصف الجمع الذي لا يعقل بما توصف به الواحدة، كقوله تعالى حكاية عن قول موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ وهو فصيح، ولو جاء على المطابقة للجمع، لكان التركيب الحسن على وزن الآخر. كقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ لأن جمع ما لا يعقل يخبر عنه، ويوصف بوصف المؤنثات، وإن كان المفرد مذكراً، وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ لله عزَّ وجلَّ تسعةً وتسعينَ اسماً، مئة إلا واحداً ـ إنه وتر يحبُّ الوِتْر ـ من أحْصَاهَا دخل الجنَّةَ. وهي: هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المغيث، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور**» رواه الطبراني في جامعه.

هذا؛ وفي روايةٍ: المقيت بدل: المغيث. وفسر بالمقتدر، فيرجع لمعنى القادر. قال تعالى في سورة (النساء) رقم [٨٥]: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ وقيل: معناه: من شاهد النجوى، فأجاب وعلم، فكشف واستجاب فيرجع إلى معنى (المغيث).

وقول الرسول ﷺ (مَنْ أحصاها) قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: معناه: من حفظها. هكذا فسره البخاري، والأكثرون، ويؤيده: أن في رواية الصحيح: «**مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**». وقيل: معناه: من عرف معانيها، وآمن بها. وقيل: معناه: من أحصاها بحسن الرعاية لها، والتخلق بما يمكنه من العمل بمعانيها.

تنبيه: هناك أسماء مشهورة لم تذكر بين أسماء الله الحسنى، مثل: (المعطي، الجواد، الستار، الساتر، الحنَّان، المنَّان) وعند التأمل تجد: أن هذه الأسماء تعود معانيها إلى بعض الأسماء المذكورة، مثلاً: المعطي، والجواد يعود معناهما إلى الوهاب. والحنان، والمنان يعود معناهما إلى الرؤوف. والستار، والساتر يعود معناهما إلى العفو. وخذ ما يلي:

«**اللهم إني عبدُك، وابنُ عبدِك، وابن أمَتِكَ، ناصيتي بيدِكَ، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤُكَ، أسألُكَ بكلِّ اسم هو لكَ سميْتَ بهِ نفسَكَ، أو أنزلْتَهُ في كتابك، أو عَلَّمْتَهُ أحداً من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك أن تجعلَ القُرآن رَبيعَ قلبي، ونورَ بصري، وجلاءَ حزني، وذهاب همي**». فهذا دعاء مأثور، فلعل الأسماء المذكورة هي مما علمه الله بعض العباد فنطقوا به بإلهام منه جل ذكره، وتقدست أسماؤه. وهناك أسماء كثيرة استأثر الله بها، فلم يعلمها أحداً من خلقه.

الإعراب: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾: خبر ثان، وثالث، أو هما خبران لمبتدأين محذوفين. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر رابع للمبتدأ الأول. ﴿يُسَبِّحُ﴾: فعل مضارع. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر خامس، أو هي مستأنفة، وهو أقوى. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (الحشر)، شرحاً وإعراباً.

والحمد لله رب العالمين.

 

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (الممتحنة) مدنية في قول الجميع، وهي ثلاث عشرة آية، وثلاثمئة وثمان وأربعون كلمةً، وألف وخمسمئة وعشرة أحرف. هذا؛ والممتحنة بكسر الحاء معناها: المختبرة، أضيف الفعل إليها مجازاً، كما سميت سورة (براءة) المبعثرة، والفاضحة؛ لما كشفت من عيوب المنافقين. ومن قال في هذه السورة (الممتحنة) بفتح الحاء، فإنَّه أضافها إلى المرأة التي نزلت فيها، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط. قال الله تعالى: ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ...﴾ إلخ الآية رقم [١٠] وهي امرأة عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ ولدت له إبراهيم بن عبد الرحمن. انتهى. قرطبي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾

الشرح: سبب نزول هذه الآية ذكره الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ بقوله: بعثني رسول الله ﷺ أنا، والزبير، والمقداد، فقال: «**انطلقوا؛ حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، معها كتاب، فخذوه منها**». قال: فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لتلقين الثياب! فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟!**». فقال: يا رسول الله! لا تعجل عليَّ، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، وأموالهم بمكة، فأحببت؛ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلته كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول

الله ﷺ: **«إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ»**. فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: دعني يا رسول الله أضربْ عنق هذا المنافق! فقال الرسول ﷺ: **«إنه قدْ شهدَ بدراً، وما يدريكَ لعلَّ الله اطلع على أهلِ بدرٍ، فقال: اعملوا ما شِئْتُم فقد غفرتُ لكُمْ»**. فأنزل الله عز وجل الآية.

روضة خاخ: موضع بقرب حمراء الأسد من المدينة. وقيل: إنه موضع قريب من مكة، والأول أصح. والظعينة: المرأة المسافرة، سميت بذلك لملازمتها الهودج، وجمعها: ظعائن، والعقاص: الشعر المضفور. وهذه المرأة اسمها سارَّة مولاة لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف، أتت المدينة، والرسول ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها رسول الله ﷺ: **«أمسلمة جئتِ؟»**. قالت: لا. قال: **«أمهاجرة جئتِ؟»**. قالت: لا. قال: **«فما جاء بك؟»**. قالت: كنتم الأهل، والعشيرة، والموالي، وقد ذهبت مواليَّ، وقد احتجتُ حاجة شديدة، فقدمت إليكم لتعطوني، وتحملوني، فقال لها: **«وأين أنت من شباب مكة؟!»**. وكانت مغنية نائحة. قالت: ما طُلب مني شيء بعد وقعة بدر. فحث النبي ﷺ بني عبد المطلب على إعطائها، فأعطوْها نفقة، وكسوة، وحملوها. فأتاها حاطب بن أبي بلتعة، حليف بني أسد بن عبد العزى، وهو من أهل اليمن، فكتب معها إلى أهل مكة، وأعطاها عشرة دنانير، وكساها برداً على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، وكتب في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة: إن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حذركم! فخرجت سارَّة ونزل جبريل عليه السلام، فأخبر النبي ﷺ بما فعل... إلخ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: هذا نداء من الله تعالى للمؤمنين بأكرم وصف، وألطف عبارة؛ أي: يا من صدقتم الله، ورسوله، وتحليتم بالإيمان؛ الذي هو زينة الإنسان. وذكر: أن حاطباً ـ رضي الله عنه ـ لما سمع هذا النداء؛ غُشِي عليه من الفرح بخطاب الإيمان. ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾: أصدقاء وأحباء، فهو جمع ولي، وهو من يتولى شؤون غيره، والنصير: المعين، والمساعد. والفرق بينهما: أن الولي قد يضعف عن النصرة، والمعاونة، والنصير قد يكون أجنبياً من المنصور، فبينهما عموم، وخصوص من وجه. هذا؛ وعدو: ضد الصديق، وهو على وزن فعول بمعنى فاعل، مثل: صبور، وشكور، وما كان من هذا الوزن يستوي فيه المفرد، والمثنى، والجمع. والمذكر، والمؤنث، إلا لفظاً واحداً جاء نادراً. قالوا: هذه عدوَّةُ الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فعبر به عن مفرد، وقال تعالى في سورة (الشعراء): ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فقد عبر به عن جمع، ومثل ذلك صديق، وجمع عدو: أعداءٌ، وأعادٍ، وعُدات، وعِدىً. وقيل: أعاد جمع: أعداء، فيكون جمع الجمع. وفي القاموس المحيط: والعدا بالضم والكسر: اسم الجمع. هذا؛ وسمي العدو عدواً لعدوه عليك عند أول فرصة تسنح له للإيقاع بك، والقضاء عليك، كما سمي الصديق صديقاً؛ لصدقه فيما يدعيه لك من الألفة، والمودة، والمحبة.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: تخبرونهم بسرائر المسلمين، وتنصحونهم. وهذا ينم عن مودة، ومحبة بينكم، وبينهم. ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾: من القرآن، والدين الصحيح؛ الذي جاء به محمد ﷺ. ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: من مكة بسبب إيذائهم لكم. ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي: فعلوا ما فعلوا من الإيذاء، والإخراج؛ لأنكم آمنتم بالله ربكم.

﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾: من أوطانكم. ﴿جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ أي: لأجل الجهاد ولابتغاء وطلب مرضاتي، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فلا تتخذوا عدوي... إلخ. ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: أي تفضون إليهم بمودتكم، أو تسرون إليهم أسرار رسول الله ﷺ، بسبب المودة والمحبة لهم، والنصيحة لهم في الكتابة إليهم. قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذا كله معاتبة لحاطب ـ رضي الله عنه ـ، وهو يدل على فضله وكرامته، ونصيحته لرسول الله ﷺ، وصدق إيمانه، فإن المعاتبة لا تكون إلا من محب لحبيبه، كما قال الشاعر: [الوافر]

أُعَاتِبُ ذَا المَوَدَّةِ مِنْ صَدِيقٍ   إِذَا مَا رَابَنِي مِنْهُ اجْتِنَابُ
إِذَا ذَهَبَ العِتَابُ فَلَيْسَ وُدٌّ   وَيَبْقَى الوُدُّ مَا بَقِيَ العِتَابُ

﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ﴾: من المودة للكفار. ﴿وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ أظهرتم بألسنتكم من المودة لهم. ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ﴾ أي: الإسرار، أو الإعلان بالمودة، والنصيحة لهم. ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ طريق الهدى، وخرج عن جادة الحق، والصواب.

بعد هذا انظر ما ذكرته في آخر سورة (المجادلة)، فالآيتان بمعنى واحد. وقد جاء النهي عن موالاة الكفار في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [٢٨]: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأيضاً رقم [١١٨] منها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾، وقوله تعالى في سورة (النساء) رقم [١٤٤]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله تعالى في سورة (المائدة) رقم [٥١]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ وغير ذلك كثير.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء. (وها): حرف تنبيه لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه. ولا يجوز اعتبار الهاء ضميراً في محل جر بالإضافة؛ لأنه حينئذ يجب نصب المنادى. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدلاً من لفظ (أيها)، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَدُوِّى﴾: مفعول به أول منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من

ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾: معطوف عليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية مثل الجملة الندائية قبلها، وتقدير فعل محذوف ينصبها مستبعد.

﴿تُلْقُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿إِلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والمفعول به محذوف، التقدير: تلقون إليهم أخبار الرسول ﷺ بسبب المودة؛ التي بينكم وبينهم. وجوز الباء صلة، و(المودة) مفعول به مجرور لفظاً، منصوب محلاً. والجملة الفعلية فيها أربعة أوجه:

أحدها: أنها تفسير لموالاتهم إياهم. الثاني: أنها استئناف، فلا محل لها على هذين الوجهين. الثالث: أنها حال من واو الجماعة. الرابع: أنها صفة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾. انتهى. جمل نقلاً من السمين. ﴿وَقَدْ﴾: (الواو): واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَفَرُوا۟﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالباء. ﴿جَآءَكُم﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (ما) وهو العائد، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل جاء و﴿مِّنَ﴾ بيان لما أبهم في (ما).

﴿يُخْرِجُونَ﴾: مضارع، وفاعله. ﴿ٱلرَّسُولَ﴾: مفعول به. ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل نصب معطوف على الرسول، والجملة الفعلية مستأنفة، أو هي مفسرة لكفرهم، ولا محل لها على هذين الوجهين. ويجوز أن تكون حالاً من واو الجماعة. والرابط: الضمير فقط. ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟﴾: منصوب بـ: «أن»، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والمصدر المؤول منهما في محل نصب بنزع الخافض، أو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لأجل إيمانكم، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يُخْرِجُونَ﴾. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبِّكُمْ﴾: بدل مما قبله، أو صفة له، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿خَرَجْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كُنتُمْ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿جِهَٰدًا﴾: مفعول لأجله، أو هو حال على تأويله بـ: «مجاهدين»؛ لأن المصدر لا يخبر به عن جثة. وقيل: هو مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: جاهدتم جهاداً، وتعود هذه الجملة في

محل نصب حال من تاء الفاعل، أو في محل نصب خبر ثان لـ: (كان). ﴿فِي سَبِيلِي﴾: متعلقان بـ: ﴿جِهَادًا﴾، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱبْتِغَآءَ﴾: معطوف على ﴿جِهَادًا﴾، وهو مضاف، و﴿مَرْضَاتِيۚ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، وعلامة الجر كسرة مقدرة... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: إن كنتم خرجتم... فلا تتخذوا عدوي.... إلخ، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام مستأنف، أو معترض بين البدل، والمبدل منه كما ستقف عليه.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ بلا فارق، وهي بدل منها، بدل بعض من كل؛ لأن إلقاء المودة أعم من السر، والجهر. أو هي مستأنفة، لا محل لها، والاعتراض بالجملة الشرطية يكون على اعتبار البدلية. ﴿وَأَنَا۠﴾: (الواو): واو الحال. (أنا): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبر المبتدأ، وهو أفعل تفضيل. وجوز اعتباره فعلاً مضارعاً، وفاعله مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير الذي ترى تقديره عائداً إلى الموصول، أو هي حال من ياء المتكلم، والرابط: الواو، والضمير، وهو واضح، ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿أَخْفَيْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والمتعلق محذوف، التقدير: في صدوركم، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: أعلم بالذي، أو بشيء أخفيتموه. وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: أعلم بإخفائكم القول، والفعل. وفيه ضعف كما ترى. ﴿وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ﴾: معطوف على ما قبله، والمتعلق محذوف؛ إذ التقدير: والذي، أو شيء أعلنتموه؛ أي: أظهرتموه بألسنتكم. هذا؛ وقد قيل: إن الباء صلة على اعتبار ﴿أَعْلَمُ﴾ فعلاً مضارعاً.

﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَفْعَلْهُ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، والهاء مفعول به. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (مَنْ). ﴿فَقَدْ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ضَلَّ﴾: فعل ماض. والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿سَوَآءَ﴾: مفعول به وهذا على أن ﴿ضَلَّ﴾ متعد، فإن اعتبرته لازماً فـ: ﴿سَوَآءَ﴾ يكون ظرفاً متعلقاً بـ: ﴿ضَلَّ﴾؛ أي: ظرف مكان. وهو مضاف، و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور،

والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ أي: إن يظفروا بكم، ويتمكنوا منكم. والمادة بمعنى: يجدونكم، ويصادفونكم. قال تعالى في سورة (الأحزاب) رقم [٦١]: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾، وقال في سورة (البقرة) رقم [١٩١]: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾. هذا؛ والثقف في الأصل: الحذق في إدراك الشيء علماً كان، أو عملاً، فهو يتضمن معنى الغلبة. ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾: يظهروا ما في قلوبهم من العداوة الشديدة لكم. ولا ينفعكم إلقاء المودة لهم. ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم﴾ أي: يمدوا إليكم أيديهم بالضرب، والقتل، وألسنتهم بالشتم والسب. ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: أحبوا، وتمنوا أن تكفروا؛ لتكونوا مثلهم، فلا تناصحوهم، فإنهم لا يناصحونكم. قال تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١١٨]: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾.

قال الزمخشري في الكشاف: فإن قلت: كيف أورد جواب الشرط مضارعاً مثله، ثم قال: ﴿وَوَدُّوا﴾ بلفظ الماضي؟ قلت: الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في باب الإعراب، فإن فيه نكتة: كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم، وارتدادكم. يعني: أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً من قتل الأنفس، وتمزيق الأعراض، وردكم كفاراً أسبق المضار عندهم، وأولها؛ لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم؛ لأنكم بذالون لها دونه، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه. انتهى. وخذ قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٨٩]: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَثْقَفُوكُمْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يَكُونُوا﴾: مضارع ناقص جواب الشرط مجزوم... إلخ، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال منه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿أَعْدَاءً﴾: خبر ﴿يَكُونُوا﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و﴿إِن﴾

ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ﴾: معطوف على ﴿يَكُونُواْ﴾، فهو مجزوم مثله، ويجوز أن يكون منصوباً بـ: «أنْ» مضمرة بعد الواو على أنها واو المعية، كما يجوز رفعه، ولكن لم يقرأ برفعه، وهذا على القاعدة: «إذا عطف مضارع بالواو، أو بالفاء على جواب الشرط؛ جاز رفعه، ونصبه، وجزمه، وإذا عطف على فعل الشرط بالواو، أو بالفاء؛ جاز نصبه وجزمه» قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

والفِعلُ مِنْ بعدِ الجزَا إنْ يَقْترِنْ ... بالفَا، أو الواوِ بتثْليثٍ قَمِنْ

وجَزْمٌ أوْ نصبٌ لفعلٍ إثر فَا ... أوْ واوٍ إنْ بالجمْلتينِ اكتنفَا

هذا وقد قرئ في الآية رقم [٢٨٤] من سورة (البقرة) قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ...﴾ إلخ برفع (يغفر) ونصبه، وجزمه. والواو فاعله. ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾: مفعول به. ﴿وَأَلْسِنَتَهُم﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِالسُّوٓءِ﴾: متعلقان بالفعل (يبسطوا) مثل ﴿إِلَيْكُمْ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم﴾. ﴿وَوَدُّواْ﴾: (الواو): حرف عطف. (ودوا): ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿لَوْ﴾: حرف مصدري. ﴿تَكْفُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، و﴿لَوْ﴾ والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: ودوا كفركم، ومثلها آية (النساء) الآنفة الذكر. والجملة الفعلية معطوفة على جملة الشرط والجزاء، ويكون تعالى قد أخبر بخبرين بما تضمنته الجملة الشرطية، وبودادتهم كفر المؤمنين. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

الشرح: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ...﴾ إلخ: لما اعتذر حاطب ـ رضي الله عنه ـ بأن له أولاداً، وأرحاماً بين المشركين؛ بين الله عز وجل: أن الأولاد، والأرحام لا ينفعون شيئاً يوم القيامة؛ إن عُصِيَ من أجلهم، وبسببهم. والمعنى: لا يحملنكم الذين في مكة من قراباتكم على معصية الله، وخيانة الرسول ﷺ والمؤمنين، وترك مناصحتهم، ونقل أخبارهم إلى أعدائهم.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ﴾ أي: في ذلك اليوم العصيب يحكم الله بين المؤمنين، والكافرين، فيدخل المؤمنين جنات النعيم، ويدخل المجرمين دار الجحيم. وفي النسفي: يفصل بينكم، وبين أقاربكم، وأولادكم: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق مَنْ يفر منكم غداً. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: مطلع على جميع أقوالكم، وأعمالكم، فيجازيكم بها، إن خيراً؛ فخيرٌ، وإن شرّاً؛ فشرٌّ.

الإعراب: ﴿لَن﴾: حرف نصب، ونفي، واستقبال. ﴿تَنفَعَكُمْ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾، والكاف مفعول به. ﴿أَرْحَامُكُمْ﴾: فاعل. ﴿وَلَآ﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿أَوْلَٰدُكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وعليه: فالوقف على القيامة، أو هو متعلق بالفعل بعده، وعليه: فالوقف على ﴿أَوْلَٰدُكُمْ﴾، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿يَفْصِلُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله) تقديره: «هو»، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَيْنَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: انظر إعراب مثلها مفصلاً في الآية رقم [٣] من سورة (المجادلة).

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوة صالحة؛ أي: اقتدوا به، وسيروا على سيرته، ونهجه. ﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: وأتباعه الذين آمنوا معه، وساروا سيرته من الأنبياء، والمرسلين. والمعروف: أنه لم يؤمن به من قومه، ولم يهاجر معه سوى امرأته وابن أخيه لوط، وهو فحوى قوله تعالى في سورة (العنكبوت) رقم [٢٦]: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ انظر شرحها هناك. ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ﴾ أي: المشركين. ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: بريئون منكم، ومن معبوداتكم. ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: وبما تعبدون من دون الله، بمعنى: لا نعتد بشأنكم، ولا بشأن آلهتكم، وما أنتم عندنا على شيء. فقد كاشفوهم بالعداوة، وأظهروا لهم البغضاء، والمقت، وصرحوا بأن سبب عداوتهم، وبغضائهم ليس إلا كفرهم بالله، وما دام هذا السبب قائماً؛ كانت العداوة قائمة، حتى إذا أزالوه، وآمنوا بالله وحده؛ انقلبت العداوة موالاة، والبغضاء محبة، والمقت رضا. وهذا محض الإخلاص.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ المعنى: لكم أن تتأسوا بإبراهيم، وتقتدوا به في جميع أموره، إلا في الاستغفار لأبيه المشرك، فلا تتأسوا به؛ فإن إبراهيم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ كان قد قال لأبيه: لأستغفرن لك؛ لما وعده أن يؤمن، فلما تبين له إقامته على الكفر تبرأ منه، وهو صريح قوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [١١٤]: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾: هذا من قول إبراهيم عليه السلام لأبيه؛ يعني: ما أغني عنك شيئاً، ولا أدفع عنك عذاب الله؛ إن عصيته وأشركتَ به. ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾. هذا من دعاء إبراهيم، عليه السلام وأصحابه. وقيل: علّم الله المؤمنين أن يقولوا هذا؛ أي: تبرؤوا من الكفار، وتوكلوا على الله، وقولوا: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾ أي: اعتمدنا في جميع أمورنا عليك، وفوضناها إليك. ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: المرجع، والمآب. هذا؛ وتقديم الجار والمجرور في هذه الجملة لإفادة الحصر.

الإعراب: ﴿قَدۡ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَانَتۡ﴾: فعل ماض ناقص، والتاء للتأنيث. ﴿لَكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان) تقدم على اسمها. ﴿أُسۡوَةٌ﴾: اسم (كان) مؤخر. ﴿حَسَنَةٌ﴾: صفة له. وجملة: ﴿قَدۡ كَانَتۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أُسۡوَةٌ﴾، ومنعه أبو البقاء؛ لأن ﴿أُسۡوَةٌ﴾ قد وصفت. ولا يبالى به؛ لأنه يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره. أو هما متعلقان بـ: ﴿حَسَنَةٌ﴾ تعلق الظرف بالعامل، أو هما متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ: ﴿أُسۡوَةٌ﴾، أو بمحذوف حال منها بعد وصفها بـ: ﴿حَسَنَةٌ﴾، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في ﴿حَسَنَةٌ﴾ لأنها صفة مشبهة، أو هما متعلقان بمحذوف خبر (كان)، و﴿لَكُمۡ﴾ متعلقان بكانت. انتهى. جمل بتصرف كبير مني. وعلامة جر ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر معطوف على ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾. ﴿مَعَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِذۡ﴾: بدل من ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ بدل اشتمال، فهو مبني على السكون في محل نصب. وقال السمين: فيه وجهان: أحدهما: أنه متعلق بمحذوف خبر (كان). والثاني: أنه هو الخبر. قالهما أبو البقاء، ومن جوز في (كان) أن تعمل في الظرف علقه بها، ويصح أن يكون بياناً للمضاف المقدر في قوله: ﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي في قول إبراهيم، وفعله. انتهى. جمل بتصرف. والمعتمد الأول. ﴿قَالُواْ﴾: ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لِقَوۡمِهِمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ﴾: خبرها، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿مِنكُمۡ﴾: متعلقان بـ: ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ﴾. ﴿وَمِمَّا﴾: جار ومجرور معطوفان على ﴿مِنكُمۡ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والمصدرية ضعيفة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: محذوف، التقدير: من الذي، أو من شيء تعبدونه. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في (ما)، و﴿دُونِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه.

﴿كَفَرْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المستتر في ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ﴾، والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير: «قد» قبلها، أو الجملة في محل رفع خبر ثان لـ: (إنَّ)، وقيل: مفسرة للتبرؤ. ﴿بِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَبَدَا﴾: الواو: حرف عطف. (بدا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف. ﴿بَيْنَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَكُمُ﴾: الواو: حرف عطف. (بينكم): معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْعَدَٰوَةُ﴾: فاعل (بدا)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَٱلْبَغْضَآءُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل (بدا)، أو هو متعلق بمحذوف حال من ﴿ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ﴾. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿تُؤْمِنُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» المضمرة، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (بدا) أيضاً. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، ﴿وَحْدَهُۥٓ﴾: حال من لفظ الجلالة، والهاء في محل جر بالإضافة، وساغ ذلك؛ لأنه بمعنى: منفرداً.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: قال السمين: فيه وجهان: أحدهما: أنه استثناء متصل من قوله: ﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ولكن لا بد من تقدير مضاف محذوف ليصح الكلام، تقديره: في مقالات إبراهيم، إلا قوله: كيت. وكيت. الثاني: أنه مستثنى من ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وجاز ذلك؛ لأن القول أيضاً من جملة الأسوة؛ لأن الأسوة: الاقتداء بالشخص في أقواله، وأفعاله، فكأنه قيل: لكم فيه أسوة في جميع أحواله من قول، وفعل إلا قوله: كذا. وهذا عندي واضح غير محوج إلى تقدير مضاف، وغير مخرج للاستثناء من الاتصال؛ الذي هو أصله إلى الانقطاع، ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره. انتهى. جمل.

و﴿قَوْلَ﴾ مضاف، و﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ مضاف إليه مجرور... إلخ، والإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿لِأَبِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالمصدر، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة. ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ﴾: (اللام): واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (أستغفرن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محل لها، والقسم، وجوابه في محل نصب مقول القول للمصدر. ﴿وَمَآ﴾: (الواو): واو الحال. (ما): نافية. ﴿أَمْلِكُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل: استغفرن المستتر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿شَىْءٍ﴾ كان صفةً له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَىْءٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد.

﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والتقديم أفاد التخصيص. ﴿تَوَكَّلْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية من مقول إبراهيم أيضاً، ومن معه، فهو من جملة المستثنى منه فيتأسى به فيه، فهو في المعنى مقدم على الاستثناء، وجملة الاستثناء اعتراضية في خلال المستثنى منه. هذا؛ ويحتمل أن تكون الجملة وما بعدها في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: قولوا: ربنا عليك توكلنا، فهو من مقول الله تعالى. ﴿وَإِلَيْكَ﴾: الواو: حرف عطف. (إليك): متعلقان بما بعدهما. ﴿أَنَبْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. (إليك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: لا تنصر الكافرين علينا، فيكون ذلك فتنة لنا في الدين، أو لا تمتحنا بأن تعذبنا على أيديهم. وقال مجاهد: المعنى: لا تهلكنا بأيدي أعدائنا، ولا تعذبنا بعذابٍ من عندك، فيقول أعداؤنا: لو كانوا على حق؛ لم نسلط عليهم، فيفتنوا. وقال أبو مجلز، وأبو الضحاك: يعني: لا تظهرهم علينا، فيروا: أنهم خير منا، فيزدادوا طغياناً، وكفراً. وقيل: المعنى لا تسلطهم علينا، فيفتنونا، ويعذبونا. ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾: ذنوبنا. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي القاهر، الغالب القادر. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: تفعل ما تشاء، ولا تفعل إلا ما فيه حكمة.

فائدة: قال مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى ـ: ونداء الرب قد كثر حذف (يا) النداء منه في القرآن الكريم، وعلة ذلك: أن في حذف (يا) من نداء الرب تعالى فيه معنى التعظيم له، والتنزيه، وذلك: أن النداء فيه ضرب من معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيدُ؛ فمعناه: تعالَ يا زيدُ، أدعوك يا زيدُ، فحذفت (يا) من نداء الرب ليزول معنى الأمر، وينقص؛ لأن (يا) تؤكده، وتظهر معناه، فكان في حذف (يا) التعظيم، والإجلال، والتنزيه للرب تعالى، فكثر حذفها في القرآن، والكلام العربي في نداء الرب لذلك المعنى. انتهى. أقول: والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء. (ونا): في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَا تَجْعَلْنَا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا) مفعول به أول، ﴿فِتْنَةً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية مستأنفة مع الجملة الندائية قبلها، لا محل لهما؛ لأنهما دعاء متعدد لا ارتباط لكلٍّ بسابقه، كالجمل المتعددة، وليس هو، وما بعده بدلاً مما قبله، كما قيل؛ لعدم اتحاد المعنيين لا كلاً، ولا

جزءاً، ولا ملابسة بينهما سوى الدعاء. انتهى. جمل نقلاً عن الشهاب. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿فِتۡنَةً﴾، أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. وجملة: ﴿وَٱغۡفِرۡ﴾: مع المفعول المحذوف معطوفة على ما قبلها. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبَّنَآ﴾: توكيد لفظي لما قبله. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿أَنتَ﴾: ضمير فصل، لا محل له، أو هو توكيد لاسم (إنَّ) على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء. ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: خبران لـ: (إنَّ)، وإن اعتبرت الضمير مبتدأ؛ فهما خبران له، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية تعليل للدعاء لا محل لها.

﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦﴾

الشرح: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ﴾ أي: في إبراهيم، والذين معه. ﴿أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوة صالحة. وهذا التكرير لمزيد الحث على التأسي بإبراهيم، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. و(الأسوة) بضم الهمزة، وكسرها، مثل: القدوة بضم القاف وكسرها، والمراد بالأسوة الحسنة: التبرؤ من الكفار. ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: يرجو رحمته، ومثله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ أي: عذابه بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾. ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾: هو آخر يوم من أيام الدنيا، فيه الحشر، والنشر، والميزان، والصراط إلى دخول أهل الجنة الجنة، ودخول أهل النار النار. هذا؛ والرجاء في الأصل: الأمل في الشيء، والطماعية فيه، قال الشاعر: [الوافر]

أَتَرْجُو أمةٌ قَتَلَتْ حُسَيْناً ... شفاعةَ جدِّهِ يومَ الحِسَابِ

وقد يأتي الرجاء بمعنى الخوف، وبه فسر قوله تعالى في سورة (العنكبوت) الآية رقم [٥]: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ وغيرها كثير، وهي لغة تهامة، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي في صفة عسَّال؛ أي: الذي يقطف عسل النحل: [الطويل]

إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا ... وخالَفَهَا في بيتِ نُوبٍ عَوَاسِلُ

وقال بعض العلماء: لا يقع الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد؛ أي: النفي، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ وقال بعضهم: بل يقع في كل موضع، دل عليه المعنى، وهو المعتمد. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: يعرض عن التأسي، والاقتداء بإبراهيم، والأنبياء، والمرسلين؛ الذين جاؤوا معه بالهدى، والنور، وامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾: عن عباده غير محتاج إليهم في شيء. ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾: المحمود بكل لسان، الممجد في كل مكان على كل حال، وهو مستحق للحمد في ذاته، تحمده الملائكة، وتنطق بحمده ذرات المخلوقات. هذا؛ وانظر شرح (التولي) في سورة (الذاريات) رقم [٥٤].

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: (اللام): لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله ونحوه. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿فِيهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. ﴿أُسْوَةٌ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر. ﴿حَسَنَةٌ﴾: صفة له، وجملة: ﴿لَقَدْ كَانَ...﴾ إلخ: مبتدأ، أو جواب القسم المقدر، لا محل لها على الاعتبارين. وفيها معنى التوكيد لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور بدل من ﴿لَكُمْ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف صفة ﴿حَسَنَةٌ﴾ وهو المعتمد عند البصريين؛ لأنهم لا يجيزون إبدال الغائب من المخاطب، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى (مَنْ)، وهو العائد، أو الرابط. ﴿يَرْجُواْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان). ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. (اليوم): معطوف عليه. ﴿ٱلْآخِرَ﴾: صفة (اليوم) وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ صلة (مَنْ) أو صفتها. وهذا مذكور بحروفه في سورة (الأحزاب) رقم [٢١].

﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَتَوَلَّ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو»، والمتعلق محذوف، انظر تقديره في الشرح. ﴿فَإِنَّ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: خبران لـ: (إنَّ). هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ و﴿ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ خبرين له. فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر (إنَّ)، ورجح الأول؛ لأنه قرئ بإسقاط الضمير، والجملة الاسمية: (إن الله...) إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [١]. هذا؛ وإن اعتبرت جواب الشرط محذوفاً، تقديره: ومن يتول عن الإيمان فلا يضر إلا نفسه، فلا بأس به، بل هو أجود؛ لأن الجملة الاسمية: (إن الله...) إلخ خالية من رابط يربطها باسم الشرط، كما هو واضح، وعليه تكون الجملة تعليلاً لجواب الشرط المقدر، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وهذه الجملة مذكورة في الآية رقم [٢٤] من سورة (الحديد).

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ أي: لعل الله جل وعلا يجعل بينكم وبين الذين عاديتموهم من أقاربكم المشركين محبةً، ومودةً، محبةً بعد البغضاء، وألفةً بعد

الشحناء، ومودةً بعد النفار. قال في التسهيل: لما أمر الله المسلمين بعداوة الكفار، ومقاطعتهم على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة، والمودة، وعلم الله صدقهم؛ آنسهم بهذه الآية، ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة؛ أي: محبة، وهذه المودة كملت في فتح مكة، فإنه أسلم حينئذ سائر قريش، وجمع الله الشمل بعد التفرق. وقال الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ: و﴿عَسَى﴾ وعد من الله تعالى، وقد حقق ما وعدهم به من اجتماع كفار مكة بالمسلمين، ومخالطتهم لهم حين فتح مكة، وقد قال تعالى ممتنًّاً: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ هذا؛ ومما يؤثر من قول علي ـ كرم الله وجهه ورضي عنه ـ: أَحْبِبْ حبيبَكَ هَوْناً مَّا؛ عَسَى أَنْ يكونَ بغيضَكَ يَوْماً مَّا، وأَبْغِضْ بغيضَكَ هَوْناً مَّا؛ عسى أن يكونَ حبيبَكَ يَوْماً مَّا.

ورحم الله من يقول: [الطويل]

وأحبب إذا أحببت حُبّاً مقارِباً ... فإنكَ لا تَدْري مَتَى أَنْتَ نازِعُ؟

وأَبْغِضْ إذَا أَبْغَضْتَ بُغْضاً مُجَانِباً ... فإنكَ لا تَدْرِي متى أنْتَ رَاجِعُ؟

هذا؛ ويذكر المفسرون من المودة زواج النبي ﷺ برملة أم حبيبة بنت أبي سفيان، فقال أبو سفيان، وهو مشرك حينئذ بلغه تزويج النبي ﷺ ابنته: ذلك الفحل لا يقدع أنفه. يقال: هذا الفحل لا يقدع أنفه؛ أي: لا يضرب أنفه، وذلك لشرفه، وأصالته، وكرامته.

﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾: قادر، لا يعجزه شيء، يقدر على تأليف القلوب، وتغيير الأحوال، وقلب البغض محبة، والعداوة صداقة، وألفة. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر للكافرين كفرهم؛ إذا تابوا منه، وأنابوا إلى ربهم، وأسلموا له، وهو الرحيم بكل من تاب إليه من أي ذنب كان. وعن ابن شهاب: أن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان على بعض اليمن، فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل، فلقي ذا الخمار مرتداً، فقاتله، فكان أول من قاتل في الردة، وجاهد في الدين، وهو ممن أنزل الله فيه: ﴿عَسَى اللَّهُ...﴾ إلخ الآية. أخرجه ابن أبي حاتم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وانظر شرح (بين) في الآية رقم [٢٥] من سورة (الرحمن).

الإعراب: ﴿عَسَى﴾: فعل ماض جامد يدل على الرجاء مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿اللَّهُ﴾: اسم ﴿عَسَى﴾. ﴿أَن﴾: حرف ناصب. ﴿يَجْعَلَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ وهو بمعنى: يخلق، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهُ﴾، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب خبر ﴿عَسَى﴾، ويجب تأويله باسم الفاعل جاعلاً؛ لأن المصدر لا يخبر به عن الجثة، وجملة: ﴿عَسَى...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَيْنَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَ﴾: ظرف مكان معطوف على ما قبله، وهو مضاف، و﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة.

﴿عَادَيْتُم﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: الذين عاديتموهم. ﴿مِّنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، العائد على الموصول، و(مِنْ) بيان لما أبهم في الموصول. ﴿مَّوَدَّةً﴾: مفعول به ليجعل، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ مستأنفة، لا محل لها، والتي بعدها معطوفة عليها، لا محل لها مثلها.

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت في خزاعة، وذلك: أنهم صالحوا رسول الله ﷺ، على ألَّا يقاتلوه، ولا يعينوا عليه أحداً، فرَّخصَ الله في برهم. انتهى. أي: وكانوا لا يزالون كفاراً. وقال عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت في أمه أسماء ـ رضي الله عنها ـ، وذلك أن أمها قُتيلة بنت عبد العزَّى، وكانت كافرة، وقد طلقها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ حين أبت الإسلام، ويقال: طلقها في الجاهلية قبل الإسلام. وبقيت في مكة كافرة، قدمت على ابنتها أسماء ـ رضي الله عنها ـ المدينة بهدايا، ضباباً، وأقطاً، وسمناً، فقالت أسماء ـ رضي الله عنها ـ: لا أقبل منك هدية، ولا تدخلي عليَّ بيتاً؛ حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فسألته: فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها، وأن تقبل هديتها، وتكرمها، وتحسن إليها.

فعن أسماء ـ رضي الله عنها ـ قالت: قدمت عليَّ أمي، وهي مشركة في عهد قريش؛ إذ عاهدوا رسول الله ﷺ، ومُدَّتهم مع أبيها فاستفتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! إن أمي قدمت عليَّ، وهي راغبة؛ أفأصلها؟ قال: «**نَعَمْ صِلِيهَا**». متفق عليه، زاد ابن عيينة في رواية: فأنزل الله فيها: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ...﴾ إلخ.

أقول: الآية صريحة في إباحة معاملة المشركين الذين لا يناصبوننا العداء، بل وهي صريحة في الإحسان إليهم، والبر بهم، ومعنى (تقسطوا إليهم): تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة، والإحسان لكن لا يكون هذا من مال الزكاة الواجبة، ولا من أموال الكفارات، والنذور، ومعنى ﴿الْمُقْسِطِينَ﴾: المحسنين، وليس المراد به العدل المذكور في سورة (الحجرات) رقم [٩] تنبه لذلك، واحفظه.

الإعراب: ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَنْهَاكُمُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف مفعول به. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿عَنِ

﴿ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَمۡ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمۡ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، وهو العائد، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِي ٱلدِّينِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم﴾ معطوفة على جملة الصلة، وإعرابها مثلها. ﴿مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَبَرُّوهُمۡ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن»، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والمصدر المؤول من المضارع وناصبه في محل جر بدل اشتمال من ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ إذ المعنى: لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم. ﴿وَتُقۡسِطُوٓاْ﴾: معطوف على ما قبله فهو منصوب مثله، ومؤول مثله بمصدر، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للنفي، لا محل لها. ﴿ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾: مفعول به منصوب... إلخ.

﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾: خطاب للمؤمنين الصادقين في عهد النبي ﷺ، ويعم كل مؤمن إلى يوم القيامة. ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ أي: حاربوكم، وآذوكم، وقاتلوكم من أجل إيمانكم بالله، وتصديقكم رسوله. والمراد بهم: كفار قريش، ويعم كذلك كل كافر يفعل فعلهم إلى يوم القيامة.

﴿وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾: في مكة؛ حيث ألجؤوكم إلى الهجرة إلى المدينة المنورة. ﴿وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ﴾: وعاونوا على إخراجكم، وطردكم من دياركم. والمراد مَنْ تعاون مع كفار قريش، وتحالف معهم على إخراج المؤمنين من ديارهم. ﴿أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ﴾ أي: تتولوهم. فتتخذوهم أولياءَ، وأنصاراً، وأحباباً. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ﴾: ومن يصادق أعداء الله، ويجعلهم أنصاراً، وأحباباً، ويمنحهم مودته، وصداقته. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لأنفسهم بتعريضها للعذاب الشديد في نار الجحيم. هذا؛ وقال تعالى في سورة (المائدة) رقم [٥١]: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يَنۡهَىٰكُمُ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والكاف مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، أو مبتدأة، لا محل لها. ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿قَٰتَلُوكُمۡ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فِي ٱلدِّينِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿وَأَخۡرَجُوكُم مِّن

دِيَرِكُمْ﴾: معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، والكاف مع الفعل مفعول به، ومع الاسم في محل جر بالإضافة. ﴿وَظَٰهَرُوا﴾: الواو: حرف عطف. (ظاهروا): ماض مبني على الضم والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة أيضاً. ﴿عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾: مثل ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾، والمصدر المؤول في محل جر بدل اشتمال من ﴿ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ﴾. إذ التقدير: ينهاكم الله عن تولي الذين قاتلوكم في الدين. ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع. ﴿يَتَوَلَّهُمْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، تقديره: «هو»، والهاء مفعول به. ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٨] من سورة (الحشر)، والجملة الاسمية هنا في محل جزم جواب الشرط، وقل في خبر المبتدأ ما رأيته في الآية رقم [١]، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وقد روعي لفظ: (مَنْ) برجوع الفاعل إليها، ومعناها في رجوع اسم الإشارة إليها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: قال المفسرون: كان صلح الحديبية الذي جرى بين رسول الله ﷺ وبين كفار مكة قد تضمن: أن من أتى أهل مكة من المسلمين؛ لم يُردَّ إليهم، ومن أتى المسلمين من أهل مكة المشركين؛ رُدَّ إليهم، وقد رأيت ذلك في سورة (الفتح) مفصلاً، فجاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْط مهاجرة إلى رسول الله ﷺ، فخرج في أثرها أخوالها: عمارة والوليد، فقالا للنبي ﷺ: ردها علينا بالشرط. فقال النبي ﷺ: «**كان الشرط في الرجال، لا في النساء**». وكانت متزوجة من عمرو بن العاص. وقيل: إن التي جاءت سُبيعَة بنت الحارث الأسلمية، وزوجها صيفي بن الراهب. وقيل: مسافر المخزومي. فلم يردها النبي ﷺ، وأعطى زوجها مهرها، وما أنفق عليها، فتزوجها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -. وقيل: إن التي جاءت أميمة بنت بشر وأمُّها رقيقة، وهي أخت السيدة خديجة، وخالة فاطمة الزهراء - رضي الله عنهن جميعاً -. وكانت أميمة عند ثابت بن الشِّمراخ، ففرت منه، وهو يومئذ كافر، فتزوجها سهل بن حنيف - رضي الله عنه - فولدت له عبد الله، والأكثر من أهل العلم: أنها أم كلثوم بنت عقبة، ونزلت

الآية تؤيد ما عمل به رسول الله ﷺ من التفريق بين رد الرجال المؤمنين لقريش، وعدم رَدِّ النساء المؤمنات لقريش، وهذا التفريق لأمرين: أحدهما: أنهن ذوات فروج يحرمن عليهم، فيطؤوهنَّ كرهاً. والثاني: أنهن أرق قلوباً، وأسرع تقلباً من الرجال، فأما المقيمة على شركها؛ فمردودة عليهم، وانظر اللاتي لحقن بالمشركين مرتدات في الآية التالية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾: قيل: إنه كانت من أرادت منهن إضرار زوجها لكراهتها له؛ قالت: سأهاجر إلى محمد ﷺ، فلذلك أُمِرَ رسول الله ﷺ بامتحانهن. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانت المرأة تستحلف بالله: أنها ما خرجت بغضاً لزوجها، ولا رغبةً من أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، ولا عشقاً لرجل منا، بل حباً لله، ورسوله، فإذا حلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك؛ أعطى النبي ﷺ زوجها مهرها، وما أنفق عليها، ولم يردَّها.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ أي: هذا الامتحان لكم، والله أعلم بإيمانهن منكم، فإنكم وإن رزتم أحوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة، وعند الله حقيقة العلم به؛ لأنه متولي السرائر. ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: أي فإن تحققتم إيمانهن بعد امتحانهن؛ فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ أي: لا حل بين المؤمنة، والمشرك؛ لوقوع الفرقة بينهما لاختلاف الدين. والثاني: للمنع عن الاستئناف بإعادة النكاح؛ إذا لم يسلم الزوج.

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾: أمر الله تعالى إذا أُمْسِكت المرأة المسلمة، ومنعت من زوجها؛ أن يُرَدَّ عليه ما أنفق عليها، وذلك من الوفاء بالعهد؛ لأنه لما منع منها بحرمة الإسلام، أمر الله برد المال إليه، حتى لا يقع عليهم خسران من الوجهين: الزوجة، والمال. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن. أباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب إلى دار الإسلام، وإن كان لهن أزواج كفار في دار الحرب؛ لأن الإسلام فرق بينهن، وبين أزواجهن الكفار، ووقعت الفرقة بانقضاء عدتها، فإن أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها؛ فهي زوجته، وبه قال الأوزاعي، والليث بن سعد، ومالك، والشافعي، وأحمد. وقال أبو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين. انتهى. خازن. فإن أسلمت قبل الدخول بها بطل النكاح في الحال، ولها التزوج من غير عدة تعتدها.

﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾: جمع عصمة، والعصمة: عقد النكاح، وكل ما عصم به الشيء، فهو عصام، وعصمة، و﴿ٱلْكَوَافِرِ﴾ جمع: كافرة، كضوارب في ضاربة. فقد نهى الله عن المقام على نكاح المشركات، والمعنى: من كانت له امرأة كافرة بمكة؛ فلا يعتدها، فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما. قال الزهري: لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ امرأتين له كانتا بمكة مشركتين: قُرَيْبة بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها معاوية بن أبي

سفيان، وهما على شركهما في مكة، والأخرى: أم كلثوم بنت عمرو بن جَرْوَل الخزاعية، وهي أم ابنه عبيد الله، فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غنم، وهما على شركهما، فلما ولي عمر ـ رضي الله عنه ـ الخلافة قال أبو سفيان لمعاوية: طلق قُرَيْبة لئلا يرى عمر سلبه في بيتك، فأبى معاوية من ذلك. وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله، فهاجر طلحة ـ رضي الله عنه ـ وبقيت على دين قومها، ففرق الإسلام بينهما، فتزوجها بعده في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية. قال الشعبي: وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع، فأسلمت وهاجرت، ولحقت بالنبي ﷺ، وأقام أبو العاص بمكة مشركاً، ثم أتى المدينة، فأمنته ـ رضي الله عنها ـ ثم أسلم، فردها عليه النبي ﷺ. قيل: ردت إليه بعد سنتين. وقيل بعد ست سنين، وهو ابن أخت خديجة ـ رضي الله عنها ـ.

وهذا الحكم يقع بين الزوجين إذا ارتد أحدهما عن الإسلام، فإن رجع المرتد إلى الإسلام قبل انقضاء عدة المرأة، فالنكاح يبقى بينهما، وإن ارتد أحدهما قبل الدخول تقع الفرقة في الحال؛ إذ لا عدة على غير المدخول بها؛ وإن كانا في دار واحدة.

﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ۚ﴾ قال المفسرون: كان من ذهب من المسلمات مرتدات إلى الكفار من أهل العهد، يقال للكفار: هاتوا مهرها، ويقال للمسلمين إذا جاء أحد من الكافرات مسلمة مهاجرة: ردوا إلى الكفار مهرها، وكان ذلك نصفاً، وعدلاً بين الحالتين، وكان هذا حكم الله مخصوصاً بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة بإجماع الأمة. قاله ابن العربي، أقول: وهذا يعني: أن هذا الحكم منسوخ. قال النسفي ـ رحمه الله تعالى ـ: وهو منسوخ، فلم يبق سؤال المهر لا منا، ولا منهم. انتهى.

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِۖ﴾ أي: جميع ما ذكر في هذه الآية هو حكم الله لا اعتراض عليه. ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ﴾: فيجب عليكم الرضا به، والانصياع له، وقد انصاع له المؤمنون، وأباه الكافرون، كما ستقف عليه في الآية التالية. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بمصالح العباد. ﴿حَكِيمٌ﴾: في تشريعه لهم، لا يشرع إلا ما تقتضيه الحكمة البالغة. والله أعلم بمراده.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿جَآءَكُمُ﴾: فعل ماض، والكاف مفعول به. ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على المشهور المرجوح. ﴿مُهَٰجِرَٰتٍ﴾: حال من ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. هذا؛ و﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ صفة لموصوف محذوف، التقدير: النساء المؤمنات. ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (امتحنوهنَّ): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والنون في الجميع

حرف دال على جماعة الإناث، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره. ﴿بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معترضة، لا محل لها. ﴿فَإِنْ﴾: الفاء: حرف عطف، أو استئناف، (إن): حرف شرط جازم. ﴿عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعوله الأول. ﴿مُؤْمِنَٰتٍ﴾: مفعوله الثاني، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): ناهية. ﴿تَرْجِعُوهُنَّ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(إن) ومدخولها كلام لا محل له على الوجهين المعتبرين بالفاء.

﴿لَا﴾: نافية. ﴿هُنَّ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿حِلٌّ﴾: خبره. ﴿لَّهُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿حِلٌّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للنهي لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿يَحِلُّونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿لَهُنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿وَءَاتُوهُم﴾: الواو: حرف عطف. (آتوهم): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله الأول. ﴿مَّآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿أَنفَقُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: آتوهم الذي، أو شيئاً أنفقوه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة جواب الشرط.

﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف استئناف. (لا): نافية للجنس تعمل عمل (إنَّ). ﴿جُنَاحَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (لا)، ولا يجوز تعليقهما بـ: ﴿جُنَاحَ﴾؛ لأنه يصير شبيهاً بالمضاف، فيجب حينئذ نصبه، وتنوينه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن»، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والمصدر المؤول في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: في نكاحهن، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف. ﴿إِذَآ﴾: ظرف زمان مجرد عن الشرطية مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ بلا فارق، والجملة الفعلية هنا في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها.

﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. ﴿تُمۡسِكُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿بِعِصَمِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهو مضاف، و﴿ٱلۡكَوَافِرِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَسۡـَٔلُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (اسألوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. ﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: اسألوا الذي، أو شيئاً أنفقتموه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (ليسألوا): مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله. ﴿مَآ أَنفَقُواْ﴾: انظر مثله، وجملة: ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾: معطوفة على ما قبلها.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿حُكۡمُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يَحۡكُمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿بَيۡنَكُمۡۖ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من: ﴿حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾، والرابط محذوف، التقدير: يحكم الله به. هكذا قدر بعضهم الضمير. هذا؛ وأرى صحة مجيء الحال من لفظ الجلالة؛ لأن المضاف كجزئه، وخذ قول ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَلا تُجِزْ حَالاً مِنَ المُضَافِ لَهْ ... إلَّا إذَا اقْتَضَى المضافُ عَمَلَهُ
أَوْ كَانَ جُزأ مَالَهُ أضِيفَا ... أوْ مِثْلَ جُزْئِهِ فَلا تَحِيفَا

﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١﴾

الشرح: روى الزهري عن عروة بن الزبير، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: حكم الله عز وجل بين المسلمين، وبين الكافرين، فقال جل ثناؤه: ﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ فكتب إليهم المسلمون: قد حكم الله عز وجل بيننا وبينكم بأنه إن جاءتكم امرأة منا أن توجهوا إلينا بصداقها، وإن جاءتنا امرأة منكم وجهنا إليكم بصداقها. فكتبوا إليهم: أما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئاً، فإن كان لنا عندكم شيء فوجهوا به إلينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ...﴾ إلخ انتهى. قرطبي.

﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ أي: وإن فرت زوجة أحد من المسلمين، ولحقت بالكفار. ﴿فَعَاقَبۡتُمۡ﴾: معناه: غزوتم، فغنمتم، وأصبتم من الكفار عقبى، وهي الغنيمة. وقيل:

معناه ظهرتم، وكانت العاقبة لكم. ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾: إلى الكفار. ﴿مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾: معناه أعطوا الذين ذهبت أزواجهم منكم إلى الكفار مرتدات مثل ما أنفقوا عليها من الغنائم؛ التي صارت في أيديكم من أموال الكفار.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان، وكانت تحت عياض بن أبي شداد الفهري. وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة، أخت أم سلمة، وكانت تحت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -. فلما أراد عمر أن يهاجر بها أبت، وارتدت. وبَرْوَع بنت عقبة، وكانت تحت شماس بن عثمان. وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة، وتزوجها عمرو بن عبد ود. وهند بنت أبي جهل بن هشام، وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل، وأم كلثوم بنت جَرْوَل، وكانت تحت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -. فكلهن رجعن عن الإسلام، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهن مهور نسائهم من الغنائم؛ التي امتن بها على المؤمنين الصادقين فيما بعد.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: راقبوا الله في جميع أقوالكم، وجميع أفعالكم، واحذروا عذابه، وانتقامه إن خالفتم أوامره، وعصيتموه. ﴿ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ أي: الذي آمنتم بوجوده، واعترفتم بقدرته، وعظمته، فإن من مستلزمات الإيمان تَقْوَى الرحمن، وامتثال أمره، واجتناب نهيه. هذا؛ وذكر القرطبي - رحمه الله تعالى -: أن النساء المرتدات، اللاتي لحقن بالمشركين، لم يكن منهن قرشية غير أم الحكم بنت أبي سفيان، ثم عادت إلى الإسلام، وانظر اللاتي لحقن بالمسلمين في الآية السابقة.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: (الواو): حرف عطف. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿فَاتَكُمْ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والكاف مفعول به. ﴿شَىْءٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة ﴿شَىْءٌ﴾، التقدير: وإن فاتكم شيء من مهور أزواجكم. ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿فَاتَكُمْ﴾. وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (عاقبتم): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَـَٔاتُوا۟﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (آتوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، والجملة بعده صلته، ﴿مِّثْلَ﴾: مفعول به ثان، و﴿مِّثْلَ﴾: مضاف، و﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿أَنفَقُوا۟﴾: فعل ماض، وفاعله، والجملة الفعلية صلة ما، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: مثل الذي، أو مثل شيء أنفقوه، وجملة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: معطوفة على جملة جواب الشرط. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم

موصول مبني على السكون في محل نصب صفة لفظ الجلالة، أو بدل منه. ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُؤْمِنُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية صلة الموصول، لا محل لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ...﴾ إلخ: لمَّا فتح رسول الله ﷺ مكة؛ جاء نساء أهل مكة يبايعنه على الإسلام، كما بايعه الرجال، وكان على الصفا، وعمر بن الخطاب أسفل منه يبلغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها، وكانت قد شقت بطن الحمزة ـ رضي الله عنه ـ يوم أحد، وقد نزلت الآية الكريمة التي نحن بصدد شرحها.

هذا؛ ويقرأ بالهمز: (يا أيها النبيء) ومعناه: يا أيها المخبر عنا، المأمون على أسرارنا، المبلغ خطابنا إلى أحبابنا، وإنما لم يقل: يا محمد، كما قال: يا آدم، يا نوح، يا موسى... إلخ، تشريفاً له، وتنويهاً بفضله، وتصريحه باسمه في قوله جل ذكره: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ الآية الأخيرة من سورة (الفتح) ونحوها، لتعليم الناس بأنه رسول الله. انتهى. نسفي في غير هذا الموضع، وينبغي أن تعلم: أن الله لم يناد نبيه ﷺ بلفظ الرسول إلا في سورة (المائدة) رقم [٤١ و٦٧].

فقال رسول الله: أبايعهنّ ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾. فرفعت هند رأسها، وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال ـ وكان قد بايع الرجال يومئذ على الإسلام، والجهاد فقط ـ فقال النبي ﷺ: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح، وإني أصيب من ماله قوتاً، فلا أدري أيحل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو حلال، فضحك النبي ﷺ، وعرفها، وقال لها: «**وإنك لهند بنت عتبة؟**». قالت: نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك، والمحفوظ أن النبي ﷺ قال لها حين قالت: إن أبا سفيان رجل شحيح: «**خذي ما يكفيك وبنيك بالمعروف**».

فقال النبي ﷺ: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ فقالت هند: أو تزني الحرة؟ فهذا استنكار منها أن تزني المرأة الشريفة؛ لأن الزنى لا تفعله إلا الدنيئة الخبيثة المعدن كالعبدة ونحوها. فلا حول ولا قوة إلا بالله! فقال النبي ﷺ: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ فقالت هند: ربيناهم صغاراً، وقتلتموهم كباراً، فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر كافراً، وكان بكرها، فضحك عمر ـ رضي الله عنه ـ حتى استلقى، وتبسم رسول الله ﷺ.

ثم قال النبي ﷺ: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾. فقالت هند: والله إن البهتان لقبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد، ومكارم الأخلاق. هذا؛ وقيل: كنى بالبهتان المفترى عن اللقيط، وهي من لطائف الكنايات، وهذا قول الجمهور، فقد كانت المرأة تلتقط ولداً، فتلحقه بزوجها، وتقول: هذا ولدي منك. فكان هذا من البهتان والافتراء، فقد كنى سبحانه وتعالى بما بين يديها ورجليها عن الولد؛ لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها، وفرجها الذي تلد منه بين رجليها، وهذا عام في الإتيان بولد وإلحاقه بالزوج وإن سبق النهي عن الزنى.

ثم قال ﷺ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء. فأقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة. قال ابن الجوزي: وجملة من أحصي من المبايعات أربعمئة وسبعة وخمسون امرأة، ولم يصافح في البيعة امرأة، وإنما بايعهن بالكلام. عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على أن لا يشركن بالله شيئاً، وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة لا يملكها. هذا؛ ومعنى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي: في كل ما تأمرهن به، أو تنهاهن عنه. وقيل: في كل أمر وافق طاعة، وكل أمر فيه رشد. وقيل: هو النهي عن النوح، والدعاء بالويل، وتمزيق الثياب، وقص الشعر، ونتفه، وخمش الوجه، وأن لا تحدِّث المرأة الرجال الأجانب، وأن لا تخلو برجل غير ذي محرم، ولا تسافر مع غير ذي محرم. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ إنما هو شرط شرطه الله على النساء. وأخرجه البخاري.

﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ يعني: إذا بايعنك على هذه الشروط؛ فبايعهن. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: اطلب من الله أن يغفر لهن ما سلف من ذنوبهن، وأهم، وأعظم هذه الذنوب الشرك. وما فعلته هند بالحمزة ـ رضي الله عنه ـ من عظائم الإثم. ومع هذا كله فقد أمر الله نبيه أن يعفو عنهن، ويتجاوز عن سيئاتهن، بل وأمره أن يستغفر لهن، ويلتمس من الله العفو عنهن، والمغفرة لذنوبهن، وما ذاك إلا؛ لأن الإسلام يجبُّ ما قبله، فعن أميمة بنت أخت السيدة خديجة، وبنت خالة فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنهن ـ. قالت: بايعت رسول الله ﷺ في نسوة، فقال: «**فيما اسْتطعْتنَّ، وأطعْتُنَّ**». قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا. قلنا: يا رسول الله! ألا تصافحنا؟ قال: «**إنِّي لا أُصَافح النساءَ، إنما قولي لامرأةٍ واحدةٍ قولي لمئةِ امرأة**». أخرجه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وعن سلمى بنت قيس، وكانت إحدى خالات رسول الله، وقد صلت معه إلى القبلتين. قالت: جئت رسول الله ﷺ نبايعه في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف؛ قال: «**ولا تغششن أزواجكن**». قالت: فبايعناه، ثم انصرفنا، فقلت لامرأة منهن: ارجعي، فسلي رسول الله ﷺ: ما غِشُّ أزواجنا؟ قال: فسألته، فقال: «**تأخذ ماله فتحابي به غيره**». أخرجه الإمام أحمد.

وعن أم عطية ـ رضي الله عنها ـ قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة منَّا يدها، فقالت: فلانة أسعدتني، فأريد أن أجزيها، فما قال لها رسول الله ﷺ شيئاً، فانطلقت، ورجعت فبايعها، فما وفى منهن امرأة غيرها، وغير أم سليم ابنة ملحان. أخرجه البخاري، ومسلم، أما مبايعة الرجال؛ فخذها مما يلي:

فعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء: «**أَلَّا تشركوا بالله شيئاً، ولا تَسْرِقُوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادَكُمْ، ولا يَعْضَهْ بعضكم بعضاً، ولا تعصوا في معروف أمركم به**». ثم قال ﷺ: «**فمَنْ وفَى منكُمْ؛ فأَجرُهُ على الله، ومَنْ أصاب مِنْ ذلكَ شَيئاً، فعُوقِبَ؛ فهو كفارةٌ لهُ، ومَنْ أصابَ مِنْ ذلكَ شيئاً، فسَترهُ الله، فهوَ إلى الله، إنْ شَاءَ عذَّبَهُ، وإنْ شاءَ غفر لَهُ منها**». رواه البخاري. هذا؛ ومعنى: (يَعْضَهْ): يسحر، والعَضْهُ: السحر.

قال القرطبي رحمه الله: ذكر الله ـ عز وجل ـ ورسوله ﷺ في صفة البيعة خصالاً شتى، صُرح فيهن بأركان النهي في الدين، ولم يذكر أركان الإيمان، وهي ستة أيضاً: الشهادةُ، والصلاةُ، والزكاةُ، والصيامُ، والحجُّ، والاغتسالُ من الجنابة، وذلك؛ لأن النهي دائم في كل الأزمان وكل الأحوال، فكان التنبيه على اشتراط الدائم آكد. وقيل: إن هذه المناهي كان في النساء كثير من يرتكبها، ولا يحجزهن عنها شرف النسب، فَخُصَّت بالذكر لهذا.

تنبيه: كان قتل الأولاد فاشياً في الجاهلية، لذا فقد نهى الله عنه في كثير من الآيات، ولكن هذا القتل هل كان يقتصر على البنات، أو يتعدى إلى الذكور؟ المعروف: أن عامتهم كانوا يكرهون البنات، وأن الكثير منهم كانوا يئدون البنات؛ حتى نتج عن ذلك نقص في الإناث في بعض القبائل العربية، ولذا اضطر الواحد منهم إلى التزوج من قبيلة أخرى بمهر كثير، وأما قتل الذكور، فكان قليلاً جداً، وكان لا يقع إلا في حالات شدة المعيشة، والفقر الشديد؛ لأنهم كانوا يتكثرون بالذكور، ويعتزون بهم، كما هو معروف، ومشهور.

هذا؛ ويكثر السؤال في هذه الأيام عن منع الحمل، بل، وعن إسقاط الجنين باستعمال بعض العقاقير. والجواب يكون بعونه تعالى كما يلي: منع الحمل إذا كان على اتفاق بين الزوجين قبل العلوق، ولسبب من الأسباب، كضعف الزوجة، وعجزها عن القيام بخدمة الأولاد، فهو من المباحات؛ التي لا حرج فيها، وأما إذا كان هرباً من نفقات الأولاد، وتكاليف الحياة، فهو مكروه كراهة شديدة، فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وهو يدخل تحت قول الرسول ﷺ: «**العزلُ هو الوأدُ الخفيُّ**». وإسقاط الجنين بعد التخلق مكروه كراهة شديدة، ما لم يكن هناك خطر على المرأة، كما يحدث في بعض الحالات، فهو من المباحات، أما إسقاطه بعد نفخ الروح؛ فهو قتل نفس، ويدخل تحت الوعيد الشديد؛ الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ...﴾ إلخ الآية رقم [٩٣] من سورة (النساء) ما لم تكن هناك ضرورة شديدة تدعو لإسقاطه، والله أعلم.

الإعراب: ﴿يَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾: انظر الآية رقم [١] و[١٠]. ﴿يُبَايِعْنَكَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، والنون فاعله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾، وهي حال مقدرة؛ أي: حال كونهن طالبات للمبايعة. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يُشْرِكْنَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون، وهو في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾، والنون فاعله، و﴿أَن﴾ والفعل ﴿يُشْرِكْنَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بعلى، التقدير: على عدم الشرك، أو عدم شركهن، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بِٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، أو هو مفعول مطلق. ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ﴾ هذه الأفعال معطوفة على: ﴿لَّا يُشْرِكْنَ﴾ فهي مثله في الإعراب، وداخلة معه في التأويل بمصدر. ﴿أَوْلَٰدَهُنَّ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿وَلَا يَأْتِينَ﴾: معطوف على: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ﴾. ﴿بِبُهْتَٰنٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿يَفْتَرِينَهُۥ﴾: مضارع مبني على السكون، والنون فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة (بهتان)، أو هي في محل نصب حال من نون النسوة في ﴿يَأْتِينَ﴾. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله. وقيل: متعلق بمحذوف حال من الضمير المنصوب. و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿أَيْدِيهِنَّ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ﴾ معطوف على: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ﴾ فهو مثله في إعرابه، وداخل معه في المصدرية بسبب العطف. ﴿فِى مَعْرُوفٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (بايعهن): فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها، وإذا ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ﴾: الواو: حرف عطف. (استغفر): فعل أمر، وفاعله: أنت، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لَهُنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: خبرانِ لـ: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للأمر ولا محل لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ينهى الله تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة، كما نهى عنها في أولها. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود، والنصارى، وسائر الكفار ممن غضب الله عليه، ولعنه، واستحق من الله الطرد، والإبعاد، فكيف توالونهم،

وتتخذونهم أصدقاء، وأخلاء، وهم قوم مغضوب عليهم؟! وهذا يفيد: أن الآية عامة في جميع الكفار. وقال الحسن البصري: هم اليهود والنصارى. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هم كفار قريش؛ لأن كل كافر عليه غضبٌ من الله. انتهى. صفوة التفاسير، ومختصر ابن كثير.

وفي القرطبي، والكشاف، والخازن: إن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المؤمنين، ويواصلونهم، فيصيبون بذلك من ثمارهم، فنُهُوا عن ذلك. وقال السيوطي في أسباب النزول: كان عبد الله بن عمر، وزيد بن الحارث يوادان رجالاً من يهود، فأنزل الله الآية. هذا؛ وقال أحمد محشي الكشاف: قد كان الزمخشري ذكر في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ الآية رقم [١٢] من سورة (فاطر): أن آخر الآية استطراد، وهو فن من فنون البيان، مبوب عليه عند أهله، وآية الممتحنة هذه ممكنة أن تكون من هذا الفن جداً، فإنه ذم اليهود، واستطرد ذمهم بذم المشركين على نوع حسن من النسبة، وهذا لا يمكن أن يوجد للفصحاء في الاستطراد أحسن، ولا أمكن منه، ومما صدروا هذا الفن به قول الشاعر: [الطويل]

إذَا مـا اتـقَـى الله الـفـتَـى، وأطـاعَـهُ فـلـيْـسَ بِـهِ بَـأْسٌ وإنْ كَـانَ مِـنْ جَـرْمِ

وقول حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ في هجاء الحارث بن هشام، وكان هرب في غزوة بدر الكبرى [الكامل]

إنْ كُـنْـتِ كَـاذِبَـة الَّـتـي حَـدَّثْـتِـنِـي فَـنَـجَـوْتِ مَـنْـجَـى الـحـارِثِ بْـنِ هـشَـامِ
تـركَ الأحِـبَّـةَ أَنْ يـقـاتِـلَ دونـهُـمْ ونـجـا بـرأسِ طِـمِـرَّةٍ ولِـجـامِ

﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله ﷺ، وهم يعلمون: أنه الرسول المنعوت في التوراة. ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ أي: كما يئس الكفار المكذبون بالبعث والنشور من أمواتهم أن يعودوا إلى الحياة مرة ثانية بعد أن يموتوا، فقد كانوا يقولون إذا مات لهم قريب، أو صديق: هذا آخر العهد به، ولن يبعث أبداً. وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والحسن، وقال مجاهد: معناه: أنهم يئسوا من نعيم الآخرة، كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير. والأول أظهر، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ واليأس: القنوط، وقطع الأمل، والطماعية في الشيء. قال تعالى في سورة (يوسف) حكاية عن قول يعقوب لأولاده: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. هذا؛ والفعل: ﴿يَاْيْـَٔسِ﴾ بياء المضارعة قد يأتي بمعنى: يعلم، وبه فسر قوله تعالى في سورة (الرعد) رقم [٣١]: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾. قال الكلبي: هو بمعنى: أفلم يعلم. وهي لغة النخع. وقيل: هي لغة هوازن. ويؤيده ما روي: أنَّ علياً، وابن عباس، وجماعة من الصحابة والتابعين ـ رضوان الله عليهم

أجمعين - قرؤوا أفلم يتبين وهو تفسيره. وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم؛ لأنه مسبب عن العلم بأن الميئوس منه لا يكون. وقال الليث، وأبو عبيدة: هو بمعنى: ألم يعلم. واستدلوا لهذه اللغة بقول سحيم بن وثيل اليربوعي، وقال القرطبي: هو لمالك بن عوف النصري: [الطويل]

أقولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إذْ يَيْسِرُونَنِي: أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابنُ فارِسِ زَهْدم

زهدم: اسم فرس سحيم، وقال رباح بن عدي: [الطويل]

ألَمْ يَيْأَسِ الأقْوامُ أَنِّي أنا ابْنُهُ وإنْ كُنْتُ عَنْ أرْضِ العشيرةِ نائياً؟

الإعراب: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿غَضِبَ﴾: فعل ماض. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿قَوْمًا﴾. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿يَئِسُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ثانية لـ: ﴿قَوْمًا﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿كَمَا﴾: (الكاف): حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾: ماض، وفاعله. ﴿مِنْ أَصْحَابِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأجاز الجَمَلُ تعليقهما بمحذوف حال من ﴿الْكُفَّارُ﴾، واعتبر ﴿مِنْ﴾ تبعيضية، وقدر الكلام: كما يئس الكفار حال كونهم بعض أصحاب القبور. و﴿أَصْحَابِ﴾ مضاف، و﴿الْقُبُورِ﴾ مضاف إليه. هذا؛ و(ما) المصدرية، والفعل ﴿يَئِسَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: قد يئسوا من الآخرة يأساً كائناً مثل يأس الكفار. وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم. وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (الممتحنة) بحمد الله وتوفيقه شرحاً وإعراباً.

والحمد لله رب العالمين.




سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة (الصف) مدنية في قول الجميع فيما ذكره الماوردي. وقيل: إنها مكية. ذكره النحاس عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وهي أربع عشرة آية، ومئتان وإحدى وعشرون كلمة، وتسعمئة حرف. انتهى. خازن.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾

انظر شرح هذه الآية، وإعرابها في أول سورة (الحديد). هذا؛ وسميت السورة بـ: (الصف)؛ أي: صف القتال في الحرب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾

الشرح: قيل: سبب نزول الآية وما بعدها ما روي عن عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ قال: قعدنا نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله؛ لعملناه؟ فأنزل الله الآيات. قال عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ: فقرأها علينا رسول الله ﷺ. أخرجه الترمذي. وقال المفسرون: إن المؤمنين قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه، ولبذلنا فيها أموالنا، وأنفسنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ وأنزل الله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ...﴾ إلخ رقم [١٠] الآتية، فابتلوا يوم أحد، فولَّوْا مدبرين، وكرهوا الموت، وأحبوا الحياة، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ...﴾ إلخ وهذا يفيد: أن صدر السورة الكريمة متأخر في النزول عن الآيات المذكورة.

وقيل: لما أخبر الله تعالى رسول الله ﷺ بثواب أهل بدر؛ قالت الصحابة: لئن لقينا قتالاً؛ لنفرغنَّ فيه وسعنا! ففروا يوم أحد، فعيرهم الله بهذه الآية. وقيل: نزلت في شأن القتال، كان الرجل يقول: قاتلت، ولم يقاتل، وأطعمت، ولم يطعم، وضربت، ولم يضرب، فنزلت هذه الآية. وقال صهيب ـ رضي الله عنه ـ: كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر، وأنكاهم، فقتلته، فقال رجل: يا نبي الله إني قتلت فلاناً! ففرح النبي ﷺ بذلك، فقال عمر، وعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهما ـ: يا صهيب! أما أخبرت رسول الله ﷺ: أنك قتلت فلاناً، فإن فلاناً

انتحل قتله! فأخبره: فقال: «**أكذلك يا أبا يحيى؟!**». قال: نعم، والله يا رسول الله! فأنزل الله الآية في المنتحل. وقال ابن زيد ـ رحمه الله تعالى ـ: نزلت في المنافقين، كانوا يقولون للنبي ﷺ وأصحابه: إن خرجتم، وقاتلتم؛ خرجنا معكم، وقاتلنا. فلما خرجوا؛ نكصوا عنهم، وتخلفوا، وهذا حصل منهم في غزوة أحد، وفي غزوة تبوك، وغيرهما. هذا فيكون نداؤهم بالإيمان على زعمهم، وادعائهم.

هذا؛ وقد حكى الله عنهم مثل ذلك في سورة (النساء) بقوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ رقم [٧٧]، وأيضاً قوله تعالى في سورة محمد ﷺ: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ رقم [٢٠].

﴿لِمَ﴾: كلمة مؤلفة من حرف، واسم، فالحرف: اللام الجارة، والاسم: (ما) الاستفهامية، وقد حذفت ألفها، كما تحذف مع كل جار، نحو قوله تعالى في سورة (النازعات): ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾، وقوله في سورة (الحجر) رقم [٥٤]: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾، وقوله في سورة (النبأ): ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، وكما في الآية التي نحن بصدد شرحها، والآية رقم [٥] الآتية، وذلك للفرق بين الموصولة، والاستفهامية. ويقال: للفرق بين الخبر، والاستخبار، ومن شواهدها الشعرية قول الكميت ـ وهو الشاهد رقم [٥٥٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، إعراب شواهد مغني اللبيب ـ: [الطويل]

فَتِلْكَ وُلَاةُ السُّوءِ قَدْ طَالَ مُكْثُهُمْ فَحَتَّامَ حَتَّامَ الْعَنَاءُ الْمُطَوَّلُ؟

وأيضاً قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي المذحجي ـ رضي الله عنه ـ وهو الشاهد [٢٥٠] من الكتاب المذكور: [الطويل]

عَلَامَ تَقُولُ الرمحُ يُثْقِلُ عَاتِقِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعَنْ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتِ؟

هذا؛ وقد ثبتت ألفها مع دخول الجار عليها في ضرورة الشعر، ومنه قول حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ يهجو به رجلاً من بني مخزوم، وهو الشاهد رقم [٥٥٦] من الكتاب المذكور: [الوافر]

عَلَى مَا قَامَ يَشْتِمُنِي لَئِيمٌ كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي دَمَانِ؟

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها) حرف تنبيه لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه، ولا يجوز اعتبار الهاء ضميراً في محل جر بالإضافة؛ لأنه حينئذ يجب نصب المنادى. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدلاً من لفظ (أيها). ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مع المتعلق

المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لِمَ﴾: (اللام): حرف جر. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل جر باللام، والسكون هو الألف المحذوفة كما رأيت في الشرح، والجار والمجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿تَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: تقولون الذي، أو شيئاً لا تفعلونه.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾

الشرح: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾: عظم مقتاً عند الله قولكم الذي لا تفعلونه، والفعل ﴿كَبُرَ﴾ محول إلى صيغة فعُل بضم العين التي هي للذم هنا، وتكون للمدح أيضاً، كقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ إذ كل فعل ثلاثي متصرف يمكن تحويله إلى صيغة فعل للذم، أو للمدح. وفي الكشاف: قصد في ﴿كَبُرَ﴾ التعجب من غير لفظه، ومعنى التعجب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره، وأشكاله. ونصب ﴿مَقْتًا﴾ على التمييز دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص، لا شوب فيه؛ لفرط تمكن المقت منه، واختير لفظ (المقت) لأنه أشد البغض، وأبلغه، ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أبلغ من ذلك؛ لأنه إذا ثبت كِبَرُ مقته عند الله؛ فقد تم كبره، وشدته، وانزاحت عنه الشكوك. هذا؛ وفي سورة (غافر) رقم [٣٥]: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وفي سورة (الكهف) رقم [٥]: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾.

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل إذا أرادَ أنْ يُهلكَ عبداً؛ نزعَ منه الحياءَ، فإذا نُزِعَ منه الحياءُ؛ لَمْ تُلْقِهِ إلَّا مَقيتاً مُمقتَاً، فإذا لم تُلفه إلا مقيتاً مُمقتاً؛ نُزعت منه الأمانةُ، فإذا نُزعت منه الأمانةُ؛ لم تُلفِه إلا خَائِناً مُخوَّناً، فإذا لَمْ تلفْهِ إلَّا خَائناً مُخوَّناً؛ نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، فإذا نُزِعَتْ منه الرَّحْمَةُ؛ لم تلفِهِ إلا رجيماً مُلْعَناً، فإذا لَمْ تلفِهِ إلا رجيماً مُلْعَناً؛ نُزِعتْ منه ربقةُ الإسلام**». رواه ابن ماجه، الربقة بكسر الراء وفتحها: واحدة الربق، وهي عرى في حبل تشد به الغنم ونحوها، وتستعار لغيره.

هذا؛ وتفيد الآيتان: أنه حصل وعد من المسلمين، وخلف لما وعدوا به، كما رأيت في شرحهما، ثم وقع توبيخ شديد، بل، وتهديد عظيم من الله تعالى لهذا الخلف. لذا فإني أتكلم على هذا بإسهاب هنا، والله الموفق والمعين، فأقول وبالله أستعين: الوعد يستعمل في الخير وفي الشر، فإذا قلت: وعدت فلاناً من غير أن تتعرض لذكر الموعود به؛ كان ذلك خيراً، وإذا قلت: أوعدت فلاناً من غير ذكر الموعود به؛ كان ذلك شراً، وهو ما في قول طرفة بن العبد من معلقته رقم [١٢٠]: [الطويل]

وإنِّــــي وإنْ أَوْعَـــدْتُـــهُ أوْ وَعَـــدْتُـــهُ لَـمُـخْـلِـفُ إيـعـادِي ومـنـجـزُ مَـوْعِـدِي

وهذا هو قول الجوهري، وقول كثير من أئمة اللغة، وأما عند ذكر الموعود به، أو الموعَدَ به، فيجوز أن يستعمل (وعَدَ) في الخير وفي الشر، فمن الأول قوله تعالى في سورة (المائدة): ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، ومن الثاني قوله تعالى شأنه، وتعالت حكمته في سورة (الحج) رقم [٧٢]: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ وأنشدوا: [الطويل]

إذا وَعَـــدَتْ شــرّاً أتــى قــبْــلَ وقــتِــهِ وإنْ وَعَــدَتْ خــيــراً أَرَاثَ وعَــتَّــمَــا

كما يستعمل (أوعد) فيهما أيضاً، كقولك: «أوعدت الرجل خيراً، وأوعدته شراً». هذا؛ والمركَّز في الطبائع: أن من مكارم الأخلاق، وجميل العادات: أنك إذا وعدت غيرك أن تنزل به شراً؛ كان الخلف محمدةً، وإن وعدته خيراً؛ كان الخلف منقصةً، وهذا ما أراده طرفة في بيته المتقدم الذكر.

هذا؛ والثابت عند الأشاعرة: أنه يجوز إخلاف الوعيد في حقه تعالى كرماً. وعند الماتريدية لا يجوز. وأما الوعد؛ فلا يجوز الخلف في حقه تعالى اتفاقاً. دليل الأشاعرة قول النبي ﷺ: «**مَنْ وعدهُ الله على عملٍ ثواباً؛ فهُوَ مُنْجِزٌ لَهُ، ومَنْ وَعَدَهُ عَلَى عملٍ عقاباً؛ فهُوَ بالخيارِ إنْ شاءَ عَذَّبَهُ، وإنْ شاءَ عَفا عنهُ**».

هذا؛ والوفاء بالوعد حلية الأنبياء، وشعار ذوي التقى، والفضل من الأصفياء، ورمز الثقة من ذوي الرأي، والحكمة من العقلاء، وقد أكد الرسول ﷺ أمر العهد، وشدد في طلب الوفاء بالوعد، وبين أن من أخلف الوعد، ونكث العهد؛ فقد خان الله ورسوله، وباع آخرته بدنياه، وخرج عن دينه، ودخل في النفاق. فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ. قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: «**لا إيمانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ له، ولا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ**». رواه أحمد، والطبراني. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**آيةُ المنافقِ ثلاثٌ؛ إذَا حدَّثَ كَذَبَ، وإذَا وعدَ أخْلَفَ، وإذَا أؤتُمِنَ خَانَ**». رواه البخاري، ومسلم، وزاد مسلم في رواية له: «**وإن صلَّى وصام، وزعمَ أنه مسلمٌ**». وزاد أبو يعلى من رواية أنس: «**وإنْ صامَ وصلَّى، وحَجَّ واعتمرَ، وقال: إني مُسْلِمٌ**». وقال الشاعر المسلم: [الطويل]

فَـإنْ تـجـمـع الآفـاتِ فـالْـبُـخْـلُ شَرُّهَـا وشـرٌّ مِـنَ الـبُـخْـلِ الـمـواعـيـدُ والـمَـطْـلُ

ولا خَـيْـرَ فـي وعْـدٍ إذَا كـانَ كـاذِبـاً ولا خـيـرَ فـي قـولٍ إذَا لـمْ يـكـنْ فِـعْـلُ

ومن أحسن ما قيل في تشبيه مَنْ يخلف الوعد بمسيلمة الكذاب قول بعضهم: [الكامل]

ووعَـدْتَـنِـي وعْـداً حَـسِـبْـتُـكَ صَـادِقـاً فـبَـقِـيـتُ مِـنْ طـمـعـي أجـيءُ وأذْهَـبُ

فـإِذَا جـلـسْـتُ أنـا وأنـتَ بـمـجـلـسٍ قـالُـوا مُـسَـيْـلَـمَـةٌ وهَـذَا أشْـعَـبُ

وفي الآيتين الكريمتين أكبر رادع، وأعظم زاجر للذين يعدون، ولا يفون، ويقولون، ولا يفعلون. ولولا الإطالة عليك؛ لذكرت لك الكثير من الأحاديث النبوية، والشواهد الشعرية.

الإعراب: ﴿كَبُرَ﴾: فعل ماض. ﴿مَقْتًا﴾: تمييز. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿مَقْتًا﴾ لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له. و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَقُولُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إعرابه مثل إعراب ما قبله. و﴿أَن تَقُولُواْ﴾ في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الفعلية: ﴿كَبُرَ مَقْتًا...﴾ إلخ في محل رفع خبر مقدم، وعليه ففاعل ﴿كَبُرَ﴾ ضمير يفسره التمييز، ويجوز أن يكون المصدر المؤول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو قولكم ما لا تفعلون، ويكون فاعل ﴿كَبُرَ﴾ ضميراً مميزاً، التقدير: كبر المقتُ مقتاً. وحسن أن تكون جملة: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ خبراً مقدماً للقول على الوجه الأول؛ لأنه بمعنى الذم، تقديره: قولكم ما لا تفعلون مذموم، وقامت الجملة الفعلية مقامه، كما تقول: زيد نعم رجلاً، فترفع زيداً، بالابتداء، وما بعده خبره، وليس فيه ما يعود عليه، لكنه جاز، وحسن؛ لأن معناه المدح، فكأنه قال: زيد الممدوح، وقام «نعم رجلاً» مقام: «ممدوح» فافهمه. انتهى. مكي بتصرف كبير مني.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ أي: يحب المجاهدين الذين يصفُّون أنفسهم عند القتال صفاً، ويثبتون في أماكنهم عند لقاء العدو. ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ أي: كأنهم في تراصهم، وثبوتهم في المعركة بناء قد رُصَّ بعضه إلى بعض، وألصق، وأحكم حتى صار شيئاً واحداً. وقال القرطبي: ومعنى الآية: أن الله تعالى يحب من يثبت في الجهاد في سبيل الله، ويلزم مكانه كثبوت البناء. وهذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان. هذا؛ وفي الآية تشبيه مرسل مفصل ـ ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ ـ فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ يضحكُ الله إليهِمْ: الرجلُ يقومُ منَ الليل، والقومُ إذَا صَفُّوا لِلصَّلاةِ، والقومُ إذَا صَفُّوا لِلْقِتَالِ**». أخرجه ابن ماجه، والإمام أحمد، ومعنى ضحكه تعالى شأنه: رحمته ورضوانه، وهذه الآية ترغِّب المؤمنين في الجهاد، ومحاربة الكفار. وخذ ما يلي:

فعن سهل بن سعد ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**رباطُ يوْمٍ في سبيلِ الله خيرٌ مِنَ الدنيَا وما عليهَا، وموضعُ سَوْطِ أحدِكُمْ مِنَ الجنةِ خيرٌ من الدنيا، ومَا عَلَيها، والروحةُ**

يروحُها العبدُ في سبيلِ الله، أو الغدوةُ خيرٌ مِنَ الدنيا وما عليها». رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما. وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن صلاةَ المرابطِ تعدِلُ خمسمئةِ صلاةٍ، ونفقةَ الدينارِ والدرهم منهُ أفضلُ مِنْ سبعمئةِ دينارٍ يُنْفِقُهُ في غيرِهِ**». رواه البيهقي. وعن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حَرسُ ليلةٍ في سبيل الله، أفضلُ مِنْ ألفِ ليلةٍ، يُقَامُ ليلُها، ويُصامُ نهارُهَا**». رواه الحاكم. وعن زيد بن خالد الجُهني ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ جَهَّزَ غازِياً في سبيلِ الله؛ فقدْ غزا، ومَنْ خَلَفَ غازِياً في أهْلِهِ بخَيْرٍ؛ فقد غَزَا**». رواه البخاري ومسلم وغيرهما. هذا؛ وحبذا لو نوى المجند الجهاد في سبيل الله، فيكون كل عمله جهاداً؛ حتى يسرح من جنديته.

عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعى عليكمُ الأمَمُ كمَا تَدَاعَى الأكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا**». فقال قائل: منْ قِلَّةٍ نحن يومئذ يا رسولَ الله؟! قال: «**بلْ أنتُم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنكُم غثاءٌ كغُثَاءِ السيْلِ! ولينزعنَّ الله مِنْ صدور عَدُوِّكُمُ المهابة مِنْكمْ! ولَيقذِفنَّ في قلوبِكُمُ الوَهَنَ!**». قيل: وما الوَهَنُ يا رسولَ الله؟! قال: «**حُبّ الدنيا، وكراهيةُ المَوْتِ**». رواه أبو داود، وأحمد، وغيرهما. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذَا تبايَعْتُم بِالْعِينَةِ، وأخذتُمْ بأَذْنَابِ البقرِ، ورضيتمْ بالزَّرْعِ، وتَرَكْتُمُ الجهادَ في سبيل الله؛ سلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلاًّ، لا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ؛ حتى ترْجعوا إلى دينكُمْ**». رواه أبو داود.

وقد روي من طرق مختلفة: أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «**ما تعدُّون الشهيدَ فيكمْ؟**». قلنا يا رسولَ الله: مَنْ قُتِل في سبيل الله. قال: «**إنَّ شهداءَ أمتي إذاً لقَليلٌ! مَنْ قُتِلَ في سبيلِ الله فهوَ شهيدٌ، والمتردِّي شهيدٌ، والنفساءُ شهيدٌ، والغريقُ شهيدٌ، والسِّلُّ شهيدٌ، والحريقُ شهيدٌ، والغريبُ شهيدٌ**». وفي رواية أخرى: «**والمبطونُ شهيدٌ، وصاحبُ ذاتِ الجنبِ شهيدٌ، والمطعونُ شهيدٌ، والذي يموتُ تحتَ الهدمِ شهيدٌ، والمرأة تموتُ بجُمْع شهيدٌ**». ومعنى: «**والمرأة تموت بجُمْع**». أي: تموت وفي بطنها ولد. وقيل: التي تموت بكراً. وعن سعيد بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فهوَ شهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ دمِهِ فهوَ شهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دونَ دينِهِ فهوَ شهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُونَ أهلِهِ فهوَ شهيدٌ**». رواه أبو داود، وغيره. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «**فلا تُعْطِهِ مَالَكَ**». قال: أرأيت إنْ قاتلني. قال: «**قَاتِلْهُ**». قال: أرأيت إنْ قَتَلني. قال: «**فأنْتَ شهيد**». قال: أرأيت إن قتلته. قال: «**هُوَ في النَّارِ**». رواه مسلم والنسائي.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مبتدأة، أو مستأنفة،

لا محل لها على الاعتبارين. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، والجملة بعده صلته، لا محل لها. ﴿فِى سَبِيلِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿صَفًّا﴾: حال بمعنى: مصطفين، أو صافين، فهو مصدر بمعنى اسم الفاعل، وصاحب الحال: واو الجماعة. ﴿كَأَنَّهُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿بُنْيَٰنٌ﴾: خبر (كأن). ﴿مَّرْصُوصٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المستتر في ﴿صَفًّا﴾، فهي حال متداخلة. وإن اعتبرتها حالاً من واو الجماعة، فهي حال متعددة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾: لما ذكر الله أمر الجهاد؛ بيّن أن موسى، وعيسى ـ على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام ـ أمرا بالتوحيد، وجاهدا في سبيل الله، وحل العقاب بمن خالفهما؛ أي: واذكر لقومك يا محمد هذه القصة. ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ أي: لم توصلون الأذى إلي؛ وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة؟! وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من كفار مكة. هذا؛ وأنواع الإيذاء التي آذى بها بنو إسرائيل موسى كثيرة، لا تعدُّ ولا تحصى، منها: قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، وقولهم: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾، وقولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، وقولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، وقولهم: (إنَّكَ يا موسى قتلتَ هارون). ومنها: ما ذكر في قصة قارون: أنه دس إلى امرأة تدعي على موسى الفجور كما رأيت في سورة (القصص). ومنها: أنهم رموْا موسى بالأدْرة. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٩] من سورة (الأحزاب) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

تنبيه: من المشهور عند أهل العربية: أن «قد» تصحب الماضي لتقربه من الحال، وإذا صحبت المضارع، فإنها تفيد التقليل، مثل قولهم: (إن الكذوب قد يصدق) ولكنها هنا جاءت مع المضارع للتكثير؛ أي: لتكثير علمهم؛ أي: تحقيق تأكيده على عكس معناها الأصل في التقليل، وإذا اعتبرت الفعل: ﴿تَّعْلَمُونَ﴾ بمعنى علمتم زال الإشكال.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ أي: مالوا عن الحق وعدلوا عنه. ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: عن الهداية، والتوفيق لصالح الأعمال، وأودع فيها الشك، والحيرة، وعدم الاهتداء. قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٨٦]: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. وقال في سورة (يونس) رقم [١١]: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. وقال تعالى في سورة (النساء) رقم [١١٥]: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ

جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: لا يوفقهم إلى طريق الحق والصواب؛ لأنهم مالوا عن طريق الحق والصواب، وظلموا أنفسهم بالمعاصي، والخروج عن طاعة الله، وسبق في علم الله الأزلي: أنهم من أهل النار، ولو تركوا وشأنهم؛ لما اختاروا غير ذلك. وهذا جواب لمن يعترض، ويقول: لماذا لا يهديهم، ولا يوفقهم إلى طريق الحق والصواب. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: (الواو): حرف عطف، أو حرف استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر وقت، أو هو مفعول به لهذا المحذوف، وهو أولى. ﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية مع مقولها في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿لِقَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو، أو أنادي. (قوم): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنه لا لبس فيه، ومنهم من يثبت الياء ساكنة، فيقول: (يا قومي)، ومنهم من يثبتها، ويحركها بالفتحة، فيقول: (يا قوميَ)، ومنهم من يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، فيقول: (يا قوما)، ومنهم من يحذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الميم دليلاً عليها، فيقول: (يا قومَ) قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

واجْعَلْ منادىً صحَّ إنْ يُضَفْ لِيَا كَعَبْدِ عَبْدِي عَبْدَ عَبْدَا عَبْدِيا

ويزاد لغة سادسة، وهو لغة القطع (يا قوم) بضم الميم، ففي الحديث الشريف «**يقول العبد: يا ربُّ، يا ربُّ**». وقرئ في سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: (قالَ رَبُّ السِّجْنُ أَحَبُّ إليَّ ...) إلخ، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿لِمَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، وانظر تفصيل إعرابها في الآية رقم [٣]. ﴿تُؤْذُونَنِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَقَد﴾: (الواو): واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿تَّعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿أَنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿رَسُولُ﴾: خبر (إنَّ)، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وأجيز تعليقهما بـ: ﴿رَسُولُ﴾؛ لأنه بمعنى مرسول الله. و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محلِّ نصب سد مسد مفعولي ﴿تَّعْلَمُونَ﴾. هذا؛ وساغ اعتبار الجملة الفعلية في محل

نصب حال على توجيهين: الأول: على اعتبار الفعل بمعنى الماضي. والثاني: على اعتبار الجملة الفعلية في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وأنتم تعلمون... إلخ. وأحد هذين التوجيهين؛ لا يجوز؛ لأن الجملة الفعلية المضارعية الواقعة حالاً لا يجوز أن تقترن بالواو. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وذاتُ بدءٍ بمُضارعٍ ثَبَتْ ... حَوَتْ ضميراً ومِنَ الواو خَلَتْ

وذَاتُ واوٍ بَعْدَهَا انْوِ مُبْتَدَا ... لهُ المضارعَ اجْعَلَنَّ مُسْنَدَا

﴿فَلَمَّا﴾: (الفاء): حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [١٦] من سورة (الحشر). ﴿زَاغُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، تقديره: زاغوا عن الحق، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً؛ لأنها ابتدائية، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿أَزَاغَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿قُلُوبَهُمْۚ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية جواب (لمَّا)، لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهۡدِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلۡقَوۡمَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: صفة ﴿ٱلۡقَوۡمَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾

الشرح: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: واذكر يا محمد لقومك هذه القصة أيضاً. ولم يقل: «يا قوم» كما قال موسى ـ على نبينا، وعليهما ألف صلاة، وألف سلام ـ؛ لأنه لا نسب له فيهم، فيكونون قومه؛ لأنه لا أبَ له، كما هو معروف، ومشهور، والنسب للأب، لا للأم. فتنبه لهذا، واحفظه فإنه جيد، والحمد لله. ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم﴾ أي: مرسل إليكم رسولاً من قبل الله تعالى بالوصف المذكور في التوراة. ﴿مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ أي: مصدقاً، ومعترفاً بأحكام التوراة، الموجودة بين يديَّ، وكتب الله، وأنبيائه جميعاً، ولم آتكم بشيء يخالف التوراة؛ حتى تنفروا عني، وتبتعدوا مني. ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ أي: وجئت لأبشركم ببعثة رسول يأتي من بعدي اسمه: أحمد. قال الآلوسي: وهذا الاسم الكريم علمٌ لنبينا محمد ﷺ، كما قال حسان ـ رضي الله عنه ـ: [الكامل]

صَلَّى الإلهُ ومَنْ يحفُّ بعَرْشِهِ والطَّيِّبُونَ عَلَى المُبَارِكِ أَحْمَدِ

فعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد ﷺ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين؛ الذي لا رسالة بعده، ولا نبوة، وهو صريح قوله تعالى في سورة (الأحزاب) رقم [٤٠]: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾. وما أحسن ما أورد البخاري عن جبير بن مطعم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ لي أسماءَ، أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي؛ الذي يَمْحُو الله بي الكفر، وأنا الحاشرُ؛ الذي يُحْشَرُ الناسُ على قدمي، وأنا العاقبُ**». أخرجه البخاري، ومسلم، ومعنى العاقب: الذي لا نبي بعده.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد: لئن بعث محمد، وهو حي ليتبعَنَّهُ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنَّهُ وينصرُنَّهُ. وقال محمد بن إسحاق عن خالد بن معدان ـ رضي الله عنه ـ، عن أصحاب رسول الله ﷺ: أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك! قال: «**أنا دعْوَةُ أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأتْ أمي حين حملتْ بي كأنه خرج منها نورٌ، أضاءت له قصورُ بصرى من أرضِ الشام**». قال ابن كثير: إسناده جيد. وعن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني عندَ الله لخاتمُ النبيين، وإن آدمَ لمُنْجَدِلٌ في طينتهِ، وسأُنبئكُمْ بأوَّلِ ذلك: دعوةُ أبي إبراهيم، وبشارةُ عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهاتُ النبيين يَرَيْنَ**». أخرجه الإمام أحمد. هذا؛ وبشارة عيسى عليه السلام ما ذكر في هذه السورة، أما دعوة إبراهيم عليه السلام؛ فهي قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٢٩] حكاية عن قول إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وجملة القول: أن الأنبياء ـ عليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام ـ لم تزل تصفه، وتذكره في كتبها على أممها، من لدن آدم إلى عيسى ابن مريم، وتأمرهم باتباعه، ونصرته، ومؤازرته إذا بعث، وكان أول ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء، والمرسلين جميعاً حين دعا لأهل مكة يوم أسكن ابنه إسماعيل فيها، وبنى الكعبة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، وكذا على لسان عيسى، كما رأيت.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: فلما جاءهم عيسى بالمعجزات الواضحات من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، ونحو ذلك من المعجزات الدالة على صدقه في دعوى الرسالة. هذا هو الظاهر أن الضمير يعود إلى عيسى عليه الصلاة والسلام؛ لأنه المحدث عنه، وهو اختيار البيضاوي، والآلوسي، وصاحب البحر المحيط. وقال ابن جريج ـ رحمه الله تعالى ـ: بل الضمير يعود إلى ﴿أَحْمَدُ﴾ المبشر به في الأعصار المتقادمة، المنوه بذكره في القرون السالفة.

﴿قَالُوا﴾ أي: لما ظهر أمره، وجاء بالبينات؛ قال الكافرون: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. في قراءة حمزة، والكسائي: (ساحر) وقد استدل البيضاوي بهذه القراءة على أن المراد به عيسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

وعن كعب الأحبار: أن الحواريين قالوا لعيسى: يا روح الله! هل بعدنا من أمة؟ قال: نعم أمة أحمد: حكماء، علماء، أبرار، أتقياء، كأنهم من الفقه أنبياء، يرضون باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم باليسير من العمل. انتهى. كشاف.

وخذ ما يلي: فعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعْتُ أبا القاسم ﷺ يقول: «**إنَّ الله عز وجلَّ قال: يا عيسَى! إنّي باعِثٌ من بعدِكَ أُمَّةً إنْ أَصَابَهُمْ ما يُحِبُّونَ؛ حَمِدُوا الله، وإنْ أَصَابَهُمْ ما يكرهُونَ؛ احتسبُوا، وصَبَرُوا، ولا حِلْمَ، ولا عِلْمَ! فقال: يا رَبِّ كيف يكون هذا؟ قال: أُعْطِيهِمْ مِنْ حِلْمِي، وعلْمِي**». رواه الحاكم. وقال: صحيح على شرط البخاري.

هذا؛ والسحر: كل ما لطف ودقَّ، يقال: سحره: إذا أبدى له أمراً يدق عليه، ويخفى. وقال الغزالي ـ رحمه الله ـ في الإحياء ما نصه: السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر، وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الخواص هيكل على صورة الشخص المسحور، ويترصد له وقت مخصوص من المطالع، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر، والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستغاثة بالشياطين، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور. انتهى. هذا؛ والمعتمد أنَّ مَنْ تعلَّمه لدفع الضرر عن نفسه، أو عن غيره، أو اتخذه الشخص ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الإيمان، فلا كفر باعتقاد حقيقته، وجواز العمل به من غير إضرار بأحد. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى﴾: هو مثل الآية السابقة بلا فارق. ﴿ٱبْنُ﴾: صفة ﴿عِيسَى﴾، أو هو بدل منه، و﴿ٱبْنُ﴾ مضاف، و﴿مَرْيَمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والتأنيث المعنوي. ﴿يَٰبَنِيٓ﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (بني): منادى منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و(بني) مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿رَسُولُ﴾: خبر (إنَّ) وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿إِلَيْكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وأجيز تعليقهما بـ: ﴿رَسُولُ﴾ نفسه؛ لأنه بمعنى: مرسول الله. ﴿مُّصَدِّقًا﴾: حال من الضمير المستكن في ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ لتأويله بـ: «مرسل» وهو العامل في الحال بهذا الاعتبار. انتهى. جمل. وقال مكي: حال مِنْ (عيسى). ﴿لِّمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ:

﴿مُّصَدِّقًا﴾ ف: (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام. هذا؛ وقد اعتبر ابن هشام اللام في مغنيه زائدة، وسماها لام التقوية. وعليه ف: (ما) مجرورة لفظاً، منصوبة محلاً، مثل قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾، ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾، ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وأورد قول حاتم الطائي. وقيل: قول قيس بن عاصم المنقري - رضي الله عنه - وهو الشاهد رقم [٣٩٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

إذَا مـا صَنَعْتِ الزَّادَ فالتمسي لـه ... أكيلاً فإني لستُ آكِلَهُ وحْدِي

﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة (ما)، و﴿بَيْنَ﴾ مضاف، و﴿يَدَيَّ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة. ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستقر في الظرف، و﴿مِنَ﴾ بيان لما أبهم في الموصول. ﴿وَمُبَشِّرًۢا﴾: معطوف على ﴿مُّصَدِّقًا﴾. ﴿بِرَسُولٍ﴾: متعلقان بـ: (مبشراً). ﴿يَأْتِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (رسول)، والجملة الفعلية في محل جر صفة (رسول). ﴿مِنۢ بَعْدِي﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱسْمُهُۥٓ﴾: مبتدأ. ﴿أَحْمَدُ﴾: خبره، أو هو مبتدأ مؤخر، واسمه خبر مقدم، والجملة الاسمية في محل جر صفة ثانية لـ: (رسول)، أو هي في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿فَلَمَّا﴾: (الفاء): حرف استئناف. (لمَّا): انظر الآية رقم [١٦] من سورة (الحشر). ﴿جَآءَهُم﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿عِيسَى﴾، أو إلى (رسول) انظر الشرح، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لما) حرفاً؛ لأنها ابتدائية، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها، على اعتبارها ظرفاً. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿سِحْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة ﴿سِحْرٌ﴾ والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا...﴾ إلخ جواب (لما)، لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ...﴾ إلخ: أي: لا أحد أظلم، وأفسد، وأشقى ممن يدعى إلى الإسلام الظاهر حقيته المقتضي له خير الدارين، فيضع موضع إجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله،

وتسمية آياته سحراً. فإنه يعم إثبات المنفي، ونفي الثابت. وقرئ: (يَدَّعِي) أي ينتسب. يقال: دَعَاه وادَّعاه، كلمسه، والتمسه. انتهى. هذا؛ والإسلام: الاستسلام، والخضوع، والانقياد لأوامر الله تعالى مع تنزيه الله عن الولد، والوالد، والصاحبة. وكله مضمون التوحيد، وفحواه؛ الذي جاء به الرسل جميعاً، ولذلك قال الرسول ﷺ «**الأنبياء بَنُو عَلَّات**». وبنو العلات أولاد الضرائر، وأبوهم واحد، يقصد النبي ﷺ: أن الأنبياء جميعاً جاؤوا بالتوحيد، وإن اختلفت الأحكام، والتكاليف الإلهية، ولذلك نطق الأنبياء بالإسلام، ومعناه: التوحيد. وخذ ما يلي:

فإبراهيم، وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ قالا: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾. سورة (البقرة) رقم [١٢٨]. وقال يوسف ـ عليه السلام ـ سائلاً ربه بقوله: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ سورة (يوسف) رقم [١٠١]. ومن قول سليمان عليه السلام: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ سورة (النمل) رقم [٤٢]. وبلقيس قالت: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سورة (النمل) رقم [٤٤]. وغير ذلك كثير.

الإعراب: ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (من): اسم استفهام مفيد للنفي، مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِمَّنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَظْلَمُ﴾ و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والفاعل يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، أو الرابط. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْكَذِبَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة (مَنْ)، أو صفتها. ﴿وَهُوَ﴾: (الواو): واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يُدْعَىٰٓ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى: الظالم. ﴿إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [٥]: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي: يريد الكفار إبطال نور الله، وهو القرآن الكريم، أو الإسلام، أو المراد: حجج الله ودلائله. هذا؛ والإطفاء هو: الإخماد، يستعملان في النار، ويستعملان فيما يجري مجراها من الضياء، والظهور، ويفترقان من وجه، وهو: أن الإطفاء يستعمل في القليل، والكثير، والإخماد لا يستعمل إلا في الكثير، فيقال: اطفأت السراج. ولا يقال: أخمدت السراج، والاستعارة واضحة، حيث استعار نور الله لدينه، وشرعه الواضح،

وشبه من أراد إبطال هذا الدين بمن أراد إطفاء الشمس بفمه الحقير، على طريق الاستعارة التمثيلية. وهذا من لطيف الاستعارات.

﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: جمع: فوه على الأصل؛ لأن الأصل في فم: فَوْهٌ، مثل: حوض، وأحواض، والمراد الكلام الذي يخرج من أفواههم، كطعن في الإسلام، وطعن في القرآن، وطعن في النبي ﷺ. قال الفخر الرازي: وإطفاء نور الله تعالى تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن: إنه سحر، إنه كهانة، شبهت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه، وفيه تهكم وسخرية بهم.

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ أي: والله مظهر لدينه بنشره في الآفاق، وإعلائه على جميع الأديان، والمراد: أن هذا الدين سينتشر في مشارق الأرض، ومغاربها، وهو فحوى قول النبي ﷺ: «**إن الله زوى ليَ الأرض، فرأيت مشارِقَها، ومغاربَها، وإنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سيبلُغُ ما زُويَ لِيَ مِنْهَا**». ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: ولو كره ذلك أعداء الله المشركون بالله وغيرهم، فإن الله سيعز شأن هذا الدين رغم أنف الكافرين. قال زاده: كان كفار مكة يكرهون هذا الدين الحق من أجل توغلهم في الشرك، والضلال، فكان المناسب إذلالهم، وإرغامهم بإظهار ما يكرهون من الحق، وليس المراد من إظهاره ألا يبقى في العالم من يكفر بهذا الدين، بل المراد أن يكون أهله عالين غالبين على سائر الأديان بالحجة، والبرهان، والسيف، واللسان إلى آخر الزمان. انتهى. صفوة التفاسير. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (التوبة) رقم [٣٢]: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: كرهوا الإسلام، وإعلاء كلمته، وقد كان ذلك يوم اختار الله، وهيأ لهذا الدين من حمل لواءه، وبذلوا ما بذلوا حتى سطع نوره، وعم ربوع الدنيا، والتاريخ شاهد صدق على ذلك.

الإعراب: ﴿يُرِيدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من الظالمين، أو من الضمير المستتر فيه، والرابط: الضمير فقط، وهو واو الجماعة. ﴿يُطْفِـُٔوا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعليه فالمفعول محذوف، التقدير: يريدون الكذب. أو يريدون الافتراء لإطفاء نور الله بأفواههم. هذا؛ ويجوز اعتبار اللام صلة، والمصدر المؤول في محل نصب مفعول به محلاً، وفي محل جرٍّ باللام لفظاً. قال الزمخشري: أصله يريدون أن يطفئوا نور الله، كما جاء في سورة (التوبة) وهي الآية الآنفة الذكر، وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة توكيداً له لما فيها من معنى التقوية. وهناك قول ثالث: أنها بمعنى (أن) الناصبة، وأنها ناصبة للفعل

بنفسها. قال الفراء: العرب تجعل لام كي في موضع: «أن» في: (أراد، وأمر) وإليه: ذهب الكسائي أيضاً. انتهى. جمل نقلاً من السمين. هذا؛ ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٢٦]: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾، والآية رقم [٧١] من سورة (الأنعام): ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، والآية رقم [٣٣] من سورة (الأحزاب) ومثل ذلك كله قول كثير عزة وهو الشاهد رقم [٣٩٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

أُرِيدُ لأنْسَى ذِكْرَهَا فكأنَّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

﴿نُورَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل (يطفئوا)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): واو الحال. (الله): مبتدأ. ﴿مُتِمُّ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿نُورِهِۦ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وقرئ بتنوين (متمٌّ) ونصب (نورَه) على أنه مفعول به صريح، والجملة الاسمية: (الله متم نوره) في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو وإعادة اللفظ الكريم، وجاءت الحال من المضاف إليه؛ لأن المضاف كجزئه، انظر الآية رقم [١٠] من سورة (الممتحنة). ﴿وَلَوْ﴾: (الواو): حرف عطف. (لو): وصلية، والجملة الفعلية: ﴿كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، والمفعول محذوف، تقديره: ولو كره الكافرون إتمام نوره. وانظر الآية التالية:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أي: الله هو الذي بعث محمداً ﷺ بالقرآن، والإسلام. ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: دين الإسلام. ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: ليعليه على جميع الأديان بالحجج الدامغات، والبراهين الساطعات بالإضافة لما ذكرته في الآية السابقة. وخذ ما يلي: فعن تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمْرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك الله بيتَ مدرٍ، ولا وبرٍ إلا أدخله هذا الدين، يعز عزيزاً، ويذل ذليلاً، عزّاً يعز الله به الإسلام، وذلّاً يذل الله به الكفرَ**». فكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير، والشرف، والعز، ولقد أصاب من كان كافراً منهم الذل، والصغار، والجزية. أخرجه الإمام أحمد في مسنده. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾: هو مثل الآية السابقة.

قال الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قيل: قال أولاً: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وقال ثانياً ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ فما الحكمة في ذلك؟ أجيب: بأنه تعالى أرسل رسوله، وهو من نعم الله تعالى، والكافرون كلهم في كفران النعم سواء، فلهذا قال: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ لأن لفظ

الكافر أعم من لفظ المشرك، فالمراد من الكافرين هنا: اليهود، والنصارى، والمشركون، فلفظ الكافر أليق به، وأما قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ فذلك بـ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فلم يقولوها، فلهذا قال: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾. انتهى. نقلاً من الخطيب.

تنبيه: قال أبو هريرة، والضحاك: هذا (أي: ما ذكر في الآية الكريمة) عند نزول عيسى عليه السلام. وقال السدي: ذاك عند خروج المهدي، ولا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام، وأيد ذلك القرطبي، وذكره الزمخشري بلفظ: قيل. ولا تنس: أن الآية مذكورة بحروفها في سورة (التوبة) برقم [٣٣]، وفي سورة (الفتح) برقم [٢٨].

تنبيه: قال الله تعالى في سورة (النساء) رقم [١٤١]: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ في تأويل هذا الجعل أقوال:

أحدها: وهو قول علي، وابن عباس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: أن المراد به في يوم القيامة، بدليل عطفه على ما قبله. الثاني: أن هذا في الدنيا. والمعنى: أن حجة المؤمنين غالبة في الدنيا على الكافرين، وليس لأحد يغلبهم بالحجة. الثالث: معناه: أن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً بأن يمحو دولة المؤمنين بالكلية حتى يستبيحوا بيضتهم، فلا يبقى أحد من المؤمنين. الرابع: أن شريعة الإسلام باقية إلى يوم القيامة، لا تتغلب عليها شريعة ما. ويتفرع على هذا مسائل، منها: أن الكافر لا يرث المسلم. ومنها: أن الكافر لا يحق له أن يشتري عبداً مسلماً. ومنها: أن الكافر لا يتزوج مسلمة. هذا؛ وقد قال الله تعالى في سورة (المائدة) رقم [٥٦]: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ أي: الغالبون بالحجة، والبرهان، فإنها مستمرة أبداً، لا بالدولة، والصولة، وإلا فقد غُلِبَ حزبُ الله غير مرة حتى في زمن النبي ﷺ. قاله الجمل، وغيره، وهو كلام لا غبار عليه.

هذا؛ وقد عَدّ محمد علي الصابوني ـ جزاه الله خيراً ـ في كتابه: (التبيان في علوم القرآن) من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم الوفاء بالوعد في كل ما أخبر عنه، وكل ما وعد به عباده. قال: وهذا الوعد ينقسم إلى قسمين: وعد مطلق، ووعد مقيد، فالوعد المطلق كوعده بنصر رسوله، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه، ونصر المؤمنين على الكافرين. وقد تحقق ذلك كله. وذكر مطلع سورة (الفتح) وسورة (النصر) بكاملها، والآية التي نحن بصدد شرحها. ثم قال: ومن الوعد المطلق قوله جل ثناؤه في سورة (الروم) رقم [٤٧]: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقد تحقق نصر المؤمنين في مواطن عديدة: في بدر، والأحزاب، وحنين، وغير ذلك من المعارك العظيمة؛ التي شهدها تاريخ الإسلام. وذكر آيات (الأنفال). ثم قال: ومن الوعد المطلق أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ...﴾ إلخ الآية هنا، وهي في سورة (التوبة) برقم [٣٣]، وفي سورة (الفتح) برقم [٢٨]، وأيضاً قوله تعالى في سورة (غافر) رقم [٥١]: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾.

أما الوعد المقيد، فهو ما كان فيه شرط، كشرط التقوى، أو شرط الصبر، أو شرط النصرة لدين الله، وما شابه ذلك. قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ رقم [٧] من سورة (محمد ﷺ)، وقال تعالى في سورة (الطلاق): ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. والآية رقم [٤] منها: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾، وقد وعد الله المؤمنين بالنصر بشرط الصبر، كما قال تعالى في سورة (الأنفال) رقم [٦٥]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾. انتهى. بتصرف كبير مني.

الإعراب: ﴿هُوَ﴾ ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿أَرْسَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى الذي، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿رَسُولَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿رَسُولَهُۥ﴾ التقدير: مقروناً، أو ملتبساً بالهدى، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿وَدِينِ﴾: الواو: حرف عطف. (دين): معطوف على (الهدى)، و(دين) مضاف، و﴿ٱلْحَقِّ﴾ مضاف إليه من إضافة الموصوف للصفة؛ إذ الأصل: الدين الحق. ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعوله، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿أَرْسَلَ﴾. ﴿عَلَى ٱلدِّينِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كُلِّهِۦ﴾: توكيد للدين؛ لأنه بمعنى: جميع الأديان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَوْ﴾: (الواو): واو الحال. (لو): وصلية. ﴿كَرِهَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلْمُشْرِكُونَ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: ولو كره المشركون إظهار دينه، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (دين الحق)، والرابط: الواو، والضمير المقدر مع المفعول المحذوف. هذا؛ وإن اعتبرت (لو) شرطية امتناعية؛ ففعل شرطها المذكور، وجوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: ولو كره المشركون إظهار دينه؛ لأظهره الله، وعليه فالجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. وقيل: (لو) شرطية، وهذا يتعارض مع قول من يقول: إن (الواو) واو الحال قطعاً؛ لأن الشرطية لتعليق الفعل بالمستقبل، وهذا يتنافى مع الحال.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: هذا نداء من الله تعالى للمؤمنين بأكرم وصف، وألطف عبارة؛ أي: يا من صدقتم بالله ورسوله، وتحليتم بالإيمان الذي هو زينة الإنسان. ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم...﴾ إلخ: أي: تخلصكم، وتنقذكم من عذاب شديد، ومؤلم. هذا؛ ويقرأ الفعل بتشديد الجيم وتخفيفها، وانظر ما ذكرته في أول السورة. وخذ ما يلي:

قال مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ: نزلت في عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ وذلك: أنه قال لرسول الله ﷺ: لو أذِنْتَ لي، فطلقتُ خولةَ، وترهبتُ، واختصيْتُ، وحرمتُ اللحم، ولا أنام بليل أبداً، ولا أفطر بنهار أبداً، فقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ مِنْ سُنتي النكاحَ، ولا رَهْبَانيةَ في الإسلام، إنما رَهْبَانِيَّةُ أمتي الجهادُ في سبيلِ الله، وخصاءُ أمتي الصومُ، ولا تحرِّمُوا طيِّبات ما أحلَّ الله لكُمْ. وَمِنْ سُنَّتي: أنامُ، وأقومُ، وأفطرُ، وأصومُ، فمَن رغبَ عَنْ سُنَّتي، فليسَ منّي»**. فقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ: والله لوددتُ يا نبيَّ الله أن أعلمَ أيُّ التجاراتِ أحبُّ إلى الله، فأتجرَ فيها؟ فنزلت الآية الكريمة. ما أشبه سبب نزول هذه الآية بسبب نزول قوله تعالى في سورة (المائدة) رقم [٨٧ و٨٨]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ...﴾ إلخ. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ انظر الآية رقم [٢]. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام، وتشويق، وترغيب. ﴿أَدُلُّكُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿تُنجِيكُم﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى التجارة، تقديره هي، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة ﴿تِجَٰرَةٍ﴾. ﴿مِّنْ عَذَابٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿أَلِيمٍ﴾: صفة ﴿عَذَابٍ﴾، وهو بمعنى: مؤلم.

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

الشرح: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: هذا تفسير للتجارة المذكورة في الآية السابقة، وانظر الإيمان في الآية رقم [١٦] من سورة (المجادلة). ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هذه الجملة من جملة تفسير التجارة. ﴿بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾: قدم الأموال على النفس لعزتها في ذلك الوقت، أو لأنها قوام النفس، أو لأنها التي يبدأ بها في الإنفاق، أو لأن المال شقيق الروح، فقد يفرط الإنسان في نفسه دفاعاً عن ماله، وهذا معروف ومشهور. والمراد: تجاهدون أعداء الدين بالمال، والنفس؛ لإعلاء كلمة الله.

قال المفسرون: جعل الله الإيمان والجهاد في سبيله تجارة تشبيهاً لهما بالتجارة، فإنها عبارة عن مبادلة شيء بشيء طمعاً في الربح، ومن آمن، وجاهد بماله، ونفسه؛ فقد بذل ما عنده، وما في وسعه؛ لنيل ما عند ربه من جزيل ثوابه، والنجاة من أليم عقابه. فشبه هذا الثواب، والنجاة من العذاب بالتجارة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية رقم [١١١] من سورة (التوبة).

قال الإمام الفخر الرازي: والجهاد ثلاثة أنواع:

١ـ جهاد فيما بينه وبين نفسه، وهو قهر النفس، ومنعها عن اللذات والشهوات.

٢ـ جهاد فيما بينه وبين الخلق، وهو أن يدع الطمع منهم، ويشفق عليهم ويرحمهم.

٣ـ جهاد أعداء الله بالنفس، والمال نصرة لدين الله. انتهى. صفوة التفاسير.

والأول هو الجهاد الأكبر؛ الذي نبه عليه النبي ﷺ، فقد روى البيهقي بإسناد حسن صحيح: أن أصحاب رسول الله ﷺ، حين قَدِمُوا من الجهاد تلقاهُم الرسولُ ﷺ، وقال لهم: **«مَرْحباً بِكمْ! قدِمْتُمْ مِنَ الجهادِ الأصْغَرِ إلى الجهادِ الأكبَرِ»**. قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟! قال: **«جهادُ النفسِ»**. هذا؛ وبالإضافة لما ذكرته في الآية رقم [٤] أذكر ما يلي:

عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: **«مَقَامُ الرجلِ في الصفِّ في سبيلِ الله أفضلُ مِنْ عبادَةِ الرَّجُلِ ستينَ سنةً»**. أخرجه الحاكم. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ في الجنَّةِ مئَةَ درجةٍ، أعدَّهَا الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بَيْنَ الدَّرَجتَينِ، كما بَيْنَ السماءِ والأرضِ»**. أخرجه البخاري. هذا؛ وقال تعالى في سورة (النساء) رقم [٩٥]: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ: أن أعرابياً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسولَ الله! الرجُلُ يقاتِلُ للمغْنَمِ، والرجُلُ يقاتِلُ؛ ليُذْكرَ، والرجلُ يقاتِلُ؛ ليرى مكانُهُ؛ فمَنْ في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا، فهُوَ في سبيلِ الله»**. أخرجه البخاري، ومسلم، وغيرهما.

الإعراب: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: الواو: حرف عطف. (رسوله): معطوف على لفظ الجلالة، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وهي بمنزلة جواب السؤال المقدر، كأنهم قالوا: كيف نعمل؟ فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ. وقيل: الجملة في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي تؤمنون، وعليه فالجملة الاسمية مفسرة للتجارة لا محل لها، والخبر نفس المبتدأ، فلا رابط لها، والفعل عند سيبويه، والمبرد، والزجاج بمعنى: آمنوا. ولهذا أجيب بقوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالجزم على أنه جواب للأمر، ويدل عليه قراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا) وإنما جيء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال، فهو يخبر عن إيمان، وجهاد موجودين. وقال الفراء: الفعل: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾

مجزوم بجواب الاستفهام. ورده ابن هشام في قطر الندى بقوله: وليس جواباً للاستفهام؛ لأن غفران الذنوب لا يتسبب عن نفس الدلالة، بل عن الإيمان، والجهاد. هذا؛ وقرأ زيد بن علي: (تؤمنوا وتجاهدوا) على إضمار لام الأمر. ومثله، أو ومنه قول حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ وهو الشاهد رقم [٤٠٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالَا

هذا؛ وأجاز ابن هشام في مغني اللبيب اعتبار الفعل مجزوماً بجواب الاستفهام تنزيلاً للسبب، وهو الدلالة منزلة المسبب، وهو الامتثال، فيكون كلامه نقضاً لما ذكره في قطر الندى. هذا؛ وجملة: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ معطوفة على ما قبلها. ﴿بِأَمْوَٰلِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف فيهما في محل جر بالإضافة.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، وجواب الشرط محذوف أيضاً، التقدير: إن كنتم تعلمون: أنه خير لكم؛ فافعلوه. هذا؛ وقد جعله الزمخشري من حذف المفعول للعلم به اختصاراً. وجعله البيضاوي منزلاً منزلة اللازم؛ حيث قال: إن كنتم من أهل العلم؛ لأن الجاهل لا يعتد بفعله، فلا يثاب عليه، ولا يكون فيه خير. وقال الكرخي: وتفسيره أبلغ، وأدل على التوبيخ؛ لدلالته على الشك في كونهم من أهل العلم مطلقاً. انتهى. جمل بتصرف. هذا؛ وجملة: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، والجملة الشرطية بكاملها مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: الخطاب للمؤمنين الصادقين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. ومغفرة الذنوب هي الغاية العظمى التي يسعى لها، ويرغب فيها المؤمنون. ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ﴾: جمع جنة، انظر الآية رقم [٦٢] من سورة (الرحمن). ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ أي: تحت أشجارها، وقصورها، وبينها. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: جمع: نهر، وبالإضافة لما ذكر في سورة (محمد ﷺ) رقم [١٥] أذكر ما يلي: عن أنس ـ رضي الله عنه ـ. قال: (لَعَلَّكُمْ تظنونَ أَنَّ أنهارَ الجنَّةِ أُخْدودٌ في الأرضِ، لا والله إنَّهَا لسائِحَةٌ على وجه الأرض، إحدى حافتيها اللؤلؤ، والأخرى الياقوتُ،

وطِينُهُ المسكُ الأذفرُ. قال: قُلْتُ: ما الأذْفَرُ؟ قال: الذي لا خلط لَهُ) رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً، ورواه غيره مرفوعاً، والموقوف أشبه بالصواب. انتهى. الترغيب والترهيب للحافظ المنذري.

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾: عن عمران بن حصين، وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ قالا: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ﴾ قال: «**قَصرٌ في الجنة من لؤلؤةٍ، فيه سبعون داراً مِنْ ياقوتةٍ حمراءَ، في كلِّ دارٍ سبعونَ بيْتاً، مِنْ زمردة خضْرَاءَ، في كل بيتٍ سبعون سريراً، على كلِّ سريرٍ سبعون فِراشاً من كلِّ لَوْنٍ، على كُلِّ فِرَاشٍ امرأةٌ، في كلِّ بيتٍ سبعونَ مائدةً، على كلِّ مائدةٍ سبعون لوناً مِنْ طعامٍ، في كلِّ بيتٍ سبعونَ وصيفاً ووصيفةً، يُعْطَى للمؤمن من القوةِ ما يأتي على ذلك كُلِّهِ في غَدَاةٍ واحدةٍ**». رواه الطبراني، والبيهقي بنحوه. انتهى. الترغيب والترهيب.

هذا؛ و﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ﴾ جناتُ إقامة، وخلود. يقال: عدن بالمكان: أقام فيه، ومنه المعدن الموجود في باطن الأرض، وقال النبي ﷺ: «**عدْنٌ دارُ الله، الَّتي لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ قَطُّ، ولَمْ تخطُرْ على قلبِ بشرٍ، لا يسكنُهَا إلا ثلاثةٌ: النبيون، والصدّيقون، والشهداءُ، يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك**». رواه الطبراني عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ. وقال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: إن في الجنَّةِ قصراً، يُقال له: عدنٌ، حولهُ البروجُ، والمروجُ، فيه خمسةُ آلافِ بابٍ، على كل بابٍ خمسةُ آلاف حبرة، لا يدخله إلا نبي، أو صِدِّيقٌ، أو شهيدٌ. والحبرة بكسر الحاء، وفتحها: ضرب من البرود اليمنية مخطط. وروي: أن عمر الفاروق ـ رضي الله عنه ـ قال لكعب الأحبار: ما جناتُ عدنٍ؟ قال: قصورٌ من ذهبٍ في الجنةِ يدخلها النبيون، والصديقون، والشهداء، وأئمةُ العدْلِ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ أي: السعادة الدائمة الكبيرة. وأصل الفوز: الظفر بالمطلوب. والإشارة إلى ما ذكر من المغفرة وإدخال الجنة.

الإعراب: ﴿يَغۡفِرۡ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للاستفهام، أو للأمر المفهوم من قوله: ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾ كما رأيت في الآية السابقة. وقال أبو البقاء: في جزمه وجهان: أحدهما: هو جواب شرط محذوف، وعليه الكلام، تقديره: إن تؤمنوا؛ يغفر لكم. والثاني: هو جواب لما دل عليه الاستفهام. والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (الله). ﴿لَكُمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ذُنُوبَكُمۡ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لوقوعها جواباً لما ذكرته. ﴿وَيُدۡخِلۡكُمۡ﴾: الواو: حرف عطف. (يدخلكم): معطوف على ما قبله مجزوم مثله، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به أول، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿تَجۡرِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء

للثقل. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعل ﴿تَجْرِى﴾ والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿وَمَسَٰكِنَ﴾: معطوف على ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿طَيِّبَةً﴾: صفة (مساكن). ﴿فِى جَنَّٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ: (مساكن)، أو في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم، و﴿جَنَّٰتِ﴾ مضاف، و﴿عَدْنٍ﴾ مضاف إليه. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿ٱلْفَوْزُ﴾: خبر المبتدأ، ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: صفة ﴿ٱلْفَوْزُ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ أي: ولكم تجارة أخرى. وقيل: لكم خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة. أو التقدير: ويعطكم نعمةً أخرى تحبونها. ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾: قيل: هو النصر على قريش، وفتح مكة. وقيل: فتح مدائن فارس، والروم. وقد حقق الله ذلك؛ حيث صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي يا محمد بشر المؤمنين بالنصر المؤزر في الدنيا، وبالجنة في الآخرة. وهذا يفيد: أن خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله، ورسوله، ونصر الله، ودينه. وقد قال تعالى في سورة (محمد) رقم [٧]: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وقال جل ذكره في سورة (الحج) رقم [٤٠]: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾. هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾ في الآية رقم [٤٧] من سورة (النجم)، وانظر (البشارة) في الآية رقم [٨] من سورة (الجاثية).

الإعراب: ﴿وَأُخْرَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (أخرى): قال الفراء، والأخفش: «أخرى» معطوفة على «تجارة»، فهي في محل خفض. وقيل: محلها رفع؛ أي: ولكم خصلة أخرى، وتجارة أخرى تحبونها. انتهى. قرطبي. هذا؛ وقدر الجلال: ويؤتكم نعمة أخرى. قال الجمل: وهذا المقدر معطوف على الجوابين قبله، وهو جواب ثالث. وفي السمين: ويصح أن يكون منصوباً بفعل مضمر يفسره: ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ فيكون من الاشتغال، وحينئذ لا يكون ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ نعتاً؛ لأنه مفسر للعامل قبله. انتهى. ويصح أن يكون مبتدأ خبره: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾، ويصح خفضها عطفاً على ﴿تِجَٰرَةٍ﴾. انتهى. كرخي، وقال أبو البقاء الأوجه المذكورة باختصار. وقال ابن هشام: وقد يُتَخَيَّل ورود اعتراض ابن الشجري على أبي البقاء في تجويزه في: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ كونه كـ: زيداً ضربته، ويجاب بأن الأصل: وصفة أخرى. ويجوز كون ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ صفة، والخبر إما ﴿نَصْرٌ﴾، وإما محذوف؛ أي: ولكم نعمة أخرى، و﴿نَصْرٌ﴾ بدل، أو خبر لمحذوف. ﴿تُحِبُّونَهَا﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون. والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية خذ محلها من إعراب (أخرى). ﴿نَصْرٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: تلك النعمة الأخرى نصر من

الله، والجملة الاسمية مفسرة لـ: نعمة أخرى. ويجوز عطفه على (أخرى) على اعتبارها مرفوعة، التقدير: ولكم نصر. كما أجيز اعتباره خبراً عنها على اعتبارها مبتدأ، كما قرئ بنصبه عطفاً عليها، على تقدير الجلال المتقدم. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿نَصْرٌ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَبَشِّرِ﴾: (الواو): حرف عطف. (بشر): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء، والجملة الفعلية معطوفة على كلام مقدر قبلها التقدير: قل: يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم... وبشر المؤمنين، أو هي معطوفة على جملة: ﴿تُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ؛ لأنها بمعنى آمنوا... إلخ، كما رأيت فيما سبق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: انظر الآية رقم [١٠]. ﴿كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ أي: كونوا أنصار دينه في جميع أحوالكم بأقوالكم، وأفعالكم، وأنفسكم، وأموالكم. ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مع الله. وقيل: المعنى: مَن معيني في الدعوة إلى الله عز وجل. هذا؛ والحواريون هم أتباع عيسى الذين بعثهم دعاة من قبله إلى جهات متفرقة.

هذا؛ وقال عبد الوهاب النجار ـ رحمه الله تعالى ـ: هم أصحاب المسيح عيسى ابن مريم، صلوات الله، وسلامه عليه، وخاصته الذين اختارهم؛ ليكونوا تلاميذه، وبادروا إلى الإيمان به، وتتلمذوا له، وتعلموا منه، وكانوا اثني عشر رجلاً، وهذا اللفظ لم أعرفه عبرانياً، وأما عربيّاً فقد قال صاحب القاموس: وقد جاء إطلاق حواري رسول الله ﷺ على الزبير بن العوام، ويظهر: أن لفظ الأنصار في جانب رسول الله ﷺ بمنزلة الحواريين في جانب المسيح عليه السلام، والأناجيل تعبر عنهم بلفظ: التلاميذ.

وإذا جاز لي هذا اللفظ، فإني أقول: إن معناه الإخوان في طلب العلم، من لفظ: حبور العبري، وهو: التلميذ، وجمعه: حبوريم، نطق به في العربية: حواري، وحواريين. وذكرت أسماء الحواريين في «متَّى» في الإصحاح العاشر من إنجيله، وقد ذكر «برنابا» أسماء التلاميذ في الفصل الرابع عشر من إنجيله، وهذه أسماء التلاميذ الاثني عشر من إنجيله:

١ـ سمعان الذي يقال له: بُطرس.

٢ـ أندراوس أخو سمعان بُطرس.

٣ـ يعقوب بن زِبِدي.

٤ـ يوحنّا أخو يعقوب.

٥ـ فيلبس.

٦ـ برثو لماوْس.

٧ـ توما.

٨ـ متَّى العشَّار.

٩ـ يعقوب بن حلفي.

١٠ـ لباوْس الملقب تداوْس.

١١ـ سمعان القانوني.

١٢ـ يهوذا الأسخريوطي

وهذه أسماء التلاميذ الاثني عشر عند برنابا.

١ـ اندراوْس.

٢ـ بُطرس.

٣ـ برنابا.

٤ـ متَّى العشار.

٥ـ يوحنا بن زيْدي.

٦ـ يعقوب بن زيدي.

٧ـ تداوْس.

٨ـ يهوذا.

٩ـ برثو لماوْس.

١٠ـ فيلبس.

١١ـ يعقوب بن حلفي.

١٢ـ يهوذا الأسخريوطي.

ومن ذلك نرى: أن برنابا نقص من الحواريين عند متَّى اثنين، وهما: توما، وسمعان الغيور، المعروف بالقانوني، ووضع مكانهما اسمه، واسم تداوس، فهل الصواب معه؟ ولكن الكنيسة لما رأت إنجيله يخالف ما تهوى؛ حذفت اسمه، واسم سمعان من بين التلاميذ؛ لأنهما كانا متطابقين في الرأي، قد يكون ذلك، وأنهم اكتفوْا في عقابه بهذا مع بقاء اسمه بين الرسل؛ الذين حملوا قسطاً عظيماً في نشر الدعوة، والتبشير باقتراب ملكوت السموات.

هؤلاء الحواريون الذين استجابوا للمسيح عليه السلام، وهم الذين بثهم في القرى اليهودية ليدعوا الكفار بدعوة المسيح، ومن غلا في شأنه، أو كذبه، ورد دعوته، وقد قص الله تعالى شأن الحواريين في سورة (آل عمران) رقم [٥٢] و[٥٣]، وفي سورة (المائدة) رقم [١١١]، وفي سورة (الصف) رقم [١٤]. انتهى. بتصرف.

وهذا يدل على أن رسالة عيسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ أعم من رسالة جميع المرسلين قبله. هذا؛ وحواري الرجل: صفوته، وخالصته، ومنه قيل للحضريات: الحوارِيَّات لخلوص ألوانهن، ونظافتهن. قال الشاعر: [الطويل]

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِيْنَ غَيْرَنَا ... وَلَا تَبْكِنَا إِلَّا الكِلَابُ النَّوَابِحُ

المعنى: قل للنساء الحضريات يبكين غيرنا، فلسنا ممن عرف بالحضر على الفراش، بل نحن من أهل البدو، والمحاربة، ولا يبكي علينا إلا الكلاب النوابح؛ اللاتي تساق معنا في البدو، والصيد، أو الكلاب التي جرت عادتهن يأكلن قتلانا في المحاربة.

وقيل: سموا حواريين لبياض ثيابهم، يقال: حورت الشيء بمعنى: بيضته. وقيل: كانوا قصارين، سموا بذلك؛ لأنهم كانوا يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها. وقيل: سموا حواريين لصفاء قلوبهم، ولما ظهر عليهم من أثر العبادة، ونورها. وقيل: الحواريون هم الخلفاء. وقيل: هم الوزراء، وكانوا خلفاء عيسى، ووزراءه. وقيل: الحواريون هم الأنصار، والحواريُّ الناصر، والحواريُّ الرجل الذي يستعان به.

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: ندب النبي ﷺ الناس يوم الخندق، فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ: «**إن لكل نبي حوارياً، وحوارِيَّ الزبيرُ**».

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: أنصار دين الله، ورسوله، وأعوانه وهو جمع: ناصر كصاحب، وأصحاب، أو جمع: نصير، كشريف، وأشراف. هذا؛ وفي سورة (آل عمران) رقم [٥٢] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ أي: لما بلغ عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين؛ اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة، فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا نبوته، ورموْه، وأمه بالعظائم، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وغلت فيه طائفة ممن اتبعه؛ حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقاً، وشيعاً، فمن قائل منهم: إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة:

(الأب، والابن، وروح القدس)، ومن قائل: إنه الله. انتهى. مختصر ابن كثير. وانظر ما ذكرته في سورة (التوبة) رقم [٣٠] تجد ما يسرك.

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أي: نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ أي: غالبين لهم عالين عليهم، من قولك: ظهرت على الحائط؛ أي: علوت عليه. وذلك ببعثة محمد ﷺ، واتباعه، والاهتداء بهديه، و(أصبحوا) بمعنى: صاروا، ف: (أصبحوا) ليست على بابها من التوقيت في الصبح. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: انظر الإعراب مفصلاً في الآية رقم [٢]. ﴿كُونُوٓا۟﴾: فعل أمر ناقص مبني على حذف النون، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿أَنصَارَ﴾: خبر ﴿كُونُوٓا۟﴾، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه من إضافة جمع اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. هذا؛ ويقرأ: (أنصاراً للهِ)، واللام تحتمل أن تكون مزيدة في المفعول الصريح لزيادة التقوية، لكون العامل فرعاً، كما في قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ رقم [٦]، وأن تكون غير مزيدة، ويكون الجار والمجرور نعتاً للأنصار، والأول أظهر. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. ﴿كَمَا قَالَ...﴾ إلخ: قال السمين فيه أوجه: أحدها: أن الكاف في موضع نصب على إضمار القول؛ أي: قلنا لهم ذلك كما قال عيسى. الثاني: أنها نعت لمصدر محذوف، تقديره: كونوا كوناً. قاله مكي. وفيه نظر؛ إذ لا يؤمرون بأن يكونوا كوناً. الثالث: أنه كلام محمول على معناه دون لفظه. وإليه نحا الزمخشري، فإنه قال: فإن قلت: ما وجه صحة التشبيه، وظاهره تشبيه كونهم أنصاراً بقول عيسى: من أنصاري إلى الله؟ قلت: التشبيه محمول على المعنى، وعليه يصح، والمراد كونوا أنصار الله، كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم: من أنصاري إلى الله. انتهى. جمل. أما تفصيل الإعراب فهو كما يلي:

﴿كَمَا﴾: (الكاف): حرف تشبيه وجر. (ما) مصدرية. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿عِيسَى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ٱبْنُ﴾: صفة ﴿عِيسَى﴾ وهو مضاف، و﴿مَرْيَمَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والتأنيث المعنوي. ﴿لِلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل ﴿قَالَ﴾. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَنصَارِىٓ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة، من إضافة جمع اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ياء المتكلم، التقدير: متوجهاً إلى نصرة الله. أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر العائد إلى ﴿مَنْ﴾ والمعنى يبقى: متوجهاً إلى نصرة الله معي.

والجملة الاسمية: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ في محل نصب مقول القول، و(ما) والفعل ﴿قَالَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، التقدير: كقول عيسى. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) موصولة مبني على السكون في محل جر بالكاف؛ فالجملة الفعلية: ﴿قَالَ عِيسَى...﴾ إلخ صلتها، ويكون العائد محذوفاً، التقدير: كالذي قاله عيسى بن مريم، وعليه فالجملة الاسمية: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ مفسرة لهذا العائد المحذوف.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة، والجملة الاسمية: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (آمنت): فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿طَّآئِفَةٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿مِّنۢ بَنِيٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿طَّآئِفَةٌ﴾ وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِيٓ﴾ مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، وجملة: ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وقبل هذه الجملة، والتي قبلها كلام مقدر؛ إذ التقدير: فلما رفع عيسى إلى السماء؛ افترق الناس فيه فرقتين، فآمنت طائفة... إلخ.

﴿فَأَيَّدْنَا﴾: (الفاء): حرف استئناف. (أيدنا): فعل، وفاعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَأَصْبَحُواْ﴾: الفاء: حرف عطف. (أصبحوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿ظَٰهِرِينَ﴾: خبر (أصبح) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، وقبلها جملة محذوفة أيضاً، التقدير: فاقتتلت الطائفتان، فأيدنا... إلخ. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

انتهت سورة (الصف) بعون الله وتوفيقه، شرحاً وإعراباً.

والحمد لله رب العالمين.




سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (الجمعة) مدنية في قول الجميع، وهي إحدى عشرة آية، ومئة وثمانون كلمةً، وسبعمئة وعشرون حرفاً. انتهى. خازن. وخذ ما يلي:

عن أبي لبابة بن عبد المنذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ يوم الجمعةِ سيدُ الأيام، وأعظمُها عند الله، وهو أعظمُ عندَ الله من يومِ الأضحى، ويومِ الفطر، فيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم، وأهبطَ الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفَّى الله آدمَ، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبدُ شيئاً إلا أعطاه إياه؛ ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، وما مِنْ مَلَكٍ مقربٍ، ولا سماءٍ، ولا أرضٍ، ولا رياحٍ، ولا جبالٍ، ولا بحرٍ، إلا وهُنَّ يُشْفِقْنَ من يومِ الجمعة**». رواه الإمام أحمد، وغيره. وعن أوس بن أوس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ أفضلِ أيامِكم يومُ الجمعةِ: فيه خلق آدم، وفيه قُبِضَ، وفيه النفخةُ، وفيه الصعقةُ، فأكثِروا عليَّ من الصلاة فيهِ، فإن صلاتكُمْ معروضةٌ عَلَيَّ**». قالوا: يا رسول الله! وكيف تُعرضُ صلاتُنا عليكَ، وقد أرمْتَ ـ يعني: بليت ـ فقال: «**إن الله عز وجل حرمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ**». رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

وعن عبد الله بن بسر ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب، فقال النبي ﷺ: «**اجلسْ؛ فقدْ آذَيْتَ وآنَيْتَ**». أي: أخرت المجيء. رواه أحمد، وغيره. وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ مسلمٍ يموتُ يومَ الجمعةِ، أو ليلَةَ الجمعةِ إلا وقاهُ الله فتنةَ القبرِ**». رواه الترمذي. وعن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ ترك الجمعة ثلاث مراتٍ من غير ضرورة، طبع الله على قلبِهِ**». رواه أحمد. وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً يوم الجمعة، فقال: «**عسى رجل تحضره الجمعة؛ وهو على قدر ميلٍ من المدينة؛ فلا يحضرُ الجمعة، ثم قال في الثانية: عسى رجلٌ تحضره الجمعةُ؛ وهو على قَدْرِ ميلين من المدينة، فلا يحضرها. وقال في الثالثة: عسى رجلٌ تحضره الجمعة، وهو على قدر ثلاثة أميال من المدينة، فلا يحضر الجمعة، ويطبع الله على قلبه**». رواه أبو يعلى بإسناد لين.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ١﴾

الشرح: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾: إنما اختص التسبيح بالذكر من بين أنواع الذكر لبيان فضله على سائر الأذكار، كما اختص جبريل، وميكائيل بالذكر من بين الملائكة لبيان فضلهما؛ لأن معنى التسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه من الصفات، ولأن التسبيح صلاة الخلق أجمعين وعبادتهم لله تعالى. قال تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٤٤]: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾. هذا؛ والتسبيح يأتي بمعنى الدعاء قال جرير: [الطويل]

فَلَا تَنْسَ تَسْبِيحَ الضُّحَى إن يُوسُفاً ... دَعَا رَبَّهُ فاخْتَارَهُ حِينَ سَبَّحا

هذا؛ وقد جاء لفظ التسبيح في القرآن الكريم بالماضي أحياناً، وبالمضارع أحياناً، وبالأمر أحياناً، وبالمصدر أحياناً أخرى استيعاباً لهذه المادة من جميع جهاتها، وألفاظها، وهي أربع: المصدر، والماضي، والمضارع، والأمر، وهذا الفعل بألفاظه الأربعة، قد عُدِّيَ باللام تارةً، مثل قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾، وقوله جلت حكمته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ...﴾ إلخ، وأيضاً الآية التي نحن بصدد شرحها. وبنفسه أخرى مثل قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، رقم [٩] من سورة (الفتح)، ومثلها في سورة (الأحزاب) رقم [٤٢] وهو بصيغة الأمر: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، وقوله تعالى في آخر سورة (ق): ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ وأصله التعدي بنفسه؛ لأن معنى سبحته: بعدته من السوء، منقول من سبح: إذا ذهب، وبَعُد، فاللام إما أن تكون مثل: نصحته، ونصحت له، وشكرته، وشكرت له. وإما أن يراد بـ: سبَّح لله: اكتسب التسبيح لأجل الله، ولوجهه خالصاً. انتهى. النسفي من سورة (الحديد). وانظر شرح الأسماء الحسنى في الآية رقم [٢٣] من سورة (الحشر).

تنبيه: الأصل أن تكون (مَنْ) للعاقل و(ما) لغير العاقل، وقد يعكس هذا، فتستعمل (مَنْ) لغير العاقل، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ الآية رقم [٤٥] من سورة (النور)، وتستعمل: ﴿مَا﴾ للعاقل كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ رقم [٣] من سورة (النساء) وهذا من باب التقارض، وذلك قليل، وأكثر ما تكون ﴿مَا﴾ للعاقل: إذا اقترن العاقل بغير العاقل ـ كما في الآية الكريمة ـ في حكم واحد، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ رقم [٤٩] من سورة (النحل) فإن كل ما في السموات، والأرض ممن يعقل، وما لا يعقل قد اقترنا في حكم واحد، وهو السجود، والتسبيح، كما رأيت في آية (الإسراء) المذكورة فيما سبق، ويكون في الكلام تغليب. كما تستعمل في المبهم أمره، كقولك، وقد رأيت شبحاً من بُعْد: انظر إلى ما أرى. و(مَن) و(ما) تكونان بلفظ واحد للمفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث.

ملخص ما تقدم أن (مَنْ) تستعمل لغير العاقل في ثلاث مسائل:

١ـ أن ينزل غير العاقل منزلة العاقل، وذلك كقوله تعالى في سورة (الأحقاف) رقم [٥]: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فدعاء الأصنام التي لا تستجيب الدعاء نزلها منزلة العاقل؛ إذ لا ينادى إلا العقلاء.

٢ـ أن يندمج غير العاقل مع العاقل في حكم واحد، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ الآية رقم [١٧] من سورة (النحل)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية رقم [١٨] من سورة (الحج).

٣ـ أن يقترن غير العاقل بالعاقل في عموم مفصل، كما في آية (النور) المذكورة آنفاً؛ إذ الدابة تعم أصناف من يدب على وجه الأرض، وقد فصلها على ثلاثة أنواع. وتستعمل (ما) للعاقل في ثلاث مسائل أيضاً:

١ـ إذا اقترن العاقل بغير العاقل في حكم واحد، وهو كثير كما في الآية التي نحن بصدد شرحها، وقوله تعالى في سورة (طه) رقم [٦]: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾.

٢ـ إذا نزل العاقل منزلة غير العاقل، كقوله تعالى في سورة (النساء) الآية [٣]: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، وقوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٣] وفي كثير من الآيات: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾.

٣ـ تستعمل (ما) في المبهم أمره، كقولك، وقد رأيت شبحاً من بعيد: (انظر إلى ما أرى).

الإعراب: ﴿يُسَبِّحُ﴾: فعل مضارع. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. وقيل: اللام صلة، وعليه فلفظ الجلالة مجرور لفظاً، منصوب محلاً. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والإعراب مثله. ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾: هذه الأسماء كلها بدل من لفظ الجلالة، أو هي نعوت له. هذا؛ ويقرأ برفعها على القطع على تقدير مبتدأ محذوف للأول، أو تقدير مبتدآت للكل، ويجوز في العربية نصبها على القطع بتقدير فعل ينصبها، وهذا جائز في العربية، ويعبر عنه بقطع النعت عن المنعوت، أو بقطع التابع عن المتبوع إذا كان للمدح، أو للذم، أو للترحم والترفق. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَاقْطَعْ أَوَ اتْبِعْ إنْ يَكُنْ مُعَيَّنَا ... بِدُونِهَا أَوْ بَعْضِهَا اقْطَعْ مُعْلِنَا

وَارْفَعْ، أو انصِبْ إنْ قَطَعْتَ مُضْمِرَا ... مُبْتَدَأً أَوْ نَاصِباً لَنْ يَظْهَرَا

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾: هم العرب، كما قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾ رقم [٢٠] من سورة (آل عمران). ﴿رَسُولًا مِّنۡهُمۡ﴾: هو محمد ﷺ. ومعنى ﴿مِّنۡهُمۡ﴾: من أنفسهم، كقوله تعالى في آخر سورة (التوبة): ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾. هذا؛ والأمي: هو الذي لا يقرأ، ولا يكتب، نسبة إلى الأم، كأنه باق على حالته التي ولد عليها، وهذا الوصف من خصوصيات النبي ﷺ؛ إذ كثير من الأنبياء كان يقرأ، ويكتب. قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٥٧]: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ وصفه الله بذلك تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته، وهو وصف ذم إلا في حقه ﷺ، فهو وصف تعظيم، وتمجيد؛ ولذا قال تعالى ممتناً عليه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ﴾ رقم [٤٨] من سورة (العنكبوت)، وقد قال الله تعالى في حق سفلة اليهود: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ رقم [٧٨] من سورة (البقرة).

﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾: يقرأ عليهم آيات القرآن؛ التي أنزلها الله عليه. ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾: يطهرهم من الشرك، والمعاصي، وسوء الطباع، ومن خبائث العقائد، والأعمال. ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن، وما فيه من الشرائع، والأحكام، ومعالم الدين من المنقول، والمعقول، ولو لم يكن له سواه معجزة؛ لكفاه. ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: السنة، وما تكمل به نفوسهم من المعارف، والأحكام، والأخلاق. وقال أبو بكر بن دريد: كل كلمة وعظتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح؛ فهي حكمة. هذا؛ والحكمة: الإصابة في الرأي، والمعتقدات، والفقه في الدين، والعقل، والعمل. وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: والحكمة في عرف العلماء: استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها، وهي من منح الله لمن يشاء من عباده. قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٦٨]: ﴿يُؤۡتِى ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِىَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾، وقال تعالى في سورة (لقمان) رقم [١٢]: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾. والحكم بضم الحاء: الإصابة في الحكم، والرأي، فهو مثل: الحكمة. ﴿وَإِن كَانُواْ﴾ أي: كفار قريش، والعرب قاطبة. ﴿مِن قَبۡلُ﴾: من قبل مبعث محمد ﷺ. ﴿لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: في جهالة جهلاء، وضلالة عمياء، كما هو معروف لدى جميع الناس.

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: بعث الله محمداً ﷺ على حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، وقد اشتدت الحاجة إليه، فقد كان العرب متمسكين بدين إبراهيم الخليل، عليه السلام، فبدلوه، وغيروه، واستبدلوا بالتوحيد شركاً، وباليقين شكاً، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها

الله، وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم، وحرفوها، فبعث الله محمداً ﷺ بشرع عظيم، شامل كامل، فيه الهداية، والبيان لكل ما يحتاج إليه الناس من أمر معاشهم، ومعادهم، وجمع له تعالى جميع المحاسن، وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين، والآخرين. انتهى.

الإعراب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَعَثَ﴾: فعل ماض. ﴿فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿رَسُولًا﴾. ﴿يَتْلُوا۟﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿رَسُولًا﴾، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿رَسُولًا﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ءَايَـٰتِهِۦ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والهاء في محل جر بالإضافة. (يزكيهم): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وجملة: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿وَإِن﴾: (الواو): واو الحال. (إن): مخففة من الثقيلة مهملة لا عمل لها. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل (كانوا) وبني (قبل) على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنىً. ﴿لَفِى﴾: اللام: هي الفارقة بين النفي والإثبات وهي لازمة. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَخُفِّفَتْ إنَّ فَقَلَّ العَمَلُ ... وتَلْزَمُ اللامُ إذَا مَا تُهْمَلُ

(في ضلال): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانُوا۟﴾. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿ضَلَـٰلٍ﴾، وجملة: ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ في محل نصب حال من الضمير الواقع مفعولاً به، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ والآية مذكورة في سورة (آل عمران) برقم [١٦٤] مع اختلاف بسيط في أول كلماتها.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ③﴾

الشرح: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾: هم الذين جاؤوا بعد الصحابة إلى يوم الدين، فإن دعوة النبي ﷺ تعم الجميع السابقين، واللاحقين، فإن المسلمين كلهم أمة واحدة. وقيل: أراد بالآخرين: العجم. وهو قول ابن عمر، وسعيد بن جبير، ورواية عن مجاهد، يدل عليه ما روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ؛ إذ نزلت عليه سورة (الجمعة)، فتلاها، فلما بلغ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟! الذين لم يلحقوا بنا؟ فلم يكلمه؛ حتى سأله ثلاثاً ـ قال: وفينا سلمان الفارسي ـ فوضع رسول الله ﷺ يده على

سلمان، وقال: «**والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كان الإيمانُ بالثُّرَيَّا لناله رِجالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ**». أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي. ﴿لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ أي: لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون.

وقد روي: أن النبي ﷺ قال: «**رَأَيْتُنِي أَسْقِي غَنَماً سُوداً، ثُمَّ أَتْبَعْتُها غنماً عُفْراً، أَوِّلْهَا يا أَبَا بكرٍ!**». فقال: يا رسولَ الله! أما السودُ؛ فالعربُ، وأما العفرُ؛ فالعجمُ، تتبعُك بعد العرب. فقال النبي ﷺ: «**كذا أَوَّلَها المَلَكُ**». يعني: جبريل عليه السلام، رواه ابن أبي ليلى عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وهو علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ انتهى. قرطبي.

هذا؛ و(آخرين) مفرده: آخر بفتح الخاء، ومؤنثه: أخرى، وكلاهما بمعنى غير، وأخرى تجمع على: أخر، وأُخْرَيات، والآخَر بفتح الخاء يكون ما قبله، وما بعده من جنسه. هذا؛ والآخِر بكسر الخاء لا يكون بعده شيء غيره، ومؤنثه: أخر، وآخرة أيضاً، وجمع الأولى أخريات، وجمع الثانية أواخر. هذا؛ والأخرى دار البقاء، والنسبة إليها: أخروي، وكلا آخِر، وآخَر: ضد الأول، وانظر ما ذكرته في سورة (النجم) في الآية رقم [٤٧]. ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغالب القاهر؛ الذي قهر الجبابرة. ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: الذي يضع الأمور مواضعها، والذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته. وفي النسفي تبعاً للزمخشري: في تمكينه رجلاً أمياً من ذلك الأمر العظيم، وتأييده عليه، واختياره إياه من بين كافة البشر. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

الإعراب: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (آخرين): معطوف على ﴿ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾، فهو مجرور مثله، أو هو معطوف على الضمير المنصوب، فهو منصوب مثله، وعلامة الجر، أو النصب الياء نيابة عن الكسرة، أو الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم. ﴿مِنۡهُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (آخرين). وقيل: متعلقان بمحذوف حال من (آخرين)، ولا وجه له؛ لأنه نكرة. ﴿لَمَّا﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَلۡحَقُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمَّا﴾ وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المجرور بـ: (مِنْ)، أو في محل نصب صفة ثانية لـ: (آخرين)، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿بِهِمۡۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في محل نصب حال من فاعل الأفعال السابقة، والرابط: الواو، والضمير، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما أعطاه الله محمداً ﷺ من النبوة العامة، والكرامة التامة، وما خص الله به أمته من بعثه إليهم. ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾: جوده، وكرمه. ﴿يُؤۡتِيهِ﴾: يمنحه، ويعطيه من يشاء من عباده. ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي: صاحب الكرم، والجود يختص، ويعطيه من

يشاء من عباده، وانظر ما ذكرته في سورة (الحديد) رقم [٢١] تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وفي سورة (المائدة) رقم [٥٤]: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿فَضْلُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يُؤْتِيهِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، والهاء مفعول به أول. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف التقدير: يؤتيه الذي، أو شخصاً يشاء إيتاءه. والجملة الفعلية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والعامل اسم الإشارة لما فيه من معنى الفعل، والرابط: الضمير فقط. وانظر مجيء الحال من المضاف إليه في الآية رقم [١٠] من سورة (الممتحنة). وقيل: الجملة في محل خبر ثان لـ: ﴿ذَٰلِكَ﴾، والأول أقوى معنى. ﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف عطف. (الله): مبتدأ. ﴿ذُو﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، وهو مضاف، و﴿ٱلْفَضْلِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: صفة ﴿ٱلْفَضْلِ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾

الشرح: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ أي: كُلِّفوا علمها والعمل بما فيها، وهم اليهود، وليس هو من الحمل على الظهر، وإنما هو من الحمالة، والحميل هو الكفيل. ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يعملوا بما فيها، ولم يؤدوا حقها، فكأنهم لم يحملوها، ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾: جمع سفر، وهو الكتاب الكبير. قال مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يهجو قوماً من رواة الشعر: [الطويل]

زوامِلُ لِلأسْفَارِ لا عِلْمَ عندهمْ ... بِجَيِّدِها إلَّا كعِلْمِ الأباعِرِ

لَعَمْرُكَ ما يَدْرِي البعيرُ إذَا غَدَا ... بأوْسَاقِهِ أو راحَ مَا في الغرائِرِ؟!

وهو بفتح الهمزة كما ترى، وهو بكسر الهمزة: الإنارة، والإضاءة بالفجر، ومصدر الفعل: أسفر، يسفر إسفاراً بمعنى: أضاء إضاءة.

وقال الشاعر في حق الجهال؛ الذين يقرؤون الأحاديث، ولا يفهمون معناها: [البسيط]

إنَّ الرُّواةَ عَلى جَهْلٍ بما حَمَلُوا ... مِثْلُ الجمالِ عليها يُحْمَلُ الوَدَعُ

لا الـودْعُ يَـنْـفَـعُـهُ حَـمْـلُ الـجـمـالِ لـه ولا الـجـمـالُ بـحـمـلِ الـودْعِ تـنـتـفـعُ

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بئس مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ، والمراد من الآيات: آيات التوراة؛ لأنهم كذبوا بها حين تركوا الإيمان بمحمد ﷺ، وهي تصفه بصفاته الجسدية، والخلقية. قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٤٦]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾. أو المراد من الآيات: آيات القرآن، حيث لم يؤمنوا بها، ولم يستجيبوا لما تأمرهم به من اتباع محمد ﷺ، والاهتداء بهديه. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: لا يوفق للإيمان من سبق في علمه الأزلي: أنه يكون ظالماً كافراً. أو المراد: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، والخروج عن جادة الحق والصواب.

هذا؛ وفي الخازن: وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود؛ الذين أعرضوا عن العمل بالتوراة، والإيمان بمحمد ﷺ، شبهوا إذ لم ينتفعوا بها في الآية الكريمة التشبيه التمثيلي؛ لأن وجه الشبه منتزع من متعدد، كما ذكرت لك. كذلك علماء اليهود الذين يقرؤون التوراة، ولا ينتفعون بها؛ لأنهم خالفوا ما فيها. وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن، ولم يعمل بما فيه، وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه، ولا يكون له منها إلا التعب والعَناء. ولهذا قال ميمون بن مهران: يا أهل القرآن اتَّبِعُوا القرآن قبل أن يتبعكم، ثم تلا هذه الآية. انتهى. خازن. هذا؛ وخذ نبذة من أحاديث النبي ﷺ في هذا الصدد:

عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**يُجاءُ بالرجل يومَ القيامة، فيُلْقَى في النارِ، فتندلقُ أقتابُهُ، فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ برحاهُ، فتجتمع علَيْهِ أهلُ النَّارِ، فيقولون: يا فلانُ! ما شأنُكَ؟ أَلَسْتَ كُنْتَ تأمرُ بالمعروفِ، وتَنْهَى عَنْ المنكر؟ فيقولُ: كنْتُ آمرُكُمْ بالمعروف، ولا آتيه، وأنهاكم عن الشرِّ وآتيهِ**». قال: وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَرَرْتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي بأقوامٍ تُقْرض شفاهُهُمْ بمقاريضَ من نارٍ، قُلْتُ: مَنْ هؤلاءِ يا جبريلُ؟! قالَ: خطباءُ أمَّتِكَ الذين يقولونَ ما لا يفعلونَ**». رواه البخاري، ومسلم. وعن أبي برزة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الَّذي يُعَلِّمُ الناسَ الخيْرَ، وينسى نفْسَهُ مَثَلُ الفتيلةِ تُضيءُ للناسِ، وتحرقُ نَفْسَهَا**». رواه البزار.

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي لا أَتَخوَّفُ علَى أُمَّتِي مُؤمِناً، ولَا مشركاً، فأمَّا المؤمنُ؛ فيَحْجُزُهُ إيمانُهُ، وأما المشركُ؛ فيقمَعُهُ كفْرُهُ، ولكِنْ أتخوَّفُ عليكمْ منافِقاً عالِمَ اللسانِ، يقولُ ما تعرفون، ويعملُ ما تُنكِرونَ**». رواه الطبراني في الصغير، والأوسط.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ قال: «**الربانيةُ أسرعُ إلى فَسَقَة القراءِ مِنْهُمْ إلى عَبَدَةِ الأوْثانِ، فيقولون: يُبْدَأُ بِنَا قَبلَ عبدةِ الأوثانِ؟ فيُقالُ لهم: ليسَ مَنْ يعلمُ كَمَنْ لا يَعْلَمُ**». رواه الطبراني، وأبو نعيم. وحديث الثلاثة الذين هم أول خلق الله تسعر بهم النار يوم

القيامة مشهور مذكور في باب الرياء من كتاب: الترغيب والترهيب. ورحم الله الشيخ أحمد بن رسلان؛ إذ يقول في: «متن الزبد»: [الرجز]

وعَالِمٌ بِعِلْمِهِ لَمْ يَعْمَلَنْ مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الوَثَنْ

هذا؛ ومثل الله لعلماء اليهود، وأمثالهم من علماء المسلمين المنافقين؛ الذين ذكرت ما قال فيهم الرسول ﷺ بالحمار الذي هو أبلد الحيوان، وفي غاية البلادة، وهو معروف، يكون وحشياً، ويكون أهلياً، وأنثاه: أتان، ويقال: حمارة أيضاً، ويجمع على: حمير، وحُمر، وحمور، وحمرات، وكلها للكثرة، ويجمع جمع قلة على: أحمرة. قال الراعي النميري، أو القتال الكلابي، وهو الشاهد رقم [٣٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

هُنَّ الحَرَائِرُ لا رَبَّاتُ أَحْمِرَةٍ سُودُ المَحَاجِرِ لَا يَقْرأْنَ بِالسُّورِ

و(حمير) ذكر في سورة (النحل) رقم [٨]، وفي سورة (لقمان) رقم [١٩]، و﴿حُمُرٌ﴾ ورد في سورة (المدثر) رقم [٥٠]. والحمار الأهلي يوصف بالهداية إلى سلوك الطرقات؛ التي مشى فيها، ولو مرة واحدة، وبحدة السمع. وللناس في مدحه، وذمه أقوال متباينة بحسب الأغراض، وقد أطال الدميري الكلام فيه.

الإعراب: ﴿مَثَلُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿حُمِّلُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والألف للتفريق. ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَمۡ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَحۡمِلُوهَا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمۡ﴾ وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿كَمَثَلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و(مثل) مضاف، و﴿ٱلۡحِمَارِ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ في محل نصب حال من ﴿ٱلۡحِمَارِ﴾ على اعتبار (أل) للتعريف، والعامل فيه معنى الفعل، أو في محل جر صفة ﴿ٱلۡحِمَارِ﴾ على اعتبار (أل) للجنس. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (يس) رقم [٣٧]: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ حيث إن جملة: ﴿نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ تصلح أن تكون حالاً من ﴿ٱلَّيۡلُ﴾، وأن تكون نعتاً له. ومثل الآيتين قول رجل من بني سلول، وهو الشاهد رقم [١٥٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الكامل]

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ: لَا يَعْنِينِي

فجملة: «يسبني» تصلح أن تكون حالاً من «اللئيم»، وأن تكون نعتاً له. ﴿بِئۡسَ﴾: فعل ماض لإنشاء الذم. ﴿مَثَلُ﴾: فاعله، و﴿مَثَلُ﴾ مضاف، و﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ مضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم

موصول مبني على الفتح في محل جرٍّ صفة ﴿ٱلْقَوْمِ﴾، وجملة: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: مثل هؤلاء، أو هو مضاف محذوف، التقدير: بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا بآيات الله. انتهى. مغني اللبيب. وعليه فقد حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. هذا؛ وقال الزمخشري، وتبعه النسفي: التقدير: بئس مثلاً مثل القوم... إلخ على أن فاعل ﴿بِئْسَ﴾ ضمير فسره التمييز، و﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾ هو المخصوص بالذم، فرده ابن هشام بقوله: وقد نص سيبويه على أن تمييز فاعل «نعم، وبئس» لا يحذف، والصواب: أن ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾ فاعل، وحذف المخصوص؛ أي: مثل هؤلاء، أو مضاف: أي: مثل الذين كذبوا. انتهى.

﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية في محلِّ رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: صفة ﴿ٱلْقَوْمَ﴾.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا أمر خاطب الله به سيد الأولين، والآخرين محمداً ﷺ. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾: هم اليهود سمُّوا بذلك لما تابوا من عبادة العجل. من: هاد بمعنى: تاب، ورجع. ومنه قوله تعالى حكاية عن قولهم في سورة (الأعراف) رقم [١٥٦]: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾. أو سموا بذلك نسبة إلى (يهودا بن يعقوب) وهو أكبر أولاده. ﴿إِن زَعَمْتُمْ﴾: إن ادعيتم. ﴿أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾: كانوا يقولون كما حكى الله عنهم في سورة (المائدة) رقم [١٨]: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾. انظر شرحها هناك. ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾: ادعوا على أنفسكم بالموت. ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي: إن كان قولكم حقّاً، وكنتم على ثقة، فتمنوا على الله أن يميتكم، وينقلكم سريعاً إلى دار كرامته؛ التي أعدها لأوليائه، فإن الموت هو الذي يوصلكم إليها؛ لأن من أيقن: أنه من أهل الكرامة في دار النعيم، اشتاقها، وأحب التخلص إليها من الدار ذات الشوائب، كما قال الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ: لا أبالي أسقطْتُ على الموتِ، أمْ سقطَ الموتُ عليَّ؟! وقال عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ بصفين: الآن ألقى الأحبة محمداً، وحزبَهُ. وقال ذلك بلال ـ رضي الله عنه ـ عند احتضاره. وقال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ حين احتُضِر: [المتقارب]

وجَاءَ حَبِيبٌ على فاقَةٍ ... فَلَا أفلحَ اليومَ مَنْ قَدْ نَدِمْ

هذا؛ وقد قال تعالى مخاطباً اليهود اللؤماء الذين يتمنون الأماني الكاذبة: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ الآية رقم [٩٤] من سورة (البقرة).

هذا؛ وقال الشيخ مصطفى الغلاييني ـ رحمه الله تعالى ـ: الغالب في (زعم) أن تستعمل للظن الفاسد، وهو حكاية قول يكون مظنة للكذب، فيقال فيما يشك فيه، أو فيما يعتقد كذبه، ولذلك يقولون: زعموا: مطيَّةُ الكذب؛ أي: إن هذه الكلمة مركب للكذب، ومن عادة العرب: أنَّ من قال كلاماً؛ وكان عندهم كاذباً؛ قالوا: زعم فلان. ولهذا جاء في القرآن الكريم في كلِّ موضع ذُمَّ القائلون به. وقد يراد الزعم بمعنى القول مجرداً عن معنى الظن الراجح، أو الفاسد، أو المشكوك فيه، فإن كانت (زعم) بمعنى: تأمَّر، وترأس. أو بمعنى كفل به تعدت إلى واحد بحرف الجر، تقول: زعم على القوم، فهو زعيم؛ أي: تأمَّر عليهم، وترأسهم، وزعم بفلان، وبالمال؛ أي: كفله، وضمنه. وتقول: زعم اللبن؛ أي: أخذ يطيب، فهو لازم. انتهى. وقال الأشموني: وإن كانت بمعنى: سَمِن، أو هَزَل؛ فهي لازمة. انتهى.

أقول: ولا تنس الكفالة، والضمان من (زعم) قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ سورة (يوسف) رقم [٧٢]، وقوله جل ذكره في سورة (القلم): ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾. بعد هذا أقول: إن (زعم) من الأفعال التي تنصب مفعولين، أصلهما مبتدأ، وخبر إن كان من أفعال الرجحان، والأكثر أن يسد مسدهما: أنَّ واسمها، وخبرها مخففة من الثقيلة، أو غيرها، نحو قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ سورة (التغابن) رقم [٧]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾ إلخ سورة (النساء) رقم [٦٠]. انظر شواهد ذلك في كتابنا: «فتح رب البرية»، والقليل أن تنصب مفعولين صريحين. وهو ناقص التصرف، يأتي منه ماض، ومضارع، ولا يأتي منه أمر.

هذا؛ و(الولي لله): العارف بالله تعالى على حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المعرض عن الانهماك في اللذات، والشهوات. وفيه وجهان: أحدهما: أنه فعيل بمعنى: مفعول، كقتيل بمعنى: مقتول، وجريح بمعنى مجروح، فعلى هذا: هو من يتولى الله رعايته، وحفظه، فلا يكله إلى غيره، ونفسه لحظة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾. والوجه الثاني: أنه فعيل مبالغة من فاعل، كرحيم، وعليم، بمعنى: راحم، وعالم، فعلى هذا: هو مَنْ يتولى عبادة الله تعالى، من غير أن يتخللها عصيان، أو فتور. وكلا المعنيين شرط في الولاية، فمن شرط الولي أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً، فكل من كان للشرع عليه اعتراض؛ فليس بولي، بل هو مغرور مخادع. ذكره الإمام أبو القاسم القشيري، وغيره من أئمة الطريقة، رحمهم الله تعالى. انتهى. من شرح ألفاظ الزبد للشيخ أحمد بن

حجازي الفشني ـ رحمه الله تعالى ـ. هذا؛ وربنا يقول في الحديث القدسي: «**من عادى لي ولياً؛ فقد أذنته بالحرب**». هذا؛ ويكثر في القرآن الكريم لفظ (الولي) و(النصير) فالولي: هو من يتولى شؤون غيره، والنصير: المعين والمساعد، والفرق بينهما: أن الولي قد يضعف عن النصرة، والمعاونة، والنصير قد يكون أجنبياً من المنصور، فبينهما عموم، وخصوص من وجه.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿يَـٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (أيها): منادى نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه، ولا يجوز اعتبار الهاء ضميراً في محل جر بالإضافة؛ لأنه حينئذ يجب نصب المنادى. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدلاً من لفظ: (أيها). ﴿هَادُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿زَعَمْتُمْ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله. ﴿أَنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿أَوْلِيَآءُ﴾: خبر (أنَّ). ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بأولياء، أو بمحذوف صفة له. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَوْلِيَآءُ﴾، أو بمحذوف صفة له، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾: مضاف إليه، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعوليْ (زعم)، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَتَمَنَّوُاْ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (تمنوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْمَوْتَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَـٰدِقِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية لا محل لها... إلخ، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، فأنت ترى: أنه ذكر شرطان، وتوسط بينهما الجواب. قال الجلال: تعلق بتمنوا الشرطان على أن الأول قيد في الثاني. وهذا بخلاف ما إذا ذكر شرطان، وتقدم الجواب عليهما، أو تأخر عنهما، كما في الآية رقم [٥٠] من سورة (الأحزاب)، والآية رقم [٣٤] من سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، ونص الأولى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ونص الثانية: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ وقد أشار ابن الوردي ـ رحمه الله تعالى ـ في البهجة إلى ذلك بقوله: [الرجز]

وطالِقٌ إنْ كلمْتِ إنْ دخلتِ إنْ أوّلاً بَعْدَ أخيرٍ فَعَلْتِ

هذا؛ والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾

الشرح: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ﴾ أي: الموت. ﴿أَبَدًۢا﴾: الأبد: هو الزمان الطويل؛ الذي ليس له حد، فإذا قلت: لا أكلمك أبداً؛ فالأبد من وقت التكلم إلى آخر العمر. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما فعلوا من الكفر بمحمد ﷺ، وتحريف التوراة، وغير ذلك، وانظر شرح (اليد) في الآية رقم [٤٧] من سورة (الذاريات). ﴿عَلِيمٌۢ﴾: صيغة مبالغة. (الظالمين): الكافرين؛ حيث ظلموا أنفسهم بالكفر. وقال: ﴿بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولم يقل: بهم، إقامة للظاهر مقام المضمر، إشارة إلى أنهم غارقون بالظلم والفساد والطغيان، وفيه تهديد لهم ووعيد لا يخفيان. هذا؛ وبين قوله: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، و﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾ طباق السلب.

هذا؛ وقال القرطبي: فلو تمنوه؛ لماتوا، فكان في ذلك بطلان قولهم، وما ادعوْه من الولاية، وفي حديث: أن النبي ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: «**والذي نفس محمد بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا مات**». وفي هذا إخبار عن الغيب، ومعجزة للنبي ﷺ.

هذا؛ وقال الزمخشري: لا فارق بين (لا) و(لن) في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل، إلا أن في (لن) تأكيداً، وتشديداً ليس في (لا) فأتى مرة بلفظ التأكيد في: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ أي: في سورة (البقرة) رقم [٩٥]، ومرة بغير لفظه في: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ﴾ أي في هذه الآية. قال الشيخ: هذا رجوع منه عن مذهبه ـ وهو: أن (لن) تقتضي النفي على التأبيد ـ إلى مذهب الجماعة، وهو أنها لا تقتضيه، قلت: ليس فيه رجوع، غاية ما فيه: أنه سكت عنه، وتشريكه بين (لا، ولن) في نفي المستقبل، لا ينفي اختصاص «لن» بمعنى آخر. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، واعتبارها حالاً فيه ضعف ظاهر. ﴿أَبَدًۢا﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وقيل: متعلقان بما في معنى النفي؛ لأنها سبب لنفي التمني. والأول أولى، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، وأقواها أولها. ﴿قَدَّمَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء قدمته أيديهم، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، والمفعول محذوف، التقدير: بتقديم أيديهم الكفر، والمعاصي... إلخ. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: واو الحال، أو الاستئناف. (الله): مبتدأ. ﴿عَلِيمٌۢ﴾: خبره. ﴿بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌۢ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو فقط، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب لسيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ. ﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾: تهربون منه، ولا تجسرون أن تتمنَّوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه. ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾: واقع بكم لا محالة. قال تعالى في سورة (النساء) رقم [٧٨]: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ وقال زهير بن أبي سلمى في معلقته رقم [٥٠]. [الطويل]

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المنايَا يَنَلْنَهُ ... وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السماءِ بِسُلَّمِ

هذا؛ والموت: انتهاء الحياة بخمود حرارة البدن، وبطلان حركته، وموت القلب: قسوته، فلا يتأثر بالمواعظ، ولا ينتفع بالنصائح. هذا؛ وبالإضافة لما ذكرته في سورة (العنكبوت) رقم [٥٧] خذ قول طرفة بن العبد: [الرمل]

وكفَى بالموتِ فاعْلَمْ واعِظاً ... لِمَنِ الموتُ عَلَيْهِ قَدْ قُدِرْ

فَاذْكُرِ المَوْتَ وحَاذِرْ ذِكْرَهُ ... إنَّ في المَوْتِ لذي اللُّبِّ عِبَرْ

كُلُّ شَيْءٍ يلقَى يوماً حتْفَهُ ... في مقامٍ أو على ظَهْرِ سَفَرْ

والمنايَا حَوْلَهُ تَرْصُدُهُ ... لَيْسَ يُنْجِيهِ مِنَ الموتِ الحَذَرْ

وخذ ما يلي معتبراً، ومفكراً، وبالله التوفيق: [الطويل]

هوَ المَوْتُ فاحْذَرْ أَنْ يَجِيْئَكَ بَغْتَةً ... وأنْتَ عَلى سُوءٍ مِنَ الفِعْلِ عاكِفُ

وإيَاكَ أَنْ تُمْضِي مِنَ الدَّهرِ ساعَةً ... وَلَا لحظَةً إلَّا وقَلْبُكَ واجِفُ

وبادِرْ بأعمالٍ يَسُرَّكَ أَنْ تُرَى ... إذ نُشِرَتْ يومَ الحِسابِ الصَّحَائِفُ

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: انظر الآية رقم [٢٢] من سورة (الحشر). ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فيخبركم بالذي كنتم تعملونه من الكفر، والمعاصي وتحريف التوراة، وتغيير صفات الرسول ﷺ التي فيها، وخذ ما يلي، وهو قول أبي العتاهية الصوفي: [الوافر]

فلوْ أنا إذَا مِتْنَا تُرِكْنَا ... لَكَانَ الموتُ راحةَ كُلِّ حَي

ولَكِنَّا إذَا مِتْنَا بُعِثْنَا ... ونُسْأَلُ بعْدَ ذَا عَنْ كلِّ شَي

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمَوْتَ﴾: اسمها. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة ﴿ٱلْمَوْتَ﴾،

وجملة: ﴿تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ صلة الموصول، لا محل لها، والعائد الضمير المجرور بـ: (من). ﴿فَإِنَّهُۥ﴾: (الفاء): عبارة السمين: في الفاء وجهان: أحدهما: أنها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط، وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول في ذلك. والثاني: أنها مزيدة محضة، لا للتضمن المذكور. وانظر ما ذكرته في الآيات رقم [٢١] و[٩١] من سورة (آل عمران) فالبحث جيد جداً. وقرأ زيد بن علي: (إنه) بدون فاء، وفيها أيضاً أوجه: أحدها: أنه مستأنف، وحينئذ يكون الخبر نفس الموصول، كأنه قيل: إن الموت هو الشيء الذي تفرون منه. قاله الزمخشري. الثاني: أن الخبر الجملة من: (إنه ملاقيكم) وحينئذ يكون الموصول نعتاً للموت، الثالث: أن يكون (إنه) تأكيداً؛ لأن الموت لما طال الكلام؛ أكد الحرف توكيداً لفظياً، وقد عرفت: أنه لا يؤكد كذلك إلا بإعادة ما دخل عليه، أو بإعادة ضميره، فأكد بإعادة ضمير ما دخلت عليه (إن) وحينئذ يكون الموصول نعتاً للموت، و﴿مُلَٰقِيكُمْ﴾ خبره، كأنه قيل: إن الموت إنه ملاقيكم. انتهى. جمل، نقلاً عن السمين. والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء.

﴿تُرَدُّونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ﴾: معلقان بما قبلهما، و﴿عَٰلِمِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْغَيْبِ﴾ مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: (الفاء): حرف عطف. (ينبئكم): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، والكاف مفعول به أول. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل مفعوله الثاني، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، والجملة الفعلية بعده خبره، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: فينبئكم بالذي، أو بشيء كنتم تعملونه، والجملة الفعلية: (ينبئكم...) إلخ معطوفة على ما قبلها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: هذا نداء من الله تعالى للمؤمنين بأكرم وصف، وألطف عبارة؛ أي: يا مَنْ صدقتم بالله، ورسوله، وتحليتم بالإيمان؛ الذي هو زينة الإنسان. ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾: المراد بهذا النداء الأذان عند قعود الخطيب على المنبر؛ لأنه لم يكن في عهد رسول الله ﷺ نداء سواه، فكان به مؤذن واحد؛ إذا جلس على المنبر؛ أذن على باب المسجد،

فإذا نزل؛ أقام الصلاة، ثم كان أبو بكر، وعمر، وعلي بالكوفة على ذلك، حتى كان عثمان، وكثر الناس، وتباعدت المنازل؛ زاد أذاناً آخر، فأمر بالتأذين أولاً على داره؛ التي تسمى: الزوراء، فإذا سمعوا؛ أقبلوا حتى إذا جلس على المنبر؛ أذن المؤذن ثانياً، ولم يخالفه أحد في ذلك الوقت، لقوله ﷺ: «**عليكُمْ بسُنَّتي، وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ مِنْ بعدِي**». انتهى. جمل نقلاً عن الخطيب.

هذا؛ وقال الزمخشري: وعن عثمان ـ رضي الله عنه ـ: أنه صعد المنبر، فقال: الحمد لله. وأُرْتج عليه، فقال: إن أبا بكر، وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً، وإنكم إلى إمام فعَّال أحوج منكم إلى إمام قوَّال، وستأتيكم الخطب، ثم نزل، وكان ذلك بحضرة الصحابة، ولم ينكر عليه أحد. قال أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: إن اقتصر الخطيب على مقدارٍ يسمى: ذكر الله، كقوله: الحمد لله، سبحان الله؛ جاز.

قال أحمد محشي الكشاف: الزمخشري ساهٍ بلا اشتباهٍ، فإن عثمان لم يصدر ذلك منه في خطبة الجمعة، وإنما كان ذلك في ابتداء خلافته، وصعوده المنبر للبيعة، وكانت عادة العرب الخطب في المهمات، ألا ترى إلى قوله: وستأتيكم بعد ذلك الخطب، فإن ذلك يحقق: أن مقالته هذه ليست بخطبة الجمعة، ولو كانت في الجمعة؛ لكان تاركاً للخطبة بالكلية، وهي منقولة في التاريخ: أنه أُرْتِجَ عليه، فقال: سيجعل الله بعد عسر يسراً، وبعد عيٍّ بياناً، وإنكم إلى إمام فعَّال أحوج منكم إلى إمام قوَّال، وستأتيكم الخطب. انتهى.

﴿مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ أي: في يوم الجمعة. قيل: أول من سماها جمعة: كعب بن لؤي الجد الثامن للنبي ﷺ، ولعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وكان يقال لها: العروبة. وقيل: إن الأنصار قالوا: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك، فهلموا نجعل لنا يوماً نجتمع فيه، فنذكر الله فيه، ونصلي، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة، فصلى بهم يومئذ ركعتين، وذكرهم، فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه، فأنزل الله آية الجمعة، فهي أول جمعة كانت في الإسلام. وأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ، فهي أنه لما قدم المدينة مهاجراً؛ نزل قباء على بني عمرو بن عوف، وأقام بها يوم الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وأسس مسجدهم، ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وَادٍ لهمْ، فخطب، وصلى الجمعة. ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: فامضُوا إليه، واعملوا له. وليس المراد من السعي: الإسراع في المشي، وإنما المراد منه: العمل. وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقرأ: (فامضوا إلى ذكر الله). وقال الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نهوا أن يأتوا إلى الصلاة إلا وعليهم السكينة، والوقار، ولكن بالقلوب، والنية، والخشوع.

وعن قتادة في هذه الآية، قال: السعي: أن تسعى بقلبك، وعملك، وهو المشي إليها، وكان يتأول قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ بقوله: فلما مشى معه، وقال تعالى في سورة (النجم): ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ وقال زهير في معلقته رقم [١٦]: [الطويل]

سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ العَشِيرَةِ بِالدَّمِ

والمعنى: فاعملوا على المضي إلى ذكر الله، واشتغلوا بأسبابه من الغسل، والتطهر، والتوجه إليه. هذا؛ والمراد بذكر الله الخطبة، أو الصلاة. قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: كيف يفسر ذكر الله بالخطبة، وفيها ذكر غير الله؟! قلت: ما كان من ذكر رسول الله ﷺ، والثناء عليه، وعلى خلفائه الراشدين، وأتقياء المؤمنين، والموعظة، والتذكير، فهو في حكم ذكر الله، وأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة، وألقابهم، والثناء عليهم، والدعاء لهم، وهم أحقاء بعكس ذلك؛ فمن ذكر الشيطان، وهو من ذكر الله على مراحل. انتهى. وهو حسن وجيد. هذا؛ ورد أحمد بن المنير الإسكندري كلام الزمخشري بما لا طائل له، ولا وجه له قطعاً، فيبقى الحق حليف الزمخشري، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ أي: اتركوا البيع، والشراء؛ لأن البيع اسم يتناولهما جميعاً، وهو من لوازمه، وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني. وقال الزهري: عند خروج الإمام. وقال الضحاك: إذا زالت الشمس؛ حرم البيع والشراء. هذا؛ وقد اكتفى بذكر البيع عن ذكر الشراء؛ لأن البيع لا يخلو عن شراء، كما اكتفى بذكر الحَرِّ عن ذكر البرد في قوله تعالى في سورة (النحل) رقم [٨١]: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾.

قال الزمخشري: وإنما خص البيع بالذكر؛ لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم، وبواديهم، وينصبُّون إلى المصر من كل أوْب، ووقت هبوطهم واجتماعهم، واغتصاص الأسواق بهم؛ إذا انتفخ النهار، وتعالى الضحى، ودنا وقت الظهيرة، وحينئذ تحرُّ التجارة، ويتكاثر البيع، والشراء، فلما كان ذلك الوقت مظِنَّة الذهول بالبيع عن ذكر الله، والمضي إلى المسجد، قيل لهم: بادروا تجارة الآخرة، واتركوا تجارة الدنيا. ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: السعي إلى ذكر الله خير لكم من البيع والشراء، فإن نفع الآخرة خير، وأبقى، وأنفع، وأجدى من نفع الدنيا. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: الشر، والخير الحقيقيين، أو إن كنتم من أهل العلم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: انظر الآية رقم [٦] فالإعراب لا يتغير. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿نُودِىَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لِلصَّلَوٰةِ﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل ﴿نُودِىَ﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على المشهور المرجوح. ﴿مِن يَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل ﴿نُودِىَ﴾ وهذا على اعتبار ﴿مِن﴾ بمعنى في. وقال

الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي: و﴿مِن﴾ بيان لـ: ﴿إِذَا نُودِيَ﴾ وتفسير له، و﴿يَوْمِ﴾ مضاف، و﴿ٱلْجُمُعَةِ﴾ مضاف إليه. ﴿فَٱسْعَوْا۟﴾: (الفاء): واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (اسعوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مبتدأ لا محل له مثل الجملة الندائية قبله، وجملة (ذروا البيع) معطوفة على جملة ﴿إِذَا﴾ لا محل لها مثله.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾، وإعراب: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مثل إعراب: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ بلا فارق بينهما مع ملاحظة: أن خبر الأولى جملة فعلية، وخبر (كان) الثانية اسم مفرد، وهو ﴿صَٰدِقِينَ﴾، وجواب الشرط محذوف، دل عليه ما قبله.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: إذا فرغ من صلاة الجمعة، فانتشروا في الأرض للتجارة، والتصرف في حوائجكم، والأمر للإباحة، مثل قوله تعالى في سورة (المائدة) رقم [٢]: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن شئت؛ فاخرج، وإن شئت؛ فاقعد، وإن شئت؛ فصلِّ إلى العصر. وقيل: قوله تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ليس لطلب الدنيا، ولكن لعيادة مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله. وقيل: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ هو طلب العلم، وكان عراك بن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ إذا صلى الجمعة؛ انصرف، فوقف على باب المسجد، وقال: اللهم إني أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: إذا فرغتم من الصلاة، ورجعتم إلى التجارة، والبيع، والشراء؛ فاذكروا الله كثيراً. قيل: باللسان. وقيل: بالطاعة. وقيل: بالشكر على ما أنعم الله به عليكم من التوفيق لأداء الفرائض. ولا يكون الإنسان من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكره قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً، كما قال تعالى في سورة (النساء) رقم [١٠٣]: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾، وقال تعالى في وصف أولي الألباب في سورة (آل عمران) رقم [١٩١]: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ومن هذه الآيات يستفاد أن كل عبادة لها أول، ولها آخر إلا الذكر، فإنه لا يقف عند حد، كما قال تعالى في سورة (الأحزاب) رقم [٣٥]: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ وقد جعل الله تعالى ذلك دون حدٍّ لسهولته على العبد.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه، إلا مغلوباً على عقله، وأمرهم به في الأحوال كلها، وأورد الآيات التي ذكرتها، وقال: يعني: اذكروا الله في الليل، والنهار، في البر، والبحر، في الصحة، والمرض، في السر، والعلانية. وقيل: الذكر الكثير هو أن لا ينساه أبداً. وخذ ما يلي:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه؛ ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ؛ ذكرته في ملأ خيرٍ منهم، وإن تقرب إليَّ شبراً؛ تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً؛ تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي؛ أتيته هرولة**» رواه البخاري، ومسلم وغيرهما.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عَجز منكمْ عَنِ الليْلِ أَنْ يُكابِدَهُ، وبخلَ بالمالِ أنْ ينفقَهُ، وجبُنَ عنِ العدُوِّ أن يجاهِدَهُ؛ فلْيكثِرْ ذكرَ الله**». الطبراني. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذَا مَرَرْتُم بِرِياضِ الجنَّةِ؛ فارْتَعُوا! قُلْتُ: يا رسولَ الله! وما رِيَاضُ الجنة؟**». قال: «**المساجدُ**». قلتُ: وما الرَّتْعُ؟ قال: «**سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا الله، والله أكبر**». رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ قال: «**ما جَلَس قوم مجلساً لمْ يذكروا الله فيه، ولَمْ يُصَلُّوا على نَبِيِّهِمْ إلا كان عَلَيْهِمْ تِرَةٌ، فإن شاءَ؛ عَذَّبهمْ، وإنْ شاءَ؛ غفرَ لهُمْ**». رواه أبو داود والترمذي. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما مِنْ ساعَةٍ تمرُّ بابْنِ آدَمَ لَمْ يذكرِ الله فيها بخيرٍ؛ إلا تحَسَّرَ عليهَا يوْمَ القيامَةِ**». رواه البيهقي وابن أبي الدنيا. وعن عبد الله بن مغفل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ قَوْمٍ اجتَمَعُوا في مَجْلِسٍ، فَتَفَرَّقُوا، ولَمْ يَذْكُرُوا الله إلا كانَ ذلِكَ المجلسُ حسرَةً عليهِمْ يومَ القيامَةِ**». رواه الطبراني، والبيهقي. وإن أردت المزيد من ذلك فانظر سورة (الأحزاب) رقم [٣٥] و[٤٢].

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: (الفاء): حرف استئناف. (إذا): انظر الآية السابقة. ﴿قُضِيَتِ﴾: فعل ماض، مبني للمجهول، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿ٱلصَّلَوٰةُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها... إلخ. ﴿فَٱنتَشِرُوا۟﴾: (الفاء): واقعة في جواب (إذا). (انتشروا): فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، ويقال: لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق. هذا هو المشهور، والمتعارف عليه. والأصل أن يقال في مثل هذا الفعل: فعل أمر مبني على سكون مقدر على آخره، منع من ظهوره إرادة التخلص من التقاء الساكنين، وحرك بالضمة لمناسبة واو الجماعة، وما أجدرك أن تلاحظ هذا في كل فعل أمر، مسند إلى واو الجماعة، أو إلى ألف الاثنين، مثل: انتشرا، وقد حرك بالفتحة

لمناسبة ألف الاثنين، أو إلى ياء المخاطبة، مثل: اجلسي، وقد حرك بالكسرة لمناسبة ياء المخاطبة. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية جواب (إذا)، لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له، وجملة: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ معطوفة على جواب (إذا) لا محل لها أيضاً، وأيضاً جملة: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ معطوفة أيضاً. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: اذكروا الله ذكراً كثيراً، بدليل التصريح بهذا المحذوف في سورة (الأحزاب) رقم [٤١] ويقال: نائب مفعول مطلق؛ أي: نائب الصفة عن المفعول المطلق. ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه، وجملة: ﴿تُفْلِحُونَ﴾ في محل رفع خبر (لعلَّ)، والجملة الاسمية فيها معنى التعليل للأمر، لا محل لها.

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ؛ إذا أقبلت عير تحمل طعاماً، فانفتلوا إليها؛ حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية. حديث متفق عليه. وقال مقاتل بن حيان ـ رحمه الله تعالى ـ: بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة؛ إذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بتجارة، وكان إذا قدم لم تبق عاتق بالمدينة إلا أتته، وكان يقدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق، وبر، وزيت، وغيره، وكان ينزل عند أحجار الزيت، وهو مكان في سوق المدينة، ثم يضرب بالطبل، ليؤذن الناس بقدومه، فيخرج إليه الناس ليبتاعوا منه، فقدم ذات جمعة، وذلك قبل أن يسلم، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب، فخرج إليه الناس، ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً، وامرأة، فقال النبي ﷺ: كم بقي في المسجد، فقالوا: اثنا عشر رجلاً، وامرأة، فقال: «**لولا هؤلاءِ؛ لَسُوِّمَتْ لَهُمُ الحجارَةُ مِنَ السماءِ**». وفي روايةٍ قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيدِهِ لو خرَجُوا جميعاً؛ لأضرمَ الله عليهِمُ الوادي ناراً**». انتهى. خازن، وقرطبي.

هذا؛ وروي في حديث مرسل أسماء الاثني عشر رجلاً، رواه أسد بن عمرو، والد أسد بن موسى بن أسد، وفيه: لم يبق مع النبي ﷺ إلا أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد، وهؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة، وبلال، وعبد الله بن مسعود في إحدى الروايتين، وفي الرواية الأخرى: عمار بن ياسر ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. انتهى. قرطبي بتصرف.
وينبغي أن تعلم أن خطبة الجمعة كانت بعد الصلاة كما في العيدين، فجعلها الرسول ﷺ بعد ذلك قبل الصلاة، وكان الوقت وقت جوع، وغلاء شديد.

هذا؛ واللهو: الاستمتاع بلذات الدنيا. وقيل: هو الاشتغال بما لا يعني الإنسان، وما لا يهمه. وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كُلُّ ما يلهو به الرجلُ باطلٌ إلا رميهُ بقوسِهِ، ومداعَبَتهُ زوجتَهُ، وتَرْويضهُ فرسَهُ**». أي فإن ذلك من الحق المباح، بل فيه ثواب، وأجر.

تنبيه: في الآية الكريمة التفنن بتقديم الأهم في الذكر، أولاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾؛ لأن المقصود الأساسي هو التجارة، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ﴾ فقدم اللهو على التجارة؛ لأن الخسارة بما لا نفع فيه أعظم، فقدم ما هو أهم في الموضعين. انتهى. صفوة التفاسير للصابوني. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧١] من سورة (غافر) ففيها بحث قيم. هذا؛ ورد الضمير إلى التجارة؛ لأنها أهم. وقيل: المعنى وإذا رأوا تجارةً؛ انفضوا إليها، أو لهواً؛ انفضوا إليه، فحذف لدلالة الأول عليه، كقول قيس بن الخطيم الأوسي، وهذا هو الشاهد رقم [١٠٥٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [المنسرح]

نَحْنُ بِما عِنْدَنَا وأنْتَ بِما عِنْدَكَ رَاضٍ، والرأيُ مُخْتَلِفُ

وفي هذا البيت حذف خبر المبتدأ الأول لدلالة الثاني عليه؛ إذ الأصل: (نحن بما عندنا راضون) وهو قليل، والأكثر أن يحذف خبر الثاني لدلالة الأول عليه، كقول ضابئ بن الحارث البرجمي، وهذا هو الشاهد رقم [٨٥٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». [الطويل]

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بالمدِينَةِ رَحْلُهُ فَإنّي وقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ

وانظر قوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٦٢]: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾، وقوله تعالى في سورة (المائدة) رقم [١٦]: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾.

هذا؛ وقد اختلف في العدد الذي تنعقد به الجمعة على أقوال: فعند الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: كل قرية فيها أربعون رجلاً، بالغين عقلاء، أحراراً مقيمين، لا يظعنون عنها صيفاً، ولا شتاءً، إلا ظعن حاجة، وأن يكونوا حاضرين من أول الخطبة إلى أن تقام الجمعة؛ وجبت عليهم الجمعة، ويشترط ألَّا تتعدد في البلدة إلا لحاجة، وهي عدم وجود مسجد يسع الجميع، فإن تعددت لغير ما حاجة أعادها الجميع ظهراً؛ أي: يعيدون الصلاة أربع ركعات بنية الظهر. ومال أحمد، وإسحاق ـ رحمهما الله تعالى ـ إلى هذا القول، ولم يشترطا هذه الشروط.

وقال مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا كانت قرية، اجتمع فيها ثلاثون بيتاً؛ فعليهم الجمعة. وقال أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: لا تجب الجمعة على أهل السواد، والقرى، لا يجوز لهم إقامتها فيها، واشترط في وجوب الجمعة، وانعقادها المصر الجامع، والسلطان القاهر، والسوق القائمة، والنهر الجاري، واحتج بحديث علي ـ رضي الله عنه ـ: لا جمعة، ولا تشريق إلا في مصر جامع، ورفقة تعينهم. وهذا يرده حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: إن أول جمعة

جُمِّعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ بقرية من قرى البحرين، يقال لها: جُواثى (ككسالى) وحجة الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في الأربعين: حديث جابر المذكور؛ الذي خرجه الدارقطني.

وفي سنن ابن ماجه، والدارقطني أيضاً، ودلائل النبوة للبيهقي: عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك ـ رضي الله عنهما ـ. قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره، فإذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان، صلى على أبي إمامة، واستغفر له. قال: فمكث كذلك حيناً لا يسمع الأذان بالجمعة؛ إلا فعل ذلك، فقلت له: يا أبتِ استغفارك لأبي أمامة كلما سمعت أذان الجمعة، ما هو؟! قال: أي بني! هو أول من جَمَّع بالمدينة في هَزْمٍ من حرَّة بني بياضة، يقال له: نقيع الخَضِمات. قال قلت: كم أنتم يومئذ؟ قال أربعون رجلاً. وأبو أمامة هو أسعد بن زرارة ـ رضي الله عنه ـ. وقال جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: مضت السنة: أنَّ في كل ثلاثة إماماً، وفي كل أربعين فما فوق ذلك جمعة، وأضحى، وفطراً، وذلك: أنهم جماعة. خرجه الدارقطني. انتهى. قرطبي.

هذا؛ والخطبتان تقومان مقام الركعتين، وقد رأيت فيما سبق: أن أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ يعتبر كل جملة تفيد ذكراً خطبة، تحميداً، أو تسبيحاً لله، وأما الشافعي فالخطبتان عنده لهما شروط، وأركان، فالشروط هي التي تشترط لإقامة الجمعة، وهو ما تقدم ذكره، وأما أركان الخطبتين فهي خمسة: حمد الله تعالى، والصلاة على رسول الله ﷺ، والوصية بالتقوى، وتجب هذه الثلاثة في الخطبتين، الرابع قراءة آية مفهمة في إحداهما، الخامس الدعاء للمؤمنين في الثانية، وشروطهما زيادة على ما تقدم ذكره: القيام لمن قدر عليه، وكونهما بالعربية، وبعد الزوال، والجلوس بينهما بالطمأنينة، وإسماع العدد الذي تنعقد به الجمعة، والموالاة بينهما وبين الصلاة أيضاً، وطهارة الحدثين، وطهارة النجاسة، والسِّتر.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): انظر الآية رقم [٩]. ﴿رَأَوۡاْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿تِجَٰرَةً﴾: مفعول به. هذا؛ واعتبر الجمل الفعل بمعنى: علموا، وقدر له مفعولاً ثانياً؛ أي: قدمت، وحصلت، وأرى: أنه لا مبرر له، فالجملة الفعلية التي قدرها فيها معنى الصفة لتجارة. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف. ﴿لَهۡوًا﴾: معطوف على ﴿تِجَٰرَةً﴾. ﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها جواب (إذا)، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، لا محل له مثله. ﴿إِلَيۡهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ﴾: ماض، وفاعله، ومفعولاه، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (إذا). وقال الجمل: الجملة في محل نصب حال من فاعل: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾ و«قد» مقدرة عند بعضهم.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿مِّنَ اللَّهْوِ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَاللَّهُ﴾: (الواو): واو الحال. (الله): مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿الرَّازِقِينَ﴾ مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، وإعادة لفظ الجلالة. وانظر مجيء الحال من المضاف إليه في الآية رقم [١٠] من سورة (الممتحنة). تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

خاتمة: بالإضافة لما ذكرته في أول السورة، وفي الآية رقم [٩] أزيدك ما يلي نقلاً من كتب الفقه، وغيرها: قال المرحوم الشيخ إبراهيم البيجوري ـ رحمه الله تعالى ـ: والجمعة بضم الميم، وإسكانها، وفتحها، وحكي كسرها، وجمعها: جمعات بضم الميم إن كان المفرد بضمها، وبإسكانها إن كان المفرد بإسكانها، وبفتحها إن كان المفرد بفتحها، وبكسرها إن كان المفرد بكسرها، فالجمع تابع للمفرد في لغاته المذكورة، ويزيد المفرد الساكن الميم بجمعه على جُمَع، وهذه اللغات في اسم اليوم، وأما اسم الأسبوع؛ فهو بالسكون لا غير.

وإنما سمي اليوم بذلك لما جمع فيه من الخير. وقيل: لأنه جمع فيه خلق آدم، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وقيل: لاجتماعه فيه مع حواء في الأرض بسرنديب على الراجح بعد أربعين يوماً. وقيل غير ذلك، وكان يسمى في الجاهلية يوم العروبة؛ أي: البين العظيم، ولذلك قال بعضهم: [البسيط]

نَفسِي الفداء لأقوامٍ همُو خَلَطُوا ... يَوْمَ العروبةِ، أوراداً بأوْرَادِ

وأول من سماه الجمعة كعب بن لؤي، وهو أول من جمع الناس، وخطبهم، وبشرهم بمبعث النبي ﷺ، وأمرهم باتباعه ويُعْلِمهم بأنه مِنْ ولده، ويقول: سيأتي لحرمكم نبأ عظيم، وسيخرج منه نبيٌّ كريم، وينشد أبياتاً آخرها: [الطويل]

عَلَى غَفْلَةٍ يأتِي النبيُّ محمدٌ ... فيخبرُ أخباراً صَدُوقٌ خبيرُها

وينشد أيضاً ـ وكلاهما من السيرة الحلبية ـ: [البسيط]

يا لَيْتَنِي شَاهِدٌ فحْواءَ دَعْوَتِهِ ... حِينَ العشيرَةَ تَبْغِي الحَقَّ خِذْلَانَا

ويسمى أيضاً يوم المزيد؛ لزيادة الخيرات فيه، وهو أفضل أيام الأسبوع، يعتق الله فيه ستمئة ألف عتيق من النار. (ضعيف) ومن مات فيه كتب له أجر شهيد. (ضعيف) ووُقِيَ فتنة القبر، وكذلك ليلته، فهي أفضل ليالي الأسبوع، وأما أفضل الأيام على الإطلاق؛ فيوم عرفة؛ إن وافق

يوم الجمعة. وأفضل الليالي على الإطلاق ليلة المولد الشريف لما ترتب على ظهوره ﷺ فيها من النفع العميم، وعند الإمام أحمد: أن يوم الجمعة أفضل الأيام مطلقاً حتى من يوم عرفة، وأن ليلته أفضل الليالي مطلقاً؛ حتى من ليلة القدر.

والحاصل: أن أفضل الأيام عندنا يوم عرفة، ثم يوم الجمعة، ثم يوم عيد الأضحى، ثم يوم عيد الفطر، وأن أفضل الليالي عندنا ليلة المولد الشريف، ثم ليلة القدر، ثم ليلة الجمعة، ثم ليلة الإسراء، وهذا بالنسبة لنا، وأما بالنسبة له ﷺ فليلة الإسراء أفضل الليالي؛ لأنه رأى ربه فيها بعينيْ رأسِهِ على الصحيح، والليل أفضل من النهار. انتهى. بيجوري.

هذا؛ وجاء في حاشية الجمل على الجلالين ما يلي: قال الشيخ الرحماني في حاشيته على التحرير: والحاصل: أن أفضل الليالي ليلة المولد، ثم ليلة القدر، ثم ليلة الإسراء، فعرفة، فالجمعة، فنصف شعبان، فالعيد. وأفضل الأيام يوم عرفة، ثم يوم نصف شعبان، ثم الجمعة، والليل أفضل مِنَ النهار. انتهى.

أقول: ما ذكروه من تفضيل ليلة المولد لم يرد نص صريح فيه، وأقوى نص ورد إنما هو في ليلة القدر، وهو نص القرآن، كما هو معروف؛ حيث وصفها الله في أول سورة (الدخان) بالبركة، وبأنها يفرق فيها كل أمر حكيم، وأنزل الله تبارك وتعالى سورة كاملة تبين فضلها، وشرفها، والنبي ﷺ نوه بشأنها في الأحاديث الصحيحة كثيراً، ولم يرد بشأن ليلة المولد الشريف حديث صحيح ينوه بشأنها، أو يحث على نوع من أنواع العبادات، والطاعات فيها، وما ذكره البيجوري وغيره من تفضيلها على ليلة القدر وغيرها، لم يكن غير اجتهاد منه، فكيف نأخذ باجتهاده، ونترك النصوص الصحيحة الصريحة، والرسول ﷺ بين لنا الليالي الفاضلة، والأيام الشريفة، وحثنا على فعل الخير قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى. جزاه الله عنا خير الجزاء!.

وقال محمد علوي المالكي المكي الحسني: بعد كلام طويل: والحاصل: أننا نعتقد: أن هذه المفاضلة هي بين ليلة المولد الحقيقي، وبين ليلة القدر، وأن الليلة التي وقع فيها المولد النبوي، والتي جرى فيها بحث المفاضلة، والمقارنة قد مضت، وانتهت، ولا وجود لها اليوم، أما ليلة القدر، فهي موجودة، ومتكررة في كل عام، ولذلك فهي أفضل الليالي، لقول تعالى في سورة (القدر): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

ثم نقل كلام ابن تيمية وابن القيم بشأن المفاضلة بين ليلة القدر، وليلة الإسراء، وهو:

أما القائل بأن ليلة الإسراء أفضل من ليلة القدر، فإن أراد به أن تكون الليلة التي أسري فيها بالنبي ﷺ، ونظائرها من كل عام أفضل لأمة محمد ﷺ من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أفضل منه في ليلة القدر؛ فهذا باطل، لم يقله أحد من المسلمين، وهو معلوم الفساد بالاطراد من دين الإسلام، وإن أراد الليلة المعينة التي أسري فيها بالنبي ﷺ، وحصل له

فيها ما لم يحصل له في غيرها من غير أن يشرع تخصيصها بقيام، ولا عبادة؛ فهذا صحيح. انتهى. «مفاهيم يجب أن تصحح» بتصرف. ثم وردت الأحاديث في ليلة الجمعة، ثم في ليلتي العيدين، ثم في ليلة عرفة، ثم في ليلة الإسراء، وأضعفها ما ورد في ليلة النصف من شعبان. ولا تنس ما ورد إجمالاً في ليالي شهر رمضان المبارك، والحث على زيادة العبادة في أيامه، ولياليه، وكل ذلك معروف لدى من عنده إلمام بشريعة محمد ﷺ. وخذ ما يلي:

عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يومَ الجمعةِ، ويَتَطَهَّرُ ما استطاعَ مِنْ الطُّهُورِ، ويَدَّهِنُ مِنْ دُهنِهِ، ويَمَسُّ من طيبِ بيتِهِ، ثم يَخْرُجُ، فَلَمْ يُفَرِّق بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثم يُصَلِّي ما كُتِبَ لهُ، ثم يُنْصِتُ إذا تكلَّمَ الإمامُ؛ إلا غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وبَيْنَ الجمعةِ الأُخْرَى**». رواه البخاري. وعن أوس بن أوس الثقفي؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ غَسَّلَ يوم الجمعة، واغتسَلَ، وبكَّرَ، وابتكَرَ، ومشَى، ولَمْ يَرْكَبْ، ودَنَا مِنَ الإمامِ، ولَمْ يَلْغُ، واستمعَ، كانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ أجْرُ عملِ سنةٍ، صيامِها، وقيامِها**». أخرجه أبو داود، والنسائي.

وفي مراسيل أبي داود عن الزهري؛ قال: كان صدر خطبة النبي ﷺ: الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى.

نسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله، ويتبع رضوانه، ويجتنب سخطه، فإنما نحن به وله.

انتهت سورة (الجمعة) شرحاً وإعراباً بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين

 

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة (المنافقون) مدنية في قول الجميع، وهي إحدى عشرة آيةً، ومئة وثمانون كلمةً، وتسعمئة وستة وسبعون حرفاً. انتهى. خازن.

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾

الشرح: قال ابن إسحاق وغيره من أصحاب السير: إن رسول الله ﷺ لما غزا بني المصطلق، وازدحم الناس على الماء؛ اقتتل رجلان: أحدهما: جهجاه بن أسيد من المهاجرين، وكان أجيراً لعمر ـ رضي الله عنه ـ. والثاني من الأنصار، اسمه: سنان الجهني، وكان حليفاً لعبد الله بن أُبَيٍّ رأس المنافقين، فلما اقتتلا؛ صاح جهجاه: يا للمهاجرين، وصاح سنان: يا للأنصار! فقام رجل من فقراء المهاجرين، ولطم سناناً، فقال عبد الله بن أبي ـ أخزاه الله ـ: ما صحبنا محمداً إلا لِتُلطم وجوهنا! والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل! ثم قال لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم؟! قد أنزلتموهم بلادكم، وقاسمتموهم في أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام؛ لتحولوا من عندكم، فلا تنفقوا عليهم؛ حتى ينفضوا من حول محمد!.

فسمع ذلك زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ فبلغه لرسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ لعبد الله: «**أنت صاحب الكلام الذي بلغني عنك؟**». فحلف: أنه ما قال شيئاً، وأنكر. فهو قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾. انتهى. جمل. وهو في الترمذي.

وروى البخاري عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت مع عمي، فسمعت عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول يقول: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ. وقال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ...﴾ إلخ فذكرت ذلك لعمي، فذكره عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبَيٍّ، وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ وكذَّبني، فأصابني هم لم يصبني مثله، فجلست في بيتي، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا

﴿نُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ قوله: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ﴾ فأرسل إليَّ رسول الله ﷺ، ثم قال: «**إن الله قد صدقك**». خرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. انتهى. قرطبي.

أقول: ما أشبه هذه الحادثة بما ذكرته في سورة (التوبة) رقم [٧٤] وهي قوله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾. هذا؛ وروي: أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال للنبي ﷺ: دعني أضربْ عنق هذا المنافق يا رسول الله! فقال: «**إذاً ترعدُ أنفٌ كثيرة بيثرب**». قال: فإن كرهت أن يقتله مهاجر فاؤمرْ به أنصارياً يقتلْهُ. قال: «**فكيف إذا تحدث الناس: أن محمداً يقتل أصحابه؟**».

وقال محمد بن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبَيٍّ فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً؛ فمرْني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَيٍّ يمشي في الناس، فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «**بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا**».

وفي رواية للترمذي، ومثله في سيرة ابن إسحاق: وكان عبد الله بن أُبَيٍّ يقرب من المدينة، فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله؛ حتى أناخ راحلته على مجامع طرق المدينة، فلما جاء عبد الله بن أُبَيٍّ. قال له ابنه: وراءك. قال: ويلك! مالك؟ قال: والله لا تدخلها أبداً إلا أن يأذن رسول الله ﷺ، ولتعلمنَّ اليوم من الأعز من الأذل. فشكا عبد الله بن أُبَيٍّ إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه عبد الله ـ رضي الله عنه ـ وأرضاه، فأرسل رسول الله ﷺ إليه: أن «**خلِّ عنه يدخل**». فقال الابن ـ رضي الله عنه ـ: أما إذ جاء أمر رسول الله ﷺ؛ فنعم. فدخل.

وقال الحميدي في مسنده قال الابن لأبيه: والله لا تدخل المدينة حتى تقول: رسول الله ﷺ الأعز، وأنا الأذل. انتهى. أقول: وهذا هو الإيمان! وانظر ما ذكرته في آخر سورة (المجادلة)، تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ أي: حضر مجلسك المنافقون، كعبد الله بن أُبَيٍّ وأصحابه. ﴿قَالُواْ﴾ أي: بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم. ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾: أرادوا شهادة وافقت فيها قلوبهم ألسنتهم. قال القرطبي قيل: معنى (نشهد): نحلف، فعبر عن الحلف بالشهادة؛ لأن كل واحد من الحلف، والشهادة إثبات لأمر مغيب. ومنه قول قيس بن ذريح: [الطويل]

وأشهدُ عندَ الله أنّي أُحِبُّها فهذا لها عِنْدِي فَمَا عِنْدَها لِيَا؟

ثم قال: ويحتمل أن يكون ذلك محمولاً على ظاهره: أنهم يشهدون: أن محمداً رسول الله ﷺ، اعترافاً بالإيمان، ونفياً للنفاق عن أنفسهم. وهو الأشبه. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ أي: هو

الذي أرسلك، فهو عالم بك. ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾: يعني في قولهم: نشهد أنك لرسول الله؛ لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا، وذلك؛ لأن حقيقة الإيمان أن يواطئ اللسان القلب، وكذلك الكلام، فمن أخبر عن شيء، واعتقد خلافه ، أو أضمر خلاف ما أظهر؛ فهو كاذب، ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم: نشهد أنك لرسول الله، وسماه كذباً؛ لأن قولهم خالف اعتقادهم. هذا؛ ويشبه هذا قوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٥٦]: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾. وقال أحمد محشي الكشاف: ومثل هذا من نمطه المليح قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ الآية رقم [١٤] من سورة (الحجرات).

هذا؛ وقد سجل القرآن على المنافقين قبيح صنعهم، وخبيث نياتهم؛ حيث وصفهم بأنهم مطبوعون على الكذب، وبين ذلك النبي ﷺ في أحاديثه الصحيحة: فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**آيَةُ المنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذبَ، وإذا وعدَ أخلفَ، وإذا أُؤْتُمِنَ خَانَ**». رواه البخاري، ومسلم، وزاد مسلم في رواية له: «**وإن صلَّى، وصامَ، وزعمَ أنهُ مُسْلِمٌ**». ورواه أبو يعلى من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ فهوَ منافِقٌ، وإن صامَ وصلَّى، وحجَّ واعتمرَ، وقال: إني مسلمٌ**». وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**أربعٌ من كنَّ فيهِ كان منافقاً خالصاً، ومَنْ كانتْ فيه خصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانتْ فيهِ خصلةٌ من النِّفاق حتى يَدَعَهَا: إذَا أُؤْتُمِن خان، وإذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا عاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ**». رواه البخاري، ومسلم.

وهذا الكلام من النبي ﷺ على سبيل الإنذار للمسلمين، والتحذير لهم أن يعتادوا هذه الخصال؛ شفقة أن تفضي بهم إلى النفاق، وليس المعنى: أن من بدرت منه هذه الخصال من غير اختيار، واعتياد: أنه منافق، ولا بد من القول: إن النفاق على نوعين: نفاق العمل، وهو أن يتصف مسلم بتلك الصفات الذميمة، أو ببعضها، وهو يصوم، ويصلي، ويحج. . . إلخ، ونفاق العقيدة: وهو أن يظهر الإسلام، ويضمر الكفر، ويتصف بتلك الصفات الذميمة، وقلما تفارقه؛ لأنه مطبوع عليها، وهي ديدنه. وليحذر المسلم من نفاق العمل، فإنه يجر إلى نفاق العقيدة، ونفاق العقيدة أخبث من الكفر. قال تعالى في سورة (النساء): ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾. هذا؛ وسمي المنافق منافقاً أخذاً من: نافقاء اليربوع، وهو حجره الذي يقيم فيه، فإنه يجعل له بابين يدخل من أحدهما، ويخرج من الآخر، فكذلك المنافق يدخل مع المؤمنين بقوله: أنا مؤمن، ويدخل مع الكفار بقوله: أنا معكم.

وينبغي أن تعلم: أن النفاق لم يكن في مكة، وإنما كان بها الكفر، ولم يظهر النفاق إلا بالمدينة المنورة، حين عز الإسلام، وكثر أنصاره، وسببه: أن أهل المدينة حينما اصطلحوا بعد

حرب بعاث التي دامت بين الأوس، والخزرج أربعين سنة، ثم اتفقوا على أن ينصِّبوا عبد الله بن أُبَيٍّ ملكاً عليهم، وقبل أن يتم ذلك ذهب جماعة من الأنصار إلى مكة ليحجوا، وهناك التقوا بالنبي ﷺ وعقدوا معه بيعة العقبة المشهورة، فلما عادوا إلى المدينة، وشاع الإسلام في المدينة؛ توقفوا عن تتويج ابن أُبَيٍّ ملكاً عليهم، فلذا حقد على الرسول ﷺ، وتبعه كثير من أهل المدينة، فلما عز الإسلام، وكثر أنصاره؛ ذلوا، وهانوا، وأظهروا الإسلام لصون دمائهم، وأموالهم. قال الشاعر: [الوافر]

وَمَا انْتَسَبُوا إلى الإسلامِ إلَّا لِصَوْنِ دِمَائِهِمْ أَنْ لَا تُسَالا

هذا بالإضافة لما ذكرته هنا وفي سورة (النحل) رقم [١٠٥] أذكر ما يلي: فعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**أنَا زعيمٌ ببيتٍ في وسَطِ الجنةِ لِمَنْ تركَ الكذب، وإنْ كانَ مازِحاً**». رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه. وعن بهز بن حكيم عن أبيه، عن جده ـ رضي الله عنهم ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وَيلٌ للَّذِي يُحدِّثُ بالحديثِ ليُضْحِكَ بهِ القومَ، فيكذبُ، ويلٌ له، ويلٌ له**». رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، والبيهقي. وقال بعض الحكماء: من استحلى رضاع الكذب؛ عسر فطامه. وقال الشاعر الحكيم: [الكامل]

إيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الكَذُوب وإفْكِهِ فَلَرُبَّمَا مَزَجَ اليَقِينَ بشَكِّهِ
ولَرُبَّمَا كَذبَ امْرُؤٌ بكَلامِهِ وبِصَمْتِهِ وبكَائِهِ وبِضِحْكِهِ

وقال آخر: [الطويل]

إذا عُرِفَ الإنسانُ بالكِذْبِ لَمْ يَزَلْ لَدَى النَاسِ كذَّاباً ولَوْ كَانَ صَادِقا
فإنْ قَالَ لَمْ تَصْغَ لَهُ جلساؤُهُ ولَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ ولَوْ كَانَ ناطِقا

الإعراب: ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿جَآءَكَ﴾: فعل ماض، والكاف مفعول به. ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على المشهور المرجوح. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مع مقولها جواب ﴿إِذَا﴾. وقيل: جوابها محذوف، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب حال من ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ التقدير: إذا جاؤوك حال كونهم قائلين: كيت، وكيت؛ فلا تقبل منهم. وقيل: الجواب: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ وهو بعيد، وجملة: ﴿قَالُوا۟﴾ أيضاً حال. انتهى. جمل نقلاً من السمين. وقد تصرفت فيه. ﴿نَشْهَدُ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿لَرَسُولُ﴾: (اللام): لام الابتداء، ويقال: المزحلقة. (رسول): خبر (إنَّ) وهو مضاف إليه، والجملة

الاسمية: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ لا محل لها؛ لأنها جواب ﴿نَشۡهَدُ﴾ لأنه جرى مجرى القسم كفعل العلم واليقين، ولذلك تُعامل بما يُتعامل به القسم في قوله: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

أقول: وهذا غير متعارف عليه، بل المتعارف عليه: أن الفعل: شهد، يشهد ينصب مفعولاً مصدراً مؤولاً من: أنَّ، واسمها، وخبرها. أو من: أنْ الناصبة والمضارع المنصوب به. وأمثلتهما في القرآن كثيرة جداً، وإنما كسرت همزة (إن) في الجمل الثلاث؛ لأن الأفعال الثلاثة علقت عن العمل لفظاً بسبب لام الابتداء الداخلة على خبر (إنَّ)، والجمل الاسمية: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾، ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾في محل نصب سدت مسد مفعول الأفعال الثلاثة المعلقة عن العمل بسبب لام الابتداء، ولذا كسرت همزة (إنَّ) ولولا لام الابتداء؛ لفتحت همزة (إنَّ) وتأولت مع اسمها، وخبرها بمصدر في محل نصب سد مسد المفعول، أو المفعولين. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وكَسَرُوا مِنْ بَعْدِ فعلٍ عُلِّقَا بِاللَّامِ كاعْلَمْ إنهُ لَذُو تُقَى

﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): واو الاعتراض. (الله): مبتدأ. ﴿يَعۡلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ رأيت ما ذكرته فيها، والجملة الفعلية: ﴿يَعۡلَمُ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ...﴾ إلخ معترضة لا محل لها من الإعراب، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو وإعادة لفظ الجلالة، وإعراب الجملة واضح إن شاء الله تعالى، وانظر مجيء الحال من المضاف إليه في الآية رقم [١١] من سورة (الممتحنة). وقيل: الجملة الاسمية معطوفة على (إذا) ومدخولها ليصح القول بالاعتراض.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢﴾

الشرح: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ أي: سترة يستترون بها من القتل والسبي، ومعنى (أيمانهم): ما أخبر الله به عنهم من حلفهم: «إنهم لمنكم» وقولهم: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وانظر الآية رقم [١٦] من سورة (المجادلة). هذا؛ و﴿جُنَّةٗ﴾ بضم الجيم: كل ما استترت به، وكل ما وقيت به نفسك من السلاح، والرماح، ومنه: المجن، والمِجنة بكسر الميم فيهما، وهو: الترس الذي كان يتخذ للوقاية من ضربات السيوف، والرماح، ونحوه، وكل ما يقيك سوءاً. ومن كلام الفصحاء: جُبَّة البُرد جُنَّة البَرد، وفي الكلام استعارة لا تخفى. هذا؛ وجنة بكسر الجيم: جنون؛ أي: خبل، وذهاب العقل، وهو أيضاً جمع: جني. قال تعالى في سورة (الناس): ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وهو بفتح

الجيم: الحديقة ذات الأشجار، وجمعها: جنات. ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: انظر شرح: «صد يصد» في الآية رقم [١٦] من سورة (المجادلة).

والمراد بـ: ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه الذي ارتضاه الله لنفسه، وللمسلمين، كما صرح به في قوله جلت قدرته في سورة (المائدة) رقم [٣]: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. هذا؛ والسبيل: الطريق، يذكر، ويؤنث بلفظ واحد، فمن التذكير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ رقم [١٤٦] من سورة (الأعراف). ومن التأنيث قوله تعالت حكمته: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ رقم [١٠٨] من سورة (يوسف) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. والجمع على التأنيث: سبول، وعلى التذكير: سبل بضمتين، وقد تسكن الباء، كما في: رسل، وعسر، ويسر. قال عيسى بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ: كل اسم على ثلاثة أحرف، أوله مضموم، وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم من يثقله، وذلك مثل: رُحم، وحُلم، وعُسر، وأُسد... إلخ، وانظر شرح (الإيمان) في الآية رقم [١٦] من سورة (المجادلة). ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بئست أعمالهم الخبيثة ـ من نفاقهم وأيمانهم الكاذبة، وصدهم الناس عن الإيمان بالله ورسوله ـ أعمالاً. ويجوز في هذا الفعل أن يكون على بابه من التصرف، والتعدي، ومفعوله محذوف؛ أي: ساءهم الذي كانوا يعملونه، أو عملهم، وأن يكون جارياً مجرى: بئس، فيحول إلى فعل بضم العين، ويمتنع تصرفه، ويصير للذم، ويكون المخصوص بالذم محذوفاً.

الإعراب: ﴿اتَّخَذُوا﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾: مفعول به أول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿جُنَّةً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية رأيت اعتبارها على وجه ضعيف جواباً لـ: ﴿إِذَا﴾، والأقوى: أنها مستأنفة، وجملة: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ معطوفة عليها، على الوجهين المعتبرين فيها، وما تقدم ذكر بسورة (المجادلة) في الآية رقم [١٦].

﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿سَاءَ﴾: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله مستتر فيه وجوباً فسره التمييز، وهو ﴿مَا﴾ فإنها نكرة موصوفة بمعنى: شيئاً مبنية على السكون في محل نصب، والجملة الفعلية بعدها صفتها، والرابط محذوف، التقدير: ساء الشيء شيئاً كانوا يعملونه. والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: المذموم عملهم. وهذا الإعراب على اعتبار الفعل جامداً، وأما على اعتباره متصرفاً؛ فمفعوله محذوف، التقدير: ساءهم، و﴿مَا﴾ تحتمل حينئذ الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعله، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: ساءهم الذي، أو شيء كانوا يعملونه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في

محل رفع فاعل، التقدير: ساءهم عملهم. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ مع مفعوله المحذوف في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿سَآءَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ﴾ مستأنفة، لا محل لها، وهذه الجملة مذكورة بحروفها في سورة (المجادلة) رقم [١٥].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الكلام السابق؛ أي: ذلك القول الشاهد على سوء أعمالهم، أو إلى الحال المذكورة من النفاق، والكذب، والاستجنان بالأيمان، وإضمار الشر، والسوء للإسلام، ولنبي الإسلام. ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ أي: بسبب أنهم آمنوا ظاهراً باللسان، ثم كفروا باطناً؛ حيث نطقوا بالشهادة، وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام، ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم: إن كان ما يقول محمد حقّاً؛ فنحن شر من الحمير، وقولهم: في غزوة تبوك: أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى، وقيصر؟ هيهات!، أو المعنى: نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاءً بالإسلام، وبالمسلمين، كما حكى الله عنهم بقوله في سورة (البقرة) الآية رقم [١٤]: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾، ولا تنس المطابقة بين ﴿ءَامَنُوا۟﴾ و﴿كَفَرُوا۟﴾.

﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: فختم عليها؛ حتى لا يدخلها الإيمان جزاء على نفاقهم. هذا؛ والطبع: الختم، وهو التأثير في الطين، ونحوه، فاستعير هنا لعدم فهم القلوب ما يلقى عليها. وإذا طبع على قلب إنسان؛ فلا تؤثر فيه حينئذ الموعظة، ولا تجدي معه النصيحة، كما قال تعالى في هذه الآية وكثير غيرها: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾. والطبع: السجية، والخلق الذي طبع عليه الإنسان. والطبيعة مثله. وجمع الأول: طباع، وجمع الثاني: طبائع. والطبع تدنس العرض، وتلطخه، يقال: طبع السيف: إذا دخله الجرب من شدة الصدأ، وطبع الرجل، فهو طبع إذا أتى عيباً، يقال: نعوذ بالله من طمع يدني إلى طبع! أي: إلى دنَس. قال ثابت بن قطنة: [البسيط]

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ ... وَغُفَّةٌ مِنْ قَوَامِ العَيْشِ تَكْفِينِي

هذا؛ وقال قتادة في هؤلاء المنافقين: الناس رجلان: رجل عقل عن الله، فانتفع بما سمع، ورجل لم يعقل، ولم ينتفع بما سمع. وكان يقال: الناس ثلاثة: سامع عامل، وسامع عاقل، وسامع غافل تارك. ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: انظر الآية رقم [١٣] من سورة (الحشر).

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: (الباء): حرف جر. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها،

وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿فَطُبِعَ﴾: (الفاء): حرف عطف. (طبع): فعل ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل (طبع)، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. ﴿فَهُمْ﴾: (الفاء): حرف عطف. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَفْقَهُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً.

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، وللمؤمنين من أصحابه. ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾: لجمالها، وحسن هندامها. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان ابن أُبَيٍّ وسيماً جسيماً صحيحاً، فصيحاً ذلق اللسان، وكان قوم من المنافقين مثله، وهم رؤساء المدينة قبل الإسلام. وقال الكلبي: المراد ابن أبَيٍّ، وجدُّ بن قيس، ومعتب بن قشير، كانت لهم أجسام، ومنظر، وفصاحة، وكانوا يحضرون مجلس النبي ﷺ، ويستندون فيه إلى الجدر، وكان النبي ﷺ ومن حضر يعجبون بهياكلهم. انتهى. جمل بتصرف.

﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾: أي: وإن يتكلموا في مجلسك تستمع لكلامهم، وضمن ﴿تَسْمَعْ﴾ معنى: تصغي، وتميل فلذلك عُدِّي باللام. هذا؛ والفعل: «تسمع» من الأفعال الصوتية، إن تعلق بالأصوات؛ تعدى إلى مفعول واحد، وإن تعلق بالذوات؛ تعدى إلى اثنين؛ الثاني منهما جملة فعلية مصدرة بمضارع من الأفعال الصوتية، مثل قولك: سمعت فلاناً يقول كذا. وهذا اختيار الفارسي. واختار ابن مالك، ومن تبعه: أن كون الجملة الفعلية في محل نصب حال؛ إن كان المتقدم معرفة، وصفة؛ إن كان نكرة، مثل قولك: سمعت رجلاً يقول كذا.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾: أي أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا عقول، ورحم الله حسان؛ إذ يقول: [البسيط]

لا بأسَ بالقوْمِ مِنْ طُولٍ ومِنْ عِظَمِ ... جِسْمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ

شبههم بالخشب المسندة إلى جُدُر، وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان، والخير؛ لأن الخشب إذا انتفع بها؛ كانت في سقف، أو في جدار، أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكاً غير منتفع به؛ أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع. أو لأنهم أشباح بلا أرواح،

وأجسام بلا أحلام، كما قدمت آنفاً. هذا؛ وقرئ ﴿خُشُبٌ﴾ بضم الشين وسكونها، وانظر ما ذكرته في: «سبل» عن عيسى بن عمر في الآية السابقة. وفي الجملة تشبيه تمثيلي مرسل.

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: أنهم لا يسمعون صوتاً في العسكر بأن ينادي منادٍ لأمرٍ ما، بأن تنفلت دابة، أو تُنشد ضالة؛ إلا ظنوا: أنهم المرادون، وظنوا قد أُتُوا؛ لما في قلوبهم من الرعب، والجبن، والهلع، كما قال تعالى عنهم: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ الآية رقم [١٩] من سورة (الأحزاب). ففي الجملة تشبيه تمثيلي أيضاً. قال الأخطل التغلبي في هجاء جرير: [الكامل]

مـا زِلْـتَ تـحـسَـبُ كـلَّ شـيءٍ بـعـدَهَـمْ   خـيْـلاً تـكُـرُّ عـلـيـهِـمُ ورِجَـالا

وقيل: يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد: أنها عليهم، وأن النبي ﷺ قد أمر فيها بقتلهم، فهم أبداً وجلون من أن ينزل الله فيهم أمراً يبيح به دماءهم، ويهتك أستارهم. وفي هذا المعنى قول العوَّام بن شوذب الشيباني، وهو الشاهد رقم [٤٨٦] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». [الطويل]

فـلـوْ أنَّـهَـا عُـصْـفُـورةٌ لَـحَـسِـبْـتـهَـا   مُـسَـوَّمَـةً تـدعـو عُـبَـيْـداً وأزْنَـمَـا

وقال أحمد محشي الكشاف، وغلا المتنبي في المعنى، فقال: [البسيط]

وَضَـاقَـتِ الأرْضُ حَـتَّـى صَـارَ هَـارِبُـهُـمْ   إذَا رَأَى غَـيـرَ شَـيْءٍ ظَـنَّـهُ رَجُـلَا

﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ أي: لا تأمنهم، فإنهم ـ وإن كانوا معك، ويظهرون تصديقك ـ أعداؤك، فاحذرهم ولا تأمنهم على سرك؛ لأنهم عيون لأعدائك من الكفار، ينقلون إليهم أسرارك. وفي الكشاف: هم الكاملون في العداوة؛ لأن أعدى الأعداء العدو المداجي؛ الذي يكاشرك، وتحت ضلوعه الداء الدَّوِيُّ.

﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: دعاء عليهم، وهو طلب من ذاته أن يلعنهم، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك. انتهى. بيضاوي. قال القرطبي: وهي كلمة ذم وتوبيخ، وقد تقول العرب: قاتله الله ما أشعره! فيضعونه موضع التعجب. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الحق، والرشد، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩] من سورة (الذاريات) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ وفي مختصر ابن كثير ما يلي: وفي الحديث: «**إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة، وطعامهم نهبة، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المساجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دُبراً، مستكبرين، لا يألفون، ولا يؤلفون، خُشُبٌ بالليل، صُخُبٌ بالنهار**». أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً. انتهى.

الإعراب: (إذا): انظر الآية رقم [١]. ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح، واكتفى الفعل بمفعول واحد؛

لأنه بصري. ﴿تُعۡجِبُكَ﴾: فعل مضارع، والكاف مفعول به. ﴿أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. ﴿وَإِن﴾: (الواو): حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَقُولُواْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، ولا مقول له؛ لأنه بمعنى: يتكلموا. والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿تَسۡمَعۡ﴾: فعل مضارع جواب الشرط مجزوم، والفاعل مستتر تقديره: «أنت» ولا مفعول له؛ لأنه بمعنى: تصغي. ﴿لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام معطوف على (إذا) ومدخولها، لا محل لها مثله. ﴿كَأَنَّهُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿خُشُبٞ﴾: خبر (كأن). ﴿مُّسَنَّدَةٞۖ﴾: صفة: ﴿خُشُبٞ﴾، والجملة الاسمية فيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها مستأنفة. والثاني: أنها خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم كأنهم. قاله الزمخشري. والثالث: أنها في محل نصب على الحال، وصاحب الحال الضمير في: (قولهم). قاله أبو البقاء. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

﴿يَحۡسَبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿صَيۡحَةٍ﴾ مضاف إليه. ﴿عَلَيۡهِمۡۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل المفعول الثاني، التقدير: كائنة عليهم، وفي السمين قوله: ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ فيه وجهان: أظهرهما: أن ﴿عَلَيۡهِمۡۚ﴾ هو المفعول الثاني للحسبان؛ أي: واقعة، وكائنة عليهم، ويكون قوله: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ﴾ جملة مستأنفة، أخبر تعالى بذلك. والثاني: أن يكون: ﴿عَلَيۡهِمۡۚ﴾ متعلقاً بـ: ﴿صَيۡحَةٍ﴾ و﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ﴾ جملة اسمية في موضع المفعول الثاني للحسبان. انتهى. جمل. وجملة: ﴿يَحۡسَبُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من معنى الكلام. قاله أبو البقاء.

﴿فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ﴾: (الفاء): حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً من المنافقين؛ فاحذرهم. (احذرهم): فعل أمر، والفاعل تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿قَٰتَلَهُمُ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُۖ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَنَّىٰ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب حال، عامله ما بعده. ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: للمنافقين، وذلك لما نزل القرآن بذمهم، وكشف خبثهم، مشى إليهم أقرباؤهم، وقالوا لهم: افتُضحتم بالنفاق، فتوبوا إلى رسول الله ﷺ من النفاق، واطلبوا منه أن يستغفر لكم. ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: حركوها استهزاءً وإباءً، وعطفوها إعراضاً، واستكباراً عن ذلك. والمخاطب بذلك جميع المنافقين، وعلى رأسهم ابن أبيٍّ لعنه الله تعالى، وروي: أنه لما لوى رأسه قال: أمرتموني أن أؤمن، فآمنت، وأن أعطي زكاة مالي، فأعطيت، ولم يبق إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد. ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي: يعرضون عنك وعن الإيمان بالله، وبك. ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: عن الإيمان، والاعتذار، والاستغفار.

هذا؛ وقال ابن هشام في قطر الندى: وأما هاتِ، وتعال؛ فعدهما جماعة من النحويين في أسماء الأفعال، والصواب: أنهما فعلا أمر، بدليل: أنهما دالان على الطلب، وتلحقهما ياء المخاطبة، فتقول: هاتي وتعالَيْ. واعلم: أن آخر (هاتِ) مكسور أبداً، إلا إذا كان لجماعة المذكرين، فإنه يضم، وأن آخر (تعالَ) مفتوح في جميع أحواله من غير استثناء، تقول: تعالَ يا زيدُ، وتعالَيْ يا هندُ، وتعالَيَا يا زيدان، أو يا هندانِ، تعالَوْا يا زيدون، وتعالَيْنَ يا هنداتُ، كل ذلك بالفتح. قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ...﴾ إلخ، وقال تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ...﴾ إلخ ومن ثم لحنوا أبا فراس الحمداني بقوله: [الطويل]

أيَا جارَتَا مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ... تَعَالِي أُقَاسِمْكِ الهُمومَ تَعَالِي

وأقول: إن الفعلين (هاتِ، وتعالَ) ملازمان للأمرية، فلا يأتي منهما مضارع، ولا ماض، وهما بمعنى: (أَحْضِرُوا، أو احْضُرُوا) فالأول متعد، وهو من الرباعي، والثاني لازم، وهو من الثلاثي وأما: تعالَى، يتعالَى، فهما بمعنى: تعاظَم، يتعاظَمُ، أو بمعنى: تنزه، يتنزه. وقيل في إعلال (تعالَوْا): أصله: تعالَوُوا، ثم تعالَيُوا، فحذفت الضمة التي على الياء للثقل، فالتقى ساكنان، فحذفت الياء وبقيت الواو؛ لأنها ضمير، وبقيت الفتحة على اللام لتدل على الألف المحذوفة.

الإعراب: ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿تَعَالَوْاْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل رفع نائب فاعل ﴿قِيلَ﴾، أفاده ابن هشام في مغنيه، وهذا يكون جارياً على القاعدة العامة: «يحذف الفاعل ويقام المفعول به مقامه». وهذا لا غبار عليه،

وقد ذكرت لك مراراً: أن بعضهم يعتبر نائب الفاعل ضميراً مستتراً تقديره: «هو»، يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل، أو هو محذوف، يدل عليه المقام؛ أي: وقيل قول، وبعضهم يعتبر الجار والمجرور: ﴿لَهُمْ﴾ في محل رفع نائب فاعل، والمعتمد الأول، وأيده ابن هشام في المغني، حيث قال: إن الجملة التي يراد بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات، ولهذا تقع الجملة مبتدأ، نحو: «لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة». ونحو «زعموا: مطيةُ الكذب». وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها.

﴿يَسْتَغْفِرْ﴾: فعل مضارع مجزوم بجواب الأمر، وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف، ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿رَسُولُ﴾: فاعل ﴿يَسْتَغْفِرْ﴾، و﴿رَسُولُ﴾ مضاف، و﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب الطلب. هذا؛ وقد قال الجمل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ﴾ قد تنازعا في ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ فالأول يطلبه مفعولاً، والثاني يطلبه فاعلاً، فأعمل الثاني لقربه، وأضمر في الأول؛ أي: تعالوا إليه. وفي السمين: وهذه المسألة عدها النحاة من التنازع، ذلك: أن ﴿تَعَالَوْا﴾ يطلب ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ مجروراً بـ: «إلى»؛ أي: تعالوا إلى رسول الله، و﴿يَسْتَغْفِرْ﴾ يطلبه فاعلاً، فأعمل الثاني، ولذلك رفعه، وحذف الأول؛ إذ التقدير: تعالوا إليه، ولو أعمل الأول لقيل: تعالوا إلى رسول الله، فيضمر في يستغفر فاعل، ويمكن أن يقال: ليست هذه من التنازع في شيء؛ لأن قوله: ﴿تَعَالَوْا﴾ أمر بالإقبال من حيث هو، لا بالنظر إلى مقبل عليه.

﴿لَوَّوْا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها. ﴿رُءُوسَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَرَأَيْتَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (رأيتهم): فعل ماض، وفاعله، ومفعوله الأول، ﴿يَصُدُّونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومتعلقه محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان، أو هي في محل نصب حال من الضمير المنصوب، وجملة: (رأيتهم يصدون) معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: (هم مستكبرون) في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: يتساوى الأمر بالنسبة لهم، فإنه لا ينفع استغفارك لهم شيئاً، لفسقهم، وخروجهم عن طاعة الله، ورسوله، فهو تيئيس له من إيمانهم؛ لأنه ربما كان يحب صلاحهم، وأنه يستغفر لهم رجاءً في هدايتهم، وربما ندبه إلى ذلك بعض أقاربهم، فقال جل ذكره

منبهاً له على أنهم ليسوا بأهل للاستغفار ـ لأنهم لا يؤمنون ـ بقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ، نظيره قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٦]، وفي سورة (يس) رقم [١٠]: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله تعالى في سورة (الشعراء) رقم [١٣٦]: ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾. ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ ذنوبهم لخبث نياتهم وسوء أعمالهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: انظر مثل هذه الجملة في سورة (الصف) رقم [٥]. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة (التوبة) رقم [٨٠]: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ...﴾ إلخ انظر سبب نزولها، وشرحها هناك؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿سَوَآءٌ﴾: مصدر بمعنى: الاستواء؛ فلذا صح الإخبار به عن متعدد. وقيل: هو اسم بمعنى: مستوٍ، وهو لا يثنى، ولا يجمع. قالوا: هما، وهم سواء، فإذا أرادوا لفظ المثنى؛ قالوا: سيان، وإن شئت قلت: سواءان، وفي الجمع: هم أسواء، وهذا كله ضعيف، ونادر، وأيضاً على غير القياس: هم سواسٍ، وسواسية؛ أي: متساويان، ومتساوون. هذا؛ ويأتي بمعنى: الوسط، كما في قوله تعالى في سورة (الصافات) رقم [٥٥]: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ويأتي بمعنى: العدل، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ رقم [٥٨] من سورة (الأنفال). وسواء الشيء: غيره. قال الأعشى: [الطويل]

تَجَانَفُ عَنْ جَوِّ اليمامَةِ نَاقَتِي ... ومَا عَدَلَتْ عَنْ أَهْلِهَا لِسَوَائِكَا

و﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ما استقام منه، و«سواء الجبل» ذروته.

هذا؛ ومعنى الآية التساوي بين الاستغفار وعدمه في الإفادة، فالسين، والتاء للطلب، والفعل يتعدى لاثنين، أولهما بنفسه، والثاني بحرف جر، نحو: استغفرت الله من ذنبي، وما في الآية من ذلك، وقد يحذف حرف الجر، فيصل إلى الثاني بنفسه، كقول الشاعر: [البسيط]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ العِبَادِ إليْهِ الوَجْهُ والقَبَلُ

هذا؛ ومثل: استغفر: أمر، واختار، وكنَى، وسمَّى، ودعا، وصدق، وزوج، وكال، ووزن. هذا؛ وبين ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ و﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ﴾ طباق السلب.

الإعراب: ﴿سَوَآءٌ﴾: خبر مقدم، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿سَوَآءٌ﴾. ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾: (الهمزة): حرف استفهام، وتسوية. (استغفرت): فعل، وفاعل، ومفعوله محذوف، التقدير: استغفرت الله. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية، وهمزة التسوية في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف معادل لهمزة التسوية. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَسْتَغْفِرْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾ وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، ومفعوله الأول

محذوف. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية هذه مؤولة أيضاً بمصدر، ومعطوف على سابقه، وتقدير الكلام: استغفارك، وعدمه سواء. هذا؛ وجوز اعتبار ﴿سَوَآءٌ﴾ مبتدأ، والمصدر المؤول خبراً عنه. والأول أقوى؛ لأن ﴿سَوَآءٌ﴾ نكرة كما ترى، ولا مسوغ لوقوعه مبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿يَغْفِرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، ومفعوله الأول محذوف، التقدير: لن يغفر الله ذنوبهم. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾: صفة ﴿ٱلْقَوْمَ﴾، وهي صفة موطئة؛ إذ من المعلوم: أنهم قوم بلا شك.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾

الشرح: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: المراد: عبد الله بن أُبَيٍّ هو الذي قال ذلك، كما رأيت في ما سبق، وعبر عنه بلفظ الجمع، وهو جار على سنن العربية، فإن العرب تخاطب الفرد بلفظ الجماعة؛ إذا كَنَّتْ به عن الإنسان، أنشد سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ لحسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

ظَنَنْتُمْ بِأَنْ يَخْفى الذي قَدْ صَنعتمُ ... وفينا رسولٌ عِنْدَهُ الوحيُ واضِعُهْ

وإنما خاطب حسان طعمة بن الأبيرق في شيء سرقه بمكة، وقد ذكرت قصته في سورة (النساء) من الآية رقم [١٠٥ إلى ١١٥] ولا يبعد أن يريده حسانُ وقومَه الذين تآمروا على تبرئته، وإيقاع اليهودي. انظر شرح الآيات هناك تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ أي: يتفرقوا عن محمد ﷺ، ويتركوه، ويذهب كل واحد منهم إلى أهله وشغله؛ الذي كان له قبل ذلك. وقولهم: ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ على سبيل الهزء؛ إذ لو كانوا مقرين برسالته ما صدر عنهم ما صدر. والظاهر: أنهم لم ينطقوا بنفس ذلك اللفظ، ولكنه عبر به عن رسوله إكراماً له وإجلالاً. ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: بيده جلت قدرته مفاتيح الرزق يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا يملك أحد أن يمنع فضل الله عن عباده. على أنهم لو استجابوا لهذا الخبيث فيما نهاهم عنه؛ لهيأ الله تعالى غيرهم للإنفاق،

أو أمر رسوله، فدعا بالشيء اليسير، فيصير كثيراً، أو كان لا ينفد. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يفهمون حكمة الله، وتدبيره، فلذلك يقولون ما يقولون من مقالات الكفر، والضلال، وإن الله عز وجل إذا أراد شيئاً؛ فإنما يقول له: كن فيكون.

الإعراب: ﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية فيها معنى التعليل للكلام السابق. قال أبو السعود: استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم. انتهى. أو لعدم هداية الله لهم. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية مع مقولها صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَا﴾: ناهية. (تنفقوا): فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، ﴿عَلَىٰ مَنْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿عِندَ﴾ مضاف، و﴿رَسُولِ﴾ مضاف إليه، و﴿رَسُولِ﴾ مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿يَنفَضُّوا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، و«أن» المضمرة والفعل ﴿يَنفَضُّوا۟﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يَنفَضُّوا۟﴾.

﴿وَلِلَّهِ﴾: (الواو): واو الحال. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم: ﴿خَزَآئِنُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، وإعادة لفظ الجلالة، و﴿خَزَآئِنُ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: (الواو): حرف عطف. (لكنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: اسم (لكن) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَفْقَهُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكنَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها، والرابط في الأولى رابط في الثانية، وانظر مجيء الحال من المضاف إليه في الآية رقم [١٠] من سورة (الممتحنة).

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَقُولُونَ﴾: القائل هو: عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول. وقد ذكرت لك ذلك مفصلاً فيما سبق. ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي: رجعنا من هذه الغزوة غزوة بني المصطلق، وعدنا إلى

بلدنا المدينة المنورة. ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾: عنى بالأعز نفسه الخبيثة، وبالأذل النبي ﷺ. وانظر ما فعل به ابنه ـ رضي الله عنه ـ فيما سبق، وقرئ الفعل بقراءات كثيرة. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾: فعزة الله تعالى: قهره، وغلبته على من دونه. وعزة رسوله: إظهار دينه على الأديان كلها. وعزة المؤمنين: نصر الله إياهم على أعدائهم. هذا؛ وسئل محمد بن سُحْنون عن معنى قوله تعالى في آخر سورة (الصافات): ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ لم جاز ذلك، والعزة من صفات الذات، ولا يقال: رب القدرة، ونحوها من صفات ذاته جل وعز؟ فقال: العزة تكون صفة ذات، وصفة فعل، فصفة الذات، نحو قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ الآية رقم [١٠] من سورة (فاطر)، وصفة الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ والمعنى: رب العزة؛ التي يتعازُّ بها الخلق فيما بينهم، فهي من خلق الله عز وجل. وقال الماورديُّ: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: مالك العزة. والثاني: رب كل شيء متعزِّز من ملك، أو متجبر. انتهى. قرطبي من سورة (الصافات). ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن العزة لله، ولرسوله، وللمؤمنين، ولو علموا ذلك ما قالوا هذه المقالة الخبيثة. قال أصحاب السير: لم يلبث ابن أُبَيٍّ بعد أن قال هذه المقالة إلا أياماً قلائل؛ حتى مرض، ومات على نفاقه، انظر الآية رقم [٨٥] من سورة (التوبة): ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا...﴾ إلخ.

ففيها بحث جيد يتعلق فيه، ولا تنس الطباق بين ﴿ٱلْأَعَزُّ﴾ و﴿ٱلْأَذَلَّ﴾ وهو من المحسنات البديعية.

تنبيه: ختم الله هذه الآية بـ: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وختم ما قبله بـ: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾؛ لأن الأول متصل بقوله جل ذكره: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ لأن في معرفتها غموضاً يحتاج إلى فطنة، وفقه، فناسب نفي الفقه عنهم، والثاني متصل بقوله جلت قدرته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي معرفتها غموض زائد يحتاج إلى علم، فناسب نفي العلم عنهم، فالمعنى: لا يعلمون: أن الله معز أولياءه، ومذل أعداءه. والحاصل: أنه لما أثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة؛ أثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم، وهو الله ورسوله، والمؤمنون. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي.

تنبيه: العزة غير الكبر، ولا يحل للمسلم أن يذل نفسه، فالعزة: معرفة الإنسان بحقيقة نفسه، والكبر: جهل الإنسان بنفسه. قيل للحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: إن الناس يزعمون: أن فيك كبراً، وتيهاً! فقال: ليس بتيهٍ، ولكنه عزة المسلم، ثم تلا الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿لَئِن﴾: (اللام): موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿رَّجَعْنَآ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم

فعل الشرط، و(نا) فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَيُخْرِجَنَّ﴾: (اللام): واقعة في جواب القسم، المدلول عليه باللام الموطئة. (يخرجن): فعل مضارع مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف لا محل له. ﴿ٱلْأَعَزُّ﴾: فاعله. ﴿مِنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَذَلَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿لَيُخْرِجَنَّ...﴾ إلخ جواب القسم المدلول عليه باللام الموطئة لا محل لها، وجواب الشرط محذوف، لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما». قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

واحْـذِفْ لَـدَى اجْـتِـمَـاعِ شَـرْطٍ وقَـسَـمْ جَـوَابَ مَـا أَخَّـرْتَ فَـهْـوَ مُـلْـتَـزَمْ

والكلام ﴿لَئِن...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ في المعنى معطوفة على جملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ قبلها؛ لأن المقالتين سببهما واحد، وهو ما تقدم ذكره؛ الذي حاصله: أنه اقتتل بعض المهاجرين، وبعض الأنصار، فبلغ ذلك عبد الله بن أُبيٍّ، فقال المقالتين المذكورتين. ﴿وَلِلَّهِ﴾: (الواو): واو الحال. (لله): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْعِزَّةُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من معنى الكلام السابق؛ أي: قالوا ما ذكر؛ والحال: أن كل من له نوع بصيرة يعلم: أن العزة لله... إلخ، وهذا يجعل الجملتين المتعاطفتين في محل نصب حال كما في الآية السابقة. (لرسوله): جار ومجرور معطوفان على (لله) عطف مفرد على مفرد، أو هما متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: ولرسوله العزة؛ أيضاً، فيكون العطف عطف جملة على جملة اسمية، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ مثلهما على الاعتبارين، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مثل ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ في جميع الاعتبارات، والإعراب.

تنبيه: قرئ الفعل: ﴿لَيُخْرِجَنَّ﴾ بفتح الياء. ورفع ﴿ٱلْأَعَزُّ﴾ على أنه فاعل. ونصب ﴿ٱلْأَذَلَّ﴾ على أنه حال، وقرئ بضم الياء وفتح الجيم على أنه مبني للمجهول، و﴿ٱلْأَعَزُّ﴾ نائب فاعله، و﴿ٱلْأَذَلَّ﴾ حال، كما قرئ: (لَنُخرِجَنَّ) على أن الفاعل مستتر تقديره: «نحن»، ونصب (الأعزَّ) على أنه مفعول به، و(الأذلَّ) حال، والقراءات الثلاث غير سبعية، وخرج ﴿ٱلْأَذَلَّ﴾ على تقدير مضاف كخروج، أو إخراج، أو مثل. قاله البيضاوي، وهو تأويل الزمخشري فعلى الأولين هو نائب مفعول مطلق، وعلى الثالث هو حال على حذف المضاف. وقال أبو البقاء: و﴿ٱلْأَذَلَّ﴾ على هذا حال، والألف، واللام زائدة، أو يكون مفعولَ حالٍ محذوفة؛ أي: مشبهاً الأذل.

وهذا كله؛ لأن الحال لا تكون إلا نكرة، وهو مذهب جمهور النحويين، وأن ما ورد منها مُعرفاً لفظاً، فهو منكر معنىً، كقولهم: جاؤوا الجمَّاءَ الغفير، وأرسلها العِراكَ في قول الشاعر: [الوافر]

فأرسلها العراكَ ولم يذدها ولم يُشفق على نغص الدِّخالِ

واجتهد وحدك، وكلَّمته فاهُ إلى فِيَّ، فالجماءَ، والعراكَ، ووحدك، وفاهُ أحوال، وهي معرفة لفظاً، لكنها مؤولة بنكرة، والتقدير: جاؤوا جميعاً، وأرسلها معتركةً، واجتهد منفرداً، وكلمته مشافهةً، انتهى. شرح ابن عقيل. وخذ قول ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

والحالُ إن عُرِّف لفظاً فاعتقِدْ تنكيرَهُ مَعْنَى كوحدَكَ اجْتَهِدْ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ⑨﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: هذا نداء من الله تعالى للمؤمنين بأكرم وصف، وألطف عبارة. أي: يا من صدقتم بالله ورسوله، وتحليتم بالإيمان الذي هو زينة الإنسان. ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ...﴾ إلخ: قال المفسرون: لما ذكر الله قبائح المنافقين؛ نهى المؤمنين عن التشبه بهم في الاغترار بالأموال والأولاد، والمعنى: لا تشغلكم أيها المؤمنون الأموال، والأولاد عن طاعة الله، وعبادته، وعن أداء ما افترضته عليكم من الصلاة، والزكاة، والحج، كما شغلت المنافقين. قال أبو حيان: أي: لا تشغلكم أموالكم بالسعي في نمائها، والتلذذ بجمعها، ولا أولادكم بسروركم بهم، وبالنظر في مصالحهم عن ذكر الله. وهو عام في الصلاة، والتسبيح، والتحميد، وسائر الطاعات من تلاوة القرآن، وغيره، وقد عرفتم قدر منفعة الأموال، والأولاد، وأنه أهون شيء، وأدونه في جنب ما عند الله. هذا؛ وانظر شرح (المال) في الآية رقم [٨] من سورة (الحشر). هذا؛ وقدم الله ذكر الأموال على الأولاد؛ لأنها أول عدة يفزع إليها عند نزول الخطوب. وانظر الآية رقم [١٧] من سورة (المجادلة).

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: ومن شغله ماله، وولده عن ذكر الله، وطاعته، وعبادته. ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ أي: لأنهم باعوا العظيم الباقي، بالحقير الفاني. قال رسول الله ﷺ «**الدنيا ملعونةٌ ملعُونٌ ما فيها إلَّا ذكرَ اللهِ، ومَا وَالاَهُ، وعالِمٌ، ومُتَعَلِّمٌ**». أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. هذا؛ وقد قيل في تفسير الخسران: إنه جعل لكل واحد من بني آدم منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة، وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار، فذلك هو الخسران، وأي خسران أعظم من هذا الخسران؟! وانظر الآية التالية.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (أيها): منادى نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من

المضاف إليه، ولا يجوز اعتبار الهاء ضميراً في محل جر بالإضافة؛ لأنه حينئذ يجب نصب المنادى. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدلاً من لفظ (أيها). ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها. ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾: فاعله. ﴿وَلَآ﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: زائدة لتأكيد النفي. ﴿أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ...﴾ إلخ لا محل لها كالجملة الندائية قبلها؛ لأنها ابتدائية مثلها. ﴿عَن ذِكۡرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ذكر) مضاف، و(الله): مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف.

﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَفۡعَلۡ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو». ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. هذا؛ وإن اعتبرت الضمير مبتدأ ثانياً، و﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ خبره؛ فالجملة الاسمية تكون في محل رفع خبر (أولئك)، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: هو جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. والجملة الاسمية (مَنْ يفعل...) إلخ مستأنفة، لا محل لها، وهي في المعنى معترضة بين الجمل المتعاطفة.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾

الشرح: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ أي: وأنفقوا في مرضاة الله بعض ما أعطيناكم، وتفضلنا عليكم به من الأموال، و(مِنْ) تفيد التبعيض، كما هو ظاهر. ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: دلائل الموت، ومقدماته، وعلاماته، فيسأل الرجعة. وذلك عند التعذر من الإنفاق، وهو فحوى قوله تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾. روي: أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: من كان له مال يبلِّغه حج بيت ربه، أو تجب عليه فيه زكاة، فلم يفعل؛ سأل

الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا بن عباس! اتق الله؛ فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سأتلو عليك بذلك قرآناً: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم...﴾ إلخ. ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: فأتصدق، وأحسن عملي، وأصبح تقياً صالحاً. قال ابن كثير: كل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة؛ ليستدرك ما فات، ولكن هيهات!.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ**». قالوا: وَمَا نَدَامَتُهُ يا رسولَ الله؟! قَالَ: «**إِنْ كانَ مُحْسِناً؛ نَدِمَ أَنْ لَا يكونَ ازْدَادَ، وإِنْ كانَ مُسِيئاً نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ نَزَعَ**». رواه الترمذي، والبيهقي.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هذه الآية أشد على أهل التوحيد؛ لأنه لا يتمنى الرجوع في الدنيا، أو التأخير فيها أحد له عند الله خير في الآخرة. هذا؛ ويكون الإنفاق فرضاً كالزكاة الواجبة، والكفارات على أنواعها، ويكون تطوعاً، وتقرباً إلى الله تعالى، والفعل الماضي: أنفق، وهو رباعي الحروف، ويكون ثلاثياً: نفق. قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: إن كل ما فاؤه نون، وعينه فاء يدل على معنى الخروج، والذهاب، مثل: نفق، ونفش، ونفخ، ونفذ... إلخ.

هذا؛ والصلاح درجة عالية، ومكانة رفيعة، ولذلك سأل الله هذه المنزلة يوسف عليه السلام قبل وفاته، وقد حكى القرآن ذلك: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وسألها إبراهيم عليه السلام، وحكاها القرآن عنه: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ سورة (الشعراء) رقم [٨٣]، وطلبها سليمان عليه السلام، وحكاها القرآن عنه: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، سورة (النمل) رقم [١٩]. وقال تعالى في حق إسماعيل، وإدريس، وذي الكفل ـ على نبينا، وعليهم جميعاً ألف تحية وسلام ـ في سورة (الأنبياء) رقم [٨٦]: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وقال تعالى في سورة (الأنعام) رقم [٨٥]: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومثل ذلك كثير في كتاب الله. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأَنفِقُوا﴾: (الواو): حرف عطف. (أنفقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿لَا تُلْهِكُمْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿مِن مَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، و﴿مَّا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: ﴿مِن﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَّا﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: من الذي، أو من شيء رزقناكموه. وعلى اعتبار ﴿مَّا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في

محل جر بـ: ﴿مِن﴾ التقدير: وأنفقوا من رزقنا لكم. وهو ضعيف كما ترى. ﴿رَزَقْنَكُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف، كما رأيت تقديره. ﴿مِّن قَبْلِ﴾: متعلقان بالفعل (أنفقوا). ﴿أَن يَأْتِيَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾. ﴿أَحَدَكُمُ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿الْمَوْتُ﴾: فاعل ﴿يَأْتِيَ﴾، و﴿أَن يَأْتِيَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿قَبْلِ﴾ إليه. ﴿فَيَقُولَ﴾: (الفاء): حرف عطف. (يقول): مضارع معطوف على ﴿يَأْتِيَ﴾ منصوب مثله، والفاعل يعود إلى ﴿أَحَدَكُمُ﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، التقدير: يا رَبِّ، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنه لا لبس فيه، ومنهم من يثبت الياء ساكنة فيقول: (يا ربيْ) ومنهم من يثبتها، ويحركها بالفتحة، فيقول (يا ربيَ)، ومنهم من يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها فيقول: (يا ربَّا)، ومنهم من يحذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الباء دليلاً عليها، فيقول: (يا ربَّ) قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَاجْعَلْ مُنَادىً صَحَّ إنْ يُضَفْ لِيَا كَعَبْدِ عَبْدِي عَبْدَ عَبْدَا عَبْدِيَا

ويزاد لغة سادسة، وهي لغة القطع: (يا ربُّ) بضم الباء، ففي الحديث الشريف يقول العبد: «**يَا رَبُّ يَا رَبُّ**». وقرئ في سورة (يوسف) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: (قال رَبُّ السِّجنُ أحبُّ إليَّ. . .) إلخ.

والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف تحضيض بمعنى: هلا. ﴿أَخَّرْتَنِيٓ﴾: فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَرِيبٍ﴾: صفة ﴿أَجَلٍ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: (الفاء): هي الفاء السببية. (أصدق): فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، و«أن» المضمرة والفعل (أصدق) في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: هلا تأخِيرٌ إلى أجل قريب، فتصَدُّقٌ مني في سبيل الله.

﴿وَأَكُن﴾: (الواو): حرف عطف. (أكنْ): معطوف على محل ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ فكأنه قيل: إن أخرتني؛ أصدق، وأكن؛ لأنه لولا الفاء؛ لجزم: (أصدق) على القاعدة: يجزم المضارع إذا وقع جواباً للطلب، والطلب يشمل: الأمر، والنهي، والحض، والعرض، والاستفهام، والتمني، والترجي، كما هو منصوص عليه. وابن هشام في مغني اللبيب سمى هذه المسألة: العطف على المعنى، أو على التوهم، وأورد البيت، وهو الشاهد رقم [٧٨٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الوافر]

فَـأَبْـلُـونِـي بَـلِـيَّـتَـكُـمْ لَـعَـلِّـي أُصَـالِـحُـكُـمْ وَأَسْـتَـدْرِجْ نَـوِيَّـا

حيث عطف الشاعر (أَسْتَدْرِجْ) على محل (لعلي)؛ لأن محلها الجزم في جواب الطلب، لكن نسمي العطف في البيت على التوهم، ونجتنب لفظ التوهم في الآية لبشاعته، ونسمي العطف فيها على المعنى. هذا؛ وقرأ أبو عمرو، وابن محيصن، ومجاهد: (وأكونَ) بالنصب عطفاً على ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ وهي قراءة سبعية كقراءة الجزم. وقرئ: (وأكُونُ) بالرفع، وهي فوق السبعة، وذلك على تقدير: (وأنا أكونُ) بعد هذا فاسم أكنْ، أو أكونَ، أو أكونُ ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنا». ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبره. هذا؛ وخذ قول عنترة في معلقته رقم [٥٧] وما بعده: [الكامل]

هَـلَّا سَـأَلْـتِ الـخَـيْـلَ يـا بْـنَـةَ مَـالِـكٍ إنْ كُـنْـتِ جَـاهِـلَـةً بِـمَـا لَـمْ تَـعْـلَـمِـي

إذْ لا أزالُ عَـلَـى رِحَـالَـةِ سَـابِـحٍ نَـهْـدٍ تـعَـاوَرُهُ الـكُـمَـاةُ مُـكَـلَّـمِ

يُـخْـبِـرْكَ مَـنْ شَـهِـدَ الـوَقِـيـعـة أَنَّـنِـي أَغْـشَـى الـوَغَـى، وأَعـفُّ عِـنْـدَ الـمَـغْـنَـمِ

حيث جزم (يخبرك) في جواب التحضيض: (هَلَّا).

فائدة: سئلت عدة مرات عن حذف النون من قول الرسول ﷺ (ولا تؤمنوا) في الحديث الذي يرويه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ، ونصه: «**لَا تَدْخُلُونَ الجنةَ حتى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أدُلكُمْ على شَيْءٍ إذَا فعلتمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**». رواه مسلم، وأبو داود والترمذي وابن ماجه، والجواب: أنَّ «لا تؤمنوا» معطوفٌ على معنى: «لن تدخلوا الجنة. . .» إلخ، ولا نقول بالعطف على توهم (لن) لبشاعته كما تجنبت ذلك في الآية الكريمة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ أي: ولن يمهل الله أحداً أياً كان إذا انتهى أجله، ولن يزيد في عمره. وفيه تحريض على المبادرة بأعمال الطاعات؛ حذراً أن يجيء الأجل؛ وقد فرط، ولم يستعد للقاء ربه. وفي كثير من الآيات قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. هذا؛ وأما قول الرسول ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لهُ في رِزْقِهِ، وَيُنسأَ لَهُ في أَثَرِهِ فليَصِلْ رحمَهُ**». رواه البخاري، ومسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ، حيث فسر «**يُنسأَ لَهُ في أثره**». فيؤخر له في أجله، فإن الزيادة في الرزق، والأجل مؤولة بالبركة. وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر، فقال: «**إنَّ الله لا يُؤخِّرُ نفساً إذا جاءَ أجلُهَا، وإنما الزيادة في العمر أنْ يَرْزقَ الله العبدَ ذرِّيَّةً صالحةً يدعون لهُ، فيلحقهُ دعاؤُهُمْ في قَبْرِهِ**». أخرجه ابن أبي حاتم.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: محيط بأعمالكم: صغيرها، وكبيرها، خيرها، وشرها، فيجازيكم بها بالخير خيراً، وبالسوء سوءاً، كما جاء في الحديث القدسي الطويل؛ الذي رواه مسلم عن أبي ذرٍّ الغفاري ـ رضي الله عنه ـ: **«يا عبادِي إنما هِيَ أعْمَالُكُمْ أُحصِيها لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فَمَنْ وجَدَ خيراً؛ فلْيَحْمدِ الله عز وجلَّ، ومَنْ وجدَ غيْر ذَلِكَ؛ فَلا يلومَنَّ إلا نَفْسَهُ»**.

الإعراب: ﴿وَلَن﴾: (الواو): حرف استئناف. (لن): حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿يُؤَخِّرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (لن). ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿نَفۡسًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وقال الجمل: معطوفة على مقدر؛ أي: فلا يؤخر الله هذا الأحد المتمني؛ لأنه لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها أية كانت، فلا يؤخر نفس هذا القائل؛ لأنها من جملة النفوس؛ التي شملها النفي. انتهى. نقلاً من الخطيب. ﴿إِذَا﴾: ظرف مجرد من الشرطية مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. وقيل: (إذا) شرطية، وجوابها محذوف دل عليه ما قبله. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض. ﴿أَجَلُهَآ﴾: فاعله، و(ها) في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): واو الحال. (الله): مبتدأ. ﴿خَبِيرٌۢ﴾: خبره. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَبِيرٌۢ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: خبير بالذي، أو بشيء تعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملكم، والجملة الاسمية (الله...) إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة. والرابط: الواو، وإعادة الاسم الكريم بلفظه، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

انتهت سورة (المنافقون) شرحاً وإعراباً بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.

 

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (التغابن) مدنية في قول الأكثرين. وقال الضحاك: هي مكية. وقال الكلبي: هي مكية، ومدنية. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن سورة (التغابن) نزلت بمكة، إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي حين شكا إلى رسول الله ﷺ جفاء أهله، وولده، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ كما ستقف عليه، وهي ثماني عشرة آيةً، ومئتان وإحدى وأربعونَ كلمةً، وألف وسبعون حرفاً.

تنبيه: بل فائدة: استنبط بعضهم من قوله تعالى آخر سورة (المنافقون): ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا﴾ عمر النبي ﷺ؛ لأن سورة (المنافقون) رأس ثلاث وستين سورة، وعقبت بالتغابن، إشارة لظهور التغابن بوفاته ﷺ. انتهى. جمل نقلاً من كرخي. وقال القرطبي: وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ «**ما مِنْ مولودٍ يُولَدُ إلا وفي تَشَابيكِ رأسِهِ مكتوبٌ خمسُ آياتٍ من فاتِحةِ سورةِ التَّغَابُنِ**».

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾

الشرح: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾: انظر أول سورة (الجمعة). ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾: يعني: أنه تعالى متصرف في ملكه كيف يشاء، تصرف اختصاص، لا شريك له فيه، وأما ملك غيره؛ فتوكيل منه تعالى للعبد، وأمانة. فطوبى لمن حفظ الأمانة، وقام بحقوقها! ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾: أيضاً الحمد مختص به تعالى؛ لأن أصول النعم، وفروعها منه، وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده. وتقديم الجار والمجرور (له) في الجملتين دلالة على اختصاص الأمرين به تعالى من حيث الحقيقة. هذا؛ واللام مفيدة للملك الحقيقي؛ الذي هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور. وانظر (الحمد) في الآية رقم [٣٦] من سورة (الجاثية). فهو جيد. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ يعني: إنه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، كما يشاء بلا مانع، ولا مدافع؛ لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل على سواء.

الإعراب: ﴿يُسَبِّحُ﴾: فعل مضارع. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. وقيل: اللام صلة، وعليه فلفظ الجلالة مجرور لفظاً، منصوب محلاً. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾، والجملة الفعلية ابتدائية، لا محل لها. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والإعراب مثله. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْمُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الضمير فقط، وجملة ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾: معطوفة عليها فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿وَهُوَ﴾: (الواو): حرف عطف. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه، ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال أيضاً.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن الله خلق بني آدم مؤمناً، وكافراً، ثم يعيدهم كما خلقهم مؤمناً، وكافراً. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً، خلقهم لها؛ وهم في أصلابِ آبائِهِمْ، وخلق للنارِ أهلاً، خلقهم لها؛ وهمْ في أصلاب آبائِهِمْ**». أخرجه مسلم. وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**وَكَّلَ الله بالرحِمِ مَلَكاً فيقولُ: أيْ ربِّ نطفةٌ؛ أي ربِّ علقةٌ؛ أي رَبِّ مضغةٌ، فإذا أرادَ الله أن يَقْضِيَ خَلْقَهَا. قال: يا رَبِّ أذكرٌ أم أنثى، أشقي أمْ سعيدٌ؟ فما الرزقُ؟ فما الأجلُ؟ فيُكْتَبُ ذَلِكَ، وهُوَ في بطنِ أُمِّهِ**».

والذي عليه الجمهور من الأمة: أن الله خلق الكافر، وكفره فعل له، وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له، وكسب، مع أن الله خالق الإيمان، فلكل واحد من الفريقين كسب، واختيار، وكسبه، واختياره بتقدير الله، وبمشيئته، فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان؛ لأن الله أراد ذلك منه، وقدره عليه، وعلمه منه. والكافر بعد خلق الله إياه يختار الكفر؛ لأن الله تعالى قدر ذلك عليه، وعلمه منه، ولا يجوز أن يوجد من كل واحد منهما غير الذي قدر عليه، وعلمه منه. هذا طريق أهل السنة؛ لأن وجود خلاف المقدور عجْزٌ، ووجود خلاف المعلوم جَهْلٌ، ولا يليقان بالله تعالى، وفي هذا سلامة من الجبر، والقَدْر، كما قال الشاعر الحكيم: [السريع]

يَا نَاظِراً فِي الدِّينِ مَا الأمْرُ؟ لا قَدرٌ صَحَّ ولا جَبْرُ

انتهى. قرطبي، وخازن بتصرف كبير. هذا؛ وقدم الكافر على المؤمن لكثرة الكفار وقلة المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ الآية رقم [١٣] من سورة (سبأ)، وقال الرسول

ﷺ: «**ما الإيمانُ بجانب الكفرِ إلا كشامةٍ بيضاءَ في جلدِ ثوْرٍ أسودَ**». وفي رواية: «**أنتمْ في الناسِ كالشعرةِ السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرةِ البيضاءِ في جنب الثورِ الأسودِ**». وانظر سورة (المزمل) رقم [١٨]. وانظر قوله تعالى في سورة (الشورى) رقم [٧]: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾. هذا؛ وقد قال الزمخشري في تفسير الآية: يعني: فمنكم آتٍ بالكفر وفاعل له، ومنكم آتٍ بالإيمان، وفاعل له. وقد رد أحمد محشي الكشاف أقبح رد، وأشنعه.

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿خَلَقَكُمْ﴾: فعل ماض، والكاف في محل نصب مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿فَمِنكُمْ﴾: (الفاء): حرف عطف. (منكم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿كَافِرٌ﴾: مبتدأ مؤخر، ولا أعتمده، وإنما أعتمد ما ذكرته في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ سورة (الحديد) رقم [٢٦]، والجملة الاسمية معطوفة على جملة الصلة، أو على الجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: انظر مثل هذه الجملة في الآية الأخيرة من سورة (المنافقون): ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾

الشرح: ﴿خَلَقَ﴾: أنشأ، وأوجد. والفرق بين خلق، وجعل الذي له مفعول واحد: أن الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التضمين، ولذا عبر سبحانه في كثير من الآيات عن إحداث النور، والظلمات بالجعل، فقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ تنبيهاً على أنهما لا يقومان بأنفسهما، كما زعمت المجوس، بخلاف الخلق؛ لأن فيه معنى الإيجاد، والإنشاء، ولذا عبر سبحانه في كثير من الآيات عن إيجاد السموات، والأرض بالخلق. وخصهما ـ جلت قدرته ـ بالذكر هنا وفي كثير من الآيات؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد. وجمع السموات دون الأرض، وهي مثلهن؛ لأن طبقاتها مختلفة بالذات، متفاوتة بالصفات، والآثار والحركات. وقدمها لشرفها، وعلو مكانها، وتقدم وجودها، ولأنها متعبد الملائكة، ولم يقع فيها معصية كما في الأرض. وأيضاً لأنها بمنزلة الذكر، فنزول المطر من السماء على الأرض كنزول المني من الذكر في المرأة؛ لأنَّ الأرض تنبت، وتخضر بالمطر.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل، والقسط، محقاً غير قاصد به باطلاً، فإن المقصود من خلقهما إفاضة الخير على العباد، والدلالة على ذاته، وصفاته. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: بأن خلقكم منتصبي القامة، بادي البشرة، متناسبي الأعضاء، والتخطيطات، متهيئين لمزاولة الصنائع، واكتساب

الكمالات، فشكل ابن آدم أحسن الأشكال، بدليل: أن الإنسان لا يتمنى أن يكون على صورة من سائر الصور غير صورة البشر. ومن حسن صورته أن خلقه منتصباً غير منقلب على وجهه. فإن قيل: قد يوجد كثير من الناس مشوه الخلقة، مسمج الصورة. أجيب بأن صورة البشر من حيث هي أحسن سائر الصور، والسماجة، والتشوه، إنما هو بالنسبة لصورة أخرى أحسن منها، فلو قابلت بين الصورة المشوهة، وبين صورة الفرس، أو غيره من الحيوانات، لرأيت صورة البشر المشوهة أحسن. انتهى. جمل نقلاً من الخطيب. قال الزمخشري: لم يخلق الله حيواناً أحسن صورة من الإنسان. انتهى. وصدق الله إذ يقول في سورة (التين): ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع، والمآب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فأحسنوا سرائركم، كما أحسن الله صوركم، وأحسنوا أعمالكم، كما أحسن الله أشكالكم.

الإعراب: ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله) تقديره: «هو». ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر. ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (صوركم): فعل ماض، والفاعل يعود إلى الله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿فَأَحْسَنَ﴾: الفاء: حرف عطف. (أحسن): فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله) أيضاً، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. (إليه): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من الفاعل المستتر؛ فالمعنى لا يأباه، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

الشرح: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: كل واحدة من هذه الثلاث أخص مما قبلها، وجمع بينها إشارة إلى أن علمه تعالى محيط بالجزئيات، والكليات، لا يعزب عنه شيء من الأشياء. انتهى. جمل.

وقال النسفي: نبه بعلمه ما في السموات، والأرض، ثم بعلمه بما يُسِرُّه العباد ويعلنونه، ثم بعلمه بذات الصدور: أن شيئاً من الكليات والجزئيات غير خاف عليه، فحقه أن يتقى، ويحذر، ولا يُجترأ على شيء مما يخالف رضاه، وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد، وكل ما ذكره بعد

قوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في معنى الوعيد على الكفر، وإنكار أن يعصى الخالق، ولا تشكر نعمته. انتهى.

هذا؛ و﴿تُسِرُّونَ﴾: تخفون، و﴿تُعْلِنُونَ﴾: تجهرون، والعلن، والإعلان، والعلانية: الجهر، وقال الشاعر: [البسيط]

لا تَـظْـلِـمُـوا مِـسْـوَراً فـإنَّـهُ لَـكُـمُ مِـنَ الَّـذِيـنَ وَفَـوْا بـالـسِّـرِّ والـعَـلَـنِ

ومعنى: ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: عالم بما في الصدور من الأسرار، والخفايا، فكيف تخفى عليه أعمال العباد الظاهرة؟! وانظر شرح (ذات) في الآية رقم [١٣] من سورة (الملك).

الإعراب: ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله) تقديره: «هو»، والجملة الفعلية مستأنفة، أو في محل نصب حال من الضمير المستتر في الأفعال السابقة، فالمعنى يؤيده، ولا يأباه، ويكون الرابط: الضمير فقط. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه إفراداً وجملاً. ﴿وَاللَّهُ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِذَاتِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾، و(ذات) مضاف، و﴿الصُّدُورِ﴾ مضاف إليه.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾: خطاب لأهل مكة، والاستفهام للتوبيخ والتقرير. ﴿نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾: يعني: قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط. ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: انظر الآية رقم [١٥] من سورة (الحشر). ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الآخرة.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: (الهمزة): حرف استفهام، وتوبيخ، وتأنيب. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَأْتِكُمْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والكاف مفعول به، ﴿نَبَؤُا﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(من) بيان لما أبهم في الموصول، وبني (قبل) على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنىً. ﴿فَذَاقُوا﴾: (الفاء): حرف عطف. (ذاقوا): ماض، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. ﴿وَبَالَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أَمْرِهِمْ﴾

مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَهُمْ﴾: (الواو): حرف عطف. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة ﴿عَذَابٌ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما ذكر من الوبال؛ الذي ذاقوه في الدنيا، وما أعد لهم من العذاب في الآخرة. ﴿بِأَنَّهُۥ﴾: بسبب أن الشأن والحال. ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات الباهرات، والحجج الدامغات. ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾: أنكروا أن يكون الرسول بشراً، وذلك لقلة عقولهم، وسخافة أحلامهم، ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجراً. ﴿فَكَفَرُوا۟﴾: بالله ورسله، وهو كما قالت ثمود: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [٢٤] من سورة (القمر). هذا؛ وأريد بقوله: (بشر) الجنس؛ فلذا صح الجمع في قولهم: ﴿يَهْدُونَنَا﴾ ولم يقولوا: يهدينا الذي هو مقتضى الظاهر.

﴿فَكَفَرُوا۟﴾ أي: جحدوا، وأنكروا رسالة الرسل، وهو فحوى ما قبله. ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾: أعرضوا عن الإيمان بالله ورسله، وهو توكيد لكفرهم بالله، ورسله. ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ أي: عن إيمانهم وعبادتهم، كيف لا؟ وقد قال تعالى في الحديث القدسي؛ الذي رواه أبو ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ عن رب العزة: «**يا عِبادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وآخِرَكُمْ، وإنسَكُمْ، وجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قلبِ رَجُلٍ واحدٍ مِنْكُمْ؛ ما زَادَ ذَلِكَ في مُلْكِي شيئاً! يا عبادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وآخِرَكُمْ، وإنسَكُمْ، وجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أفجرِ قلبِ رجُلٍ واحدٍ ما نَقصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شيئاً**».

هذا؛ ومقتضى عطف: ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ على ما قبله أن يكون غناه تعالى متأخراً، ومسبباً عن مجيء الرسل إليهم، مع أنَّ غناه تعالى أزلي. والجواب عن هذا أن يسلك التأويل في المعطوف، فيقال: ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ أي: أظهر غناه عن إيمانهم، حيث لم يلجئهم، ولم يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك. وقال الزمخشري: أي: أظهر غناه، فالسين ليست للطلب. انتهى. جمل نقلاً من هنا وهناك.

﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾: انظر سورة (الممتحنة) رقم [٦]. تأمل وتدبر، وربك أعلم وأجل وأكرم.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿بِأَنَّهُۥ﴾: (الباء): حرف جر. (أنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿كَانَت﴾: فعل ماض ناقص، والتاء للتأنيث. ﴿تَّأْتِيهِمْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء مفعول به.

﴿رُسُلُهُم﴾: تنازعه كل من ﴿كَانَت﴾ و﴿تَّأْتِيهِمْ﴾ فالأول يطلبه اسماً له، والثاني يطلبه فاعلاً، والأول أولى عند الكوفيين لسبقه، والثاني أولى عند البصريين لقربه، ويجب الإضمار في أحد الفعلين كما قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

إنْ عامِلانِ اقْتَضَيَا في اسْمٍ عَمَلْ قَبْلُ فَلِلْواحِدِ مِنْهُمَا العَمَلْ
والثاني أوْلَى عندَ أهلِ البَصْرَهْ واختارَ عكْساً غيرهُمْ ذَا أسْرَهْ
وأعملِ المهْمَلَ في ضميرِ مَا تَنَازَعَاهُ والتَزِمْ مَا الْتُزِمَا

وجملة: ﴿تَّأْتِيهِمْ...﴾ إلخ في محل نصب خبر ﴿كَانَت﴾. ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿كَانَت...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، وفيها معنى التعليل لإذاقتهم الوبال، لا محل لها. ﴿فَقَالُوا﴾: (الفاء): حرف عطف. (قالوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَبَشَرٌ﴾: (الهمزة): حرف استفهام، وإنكار. (بشر): فاعل لفعل محذوف، يفسره المذكور بعده، فهو من باب الاشتغال، أو هو مبتدأ، سوغ الابتداء به تقدم الاستفهام عليه، والأول أرجح. قاله ابن هشام. ﴿يَهْدُونَنَا﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية مفسرة لا محل لها على الاشتغال، أو هي في محل رفع خبر (بشر) على اعتباره مبتدأ، والجملة الفعلية على الوجهين في محل نصب مقول القول، وجملة: (قالوا...) إلخ معطوفة على جملة: ﴿كَانَت...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها.

(كفروا): ماض، وفاعله، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (قالوا...) إلخ.

﴿وَتَوَلَّوا﴾: الواو: حرف عطف. (تولوا): فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ التي هي فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، كما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وأيضاً ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ معطوفة، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ مستأنفة، لا محل لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من لفظ الجلالة، فلست مفنداً، وتكون حالاً مؤكدة، والرابط: الواو، وإعادة لفظ الاسم الكريم بلفظه.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ أي: ادَّعَوْا باطلاً: أنهم لا يبعثون بعد موتهم، والمراد: كفار مكة جميعهم. وقيل: نزلت في العاص بن وائل السهمي مع خباب بن الأرت

ـ رضي الله عنه ـ حسب ما تقدم بيانه في سورة (مريم) رقم [٧٧] وما بعدها، ثم عمت كل كافر. ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾: هذه هي الآية الثالثة؛ التي أُمر رسول الله ﷺ أن يقسم بربه على وقوع المعاد، فالأولى في سورة (يونس) رقم [٥٣]: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾، والثانية: في سورة (سبأ) رقم [٣]: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، والثالثة: هي التي بين أيدينا الآن. وانظر شرح ﴿زَعَمَ﴾ في الآية رقم [٦] من سورة (الجمعة).

﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ أي: لتخبرن بجميع أعمالكم، جليلها، وحقيرها. صغيرها، وكبيرها. ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: سهل هين، والإشارة إلى البعث من القبور، وإخبار الكافرين بأعمالهم التي عملوها في الدنيا. وانظر الحديث القدسي في آخر سورة (المنافقون)، واليمين على شيء أنكروه جائز؛ لأن التهديد به أعظم وقعاً في القلب فكأنه قيل لهم: ما تنكروه كائن لا محالة. هذا؛ وأصل ﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾: تُبْعَثُون، فلما أكد بنون التوكيد؛ صار: «لتبعثونَنَّ» فحذفت النون لتوالي الأمثال، فصار: «لتبعثونَّ» فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمة على الثاء لتدل على الواو المحذوفة، فصار ﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾.

الإعراب: ﴿زَعَمَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿كَفَرُوٓا۟﴾: مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿أَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمه ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه. ﴿لَّن يُبْعَثُوا۟﴾: فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: ﴿لَّن﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿أَن﴾ المخففة من الثقيلة، و﴿أَن﴾ واسمها المحذوف وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولَيْ ﴿زَعَمَ﴾، والجملة مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله تقديره: «أنت»، ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب في محل نصب مقول القول، وبعده جملة محذوفة يدل عليها ما قبلها وما بعدها. ﴿وَرَبِّي﴾: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾: (اللام): واقعة في جواب القسم. (تبعثن): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة، المدلول عليها بالضمة نائب فاعله، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، وجملة: ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارق، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما مفعوله الثاني، والأول واو الجماعة؛ التي صارت نائب فاعل، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة،

والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء عملتموه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: ثم لتنبؤن بعملكم.

﴿وَذَٰلِكَ﴾: (الواو): واو الحال. (ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿يَسِيرٌ﴾ بعدهما.

﴿يَسِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من معنى الكلام السابق، والرابط: الواو واسم الإشارة، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾

الشرح: لما بين الله حال الأمم الماضية المكذبة، وما استحقت من العقاب والعذاب. قال تعالى: آمنوا أنتم أيها المؤمنون بالله ورسوله، لئلا ينزل بكم ما أنزل بهم من العقوبة والعذاب. ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾: يعني القرآن؛ لأنه يبين حقيقة كل شيء، فيهتدى به، كما يهتدى بالنور، وذلك بطريق الاستعارة؛ فإن القرآن يزيل الشبهات، كما يزيل النور الظلمات. وقيل: الخطاب لأهل مكة. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: انظر مثل هذه الجملة في الآية رقم [٢] وآخر سورة (المنافقون) ففيهما الكفاية.

الإعراب: ﴿فَـَٔامِنُواْ﴾: (الفاء): هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: إذا كان الأمر كما ذكر، فآمنوا. (آمنوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر بـ: «إذا». ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: الواو: حرف عطف. (رسوله): معطوف على لفظ الجلالة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱلنُّورِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة (النور). ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: الذي أنزلناه. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: استئنافية، أو حالية. (الله): مبتدأ. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بخبير بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية على مثال ما سبق، وجملة: ﴿تَعْمَلُونَ﴾: صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء تعملونه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بعملكم. ﴿خَبِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، واعتبارها حالاً من واو الجماعة لا بأس به، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ أي: لأجل ما فيه من الحساب، والجزاء. وسمي بذلك؛ لأن الله تعالى يجمع فيه بين الأولين والآخرين، من الإنس والجن، وجميع أهل السماء وأهل الأرض، وبين كل عبد وعمله، وبين الظالم والمظلوم، وبين كل نبي وأمته، وبين ثواب أهل الطاعة، وعقاب أهل المعصية. انتهى. جمل نقلاً من الخطيب. قال تعالى في سورة (هود) على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام رقم [١٠٣]: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾، وقال تعالى في سورة (الواقعة): ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾، وقال في سورة (الشورى) رقم [٧]: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ أي: يوم القيامة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو اسم من أسماء يوم القيامة، وذلك: أن أهل الجنة يغبنون أهل النار. وقال مقاتل بن حيان ـ رحمه الله تعالى ـ: لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء الجنة، ويذهب بأولئك إلى النار. هذا؛ وقال الزمخشري: التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة. وهو أن يغبن بعضهم بعضاً؛ لنزول السعداء منازل الأشقياء؛ التي كانوا ينزلونها؛ لو كانوا سعداء، ونزول الأشقياء منازل السعداء؛ التي كانوا ينزلونها؛ لو كانوا أشقياء. انتهى.

وقال الخازن: وأصل الغبن في البيع والشراء. وقد ذكر الله في حق الكافرين: أنهم خسروا، وغبنوا في شرائهم، فقال تعالى: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ رقم [١٧٥] من سورة (البقرة)، وقال في حق المؤمنين: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ رقم [١٠] من سورة (الصف)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ رقم [١١١] من سورة (التوبة) وكله من باب الاستعارة، وخذ قول الشاعر: [الطويل]

وَمَا أَرْتَجِي بِالعَيْشِ فِي دارِ فُرْقَةٍ ... ألا إنَّما الرَّاحَاتُ يَوْمَ التَّغَابُنِ

ورحم الله عبد الرحمن بن حسان ـ رضي الله عنهما ـ إذ يقول: [الوافر]

ألا أَبْلِغْ مُعَاوِيَةَ بنَ حَرْبٍ ... أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ثَنَا كَلامِي

بِأَنَّا صَابِرُونَ ومُنْظِرُوكُمْ ... إلى يَوْمِ التَّغَابُنِ والخِصَامِ

وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقي هو التغابن في أمور الآخرة لعظمها، ودوامها. وقال الحسن، وقتادة ـ رحمهما الله تعالى ـ: بلغنا: أن التغابن في ثلاثة أصناف: رجل علم علماً فعلمه، وضيعه هو، ولم يعمل به، فشقي به، وعمل به

من تعلمه منه، فنجا به. ورجل اكتسب مالاً من وجوه يُسأل عنها، وشح عليه، وفرّط في طاعة ربه بسببه، ولم يعمل فيه خيراً، وتركه لوارث لا حساب عليه فيه، فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه. ورجل كان له عبد، فعمل العبد بطاعة ربه فسعد، وعمل السيد بمعصية ربه، فشقي.

وروي عن النبي ﷺ: أنه قال: «**إن الله تعالى يقيمُ الرَّجل والمرأةَ يوم القيامة بين يديْه، فيقول الله تعالى لهما: قولا! فما أنتما بقائلين؟ فيقول الرجل: يا ربّ أوجبتَ نفقتها عليَّ، فتعسَّفْتُها من حلالٍ وحرام، وهؤلاء الخصومُ يطلبونَ ذلك، ولَمْ يَبْقَ لي ما أُوفي به! فتقولُ المرأةُ: يا رَبِّ وما عسَى أن أقولَ: اكتسبَهُ حراماً، وأكلْتُهُ حلالاً، وعصاكَ في مرضاتِي ولم أرضَ لهُ بذلك، فبعداً له، وسحقاً. فيقول الله تعالى: قد صدقتِ، فيؤمر به إلى النار، ويؤمر بها الجنة، فتطلع عليه من طبقات الجنة، وتقول له: غبناك! غبناك! سعدنا بما شقيت أنت به! فذلك يوم التغابن**». انتهى. قرطبي.

أقول: وهذا إن كانت صالحة لم تكلفه ما لا يطيق، وأما إن كانت فاسدة فمطالبها لا تنتهي، وتعيره بالفقر، وتذكر له دائماً حال فلانة، وفلانة، وما هن عليه من الرفاهية، وما هي عليه من سوء الحال. وهذا حال نساء هذا الزمن، فإنها تدخل جهنم قبله، وتنطبق عليها الآية رقم [١٤].

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: ما أعظم هذه المقابلة بين جزاء المؤمنين في هذه الآية، وجزاء الكافرين في الآية التالية! هذا؛ وفي عطف العمل الصالح على الإيمان في الآية الكريمة وغيرها إيحاء، بل تصريح بأن العمل قرين الإيمان، وقد لا يجدي الإيمان بلا عمل، وهو ما أفاده قول الرسول ﷺ: «**الإيمانُ والعملُ قرينان، لا يَقْبَلُ الله أحدَهُمَا بدونِ صَاحِبِهِ**». كما أن الإيمان مشروط لقبول العمل الصالح، وهو كثير جداً في الآيات القرآنية. وهذا يسمى في فن البديع احتراساً.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾، أو متعلق بـ: ﴿خَبِيرٌ﴾، أو هو متعلق بـ: «اذكروا» محذوفاً، أو هو مفعول به لهذا المحذوف.

﴿يَجْمَعُكُمْ﴾: فعل مضارع، والكاف مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله، ويقرأ بنون المضارعة، وعليه فالفعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿لِيَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(يوم) مضاف، و﴿ٱلْجَمْعِ﴾: مضاف إليه. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يَوْمُ﴾: خبره، و﴿يَوْمُ﴾ مضاف، و﴿ٱلتَّغَابُنِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب حال من (يوم الجمع) والرابط: اسم الإشارة فقط، وإن اعتبرتها مستأنفة؛ فلا محل لها.

﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف. (من): اسم شرط مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُؤْمِنۢ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو».

﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَيَعۡمَلۡ﴾: (الواو): حرف عطف. (يعمل): معطوف على ما قبله، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿صَٰلِحٗا﴾: مفعول به، أو هو صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: يعمل عملاً صالحاً. ﴿يُكَفِّرۡ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، والفاعل يعود إلى (الله) تقديره: «هو»، ويقرأ بنون المضارعة، وعليه فالفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء ولا بـ: «إذا» الفجائية.

﴿عَنۡهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وخبر المبتدأ الذي هو: (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة: (من يؤمن...) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَيُدۡخِلۡهُ﴾: (الواو): حرف عطف. (يدخله): معطوف على جواب الشرط، وفاعله تقديره: «هو»، ويقرأ بنون المضارعة، وعليه فالفاعل تقديره: «نحن»، والهاء مفعوله الأول.

﴿جَنَّٰتٖ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿تَجۡرِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: فاعل ﴿تَجۡرِي﴾، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿جَنَّٰتٖ﴾. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من فاعل الأفعال السابقة، العائد إلى (من)، وقد روعي لفظها في ضمير الأفعال، ومعناها في ضمير الحال، كما هو ظاهر. ﴿فِيهَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿أَبَدٗاۚ﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ أيضاً. ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾: خبره. ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾: صفة ﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾، والجملة الاسمية لا محل لها.

تنبيه: الفعل: (يعمل) يجوز في العربية جزمه بالعطف على فعل الشرط، ونصبه بـ: «أن» مضمرة بعد الواو على اعتبارها للمعية، والفعل: (يدخله) يجوز في العربية جزمه بالعطف على جواب الشرط، ونصبه بعد الواو على اعتبارها للمعية، ورفعه على الاستئناف على اعتبار الواو للاستئناف. وهذه القاعدة قررها ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

والفِعْلُ مِنْ بعدِ الجَزَا إنْ يَقْتَرِنْ ... بالفَا أَوِ الواوِ بِتَثْلِيثٍ قَمِنْ

وجَزْمٌ أوْ نَصْبٌ لِفِعْلٍ إثْر فَا ... أَوْ واوٍ إنْ بالجملتينِ اكْتُنِفَا

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٠﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: بقلوبهم. ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ أي: بألسنتهم. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: بآيات القرآن؛ التي أنزلها الله على رسول الله ﷺ، فقد عطف سبحانه التكذيب بآياته على الكفر؛ وهو

ضرب منه؛ لأن القصد بيان حال المكذبين، وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعاً بين الترغيب، والترهيب. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: انظر شرح ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ في الآية رقم [٩١] من سورة (الواقعة). هذا؛ وقد جعل الكفار أصحاب النار بمعنى: مالكيها لملازمتهم لها، وعدم انفكاكهم عنها، وقل مثله في أصحاب الجنة. ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: بئس المقر، والمرجع، والمآب نار جهنم لمن دخلها! والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع، والمآب.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: (الواو): حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، والتي بعدها معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿أَصۡحَٰبُ﴾: خبر المبتدأ، و﴿أَصۡحَٰبُ﴾ مضاف. ﴿ٱلنَّارِ﴾: مضاف إليه من إضافة جمع اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (الذين...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين من الاسم المفرد. ﴿وَبِئۡسَ﴾: الواو: استئنافية. (بئس): فعل ماض جامد لإنشاء الذم. ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾: فاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف، التقدير: وبئس المصير المذمومة النار، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾: انظر الآية رقم [٢٢] من سورة (الحديد) ففيها الكفاية. ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: بإرادته، وقضائه، وعلمه، ومشيئته، كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه. ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ أي: يصدّق: أنه لا يصيبه مصيبة من موت، أو مرض، أو ذهاب مال، ونحو ذلك إلا بقضاء الله، وقدره، وإذنه. ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ أي: يوفقه لليقين؛ حتى يعلم: أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه؛ لم يكن ليصيبه. فيسلم لقضاء الله تعالى، وقدره. وقيل: يهد قلبه للاسترجاع عند المصيبة، حتى يقول: إنا لله، وإنا إليه راجعون، أو يشرحه للازدياد من الطاعة، والخير. وعن مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: إن ابْتُلِيَ صبرَ، وإن أُعْطِيَ شكرَ، وإنْ ظُلِمَ غفرَ.

وقيل: سبب نزول الآية الكريمة: أن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقاً؛ لصانهم الله من المصائب في الدنيا، فبين الله تعالى أن ما أصاب من مصيبة في نفس، أو مال، أو قول، أو فعل يقتضي هماً، أو يوجب عقاباً، عاجلاً، أو آجلاً، فبعلم الله، وقضائه، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾: لا يخفى عليه تسليم مَن انقاد وسلّم لأمره، ولا كراهة مَنْ كرهه.

هذا؛ ويقرأ: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ وهي قراءة العامة، وقرئ: (يُهْدَ قلبُه) بالبناء للمجهول، ورفع (قلبُه)، وقرئ (نهد قلبه)، وقرئ: (يهدأ قلبه) والقراءات الثلاث فوق السبعة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَصَابَ﴾: فعل ماض. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿مُّصِيبَةٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والمفعول محذوف، التقدير: ما أصاب مصيبة أحدكم، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِإِذْنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، التقدير: ما أصاب أحدكم مصيبة في حال من الأحوال؛ إلا كائنة بإذن، و(إذن) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُؤْمِنۢ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿يَهْدِ﴾: فعل مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿قَلْبَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والإعراب واضح على القراءات الأُخر، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء ولا بـ: «إذا» الفجائية، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٩]. والجملة الاسمية: (من يؤمن...) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بـ: ﴿عَلِيمٌ﴾ بعدهما. و(كل): مضاف. ﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: فيما أمر به، وفيما نهى عنه. ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ﴾: في العمل بسنته، والاهتداء بهديه، والاقتداء به، وينبغي أن يكون ذلك في جميع الأوقات، ولا تشغلكم المصائب عن الاشتغال بطاعة الله، وطاعة رسوله، والعمل بكتاب الله، وبسنة رسوله، وقد يقال: كيف يستمر العبد على طاعة الله، وطاعة رسوله حال المصيبة؛ وهي مما يصعب على العبد دفعه؟ والجواب: بأن الإيمان بالوحدانية، وبأن الكل من عند الله يقتضي التوكل عليه في دفع المضار والمصائب، وهو ما تفيده الآية الكريمة التالية. ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: أعرضتم عن الإيمان بالله، وطاعته، وطاعة رسوله فإن ذلك يعود عليكم بالضرر، والأذى، ولا يضر الله، ورسوله شيئاً، والرسول لم يكلف إلا تبليغكم ما أنزل إليه من ربه، وإعراضكم عنه لا يضره شيئاً، وفي سورة (المائدة) رقم [٩٢] قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

هذا؛ وفي القرطبي قوله: وفي حديث النبي ﷺ قال: «**مَنْ فَرَّقَ بينَ ثلاثٍ فرقَ اللهُ بَيْنَهُ وبين رحْمَتِهِ يَوْمَ القيامَةِ، مَنْ قال: أَطِيعُ الله، ولا أطيعُ الرسولَ، والله يقول:** ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾، **ومن قال: أقيم الصلاة، ولا أوتي الزكاة، والله تعالى يقول:** ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، **ومن فرق بين شكر الله، وشكر والديه، والله عز وجل يقول:** ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾».

الإعراب: ﴿وَأَطِيعُوا۟﴾: (الواو): حرف استئناف. (أطيعوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، والتي بعدها معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿فَإِن﴾: (الفاء): حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط. والتاء فاعله، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فلا ضرر، ولا بأس على رسولنا في توليكم عن طاعتنا وطاعته. ﴿فَإِنَّمَا﴾: (الفاء): حرف تعليل. (إنما): كافة ومكفوفة. ﴿عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. و(نا): في محل جر بالإضافة، والتقديم يفيد الحصر. ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: صفة ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾ والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وهي مفيدة للتعليل.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: المعنى: لا معبود إلا الله، ولا خالق ولا رازق غيره، فعليه توكلوا في جميع أموركم، وحركاتكم، وسكناتكم وإليه الجؤوا في جميع شؤونكم.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، وجملة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٢٢] من سورة (الحشر). ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ انظر ما ذكرته بشأن هذه الجملة في الآية رقم [١٠] من سورة (المجادلة) ففيها الكفاية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت هذه الآية في المدينة المنورة في عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ شكا إلى النبي ﷺ جفاء أهله، وولده. فنزلت. وأخرج ابن جرير الطبري عن عطاء بن يسار؛ قال: نزلت سورة (التغابن) كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ...﴾ إلخ نزلت في عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ كان ذا أهل، وولد، وكان إذا أراد الغزو؛ بكوْا إليه، ورققوه، فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق، ويقيم.

وأخرج الترمذي، والحاكم، وصححاه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم، وأولادهم أن يدعوهم أن يذهبوا إلى المدينة أولاً، فلما أتوا النبي ﷺ فيما بعد رأوُا الناس قد فقهوا في الدين، فهموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ...﴾ إلخ. انتهى. قرطبي، وأسباب النزول للسيوطي بتصرف.

قال القاضي أبو بكر بن العربي ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا يبين وجه العداوة، فإن العدو لم يكن عدواً لذاته، وإنما كان عدواً بفعله، فإذا فعل الزوج، والولد فعل العدو؛ كان عدواً، ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد، وبين طاعة ربه. وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الشيطانَ قعدَ لابنِ آدمَ في طريقِ الإيمانِ، فقال لَهُ: أتؤمِنُ وتَذَرُ دِينَكَ، ودينَ آبائك؟ فخالفه، فآمن. ثم قعد له على طريق الهجرة، فقال له: أتهاجر، وتترك مالك وأهلك؟ فخالفه، فهاجر. ثم قعد له على طريق الجهاد، فقال له: أتجاهدُ، فتُقْتَلَ نفسُك، فتنكحَ نساؤك، ويُقسم مالك؟ فخالفه، فجاهد، فقُتِلَ، فحقٌّ على الله أَنْ يُدخِلَهُ الجنة**». وقعود الشيطان يكون بوجهين: أحدهما: يكون بالوسوسة، والثاني: بأن يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب. قال الله تعالى: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ رقم [٢٥] من سورة (فصلت) انظر شرحها هناك.

وقال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: ما عادوْهم في الدنيا، ولكن حملتهم مودتهم على أن أخذوا لهم الحرام، فأعطوهم إياه. والآية عامة في كل معصية يرتكبها الإنسان بسبب الأهل والولد. وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم. وينبغي أن تعلم كما أن الرجل يكون له ولده وزوجه عدواً، كذلك المرأة يكون لها زوجها وولدها عدواً بهذا المعنى بعينه، وعموم قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾ يدخل فيه الذكر والأنثى لدخولهما في كل آية. والله أعلم. انتهى. قرطبي بتصرف كبير.

هذا؛ وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ هذا نداء من الله تعالى للمؤمنين بأكرم وصف، وألطف عبارة؛ أي: يا من صدقتم بالله، ورسوله، وتحليتم بالإيمان الذي هو زينة الإنسان. ﴿فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ أي: كونوا على حذر من شرهم، وغوائلهم، وفتنتهم. ﴿وَإِن تَعۡفُواْ﴾: عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة، ولم تقابلوهم بمثلها. ﴿وَتَصۡفَحُواْ﴾: تعرضوا عن توبيخهم. ﴿وَتَغۡفِرُواْ﴾: تتجاوزوا عن ذنوبهم، وتستروا عيوبهم. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾: يغفر لكم ذنوبكم، ويرحمكم برحمته الواسعة.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (أيها): منادى نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها): حرف تنبيه لا محل له، أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه، ولا يجوز اعتبار الهاء ضميراً في محل جر بالإضافة؛ لأنه حينئذ يجب نصب المنادى. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدلاً من لفظ (أيها). ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) تقدم على اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة. (أولادكم): معطوف على ما قبله. ﴿عَدُوًّا﴾: اسم (إنَّ) مؤخر. ﴿لَّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿عَدُوًّا﴾، أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها.

﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾: (الفاء): هي الفصيحة. (احذروهم): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كانوا كذلك فاحذروهم، والجملة الشرطية هذه معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿وَإِن﴾: (الواو): حرف عطف. (إنْ) حرف شرط جازم. ﴿تَعْفُواْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. وجملة: ﴿وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ﴾ معطوفتان عليها، لا محل لهما مثلها، وإعرابهما مثلها. ﴿فَإِنَّ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: خبران لها، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور. والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: ابتلاء، واختبار، وشغل عن الآخرة، وقد يقع الإنسان بسببهم في العظائم، ومنع الحق، وتناول الحرام، وغصب مال الغير، ونحو ذلك من أكل الربا، وأكل مال... إلخ، ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: الجنة. والمعنى: لا تباشروا المعاصي بسبب أولادكم، ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر العظيم. قال بعضهم: لما ذكر الله العداوة؛ أدخل (مِنْ) للتبعيض، فقال: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ لأنهم كلهم ليسوا بأعداء، ولم يذكر في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأنهم لم يخلوا عن

الفتنة، واشتغال القلب بهم، وكان عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول: لا يقولنَّ أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى أهل ومال وولد إلا يشتمل على فتنة، ولكن لِيقلْ: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن.

عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يخطبنا، فجاء الحسن، والحسين، وعليهما قميصان أحمران يمشيان، ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر، فحملهما، فوضعهما بين يديه، ثم قال «**صدق الله**: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ **نظرت إلى هذين الصبيين، يمشيان، ويعثران، فلم أصبر حتَّى قطعت حديثي، ورفعتهما**» أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. انتهى. خازن.

تنبيه: في الآية الكريمة تحذير من حب المال، والولد، وتفضيلهما على طاعة الله، ورسوله، فيجب على العاقل أن يحذر من المضارِّ المتولدة من حبهما؛ لأن ذلك يشغل القلب، ويصيره محجوباً عن خدمة المولى، وهذا من أعظم الفتن. وروى البغوي بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن النبي ﷺ أُتِيَ بصبي، فقبله، وقال: «**أما إنهم مبخلة، وإنهم لمن ريحان الله**». وأخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ قال: زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم. قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم وهو محتضِنٌ أحدَ بنيْ بنتِهِ، وهو يقول: «**إنكم لَتُبخِّلون، وتُجَبِّنون، وتُجَهِّلون، وإنكم لَمِنْ ريحان الله**». قال الترمذي: لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعاً عن خولة، ومعنى: لَمِنْ ريحان الله: لمن رزق الله. الحديث رقم [١٩١١] في كتاب البر والصلة.

الإعراب: ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أَمْوَٰلُكُمْ﴾: مبتدأ. ﴿وَأَوْلَٰدُكُمْ﴾: معطوف عليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فِتْنَةٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: (الواو): حرف عطف. (الله): مبتدأ. ﴿عِندَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَجْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ وإن اعتبرت الظرف متعلقاً بمحذوف خبر لفظ الجلالة، فـ: ﴿أَجْرٌ﴾ فاعل به؛ أي: بمتعلقه، وهو سائغ لا غبار عليه. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، واعتبارها حالاً ضعيف. وقيل: مستأنفة.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾: ذهب جماعة من المفسرين إلى أن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ رقم [١٠٢] من سورة (آل عمران). قال سعيد بن جبير ـ رضي الله

عنه ـ: لما نزلت أية (آل عمران) اشتد على القوم العمل، فقاموا؛ حتى ورمت عراقيبهم، وتقرحت جباههم، فأنزل الله هذه الآية تخفيفاً على المسلمين. فنسخت آية (آل عمران) والمعنى: ابذلوا أيها المؤمنون في طاعة الله جهدكم، وطاقتكم، ولا تكلفوا أنفسكم ما لا تطيقون. قال المفسرون: هذا في المأمورات، وفضائل الأعمال يأتي الإنسان منها بقدر طاقته، وأما في المحظورات؛ فلا بد من اجتنابها بالكلية، ويدل عليه ما روي عن النبي ﷺ: أنه قال: «**إذَا أمرتكمْ بِأمْرٍ؛ فائْتُوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ، وما نهيْتكُمْ عَنْهُ؛ فاجْتَنِبُوه**». أخرجه الشيخان.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن آية (آل عمران) لم تنسخ، ولكن حق تقاته أن يجاهدوا لله حق جهاده، ولا يأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط، ولو على أنفسهم، وآبائهم، وأبنائهم.

﴿وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ أي: اسمعوا ما توعظون به، وأطيعوا فيما تؤمرون به، وتُنْهَوْنَ عنه، وهما يشملان كل ما ورد في كتاب الله، وما روي عن رسول الله ﷺ من أوامر، ومناهٍ، وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: عليهما بويع النبي ﷺ؛ أي: على السمع، والطاعة. أقول: هما للنبي ﷺ في حياته، ثم لأولي الأمر من بعده؛ إن هم اتقوا الله، وأطاعوه، وأطاعوا رسوله. قال تعالى في سورة (النساء) رقم [٥٩]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾: الإنفاق المأمور به يشمل: الواجب من زكاة، ونذور، وكفارات، والتطوع، والتبرع في وجوه الخير ابتغاء مرضاة الله. وقال الحسن: هو نفقة الرجل لنفسه. قال ابن العربي: وإنما أوقع قائل هذا قولُه: ﴿لِّأَنفُسِكُمْ﴾ وخفي عليه أن نفقة النفل، والفرض في الصدقة هي نفقة الرجل على نفسه. قال تعالى في سورة (الإسراء) رقم [٧]: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ وكل ما يفعله الرجل من خير؛ فإنما هو لنفسه. والصحيح: أنها عامة. وروي عن النبي ﷺ: أنه قال له رجلٌ: عندي دينارٌ. قال: «**أنفقهُ على نَفْسِكَ**». قال: عندي آخر. قال: «**أنفقْهُ على زوجتك**». قال: عندي آخر. قالَ: «**أنفقْهُ على ولدِكَ**». قال: عندي آخر. قال: «**أنفقْهُ على خادِمِك**. قال: عندي آخر. قالَ: «**أنتَ أبصرُ به**». وفي رواية قال: «**تصدق به**». رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، فبدأ بالنفس، ثم بالأهل، ثم بالولد، وجعل الصدقة بعد ذلك، وهو الأصل في الشرع. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ...﴾ إلخ: انظر رقم [٩] من سورة (الحشر) ففيها الكفاية.

الإعراب: ﴿فَٱتَّقُوا۟﴾: (الفاء): هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كانت الفتنة متوقعة من الأموال، والأولاد؛ فاتقوا... إلخ. (اتقوا): فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر بـ: «إذا»، والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها، أو

مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿مَا﴾: ظرفية مصدرية. ﴿ٱسْتَطَعْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، و﴿مَا﴾ والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بالفعل قبله، التقدير: فاتقوا الله مدة استطاعتكم التقوى، واعتبار ﴿مَا﴾ موصولة، أو موصوفة لا يؤيده المعنى، وجملة: ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ﴾ هذه الجمل معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿خَيْرًا﴾: فيه أوجه: أحدها: وهو قول سيبويه: أنه مفعول بفعل مقدر؛ أي: وائتوا خيراً لأنفسكم، كقوله تعالى في سورة (النساء) رقم [١٧١]: ﴿ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ﴾. الثاني: تقديره: يكن الإنفاق خيراً لكم، فهو خبر يكن المضمرة. وهو قول أبي عبيد. وهو قليل؛ لأن حذف «كان» واسمها مع بقاء الخبر، إنما يكون بعد: «إن، ولو» الشرطيتين. الثالث: أنه نعت مصدر محذوف. وهو قول الكسائي، والفراء. التقدير: وأنفقوا إنفاقاً خيراً. الرابع: أنه الحال، وهو قول الكوفيين. الخامس: أنه مفعول بقوله: (أنفقوا) وهذا على تفسير الخير بالمال. انتهى. جمل نقلاً عن السمين بتصرف كبير. ﴿لِّأَنفُسِكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَيْرًا﴾، أو بمحذوف صفة له، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ انظر إعراب هذا الكلام في سورة (الحشر) رقم [٩].

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِن تُقْرِضُواْ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [١١] من سورة (الحديد) ففيها الكفاية. ﴿شَكُورٌ﴾: صيغة مبالغة، وفسر في حقه تعالى بالذي يجازي على يسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعماً في الآخرة غير محدودة. ﴿حَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة أيضاً، وفسر في حقه تعالى بالذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تُقْرِضُواْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿قَرْضًا﴾: مفعول مطلق. ﴿حَسَنًا﴾: صفة له. ﴿يُضَٰعِفْهُ﴾: فعل مضارع جواب الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والهاء مفعول به. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، وجملة: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، والجملة الشرطية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حالية. (الله): مبتدأ. ﴿شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾: خبران له، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الفاعل المستتر في الفعلين السابقين، والرابط: الواو، والضمير.

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: انظر شرح هذه الكلمات في سورة (الحشر) رقم [٢٢].

الإعراب: ﴿عَـٰلِمُ﴾: خبر ثالث للمبتدأ الأول في الآية السابقة، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو عالم، و﴿عَـٰلِمُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْغَيْبِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: خبران للمبتدأ الأول، أو هما خبران لمبتدأ محذوف، التقدير: هو العزيز الحكيم. تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأكرم. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم.

انتهت سورة (التغابن) شرحاً وإعراباً بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.




سُورَةُ الطَّلَاقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة (الطلاق) مدنية، وهي اثنتا عشرة آية، ومئتان وتسع وأربعون كلمة، وألف وستون حرفاً. انتهى. خازن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: خص النبي ﷺ بالنداء، وعم بالخطاب؛ لأن النبي إمام أمته، وقدوتهم، كما يقال لرئيس القوم: يا فلان افعلوا كذا، إظهاراً لتقدمه، واعتباراً لترؤسه، وأنه قدوة قومه، فكان هو وحده في حكم كلهم، وساداً مسدَّ جميعهم. وقيل: التقدير: يا أيها النبي والمؤمنين. انتهى. نسفي. وقيل: معناه: أيها النبي قل لأمتك: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، فأضمر القول. انتهى. خازن. ولا تنس: أن المعنى: إذا أردتم طلاق النساء، وإنما احتيج إلى هذا التقدير، ليصح قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ لأن الشيء لا يترتب على نفسه، ولا يؤمر بتحصيل الحاصل، انتهى. جمل نقلاً عن كرخي. وقال القرطبي: وهذا هو قولهم: إن الخطاب له وحده، والمعنى له وللمؤمنين؛ وإذا أراد الله بالخطاب المؤمنين؛ لاطفه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾. فإذا كان الخطاب باللفظ، والمعنى جميعاً له؛ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾. ثم قال: ويدل على صحة هذا القول نزول العدة في أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، ففي كتاب أبي داود عنها: أنها طُلقت على عهد النبي ﷺ، ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله تعالى حين طُلقت أسماء بالعدة للطلاق، فكانت أول من أنزل فيها العدة للطلاق. انتهى. وبالجملة هذا من الخطاب المتلون الذي يفتح بالتوحيد، ويختم بالجمع.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: لأولها بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه، فإن اللام في الأزمان، وما يشبهها للتأقيت، ومن عد العدة بالحيض، وهو أبو حنيفة علق اللام بمحذوف،

مثل مستقبلات، وهذا الاختلاف ناشئ من الاختلاف في تفسير القْرء، والقروء، والأقراء المذكورة في سورة (البقرة) رقم [٢٢٨]: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾. فأبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ فسر القرء بالحيض أخذاً من قول النبي ﷺ للمرأة التي سألته عن الصلاة في أيام الحيض: «**دَعِي الصلاةَ أيَّامَ أَقْرَائِكِ**». ودليل الشافعي وغيره القائلين بأنه الطهر وروده في اللغة العربية، ومنه قول الأعشى: [الطويل]

فَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ تَشُدُّ لأقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

مُوَرِّثَةً مالاً وفي الحيِّ رفعةً لِمَا ضَاعَ فيها مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

وفي القاموس المحيط، ومختار الصحاح: والقرء بفتح القاف وضمها يطلق على الطهر وعلى الحيض، فهو من الأضداد. ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾: احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق لتراجعوا قبل انتهاء العدة، ولتعرفوا زمن النفقة، والسكنى، وحل النكاح لأخت المطلقة، ونحو ذلك من الفوائد. وهذا كله في المدخول بها، أما غير المدخول بها فلا عدة عليها بصريح قوله تعالى في سورة (الأحزاب) رقم [٤٩]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾.

هذا؛ والطلاق على ثلاثة أنواع: سني، وبدعي، ولا سني، ولا بدعي، فالأول: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، والثاني: أن يطلقها في الحيض، أو في طهر جامعها فيه، والثالث: طلاق الصغيرة، وغير المدخول بها، والآيسة، وكذلك المخالعة وعد من الأول أن يطلقها حاملاً مستبيناً حملُها، وخذ ما يلي:

فقد روى البخاري: أن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ طلق امرأة له وهي حائض، فذكر عمر ـ رضي الله عنه ـ ذلك لرسول الله ﷺ، فتغيظ رسول الله ﷺ، ثم قال: «**لِيُرَاجِعْهَا ثُمَّ يمسكْهَا حتى تطهرَ، ثم تحيضَ، فتطهُرَ، فإن بدا لهُ أن يطلقها، فليطلقْها طاهِراً قبل أن يَمَسَّها، فتِلْكَ العِدَّةُ التي أمر الله عز وجل بها**». وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأتت أهلها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ **فقيل له: راجعْها، فإنها صوَّامة قوَّامة، وهي من أزواجِك ونسائِكَ في الجنةِ**». أخرجه ابن أبي حاتم. أقول: والمشهور: أن طلاق حفصة كان بسبب إفشائها سر رسول الله ﷺ، كما ستقف عليه في سورة (التحريم) إن شاء الله تعالى، وأن هذه الآية نزلت في عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: خافوا ربَّكم، واخشوه، ولا تعصوه فيما أمركم به. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾: من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن. ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾: باستبدادهن، أما إذا اتفقا على الانتقال جاز ذلك؛ إذا الحق لا يعدوهما، وفي الجمع بين النهيين دلالة على

استحقاقها السكنى، وملازمتها مسكن الفراق، فلا يجوز لها الخروج إلا لضرورة ظاهرة، فإن خرجت؛ أثمت، ولا تنقطع العدة. والرجعية، والمبتوتة في هذا سواء، وهذا لصيانة ماء الرجل.

وفي صحيح الحديث: عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: طُلِّقت خالتي، فأرادت أن تَجُدَّ نخلها، فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النبي ﷺ، فقال: «**بلى فَجُدِّي نَخْلَكِ فإنكِ عسَى أنْ تصدَّقي، أوْ تَفْعَلِي مَعْرُوفاً**». خرجه مسلم. ففي هذا الحديث دليل لمالك، والشافعي، وابن حنبل، والليث على قولهم: إن المعتدة تخرج بالنهار في حوائجها، وإنما تلزم منزلها بالليل، وسواء عند مالك كانت رجعية، أو بائنة، وقال الشافعي في الرجعية: لا تخرج ليلاً، ولا نهاراً، وإنما تخرج نهاراً المبتوتة، وقال أبو حنيفة: ذلك في المتوفَّى عنها زوجها، وأما المطلقة؛ فلا تخرج لا ليلاً ولا نهاراً. والحديث يرد عليه. انتهى. قرطبي. وهذا المسكن سواء أكان بملك، أو كراء، أو عارية، فإن استرده المكري، أو المعير يجب على الزوج أن يكتري، أو يستعير لها بدله؛ لأنه يجب عليه تأمين مسكن لها.

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾: قرئ بفتح الياء وكسرها. قيل: هي الزنى، يعني: إلا أن يزنين، فيخرجن لإقامة الحد عليهن. وقيل: إلا أن يطلقن على النشوز، والنشوز يسقط حقها في السكنى. وقيل: إلا أن يبذون على الأحماء، والأصهار، فقد روي عن سعيد بن المسيب: أنه قال في فاطمة: تلك امرأة استطالت على أحمائها بلسانها، فأمرها النبي ﷺ أن تنتقل. وروي: أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت لها: اتَّقي الله فإنكِ تعلمين لِمَ أُخْرِجْتِ؟ وعن ابن عمر، والسدي: الفاحشة خروجها من بيتها في العدة. وتقدير الكلام: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بغير حق؛ أي: لو خرجت كانت عاصية. انتهى. كشاف، وقرطبي. هذا؛ ومن المبيح لها الخروج من المسكن الذي وقع فيه الطلاق، بأن تخاف هدماً، أو غرقاً، كذلك إذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل، أو شراء قطن؛ جاز لها الخروج نهاراً، ولا يجوز ليلاً يدل على ذلك أن رجالاً استشهدوا بأحد، فقالت نساؤهم: نستوحش في بيوتنا. فأذن لهن رسول الله ﷺ أن يتحدثن عند إحداهن، فإذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة إلى بيتها. فإذا لزمتها العدة في السفر تعتد في أهلها ذاهبة، وراجعة، والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ أهلها في العدة؛ لأن الانتقال في حقهم كالإقامة في حق المقيم. انتهى. خازن.

بقي أن تعرف هل يقع الطلاق ثلاثاً بلفظ الثلاث؟ المعتمد: أنه يقع، الدليل ما رواه الدارقطني عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه: أن عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته تماضر بنت الأصبغ الكلبية، وهي أم أبي سلمة ثلاث تطليقات في كلمة واحدة، فلم يبلغنا: أن أحداً من أصحابه عاب عليه ذلك. قال: وحدثنا سلمة بن سلمة عن أبيه: أن حفص بن المغيرة طلق امرأته فاطمة بنت قيس على عهد رسول الله ﷺ ثلاث تطليقات في كلمة، فأبانها منه رسول الله ﷺ، ولم يبلغنا: أن النبي ﷺ عاب ذلك عليه. انتهى. قرطبي.

وروي: أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً بين يدي رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**أتلعبونَ بكتابِ اللهِ، وأنَا بيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟**». وفي حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قال: يا رسول الله! أرأيت لو طلقتها ثلاثاً؟ فقال له: «**إذاً عصيتَ، وبانتْ منك امرأتك**». وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه كان لا يُؤتَى برجل طلق امرأته ثلاثاً إلا أوجعه ضرباً، وأجاز ذلك عليه. انتهى. كشاف.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: الإشارة إلى ما ذكر من الأحكام في هذه الآية، والحدود جمع: حد، وهو في اللغة: الحاجز بين شيئين متجاورين، والمراد هنا: الحد الفاصل بين الحلال، والحرام، فلذا يعاقب مَنْ تجاوزه بالحد، وهو العقوبة المقررة لذلك.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي: فيطلق لغير السنة، أو تجاوز هذه الأحكام، ومن أهم تعدي حدود الله أن يظلمها، ويجور عليها؛ حتى يحملها على التنازل عن بعض حقوقها. ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾: وذلك بتعريضها للعقاب، وحرمانها من رحمة الله، ورضوانه. وقد أظهر ﴿حُدُودَ﴾ وهو محل إضمار للتهويل، والتهديد. ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ الأمر الذي يحدثه الله أن يقلّب قلبه من بغضها إلى محبتها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، والعكس صحيح إن كان البغض من جانبها، والرغبة عن الزوج من قبلها. وهذا كثير، وواقع في زمننا، والمعنى: فطلقوهن لعدتهن، وأحصوا ابتداء العدة، وانتهائها، لعلكم ترغبون، وتندمون، فتراجعون، ولا تنس الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لمزيد الاهتمام بالأحكام المذكورة، والخطاب يعم كل عاقل، والخطاب للمعتدي لا للنبي ﷺ، وذلك بقوله: ﴿لَا تَدْرِى﴾.

خاتمة: قال ابن القيم: إن الله تعالى لما كان يبغض الطلاق، لما فيه من انفصام عرى الزوجية، وموافقة عدوه إبليس؛ حيث يفرح بافتراق الزوجين، وكان مع ذلك يحتاج إليه الزوج، أو الزوجة؛ شرعه على وجه تحصل به المصلحة، وتندفع به المفسدة، وحرمه على غير ذلك الوجه، فشرع له أن يطلقها طاهراً من غير جماع طلقة واحدة، ثم يتركها حتى تنقضي عدتها، فإن زالت أسباب الخلاف، وحصلت الموافقة أثناء عدتها؛ كان له سبيل إلى إعادتها، وجعل الله العدة ثلاثة قروء ليطول زمن المهلة والاختيار، فهذا هو الذي شرعه الله، وأذن فيه. انتهى. صفوة التفاسير.

فقد روى الثعلبي من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مِنْ أبغضِ الحلال إلى الله تعالى الطلاق**». وعن علي ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**تزوجوا، ولا تُطلقوا، فإن الطلاق يهْتَزُّ مِنْهُ العرشُ**». وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُطلِّقوا النساءَ إلا منْ ريبةٍ، فإن الله عز وجل لا يحب الذوَّاقين، ولا الذوَّاقاتِ**». وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما حلف بالطلاقِ، ولا استحلفَ به إلا

منافقٌ». أسند جميعه الثعلبي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه. وروى الدارقطني عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ. قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا معاذُ! ما خلقَ الله شيئاً على وجهِ الأرضِ أحبّ إليه من العتاق، ولا خلق الله شيئاً على وجه الأرض أبغضَ منَ الطلاق، فإذا قال الرجل لمملوكهِ: أنتَ حرٌّ إن شاء اللهُ؛ فهو حر، ولا استثناء له. وإذا قال الرجل لامرأته: أنت طالق إن شاء الله؛ فله استثناؤه ولا طلاق عليه**». وعن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أحلَّ الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق، فمن طلق، واستثنى فله استثناؤه**». انتهى. قرطبي.

وعن محارب بن دثار: أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أحلَّ الله شيئاً أبغضَ إليه من الطلاقِ**». أخرجه أبو داود مرسلاً، وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**أبغضُ الحلالِ إلى الله الطلاقُ**». وعن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَيُّمَا امرأةٍ سألتْ زوجَها الطلاقَ من غيْرِ ما بأسٍ حرامٌ عليهَا رائِحَةُ الجنةِ**». أخرجه أبو داود، والترمذي. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها) حرف تنبيه لا محل له أقحم للتوكيد، وهو عوض من المضاف إليه، ولا يجوز اعتبار الهاء ضميراً في محل جر بالإضافة؛ لأنه حينئذ يجب نصب المنادى. ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾: بدل من (أيها)، والجملة الندائية ابتدائية لا محل لها. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿طَلَّقْتُمُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلنِّسَآءَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ متعلقة بشرطها هنا، ولا يجوز تعليقها بالجواب؛ لاقترانه بالفاء، ولا يعمل ما بعد الفاء في ما قبلها. ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾: (الفاء): واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (طلقوهن): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مبتدأ، أو مستأنف، لا محل له على الاعتبارين. ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، التقدير: فطلقوهن مستقبلاتٍ لعدتهن، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿وَأَحْصُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (أحصوا): فعل أمر، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْعِدَّةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها مثله.

﴿وَٱتَّقُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (اتقوا): أمر وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿رَبَّكُمْ﴾: بدل من لفظ الجلالة، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والنون حرف دال على جماعة الإناث، والجملة الفعلية بمنزلة جواب

للأمر، لا محل لها، وفيها معنى الاستئناف. ﴿مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿يَخْرُجْنَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، وهو في محل جزم بـ: (لا) الناهية، ونون النسوة فاعله، ومتعلقه محذوف لدلالة ما قبله عليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَأْتِينَ﴾: مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، وهو في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾ والنون فاعله، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب حال مستثنىً من عموم الأحوال، التقدير: لا يخرجن، ولا تخرجوهن في حال من الحالات إلا في حال كونهن آتيات. . . إلخ. وهذا بعد تحويل المصدر إلى اسم الفاعل، وصاحب الحال نون النسوة، والضمير المنصوب. ﴿بِفَٰحِشَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾: صفة (فاحشة).

﴿وَتِلْكَ﴾: (الواو): حرف استئناف. (تلك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿حُدُودُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَتَعَدَّ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو». ﴿حُدُودَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿فَقَدْ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ظَلَمَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿نَفْسَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية: (من يتعد. . .) إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَدْرِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب (لَعَلَّ). ﴿لَعَلَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُحْدِثُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال من ﴿أَمْرًا﴾، كان صفة له، و﴿بَعْدَ﴾ مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب. ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿لَعَلَّ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب سدت مسد مفعولي ﴿لَا تَدْرِى﴾، والجملة الفعلية هذه مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: قاربن انقضاء العدة، فهو كقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٣١]: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: فراجعوهن من غير ضرار بهن.

﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، فيملكن أنفسهن، وفي آية (البقرة) رقم [٢٣١]: ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ والتسريح، والمفارقة بمعنى واحد، وهما من ألفاظ الطلاق الصريحة، وفي آية (البقرة) زيادة: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ والمعنى: ولا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن، فقد كان المطلق في صدر الإسلام يترك المعتدة؛ حتى تقارب انقضاء عدتها، ثم يراجعها ليطول العدة عليها، فنهي عنه بعد الأمر بضده مبالغة، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ ما يوجب أن يكون القول قول المرأة في انقضاء العدة؛ إذا ادعت ذلك، ولذا قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٢٨]: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ أي: يخفين ما في أرحامهن من الولد، أو الحيض، استعجالاً في العدة، وإبطالاً في حق الرجعة. ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: أمر بالإشهاد على الطلاق. وقيل: على الرجعة، والظاهر رجوعه إلى الرجعة لا إلى الطلاق. وقيل: المعنى: وأشهدوا عند الرجعة، والفرقة جميعاً، وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ، كقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٨٢]: ﴿وَأَشْهِدُوٓا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ وعند الأئمة الثلاثة: الشافعي، ومالك، وأحمد ـ رحمهم الله تعالى ـ واجب في الرجعة، مندوب إليه في الفرقة. وفائدة الإشهاد ألا يقع بينهما التجاحد، وألا يُتَّهم في إمساكها، ولئلا يموت أحدهما، فيدعي الباقي ثبوت الزوجية؛ ليرث. هذا؛ والشيعة يوجبون الإشهاد على الفرقة؛ لأنهم يقولون: كما يجري العقد بين الزوجين بحضور شاهدين يجب أن يحل بحضور شاهدين، وهناك من يفتي على مذهبهم، ويقول بقولهم.

وعن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ أنه سُئِلَ عن رجلٍ يُطلِّقُ امرأتَهُ، ثم يقعُ عليها، ولم يُشْهِدْ على طلاقِها، وعلى رجعتِها، فقال: (طَلّقتَ لغير سُنةٍ، ورَاجعتَ لغير سُنَّةٍ، أشهِدْ على طلاقِها، وعلى رجعتِها، ولا تَعُدْ). أخرجه أبو داود وابن ماجه.

هذا؛ والرجعة قبل الثلاث من حق الزوج، وليس للزوجة رأي، ولا اختيار، وعند الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ لا تكون الرجعة إلا بالقول: «راجعت زوجتي إلى عصمتي وعقد نكاحي». ونحو ذلك ولا يشترط الفعل، وعند الإمام أحمد مثله فيما أظن، وعند الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ تكون الرجعة بالقول، والفعل معاً، وعند أبي حنيفة تكون الرجعة بالفعل، ولا يشترط

القول، فإذا جامع، أو قبّل، أو باشر، أو لامس بشهوة، فهو رجعة، وقالوا: النظر إلى الفرج رجعة.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾ أي: طلباً لمرضاة الله، وقياماً بوصيته، وخالصاً لوجهه، وذلك أن تقيموها، لا للمشهود عليه، ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق، ودفع الظلم، كقوله تعالى في سورة (النساء) رقم [١٣٥]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾، وأيضاً في سورة (المائدة) رقم [٨]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾. ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ...﴾ إلخ: أي: الذي شرعه الله من الأحكام في هذه السورة، إنما ينتفع به المؤمن؛ الذي يخشى الله، ويخاف عقابه في الدار الآخرة، فيرق قلبه، ويلين، وأما من لم يكن متصفاً بذلك؛ فهو لقساوة قلبه لا يوعظ، ولا ينتفع بهذا، ولا بغيره من المواعظ، والنصائح، والإرشادات. وانظر بقية الكلام في الآية التالية، ولا تنس الطباق بين الإمساك، والمفارقة.

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: (الفاء): حرف تفريع واستئناف. (إذا): انظر الآية السابقة. ﴿بَلَغْنَ﴾: فعل، وفاعل، وقل في هذه الجملة ما رأيته بالجملة في الآية السابقة: ﴿طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾. ﴿أَجَلَهُنَّ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: (الفاء): واقعة في جواب (إذا). (أمسكوهن): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به. ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. وقيل: متعلقان بمحذوف حال. ولا وجه له. والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها، وجملة: ﴿فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له. (أشهدوا): فعل أمر وفاعله، والألف للتفريق. ﴿ذَوَىْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، و﴿ذَوَىْ﴾: مضاف، و﴿عَدْلٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مِّنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿ذَوَىْ عَدْلٍ﴾، وجملة (أشهدوا...) إلخ معطوفة على جواب إذا، لا محل لها مثله، وأيضاً جملة: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾: معطوفة عليه، لا محل لها مثله.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿يُوعَظُ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع نائب فاعل. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر يعود إلى ﴿مَن﴾. ﴿يُؤْمِنُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (من) أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ﴾ صلة ﴿مَن﴾ أو صفتها. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. (اليوم): معطوف على ما قبله. ﴿ٱلْـَٔاخِرِ﴾: صفة (اليوم)، وجملة: ﴿يُوعَظُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكُمْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف، وقال الزمخشري، والجمل: واو الاعتراض. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَتَّقِ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿يَجْعَل﴾: جواب الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿لَّهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني تقدم على الأول. ﴿مَخْرَجًا﴾: مفعول به، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية السابقة، والجملة الاسمية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الواو. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة. وقال عمر بن عثمان الصدفي في تفسير ذلك: فيقف عند حدوده، ويجتنب معاصيه؛ يخرجه من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة، ومن النار إلى الجنة. وقال أكثر المفسرين فيما ذكر الثعلبي: إنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ: روى الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن ابني أسره العدو، وجزعت الأم، فما تأمرني؟ فقال ﷺ، «**اتقِ الله، واصبرْ، وآمركَ، وإيَّاها أن تستكثِرَا من قول: لا حول ولا قوةَ إلا بالله**». فعاد إلى بيتِهِ وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله! فقالتْ: نِعْمَ ما أمرنا به! فجعلا يقولان، فغفل العدوُّ عن ابنِهِ، فساق غنمهُمْ، وجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلافِ شاةٍ، فنزلت الآية الكريمة، وجعل النبي تلك الأغنام له؛ وكان فقيراً. انتهى. قرطبي.

هذا؛ وروى الحسن عن عمران بن الحصين؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ انقطعَ إلى الله؛ كفاه الله كلَّ مؤونةٍ، ورزقهُ مِنْ حيثُ لا يحتسِبُ، ومنِ انقطعَ إلى الدنيا وكلهُ اللهُ إليها**». رواه ابن أبي حاتم. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لزمَ الاستغفار؛ جعل الله لهُ مِنْ كلِّ همٍّ فرجاً، ومنْ كلِّ ضيق مخرجاً، ورزقهُ مِنْ حيثُ لا يحتسِبُ**». رواه أبو داود، والنسائي، وغيرهما. وينبغي أن تعلم: أن الإخراج من الضيق والكرب في الدنيا، والآخرة، والرزق من حيث لا يحتسب العبد وعدٌ من الله العزيز الحكيم العليم الخبير، ولكن إنجازه مشروط بتقوى الله، ومراعاة حدوده، واجتناب معاصيه، كما رأيت آنفاً. ومعنى ﴿لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من وجه لا يخطر بباله، ولا يحتسبه.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: من فوّض إليه أمره، واعتمد عليه في جميع أحواله، وشؤونه مع العمل بطاعته، واجتناب معاصيه؛ فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية، وفي الدنيا وقاية من الهموم، والأحزان. وهذا لا ينفي أن يصاب المؤمن في الدنيا بشيء من البلاء، بل قد يصاب أكثر من الفاسدين المفسدين؛ الذين يمهلهم الله، ويمدهم في الدنيا استدراجاً لهم. وانظر ما ذكرته في سورة (الحديد) رقم [٢٢] في هذا الصدد؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك، وخذ ما يلي:

فعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلمُ آيةً لو أخذ بها الناسُ، لكفتهمْ، ثم تلا:** ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ...﴾ **إلخ**». فما زال يكررها، ويعيدها. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قرأ النبي ﷺ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ...﴾ **إلخ**». قال: «**مخرجاً من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يومِ القيامة**». انتهى. قرطبي. وانظر التوكل في سورة (المجادلة) رقم [١٠].

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَزَلَ بِهِ حاجَةٌ، فأنْزَلَهَا بالناسِ؛ كان قِمْناً ألّا تُسَهلَ حَاجَتُهُ، ومَنْ أنزلَهَا باللهِ تَعَالَى؛ أتاهُ الله برِزْقٍ عاجِلٍ، أوْ بِمَوتٍ آجلٍ**». أخرجه الإمام أحمد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾: يبلغ ما يريده، ولا يفوته مراد، ولا يعجزه مطلوب. وقضاؤه، وأمره نافذ فيمن توكل عليه، وفيمن لم يتوكل عليه؛ إلا أن مَنْ توكل عليه؛ فيكفر عنه سيئاته، ويُعْظِم له أجراً. عزَّى الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ الأشعث بن قيس في ابن شاب توفي بقوله: يا أشعث! إن صبرت؛ جرى عليك القدر، وأنت مأجور، وإن لم تصبر جرى عليك القدر، وأنت مأزور.

هذا؛ وقال الربيع بن خثيم: إن الله قضى على نفسه: أن من توكل عليه كفاه، ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجاه، ومن دعاه أجاب له، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ سورة (التغابن) رقم [١١]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ سورة (التغابن) [١٧]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ سورة (آل عمران) [١٠١]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. هذا؛ ومعنى ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ فهو كافيه. ومثله في سورة (المجادلة) رقم [٨]: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾، ومثلها في سورة (التوبة) رقم [٦٨] و[١٢٩] وكثير في القرآن مثل ذلك.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾: تقديراً، وتوقيتاً لكل شيء من الخير، والشر، والشدة، والرخاء فلكل شيء أجل ينتهي إليه لا يتعداه. وهذا بيان لوجوب التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه؛ لأنه إذا علم كل شيء من الرزق ونحوه، لا يكون إلا بتقديره، وتوفيقه لم يبق إلا التسليم للقدر، والتوكل على الله.

الإعراب: ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾: (الواو): حرف عطف. (يرزقه): فعل مضارع معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله. ويجوز في العربية نصبه ورفعه، كما رأيت في الآية رقم [٩] من سورة

(التغابن)، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعوله الأول، والمفعول الثاني محذوف للتعميم؛ لأن الفعل «رزق» ينصب مفعولين؛ لأنه بمعنى: أعطى، ومنح. ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهو مبني على الضم في محل جر. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَحْتَسِبُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها. ﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف عطف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَتَوَكَّلْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو». ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَهُوَ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿حَسْبُهُۥٓ﴾: خبره، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية السابقة.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿بَٰلِغُ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿أَمْرِهِۦ﴾: مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وقرأ السبعة ما عدا حفص: (بالغٌ أمْرَهُ) بالتنوين ونصب (أمرَه) على أنه مفعول به صريح، وقرأ المفضل: (بالغاً أمرَه) على أن جملة: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ خبر (إن)، و(بالغاً) حال. وقرأ داود بن أبي هند: (بالغٌ أمرُهُ) بالتنوين ورفع الراء. قال الفراء: أي: أمره بالغ. وقيل: (أمرُه) مرتفع بـ: (بالغ) والمفعول محذوف، والتقدير: بالغ أمره ما أراد. والجملة الاسمية تعليل، أو مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لِكُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من قدراً، كان صفة له... إلخ، و(كل) مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿قَدْرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط إعادة الاسم الكريم بلفظه، أو هي في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ على نصب (بالغاً) كما رأيته.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾

الشرح: قيل: لما نزلت: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ الآية رقم [٢٢٨] من سورة (البقرة). قال خلّاد بن النعمان بن قيس الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله! فما عدة التي انقطع حيضها، وعدة التي لم تحض، وعدة الحبلى؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ

مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾: اللاتي قعدن عن الحيض، فلا يرجى أن يحضن، وهن العجائز، الآيسات من الحيض.

﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: شككتم في حكمهن، ولم تعرفوا ما عدتهن. ومن الغريب ما قاله القرطبي: وقيل: تيقنتم وهو من الأضداد يكون شكاً، ويقيناً كالظن. انتهى. ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني: الصغائر اللاتي لم يحضن بعد، فعدتهن أيضاً ثلاثة أشهر، أما الشابة التي كانت تحيض، فارتفع حيضها، قبل بلوغ سن الآيسات، فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتهن لا تنقضي؛ حتى يعاودها الدم، فتعتد بثلاثة أقراء، أو تبلغ سن الآيسات، فتعتد بثلاثة أشهر. وهذا قول عثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود. وبه قال عطاء، وإليه ذهب الشافعي، وأصحاب الرأي. وحكي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنها تتربص تسعة أشهر، فإن لم تحض؛ فتعتد بثلاثة أشهر، وهو قول مالك ـ رحمه الله تعالى ـ. وقال الحسن البصري: تتربص سنة، فإن لم تحض؛ فتعتد بثلاثة أشهر، وهذا كله في عدة الطلاق، وأما المتوفى عنها زوجها؛ فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام، سواء كانت ممن تحيض، أو لا تحيض، وأما الحامل؛ فعدتها بوضع الحمل، سواء طلقها زوجها، أو مات عنها. انتهى. خازن.

أقول: إن المحاكم الشرعية في هذه الأيام تعتبر عدة المطلقة المدخول بها والمخالعة سواء كانت من ذوات الأقراء، أو من الآيسات، أو من الصغيرات، المنقطع حيضها، أو غير المنقطع ثلاثة أشهر كاملة، فهو حكم عام، ولا بأس به.

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: عن سبيعة الأسلمية ـ رضي الله عنها ـ: أنها كانت تحت سعد بن خولة ـ رضي الله عنه ـ وكان ممن شهد بدراً، فتوفي عنها في حجة الوداع، وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلَّت من نفاسها؛ تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك من بني عبد الدار، فقال لها: ما لي أراك تجملت للخطاب ترجِّين النكاح؟ وأنت والله ما أنت بناكح؛ حتى يمر عليك أربعة أشهر، وعشر. قالت سبيعة ـ رضي الله عنها ـ: فلما قال لي ذلك؛ جمعت عليّ ثيابي؛ حتى أمسيت، وأتيت رسول الله ﷺ، فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزوج؛ إن بدا لي. لفظ البخاري، ولمسلم نحوه، وزاد: قال ابن شهاب: ولا أرى بأساً أن تتزوج حين وضعت، وإن كانت في دمها، غير أنه لا يقربها زوجها حتى تطهر. انتهى. خازن. أقول: وهذا قول جمهور العلماء بأن عدة الحامل تنتهي بوضع حملها بعد الطلاق، أو الموت، ولو بفواق ناقة، كما هو نص هذه الآية الكريمة، وكما وردت به السنة النبوية الشريفة.

وقد روي عن علي، وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع والأشهر، عملاً بهذه الآية، والتي في سورة (البقرة) رقم [٢٣٤]: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ

أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾. روى البخاري عن أبي سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس، وأبو هريرة جالس، فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد وفاة زوجها بأربعين ليلة، فقال ابن عباس: آخر الأجلين. قلت أنا: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ...﴾ إلخ قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي، يعني: أبا سلمة، فأرسل ابن عباس غلامه كُرَيباً إلى أمِّ سلمة يسألها، فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية، وهي حبلى، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت، فأنكحها رسول الله ﷺ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها. هكذا أورد البخاري هذا الحديث مختصراً، وقد رواه مسلم وأصحاب السنن مطولاً من وجوه. انتهى. مختصر ابن كثير، وهو فحوى ما نقله من الخازن.

وروى ابن جرير عن علقمة بن قيس: أن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: من شاء لاعنته، ما نزلت: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ...﴾ إلخ إلا بعد آية المتوفَّى عنها زوجها. قال: وإذا وضعت المتوفَّى عنها زوجها، فقد حلت، يريد بآية المتوفَّى عنها قول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾: في اجتناب معاصيه، وامتثال أوامره. ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ أي: يسهل له أمره، وييسره عليه، ويجعل له فرجاً قريباً، ومخرجاً عاجلاً. وانظر الآية السابقة. هذا؛ و(اللائي) جمع: «التي». كما تجمع على اللاتي. قال تعالى في سورة (النساء) رقم [١٤]: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ...﴾ إلخ كما تجمع على اللواتي، ولم يوجد هذا الجمع في القرآن، كما تجمع على «ذوات». قال ابن مالك ـ رحمه الله ـ في ألفيته: [الرجز]

بـالـلَّاتِ والـلَّاءِ الـتـي قـد جُـمِـعَـا والـلاءِ كـالـذيـن نَـزْراً وَقَـعَـا

وكـالَّـتـي أيْـضـاً لَـدَيْـهِـمْ ذَاتُ ومَـوْضِـعُ الـلَّاتِـي أَتَـى ذَوَاتُ

هذا؛ و﴿ٱلْمَحِيضِ﴾ هنا مصدر ميمي أطلق على دم الحيض، كما يعتبر اسم مكان، أو اسم زمان، وهو ما رأيته في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ...﴾ إلخ رقم [٢٢٢] من سورة (البقرة) أما: ﴿وَأُوْلَٰتُ﴾ فهو بمعنى: صاحبات، ومفرده: ذات من غير لفظه، وهو ملحق بجمع المؤنث السالم في إعرابه.

الإعراب: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى﴾: (الواو): حرف استئناف. (اللائي): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَئِسْنَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون، والنون فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾: متعلقان بما قبلهما.

﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من نون النسوة، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في الموصول، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِنِ﴾: حرف شرط جازم، ﴿ٱرْتَبْتُمْ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والجملة الفعلية، لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَعِدَّتُهُنَّ﴾: (الفاء): واقعة في جواب

الشرط. (عدتهن): مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿ثَلَٰثَةُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿أَشْهُرٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها. والجملة الشرطية في محل رفع خبر المبتدأ؛ الذي هو (اللائي). هذا؛ وجوز الشهاب اعتبار الجملة الاسمية: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو (اللائي)، واعتبار جواب الشرط محذوفاً، التقدير: فاعلموا: أنها ثلاثة أشهر، واعتبار الجملة الشرطية معترضة بين المبتدأ، وخبره، وهو تكلف لا داعي له. وعلى اعتباره تكون الفاء قد زيدت في خبر الموصول؛ لأنه يشبه الشرط، والجملة الاسمية (اللائي...) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي﴾: (الواو): حرف عطف. (اللائي): مبتدأ. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَحِضْنَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والنون فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، وخبره محذوف، قدره ابن هشام بقوله: واللائي لم يحضن كذلك. وضعف قول الفارسي، ومن وافقه في تقدير: واللائي لم يحضن؛ فعدتهن ثلاثة أشهر. هذا؛ وأجيز اعتبار: (اللائي لم يحضن) معطوفاً على: (اللائي يئسن) عطف مفرد على مفرد، وأخبر عن الجميع بقوله: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ...﴾ إلخ. وهو غير مسلم أيضاً، والجملة الاسمية: (اللائي لم يحضن...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿وَأُوْلَٰتُ﴾: (الواو): حرف عطف، أو حرف استئناف. (أولات): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَحْمَالِ﴾ مضاف إليه. ﴿أَجَلُهُنَّ﴾: مبتدأ ثان، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَضَعْنَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾ ونون النسوة فاعله. ﴿حَمْلَهُنَّ﴾: مفعول به، و﴿أَن يَضَعْنَ﴾: في تأويل مصدر في محل خبر ﴿أَجَلُهُنَّ﴾، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: (أولات)، وأجيز اعتبار (أجلهن) بدلاً من (أولات) فيكون المصدر المؤول خبراً مفرداً لـ: (أولات). والجملة الاسمية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الواو. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ...﴾ إلخ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٢]. ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿يُسْرًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: الذي ذكر من الأحكام في هذه السورة أمر الله أنزله، وبينه لكم؛ لتعملوا به، وتقفوا عند حدوده. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾: يعمل بأوامره، ويجتنب نواهيه. ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾: يغفرها له، ويمحوها؛ كأنها لم تكن موجودة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٧٠] من سورة (الفرقان) كيف يكون تبديل السيئات حسنات. ﴿وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ أي: يضاعف له ثوابه أضعافاً كثيرة كرماً منه، وفضلاً، والله ذو الفضل العظيم.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿أَمۡرُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَنزَلَهُۥٓ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿إِلَيۡكُمۡۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من أمر الله، والرابط: الضمير فقط، وهي على تقدير: «قد» قبلها، والعامل اسم الإشارة مثل قوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ...﴾ إلخ إعراب هذه الجملة مثل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل...﴾ إلخ بلا فارق بينهما.

﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦﴾

الشرح: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ﴾ يعني: مطلقات نسائكم. ﴿حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ أي: من سعتكم، وطاقتكم، فإن كان موسراً؛ يوسع عليها في المسكن، والنفقة، وإن كان فقيراً؛ فعلى قدر الطاقة؛ إذ الوُجْد: الوسع، والطاقة، ويقرأ بتثليث الواو، والمشهور الضم. ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ أي: لا تستعملوا معهن الضرار بأن تؤذوهن في الكلام. وعن أبي الضحى: هو أن يطلقها، فإذا بقي يومان من عدتها؛ راجعها، ثم طلقها. أقول: قد نهى الله عن ذلك بقوله في سورة (البقرة) رقم [٢٣٠]: ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ﴾ والاعتداء كان بالإلجاء إلى الافتداء، والتطليق، وهو فحوى: ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾. وقال مجاهد: التضييق في المسكن. وقال مقاتل: هو في النفقة.

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ﴾ أي: صاحبات حمل بمعنى: حوامل. ﴿فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾: هذا بيان من الله عز وجل أن نفقة الحامل لا تسقط عن المطلق؛ حتى تضع الحامل حملها. ﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ﴾ يعني: أولادكم. ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: يعني على إرضاعهن، وفيه دليل على أن اللبن؛ وإن كان قد خلق لمكان الولد؛ فهو ملك للأم، وإلا لم يكن لها أن تأخذ عليه أجراً، وفيه دليل على أن حق الرضاع، والنفقة على الأزواج في حق الأولاد، وهو صريح قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٣٢]: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾.

﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ﴾ أي: وليقبل بعضكم من بعض ما أمره الله به من المعروف الجميل، والجميل منها: إرضاع الولد من غير أجرة، والجميل منه: توفير الأجرة لها للإرضاع. وقيل:

المعنى: تشاوروا على التراضي في الأجرة. والمعروف هنا ألَّا يقصر الرجل في حق المرأة؛ التي ترضع له ولده، ولا تقصر المرأة في حق الولد، ورضاعه وهو صريح قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٣٢]: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ أي: في حق الولد، وأجرة الرضاع، فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرة رضاعها، وأبت الأم أن ترضعه، فليس له إكراهها على إرضاعه، بل يستأجر للصبي مرضعاً غير أمه، وذلك قوله تعالى: ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ فيه معاتبة للأم على المعاسرة، فهو كقولك لمن تستقضيه حاجة، فتتعذر منه: سيقضيها غيرك؛ أي سيقضيها؛ وأنت ملوم.

هذا؛ و(حَمْل) بفتح الحاء، وسكون الميم. قال ابن السكيت: الحَمْل (بالفتح) ما كان في بطن، أو على رأس شجرة، والحِمل (بالكسر) ما كان على ظهر، أو رأس. قال الأزهري: وهذا هو الصواب، وهو قول الأصمعي، وقال القرطبي: وقد حكى يعقوب في حِمل النخلة الكسرة. وقال أبو سعيد السيرافي: يقال في حمل المرأة: حِمْل، وحَمْل، يشبه مرة لاستبطانه بِحَمْل النخلة، ومرة لبروزه، وظهوره بحِمْل الدابة.

فصل في حكم الآية: اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة، والسكنى ما دامت في العدة، ونعني بالسكنى مؤونة السكنى، فإن كانت الدار التي طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه أن يَخرجَ منها، ويتركَ الدار لها مدة عدتها، وإن كانت بإجارة فعلى الزوج الأجرة، وإن كانت عاريةً، فرجع المعير، فعليه أن يكتري لها داراً تسكنها. وأما المعتدة البائنة بالخلع، أو بالطلاق الثلاث، أو باللعان، فلها السكنى حاملاً كانت، أو غير حامل عند أكثر أهل العلم. وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنها ـ أنه قال: السكنى لها أن تكون حاملاً. وهو قول الحسن، والشعبي. واختلفوا في نفقتها، فذهب قوم إلى أنه لا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً. يروى ذلك عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وهو قول الحسن، والشعبي، وبه قال الشافعي وأحمد.

ومنهم من أوجبها بكل حال، يروى ذلك عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. وهو قول إبراهيم النخعي، وبه قال الثوري، وأصحاب الرأي. وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق النفقة إلا أن تكون حاملاً لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

وأما الدليل على ذلك من السنة، فما روي عن فاطمة بنت قيس ـ رضي الله عنها ـ: أن أبا عمرو بن حفص طلقها ألبتة؛ وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته، فقال: والله ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال لها: «**ليس لك عليه نفقة**»، وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «**تلك امرأة يغشاها أصحابي، فاعتدِّي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك عنده، فإذا حللت؛ فآذنيني**». قالت: فلما حللت؛

ذكرت له: أن معاوية بن أبي سفيان، وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «**أما أبو جهم؛ فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية؛ فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد**». فكرهته، ثم قال: «**انكحي أسامة بن زيد**». فنكحته، فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت به. أخرجه مسلم.

واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى، وقال: إن النبي ﷺ أمرها أن تعتد في بيت عمرو بن أم مكتوم، ولا حجة له فيه؛ لما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: كانت فاطمة في مكان وحش مخيف على ناحيتها. وقال سعيد بن المسيب: إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحمائها، وكان في لسانها ذرابة.

وأما المعتدة عن وطء الشبهة، والمفسوخ نكاحها بعيب، أو خيار عتق؛ فلا سكنى لها، ولا نفقة؛ وإن كانت حاملاً. وأما المعتدة عن وفاة الزوج؛ فلا نفقة لها عند أكثر أهل العلم. وروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ: أن لها النفقة إن كانت حاملاً من التركة؛ حتى تضع. وهو قول شريح، والشعبي، والنخعي، والثوري. واختلفوا في سكناها، وللشافعي فيه قولان: أحدهما: أنه لا سكنى لها، بل تعتد حيث تشاء. وهو قول علي، وابن عباس، وعائشة، وبه قال عطاء، والحسن، وهو قول أبي حنيفة. والثاني: أن لها السكنى، وهو قول عمر، وعثمان، وعبد الله بن مسعود، وابن عمر ـ رضي الله عنهم ـ وبه قال مالك، والثوري، وأحمد، وإسحاق، واحتج من أوجب لها السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك بن سنان، وهي أخت أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ، وسألته أن ترجع إلى أهلها في بني خدر، فإن زوجها في طلب أعبد له أبَقُوا؛ حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم، فقتلوه. قالت: فسألْتُ رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي في بني خدرة، فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه، ولا نفقة. قالت: قال رسول الله ﷺ: «**نعمْ**». قالت: فانصرفت؛ حتى إذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله ﷺ، أو أمر بي، فنوديت، فقال: «**كيف قلت؟**». فرددت عليه القصة؛ التي ذكرت له من شأن زوجي، فقال: «**امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله**». قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر، وعشراً. قالت: فلما كان عثمان ـ رضي الله عنه ـ أرسل إليَّ، فسألني عن ذلك، فأخبرته، فاتبعه، وقضى به. أخرجه أبو داود، والترمذي.

فمن قال بهذا القول قال: إذنه لفريعة أولاً بالرجوع إلى أهلها؛ صار منسوخاً بقوله آخراً: «**امكثي في بيتك؛ حتى يبلغ الكتاب أجله**». ومن لم يوجب السكنى. قال: أمرها بالمكث في بيتها آخراً، استحباباً، لا وجوباً. انتهى. خازن بحروفه.

الإعراب: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والنون حرف دال على الإناث، لا محل له. ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و﴿حَيْثُ﴾ مبني على الضم في محل جر بـ: ﴿مِنْ﴾. ﴿سَكَنتُم﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية

في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها. ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: بدل من قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ﴾. وقال الزمخشري، وتبعه البيضاوي، والنسفي: عطف بيان. ورده ابن هشام بقوله: وإنما يريد البدل؛ لأن الخافض لا يعاد إلا معه، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، وجملة: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. وقيل: الجملة مفسرة لما شرط من التقوى. ولا وجه له. ﴿وَلَا﴾: (الواو): حرف عطف. (لا تضاروهن): مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والنون... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لِتُضَيِّقُواْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والمفعول محذوف، تقديره: المساكن، أو النفقة.

﴿وَإِن﴾: (الواو): حرف عطف، أو حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿كُنَّ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، ونون النسوة اسمه. ﴿أُوْلَٰتِ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم، و﴿أُوْلَٰتِ﴾ مضاف، و﴿حَمْلٍ﴾ مضاف إليه، وجملة: ﴿كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَأَنفِقُواْ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. (أنفقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف. ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، والجملة الشرطية لا محل لها على الوجهين المعتبرين في الواو. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، وجر، بعدها «أن» مضمرة. ﴿يَضَعْنَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون في محل نصب بـ: «أنْ» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، ونون النسوة فاعله، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: «حتى»، والجار ومجرور متعلقان بالفعل: أنفقوا. ﴿حَمْلَهُنَّ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ ولا يخفى عليك إعراب ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ فإنه مثل سابقه بلا فارق.

﴿وَأْتَمِرُواْ﴾: (الواو): حرف عطف. (ائتمروا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة، أو مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين. ﴿بَيْنَكُم﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ﴾، ﴿وَإِن كُنَّ...﴾ إلخ بلا فارق، والمتعلق محذوف. انظر الشرح. ﴿فَسَتُرْضِعُ﴾: (الفاء):

واقعة في جواب الشرط. (السين): حرف استقبال. (ترضع): فعل مضارع. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أُخْرَىٰ﴾: فاعل (ترضع) مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط، والجملة الشرطية: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ...﴾ إلخ لا محل لها معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

الشرح: معنى الآية لينفق الزوج على زوجته، وعلى ولده الصغير على قدر وسعه؛ حتى يوسع عليهما؛ إذا كان موسعاً عليه، ومن كان فقيراً؛ فعلى قدر ذلك، فتقدر النفقة بحسب الحالة من المنفِق، والحاجة من المنفَقِ عليه بالاجتهاد على مجرى حياة العادة، فينظر المفتي إلى قدر حاجة المنفَق عليه، ثم ينظر إلى حالة المنفِق، فإن احتملت الحالة؛ أمضاها عليه، فإن اقتصرت حالته على حاجة المنفَق عليه؛ ردها إلى قدر احتماله.

وقال الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وأصحابه: النفقة مقدرة محددة، ولا اجتهاد لحاكم، ولا لمفت فيها، وتقديرها ما هو بحال الزوج وحده من يسرِه، وعسرِه، ولا يعتبر بحالها، وكفايتها. قالوا: يجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس، فإن كان الزوج موسراً؛ لزمه مدَّان، وإن كان متوسطاً فمدٌّ ونصف، وإن كان معسراً؛ فمدٌّ، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر، والعسر دونها، ولأن الاعتبار بكفايتها لا سبيل إلى علمه للحاكم ولا لغيره، فيؤدي إلى الخصومة؛ لأن الزوج يدعي أنها تلتمس فوق كفايتها، وهي تزعم: أن الذي تطلبه قدر كفايتها، فجعلناها مقدرة قطعاً للخصومة. والأصل في هذا عندهم قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾، وقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٣٦]: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾.

أقول: ولا بد للمدِّ، وللمدين ما يلزم لهما من طحن، وإدام. وهذا يختلف باختلاف المكان، والزمان، وإلا فما تصنع بالمد والمدين في هذا الأيام، لذا فالأخذ بقوله تعالى في آية (البقرة) رقم [٢٣٣]: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أولى، وأحق في هذه الأيام، وذلك يقتضي تعلق المعروف في حقهما؛ لأنه لم يخص في ذلك واحداً منهما، وليس من المعروف أن تكون كفاية الغنية مثل نفقة الفقيرة، وقد قال الرسول ﷺ لهند: «**خذي ما يَكْفِيكِ، وولدَكِ بالمعروفِ**». فأحالها على الكفاية حين علم السعة من حال أبي سفيان الواجب عليه بطلبها، ولم يقل لها: لا اعتبار بكفايتكِ، وأن الواجب لك شيء مقدر، بل ردها إلى ما يعلمه من قدَرِ كفايتِها، ولم يعلقه بمقدار معلوم، ثم ما ذكروه من التحديد يحتاج إلى توقيف، والآية لا تقتضيه. انتهى. قرطبي بتصرف.

خاتمة: هذه الآية أصل في وجوب النفقة على الرجل للمرأة، وعلى الوالد للولد دون الأم، وتجب للولد على الأم عند فقد الأب، أو فقره. وفي البخاري عن النبي ﷺ: «**تقول لكَ المرأةُ: أنفقْ عليَّ وإلا طلِّقْني، ويقول لكَ العبدُ: أنفِقْ عليَّ واستعمِلْني، ويقولُ لكَ الولدُ: أنفِقْ عليَّ إلى مَنْ تكِلُني**». فقد تعاضد القرآن والسنة، وتواردا في شرعة واحدة. انتهى. قرطبي.

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ أي: سيجعل الله بعد الفقر الغنى، وبعد الضيق الفرج، وبعد الشدة الرخاء، والسعة. وفيه وعد من الغني الحميد، وبشارة من العزيز الحكيم للفقراء بفتح أبواب الرزق عليهم، كيف لا وقد قال تعالى في سورة (الشرح): ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾. وقد قال الرسول ﷺ: «**لنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ**». لذا فالسين هنا تفيد تحقيق الوعد إن شاء الله تعالى، ولا تنس الطباق بين (عسر) و(يسر). هذا؛ وانظر شرح (نفق) في الآية رقم [٧] من سورة (المنافقون)، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: قرأنا في كتب الفقه الشافعية: أن أجرة تداوي المرأة ليست على الزوج، وإنما هي عليها إن كان لها مال؛ وإذا لم يكن لها مال؛ فأجرة التداوي على أهلها، وهذا يتنافى مع الإنسانية، والمروءة، المرأة تكون قوية للزوج، وضعيفة، وسقيمة للأهل.

الإعراب: ﴿لِيُنفِقْ﴾: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. ﴿ذُو﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذُو﴾: مضاف، و﴿سَعَةٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وقرئ بنصبه شاذاً على اعتبار اللام للتعليل بعدها «أن» مضمرة، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، التقدير: شرعنا ذلك؛ لإنفاق ذي سعة، وتبقى الجملة مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف. (من): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿قُدِرَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رِزْقُهُۥ﴾: نائب فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَلْيُنفِقْ﴾: (الفاء): واقعة في جواب الشرط. ﴿لِيُنفِقْ﴾: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو»، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (من) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [١]. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً؛ فهو مبتدأ، وجملة: ﴿قُدِرَ...﴾ إلخ صلته، والجملة الفعلية: ﴿فَلْيُنفِقْ﴾ في محل رفع خبره، وفيه: أن الجملة الخبرية إنشائية، وكثير من النحاة لا يجيز ذلك، وقد تكلمت عن ذلك مراراً. ﴿مِمَّآ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ). ﴿ءَاتَىٰهُ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء مفعول

به أول. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة (مَا)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف التقدير: من الذي، أو من شيء آتاه الله إياه.

﴿لَا﴾: نافية، ﴿يُكَلِّفُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿نَفْسًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها. والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: إلا الذي، أو شيئاً آتاها إياه. ﴿سَيَجْعَلُ﴾: (السين): حرف استقبال، (يجعل): فعل مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال من ﴿يُسْرًا﴾، كان صفة له، و﴿بَعْدَ﴾: مضاف، و﴿عُسْرٍ﴾: مضاف إليه. ﴿يُسْرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾

الشرح: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: وكثير من أهل القرى. فهو على حذف مضاف. ففي ذلك مجاز مرسل، علاقته المحلية، من إطلاق المحل، وإرادة الحال. ﴿عَتَتْ﴾: عصت، وطغت، وخرجت عن طاعة ربها، وطاعة رسله. ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي: بالمناقشة، والاستقصاء. وقيل: حاسبها بعملها في الكفر، فجزاها النار. أو المعنى: فجازيناها على عصيانها، وطغيانها بأنواع العذاب. ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي: منكراً فظيعاً. وقيل: في الآية تقديم، وتأخير مجازها، فعذبناها في الدنيا بالجوع، والقحط، والسيف، وسائر أنواع البلاء، وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً، والتعبير في الماضي بدل المستقبل إنما هو لتحقق وقوعه؛ لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقىً في الحقيقة. وقد نوهت عن ذلك كثيراً وكثيراً.

هذا؛ و(كأيِّنْ) أصلها: أيُّ الاستفهامية، دخلت عليها كاف التشبيه، فصارت بمعنى: «كم» الخبرية التكثيرية، وهي كناية عن عدد مبهم، مثل: كم، وكذا، وفيها خمس لغات، كلها قرئ بها: إحداها: كأيِّن، وهي الأصل، وبها قرأ الجماعة إلا ابن كثير، والثانية: كائِنْ بوزن: كاعِن، وبها قرأ ابن كثير، وجماعة، وهي أكثر استعمالاً من (كأيِّنْ) وإن كانت الأصل، وهو كثير في الشعر العربي، والثالثة: كَئين بوزن: كريم، والرابعة: كَيْئِن بياء ساكنة وهمزة مكسورة. والخامسة: كَأْنْ بوزن: كَفْنْ. هذا؛ والجلال المحلي اعتبر (كأين) بسيطة غير مركبة، وأن آخرها نون من نفس الكلمة لا تنوين؛ لأن هذه الدعاوى المتقدمة لا يقوم عليها دليل، والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ سلك في ذلك الطريق الأسهل، والنحويون ذكروا هذه الأشياء محافظة على أصولهم مع ما ينضمُّ إلى ذلك من الفوائد، وتشحين الذهن، وتمرينه. انتهى. جمل في غير هذا الموضع.

الإعراب: ﴿وَكَأَيِّن﴾: (الواو): حرف استئناف. (كأين): اسم كناية بمعنى: كثير مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وأجاز السمين اعتباره مفعولاً به لفعل محذوف، يفسره المذكور بعده وذلك في سورة (محمد ﷺ) رقم [١٣] ولا يتأتى هنا؛ لأن ﴿عَتَتْ﴾ لازم. لذا فالأحسن اعتباره فاعلاً للفعل المذكور بعده. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة.

﴿قَرْيَةٍ﴾: تمييز لـ: (كأين) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿عَتَتْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدَّر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة، والفاعل يعود إلى ﴿قَرْيَةٍ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ وأجاز الزمخشري، وتبعه النسفي اعتبار الجملة صفة القرية، والخبر جملة: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ...﴾ إلخ في الآية رقم [١٠] الآتية. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها، وعلى اعتبار (كأين) مفعولاً به لفعل محذوف، فهي فعلية، وجملة: ﴿عَتَتْ﴾ تكون مفسرة لا محل لها. ﴿عَنْ أَمْرِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿أَمْرِ﴾ مضاف، و﴿رَبِّهَا﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾: الواو: حرف عطف. (رسله): معطوفة على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا﴾: الفاء: حرف عطف. (حاسبناها): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿عَتَتْ...﴾ إلخ على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿حِسَابًا﴾: مفعول مطلق. ﴿شَدِيدًا﴾: صفة له، وجملة: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ معطوفة على ما قبلها، وهي مثلها في إعرابها.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾

الشرح: المعنى: فذاقت عاقبة كفرها، وطغيانها، وتمردها على أوامر الله تعالى، ومخالفة أوامر رسلها. ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ أي: وكانت نتيجة بغيها الهلاك، والدمار، والخسران الذي ما بعده خسران. هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ﴾ استعارة. انظر الآية رقم [١٤] من سورة (الذاريات) وانظر ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ في سورة (الحشر) رقم [١٥].

هذا؛ وعاقبة كل شيء: آخره ونتيجته، ومصيره، ومآله. ولم يؤنث الفعل (كان) لأن: ﴿عَٰقِبَةُ﴾ اكتسب التذكير من المضاف إليه، وهذا باب من أبواب النحو، انظر الشاهد رقم [٩٠١] وما بعده من كتابنا: «فتح القريب المجيب» تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿فَذَاقَتْ﴾: (الفاء): حرف عطف. (ذاقت): فعل ماض. والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى ﴿قَرْيَةٍ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَبَالَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أَمْرِهَا﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَكَانَ﴾: (الواو): حرف عطف. (كان): فعل ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسم (كان) وهو مضاف، و﴿أَمْرِهَا﴾: مضاف إليه، و(ها) في محل جر بالإضافة. ﴿خُسْرًا﴾: خبر (كان) والجملة معطوفة على ما قبلها.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ...﴾ إلخ: قد كرر الله الوعيد في الجمل الأربع المتقدمة ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ...﴾ إلخ للتوكيد. ومعنى ﴿أَعَدَّ﴾ هيأ، وأحضر. وجمع الضمير في: ﴿لَهُمْ﴾؛ لأنه عائد على أهل قرية، والمراد ـ والله أعلم ـ أهالي قرىً كثيرة.

﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ...﴾: خصهم الله بهذا الأمر؛ لأن أصحاب العقول السليمة، والقلوب الفاهمة هم الذين يستجيبون للأمر، وينتفعون بالموعظة، والنصيحة، ولذا أبدل منهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ليتحقق هذا المعنى منهم. ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا...﴾ أي: وحياً يتلى، وهو القرآن الحكيم. واختار بعض المفسرين: أن المراد بالذكر هو الرسول ﷺ، بدليل أنه أبدل منه قوله: (رسولاً) وإليه ذهب الطبري، وأبو السعود. واختار الأول ابن عطية، وصاحب البحر المحيط. وقال الكلبي: المراد بالرسول: جبريل عليه السلام، فيكونان جميعاً منزلين. وقيل: الذكر هنا: الشرف، نحو قوله تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [١٠]: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ...﴾، وقوله تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٤٤]: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ...﴾ انظر شرح الآيتين في محلهما؛ تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

هذا؛ و(أولو) بمعنى: أصحاب، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وإنما واحده «ذو» المضاف إن كان مرفوعاً، و«ذا» المضاف إن كان منصوباً، و«ذي» المضاف إن كان مجروراً، و﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ العقول، أو القلوب واحده: لبٌّ، وهو: العقل الخالي من الهوى، سمي بذلك لأحد وجهين: إما لبنائه من: لبَّ بالمكان: أقام به، وإما من اللُّباب، وهو الخالص من كل شيء. هذا؛ والملاحظ: أنه لم يرد في القرآن الكريم منه صيغة المفرد، وإنما يستعمل مرادفها مكانها، وهو العقل، أو القلب، وذلك في نحو قوله تعالى في سورة (ق) رقم [٣٧]: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ وذلك؛ لأن لفظ الباء شديد مجتمع، ولا يفضي إلى هذه إلا من اللام الشديدة المسترخية، فلما لم تحسن اللفظة أسقطها من نظمه ألبتة. وقد جمع على: «ألُب» كما جمع: «بؤس» على: «أبْؤُسٍ». انتهى. علوم القرآن للصابوني.

الإعراب: ﴿أَعَدَّ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وقيل: مفسرة لما تقدم من الوعيد. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول به. ﴿شَدِيدًا﴾: صفة له. ﴿فَٱتَّقُوا﴾: (الفاء): هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. (اتقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة

الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر، التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً لا محالة؛ فاتقوا الله. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (أولي): منادى منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و(أولي) مضاف، و﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب بدلاً من (أولي الألباب)، أو صفة له، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله. ﴿إِلَيْكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ذِكْرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (أولي الألباب) والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال أداة النداء لما فيها من معنى الفعل.

﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟...﴾ إلخ: أي: وأرسل إليكم رسولاً، وهو محمد ﷺ يقرأ عليكم آيات الله واضحات الدلالة، جليات البيان، تبين الحلال والحرام، وما تحتاجون إليه من الأحكام. ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ إلخ: أي: ليخرج المؤمنين الصادقين المتقين من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى، ومن ظلمات الكفر، والجهل إلى نور الإيمان، والعلم. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت في مؤمني أهل الكتاب. وأضاف الإخراج إلى الرسول ﷺ؛ لأن الإيمان يحصل منه بطاعته، وامتثال أمره، والاهتداء بهديه، والأخذ بتعاليمه. ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: يصدق به، ويعترف بوحدانيته. ﴿وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾: ويعمل عملاً صالحاً بامتثال أمره، واجتناب نهيه. ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: يدخله في الآخرة جنات النعيم، تجري من تحت قصورها أنهار الجنة على اختلاف أنواعها، وتنوع مياهها؛ التي رأيتها في سورة (محمد ﷺ) رقم [١٥]. وقد ذكرت لك مراراً: أن لفظ ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورِ﴾ مستعاران للكفر والإيمان.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي: ماكثين في تلك الجنان أبداً، لا يخرجون منها، ولا يموتون، ولا يهرمون. روى مسلم عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهلُ الجنَّةِ يأكلونَ، ويشربونَ، ولا يبولونَ، ولا يتغوَّطُونَ، ولا يمتَخِطونَ، ولا يبزقونَ، يُلْهَمُونَ الحمدَ والتسبيحَ كما يُلْهَمُون النفس، طعامُهُم جُشَاءٌ، وَرَشْحُهُم المسكُ**».

﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ أي: قد طيب رزقهم في الجنة، ووسعه لهم؛ لأن نعيمها دائم، لا ينقطع. قال الطبري، وغيره: أي: وسع لهم في الجنات الرزق، وهو ما رزقهم من المطاعم والمشارب، وسائر ما أعد لأوليائه فيها، فطيبه لهم. انتهى. وفي الآية معنى التعجب، والتعظيم

لما رزق الله المؤمن من الثواب، والنعيم المقيم. هذا؛ وقد قال تعالى في جزاء المؤمنين الصادقين في سورة (الأنفال) رقم [٤]: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، وقال في سورة (الحج) رقم [٥٠]: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ومعنى (كريم): لا ينتهي عدده، ولا ينقطع مدده، صاف عن كد الاكتساب، وخوف الحساب، لا منة فيه، ولا عذاب. هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ والاستعارة فيهما في الآية رقم [٩] من سورة (الحديد).

في الآية الكريمة التفات من الخطاب في: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ إلى الغيبة بقوله: ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟﴾ وفيها مراعاة لفظ: (مَنْ) بفاعل ﴿يُؤْمِنۢ﴾ وفاعل (يعمل)، ومراعاة معناها بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ ثم مراعاة لفظها بقوله: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾. ففي هذه الآية مراعاة اللفظ أولاً، ثم المعنى ثانياً، ثم اللفظ ثالثاً.

الإعراب: ﴿رَّسُولًا﴾: قال أبو البقاء في نصبه أوجه: أحدها: أن ينتصب بـ: ﴿ذِكْرًا﴾ أي: أنزل إليكم أَنْ ذكَرَ رسولاً (أي: إن المصدر عمل لما أمكن حله أَنْ المصدرية، والفعل ذَكَرَ). والثاني: أن يكون بدلاً من (ذِكْراً) ويكون الرسول بمعنى الرسالة، وجملة: ﴿يَتْلُوا۟﴾ على هذا يجوز أن تكون نعتاً، وأن تكون حالاً من اسم الله تعالى. والثالث: أن يكون التقدير: ذكراً شرف رسول. أو ذكراً ذكر رسول. ويكون المراد بالذكر: الشرف، وقد أقام المضاف إليه مقام المضاف. والرابع: أن ينتصب بفعل محذوف؛ أي: وأرسل رسولاً. انتهى. بتصرف. ولمكي أقوال تشبه أوجه أبي البقاء، ونقل الجمل عن السمين تسعة أوجه، وصفوة القول: أن فيه وجهين معتمدين: أولهما: أن رسولاً مفعول به لفعل محذوف، التقدير: وأرسل رسولاً، أو وبعث رسولاً، وهذا على اعتبار الرسول غير الذكر، وثانيهما: أن رسولاً بدل من (ذكراً) على حذف مضاف، أو على بعض التفاسير؛ التي رأيتها.

﴿يَتْلُوا۟﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى ﴿رَّسُولًا﴾، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿رَّسُولًا﴾، أو في محل نصب حال من اسم الله تعالى، والرابط: الضمير على الاعتبارين، والمعتمد الأول. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ءَايَٰتِ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿مُبَيِّنَٰتٍ﴾: صفة ﴿ءَايَٰتِ﴾، أو حال منها على اعتبار الإضافة أفادت تخصيصاً، وهما منصوبان، وعلامة نصبهما الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنهما جمعا مؤنث سالمان. ﴿لِّيُخْرِجَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى ﴿رَّسُولًا﴾، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿يَتْلُوا۟﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها، والتي بعدها معطوفة عليها، لا محل لها مثلها. ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: كلاهما متعلقان بالفعل (يخرج).

﴿وَمَن﴾: (الواو): حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُؤْمِنۢ﴾: فعل مضارع مجزوم مثله، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿صَٰلِحًا﴾: صفة لمفعول به، أو لمفعول مطلق محذوف، التقدير: ويعمل عملاً صالحاً.

﴿يُدْخِلْهُ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به أول. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة... إلخ، وجملة: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾: لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، وخبر المبتدأ الذي هو: (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الأولى رقم [١].

﴿تَجْرِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿مِن تَحْتِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعل ﴿تَجْرِى﴾، والجملة الفعلية في محل نصب صفة ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من فاعل (يعمل)، أو من الضمير المنصوب، وفاعله مستتر فيه، وانظر الشرح. ﴿فِيهَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ أيضاً، وفيه معنى التوكيد للخلود في الجنات.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَحْسَنَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿رِزْقًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿قَدْ أَحْسَنَ...﴾ إلخ في محل نصب حال ثانية من فاعل (يعمل)، أو من الضمير المنصوب، أو هي حال من الضمير المستتر بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ فتكون حالاً متداخلة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾: فهو إخبار عن قدرته التامة، وسلطانه العظيم، ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من الدين القويم. قال تعالى في سورة (نوح) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾، ومثله في سورة (الملك) رقم [٣]. ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: سبعاً أيضاً، كما ثبت في الصحيحين: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ من الأرضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أرضينَ**». روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ أخَذَ مِنَ الأرضِ شِبْراً بغيرِ حقِّهِ خُسِفَ به يومَ القيامةِ إلى سَبْعِ أرَضينَ**». رواه البخاري، وغيره. وكذا في الحديث الآخر: «**ما السمواتُ السبْعُ وما فيهنَّ وما بينهنَّ، والأرضونَ السبْعُ، وما فيهنَّ، وما بينهنَّ في الكرسيِّ إلا كحلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بأرضِ فَلاةٍ**». وقال ابن جرير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ

﴿مِثْلَهُنَّ﴾ قال: لو حدثتكم بتفسيرها؛ لكفرتم، وكفركم: تكذيبكم بها. رواه ابن جرير عن مجاهد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. انتهى. مختصر ابن كثير بتصرف. وفيه: في سورة (الحديد) ما يلي:

وروى الترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب، فقال نبي الله ﷺ: **«هلْ تدرونَ ما هذا؟»**. قالوا: الله ورسولهُ أعلم! قال: **«هَذَا العنانُ، هذه رَوَايَا الأرْضِ، يسوقه الله إلى قومٍ لا يَشكُرونَهُ، ولا يَدْعُونَهُ»**. ثم قال: **«هل تدرونَ ما فَوْقَكُمْ؟»**. قالوا: الله ورسولهُ أعلمُ! قال: **«فإنها الرقيعُ سقفٌ محفوظٌ، وموجٌ مكفوفٌ»**. ثم قال: **«هل تدرونَ كمْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهَا؟»**. قالوا: الله ورسولُهُ أعلمُ. قال: **«بينكم وبينها خمسمئةِ سنةٍ»**. ثم قال: **«هل تَدْرُونَ ما فوقَ ذَلِكَ؟»**. قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: **«فإن فوقَ ذَلِكَ سماءين بُعْد ما بينَهما مَسِيرَةُ خَمسمئةِ سَنَةٍ»**. حتى عد سبع سموات، ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض. ثم قال: **«هَلْ تدرون ما فوقَ ذِلكَ؟»**. قالوا: الله ورسولُهُ أعلم! قال: **«فإن فوقَ ذِلك العرش، وبيْنَهُ وبَيْنَ السَّمَاءِ مِثْلُ ما بَيْنَ السماءَيْن ثم قال: هل تدرون ما الذي تحتكم؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«إنها الأرض»**.

ثم قال: **«هل تدرون ما الذي تحتَ ذلِكَ؟»**. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«فإن تحتَهَا أرْضاً أُخْرى بينهما مسيرةُ خمسمئةِ سنة»**. حتى عد سبع أرضين، بين كل أرضين مسيرةُ خمسمئة سنة، ثم قال: **«والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلاً إلى الأرض السفلى لهبط على الله»**. ثم قرأ قوله تعالى: **«هو الأولُ والآخرُ، والظاهرُ والباطنُ، وهوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ»**. وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث، فقالوا: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلمُ الله وقدرتُهُ وسلطانُهُ في كل مكان، وهو على العرش كما وصف في كتابه. انتهى كلامه. وانظر سورة (الملك) رقم [٣].

أقول: الأبحاث العلمية في الفضاء في هذا الزمن لم تتعدَّ العنان المذكور في أول هذا الحديث، والأبحاث العلمية ممنوعة بقدرة الله من اختراق، وتجاوز السماء الأولى، ودليلنا بحمد الله وتوفيقه منع الشياطين من استراق السمع، كما رأيت في سورة (الصافات) رقم [٦] وتراه إن شاء الله تعالى في سورة (الملك) رقم [٥].

تنبيه: قيل: ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية. وقيل: إن الأرض واحدة، وإن المماثلة ليست في العدد، وإنما هي في الخلق، والإبداع؛ أي: مثلهن في الإبداع والإحكام، والأول أظهر، وأسلم، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾: المراد به: الوحي ينزل من عند الله إلى خلقه من السماء العليا إلى الأرض السفلى. وقيل: هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره، ينزل المطر، ويخرج النبات،

ويأتي بالليل والنهار، وبالصيف والشتاء، ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاته، وينقله من حال إلى حال، فيحكم بحياة بعض، وموت بعض، وسلامة هذا، وهلاك ذاك. وقيل: في كل سماء من سمواته، وأرض من أرضيه خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء من قضائه. انتهى. خازن.

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: لتعلموا، وتوقنوا: أن من قدر على هذا الملك العظيم؛ فهو على ما بينهما من خلقه أقدر، ومن العفو والانتقام أمكن، وإن استوى كل ذلك في مقدوره، ومكنته. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ أي: إنه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء، لا تخفى عليه خافية في السموات السبع، والأرضين السبع، وإنه جلت قدرته، وتعالت حكمته قادر على الإنشاء بعد الإفناء، وكل الكائنات تحت قدرته، وسلطانه لا تخرج عن علمه وإرادته. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

خاتمة: لفظ الأرض لم يرد في القرآن الكريم إلا مفرداً، ولم يرد فيه صيغة الجمع (أرضين) ولما احتيج إلى جمعها أخرجها العليم الحكيم على هذه الصورة التي ذهبت بسر الفصاحة والبلاغة، وذهب بها حتى خرجت من الروعة بحيث يسجد لها كل فكر سجدة طويلة. وذلك في قوله جلت قدرته، وتعالت حكمته: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ...﴾ إلخ، ولم يقل: سبع أرضين؛ لأنه يختل بها النظم، وتذهب روعة الفصاحة والبلاغة. انتهى. علوم القرآن للصابوني بتصرف كبير مني.

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿خَلَقَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الذي) وهو العائد. والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. ﴿سَبْعَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿سَمَٰوَٰتٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بفعل محذوف، تقديره: وخلق من الأرض. ﴿مِثْلَهُنَّ﴾: مفعول به للفعل المحذوف، وعليه فالعطف من عطف الجمل، وإن اعتبرت ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ معطوفاً على ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ عطف مفرد على مفرد، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ تقدم عليه. هذا؛ وقرئ برفع (مثلُهن) على أنه مبتدأ مؤخر، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها.

﴿يَتَنَزَّلُ﴾: فعل مضارع. ﴿ٱلْأَمْرُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، وقال أبو البقاء: ويجوز أن تكون نعتاً، وأقول: يجوز أيضاً أن تكون حالاً مما قبلها؛ لأن الإضافة فيها نوع تخصيص. ﴿بَيْنَهُنَّ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع

في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿خَلَقَ﴾. وقيل: متعلقان بـ: ﴿يَتَنَزَّلُ﴾، وقال الجلال: متعلقان بمحذوف؛ أي: أعلمكم بذلك الخلق، والتنزيل؛ لتعلموا... إلخ. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بقدير بعدهما، و(كل): مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل: (تعلموا). ﴿وَأَنَّ﴾: (الواو): حرف عطف. (أن): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَحَاطَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، والمصدر المؤول معطوف على ما قبله. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(كل) مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عِلْمًا﴾: قال القرطبي: منصوب على المصدر المؤكد؛ لأن أحاط بمعنى: علم، فهو يعني: أنه مفعول مطلق مرادف للمصدر من: ﴿أَحَاطَ﴾. وقال الجمل: تمييز محول عن الفاعل. وهو أولى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهت سورة (الطلاق) شرحاً وإعراباً بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله رب العالمين.




فهرس


